دقت بو فهرس (هامش) ده کی مختصر احیانک در اصل کتاب (نزهة الناظرين) در

فهرس نزهة الناظرين

(فهرست مختصر الاحياء للغزالى رحمه الله تعالى الذى بالهامش)

نهضة ... الطريق

صحيفة	
١٩٧	كتاب آفات اللسان
٢٠٥	» النهى عن الغضب
٢١٥	» مدح السخاء
٢١٩	» ذم الكبر والعجب
٢٢٢	» التوبة
٢٢٦	» الصبر والشكر
٢٢٨	» الرجاء والخوف
٢٤٠	» الزهد والفقر
٢٥٦	» المحبة والرضا
٢٥٩	» النية والاخلاص
٢٦٤	» التفكر
٢٧١	» ذكر الموت

(تمت)

كتاب نزهة الناظرين فى تفسير آيات من كتاب رب العالمين وأحاديث مروية عن سيد المرسلين وآثار منقولة عن الصحابة المنتخبين وحكايات مأثورة عن الانبياء والعلماء والصالحين

تأليف العالم العلامة الشيخ تقى الدين عبد الملك بن أبى المنى البابى ثم الحلبى خطيب الجامع الكبير الاموى وامامه بحلب الشهير بالشيخ عبيد الضرير رحمه المولى ونفعنا بعلومه آمين

م

(وهذا الكتاب نظير الاحياء مرتب على أربعة أرباع)
(كما ذكره فى كشف الظنون)

(وبهامشه مختصر احياء علوم الدين للامام الغزالى)
(نفعنا الله به آمين)

(طبع بالمطبعة الميمنية)
على نفقة أصحابها (مصطفى البابى الحلبى وأخويه) بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أحيا قلوب العارفين باتساع رحمته وألهمهم من التوسل اليه مايدفعون به عظيم أخذه وعقوبته ووهب لهم من مطايا الحزن والبكاء مايتوصلون به الى منازل جنته الملك الذي خضع كل جبار لعزته وغرقت الآمال في بحار فضله ونعمته وتحيرت الالباب في عجائب صنعته وحكمته وتقاصرت الالفاظ عن وصف جلاله وعظمته *(أحمده)* اذ شرفنا بلواء الاسلام والتوحيد وأرسل اليناخير الخلق والعبيد وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة ننجو بها يوم القيامة من الهول الشديد ونشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله رحمة للعالمين واماما للمتقين وحسرة على الكافرين وحجة على العباد أجمعين وشرح له صدره ووضع عنه وزره ورفع له ذكره وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره وأقسم بحياته في كتابه المبين وقرن اسمه باسمه فلا يذكر الا ذكر معه كما في التشهد والخطب والتأذين صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين صلاة كاملة مستمرة الى يوم الدين وسلم تسليما كثيرا (أما بعد) فهذا كتاب مشتمل على تفسير آيات من كتاب رب العالمين وأحاديث مروية عن سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وعلى سائر النبيين وآثار منقولة عن الصحابة المنتخبين ونكت وحكايات مأثورة عن الانبياء والعلماء والصالحين رضوان الله عليهم أجمعين جمعته من كتب الائمة المحققين منها كتاب معالم التنزيل للامام أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي رحمه الله وكتاب المصابيح له أيضا وكتاب احياء علوم الدين للامام حجة الاسلام أبي حامد الغزالي وكتاب نصيحة الملوك له أيضا وكتاب الشفاء للقاضي عياض وكتب الامام أبي زكريا النووي الاربعة شرح مسلم ورياض الصالحين والاذكار والتبيان في آداب حملة القرآن وكتاب تنبيه الغافلين للفقيه أبي الليث السمرقندي وكتاب بستان العارفين له أيضا وكتاب أسرار التنزيل ولطائف التأويل للامام فخر الدين الرازي وكتاب روضة المشتاق الى الملك الخلاق لابي الفرج بن الجوزي وكتاب التذكرة لابي عبد الله القرطبي وكتاب طهارة القلوب للشيخ عبد العزيز الديريني وكتاب توثيق عرا الايمان للقاضي شرف الدين البارزي وكتاب المنتقى في الاحكام للشيخ مجد الدين عبد السلام بن تيمية وكتاب حدائق الاولياء ورياض السادة الاصفياء للشيخ سراج الدين بن الملقن وكتاب غاية السول في خصائص

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الامام حجة الاسلام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي رحمه الله ورضي عنه الحمد لله على جميع نعمه حتى على توفيقه لحمده والصلاة على سيد المرسلين محمد نبيه ورسوله وعبده وعلى آله وأصحابه وخلفائه من بعده ووزرائه في عهده أما بعد فانه قد عن لي في بعض أسفاري أن أستخرج من كتابي احياء علوم الدين لبابه لتعذر استصحابه مع كبر حجمه فاقدمت على ذلك مستوفقا من الله ومستخيرا له ومصليا على نبيه وهو يشتمل على أربعين بابا والله الموفق للصواب

(الباب الاول في العلم والتعلم)

اعلم أن فضيلة العلم شواهدها من القرآن كثيرة فمنها قوله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات قال ابن عباس رضي الله عنه للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبعمائة درجة مابين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام وقال تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقال تعالى وتلك الامثال

الرسول وكتاب تحفة المحتاج وكتاب شرح المنهاج له أيضا وكتاب منهاج القاصدين في تفضيل الخلفاء الراشدين للشيخ الامام موفق الدين بن قدامة الحنبلي وكتاب الكبائر للشيخ الامام الحافظ أبي عبد الله محمد ابن أحمد بن عثمان الذهبي وكتاب سيرة النبي صلى الله عليه وسلم لابي الفتح اليعمري الشهير بابن سيد الناس وكتاب روض الرياحين للشيخ عبد الله بن أسعد اليافعي رحمه الله وكتاب كفاية المعتقد في الرد على المنتقد له أيضا فأكثر نقلي من هذه الكتب رحمة الله ورضوانه على مصنفيها وقد نقلت من غيرها شيأ يسيرا وقد جعلت هذا الكتاب أربعة أرباع الربع الاول في العبادات والربع الثاني في العادات والربع الثالث في المهلكات والربع الرابع في المنجيات وسميته نزهة الناظرين في الاخبار والآثار المروية عن الانبياء والصالحين وأسأل الله تعالى أن يجعله خالصا لوجهه وأن ينفعني به ولمن نظر فيه ودعا لي بخير وأن يوفقنا لما يحب ويرضى من القول والعمل والنية وأن لا يكلنا الى أنفسنا طرفة عين ولا الى أحد من خلقه فانه حسبنا ونعم الوكيل اللهم اني قد جمعت هذا الكتاب مع تقصيري عن العمل بما فيه وعن القليل منه ولكني أرجو منك التوفيق والهداية فاني لم أيأس من رحمتك الهي كم من عبد لك كان ضالا فهديته فاجعلني من جملتهم يا الله يا رحمن يا رحيم يا لطيف يا حليم يا غفور يا شكور يا عفو يا رؤف يا عظيم الجود يا واسع المغفرة أسألك باسمائك الحسنى أن لا تخيب رجائي وأن لا تجعلني ممن يخالف قوله فعله وأن تصلي على محمد عبدك ونبيك ورسولك خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين

*(بسم الله الرحمن الرحيم * وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب)*

*(كتاب العلم * وفيه ثمانية أبواب)*

(الباب الاول) في فضل العلم وتعليمه وتعلمه قال الله تعالى شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط وقال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقال تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات قال ابن عباس للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبعمائة درجة مابين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام وفي صحيح البخاري ومسلم عن معاوية رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجلان أحدهما عابد والآخر عالم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله وملائكته وأهل السموات والارض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وعن صفوان بن عسال أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يطلب قال الخطابي في معنى وضعها أجنحتها ثلاثة أقوال أحدها أنه بسط الاجنحة الثاني أنه بمعنى التواضع تعظيما لطالب العلم الثالث أن المراد به النزول عند مجالس العلم وترك الطيران وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم رواه البخاري ومسلم وقال لمعاذ لما بعثه الى اليمن والله لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا وما فيها رواه أحمد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيأ ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيأ رواه مسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له رواه مسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد رواه الترمذي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل شئ عماد وعماد هذا الدين الفقه وما عبد الله بشئ أفضل من فقه في الدين رواه الدارقطني وقال ألا ان الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه وعالما ومتعلما رواه الترمذي وقال من سلك طريقا يبتغي فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة وان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يطلب وان العالم ليستغفر له من في السموات ومن في

نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون ومن الاخبار قوله عليه السلام العلماء ورثة الانبياء وقال عليه السلام أفضل الناس المؤمن العالم الذي ان احتيج اليه نفع وان استغنى عنه أغنى نفسه وقال عليه السلام الايمان عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء وثمرته العلم وقال عليه السلام أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم وأهل الجهاد أما أهل العلم فلأنهم قد دلوا الناس على ما جاءت به الرسل وأما أهل الجهاد فجاهدوا بأسيافهم على على ما جاءت به الرسل وقال عليه السلام العالم أمين الله في الارض وقال عليه السلام تشفع يوم القيامة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء وقال فتح الموصلي أليس المريض اذا منع الطعام والشراب والدواء يموت قالوا نعم قال كذلك القلب اذا منع عنه الحكمة والعلم ثلاثة أيام مات ولقد صدق اذ غذاء القلب العلم والحكمة وبهما حياته كما أن غذاء الجسم الطعام والشراب ومن فقد العلم فقلبه مريض وموته لازم وليس يشعر به لان شواغل الدنيا أبطلت احساسه فاذا كشف عنه الموت تلك الشواغل أحس بالم عظيم وتحسر تحسرا لا آخر له وهو معنى قوله عليه السلام الناس نيام

الارض حتى الحيتان فى الماء وفضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وان العلماء ورثة الانبياء وان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما انما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر رواه الترمذى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من غدا الى المسجد لا يريد الا أن يتعلم خيرا او يعلمه كان له كأجر حاج تاما حجته رواه الطبرانى فى الكبير باسناد لا بأس به وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلس فقه خير من عبادة ستين سنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير الفقه خير من كثير العبادات وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيه واحد أفضل عند الله من ألف عابد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل العبادات الفقه وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه دخل المسجد فرأى مجلسين أحد المجلسين يذكرون الله تعالى ويرغبون اليه والآخر يتعلمون الفقه فقال عليه الصلاة والسلام كلا المجلسين على خير وأحدهما أفضل من الآخر أما هؤلاء فيدعون الله تعالى ويرغبون اليه فان شاء أعطاهم وان شاء منعهم وأما هؤلاء فيعلمون الجهال وانما بعثت معلما فهؤلاء أفضل ثم جلس معهم وقيل فى قوله تعالى يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم يعنى العلم وريشا يعنى اليقين ولباس التقوى أى الحياء وقال عليه الصلاة والسلام الايمان عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء وثمرته العلم والعمل والجهاد أما أهل العلم فدلوا الناس على ماجاءت به الرسل وأما أهل الجهاد فجاهدوا بأسيافهم على ماجاءت به الرسل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتى على يوم لا أزداد فيه علما يقربنى الى الله فلا بورك لى فى طلوع شمس ذلك اليوم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث الله العباد يوم القيامة ثم يميز العلماء فيقول يا معشر العلماء انى لم أضع علمى فيكم لأعذبكم اذهبوا فقد غفرت لكم رواه الطبرانى فى الكبير وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انكم أصبحتم فى زمان كثير فقهاؤه قليل خطباؤه كثير معطوه قليل سائلوه العمل فيه خير من العلم وسيأتى على الناس زمان قليل فقهاؤه كثير خطباؤه قليل معطوه كثير سائلوه العلم فيه خير من العمل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن تغدو فتتعلم بابا من العلم خير من أن تصلى مائة ركعة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا العلم ولو بالصين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم العلم خزائن ومفاتيحها السؤال فاسألوا فانه يؤجر فيه أربعة السائل والعالم والمستمع والمحب لهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغى للجاهل أن يسكت على جهله ولا للعالم ان يسكت على علمه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جاءه ملك الموت وهو يطلب العلم ليحيى به الاسلام فبينه وبين الانبياء درجة واحدة فى الجنة وقال على كرم الله وجهه كفى بالعلم شرفا أن يدعيه من لا يحسنه ويفرح به اذا نسب اليه وكفى بالجهل ذما أن يتبرأ منه من هو فيه وقال على رضى الله عنه

ما الفضل الا لأهل العلم انهم * على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه * والجاهلون لأهل العلم أعداء

وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه تعلموا العلم فان تعلمه لله حسنة وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وبذله لاهله قربة وهو الانس فى الوحدة والصاحب فى الخلوة وقال ابن مسعود رضى الله عنه منهومان لا يشبعان طالب العلم وطالب الدنيا وهما لا يستويان أما طالب العلم فيزداد فى رضا الرحمن وأما طالب الدنيا فيزداد فى الطغيان ثم قرأ انما يخشى الله من عباده العلماء ثم قرأ كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى قال ابن عباس رضى الله عنهما العلم أفضل من المال لان العلم ميراث الانبياء والمال ميراث الفراعنة ولان العلم يحرسك وأنت تحرس المال ولان العلم لا يعطيه الله الا لمن يحبه والمال يعطيه من يحب ومن لا يحب ولان العلم لا ينقص بالبذل والانفاق والمال ينقص بهما ولان صاحب المال اذا مات انقطع ذكره والعالم اذا مات فذكره باق ولان صاحب المال يسئل عن كل درهم من أين اكتسبه وأين أنفقه وصاحب العلم له بكل حديث درجة فى الجنة وجاء رجل الى أبى ذر رضى الله عنه فقال انى أريد أن أتعلم العلم وأخاف أن أضيعه ولا أعمل به فقال انك ان توسد العلم خير من أن توسد الجهل ثم ذهب الى أبى

فاذا ماتوا انتهوا وأما فضيلة التعلم فيدل عليها قوله عليه السلام ان الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم بما يصنع وقال عليه السلام لان تغدو فتتعلم بابا من العلم خير من أن تصلى مائة ركعة وقال أبو الدرداء من رأى أن الغدو الى العلم ليس بجهاد فقد نقص فى رأيه وعقله وأما فضيلة التعليم فيدل عليها قوله تعالى واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه الآية قال ما أتى الله عالما علما الا أخذ عليه من الميثاق ما أخذ على النبيين أن تبينه ولا تكتمه وقال عليه السلام لما بعث معاذا الى اليمن لان يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا ومافيها وقال عمر رضى الله عنه من حدث بحديث فعمل به فله مثل أجر ذلك العمل وقال معاذ ابن جبل فى التعليم والتعلم ورواية أيضا مرفوعا تعلموا العلم فان تعلم العلم لله حسنة وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه صدقة وبذله لاهله قربة وهو الانيس فى الوحدة والصاحب فى الخلوة والدليل على السراء والضراء والوزير عند الاخلاء والقريب عند

الدرداء رضى الله عنه فقال له مثل ذلك فقال أبو الدرداء ان الناس يبعثون من قبورهم على ماماتوا عليه يبعث العالم عالما ويبعث الجاهل جاهلا ثم ذهب الى أبى هريرة رضى الله عنه فقال له مثل ذلك فقال أبو هريرة ما أنت بواجد شيأ أضيع له من تركه وحكى عن ابن المبارك رحمه الله أنه كان فى حال الموت ورجل عنده يكتب له العلم فقيل له فى مثل هذه الحالة تتعلم فقال لعل الكلمة التى تنفعنى لم تبلغنى بعد وحكى أنه قيل له لو أن الله تعالى أوحى اليك أنك ميت العشية ما أنت صانع اليوم قال أطلب فيه العلم ويقال ان العلماء سرج الازمنة فكل عالم مصباح زمانه يستضىء به أهل عصره وروى عن سالم بن أبى الجعد رحمه الله أنه قال اشترانى مولاى بثلثمائة درهم وأعتقنى فقلت فى أى الحرف أحترف فاخترت العلم على كل الحرف فلم تمض لى مدة حتى أتانى الخليفة زائرا فلم آذن له وقال أبو مسلم الخولانى رحمه الله مثل العلماء كالنجوم فى السماء اذا بدت للناس اهتدوا واذا خفيت عنهم تحيروا وقال امامنا الشافعى رحمه الله طلب العلم أفضل من صلاة النافلة وقال ليس بعد الفرائض أفضل من طلب العلم وقال من أراد الدنيا فعليه بالعلم ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم وقال من لا يحب العلم فلا خير فيه ولا يكون بينك وبينه معرفة ولا صداقة وقال العلم مروءة من لا مروءة له وقال ان لم يكن الفقهاء وفى رواية العالمون أولياء فليس لله ولى وقال ما أحد أورع لخالقه من الفقهاء وقال من تعلم القرآن عظمت قيمته ومن نظر فى الفقه نبل قدره ومن نظر فى اللغة رق طبعه ومن نظر فى الحساب جزل رأيه ومن نظر كتب الحديث قويت حجته ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه وسئل ابن المبارك من الناس فقال العلماء قيل فمن الملوك قال الزهاد قيل فمن السفلة قال الذى يأكل بدينه قال الامام أبو حامد الغزالى رحمه الله تعالى فلم يجعل غير العالم من الناس لان الخاصية التى يتميز الانسان بها على سائر البهائم هو العلم والانسان انسان بما هو شريف لاجله وليس ذلك لقوته فان الجمل أقوى منه ولا لعظمه فان الفيل أعظم منه ولا لشجاعته فان السبع أشجع منه ولا لأكله فان الجمل أوسع بطنا منه ولا لجماعه فان أخس العصافير أقوى على السفاد منه بل لم يتميز الا بالعلم

(الباب الثانى فى اكرام أهل العلم والنهى عن ايذائهم)

قال الله تعالى ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وقال تعالى ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب روى أبو داود عن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من اجلال الله تعالى اكرام ذى الشيبة المسلم وحامل القرآن غير الغالى فيه والجافى عنه واكرام ذى السلطان وعن عائشة رضى الله عنها قالت أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننزل الناس منازلهم رواه أبو داود وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل قال من آذى لى وليا فقد آذنته بالحرب قال الامامان أبو حنيفة والشافعى رحمهما الله تعالى ان لم يكن العلماء أولياء الله تعالى فليس لله ولى وعن الحسن البصرى رحمه الله تعالى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان جالسا ومعه أصحابه فجاء على رضى الله عنه ولم يكن له مجلس فرآه أبو بكر رضى الله عنه فتزحزح له عن مكانه ثم قال ههنا يا أبا الحسن فسر النبى صلى الله عليه وسلم بما صنع أبو بكر وقال أهل الفضل أولى بأهل الفضل ولا يعرف أهل الفضل الا أهل الفضل وقال الامام الحافظ أبو القاسم بن عساكر رحمه الله تعالى اعلم يا أخى وفقنى الله واياك لمرضاته وجعلنا ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته ان لحوم العلماء مسمومة وعادة الله فى هتك أستار منتقصيهم معلومة وان من أطلق لسانه فى العلماء بالثلب بلاه الله تعالى قبل موته بموت القلب فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم

(الباب الثالث فيما جاء فى موت العلماء)

قال الله تعالى أولم يروا أنا نأتى الارض ننقصها من أطرافها وقال عطاء وجماعة نقصانها موت العلماء وذهاب الفقهاء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بموت العلماء حتى اذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا وقال ابن

القرناء ومنار سبيل الجنة يرفع الله به أقواما فيجعلهم فى الخير قادة هداة يهتدى بهم أدلة فى الخير تقتص آثارهم وترمق أفعالهم وترغب الملائكة فى خلتهم وبأجنحتها تمسحهم ويستغفر لهم كل رطب ويابس ولهم يستغفر حتى حيتان البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه والسماء ونجومها لان العلم حياة القلوب من العمى ونور الابصار من الظلم وقوة الابدان من الضعف يبلغ به العبد منازل الابرار والدرجات العلى التفكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام وبه يطاع الله وبه يعبد وبه يوحد وبه يتورع وبه توصل الارحام وهو الامام والعمل تابعه يلهمه السعداء ويحرمه الاشقياء * وأما من حيث العقل فليس تخفى فضيلة العلم اذ به الوصول الى الله تعالى والى قربه وجواره وهو السعادة الابدية واللذة السرمدية التى لا ينقضى آخرها ففيه عز الدنيا وسعادة الآخرة والدنيا مزرعة الآخرة فالعالم بعلمه يزرع لنفسه السعادة الابدية بتهذيب أخلاقه على ما يقتضيه العلم ولغيره أيضا بالتعليم يزرع سعادة الابد فانه يهذب أخلاق الناس ويدعوهم بعلمه الى ما يقربهم الى الله تعالى كما قال الله تعالى أدع الى

مسعود رضى الله عنه موت العالم ثلمة فى الاسلام لا يسدها شئ ما اختلف الليل والنهار وقال ابن مسعود أيضا عليكم بالعلم قبل أن يقبض وقبضه ذهاب أهله وقال عمر رضى الله عنه موت ألف عابد صائم النهار وقائم الليل أهون من موت عالم بصير بحلال الله وحرامه قال على رضى الله عنه اذا مات العالم ثلم فى الاسلام ثلمة لا يسدها الا خلف منه. وقال انما مثل الفقهاء كمثل الاكف اذا قطعت كف لم تعد وقال سليمان لا يزال الناس بخير ما بقى الاول حتى يعلم الآخر فاذا هلك الاول قبل أن يتعلم الآخر هلك الناس وقيل لسعيد بن جبير ما علامة هلاك الناس قال هلاك علمائهم وقال على بن موسى أعظم الرزايا موت العلماء

(الباب الرابع)

ينبغى للعالم أن لا يقصد بعلمه توصلا الى غرض من أغراض الدنيا قال الله تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها الآية وقال تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد الآية وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم علما يبتغى به وجه الله تعالى لا يتعلمه الا ليصيب به غرضا من أغراض الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة رواه أبو داود بأسانيد صحيحة وعن كعب بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من طلب العلم ليمارى به السفهاء أو يكاثر به العلماء أو ليصرف وجوه الناس اليه أدخله الله النار رواه الترمذى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء بالعالم السوء يوم القيامة فيقذف فى جهنم فيدور بقصبه كما يدور الحمار بالرحى فيقال بم لقيت ذلك وانما اهتدينا بك فيقول كنت أخالفكم الى ما أنهاكم عنه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا وقال ان أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لا ينفعه الله بعلمه وقال مررت ليلة أسرى بى بأقوام تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من أنتم فقالوا كنا نأمر بالخير ولا نأتيه وننهى عن الشر ونأتيه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الذى يعلم الناس الخير وينسى نفسه كمثل السراج يضىء للناس ويحرق نفسه وقال على رضى الله عنه يا حملة القرآن اعملوا به فانما العالم من عمل بما علم ووافق علمه عمله وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم يخالف علمهم عملهم وتخالف سريرتهم علانيتهم يجلسون حلقا يباهى بعضهم بعضا حتى ان الرجل ليغضب على جليسه ان يجلس الى غيره ويدعه أولئك لا تصعد أعمالهم فى مجالسهم تلك الى الله وقال امامنا الشافعى رحمه الله تعالى وددت أن الخلق تعلموا هذا العلم يعنى علمه وكتبه على أن لا ينسب الى حرف منه (وحكى) أبو الفرج بن الجوزى فى كتابه روضة المشتاق الى الملك الخلاق عن بعض السادة أنه قال أشد الناس حسرة يوم القيامة ثلاثة رجل ملك عبدا فعلمه شرائع الاسلام فاطاع وأحسن وعصى السيد وأساء فاذا كان يوم القيامة أمر بالعبد الى الجنة وأمر بسيده الى النار فيقول عند ذلك واحسرتاه واغبناه أما هذا عبدى أما كنت مالكا لمهجته وماله وقادرا على جميع ماله فماله سعد ومالى شقيت فيناديه الملك الموكل به لانه تأدب وما تأدبت وأحسن وأسأت ورجل كسب مالا فعصى الله سبحانه فى جمعه ومنعه ولم يقدمه بين يديه حتى صار المال الى وارثه فاحسن فى انفاقه وأطاع الله سبحانه فى اخراجه وقدمه بين يديه فاذا كان يوم القيامة أمر للوارث الى الجنة وبصاحب المال الى النار فيقول واحسرتاه واغبناه أما هذا مالى فمالى ما حسنت به أحوالى فيناديه الملك الموكل به لانه أطاع الله تعالى فيه وما أطعت وأنفق لوجهه وما أنفقت فسعد وشقيت ورجل علم قوما ووعظهم فعملوا بقوله ولم يعمل فاذا كان يوم القيامة أمر بهم الى الجنة وأمر به الى النار فيقول واحسرتاه واغبناه أما هذا علمى فما لهم فازوا به وما فزت وسلموا به وما سلمت فيناديه الملك الموكل به لانهم عملوا بما قالت وما عملت فسعدوا وشقيت

(الباب الخامس فى تحذير العلماء من الدخول على الامراء)

قال الله تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار الآية قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما معناه لا تميلوا والركون هو المحبة والميل بالقلب وقال أبو العالية لا ترضوا بأعمالهم وقال السدى لا تداهنوهم

سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن فهو يدعو الخواص بالحكمة والعوام بالمواعظ والمعاندين بالجدال فهو ينجو بنفسه وبغيره وهذا هو كمال الانسان

(فصل فى بيان العلم المحمود والمذموم وبيان فرض العين وفرض الكفاية)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة فما يجب عليه بعد بلوغه واسلامه ان يعلم كلمتى الشهادة ويفهم معناهما وليس يجب عليه احكامهما بالبراهين بل يكفى أن يعتقد ذلك من غير ريب وشك ولو على سبيل التقليد وهكذا كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن يسلم من أجلاف العرب ثم بعد ذلك يشتغل بتعلم ما يتجدد عليه من أوامر الله تعالى كالصلاة بحسب تجدد الاوامر فيتعلم الصلاة عند وجوبها ويستعد لها قبل وجوبها وكذلك الصيام ويجب عليه تعلم الزكاة ان كان ملك ما يجب فيه الزكاة عند تمام الحول بعد الاسلام وانما يجب عليه ذلك بقدر الحاجة وينبه على وجوب الحج عليه ولا يلزمه المبادرة الى تعلمه كما لا يجب عليه المبادرة الى أدائه ويجب عليه أن يتعلم ما يجب عليه تركه من المعاصى على ممر الايام بحسب ما تمس اليه

وعن

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدا جفا ومن تبع الصيد غفل ومن أتى أبواب السلطان افتتن وما ازداد عبد من السلطان قربا الا ازداد من الله بعدا رواه أحمد باسنادين رواة أحدهما رواة الصحيح وعن جابر رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أرضى سلطانا بما يسخطه به خرج من دين الله رواه الحاكم وروى الترمذى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال سيكون من بعدى أمراء فمن دخل عليهم فصدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس منى ولست منه وليس بوارد على الحوض ومن لم يدخل عليهم ولم يعنهم على ظلمهم ولم يصدقهم بكذبهم فهو منى وأنا منه وهو وارد على الحوض وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم العلماء أمناء الرسل على عباد الله ما لم يخالطوا السلطان فاذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شرار العلماء الذين يأتون الامراء وخيار الامراء الذين يأتون العلماء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال هذه الامة تحت يد الله وكنفه ما لم يمار قراؤها أمراءها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليغضب اذا مدح الفاسق وقال سفيان فى جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزوارون للملوك وقال حذيفة اياكم ومواقف الفتن قيل وما هى قال أبواب الامراء يدخل أحدهم على الامير فيصدقه بالكذب ويقول ما ليس فيه وقيل للاعمش لقد كثر من يأخذ عنك فقال لا تعجلوا ثلث يموتون قبل الادراك وثلث يلزمون السلطان فهم شر الخلق والثلث الباقى لا يفلح منهم الا القليل وكذلك قال سعيد بن المسيب اذا رأيتم العالم يغشى الامراء فاحترزوا منه فانه لص وقال الاوزاعى ما من شئ أبغض الى الله تعالى من عالم يزور عاملا وقال مكحول الدمشقى من تعلم القرآن وتفقه فى الدين ثم صحب السلطان تملقا اليه وطمعا فيما لديه خاض فى نار جهنم بعدد خطاه وقال سمنون ما أسمج بالعالم أن يؤتى مجلسه فلا يوجد فيقال هو عند الامير وقال أبو ذر لسلمة يا سلمة لا تغش أبواب السلطان فانك لن تصيب من دنياهم شيأ الا أصابوا من دينك أفضل منه وقال من كثر سواد قوم فهو منهم وقال ابن مسعود رضى الله عنه ان الرجل ليدخل على السلطان ومعه دينه فيخرج ولا دين له قيل له لم قال لانه يرضيه بسخط الله تعالى وقال الفضيل ما ازداد رجل من ذى سلطان قربا الا ازداد من الله تعالى بعدا وكان ابن المسيب يتجر فى الزيت ويقول ان فى هذا الغنى عن هؤلاء السلاطين وقال ابن سيرين لا تحمل للسلطان كتابا حتى تعلم ما فيه وامتنع سفيان من مناولة الخليفة دواة بين يديه وقال حتى أعلم ما تكتبه فيه وروى عن عثمان بن أبى زائدة انه سأله واحد من الاجناد فقال أين الطريق فسكت وأظهر أن به صمما وخاف أن يكون متوجها الى ظالم فيكون هو بارشاده الى الطريق معينا وقال رجل لابن المبارك أنا أخيط ثياب السلاطين فهل تخاف على أن أكون من أعوان الظلمة قال لا انما أعوان الظلمة من يبيع منك الخيط والابرة أما أنت فمن الظلمة وروى عن سفيان الثورى رحمه الله تعالى أنه قال نعمتان ان رزقك الله تعالى اياهما فاحمده عليهما واشكره اجتنابك باب السلطان واجتنابك باب الطبيب وقال معاوية بن أبى سفيان العافية أربعة أشياء بيت يأويه وعيش يكفيه وزوجة ترضيه ونحن لا نعرفه فنؤذيه يعنى لا يعرفه السلطان

(الباب السادس ينبغى للمعلم أن يرفق بالمتعلم ويبذل له النصيحة)

قال الله تعالى واخفض جناحك للمؤمنين وعن أبى هرون العبدى قال كنا نأتى أبا سعيد الخدرى فيقول مرحبا بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الناس لكم تبع وان رجالا يأتونكم من أقطار الارض يتفقهون فى الدين فاذا أتوكم فاستوصوا بهم خيرا رواه الترمذى وابن ماجه وغيرهما وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار وفى الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أكرم الناس على جليسى الذى يتخطى الناس حتى يجلس الى لو استطعت أن لا يقع الذباب على وجهه لفعلت وفى رواية ان الذباب ليقع عليه فيؤذينى وجاء عن النبى صلى الله عليه

الحاجة فان خطر بباله شك فى معتقداته وجب عليه الخوض فى التعليم والنظر بقدر ما يزيل الشك وتعلم العلم الذى به النجاة عن المهلكات والفوز بالدرجات وتحصيله أيضا فرض عليه وما وراء ذلك من العلوم فرض كفاية لا فرض عين (اعلم) أن درجات العلوم بقدر قربها من علم الآخرة وبعدها فكما أن علوم الشرعيات تفضل على غيرها من العلوم فالعلم الذى يتعلق بحقائق الشرعيات يفضل على ما يتعلق بظواهر الاحكام فالفقيه يحكم على الظاهر بالصحة والفساد ووراءه علم يعرف به كون العبادة مقبولة أو مردودة وذلك من علوم الصوفية على ما سيأتى والعلماء المشهورون الذين اتخذ الناس مذاهبهم واقتدوا بهم كانوا قد جمعوا بين علم الفقه وبين علوم الحقائق وبين العمل بها وانما يعرف ذلك بالكشف عن أحوالهم ونقل أقوالهم وهم خمسة الشافعى ومالك وأبو حنيفة وأحمد ابن حنبل وسفيان الثورى رحمة الله عليهم وكل واحد منهم كان عابدا وزاهدا وعالما فى علوم الآخرة كما كان عالما بعلوم الفقه الظاهر الذى يتعلق بمصالح الخلق وكانوا يريدون بجميع

وسلم ليتواضعوا لمن تعلمون وأن تتعلمون منه وعن أيوب السختياني ينبغي للعالم أن يضع التراب على رأسه تواضعا لله عز وجل

(الباب السابع في آداب المتعلم)

من آدابه أن يطهر قلبه من الادناس ليصلح لقبول العلم فقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ألا ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب وقال بعضهم يطيب القلب للعلم كما تطيب الارض للزراعة ومنها أن يتواضع لمعلمه وان كان أصغر منه قالوا العلم حرب للمتعالي كالسيل حرب للمكان العالي قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ذللت طالبا فعززت مطلوبا وقال علي رضي الله عنه من حق المعلم عليك أن تسلم على الناس عامة وتخصه من دونهم بالتحية وأن تجلس أمامه ولا تشيرن عنده بيدك ولا تغتابن عنده أحدا ولا تغمزن بعينيك ولا تقولن قال فلان خلافا لقوله ولا تسارر في مجلسه ولا تأخذ بثوبه ولا تلح عليه اذا كسل ولا تعرض أي تشبع من طول صحبته وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه تفقهوا قبل أن تسودوا وقال الشافعي رحمه الله تفقه قبل أن ترأس فاذا رأست فلا سبيل الى التفقه وقال عمر بن الخطاب وابنه رضي الله عنهما من رق وجهه رق علمه قال النووي رحمه الله معناه من استحى في طلب العلم كان علمه رقيقا أي قليلا قال مجاهد رحمه الله لا يتعلم العلم مستحي ولا مستكبر وقالت عائشة رضي الله عنها نعم النساء نساء الانصار لم يكن يمنعهن الحياء عن ان يتفقهن في الدين قال النووي رحمه الله ولا تتعلم الا ممن كملت أهليته وظهرت ديانته وتحققت معرفته واشتهرت صيانته فقد قال محمد بن سيرين ومالك بن أنس وغيرهما من السلف هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم

(الباب الثامن في التحذير من المسارعة الى الفتيا)

وجميع هذا الباب منقول من شرح المهذب للشيخ محيي الدين النووي رحمه الله (عن عبد الرحمن بن أبي ليلى) قال أدركت عشرين ومائة من الانصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسئل أحدهم عن المسئلة فيردها هذا الى هذا وهذا الى هذا حتى ترجع الى الاول وفي رواية ما منهم من يحدث بحديث الا ود أن أخاه كفاه اياه ولا يستفتى عن شئ الا ود أن أخاه كفاه الفتيا وعن ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم من أفتى في كل ما يسئل فهو مجنون وعن الشعبي والحسن وأبي حصين التابعين قالوا ان أحدكم يفتي في المسئلة ولو وردت على عمر بن الخطاب لجمع لها أهل بدر وعن عطاء بن السائب التابعي قال أدركت أقواما يسئل أحدهم عن الشئ فيتكلم وهو يرعد وعن ابن عباس ومحمد بن عجلان ٢ اذا أغفل العالم لا أدري أصيبت مقاتله وعن سفيان بن عيينة وسحنون أجسر الناس على الفتيا أقلهم علما وعن الشافعي رحمه الله وقد سئل عن مسئلة فلم يجب فقيل له فقال حتى أدري أن الفضل في السكوت أو في الجواب وعن الاثرم قال سمعت أحمد ابن حنبل يكثر أن يقول لا أدري وذلك فيما عرف الاقاويل فيه وعن الهيثم بن جميل شهدت مالكا سئل عن ثمان وأربعين مسئلة فقال في ست وثلاثين منها لا أدري وعن مالك أيضا أنه ربما كان يسئل عن خمسين مسئلة فلا يجيب في واحدة منها وكان يقول من أجاب في مسئلة فينبغي قبل الجواب أن يعرض نفسه على الجنة والنار وكيف خلاصه ثم يجيب وسئل عن مسئلة فقال لا أدري فقيل هي مسئلة خفيفة سهلة فغضب وقال ليس في العلم شئ خفيف وقال الشافعي رحمه الله ما رأيت أحدا جمع الله تعالى فيه من آلة الفتيا ما جمع في ابن عيينة أسكت منه على الفتيا وقال أبو حنيفة رحمه الله لولا الفرق من الله تعالى أن يضيع العلم ما أفتيت يكون لهم المهنا وعلي الوزر وعن مالك رحمه الله قال ما أفتيت حتى شهد لي سبعون اني أهل لذلك وفي رواية ما أفتيت حتى سألت من هو أعلم مني هل يراني موضعا لذلك قال مالك ولا ينبغي لرجل أن يرى نفسه أهلا لشئ حتى يسأل من هو أعلم منه

(كتاب الايمان)

قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من

قبل

قبل الآية وفي صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس الى النبي صلى الله عليه وسلم فاسند ركبتيه الى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال يا محمد أخبرني عن الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام أن تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا قال صدقت فعجبنا له يسأله ويصدقه قال فاخبرني عن الايمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره قال صدقت قال فاخبرني عن الاحسان قال ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك قال فاخبرني عن الساعة قال ما المسؤل عنها باعلم من السائل قال فاخبرني عن أماراتها قال أن تلد الامة ربتها وان ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان ثم انطلق فلبثت مليا ثم قال لي يا عمر أتدري من السائل قلت الله ورسوله أعلم قال فانه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحق الاسلام وحسابهم على الله تعالى وعن سفيان بن عبد الله رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله قل لي في الاسلام قولا لا أسأل عنه أحدا غيرك قال قل آمنت بالله ثم استقم رواه مسلم وروى الترمذي عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن عبد حتى يؤمن باربع يشهد أن لا اله الا الله واني رسول الله بعثني بالحق ويؤمن بالموت ويؤمن بالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون شعبة فافضلها قول لا اله الا الله وأدناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان وقال من شهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وان عيسى عبد الله ورسوله وابن أمته وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة من أصل الايمان الكف عن قال لا اله الا الله لا نكفره بذنب ولا نخرجه عن الاسلام بعمل والجهاد ماض مذ بعثني الله الى أن يقاتل آخر أمتي الدجال لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل والايمان بالاقدار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أحد يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله صدقا من قلبه الا حرمه الله على النار يعني حرم عليه الخلود فيها قال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله لا يخلد في النار أحد مات على التوحيد ولو عمل من المعاصي ما عمل كما أنه لا يدخل الجنة أحد مات على الشرك ولو عمل من أعمال البر ما عمل

(باب الايمان بالقدر)

قال الله تعالى انا كل شئ خلقناه بقدر وقال تعالى والله خلقكم وما تعملون وقال تعالى ومن يضلل الله فلا هادي له وقال تعالى وما تشاؤن الا ان يشاء الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة قال وعرشه على الماء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شئ بقدر حتى العجز والكيس وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعمل عمل أهل النار وانه من أهل الجنة ويعمل عمل أهل الجنة وانه من أهل النار وانما الاعمال بالخواتيم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فقال وما أكتب فقال القدر ما كان وما هو كائن الى الأبد وعن أبي خزامة عن أبيه قال قلت يا رسول الله أرأيت رقى نسترقيها ودواء نتداوى به وتقاة نتقيها هل ترد من قدر الله شيئا قال هي من قدر الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الارض فجاء بنو آدم على قدر الارض منهم الابيض والاحمر والاسود والاصفر وبين ذلك والسهل والحزن والخبيث والطيب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة لعنتهم لعنهم الله وكل نبي مجاب الزائد في كتاب الله والمكذب بقدر الله والمتسلط بالجبروت ليعز من أذل الله ويذل من أعز الله والمستحل لحرم الله والمستحل من عترتي

علومهم وجه الله تعالى فهذه خمس خصال اتبعهم فقهاء العصر من جملتها في خصلة واحدة وهي التشمر والمبالغة في تفاريع الفقه لان الخصال الاربع لا تصلح الا للآخرة وهذه الخصلة الواحدة تصلح للدنيا والآخرة ونحن نورد من أحوالهم ما يدل على هذه الخصال الاربع اما الشافعي رحمه الله فيدل على كونه عابدا انه كان يقسم الليل ثلاثة أجزاء ثلث للعلم وثلث للصلاة وثلث للنوم وقال الربيع كان الشافعي رحمه الله تعالى يختم القرآن في رمضان ستين مرة كل ذلك في الصلاة وكان البويطي أحد أصحابه يختم القرآن في كل ليلة مرة وقال الحسين الكرابيسي رحمه الله تعالى بت مع الشافعي غير مرة فكان يصلي نحوا من ثلث الليل فما رأيته يزيد على خمسين آية فاذا أكثر فمائة لا يمر على آية رحمة الا سأل الله تعالى لنفسه ولجميع المؤمنين ولا بآية عذاب الا تعوذ منها وسأل الله تعالى النجاة لنفسه ولجميع المؤمنين واقتصاره على خمسين آية يدل على تبحره في أسرار القرآن وقال الشافعي ما شبعت منذ ست عشرة سنة لانه يثقل البدن ويقسي القلب ويزيد الفطنة ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن العبادة وقال ما حلفت بالله تعالى لا صادقا ولا كاذبا قال وسئل عن مسئلة فسكت فقيل الا تجيب فقال حتى أعلم ان الفضل في سكوتي أو في الجواب وقال أحمد ابن يحيي خرج الشافعي يوما من سوق القناديل فتبعناه فاذا رجل يسفه على رجل من أهل العلم فالتفت الشافعي الينا فقال نزهوا أسماعكم عن استماع الخنا كما تنزهون ألسنتكم عن النطق به فان المستمع شريك القائل وان السفيه لينظر الى أخبث شئ في وعائه فيحرص أن يفرغه في أوعيتكم ولو ردت كلمة السفيه لسعد رادها كما يشقى بها قائلها وقال الشافعي كتب حكيم الى حكيم يقول قد أوتيت علما فلا تدنس علمك بظلمة الذنوب فتبقى في الظلمة يوم يسعى أهل العلم بنور علمهم وأما زهده فقد قال رحمه الله من قال انه جمع بين حب الدنيا وحب خالقها فقد كذب وسقط سوطه من يده فرفعه اليه انسان فأعطاه جزاء عليه خمسين دينارا وسخاء الشافعي أشهر من الشمس ويدل على خوفه من الله تعالى واشتغال همه بالآخرة ما روى عنه أنه سمع سفيان بن عيينة يروي حديثا من الرقائق فغشي على الشافعي فقيل له قد مات فقال ان مات فقد مات أفضل أهل زمانه وقرأ بعضهم هذا يوم لا ينطقون الآية فرؤي الشافعي وقد تغير لونه واقشعر جلده

٢ قوله اذا أغفل الخ هكذا بالنسخ ولعل صوابه مقاتله تأمل اه مصححه

ما حرم الله والتارك لسنتي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله جل ثناؤه يقول أنا الله لا اله الا أنا خلقت الخير وقدرته فطوبى لمن خلقته للخير وخلقت الخير له وأجريت الخير على يديه أنا الله لا اله الا أنا خلقت الشر وقدرته فويل لمن خلقت الشر له وخلقته للشر وأجريت الشر على يديه وعن عبد الله بن مسعود قال قالت أم حبيبة رضي الله عنها اللهم متعني بزوجي رسول الله صلى الله عليه وسلم وبأبي أبي سفيان وبأخي معاوية فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم قد دعوت الله بآجال معلومة وأرزاق مقسومة وآثار مبلوغة لا يعجل شيء منها قبل حلها ولا يؤخر شيء منها بعد حلها فلو دعوت الله أن يعافيك أو سألت الله أن يعيذك أو يعافيك من عذاب في النار أو عذاب في القبر لكان خيرا أو لكان أفضل وروى البيهقي عن الربيع انه قال سئل الشافعي رحمه الله عن القدر فانشأ يقول

ما شئت كان وان لم أشأ * وما شئت ان لم تشأ لم يكن
خلقت العباد على ما علمت * ففي العلم يجري الفتى والمسن
على ذا مننت وهذا خذلت * وهذا أعنت وذا لم تعن
فمنهم شقي ومنهم سعيد * ومنهم قبيح ومنهم حسن

(باب الاعتصام بالكتاب والسنة)

قال الله تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا قال ابن عباس معناه تمسكوا بدين الله وقال قتادة والسدي حبل الله القرآن روي عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان هذا القرآن هو حبل الله المتين وهو النور المبين والشفاء النافع وعصمة من تمسك به ونجاة من تبعه وقال تعالى لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة قال الشافعي رحمه الله سمعت بعض من أرضى من أهل العلم بالقرآن يقول الحكمة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال تعالى فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول قال الشافعي رحمه الله يعني ان اختلفتم في شيء فردوه الى الله والرسول يعني والله أعلم الى ما قال الله والرسول وقال البيهقي وروينا عن ميمون بن مهران انه قال في هذه الآية الرد الى الله الرد الى كتابه والرد الى الرسول اذا قبض الى سنته وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد رواه البخاري ومسلم وفي رواية لمسلم من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا قال أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان تأمر عليكم عبد وانه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح (قوله عضوا عليها بالنواجذ) أي اجتهدوا على السنة والزموها واحرصوا عليها كما يلزم العاض على الشيء بنواجذه خوفا من ذهابه وتفلته والنواجذ بالنون والجيم والذال المعجمة هي الانياب وقيل الاضراس وعن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أما بعد فان خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد وشر الامور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحيا سنة من سنتي قد أميتت بعدي فان له من الاجر مثل من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيأ ومن ابتدع بدعة ضلالة لا يرضاها الله ورسوله كان عليه من الاثم مثل آثام من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزارهم شيأ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال أمة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجتمع هذه الامة أو قال أمة محمد صلى الله عليه وسلم على ضلالة ويد الله على الجماعة ومن شذ شذ في النار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تمسك بسنتي عند فساد أمتي فله أجر مائة شهيد وقال رسول

الله

واضطرب اضطرابا شديدا وخر مغشيا عليه فلما أفاق جعل يقول أعوذ بك من مقام الكذابين واعراض الغافلين اللهم لك خضعت قلوب العارفين وذلت لهيبتك المشتاقون اللهم هب لي جودك واطلني بسترك وأعف عن تقصيري بكرم وجهك وأما كونه عالما باسرار القلوب فيدل عليه أنه سئل عن الرياء فقال على البديهة الرياء فتنة عقدها الهوى بحبال أبصار قلوب العلماء فنظروا اليها بسوء اختيار النفوس فاحبطت أعمالهم وقال اذا أنت خفت على نفسك العجب فانظر رضا من تطلب وفي أي نعيم ترغب وفي أي عقاب ترهب وأي عافية تشكر وفي أي بلاء تذكر ويدل على أنه أراد بالفقه والمناظرة وجه الله تعالى أنه قال وددت أن الناس ينتفعون بهذا العلم وما نسب الي منه شيء وهذا قاطع في انه لم يرد به صيتا في الناس ومتاع الغرور وقال ما ناظرت احدا قط فأحببت انه يخطئ وما كلمت أحدا قط الا أحببت أن يوفق ويسدد ويعان ويكون عليه رعاية من الله تعالى وحفظ وما كلمت أحدا قط الا وأنا أريد ان يبين الله تعالى الحق على لسانه أو على لساني وقال أحمد بن حنبل ما صليت صلاة منذ أربعين سنة الا وأنا أدعو للشافعي * وأما الامام مالك رحمه الله تعالى فانه كان متحليا بهذه الخصال الخمس ويدل عليه أنه سئل ما تقول يا مالك في طلب العلم فقال حسن جميل ولكن انظر الذي يلزمك من حين تصبح الى حين تمسي فالزمه وقال الشافعي رحمه الله رأيت انه سئل عن أربعين

الله صلى الله عليه وسلم من أكل طيبا وعمل في سنة وأمن الناس بوائقه دخل الجنة فقال رجل يا رسول الله ان هذا اليوم في الناس لكثير قال وسيكون في قرون بعدي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أمة ابتدعت بعد نبيها في دينها بدعة الا أضاعت مثلها من السنة وقال ان الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدع بدعته وقال من رغب عن سنتي فليس مني وقال ان الدين بدأ غريبا وسيعود كما بدأ فطوبى للغرباء وهم الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدي من سنتي رواه الترمذي وقال اذا فسد اهل الشام فلا خير فيكم ولا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة قال ابن المديني وهم أصحاب الحديث رواه الترمذي وقال ما أحدث قوم بدعة الا رفع الله مثلها من السنة رواه أحمد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل القرآن على خمسة أوجه حلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال فأحلوا الحلال وحرموا الحرام واعملوا بالمحكم وآمنوا بالمتشابه واعتبروا بالامثال وعن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة وقال الحسن رحمه الله لا يقبل الله لصاحب بدعة صوما ولا صلاة ولا حجا ولا عمرة حتى يدعها وقال محمد بن مسلم من وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الاسلام وقال ابن عمر رضي الله عنهما كل بدعة ضلالة وان رآها الناس حسنة وقال الفضيل بن عياض رحمه الله اتبع طرق الهدى ولا يضرك قلة السالكين واياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة السالكين وقال أبو يزيد البسطامي رحمه الله لو نظرتم الى رجل أعطي من الكرامات حتى تربع في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الامر والنهي وحفظ الحدود وأداء الشريعة وقال الجنيد رحمه الله الطرق كلها مسدودة الا على من اقتفى أثر الرسول وقال من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لا يقتدى به في هذا الامر لان علمنا مقيد بالكتاب والسنة وقال النووي رحمه الله من رأيته يدعي مع الله حالة تخرجه عن حد العلم الشرعي فلا تقربن منه وقال أبو سعيد الخراز رحمه الله كل باطن يخالفه ظاهر فهو باطل وقال الجنيد رحمه الله تعالى علمنا هذا مشتبك بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم من أمر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ومن أمر الهوى على نفسه قولا وفعلا نطق بالبدعة

(فصل) فيما جاء في النهي عن البدع غير ما تقدم من الاحاديث قال الله تعالى وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل قال مجاهد يعني البدع والشبهات فتفرق بكم عن سبيله عن طريقه ودينه الذي ارتضاه وقال تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال أي فلا واسطة بينهما فمن أخطأ الحق وقع في الضلال وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من نبي بعثه الله عز وجل في أمة قبلي الا كان من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم انها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك حبة من خردل وعن أبي واقد رضي الله عنه قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل حنين فمررنا بسدرة فقلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما للكفار ذات أنواط وكان الكفار ينوطون سلاحهم بسدرة يعكفون حولها فقال النبي صلى الله عليه وسلم الله أكبر هذا كما قالت بنو اسرائيل لموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة انكم تركبون سنن من قبلكم قال الامام أبو بكر الطرطوشي رحمه الله أنظروا رحمكم الله أينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس ويعظمونها ويرجون البرء والشفاء من قبلها ويضربون بها المسامير والخرق فهي ذات أنواط فاقطعوها وروى ابن وضاح عن عمر رضي الله عنه انه أمر بقطع الشجرة التي بويع تحتها النبي صلى الله عليه وسلم فقطعها لان الناس كانوا يذهبون فيصلون تحتها فخاف عليهم الفتنة

(فصل) في أقسام البدعة البدعة فعل ما لم يعهد في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي خمسة أقسام واجبة ومندوبة ومحرمة ومكروهة ومباحة فمن الواجبة نصب أدلة المتكلمين للرد على الملاحدة والمبتدعين وتعلم النحو الذي يفهم منه كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم لان حفظ الشريعة واجب

مسئلة فقال في اثنين وثلاثين منها لا أدري وزهده وورعه أشهر من أن يذكر * وأما أبو حنيفة رضي الله عنه فكذلك روي أنه كان يحيي نصف الليل فاشار اليه انسان بان هذا الذي يحيي كل الليل فلم يزل بعد ذلك يحيي الليل كله وقال أنا أستحي أن أوصف بما ليس في وكذلك أحمد بن حنبل وسفيان زهدهما وورعهما أظهر من أن يذكر وسيأتي في أثناء الكتاب من الحكايات ما يدل على ذلك فانظر الآن الى الذين يدعون الاقتداء بهؤلاء صدقوا في دعواهم أم لا

(فصل) في بيان ان جميع العلوم ليست محمودة ونعني بذلك السحر والطلسم والنجوم والفلسفة وما شابهها أما السحر والطلسم فانهما مؤديان الى أنواع من الضرر وأما النجوم فلانه منهي عنها اذ قال عليه السلام اذا ذكر النجوم فامسكوا وانما أمرنا بالامساك لان الانسان مشغوف بالاحالة على الاسباب يعني الوسائط المحسوسة والمتخيلة ولعله يغفل بسببه عن مسبب الاسباب وأما الفلسفة فلادائها الى أمور على خلاف الشرع ولا ينكر أن الحسابيات لا يمكن مخالفتها وانكارها ولكن هي مدخل الى ما وراءها فليقتصر منها على قدر الحاجة ومن الطبيعيات على الطب للحاجة ومن النجوم على معرفة المنازل ودلائل القبلة

(فصل) في آداب المعلم والمتعلم أما المتعلم فآدابه ووظائفه كثيرة ولكن ننظمها في سبع

ولا يتأتى حفظها الا بمعرفة ذلك ومالا يتم الواجب الا به فهو واجب ومن المندوب تصنيف كتب العلم وبناء المدارس والربط وصلاة التراويح وكل احسان لم يعهد في الصدر الاول ومن المباحة التبسط في ألوان الاطعمة ولبس الطيالسة وتوسيع الاكمام ومن المكروهة زخرفة المساجد وتزويق المصاحف قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام وأما تلحين القرآن بحيث يتغير عن الوضع العربي فالاصح أنه من البدع المحرمة ومن المحرمة مذهب القدرية والحروزية والمرجئة والمجسمة قال الشيخ عز الدين رحمه الله والرد على هؤلاء من البدع الواجبة قال الشافعي رحمه الله البدع بدعتان بدعة محمودة وبدعة مذمومة

(كتاب فضل النبي صلى الله عليه وسلم)

وما خصه الله به من الكرامات وبيان وجوب محبته وتعظيمه وذكر معجزاته وأخلاقه وفضل الصلاة عليه وفيه ستة أبواب *(الباب الاول في فضله وبيان ما خصه الله من الكرامات)* قال الله تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم قوله تعالى من أنفسكم أي تعرفون حسبه ونسبه قال السدي من العرب من بني اسمعيل قال ابن عباس رضي الله عنه ليس من العرب قبيلة الا وقد ولد النبي صلى الله عليه وسلم وله فيهم نسب قال جعفر بن محمد الصادق لم يصبه شئ من ولاد الجاهلية من زمان آدم عليه السلام وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خرجت من نكاح لم أخرج من سفاح وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى وتقلبك في الساجدين قال من نبي الى نبي حتى أخرجتك نبيا وقرأ ابن عباس والزهري وابن محيصين من أنفسكم بفتح الفاء أي من أشرفكم وأفضلكم وقوله تعالى عزيز عليه ما عنتم أي ما أضربكم في دنياكم وآخرتكم حريص عليكم أي على هدايتكم بالمؤمنين رؤف رحيم أعطاه الله اسمين من أسمائه لفضله عنده ومن فضائله أن الله قرن اسمه مع اسمه ورفع ذكره في التأذين مع ذكره قال الله عز وجل ورفعنا لك ذكرك ووضع به الاغلال والآصار التي كانت على العباد فقال ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم وخاطب الانبياء بأسمائهم وخاطبه بالنبوة والرسالة فقال يا أيها الرسول يا أيها النبي وقال تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون أقسم تعالى بمدة حياته وأصله بضم العين من العمر ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال ومعناه وبقائك يا محمد قال ابن عباس رضي الله عنهما ما خلق الله تعالى ولا ذرأ ولا برأ نفسا أكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وما سمعت الله اقسم بحياة أحد غيره وقال الله وما أرسلناك الا رحمة للعالمين أي لجميع الخلق للمؤمنين بالهداية وللمنافقين بالامان من القتل وللكافرين بتأخير العذاب ولانهم عرفوا انما أصاب غيرهم من الامم المكذبة *وحكى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام هل أصابك من هذه الرحمة شئ قال نعم كنت أخشى العاقبة فأمنت لثناء الله عز وجل علي بقوله ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين وروى الترمذي عن أبي موسى رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزل الله تعالى على أمانين لامتي وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فاذا مضيت تركت فيكم الاستغفار وقال ثابت البناني رحمه الله كان شاب على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس ويتزين فلما مات النبي صلى الله عليه وسلم اجتهد الشاب وشمر في العبادة فقيل له لو فعلت هذا في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقرت عيناه بك فقال كان لي أمانان فمضى أحدهما فلم يبق الا الآخر قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يبق الا الاستغفار والاجتهاد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أمان لاصحابي قيل من البدع وقيل من الاختلاف والفتن وقال بعضهم الرسول صلى الله عليه وسلم هو الامان الاعظم ما عاش ومادامت سنته باقية فهو باق فاذا أميتت سنته فانتظروا البلاء والفتن وقال الله تعالى وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم قدم صدق هو محمد صلى الله عليه وسلم يشفع لهم عند ربهم وقيل هي شفاعة نبيهم وهو شفيع صدق عند ربهم وقال تعالى واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه الآية

بجل (الوظيفة الاولى) تقديم طهارة النفس عن رذائل الاخلاق لقوله عليه السلام بنى الدين على النظافة وليست النظافة مرادة في الثياب بل في القلب ويدل عليه قوله تعالى انما المشركون نجس بين أن النجاسة لا تختص بالثياب فالم ينظف الباطن عن الخبائث لا يقبل العلم النافع في الدين ولا يستضئ بنور العلم قال ابن مسعود ليس العلم بكثرة الرواية انما العلم نور يقذف في القلب وقال بعض المحققين تعلمنا العلم لغير الله فأبى العلم أن يكون الا لله أي العلم أبى وامتنع علينا فلم تنكشف لنا حقيقته وانما حصل لنا حديثه وألفاظه (الوظيفة الثانية) ان يقلل علائقه ويبعد عن وطنه حتى يتفرغ قلبه للعلم فما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ولذلك قيل العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك (الوظيفة الثالثة) أن لا يتكبر على العلم ولا يتأمر على المعلم بل يلقي اليه زمام الاختيار كالمريض المدنف يلقي زمام الاختيار الى الطبيب من غير أن يتحكم عليه بشئ في استدعاء نوع من الانواع دون نوع وينبغي أن يواظب على خدمة المعلم كما روي أن زيد بن ثابت صلى على جنازة فقربت له بغلة ليركبها فجاء ابن عباس فأخذ بركابه فقال زيد خل عنك يا ابن عم رسول الله فقال ابن عباس كذا أمرنا ان نفعل بالعلماء والكبراء فقبل زيد يده وقال هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا صلى الله عليه وسلم

قال علي رضي الله عنه لم يبعث الله نبيا من آدم فمن بعده الا أخذ عليه العهد في محمد صلى الله عليه وسلم لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ويأخذ بذلك العهد على قومه وقيل ان حروف كهيعص من كفاية الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وهدايته وتأييده وعصمته وصلاته قال الله تعالى أليس الله بكاف عبده ويهديك صراطا مستقيما وأيدك بنصره وبالمؤمنين والله يعصمك من الناس ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وقال الله تعالى الله نور السموات والارض قال ابن عباس هادي أهل السموات والارض فهم بنوره الى الحق يهتدون وبهداه من حيرة الضلال ينجون مثل نوره أي نور الله عز وجل في قلب المؤمن وقال سعيد بن جبير والضحاك هو محمد صلى الله عليه وسلم روي أن ابن عباس قال لكعب الاحبار أخبرني عن قوله تعالى مثل نوره كمشكاة قال كعب هذا مثل ضربه الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فالمشكاة صدره والزجاجة قلبه والمصباح فيه النبوة توقد من شجرة مباركة هي شجرة النبوة يكاد نور محمد صلى الله عليه وسلم وأمره يتبين للناس ولو لم يتكلم أنه نبي كما يكاد ذلك الزيت يضئ ولو لم تمسسه نار وروى سالم عن ابن عمر رضي الله عنهما في هذه الآية قال المشكاة جوف محمد صلى الله عليه وسلم والزجاجة قلبه والمصباح النور الذي جعله الله فيه لا شرقية ولا غربية لا يهودي ولا نصراني توقد من شجرة مباركة ابراهيم نور على نور نور قلب ابراهيم ونور قلب محمد عليهما الصلاة والسلام وقال محمد بن كعب القرظي رحمه الله المشكاة ابراهيم والزجاجة اسمعيل والمصباح محمد صلى الله عليه وسلم سماه الله مصباحا كما سماه سراجا فقال وسراجا منيرا توقد من شجرة مباركة وهي ابراهيم عليه السلام وسماه مباركا لان أكثر الانبياء من صلبه لا شرقية ولا غربية يعني ابراهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما لان اليهود تصلي قبل المغرب والنصارى قبل المشرق يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار تكاد محاسن محمد صلى الله عليه وسلم تظهر للناس قبل أن يوحى اليه نور على نور نبي من نبي نور محمد على نور ابراهيم عليهما السلام وقال الله عز وجل يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا أي شاهدا للرسل بالتبليغ ومبشرا لمن آمن بالجنة ونذيرا لمن كذب بالنار وداعيا الى الله الى توحيده وطاعته باذنه بأمره وسراجا منيرا لانه يهتدى به كالسراج يستضاء به في الظلمة وقيل معناه شاهدا بوحدانيتنا ومبشرا برحمتنا ونذيرا بنقمتنا وداعيا الى عبادتنا وسراجا لحجة ظاهرة لحضرتنا وقيل شاهدا لنا فلا يرى الا ايانا ومبشرا للمحسنين برضانا ونذيرا للعصاة بعقابنا وداعيا الخلق الى بابنا وسراجا هاديا لهم الى أنوار الانس منيرا عليهم ظلمات النفس وقال الله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر قيل المتقدم ما كان قبل النبوة والمتأخر عصمتك بعدها وقيل المراد به ذنوب أمته صلى الله عليه وسلم قال النووي رحمه الله وعلى هذا يكون المراد الغفران لبعضهم أو سلامتهم من الخلود في النار وقيل المراد ما وقع منه صلى الله عليه وسلم عن سهو وتأويل وقيل ما تقدم لابيك آدم وتأخر من ذنوب أمتك وقيل المراد أنه مغفور لك غير مؤاخذ بذنب لو كان وقيل هو تنزيه له من الذنوب وقال بعضهم من خصائص نبينا صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى أخبره أنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ولم ينقل أنه أخبر أحدا من الانبياء عليهم السلام بمثل ذلك بل الظاهر أنه لم يخبرهم لان كل واحد منهم اذا طلب منه الشفاعة في الموقف ذكر خطيئته التي قد أصاب وقال نفسي نفسي ولو علم كل واحد منهم بغفران خطيئته لم يوجل منها في ذلك المقام فاذا استشفعت الخلائق بالنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام قال أنا لها قال المفسرون سألت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذي القرنين وأصحاب الكهف وعن الروح فقال سأخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله فاحتبس عنه الوحي قيل خمسة عشر يوما وقيل أربعون فقال المشركون ودعه ربه وقلاه فأنزل الله والضحى أقسم بالضحى وأراد النهار كله لانه قابله بالليل وقيل أراد وقت ارتفاع الشمس والليل اذا سجى قيل أقبل بظلامه ما ودعك ربك وما قلى أي ما تركك منذ اختارك ولا أبغضك منذ أحبك وللآخرة خير لك من الاولى قال عليه الصلاة والسلام انا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا ولسوف يعطيك ربك فترضى قيل الشفاعة في أمته حتى يرضى روي عن عبد الله بن

وقال صلى الله عليه وسلم ليس من أخلاق المؤمن التملق الا في طلب العلم وقيل العلم حرب للمتعالي كالسيل حرب للمكان العالي (الوظيفة الرابعة) أن يحترز عن الاصغاء الى الاختلافات من الناس فان ذلك يورث دهشة وحيرة فانه يميل في أول الامر قلبه الى كل ما يلقى اليه خصوصا الى طرق التعطيل التي توافق الكسل والبطالة ولهذا لا يجوز للمبتدئين الاقتداء بأفعال المنتهين حتى قال بعضهم من زارنا في البداية صار صديقا ومن زارنا في النهاية صار زنديقا فانهم في النهاية سكنت جوارحهم عن الحركات الا في الفرائض واستبدلوا بالنوافل سير القلوب ودوام الشهود على الدوام والغافل يظن به البطالة والكسل وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب (الوظيفة الخامسة) أن لا يدع فنا من فنون العلم المحمودة الا ويخوض فيه حتى يطلع على مقصوده فان ساعده العمر استوفاه والا اختار الاهم واختيار الاهم انما يمكن بعد الاطلاع على الكل (الوظيفة السادسة) أن يصرف العناية الى الاهم من العلوم وهو علم الآخرة أعني بذلك قسم المعاملة والمكاشفة والمعاملة تفضي الى المكاشفة والمكاشفة معرفة الله تعالى وذلك نور يقذفه الله تعالى في قلب زكي بالعبادة والمجاهدة وذلك الذي يفضي الى درجة ايمان أبي بكر رضي الله تعالى عنه الوارد فيه لو وزن ايمان أهل الارض بايمان

عمرو بن العاص رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال اللهم أمتى أمتى وبكى فقال الله يا جبريل اذهب
الى محمد فقل انا سنرضيك فى أمتك ولا نسوءك وقال ابو جعفر محمد بن على رضى الله عنه انكم معشر أهل العراق
تقولون أرجى آية فى القرآن قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وانا أهل البيت
نقول أرجى آية فى كتاب الله ولسوف يعطيك ربك فترضى ثم ذكر الله تعالى حاله قبل الوحى وذكر نعمته
عليه فقال تعالى ألم يجدك يتيما فآوى أى صغيرا فقيرا حين مات أبواك ولم يخلفا لك مالا ولا مأوى فجعل
لك مأوى تأوى اليه وضمك الى عمك أبى طالب حتى أحسن تربيتك ووجدك ضالا عما أنت عليه اليوم
فهداك لتوحيده ووجدك عائلا فأغنى أى فقيرا فأغناك بمال خديجة ثم بالغنائم وقيل فرضاك بما أعطاك
من الرزق وهو المختار اذ ذاك حقيقة الغنى قال عليه الصلاة والسلام ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى
غنى النفس ثم أوصاه باليتامى والفقراء فقال فأما اليتيم فلا تقهر قال مجاهد لا تحقر اليتيم فقد كنت يتيما
وأما السائل فلا تنهر قالوا يريد السائل على الباب يقول لا تزجره اذا سألك فقد كنت فقيرا فاما ان تطعمه واما
ان ترده ردا لينا قال ابراهيم بن أدهم رحمه الله نعم القوم السؤال يحملون زادنا الى الآخرة وقيل السائل طالب
العلم وأما بنعمة ربك فحدث قيل يعنى النبوة أى بلغ ما أرسلت به وحدث بالنبوة التى أتاك الله تعالى
وقيل القرآن أمره أن يقرأه وقيل فاشكر والتحدث بنعمة الله تعالى شكر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
التحدث بنعمة الله تعالى شكر وتركه كفر وقال الله تعالى ألم نشرح لك صدرك أى نفتح ونوسع ونلين
لك قلبك بالايمان والنبوة ووضعنا عنك وزرك قيل معناه حططنا عنك الذى سلف منك فى الجاهلية وقيل
الخطأ والسهو وقيل ذنوب أمتك فأضافها اليه لاشتغال قلبه بها الذى أنقض ظهرك أى أثقل ظهرك وأوهنه ورفعنا
لك ذكرك روى أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه سأل جبريل عليه السلام
عن هذه الآية قال قال الله عز وجل اذا ذكرت ذكرت معى وقال ابن عباس رضى الله عنهما يريد الاذان
والاقامة والتشهد والخطبة على المنابر ولو أن عبدا عبد الله تعالى وصدقه فى كل شئ ولم يشهد أن محمدا رسول
الله لم ينتفع بشئ وكان كافرا وقال قتادة رفع الله ذكره فى الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب
صلاة الا ينادى أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ويقال معناه جعلت تمام الايمان بذكرك معى
ويقال جعلتك ذكرا من ذكرى فمن ذكرك ذكرنى ومن أثبتك أثبتنى ومن أنكرك فما عرفنى ثم وعده
اليسر بعد العسر وذلك أنه كان بمكة فى شدة فقال فان مع العسر يسرا أى مع الشدة التى أنت فيها من جهاد
المشركين يسرا ورخاء بان نظهرك عليهم حتى ينقادوا للحق الذى جئتهم به ان مع العسر يسرا كرره لتأكيد
الوعد وتعظيم الرجاء فاذا فرغت فانصب فاتعب قيل معناه فاذا فرغت من الصلاة المكتوبة فانصب الى ربك
فى الدعاء وارغب اليه فى المسئلة يعطك وفى الصحيحين عن جابر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم
قال أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الانبياء قبلى نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لى الارض مسجدا
وطهورا فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل وأحلت لى الغنائم ولم تحل لاحد قبلى وأعطيت الشفاعة
وكان النبى يبعث الى قومه وبعثت الى الناس عامة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى كنانة
من ولد اسمعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدى لواء الحمد ولا فخر وما من نبى يومئذ
آدم فمن سواه الا تحت لوائى وأنا أول من تنشق عنه الارض ولا فخر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد
ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع * (سؤال) * ان قيل ما معنى قوله يوم
القيامة مع أنه سيدهم فى الدنيا والآخرة قيل سبب التقييد أنه فى يوم القيامة يظهر سودده لكل أحد ولا
يبقى منازع بخلاف الدنيا فقد نازعه ملوك الكفار وزعماء المشركين وهذا قريب من معنى قوله تعالى لمن
الملك اليوم لله الواحد القهار قال العلماء ولم يقل هذا فخرا بل صرح بنفى الفخر فى حديث آخر وانما قاله
لوجهين أحدهما امتثال قوله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث الثانى أنه من البيان الذى يجب عليه تبليغه

أبى بكر رضى الله عنه لرج
وذلك السر وقر فى صدره لا الترتيب البراهين والحجج والعجب ممن يسمع هذه الاقوال من رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم
يزدرى بسمعه ما يسمعه من
كلام الصوفية على وفقه
ويزعم انه من ترهات
الصوفية فاتئد فى هذا
فعنده ضيعت رأس المال
فكن حريصا على معرفة
ذلك السر الخارج عن
بضاعة الفقهاء والمتكلمين
فلا يرشدك اليه الا حرصك
فى الطلب فاعلم أن أشرف
العلوم وغايتها معرفة الله
تعالى وهذا بحر لا يدرك
منتهى غوصه وأقصى
درجات البشر فيه مرتبة
الانبياء والاولياء ثم الذين
يلونهم وقد روى أن
حكيمين من الحكماء
المتعبدين رؤى فى يد
أحدهما رقعة وفيها ان
أحسنت كل شئ فلا تظن
انك أحسنت شيئا حتى
تعرف الله تعالى وتعلم انه
مسبب الاسباب وموجد
الاشياء وفى يد الآخر رقعة
فيها كنت قبل أن أعرف
الله أشرب وأظمأ حتى اذا
عرفته رويت بلا شرب
(الوظيفة السابعة) أن
يكون قصد المتعلم فى الحال
تحلية باطنه بما يوصله الى
الله تعالى والى جوار الملأ
الاعلى من المقربين ولا يقصد
به الرياسة والمال والجاه *
بيان وظائف المرشد المعلم
وأحسن أحواله ما قيل
من علم وعمل فذلك الذى
يدعى عظيما فى ملكوت
السماء ولا ينبغى أن يكون كالابرة تكسو غيرها وهى عارية أو ذبالة المصباح تضئ على غيرها وهى تحترق كما قيل

الى

الى أمته ليعرفوه ويعتقدوه ويعملوا بمقتضاه وأما الحديث الآخر لا تفضلوا بين الانبياء فجوابه من خمسة
أوجه أحدها انه قاله قبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم فلما علم أخبر به الثانى قاله أدبا وتواضعا الثالث أن
النهى انما هو عن تفضيل يؤدى الى نقص المفضول الرابع انما نهى عن تفضيل يؤدى الى الخصومة
والفتنة كما هو مشهور فى سبب الحديث الخامس أن النهى يختص بالتفضيل فى نفس النبوة ولا تفاضل
فيها وانما التفاضل بالخصائص وفضائل أخرى فلا بد من اعتقاد التفضيل فقد قال الله تعالى تلك الرسل
فضلنا بعضهم على بعض وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت بجوامع الكلم ونصرت بالرعب وبينا أنا
نائم رأيتنى أتيت بمفاتيح خزائن الارض فوضعت فى يدى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون
ونحن السابقون يوم القيامة وانى قائل قولا غير فخر ابراهيم خليل الله وموسى صفى الله وانا حبيب الله ومعى
لواء الحمد يوم القيامة وان الله عز وجل وعدنى فى أمتى وأجارهم من ثلاث لا يعمهم بسنة ولا يستأصلهم
عدو ولا يجمعهم على ضلالة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا قائد المرسلين ولا فخر وأنا خاتم النبيين ولا
فخر وأنا أول شافع ومشفع ولا فخر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أول الناس خروجا اذا بعثوا وأنا
قائدهم اذا وفدوا وأنا خطيبهم اذا أنصتوا وأنا مستشفعهم اذا حبسوا وأنا مبشرهم اذا أيسوا الكرامة والمفاتيح
يومئذ بيدى ولواء الحمد حينئذ بيدى وأنا أكرم ولد آدم على ربى يطوف على ألف خادم كأنهن بيض مكنون
أو لؤلؤ منثور وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لى خمسة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحى الذى يمحو الله بى
الكفر وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى وأنا العاقب وهو الذى ليس بعده نبى وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله قسم الخلق قسمين فجعلنى من خيرهم قسما فذلك قوله أصحاب اليمين وأصحاب الشمال فأنا
من اليمين وأنا خير أصحاب اليمين ثم جعل القسمين أثلاثا فجعلنى من خيرها ثلثا وذلك قوله أصحاب الميمنة
وأصحاب المشأمة والسابقون السابقون فأنا من السابقين وأنا خير السابقين ثم جعل الاثلاث قبائل فجعلنى
من خيرها قبيلة فذلك قوله تعالى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم فأنا أتقى ولد
آدم وأكرمهم على الله ولا فخر ثم جعل القبائل بيوتا فجعلنى فى خيرها بيتا فذلك قوله عز وجل انما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى عند الله مكتوب
خاتم النبيين وان آدم لمنجدل فى طينته ودعوة ابراهيم وبشارة عيسى بن مريم وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لما أسرى بى الى السماء الدنيا اذا على العرش مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله أيدته بعلى وقيل
ان آدم عليه السلام قال عند معصيته اللهم بحق محمد اغفر لى ذنبى فقال الله تعالى من أين عرفت محمدا قال رأيت
فى كل موضع من الجنة مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت انه أكرم خلقك عليك فتاب الله عليه وغفر له
وروى أن الله تعالى لما خلق العرش كتب عليه بالنور لا اله الا الله محمد رسول الله فلما أخرج آدم من الجنة
رأى على ساق العرش وعلى كل موضع فى الجنة مكتوبا باسم محمد مقرونا باسم الله تعالى فقال يا رب هذا محمد من
هو قال الله تعالى هذا ولدك الذى لولاه ما خلقتك فقال يا رب بحرمة هذا الولد ارحم هذا الوالد فنودى يا آدم
لو استشفعت الينا بمحمد فى أهل السموات والارض لشفعناك فيهم وذكر السمنطارى انه شاهد فى بعض
بلاد خراسان مولودا ولد على أحد جنبيه مكتوب لا اله الا الله وعلى الآخر محمد رسول الله وحكى أن ببلاد
الهند وردا أحمر مكتوب عليه بالابيض لا اله الا الله محمد رسول الله وروى عن سريج بن يونس انه قال ان لله
ملائكة سياحين عبادتهم زيارة كل دار فيها أحمد أو محمد اكراما منهم لمحمد صلى الله عليه وسلم وروى عن
جعفر بن محمد عن أبيه اذا كان يوم القيامة ينادى مناد ألا ليقم من اسمه محمد فليدخل الجنة لكرامة اسمه صلى
الله عليه وسلم وعن مالك رحمه الله انه قال سمعت أهل مكة يقولون ما من بيت فيه اسم محمد الا نما ورزقوا خيرا
وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ما ضر أحدكم أن يكون فى بيته محمد أو محمدان وثلاثة وعن ابن مسعود
رضى الله عنه ان الله تعالى نظر الى قلوب العباد فاختار منها قلب محمد صلى الله عليه وسلم فاصطفاه لنفسه فبعثه
برسالته ومن فضائله ما ذكره ابن سبع انه كان نورا فكان اذا مشى فى الشمس أو القمر لا يظهر له ظل

صرت كأنى ذبالة نصبت * تضئ للناس وهى تحترق ومن تقلد التعليم
فقد تقلد أمرا عظيما فليحفظ آدابه
ووظائفه (الوظيفة الاولى)
الشفقة على المتعلم واجراؤه
مجرى الولد لقوله عليه
السلام انما أنا لكم كالوالد
لولده بل هو الوالد على
الحقيقة لان الاب سبب
الحياة الفانية والمعلم سبب
الحياة الباقية ولذلك يقدم
حقه على حق الابوين فاما
التعليم على قصد الدنيا فهو
اهلاك وأى اهلاك
واذا كان ذلك فليكن
تلامذة الرجل الواحد
متحابين فان العلماء وأبناء
الآخرة مسافرون الى الله
تعالى وسالكون اليه
الطريق والدنيا وسنيها
وشهورها منازل الطريق
والترافق بين المسافرين من
بلد الى بلد يوجب التحابب
والتوادد فكيف السفر
الى الله تعالى والفردوس
الاعلى ولا ضيق فيه فليكن
بعيدا من التنافس والتزاحم
لقوله تعالى انما المؤمنون
اخوة (الوظيفة الثانية)
الاقتداء به لقوله صلى الله
عليه وسلم فلا تطلب الاجر
على التعليم قال الله تعالى
لا نريد منكم جزاء ولا
شكورا وهو وان كان له
منة عليهم فلهم المنة لكونهم
سبب تقربه الى الله تعالى
بغراسة العلم والايمان فى
قلوبهم (الوظيفة الثالثة)
أن لا يدخر شيئا لغد من
النصيحة كمنعه من التصدى
لرتبة قبل استحقاقها
والخوض فى العلم الخفى قبل احكام الجلى (الوظيفة الرابعة) نصح المتعلم ومنعه من الاخلاق الذميمة لا بطريق التصريح بل التعريض

وبشهدله انه صلى الله عليه وسلم سأل الله أن يجعل فى جميع أعضائه وجهاته نورا وختم ذلك بقوله واجعلنى نورا وعن عائشة رضى الله عنها انه صلى الله عليه وسلم كان يرى فى الظلمة كما يرى فى النور ومن فضائله ماروى عن عائشة رضى الله عنها قالت يارسول الله انى أراك تدخل الخلاء ثم يجىء الذى يدخل بعدك فلا يرى لما يخرج منك أثرا فقال ياعائشة أما علمت أن الله أمر الارض أن تبتلع ماخرج من الانبياء وعن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من كرامتى أنى ولدت مختونا ولم ير أحد سوأتى ومن خصائصه ماذكره البخارى فى تاريخه الكبير مرسلا انه عليه الصلاة والسلام كان لا يتثاءب قال مسلمة بن عبد الملك ماتثاءب نبى قط وانها من علامات النبوة وقيل كان لا يتمطى أيضا لانه من عمل الشيطان ذكره ابن سبع فى شفاء الصدور وذكر فيه أيضا انه لم يقع على ثيابه ذباب قط ولم يكن القمل يؤذيه تعظيما له وتكريما وان كل دابة ركب عليها بقيت على القدر الذى كان يركب عليها فلم تهرم ابركته صلى الله عليه وسلم ومن فضائله صلى الله عليه وسلم ايثاره أمته على نفسه بدعوته اذ جعل الله لكل نبى دعوة مستجابة وكل منهم عجل دعوته فى الدنيا واختبأ هو صلى الله عليه وسلم دعوته شفاعة لامته ومن فضائله صلى الله عليه وسلم ماذكره الامام أبو حامد فى الاحياء قال رحمه الله يروى أن عمر بن الخطاب سمع بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكى ويقول بأبى أنت وأمى يارسول الله لقد كان لك جذع تخطب الناس اليه فلما كثر الناس اتخذت منبرا لتسمعهم فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن فأمتك كانت أولى بالحنين اليك لما فارقتهم بأبى أنت وأمى يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أخبرك بالعفو عنك قبل أن يخبرك بالذنب فقال عز وجل عفا الله عنك لم أذنت لهم بأبى أنت وأمى يارسول الله لقد بلغ من فضلك عنده ان بعثك فى آخر الانبياء وذكرك فى أولهم فقال عز وجل واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية بأبى أنت وأمى يارسول الله لقد بلغ من فضلك عنده ان أهل النار يودون أن يكونوا قد أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا بأبى أنت وأمى يارسول الله لئن كان موسى بن عمران أعطاه الله حجرا يتفجر منه الانهار فماذاك بأعجب من أصابعك حين نبع منها الماء صلى الله عليك بأبى أنت وأمى يارسول الله لئن كان عيسى بن مريم أعطاه الله سبحانه احياء الموتى فماذاك بأعجب من الشاة المسمومة حين كلمتك وهى مشوية فقالت لا تأكلنى فانى مسمومة بأبى أنت وأمى يارسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا كلنا فقد وطئ ظهرك وأدمى وجهك وكسرت رباعيتك فأبيت أن تقول الا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون بأبى أنت وأمى يارسول الله لقد اتبعك فى قلة سنيك وقصر عمرك مالم يتبع نوحا فى كثرة سنيه وطول عمره ولقد آمن معك الكثير وما آمن معه الا القليل بأبى أنت وأمى يارسول الله لو لم تجالس الا كفأ لك ماجالستنا ولو لم تنكح الا كفأ لك ما نكحت الينا ولو لم تواكل الا كفأك ما واكلتنا فلقد والله جالستنا ونكحت الينا وواكلتنا ولبست الصوف وركبت الحمار وأردفت خلفك ووضعت طعامك بالارض ولعقت أصابعك تواضعا منك صلى الله عليك وسلم ومن فضائله صلى الله عليه وسلم ماروى أن الارض افتخرت على السماء بفضله قيل ان السماء كانت تفتخر على الارض قبل مولده صلى الله عليه وسلم فكانت تقول ان العرش فى والملائكة والشمس والقمر والنجوم وأنت خالية عن هذا كله فكانت السماء لها الفخر على الارض الى أن ولد نبينا صلى الله عليه وسلم فافتخرت الارض على السماء فقالت ان كان الشمس والقمر والنجوم والملائكة فيك فقد ولد على ظهرى نبى مبارك نور العرش من نوره وعلى ظهرى مبعثه ودعوته على ظهرى مستعمل سريعته فسمع الله مفاخرتها على السماء بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فقال لا جرم حيث افتخرت بحبيبى محمد صلى الله عليه وسلم جعلت ترابك شرقك وغربك طهورا له ولامته وشرقك وغربك مساجد لهم ومصلى فلذلك قال صلوات الله وسلامه عليه جعلت لى الارض مسجدا وطهورا ومن فضائله صلى الله عليه وسلم أنه أعطى عليا فصا من ياقوت وأمره لينقش عليه لا اله الا الله ففعل وجاء بالفص الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو عليه منقوش لا اله الا الله محمد رسول

فان التصريح بمثلك حجاب الهيبة وينبغى أن يستقيم هو ثم يطالبه بالاستقامة والا فالنصح لا ينفع لان الاقتداء بالافعال آكد من الاقتداء بالاقوال

(فصل) فى آفات العلم وبيان علامات علماء الآخرة وعلماء السوء)*

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لا ينفعه الله بعلمه وقال صلى الله عليه وسلم من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا واعلم أن العالم بالخوض فى العلم حرم السلامة فاما الهلاك واما السعادة الابدية قال الخليل بن أحمد الرجال أربعة رجل يدرى ويدرى أنه يدرى فذلك عالم فاتبعوه ورجل يدرى ولا يدرى أنه يدرى فذلك نائم فايقظوه ورجل لا يدرى ويدرى أنه لا يدرى فذلك مسترشد فعلموه ورجل لا يدرى ولا يدرى أنه لا يدرى فذلك جاهل فاحذروه وقال سفيان يهتف العلم بالعمل فان أجابه والا ارتحل وقال تعالى واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها وعلماء الآخرة هم الذين لا يأكلون الدنيا بالدين ولا يبيعون الآخرة بالدنيا اعلموا من عز الآخرة وذل الدنيا ومن لم يعلم مضادة الدنيا مع الآخرة ومضارتها فليس من العلماء ومن أنكر ذلك فقد أنكر مادل عليه القرآن والاخبار وجميع الكتب المنزلة وقول جميع الانبياء ومن علم ذلك ولم يعمل به فهو أسير الشيطان فقد أهلكته شهوته وغلبت عليه شقوته ومن اقتدى به هلك وكيف يعد من حزب العلماء من هذه

الله فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ألم آمرك أن تنقش عليه لا اله الا الله فلم زدت فيه محمد رسول الله فقال والذى بعثك نبيا يارسول الله مافعلت الا ما أمرتنى به فهبط جبريل وقال يامحمد ان الله يقرئك السلام ويقول لك أحببتنا وكتبت اسمنا ونحن أحببناك فكتبنا اسمك ومن فضائله صلى الله عليه وسلم ان رجلا عصى الله مائتى سنة كلها يتمرد ويجترئ عليه فلما مات أخذ بنو اسرائيل برجله وألقوه على مزبلة فأوحى الله الى موسى عليه السلام ان غسله وكفنه وصل عليه فى جمع بنى اسرائيل ففعل ما أمره الله تعالى فتعجبت بنو اسرائيل من ذلك فاخبروه أنه لم يكن فى بنى اسرائيل أعتى منه ولا أكثر معاصى منه فقال قد علمت ولكن الله أمرنى بذلك فقالوا فاسأل ربك فسأل موسى ربه عز وجل فقال يارب قد علمت ماقالوا فأوحى الله اليه أن صدقوا انه قد عصانى مائتى سنة الا أنه يوما من الايام فتح التوراة فنظر الى اسم محمد صلى الله عليه وسلم مكتوبا فقبله ووضعه بين عينيه فشكرت له ذلك فغفرت له ذنوب مائتى سنة ومن فضائله صلى الله عليه وسلم انه كان يستأذن رب العزة كل يوم سبعون ألف ملك ينظرون اليه فى الارض لما يعلمون من كرامته على الله عز وجل ومن فضائله صلى الله عليه وسلم مارواه أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام عن ربه عز وجل قال انى قد مننت عليك بسبعة أشياء أولها انى لم أخلق فى السموات والارض أكرم على منك والثانى ان مائة ألف نبى وأربعة وعشرين ألف نبى كلهم مشتاقون اليك والى أمتك والثالث لم أعط أمتك مالا كثيرا حتى لا يطول عليهم الحساب والرابع لم أطول أعمارهم حتى لا يجتمع عليهم الذنوب الكثيرة والخامس لم أعطهم من القوة كما أعطيت من قبلهم حتى لا يدعوا الربوبية كما ادعت الامم السابقة والسادس أخرجهم فى آخر الزمان حتى لا يطول مكثهم تحت التراب والسابع لا أعاقب أمتك كما عاقبت بنى اسرائيل اذا أصابهم دم الحيض فى ثيابهم أمرت بقطعه ولا يجوز الغسل منه واذا أذنبوا اذنبا وجدوه مكتوبا على أبوابهم ومن فضائله صلى الله عليه وسلم ماذكره الثعلبى عن ابن عباس قال أوحى الله عز وجل الى عيسى آمن بمحمد ومر أمتك أن يؤمنوا به فلولا محمد ماخلقت آدم ولولاه ماخلقت الجنة والنار ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا اله الا الله محمد رسول الله فسكن ولما خلق الله آدم لم يكن له من يأنس به فالقى الله تعالى عليه النوم فنام فاخذ الله ضلعا من أضلاعه من شقه الايسر القصرى فخلق منه حواء ولم يحس آدم بذلك ولم يجد له ألما ولو ألم آدم من ذلك لما عطف رجل على امرأة قط ثم ألبسها من لباس الجنة وزينها بانواع الزينة وأجلسها عند رأسه فلما انتبه آدم من نومه ورآها مد يده اليها فقالت الملائكة مه فقال مالكم وقد خلقها الله تعالى لى فقالوا حتى تمهرها قال وما مهرها قال أن تصلى على محمد صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات فقال ومن محمد قالوا أحسن الانبياء من ولدك ولولا محمد لما خلقت قبل لما أراد الله تعالى أن يخلق آدم أوحى الى الارض انى خالق منك خلقا منهم من يطيعنى ومنهم من يعصينى فمن أطاعنى أدخلته الجنة ومن عصانى أدخلته النار ثم بعث الله اليها جبريل ليأتيه بقبضة من ترابها فلما أتاها قالت له أعوذ بعزة الله أن تأخذ منى اليوم شيأ يكون فيه غدا للنار نصيب فرجع الى ربه ولم يأخذ شيأ وقال يارب استعاذت بك فأمر ميكائيل فأتاها فاستعاذت منه فرجع الى ربه ولم يأخذ منها شيأ فبعث ملك الموت فاستعاذت منه فقال وأنا أعوذ بعزته أن أعصى له أمرا فقبض قبضة من سبخها وطيبها وأحمرها وأسودها وأبيضها وسهلها وحزنها فلذلك كان فى ذرية آدم الطيب والخبيث والصالح والطالح والجميل والقبيح واختلفت صورهم وألوانهم ثم صعد بها ملك الموت الى الله عز وجل فأمره أن يجعلها طينا بالماء المر والمالح والعذب حتى جعلها طينا وخمرها فلذلك اختلفت أخلاقهم ثم أمر جبريل أن يأتيه بالقبضة البيضاء التى هى قلب الارض وبهاؤها ونورها ليخلق منها محمدا صلى الله عليه وسلم فهبط جبريل فى ملائكة الفردوس المقربين الكروبيين وملائكة الرفيق الاعلى فقبض من موضع قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عجنها بطينة آدم عليه السلام ثم تركها أربعين سنة حتى صارت طينا لازبا صلصالا كالفخار وهو الطين اليابس الذى اذا ضربته صلصل ثم جعله جسدا وألقاه على طريق الملائكة التى تصعد وتهبط فيه أربعين سنة فذلك قوله تعالى هل أتى على الانسان حين من الدهر لم

درجته وقال فى مناجاة داود أتدرى ما أصنع بالعالم اذا آثر شهوته على محبتى ان أحرمه لذيذ مناجاتى ياداود لا تسألن عنى عالما قد أسكرته الدنيا فيصدك عن طريق محبتى أولئك قطاع طريق عبادى ياداود اذا رأيت طالبا فكن له خادما ياداود من رد الى هاربا كتبته شهيدا ومن كتبته شهيدا لم أعذبه بالنار أبدا وكذلك قال الحسن عقوبة العلماء موت القلب وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة وقال عمر رضى الله عنه اذا رأيتم العالم محبا للدنيا فاتهموه على دينكم فان كل محب يخوض فيما أحب وكان يقول يحيى بن معاذ الرازى لعلماء الدنيا يا أصحاب العلم قصوركم قيصرية وبيوتكم كسروية وأثوابكم ظاهرية وأخفافكم جالوتية ومراكبكم قارونية وأوانيكم فرعونية ومآتمكم جاهلية ومذاهبكم شيطانية فأين الشريعة المحمدية وأنشد

وراعى الشاة يحمى الذئب عنها * فكيف اذا الرعاة لها ذئاب

وقيل

يامعشر القراء ياملح البلد * مايصلح الملح اذا الملح فسد

واعلم أن اللائق بالعالم المتدين أن يكون مطعمه وملبسه ومسكنه وجميع ما يتعلق بمعاشه فى دنياه وسطا لا يميل الى الترفه والتنعم ولا يبالغ فى هذا الطرف ان لم يبالغ فى طرف الزهد فيها وينبغى له أن يحترز من الدخول على السلاطين وأرباب الدنيا ما أمكنه حذرا من الفتنة

(فصل فى العقل وشرفه)

يكن شيا مذكورا قال ابن عباس الانسان آدم والحين أربعون سنة وسأل عبد الله بن سلام رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف خلق الله تعالى آدم قال خلق رأسه وجبهته من تربة الكعبة وظهره من بيت المقدس وفخذيه من أرض اليمن وساقيه من أرض مصر وقدميه من أرض الحجاز ويده اليمنى من المشرق ويده اليسرى من أرض المغرب ثم ألقاه على باب الجنة كلما مر به ملأ من الملائكة عجبوا من حسن صورته وطول قامته ولم يكونوا قبل ذلك رأوا شيأ يشبهه من الصور

(الباب الثاني في وجوب محبة النبي صلى الله عليه وسلم)

قال الله تعالى قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم الآية فكفى بهذا دلالة على وجوب محبته اذ قرع الله تعالى من كان ماله وأهله وولده أحب اليه من الله ورسوله وأوعدهم بقوله تعالى فتربصوا حتى يأتي الله بامره وفسقهم بتمام الآية وأعلمهم أنهم ممن ضل ولم يهده الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن عبد حتى أكون أحب اليه من أهله وماله والناس أجمعين وفي رواية من ولده ووالده والناس أجمعين قال ابن بطال والقاضي عياض وغيرهما المحبة ثلاثة أقسام محبة اجلال واعظام كمحبة الوالد ومحبة شفقة كمحبة الولد ومحبة مشاكلة واستحسان كمحبة سائر الناس فجمع صلى الله عليه وسلم أصناف المحبة في محبته قال ابن بطال ومعنى الحديث ان من استكمل الايمان علم أن حق النبي صلى الله عليه وسلم آكد عليه من حق أبيه وابنه والناس أجمعين لان به استنقذنا من النار وهدينا من الضلال قال القاضي ومن محبته نصر سنته والذب عن شريعته وتمني حضور حياته فيبذل ماله ونفسه دونه قال واذا تبين ما ذكرناه تبين أن حقيقة الايمان لا تتم الا بذلك فلا يصح الايمان الا بتحقيق اعلاء قدر النبي صلى الله عليه وسلم ومنزلته على كل والد وولد ومحسن ومفضل ومن لم يعتقد ذلك واعتقد ما سواه فليس بمؤمن وروى البخاري أن عمر رضي الله عنه قال يا رسول الله لانت أحب الي من كل شئ الا نفسي قال والذي نفسي بيده حتى أكون أحب اليك من نفسك قال عمر فانه الآن والله لانت أحب الي من نفسي فقال الآن يا عمر وعن أنس رضي الله عنه أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال متى الساعة يا رسول الله قال ما أعددت لها قال ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة ولكني أحب الله ورسوله قال أنت مع من أحببت وعنه قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني ان قدرت أن تصبح أو تمسي وليس في قلبك غش لاحد فافعل ثم قال يا بني وذلك من سنتي ومن أحيا سنتي فقد أحبني ومن أحبني كان معي في الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أشد أمتي لي حبا ناس يكونون بعدي يود أحدهم لو رآني باهله وماله ومن علامة محبته الاقتداء به واستعمال سنته واتباع أقواله وأفعاله وامتثال أوامره واجتناب نواهيه ومنها كثرة ذكره فان من أحب شيأ أكثر من ذكره ومنها كثرة شوقه الى لقائه فكل حبيب يحب لقاء حبيبه وروى أن ثوبان مولى النبي صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فأتاه ذات يوم وقد تغير لونه يعرف الحزن في وجهه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غير لونك فقال يا رسول الله ما بي مرض ولا وجع غير اني اذا لم أرك استوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك ثم ذكرت الآخرة فأخاف أن لا أراك لانك ترفع مع النبيين واني ان أدخلت الجنة كنت أدنى منزلة من منزلتك وان لم أدخل الجنة لا أراك أبدا فانزل الله تعالى ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا

(الباب الثالث في تعظيم أمره ووجوب توقيره)

قال الله تعالى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه قال العلماء تعزروه تجلوه وتبالغوا في تعظيمه قال عمر رضي الله عنه وما كان أحد أحب الي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه اجلالا له ولو سئلت أن أصفه ما قدرت لاني لم أكن أملأ عيني منه وفي حديث أسامة بن شريك أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه حوله كأنما على رؤسهم الطير ومن اجلاله وتعظيمه أنه لا يجوز لاحد رفع صوته فوق صوته قال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق

صوت

وهو منبع العلم ويدل على شرفه قوله عليه السلام أول ما خلق الله العقل فقال له أقبل فأقبل ثم قال له ادبر فادبر فقال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا أكرم علي منك بك آخذ وبك أعطي وبك أثيب وبك أعاقب وقال صلى الله عليه وسلم سألت جبرائيل ما السودد قال العقل وحقيقة العقل غريزة يتهيأ بها ادراك المعلومات النظرية وكأنه نور يقذف في القلب به يستعد لادراك الاشياء وذلك يتفاوت بتفاوت الغرائز والله أعلم

(الباب الثاني في الاعتقاد وفيه فصول)

(فصل في ترجمة عقيدة أهل السنة) وهي أنه تعالى وتقدس واحد لا شريك له فرد لا مثل له صمد لا ضد له منفرد لا ند له وانه قديم لا أول له أزلي لا بداية له مستمر الوجود لا آخر له أبدي لا نهاية له قيوم لا انقطاع له دائم لا انصرام له لم يزل ولا يزال موصوفا بنعوت الجلال لا يقضى عليه بالانقضاء والانفصال بتصرم الآباد وانقراض الآجال بل هو الاول والآخر والظاهر والباطن (التنزيه) وأنه ليس بجسم مصور ولا جوهر محدود مقدر وانه لا يماثل الاجسام لا في التقدير ولا في قبول الانقسام وانه ليس بجوهر ولا تحله الجواهر ولا بعرض ولا تحله الاعراض بل لا يماثل موجودا ولا يماثله موجود وليس كمثله شئ ولا هو مثل شئ وانه لا يحده المقدار ولا تحويه الاقطار ولا تحيط به الجهات ولا تكتنفه الارض

صوت النبي ولا أن ينادى باسمه قيل في قوله تعالى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض الآية أي لا تخاطبوه يا أحمد يا محمد ولكن قولوا يا نبي الله يا رسول الله توقيرا له وقال مجاهد وقتادة في قوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا أي لا تدعوه باسمه كما يدعو بعضكم بعضا يا محمد بن عبد الله لكن فخموه وشرفوه فقولوا يا نبي الله يا رسول الله في لين وتواضع * وحكي أن أمير المؤمنين أبا جعفر المنصور ناظر الامام مالكا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بين يدي الخليفة في ذلك اليوم خمسمائة سيف فقال له مالك يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فان الله عز وجل أدب قوما فقال لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول الآية ومدح قوما فقال ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم وذم قوما فقال ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون وان حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ميتا كحرمته حيا قال فاستكان له الخليفة وقال يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم بل استقبله واستشفع به قال تعالى ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما

(الباب الرابع في معجزات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم)

وهي كثيرة وأعلاها قدرا وأوضحها ذكرا هذا القرآن العزيز الذي عجزت الفصحاء عن معارضته ويئست العقلاء عن الاتيان بشئ من مثله فمن اعجازه حسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحته وايجازه وبلاغته ومن اعجازه حسن نظمه وأسلوبه الذي لا يشبهه نظم ولا نثر ومن اعجازه ما أخبر به من المغيبات المستقبلة فوقع كما أخبر ومن اعجازه ذكر قصص الماضين مع كون النبي صلى الله عليه وسلم أميا لم يقرأ الكتب ولم يخالط علماء أهل الكتاب وكذلك ما فيه من ذكر الملكوت الاعلى والملائكة وذكر القيامة وما فيها وذكر الجنة والنار ونحو ذلك ومن اعجازه انقطاع الاطماع عن معارضته وعجز العقول عن مقابلته مع فصاحة أهل زمانه وشدة عداوتهم وما ذاقوا في القتال من أهوال النزال ولم تخطر المعارضة لهم ببال قال القاضي عياض رحمه الله لما سمع الوليد بن المغيرة من النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية قال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أسفله لمغدق وان أعلاه لمثمر ما يقول هذا بشر وقال عتبة بن ربيعة حين سمع القرآن يا قوم قد علمتم اني لم أترك شيأ الا وقد علمته وقرأته وقلته والله لقد سمعت قولا ما سمعت مثله قط ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة وقال النضر بن الحرث مثله ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم أنه أسري به في ليلة واحدة من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى راكبا البراق وجمعت له الانبياء كلهم فصلى بهم اماما ثم عرج به من بيت المقدس الى السماء ففتحت له كل سماء وسلم عليه من فيها من الملائكة حتى جاوز السموات السبع ووصل الى سدرة المنتهى ثم جاوزها الى أن وصل الى مقام يسمع فيه صرير الاقلام فوقف موقف الكرامة والزلفى وأقيم في مقام النجوى وكان في قرب الاكرام كقاب قوسين أو أدنى فسمع خطاب العلي الاعلى ورأى من آيات ربه الكبرى وفرضت عليه الصلوات الخمس ثم رجع من ليلته الى مكة وورد بذلك القرآن وانتشرت بفضيلته الاخبار واستمرت على ذلك الآثار وروى أنه صلى الله عليه وسلم رأى في السماء الدنيا آدم وفي الثانية عيسى ويحيى وفي الثالثة يوسف وفي الرابعة ادريس وفي الخامسة هرون وفي السادسة موسى وفي السابعة ابراهيم عليه الصلاة والسلام قال السهيلي رحمه الله فان قيل ما الحكمة في كون عيسى في السماء الثانية ويوسف في الثالثة وادريس في الرابعة وهرون في الخامسة وعيسى أفضل منهم فانه من أولي العزم وما الحكمة في عدم ذكر نوح مع كونه من أولي العزم وذكر من هو دونه في الفضل قال فالجواب ان اراءته من ذكر على هذا الوجه المذكور اشارة الى التأسي والاقتداء والتسلي فاري آدم في الاولى اشارة الى أن أول أحواله كحال آدم أخرجه العدو من وطنه مكة الى المدينة كما أخرج آدم عدوه من الجنة الى الارض وأري عيسى في الثانية اشارة الى أن ثاني أحواله كحال عيسى اذ آذاه اليهود

والسموات وانه مستو على العرش على الوجه الذى قاله وبالمعنى الذى أراده استواء منزها عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ومقهورون في قبضته وهو فوق العرش وفوق كل شئ الى تخوم الثرى فوقية لا تزيده قربا الى العرش والسماء كما لا تزيده بعدا عن الارض والثرى بل هو رفيع الدرجات عن العرش كما أنه رفيع الدرجات عن الثرى وهو مع ذلك كله قريب من كل موجود وهو أقرب الى العبيد من حبل الوريد وهو على كل شئ شهيد اذ لا يماثل قربه قرب الاجسام كما لا تماثل ذاته ذات الاجسام وانه لا يحل في شئ ولا يحل فيه شئ تعالى عن أن يحويه مكان كما تقدس عن أن يحده زمان بل كان قبل أن يخلق الزمان والمكان وهو الآن على ما عليه كان وانه بائن من خلقه بصفاته ليس في ذاته سواه ولا في سواه ذاته وانه مقدس عن العوارض من التغير والانتقال لا تحله الحوادث ولا تعتريه العوارض بل لا يزال في نعوت الجلال منزها عن الزوال وفي صفات كماله مستغنيا عن زيادة الاستكمال وانه في ذاته معلوم الوجود بالعقول مرئي الذات بالابصار نعمة منه ولطفا بالابرار في دار القرار واتماما منه للتنعيم بالنظر الى وجهه الكريم (الحياة والقدرة) وانه حي قادر جبار قاهر لا يعتريه قصور ولا عجز ولا تأخذه سنة ولا نوم ولا يعارضه فناء ولا موت وانه ذو الملك

وقصد واقتله وسموه كما آذوا عيسى وزعموا أنهم قتلوه وما قتلوه وما صلبوه ورأى يوسف في الثالثة اشارة الى
ان ثالث أحواله كحال يوسف اذ جاءه أهله واجتمع بهم كما اجتمع شمل يوسف باهله ورأى في الرابعة
ادريس اشارة الى أن رابع أحواله كحال ادريس في كتابة الكتب الى الملوك يدعوهم الى الاسلام
وادريس أول من كتب ورأى في الخامسة هرون اشارة الى أن خامس أحواله كحال هرون في محبة الناس
له كما كانت بنو اسرائيل تحب هرون ورأى في السادسة موسى اشارة الى أن سادس أحواله كحال موسى
في عوده الى مكة وطنه الاول كما عاد موسى الى مصر بعد خروجه منها خائفا يترقب ورأى ابراهيم في السابعة
اشارة الى أن آخر أحواله من أداء مناسك الحج واحياء سنة أبيه ابراهيم الخليل قال الشيخ محيي الدين النووي
رحمه الله تعالى كان الاسراء سنة خمس أوست من النبوة وقيل سنة اثنى عشر منها وقيل بعد سنة وثلاثة شهور
وقيل غير ذلك وكان ليلة السابع والعشرين من رجب الفرد قال وكان الاسراء به صلى الله عليه وسلم
مرتين مرة في المنام ومرة في اليقظة ومن معجزاته انشقاق القمر روى البخاري عن أبي معمر عن ابن
مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا ورواه مسروق عنه انه كان بمكة وزاد فقال كفار قريش سحركم
ابن أبي كبشة فقال رجل منهم ان محمدا ان كان قد سحر القمر فانه لا يبلغ من سحره أن يسحر الارض كلها
فاسألوا من يأتيكم من بلد آخر هل رأوا هذا فاتوا فسألوهم فاخبروهم انهم رأوا مثل ذلك * وحكى
السمرقندي عن الضحاك نحوه وقال فقال أبو جهل هذا سحر فابعثوا الى أهل الآفاق حتى تنظروا أرأوا
ذلك أم لا فاخبر أهل الآفاق انهم رأوه منشقا فقالوا يعني الكفار هذا سحر مستمر ومن معجزاته صلى الله
عليه وسلم حبس الشمس له عن أسماء بنت عميس رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان
يوحى اليه ورأسه في حجر علي عليه السلام فلم يصل العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم صليت يا علي فقال لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انه كان في طاعتك وطاعة
رسولك فاردد عليه الشمس قالت أسماء فرأيتها قد غربت ثم رأيتها قد طلعت بعد ما غربت ووقفت على
الجبال وذلك بالصهباء في خيبر ولما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبر قومه بالرفقة والعلامة التي
في العير قالوا متى تجيء قال يوم الاربعاء فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينظرون وقد ولى النهار ولم تجئ
فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزيد له في النهار ساعة وحبست عليه الشمس ومن معجزاته نبع الماء
من بين أصابعه وتكثيره ببركته صلى الله عليه وسلم عن أنس رضي الله عنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم وحانت صلاة العصر فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوا ماء فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع
رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الاناء يده وأمر الناس أن يتوضؤا منه قال فرأيت الماء ينبع من بين
أصابعه فتوضأ الناس حتى توضؤا من عند آخرهم وعن جابر رضي الله عنه عطش الناس يوم الحديبية
ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة يتوضأ منها وأقبل الناس نحوه وقالوا ليس عندنا ماء الا ما في
ركوتك فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كامثال العيون وفيه
فقلت وكم كنتم قال لو كنا مائة ألف لكفانا كنا خمس عشرة مائة قال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله في
هذا النبع قولان أحدهما أن الماء كان يخرج من نفس اصابعه وهو أعظم في المعجزة من نبعه من حجر
ويؤيده أنه جاء في رواية فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه الثاني يحتمل أن الله كثر الماء في ذاته فصار يفور
من بين أصابعه لا من نفسها ومن معجزاته تكثير الطعام ببركته ودعائه عن جابر رضي الله عنه أن رجلا أتى النبي
صلى الله عليه وسلم يستطعمه فاطعمه شطر وسق شعير فما زال يأكل منه وامرأته وضيفهما حتى كاله فاتى النبي
صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال له لو لم تكله لأكلتم منه ولقام بكم وفي حديث جابر في اطعامه رسول الله صلى
الله عليه وسلم يوم الخندق ألف رجل من صاع شعير وعناق وأطعم صلى الله عليه وسلم الجيش من مزود أبي
هريرة حتى شبعوا كلهم ثم رد ما بقي فيه ودعا له فاكل منه مدة حياة النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر

والملكوت والعزة والجبروت له السلطان والقهر والخلق والامر والسموات مطويات بيمينه وانه المنفرد بالخلق والاختراع المتوحد بالايجاد والابداع خلق الخلق وأعمالهم وقدر أرزاقهم وآجالهم لا تحصى مقدوراته ولا تتناهى معلوماته (العلم) وأنه عالم بجميع المعلومات محيط علمه بما يجري من تخوم الارضين الى أعلى السموات لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء بل يعلم دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ويدرك حركة الذر في جو الهواء ويعلم السر وأخفى ويطلع على هواجس الضمائر وحركات الخواطر وخفيات السرائر بعلم قديم أزلي لم يزل موصوفا به في أزل الآزال لا بعلم متجدد حاصل في ذاته بالحلول والانتقال (الارادة) وانه تعالى مريد للكائنات مدبر للحادثات فلا يجري في الملك والملكوت قليل أو كثير صغير أو كبير خير أو شر نفع أو ضر ايمان أو كفر عرفان أو نكر فوز أو خسران زيادة أو نقصان طاعة أو عصيان كفر أو ايمان الا بارادته وبقضائه وقدره وحكمته ومشيئته لا يخرج عن مشيئته لفتة ناظر ولا فلتة خاطر فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فهو المبدئ المعيد الفعال لما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه ولا مهرب لعبد عن معصيته الا بتوفيقه ورحمته ولا قوة له على طاعته الا بمشيئته وارادته لو اجتمعت الانس

وعثمان رضي الله عنهم فلما قتل عثمان ذهب وحمل منه نحو خمسين وسقا في سبيل الله ومن معجزاته كلام
الشجر عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فدنا منه اعرابي فقال
يا اعرابي أين تريد قال الى أهلي قال هل لك الى خير قال وما هو قال تشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له
وأن محمدا عبده ورسوله قال ومن يشهد لك على ما تقول قال هذه الشجرة السمرة وهي في شاطئ الوادي
فادعها فانها تجيبك قال فدعونها فاقبلت تخد الارض حتى قامت بين يديه فاستشهدها ثلاثا فشهدت أنه كما
قال ثم رجعت الى مكانها ومن معجزاته حنين الجذع قال جابر رضي الله عنه كان المسجد مسقوفا على جذوع
نخل فكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب يقوم الى جذع منها فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتا
كصوت العشار وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم دعاه الى نفسه فجاءه يخرق الارض فالتزمه ثم أمره فعاد
الى مكانه وفي رواية أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له ان شئت أردك الى الحائط الذي كنت فيه ينبت لك
عروقك ويكمل خلقك ويجدد لك خوص وثمر وان شئت أغرسك في الجنة فيأكل أولياء الله من ثمرك ثم
أصغى له النبي صلى الله عليه وسلم ليسمع ما يقول فقال بل تغرسني في الجنة فيأكل مني أولياء الله وأكون في
مكان لا أبلى فيه فسمعه من يليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد فعلت ثم قال اختار دار البقاء على دار الفناء
فكان الحسن رحمه الله اذا حدث بهذا بكى وقال يا عباد الله الخشبة تحن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقا
اليه لمكانه فانتم أحق أن تشتاقوا الى لقائه ومنها كلام الجمادات قال ابن مسعود رضي الله عنه كنا نأكل
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيحه وقال أنس رضي الله عنه أخذ رسول الله صلى
الله عليه وسلم كفا من حصى فسبح في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعت التسبيح ثم صبهن في يد أبي بكر
فسبحن ثم في أيدينا فما سبحن وروى مثله أبو ذر وذكر أنهن سبحن في كف عمر وعثمان وقال علي كنا بمكة
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج الى بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل الا قال له السلام عليك
يا رسول الله وقال عليه الصلاة والسلام اني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قيل انه الحجر الاسود وقال عليه
الصلاة والسلام لما استقبلني جبريل بالرسالة جعلت لا أمر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يا رسول الله
ومنها كلام أصناف الحيوانات روي عن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في محفل من
أصحابه اذ جاء اعرابي قد صاد ضبا فقال من هذا قالوا نبي الله قال واللات والعزى لا آمنت بك حتى يؤمن هذا
الضب وطرحه بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ضب فأجابه بلسان مبين يسمعه
القوم جميعا لبيك وسعديك يا زين من وافى القيامة قال من تعبد قال الذي في السماء عرشه وفي الارض سلطانه
وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار عقابه قال فمن أنا قال رسول رب العالمين وخاتم النبيين وقد أفلح
من صدقك وخاب من كذبك فاسلم الاعرابي وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه بينا راع يرعى غنما له
عرض الذئب لشاة منها فاخذها الراعي منه فأقعى الذئب وقال للراعي ألا تتقي الله حلت بيني وبين رزقي قال
الراعي العجب من ذئب يتكلم بكلام الانس فقال الذئب ألا أخبرك باعجب من ذلك رسول الله بين الحرمين
يحدث الناس بانباء ما قد سبق فاتى الراعي النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال النبي صلى الله عليه وسلم قم
فحدثهم ثم قال صدق وعن عبد الله بن قرط قرب الى النبي صلى الله عليه وسلم بدنات خمس أوست أو سبع لينحرها
يوم عيد فازدلفن اليه بايهن يبدأ وعن أم سلمة كان النبي صلى الله عليه وسلم في صحراء فنادته ظبية يا رسول الله
قال ما حاجتك قالت صادني هذا الاعرابي ولي خشفان في ذلك الجبل فاطلقني حتى أذهب فارضعهما وأرجع
قال وتفعلين قالت نعم فأطلقها فذهبت ورجعت فأوثقها فانتبه الاعرابي وقال يا رسول الله ألك حاجة قال
تطلق هذه الظبية فاطلقها فخرجت تعدو في الصحراء وتقول أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله وجاء في
رواية أنه عليه الصلاة والسلام قال لها وتفعلين قالت عذبني الله عذاب العشار تعني المكاس ان لم أفعل وروى
أنه صلى الله عليه وسلم أصاب حمارا بخيبر وقال له اسمي يزيد بن شهاب فسماه النبي صلى الله عليه وسلم
يعفور وانه كان يوجهه الى دور أصحابه فيضرب عليهم الباب برأسه ويستدعيهم وأن النبي صلى الله عليه

والجن والملائكة والشياطين على أن يحركوا في العالم ذرة أو يسكنوها دون ارادته ومشيئته لعجزوا عنه وان ارادته قائمة بذاته في جملة صفاته لم يزل كذلك موصوفا به مريدا في أزله لوجود الاشياء في أوقاتها التي قدرها فوجدت في أوقاتها كما قدرها وأرادها في أزله من غير تقدم ولا تأخر دبر الامور كلها لا بترتيب أفكار وتربص زمان فلذلك لم يشغله شان عن شان (السمع والبصر) وانه تعالى سميع بصير يسمع ويرى ولا يعزب عن سمعه مسموع وان خفي ولا يغيب عن رؤيته مرئي وان دق ولا يحجب سمعه بعد ولا يدفع رؤيته ظلام يرى من غير حدقة ولا أجفان ويسمع من غير أصمخة وآذان كما يعلم بغير قلب ويبطش بغير جارحة ويخلق بغير آلة اذ لا تشبه صفاته صفات الخلق كما لا تشبه ذاته ذوات الخلق (الكلام) وأنه تعالى متكلم آمر ناه واعد متوعد بكلام أزلي قديم قائم بذاته لا يشبه كلامه كلام الخلق فليس بصوت يحدث من انسلال هواء أو اصطكاك أجرام ولا بحرف ينقطع باطباق شفة أو تحريك لسان وأن القرآن والتوراة والانجيل والزبور كلامه وكتبه المنزلة على رسله وأن القرآن مقروء بالالسنة مكتوب في المصاحف محفوظ في القلوب وانه مع ذلك قديم قائم بذات الله تعالى لا يقبل الانفصال والافتراق بالانتقال الى القلوب والاوراق وان موسى عليه السلام سمع كلام الله

بغير صوت ولا حرف كما نرى الابرار ذات الله تعالى من غير جوهر ولا عرض اذا كانت له هذه الصفات كان حيا عالما قادرا مريدا سميعا بصيرا متكلما بالحياة والعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام لا بمجرد الذات (الافعال) وانه لا موجود سواه الا وهو حادث بفعله وفائض من عدله على أحسن الوجوه وأكملها وأعدلها وأتمها وانه حكيم فى أفعاله عادل فى أقضيته لا يقاس عدله بعدل العباد فان العبد يتصور منه الظلم بتصرفه فى ملك غيره ولا يتصور الظلم من الله تعالى فانه لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون بتصرفه فيه ظالما فكل ماسواه من جن وانس وشيطان وملك وسماء وأرض وحيوان ونبات وجماد وجوهر وعرض ومدرك ومحسوس وحادث اخترعه بقدرته بعد العدم اختراعا وانشأه بعد أن لم يكن شيأ اذ كان فى الازل موجودا وحده ولم يكن معه غيره فأحدث الخلق اظهارا لقدرته وتحقيقا لما سبق من ارادته ولما حق فى الازل من كلمته لا لافتقاره اليه وحاجته وانه متفضل بالخلق والاختراع والتكليف لا عن وجوب ومتطول بالانعام والاصلاح لا عن لزوم وانه لو صب عليهم العذاب صبا لكان منه عدلا وانه يثيب عباده على الطاعات كرما لا بالاستحقاق واللزوم وانه وجب حقه بالطاعة بايجابه على لسان أنبيائه لا بمجرد العقل ولكن بعث الرسل وأظهر صدقهم بالمعجزات الظاهرة فبلغوا أمره ونهيه ووعده ووعيده

وسلم الماء مات تودى فى بئر جزعا وحزنا فمات و روى أن عنزا أتت النبى صلى الله عليه وسلم فى عسكره وقد أصابهم عطش ونزلوا على غير ماء وهم زهاء ثلثمائة فحلبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأروى الجند ثم قال لرافع أملكها وما أراك فربطها فوجدها قد انطلقت فقال عليه الصلاة والسلام ان الذى جاء بها هو الذى ذهب بها ومر عليه الصلاة والسلام فى سفر ببعير يستقى عليه الماء فلما رآه جرجر و وضع جرانه فقال انه يشتكى كثرة العمل وقلة العلف ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم احياء الموتى وكلام الصبيان عن أبى هريرة رضى الله عنه أن يهودية أهدت للنبى صلى الله عليه وسلم بخيبر شاة مصلية سمتها فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها وأكل القوم وقال ارفعوا أيديكم فانها أخبرتنى أنها مسمومة فمات بشر بن البراء وقال لليهودية ما حملك على ما صنعت قالت ان كنت نبيا لم يضرك الذى صنعت وان كنت ملكا كاذبا أرحت الناس منك قال فأمر بها فقتلت ورواه أيضا جابر وفيه فاخبرتنى هذه الذراع قال ولم يعاقبها وروى انه عليه الصلاة والسلام أتى بصبى قد شب ولم يتكلم قط فقال من أنا فقال رسول الله وروى انه جىء بصبى يوم ولد فذكر مثله وفيه فقال النبى صلى الله عليه وسلم صدقت بارك الله فيك ثم ان الغلام لم يتكلم بعدها حتى شب وعن الحسن أتى رجل النبى صلى الله عليه وسلم فذكر له أنه طرح بنية له فى وادى كذا فانطلق معه الى الوادى فناداها باسمها يا فلانة أجيبى باذن الله فخرجت وهى تقول لبيك وسعديك فقال لها ان أبويك قد أسلما فان أحببت أن أردك عليهما قالت لا حاجة لى فيهما وجدت الله لى خيرا منهما وعن أنس ان شابا من الانصار توفى وله أم عجوز عمياء فسجيناه وعزيناها فقالت مات ابنى قلنا نعم قالت اللهم ان كنت تعلم أنى هاجرت اليك والى نبيك رجاء أن تعيننى على كل شدة فلا تحملن على هذه المصيبة فما برحنا أن كشف الثوب عن وجهه فطعم وطعمنا ومن معجزاته ابراء المرضى وذوى العاهات روى النسائى عن عثمان بن حنيف ان أعمى قال يا رسول الله ادع الله أن يكشف لى عن بصرى فقال له فانطلق فتوضأ ثم صل ركعتين ثم قل اللهم انى أسألك وأتوجه اليك بالنبى محمد صلى الله عليه وسلم نبى الرحمة يا محمد انى أتوجه بك الى ربك أن يكشف عن بصرى اللهم شفعه فى قال فرجع وقد كشف الله عن بصره ورد صلى الله عليه وسلم عين قتادة بن النعمان يوم أحد بعد ما وقعت على وجنته فكانت أحسن عينيه وتفل فى عين على رضى الله عنه يوم خيبر وكان رمدا فأصبح بارئا وقطع أبو جهل يوم بدر يد معوذ بن عفراء وجاء يحمل يده فبصق عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وألصقها فلصقت ومن معجزاته اجابة دعائه صلى الله عليه وسلم عن أنس قال قالت أمى يا رسول الله خادمك أنس ادع الله له قال اللهم أكثر ماله وولده و بارك له فيما آتيته قال أنس فوالله ان مالى لكثير وان ولدى وولد ولدى ليعادون اليوم على نحو المائة وما أعلم أحدا أصاب من رخاء العيش ما أصبت ولقد دفنت بيدى هاتين من ولدى مائة لا أقول سقطا ولا ولد ولد ودعا لعبد الرحمن بن عوف بالبركة قال عبد الرحمن فلو رفعت حجرا لرجوت أن أصيب تحته ذهبا وفتح الله عليه ومات فحفر الذهب من تركته بالفوس حتى مجلت منه الايدى وأخذت كل زوجة ثمانين ألفا وكن أربعا وقيل مائة ألف وقيل بل صولحت احداهن لانه طلقها فى مرضه على نيف وثمانين ألفا ومن معجزاته انقلاب الاعيان له أعطى عكاشة جذل حطب حين انكسر سيفه يوم بدر فعاد فى يده سيفا فقاتل به ودفع لعبد الله بن جحش يوم أحد وقد ذهب سيفه عسيب نخل فرجع فى يده سيفا وشكا اليه قوم ملوحة فى مائهم فجاء فى نفر من أصحابه حتى وقف على بئرهم فتفل فيه فتفجر بالماء العذب المعين وأتته امرأة بصبى لها أقرع فمسح على رأسه فاستوى شعره وذهب داؤه ومسح على رأس عمير بن سعد و برك فمات وهو ابن ثمانين سنة وما شاب وكان يوجد لعتبة بن فرقد طيب يغلب على طيب نسائه لان رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح بيده على بطنه وظهره ومن معجزاته ما أطلعه الله عليه من الغيوب عن حذيفة قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فما ترك شيأ يكون فى مقامه ذلك الى قيام الساعة الا حدث حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه أصحابى هؤلاء وانه ليكون منه الشىء فأعرفه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه ثم اذا رآه عرفه قال حذيفة ما أدرى أنسى أصحابى أم تناسوه والله ما ترك رسول الله صلى

الله

فوجب على الخلق تصديقهم فيما جاؤا به (معنى الكلمة الثانية) وهى الشهادة للرسول صلوات الله وسلامه عليه وانه تعالى بعث الرسول النبى الامى الهادى القرشى محمدا صلى الله عليه وسلم برسالته الى كافة العرب والعجم والجن والانس فنسخ بشرعه الشرائع الا ما قرر وفضله على سائر الانبياء وجعله سيد البشر ومنع كمال الايمان بشهادة التوحيد وهو قول لا اله الا الله ما لم يقترن بها شهادة الرسول صلى الله عليه وسلم وهو قولك محمد رسول الله وألزم الخلق تصديقه فى جميع ما أخبر عنه من الدنيا والآخرة وانه لا يقبل ايمان عبد حتى يؤمن بما أخبر عنه بعد الموت وأوله سؤال منكر ونكير وهما شخصان مهيبان هائلان يقعدان العبد فى قبره سويا ذا روح وجسد فيسألانه عن التوحيد والرسالة ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك وهما فتانا القبر وسؤالهما أول فتنة تعرض بعد الموت وان يؤمن بعذاب القبر وانه حق وحكمة وعدل على الجسم والروح على ما يشاء ويؤمن بالبعث والنشور وانه تعالى يحيى العظام وهى رميم كما أنشأها أول مرة ويرد الروح فى الجسد كما هو فى الدنيا قبل الموت ويجعله شخصا سويا ويؤمن بالميزان ذى الكفتين واللسان وصفتهما فى العظم مثل طباق السموات والارض توزن فيهما الاعمال بقدرة الله تعالى والسنج يومئذ مثاقيل الذر والخردل تحقيقا لتمام العدل وتطرح صحائف الحسنات فى كفة النور

الله عليه وسلم من قائد فتنة الى أن تنقضى الدنيا يبلغ من معه ثلثمائة فصاعدا الا قد سماه لنا باسمه واسم أبيه وقبيلته وروى ابن اسحق ان أبى بن خلف كان يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فيقول يا محمد ان عندى اليوم فرسا أعلفه كل يوم فرقا من ذرة أقتلك عليها فيقول عليه السلام بل أنا أقتلك ان شاء الله فلما رجع الى قريش وقد خدشه فى عنقه خدشا غير كبير فاحتقن الدم قال قتلنى والله محمد قالوا له ذهب والله فؤادك والله ان بك من بأس قال انه كان قد قال لى بمكة والله أنا أقتلك فوالله لو بصق على لقتلنى فمات بسرف وهم قافلون الى مكة وقال صلى الله عليه وسلم فى الحسن ان ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين فصالح معاوية وحقن دماء الفئتين من المسلمين وقال صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تصير ملكا فكانت كذلك بمدة الحسن بن على رضى الله عنهما وقال للعباس وقد أسر ببدر افد نفسك فقال ليس لى مال فقال أين ما دفعت بمكة الى أم الفضل وقلت ان أصبت فللفضل كذا ولقثم كذا ولعبد الله كذا فقال العباس ما علم بذلك أحد غيرى وغيرها فأنا أعلم انك رسول الله ومن معجزاته عصمة الله له من الناس وكفايته من أذاهم قال الله تعالى والله يعصمك من الناس وروى الترمذى عن عائشة رضى الله عنها قالت كان النبى صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت هذه الآية فأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة فقال لهم يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمنى ربى عز وجل وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل منزلا اختار له أصحابه شجرة يقيل تحتها فأتاه أعرابى فاخترط سيفه ثم قال من يمنعك منى فقال الله فارتعدت يد الاعرابى وسقط سيفه وضرب برأسه الشجرة حتى سال دماغه فنزلت هذه الآية وقد رويت هذه القصة فى الصحيح وان غورث بن الحارث صاحب هذه القصة وان النبى صلى الله عليه وسلم عفا عنه ورجع الى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس وذكر عبد بن حميد قال كانت حمالة الحطب تضع العضاه وهى جمر على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم فكأنما يطأ كثيبا أهيل وذكر ابن اسحق أنها لما بلغها نزول تبت يدا أبى لهب وذكرها بما ذكرها الله مع زوجها من الذم أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى المسجد ومعه أبو بكر وفى يدها فهر من حجارة فلما وقفت عليهما لم تر الا أبا بكر وأخذ الله ببصرها عن نبيه صلى الله عليه وسلم فقالت يا أبا بكر أين صاحبك فقد بلغنى انه يهجونى والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه وروى ابن اسحق ان أبا جهل أتاه بصخرة وهو ساجد وقريش ينظرون ليطرحها عليه فلزقت بيده ويبست يداه الى عنقه فأقبل يرجع القهقرى الى خلفه ثم سأله أن يدعو الله ففعل فانطلقت يداه وكان قد تواعد مع قريش بذلك وحلف ان رآه ليدمغنه فسألوه عن شأنه فذكر أنه عرض دونه فحل ما رأيت مثله قط فهم أن يأكلنى فقال النبى صلى الله عليه وسلم ذاك جبريل لو دنا لأخذه وروى ان أبا جهل ابتاع من رجل ابلا وماطله فأتى نادى قريش مستعينا بهم فأحالوه على محمد صلى الله عليه وسلم استهزاء فمضى معه فطرق باب أبى جهل فعرفه فخرج منخوب العقل وقال أهلا بأبى القاسم فقال أعط هذا حقه فأعطاه من فوره فعيره قومه فقال انى رأيت والله على رأسه تنينا فاتحا فاه لو أبيت لالتقمنى ومن مشهور ذلك خبر عامر بن الطفيل وأربد بن قيس حين وفدا على النبى صلى الله عليه وسلم وكان عامر قال له أنا أشغل عنك وجه محمد فاضربه أنت فلم يره فعل شيأ فلما كلمه فى ذلك قال له والله ما هممت أن أضربه الا وجدتك بينى و بينه أفأضربك ومن ذلك ما ذكره ابن عباس وغيره أن قريشا خافوا لما أسلمت الانصار أن يعظم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمع نفر من كبارهم فى دار الندوة ليتشاوروا فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءهم ابليس فى صورة شيخ فقالوا له من أنت فقال شيخ من نجد فلما سمعت باجتماعكم أردت أن أحضركم ولن تعدموا منى رأيا ونصحا قالوا ادخل فقال أبو البخترى أما أنا فارى أن تأخذوا محمدا وتحبسوه فى بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا باب البيت غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه حتى يهلك فيه فصرخ عدو الله الشيخ النجدى وقال بئس الرأى هذا والله لان حبستموه يخرج أمره الى أصحابه فيوشك أن يثبوا عليكم

ويقاتلوكم ويأخذوه من أيديكم قالوا صدق الشيخ النجدي فقال هشام بن عمرو وأما أنا أرى أن تحملوه على بعير فتخرجوه من بين أظهركم فلا يضركم ما صنع اذا غاب عنكم واسترحتم فقال ابليس ما هذا برأى تعمدون الى رجل قد أفسد سفهاءكم فتخرجوه الى غيركم فيفسدهم ألم تروا حلاوة منطقه وطلاقة لسانه وأخذ القلوب ما تستمع من حديثه والله لئن فعلتم ذلك فيذهب ويستميل قلوب قوم ثم يسير بهم اليكم فيخرجكم من بلادكم قالوا صدقت أيها الشيخ فقال أبو جهل والله لأشيرن عليكم برأى ما أرى غيره انى أرى أن تأخذوا من كل قبيلة من قريش شابا نسيبا ثم يعطى كل واحد منهم سيفا صارما ثم يضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه فى القبائل كلها ولا أظن هذا الحى بنى هاشم يطيقون حرب قريش كلها وأنهم اذا رأوا ذلك قبلوا العقل فتؤدى قريش ديته فقال ابليس صدق هذا الفتى القول ما قال لا أرى غيره فتفرقوا على قول أبى جهل فأتى جبريل النبى صلى الله عليه وسلم وأخبره بذلك وأمره أن لا يبيت فى مضجعه الذى كان يبيت فيه وأذن الله له عند ذلك بالخروج الى المدينة فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا رضى الله عنه فنام فى مضجعه وقال له تسج ببردى فانه لن يخلص اليك منهم أمر تكرهه ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ قبضة من تراب فأخذ الله أبصارهم عنه فجعل ينثر على رؤسهم التراب وهو يقرأ انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا الى قوله فهم لا يبصرون ومضى الى الغار من ثور هو وأبو بكر رضى الله عنه وخلف عليا رضى الله عنه بمكة حتى يؤدى عنه الودائع التى قبلها وكانت الودائع توضع عنده لصدقه وأمانته فلما أصبح المشركون ساروا الى على رضى الله عنه قالوا له أين صاحبك قال لا أدرى فاقتصوا أثره وأرسلوا فى طلبه فلما بلغوا الغار وكان الله قد أرسل العنكبوت فنسج على بابه فلما رأوه على بابه نسج العنكبوت قالوا لو دخله لم يكن نسج العنكبوت فمكث فيه ثلاثا ثم قدم المدينة فجعل كفار قريش فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر دية كل واحد منهما لمن قتله فبلغ ذلك سراقة بن مالك بن جعشم قال سراقة فأخذت رمحى وركبت فرسى وتبعتهم فلما دنوت منهم فعثرت بى فرسى فنزلت عنها فاستخرجت الازلام من كنانتى واستقسمت بها أضرهم أم لا فخرج الذى أكره فركبت فرسى وعصيت الازلام فسرت حتى اذا سمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات ساخت يدا فرسى فى الارض حتى بلغتا الركبتين فنزلت عنها ثم زجرتها فنهضت فلم تكد تخرج يديها فلما استوت قائمة اذا لأثر يديها غبار ساطع فى السماء مثل الدخان فاستقسمت بالازلام فخرج الذى أكره فناديتهم بالامان فوقفوا فركبت فرسى حتى جئتهم ووقع فى نفسى حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم ان سيظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له ان قومك قد جعلوا فيك الدية وأخبرتهم خبر ما يريد الناس بهم وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرزآنى ولم يسألانى الا أن قالا أخف عنا فسألته يكتب لى كتاب أمن فأمر عامر بن فهيرة فكتب فى رقعة من أدم ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزل الله فى مشاورة قريش فى أمر النبى صلى الله عليه وسلم واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك الآية ومن ذلك كفاية الله نبيه المستهزئين قال الله تعالى فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين انا كفيناك المستهزئين يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم فاصدع بما تؤمر ولا تخف أحدا غير الله فان الله كافيك من عاداك كما كفاك المستهزئين وهم خمسة نفر من رؤساء قريش الوليد بن المغيرة المخزومى وكان رأسهم والعاص بن وائل السهمى والاسود بن المطلب بن الحارث ابن أسد بن عبد العزى أبو زمعة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دعا عليه فقال اللهم أعم بصره واثكله بولده والاسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة والحرث بن قيس بن الطلاطلة فأتى جبريل محمدا صلى الله عليه وسلم والمستهزؤن يطوفون بالبيت فقام جبريل وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنبه فمر به الوليد بن المغيرة فقال جبريل يا محمد كيف تجد هذا قال بئس عبد الله قال قد كفيت وأومأ الى ساق الوليد فمر برجل من خزاعة نبال يريش نباله وعليه برد يمانى وهو يجر ازاره فتعلقت شظية من نبل بازاره فمنعه الكبر أن يطامن فينزعها وجعلت تضرب ساقه فخدشته فمرض منه ومات ومر به

فيثقل بها الميزان على قدر درجاتها عند الله تعالى بفضل الله وتطرح صحائف السيئات فى كفة الظلمة فيخف بها الميزان بعدل الله تعالى وان يؤمن بان الساعة حق وان الصراط حق وهو جسر ممدود على متن جهنم أحد من السيف وأدق من الشعرة تزل عليه أقدام الكافرين فيساقون الى النار وتثبت عليه أقدام المؤمنين فيساقون الى دار القرار وأن يؤمن بالحوض المورود حوض نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يشرب منه المؤمنون قبل دخول الجنة وبعد جواز الصراط من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا عرضه مسيرة شهر أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل حوله أباريق عددها عدد نجوم السماء فيه ميزابان يصبان من الكوثر ويؤمن بالحساب وتفاوت الخلق فيه الى مناقش فى الحساب والى مسامح فيه والى من يدخل الجنة بغير حساب وهم المقربون ويسأل من شاء من الانبياء عن تبليغ الرسالة ومن شاء من الكفار عن تكذيب المرسلين ويسأل المبتدعة عن السنة ويسأل المسلمين عن الاعمال ويؤمن باخراج المؤمنين الموحدين من النار بعد الانتقام حتى لا يبقى فى جهنم موحد بفضل الله تعالى ويؤمن بشفاعة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء ثم سائر المؤمنين كل واحد بحسب جاهه ومنزلته من الله عز وجل ومن بقى من المؤمنين ولم يكن له شفيع أخرج بفضل الله فلا يخلد فى النار

العاص بن وائل فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد قال بئس عبد الله فاشار جبريل الى أخمص رجله وقال قد كفيت فخرج على راحلته ومعه ابنان له يتنزه فنزل شعبا من تلك الشعاب فوطئ على شبرقة فدخلت منها شوكة فى أخمص رجله فقال لدغت لدغت فطلبوا فلم يجدوا شيأ وانتفخت رجله حتى صارت مثل عنق البعير فمات مكانه ومر به الاسود بن المطلب فقال جبريل كيف تجد هذا قال بئس عبد سوء فاشار بيده الى عينه وقال قد كفيت فعمى قال ابن عباس رماه جبريل بورقة خضراء فذهب بصره ووجعت عينه فجعل يضرب بوجهه الجدار حتى هلك وفى رواية الكلبى أتاه جبريل وهو قاعد فى أصل شجرة ومعه غلام له فجعل ينطح رأسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك فاستغاث بغلامه فقال غلامه لا أرى أحدا يصنع بك شيأ غير نفسك حتى مات وهو يقول قتلنى رب محمد ومر به الاسود بن عبد يغوث فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد قال بئس عبد الله على انه خالى فقال قد كفيت وأشار الى بطنه فاستسقى بطنه فمات حبنا وفى رواية الكلبى انه خرج من أهله فاصابه السموم فاسود حتى صار حبشيا فأتى أهله فلم يعرفوه وأغلقوا دونه الباب حتى مات وهو يقول قتلنى رب محمد ومر به الحارث بن قيس فقال جبريل كيف تجد هذا قال عبد سوء فأومأ الى رأسه وقال قد كفيت فامتخط قيحا فقتله وقال ابن عباس انه أكل حوتا مالحا فأصابه العطش فلم يزل يشرب من الماء حتى انقد بطنه فمات ذكر هذه الخمسة أبو محمد رحمه الله فى معالم التنزيل هكذا وزاد غيره ثلاثة عقبة بن أبى معيط وأبا لهب والحكم ابن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس فاما عقبة فهو عقبة بن أبى معيط قتله عاصم بن ثابت وقيل على رضى الله عنه بعد ان أسره عبد الله بن مسلمة وأما أبو لهب فهلك بالعدسة وهى قرحة كانت العرب تتشاءم بها ويرون أنها تعدى أشد العدوى فلما أصابته تباعد عنه بنوه وبقى بعد موته ثلاثا لا يقرب جنازته ولا يحاول دفنه فلما خافوا المسبة فى تركه حفروا له ثم دفعوه بعود فى حفرته وقذفوه بالحجارة من بعيد حتى واروه وأما الحكم فانه أسلم رضى الله عنه ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم ما روى أنه لما بنى المسجد قال لابى بكر رضى الله عنه أحتاج الى جذوع فقال لى بمكة بيت فيه جذوع نصلح فدعاها النبى صلى الله عليه وسلم فخلق الله تعالى لها أجنحة فطارت اليه وأصابه فى بعض أسفاره عطش فأتاهم غلام أسود براوية ماء فاستعملوها وهى باقية فمسح النبى صلى الله عليه وسلم وجه الغلام فابيض فرجع الى مواليه فقالوا الجمل لنا لا العبد فاخبرهم بالقصة فاسلموا وكان عند أنس رضى الله عنه منديل اذا اتسخ ألقاه فى النار فينظف ويقول ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يمسح به وجهه والنار لا تأكل شيأ مر على وجوه الانبياء وأعطى قتادة بن النعمان عرجونا وقال استضئ به حتى تأتى بيتك وستجد فى زاويته شيطانا فاضربه به قال قتادة رضى الله عنه فاضاء العرجون كالشمعة ووجدت فى الزاوية قنفذا فاحرقته به وحكى الشيخ سراج الدين بن الملقن رحمه الله تعالى عن بعض الحنفية انه قال قيل ظهر على يد نبينا صلى الله عليه وسلم ألف معجزة وقيل ثلاثة آلاف وانه ذكر ان من معجزاته انبات النخلة فى سنام البعير وادراك ثمرها فى الحال ثم تناولها الحاضرون فمن علم الله انه يؤمن كانت الثمرة حلوة فى فمه ومن علم أنه لا يؤمن عاد حجرا فى فمه

(الباب الخامس فى جمل من أخلاق نبينا صلى الله عليه وسلم)

قال الله تعالى وانك لعلى خلق عظيم قالت عائشة رضى الله عنها كان خلقه القرآن تعنى التادب بآدابه والتخلق بمحاسنه والالتزام باوامره وزواجره وقد قال صلى الله عليه وسلم بعثت لأتمم مكارم الاخلاق وقال أنس كان النبى صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا وكان عليه السلام أرجح الناس حلما وقال أيضا خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لى أف قط وما قال لشئ صنعته لم صنعته ولا لشئ تركته لم تركته وروى أنه لما كسرت رباعيته وشج وجهه يوم أحد شق ذلك على أصحابه وقالوا لو دعوت عليهم فقال انى لم أبعث لعانا ولكنى بعثت داعيا ورحمة اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون وكان صلى الله عليه وسلم أعظم الناس عفوا لا ينتقم لنفسه ولما تصدى له غورث بن الحارث ليقتله والسيف فى يده وقال لرسول الله من يمنعك منى قال له الله فسقط السيف من يده فقال له عليه الصلاة والسلام وقد أخذ

مؤمن بل يخرج منها من كان فى قلبه مثقال ذرة من الايمان وان يعتقد فضل الصحابة وترتيبهم وأن أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على رضى الله عنهم وان يحسن الظن بجميع الصحابة ويثنى عليهم كما أثنى الله تعالى ورسوله عليه السلام عليهم فكل ذلك مما وردت به الاخبار وشهدت به الآثار فمن اعتقد جميع ذلك موقنا به كان من أهل الحق وعصابة السنة وفارق أهل الضلالة فنسأل الله كمال اليقين والثبات على الدين لنا ولكافة المسلمين انه أرحم الراحمين

(فصل) فى وجه التدريج الى الارشاد واعلم أن الصبى فى أول نشوه مستعد لقبول الحق من غير برهان بفطرة الله تعالى فليلق اليه ترجمة العقيدة حتى يحفظ فلا يزال يفهم بعد ذلك شيأ فشيأ أو يترشح فى باطنه فلا يحتاج الى أن يثبت ذلك بالبراهين ثم لا يخوض العاقل فى طلب البراهين الا بقدر الحاجة والحاجة فيه أن يعرض له اشكال فيتصدى لما يزيله وأما الخوض فى علم الكلام على سبيل الابتداء فمثله كالقاء الرجل نفسه فى البحر ليسبح فانه ربما لا يسلم اعتقاده عند الاصغاء الى الشبه نعم ينبغى أن يكون فى الناس من يقوم به اذا مست الحاجة اليه فى دفع المبتدع أو ازالة شبهته (فصل) معنى الاسلام هو الاذعان والتسليم ومعنى الايمان هو قبول القلب والله

السيف من يمنعك مني فقال كن خيرآخذ فتركه وعفا عنه فجاء الى قومه فقال جئتكم من عند خير الناس وعفا عليه السلام عن اليهودية التي سمته فى الشاة بعد اعترافها على الصحيح ولم يؤاخذ لبيد بن الاعصم اذ سحره وكان صلى الله عليه وسلم أسخى الناس كفا ماسئل شيأ فقال لا وأعطى صفوان بن أمية غنما ملأت واديا بين جبلين فقال أرى محمدا يعطى عطاء من لا يخشى الفقر ورد على هوازن سباياهم وكانت ستة آلاف وأعطى العباس من الذهب مالم يطق حمله وحملت اليه تسعون ألف درهم فوضعت على حصير ثم قام اليها يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها وذكر عن معوذ بن عفراء قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم بقناع من رطب يعني طبقا واجر زغب يريد قثاء فاعطاني ملء كفه حليا وذهبا وكان صلى الله عليه وسلم أشجع الناس وقال ابن عمر ما رأيت أشجع ولا أنجد ولا أجود ولا أرضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال على بن أبي طالب كنا اذا حمى أو اشتد البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون أحد أقرب الى العدو منه ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا الى العدو وكان من أشد الناس يومئذ باسا وقيل كان الشجاع هو الذي يقرب منه صلى الله عليه وسلم لقربه من العدو وكان صلى الله عليه وسلم أشد الناس حياء قال أبو سعيد الخدري كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء فى خدرها وكان اذا كره شيأ عرفناه فى وجهه وعن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بلغه عن أحد ما يكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا ولكن يقول ما بال أقوام يصنعون و يقولون كذا ينهى عنه ولا يسمى فاعله وعن أنس رضى الله عنه انه عليه السلام كان لا يواجه أحدا بما يكره وعن عائشة رضى الله عنها قالت لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا سخابا بالاسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح وعنها ما رأيت فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قط وكان أوسع الناس صدرا وأصدق الناس لهجة وألينهم عريكة وأكرمهم عشرة هذا من كلام على رضى الله عنه فى صفته وعن قيس بن سعد قال زارنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أراد الانصراف قرب سعد له حمارا وطأ عليه بقطيفة فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال سعد يا قيس اصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قيس فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم اركب فابيت فقال اما أن تركب واما ان تنصرف فانصرفت وفى رواية اركب امامى فصاحب الدابة أحق بمقدمها وعن عائشة رضى الله عنها فى حديث عنه صلى الله عليه وسلم انه ما دعاه أحد من أصحابه ولا أهل بيته الا قال لبيك وقال جرير ما حجبني رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسلمت ولا رآني الا تبسم وكان صلى الله عليه وسلم يمازح أصحابه ويخالطهم ويحادثهم ويلاعب صبيانهم ويجلسهم فى حجره ويجيب دعوة الحر والعبد والامة والمسكين ويعود المرضى فى أقصى المدينة ويقبل عذر المعتذر قال أنس ما التقم أحد أذن النبي صلى الله عليه وسلم فينحى رأسه وما أخذ بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخذ ولم ير مقدما ركبته بين يدى جليس له وكان يبدأ من لقيه بالسلام ويبدأ أصحابه بالمصافحة ولم ير قط مادا رجليه بين أصحابه حتى يضيق بهما على أحد ويكرم من يدخل عليه وربما يبسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة التي تحته ويعزم عليه فى الجلوس عليها ان أبى ويكنى أصحابه ويدعوهم بأحب أسمائهم تكرمة لهم ولا يقطع على أحد حديثه وروى أنه كان لا يجلس اليه أحد وهو يصلى الا خفف صلاته وسأله عن حاجته فاذا فرغ عاد الى صلاته وكان أكثر الناس تبسما وأطيبهم نفسا ما لم ينزل عليه قرآن أو يعظ أو يخطب قال عبد الله بن الحارث ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما شفقته صلى الله عليه وسلم على خلق الله ورأفته بهم ورحمته لهم فقد قال الله تعالى فيه عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم وقال وما أرسلناك الا رحمة للعالمين قال بعضهم من فضله عليه السلام ان الله أعطاه اسمين من أسمائه فقال بالمؤمنين رؤف رحيم ومن ذلك تخفيفه وتسهيله عليهم وكراهته أشياء مخافة أن تفرض عليهم كقوله لولا أن أشق على أمتي لامرتهم بالسواك مع كل وضوء ونهيهم عن الوصال وكراهته دخول الكعبة لئلا يعنت أمته ورغبته لربه أن يجعل سبه ولعنه لهم

رحمة

تعالى ذكرهما فى القرآن مرة فاراد بهما شيأ واحدا فقال تعالى فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ولم يكن الا بيت واحد وذكرهما مرة بمعنيين مختلفين فى قوله تعالى قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا يعنى أذعنتم ولم تنشرح به صدوركم

(الباب الثالث فى أسرار الطهارة)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الوضوء شطر الايمان وقال عليه السلام بنى الدين على النظافة وقال مفتاح الصلاة الطهور وقال تعالى فيه رجال يحبون أن يتطهروا الآية وللطهارة أربع مراتب الاولى تطهير الظاهر عن الاحداث والثانية تطهير الجوارح عن الجرائم والآثام والثالثة تطهير القلب عن الاخلاق الذميمة والرابعة تطهير السر عما سوى الله تعالى وهى طهارة الانبياء والصديقين والطهارة فى كل رتبة نصف العمل الذى فيها ففى كل رتبة تخلية وتحلية والتخلية نصف عمل العمل لكون الآخر موقوفا عليه واليه أشار بقوله تعالى قل الله ثم ذرهم فقوله ثم ذرهم تخلية عما سوى الله وكذلك فى القلب لابد من تخليته عن الاخلاق الذميمة ثم تحليته بالاخلاق المحمودة وكذلك فى الجوارح لابد من تخليتها من الآثام ثم تحليتها بالطاعة وكل واحد من هذه المراتب شرط الخوض فيما بعده فتطهير الظاهر ثم تطهير الروح ثم تطهير القلب ثم

رحمة وانه كان يسمع بكاء الصبي فيتجاوز فى صلاته ولما كذبه قومه أتاه جبريل عليه السلام فقال ان الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد أمر ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فناداه ملك الجبال وسلم عليه وقال مرني بما شئت فيهم ان شئت ان أطبق عليهم الاخشبين قال النبي صلى الله عليه وسلم بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيأ وروى ابن المنكدر ان جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله أمر الارض والسماء والجبال ان تطيعك فقال أؤخر عن أمتي لعل الله أن يتوب عليهم قالت عائشة ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين الا اختار أيسرهما وقال ابن مسعود كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة مخافة السآمة علينا وروى انه عليه السلام قال لا يبلغنى أحد منكم عن أحد من أصحابى شيأ فانى أحب أن أخرج اليكم وأنا سليم الصدر وكان صلى الله عليه وسلم أوصل الناس لرحم وأقومهم بالوفاء وحسن العهد وقال عبد الله بن أبي الحمساء بايعت النبي صلى الله عليه وسلم ببيع قبل أن يبعث وبقيت له بقية فوعدته أن آتيه بها فى مكانه ثم نسيت ثم ذكرت بعد ثلاث فجئته فاذا هو فى مكانه فقال يا فتى لقد شققت على انا ههنا منذ ثلاثة أنتظرك وعن أنس رضى الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا أتى بهدية قال اذهبوا بها الى بيت فلانة فانها كانت صديقة لخديجة انها كانت تحب خديجة وعن أبي قتادة جاء وفد للنجاشى فقام النبي صلى الله عليه وسلم يخدمهم فقال له أصحابه نكفيك فقال انهم كانوا لاصحابنا مكرمين وانى أحب أن أكافئهم ولما جىء بأخته من الرضاعة الشيما فى سبى هوازن بسط لها رداءه وخيرها بين المقام عنده والتوجه الى أهلها فاختارت قومها فمتعها وكان صلى الله عليه وسلم أشد الناس تواضعا على علو منصبه فمن ذلك ان الله خيره بين أن يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا فاختار أن يكون نبيا عبدا فقال له اسرافيل عند ذلك فان الله قد أعطاك بما تواضعت له انك سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من تنشق عنه الارض وأول شافع وخرج على قوم من أصحابه فقاموا له فقال لا تقوموا كما تقوم الاعاجم يعظم بعضها بعضا وقال انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد وكان يركب الحمار ويردف خلفه ويعود المساكين ويجالس الفقراء ويجيب دعوة العبد ويجلس بين أصحابه مختلطا بهم حيثما انتهى به المجلس جلس وقال لامرأة أتته فى حاجة اجلسى يا أم فلان فى أى طرق المدينة شئت أجلس اليك حتى أقضى حاجتك فجلست وجلس وكان يدعى الى خبز الشعير والاهالة السنخة فيجيب وحج على رحل رث عليه قطيفة ما تساوى أربعة دراهم وأهدى فى حجه ذلك مائة بدنة وكان يبدأ من لقيه بالسلام وعن أنس أنه مر على صبيان فسلم عليهم وكان فى بيته فى مهنة أهله يفلى ثوبه ويحلب شاته ويخصف نعله ويخدم نفسه ويعلف ناضحه ويقم البيت ويعقل البعير ويأكل مع الخادم ويعجن معها ويحمل بضاعته من السوق وعن أنس انه كانت الامة تأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت تقضى حاجتها وكان صلى الله عليه وسلم يسمى الامين قبل النبوة لما عرفوا من أمانته وعدله وعن الربيع بن خثيم قال كان يتحاكم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجاهلية قبل الاسلام وقال النضر بن الحارث لقريش قد كان محمد فيكم غلاما حدثا أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثا وأعظمكم أمانة حتى اذا رأيتم فى صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر لا والله ما هو ساحر وكان صلى الله عليه وسلم يحب الطيب والرائحة الطيبة الحسنة ويستعملها كثيرا ويحض عليها وأما زهده فى الدنيا فقد توفى ودرعه مرهونة عند يهودى فى نفقة عياله وكان يدعو اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا قالت عائشة رضى الله عنها ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام تباعا من خبز بر حتى مضى لسبيله وفى رواية من خبز شعير يومين متوالين وقالت ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا قالت واقد مات وما فى بيتى شئ يأكله ذو كبد الاشطر صاع شعير فى رف لى وقال انى عرض على أن يجعل لى بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يارب بل أجوع يوما وأشبع يوما فأما اليوم الذى أجوع فيه فأتضرع اليك وأدعوك وأما اليوم الذى أشبع فيه فأحمدك وأثنى عليك وقال ابن عباس رضى الله عنهما كان صلى الله

تطهير السر فلا ينبغى أن تظن أن المراد بالطهارة تطهير الظاهر فحسب فيفوتك ماهو المقصود ولا تظن أن هذه المراتب فى الظاهر تدرك بالمنى وتنال بالهوينا فانك لو شمرت له طول عمرك فربما تفوز فيه ببعض المقاصد

(فصل) فى طهارة الاحداث وهى الوضوء والغسل والتيمم ويتقدمها الاستنجاء ونحن نورد كيفيتها بآدابها وسننها مبتدئين بقضاء الحاجة لانه سبب الوضوء (آداب قضاء الحاجة) ينبغى أن يبعد عن نظر الناظرين اليه فى الصحراء وأن يستتر بشئ ان وجده ولا يكشف عورته قبل الانتهاء الى موضع الجلوس وأن لا يستقبل القبلة ولا يستدبرها وان لا يستقبل الشمس والقمر الا اذا كان فى بناء والعدول فى الابنية أيضا مستحب ولا يبول فى الماء الراكد ولا تحت الشجرة المثمرة ولا فى الجحر ويتوقى المواضع الصلبة ومهاب الرياح احترازا من الرشاش ويقدم الرجل اليسرى فى دخوله واليمنى فى خروجه من البناء ولا يبول قائما ولا يبول فى المغتسل فانه عليه السلام قال عامة الوسواس منه ولا يستصحب شيأ عليه اسم الله أو رسوله عليه السلام ولا يدخل بيت الماء حاسر الرأس ويقول عند الدخول بسم الله أعوذ بالله من الخبث والخبائث أو من الخبث الشيطان الرجيم وعند الخروج

عليه وسلم يبيت هو وأهله الليالى المتتابعة طاويا لايجدون عشاء وكان يقول لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وفى حديث المغيرة صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه وقال عوف بن مالك كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فاستاك ثم توضأ فقمت معه فبدأ فاستفتح البقرة فلا يمر بآية رحمة الا وقف وسأل ولا آية عذاب الا وقف فتعوذ ثم ركع فمكث بقدر قيامه يقول سبحان ذى الجبروت والملكوت والعظمة ثم سجد وقال مثل ذلك ثم قرأ آل عمران ثم سورة سورة يفعل مثل ذلك وعن عائشة رضى الله عنها قالت قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بآية من القرآن ليلة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لاستغفر الله فى اليوم مائة مرة

(الباب السادس فى فضل الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم)

قال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما أمر الله تعالى المؤمنين كافة بعد ندائهم بخطابه الشفاهى بما ذكر من الصلاة والتسليم مؤسسا بان الله وملائكته يفعلون ذلك أى انه أمركم به ليس لحاجة له الى ذلك بل لقصد تشريفكم لما آمنتم به بأمر توافقون فيه مالك الملك الاعظم تعالى وخواص عباده الصالحين المكرمين مع أن النبى صلى الله عليه وسلم الذى هداكم الله به اليه وارشدكم على لسانه الى كل ما يزلف لديه قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام رحمه الله ليست الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم شفاعة منا له فان مثلنا لا يشفع لمثله ولكن الله سبحانه وتعالى أمرنا بمكافأة من أنعم علينا وأحسن الينا فان عجزنا عن مكافاته دعونا له ان يكافئه عنا ولما عجزنا عن مكافاة سيد الاولين والآخرين أمرنا رب العالمين أن نرغب اليه وأن نصلى عليه لتكون صلاتنا عليه مكافاة باحسانه الينا وافضاله علينا ولا احسان أفضل من احسانه صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشرا رواه مسلم قال القاضى عياض رحمه الله قوله صلى الله عليه وسلم من صلى على واحدة صلى الله عليه عشرا معناه رحمته وتضعيف أجره كقوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها قال وقد تكون الصلاة على وجهها وظاهرها تشريفا بين الملائكة كما جاء فى الحديث وان ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه والله أعلم وعن أبى بن كعب رضى الله عنه انه قال قلت يا رسول الله انى أكثر الصلاة فكم أجعل لك من صلاتى قال ما شئت قلت الربع قال ما شئت وان زدت فهو خير قلت النصف قال ما شئت وان زدت فهو خير قال أجعل لك صلاتى كلها قال اذا تكفى همك ويغفر لك ذنبك رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح قال النووى قوله أكثر الصلاة فكم أجعل لك من صلاتى معناه أكثر الدعاء فكم أجعل لك من دعائى صلاة عليك قال صلى الله عليه وسلم أولى الناس بى يوم القيامة أكثرهم على صلاة حسنه الترمذى وقال صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا قبرى عيدا وصلوا على فان صلاتكم تبلغنى حيث كنتم رواه أبو داود باسناد صحيح وقال صلى الله عليه وسلم ما من احد يسلم على الا رد الله على روحى حتى أرد عليه السلام رواه أبو داود باسناد صحيح وقال صلى الله عليه وسلم ان أنجاكم يوم القيامة من أهوالها ومواطنها أكثركم على صلاة وقال صلى الله عليه وسلم من نسى الصلاة على نسى طريق الجنة وقال صلى الله عليه وسلم من صلى على فى كل يوم ألف مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة قال أبو الليث السمرقندى رحمه الله لو لم يكن للصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ثواب سوى أنه يرجو بذلك الشفاعة لكان الواجب على العاقل ان لا يغفل عنها فكيف وفيها مغفرة للذنوب وفيها الصلاة من الله تعالى قال واذا أردت أن تعرف أن الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم أفضل من سائر العبادات تفكر فى قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما فسائر العبادات أمر الله تعالى عباده بها وأما الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فقد صلى عليه بنفسه ثم أمر المؤمنين بان يصلوا عليه فثبت بهذا أن الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم أفضل من العبادات قال النووى رحمه الله اذا صلى على النبى صلى الله عليه وسلم فليجمع بين الصلاة والتسليم ولا يقتصر على أحدهما وحكى الغزالى رحمه الله

الحمد لله الذى أذهب عنى ما يؤذينى وأبقى فى ما ينفعنى ويكون فى الدخول والخروج ذاكرا الله تعالى خارج بيت الماء وأن يبعد النبل قبل الجلوس وأن لا يستنجى فى موضع قضاء الحاجة وأن يستبرئ من البول بالتنحنح والنتر ثلاثا وامرار اليد على أسفل القضيب وان غلب عليه الوسواس فليرش الماء على سراويله وفى الخبر أنه عليه السلام فعل ذلك أعنى الرش ونهى أن يستنجى بروث أو عظم ويستنجى بثلاثة أحجار ويستحب أن يجمع بين الماء والحجر واستعمال الحجر أن يضعه على المؤخر ويمربها الى المقدم وان قدر على الادارة كان أولى والانقاء لا بد منه والايتار مستحب (كيفية الوضوء) ولم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم خارجا من الغائط الا توضأ قال عليه السلام لا يحافظ على الوضوء الا مسلم وينبغى أن يبتدئ بالسواك قال عليه السلام صلاة على أثر سواك أفضل من خمس وسبعين صلاة بغير سواك ثم يجلس للوضوء فيقول بسم الله الرحمن الرحيم قال عليه السلام لا وضوء لمن لم يسم الله تعالى ويقول أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب ان يحضرون ثم يغسل يديه ثلاثا قبل ان يدخلهما الاناء ويقول اللهم انى أسألك اليمن والبركة وأعوذ بك من الشؤم والهلكة وينوى رفع الحدث أو استباحة الصلوات ويستديم النية الى غسل الوجه

فى الاحياء عن بعضهم قال كنت أكتب الحديث وأصلى على النبى صلى الله عليه وسلم فيه ولا أسلم فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال صلى الله عليه وسلم أما تتم الصلاة على فى كتابك فما كتبت بعد ذلك الا صليت وسلمت قال النووى رحمه الله يستحب لقارئ الحديث وغيره ممن فى معناه اذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرفع صوته بالصلاة عليه والتسليم ولا يبالغ فى الرفع مبالغة فاحشة قال وممن نص على رفع الصوت الامام الاعظم الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادى وآخرون وقد نص العلماء من أصحابنا وغيرهم على أنه يستحب أن يرفع صوته بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التلبية وحكى ابن الملقن رحمه الله ان مشطاح الصوفى رحمه رؤى بعد موته فى المنام وكان ماجنا فقيل ما فعل الله بك قال غفر لى قيل باى شئ قال استمليت على بعض المحدثين مسندا فصلى الشيخ على النبى صلى الله عليه وسلم فصليت أنا ورفعت صوتى فصلى أهل المجلس عليه فغفر لنا ذلك اليوم وعن أبى بيان الاصفهانى رحمه الله قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فقلت له هل انفعت ابن عمك الشافعى بشئ أو خصصته بشئ قال نعم سألت ربى أن لا يحاسبه فقلت بم قال لانه كان يصلى على صلاة لم يصل على بمثلها قلت وما هى قال كان يقول اللهم صل على محمد كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون وعن ابن عبد الحكم قال رأيت الشافعى فى المنام فقلت ما فعل الله بك قال رحمنى وغفر لى وزففت فى الجنة كما تزف العروس ونثر على كما ينثر على العروس فقلت بم بلغت هذا الحال فقال بقولى فى كتاب الرسالة وصلى الله على محمد عدد ما ذكره الذاكرون وعدد ما غفل عن ذكره الغافلون

(فصل) فى ذكر المواضع التى وردت فيها الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم بخصوصها الموضع الاول فى الصلوات عن عقبة بن عامر رضى الله عنه أن رجلا قال يا رسول الله أما السلام عليك فقد عرفناه فكيف نصلى عليك اذا نحن صلينا عليك فى صلاتنا فقال اذا صليتم على فقولوا اللهم صل على محمد النبى الامى وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وبارك على محمد النبى الامى وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد رواه الدارقطنى الثانى بعد الاذان عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه انه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على فانه من صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لى الوسيلة فانها منزلة فى الجنة لا تنبغى الا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لى الوسيلة حلت له شفاعتى رواه مسلم الثالث عند دخول المسجد قال أنس رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال بسم الله اللهم صل على محمد واذا خرج قال بسم الله اللهم صل على محمد الرابع فى أول الدعاء وآخره وقد أوجبه بعض العلماء عن فضالة بن عبيد رضى الله عنه قال سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو الله فى صلاته لم يحمد الله تعالى ولم يصل على النبى صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجل هذا ثم دعاه فقال له أو لغيره اذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد ربه سبحانه وتعالى والثناء عليه ثم يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ثم يدعو بعده بما شاء رواه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن صحيح وروى الترمذى عن عمر رضى الله عنه انه قال الدعاء موقوف بين السماء والارض لا يصعد منه شئ حتى تصلى على نبيك محمد صلى الله عليه وسلم الخامس فى كل مجلس وأوجب ذلك بعض العلماء عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما جلس قوم مجلسا لم يذكروا الله تعالى فيه ولم يصلوا على نبيه الا كان عليهم ترة فان شاء عذبهم وان شاء غفر لهم رواه الترمذى السادس فى يوم الجمعة وليلتها وعن أوس بن أوس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من أفضل أيامكم يوم الجمعة فاكثروا على من الصلاة فيه فان صلاتكم معروضة على فقالوا يا رسول الله كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت أى بليت قال ان الله حرم على الارض أجساد الانبياء رواه أبو داود والنسائى وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثروا الصلاة على ليلة الجمعة ويوم الجمعة فمن صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشرا رواه

ثم يأخذ غرفة لفيه بيمينه فيتمضمض بها ثلاثا ويبالغ فى المضمضة والاستنشاق الا أن يكون صائما فيرفق ويقول اللهم أعنى على قراءة كتابك وكثرة الذكر لك ثم يغرف لانفه ويستنشق بغرفة واحدة ثلاثا ويستنثر ما فيه ويقول فيه اللهم أوجد لى رائحة الجنة وأنت عنى راض ويقول فى الاستنثار اللهم انى أعوذ بك من روائح النار ومن سوء الدار ثم يغرف غرفة لوجهه ويغسل من مبتدأ سطح الجبهة الى منتهى ما يقبل من الذقن طولا ومن الاذن الى الاذن عرضا ولا يجب غسل النزعتين فهما من الرأس ويجب ايصال الماء الى موضع التحذيف وهو ما يعتاد النساء تنحية الشعر عنه ويجب ايصال الماء الى منابت الشعور الاربعة وهى الشاربان والحاجبان والهدبان والعذاران ويجب ايصال الماء الى ما يقبل من الوجه اذا كانت اللحية خفيفة دون الكثيفة وحكم العنفقة كحكم اللحية فى الكثافة والخفة ويفيض الماء على ظاهر ما استرسل من اللحية ويدخل الاصابع فى محاجر العينين ومواضع الرمص ومجتمع الكحل وينقيهما ويقول اللهم بيض وجهى بنورك يوم تبيض فيه وجوه أوليائك ولا تسود وجهى بظلماتك يوم تسود وجوه أعدائك وتخليل اللحية مستحب ثم يغسل يديه مع المرفقين ثلاثا ويحرك الخاتم ويطيل الغرة فانه روى ان الحلية تبلغ موضع الوضوء ويبدأ باليمنى ويقول اللهم

البيهقي وروى عنه عليه السلام انه قال من صلى على يوم الجمعة ثمانين مرة غفرت ذنوبه السابع كلما ذكر وأوجبه بعض العلماء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل على ورغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجفاء أن أذكر عند الرجل ولم يصل على وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ألا أدلكم على خير الناس وشر الناس وأكسل الناس وأبخل الناس وألأم الناس وأسرق الناس قيل بلى يا رسول الله قال خير الناس من انتفع به وشر الناس من شقي به أخوه المسلم وأكسل الناس من أرق في ليلة ولم يذكر الله بلسانه وجوارحه وألأم الناس من اذا ذكرت عنده فلم يصل على وأبخل الناس من يبخل بالتسليم على الناس وأسرق الناس من يسرق صلاته قيل يا رسول الله كيف يسرق صلاته قال لا يتم سجودها ولا ركوعها وعن عائشة رضي الله عنها قالت كنت أخيط شيأ في السحر فسقطت الابرة وطفي السراج فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاضاء البيت من نور وجهه ووجدت الابرة فقلت ما أضوأ وجهك يا رسول الله فقال الويل لمن لم يرني يوم القيامة قالت قلت ومن الذي لم يرك يوم القيامة يا رسول الله قال البخيل قلت ومن هو البخيل يا رسول الله قال الذي اذا ذكرت عنده لم يصل على الثامن عند اللقاء والمصافحة روى ابن السني عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من عبدين متحابين في الله يستقبل أحدهما صاحبه فيصافحه فيصليان على النبي صلى الله عليه وسلم الا لم يتفرقا حتى تغفر ذنوبهما ما تقدم منها وما تأخر التاسع عند الصباح والمساء قال صلى الله عليه وسلم من صلى على حين يصبح عشرا وحين يمسي عشرا أدركته شفاعتي يوم القيامة العاشر عند تعسر الامور قال صلى الله عليه وسلم من تعسر عليه شئ فليكثر من الصلاة على فانها تحل العقد وتكشف الكرب وحكى الشيخ سراج الدين بن الملقن رحمه الله عن الفاكهاني أنه روى عن الشيخ موسى الضرير رحمه الله أنه ركب مركبا في البحر المالح قال فثارت علينا ريح تسمى الاقلابية قل من ينجو منها من الغرق قال فنمت فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول قل لاهل المركب يقولون ألف مرة اللهم صل على محمد صلاة تنجينا بها من جميع الاهوال والآفات وتقضي بها جميع الحاجات وتطهرنا بها من جميع السيئات وترفعنا بها عندك أعلى الدرجات وتبلغنا بها أقصى الغايات من جميع الخيرات في الحياة وبعد الممات قال فاستيقظت وأخبرت أهل المركب بالرؤيا وصلينا على النبي صلى الله عليه وسلم نحو ثلثمائة مرة ففرج الله عنا تلك الشدة الحادي عشر عند كتابة اسمه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب وحكى ابن الملقن رحمه الله أن بعض أصحاب الحديث رؤي في المنام فقيل له ما فعل الله بك قال غفر لي فقيل له بماذا قال بصلاتي في كتبي على النبي صلى الله عليه وسلم الثاني عشر عند طنين الاذن روى ابن السني عن أبي رافع رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا طنت أذن أحدكم فليذكرني وليصل على وليقل ذكر الله من ذكرني بخير الثالث عشر عند خدر الرجل روى عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه خدرت رجله فقال له رجل أذكر أحب الناس اليك فقال يا محمد صلى الله عليه وسلم فكأنما نشط من عقال

(فصل) قال في تسهيل المقاصد للصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فضيلة على سائر نوافل الطاعات وفي صحيح مسلم ما يقتضي تفضيلها على الصلاة النافلة ونقل في الشفاء انها أفضل من العتق قيل والمعنى فيه انه صلى الله عليه وسلم قال من صلى على صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشرا ومن صلى عليه الله ذكره ومن ذكره حصل له بذكره الشرف واختلفوا في المعنى الذي شرع لنا أن نصلي عليه فقال النيسابوري لانه ينتفع بدعائنا ألا ترى الى قوله صلى الله عليه وسلم سلوا لي من الله الوسيلة ليعلم أن الغني في الحقيقة هو الله تعالى وقال الحليمي يجوز أن الله تعالى جعل اعطاء الوسيلة موقوفا على دعائنا وكذلك الشفاعة قال النيسابوري وقيل ان لم يكن محتاجا الى دعائنا فنحن محتاجون الى شفاعته وأمرنا بالصلاة عليه لحفظ الشفع لنا بها ألا ترى انه أمرنا بعد خته وبالاستغفار لاصحابه من غير حاجة لهم اليها قال النيسابوري ويقال أمرك بالصلاة عليه لانه تعالى

أعطني كتابي بيميني وحاسبني حسابا يسيرا ويقول عند غسل الشمال اللهم انى أعوذ بك أن تعطيني كتابي بشمالي أو من وراء ظهري ثم يستوعب رأسه بالمسح بان يبل يديه ويلصق رؤس أصابع اليمنى باليسرى ويضعهما على مقدم الرأس ويمرهما الى القفا ويردهما الى المقدم هكذا يفعل ثلاث مرات ويقول اللهم غشني برحمتك وأنزل على من بركتك وأظلني تحت عرشك يوم لا ظل الا ظلك ثم يمسح أذنيه ظاهرهما وباطنهما بماء جديد فيدخل مسبحتيه في صماخي أذنيه ويدير ابهاميه على ظاهرهما ثم يضع الكف على الاذنين استظهارا ويكرره ثلاثا ويقول اللهم اجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه اللهم أسمعني منادي الجنة مع الابرار ثم يمسح رقبته لقوله عليه السلام مسح الرقبة أمان من الغل يوم القيامة ويقول اللهم أعتق رقبتي من النار ثلاثا وأعوذ بك من السلاسل والاغلال ثم يغسل رجله اليمنى ثلاثا ويخلل بخنصر يده اليسرى من أسفل أصابع الرجل اليمنى ويبدأ من الخنصر من الرجل اليمنى ويختم بالخنصر من اليسرى ويقول اللهم ثبت قدمي على الصراط يوم تزل الاقدام في النار ويقول عند غسل القدم اليسرى اللهم انى أعوذ بك أن تزل قدمي عن الصراط يوم تزل أقدام المنافقين ويرفع الماء الى أنصاف

اراد

أراد أن عن عليك به وبك عليه والاحسن أن يقال ان الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم هدية منك اليه والهدية توجب المكافأة والمحبة والوصلة والقرب ولهذا قال صلى الله عليه وسلم أقربكم مني مجلسا يوم القيامة أكثركم على صلاة فهو وان لم يكن محتاجا الى صلاتنا فنحن محتاجون الى التودد والتقرب اليه بهذه الهدية والتحية رغبة في القرب منه وطمعا في المكافأة لشفاعته صلى الله عليه وسلم ولو لم يكن فيها الا اظهار المحبة كان ذلك كافيا قال بعضهم واظهار المحبة يوجب النعمة كما أن اظهار العداوة يوجب النقمة ألا ترى أن الوزغ حين نفخ النار على ابراهيم صلى الله عليه وسلم كان نفخه لا يصل الى النار ولا الى قريب منها استوجب النقمة لاظهار العداوة والبغضة وقد أمر صلى الله عليه وسلم بقتله وقال انه كان ينفخ على نار ابراهيم صلى الله عليه وسلم وعلى سائر الانبياء والمرسلين *(مسئلة)* قال القاضي عياض رحمه الله اختلف شيوخنا في جواز الدعاء للنبي صلى الله عليه وسلم بالرحمة فذهب بعضهم وهو اختيار ابن عبد البر الى انه لا يقال وأجازه غيره وهو مذهب أبي محمد بن أبي زيد وحجة الاكثرين تعليم النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة عليه وليس فيها ذكر الرحمة والمختار أنه لا يذكر الرحمة *(حكايات)* جاءت في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (الاولى) قال ابن الملقن رحمه الله روى أن امرأة جاءت الى الحسن البصري فقالت يا شيخ توفيت لي ابنة وأريد أن أراها في المنام فقال الحسن صلى أربع ركعات واقرئي في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وسورة ألهاكم مرة وذلك بعد صلاة العشاء الآخرة ثم اضطجعي وصلي على النبي صلى الله عليه وسلم حتى ترقدي ففعلت فرأتها في المنام وهي في العقوبة وعليها لباس من قطران ويداها مغلولة ورجلها مسلسلة بسلاسل من النار فلما انتبهت جاءت الى الحسن البصري وأخبرته بالقصة فقال تصدقي لعل الله أن يعفو عنها ثم في تلك الليلة رأى الحسن في النوم كأنه في روضة من رياض الجنة ورأى سريرا منصوبا وعليه جارية حسناء جميلة وعلى رأسها تاج من النور فقالت له يا حسن أتعرفني فقال لا فقالت أنا ابنة تلك المرأة التي أمرتها بالصدقة فقال لها الحسن بغير هذا وصفت لي حالك فقالت هو كما قالت قال فبم اذا بلغت هذه المنزلة فقالت كنا سبعين ألف نفس في العقوبة كما وصفت لك والدتي فعبر واحد من الصالحين على قبورنا وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم مرة واحدة وجعل ثوابها لنا فاعتقنا الله تعالى من العقوبة ببركته وبلغ نصيبي ما قد شاهدته (الثانية) حكى أبو الليث عن سفيان الثوري أنه قال كنت أطوف فاذا أنا برجل لا يرفع قدما ولا يضع قدما الا ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم فقلت له يا هذا انك قد تركت التسبيح والتهليل وأقبلت بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فهل عندك من هذا شئ فقال من أنت عافاك الله فقلت أنا سفيان الثوري فقال لولا أنك غريب في أهل زمانك لما أخبرتك عن حالي ولا أطلعتك على سري ثم قال خرجت أنا ووالدي حاجين الى بيت الله الحرام حتى اذا كنت في بعض المنازل مرض والدي فقمت لاعالجه فبينما أنا ذات ليلة عند رأسه اذ مات واسود وجهه فقلت انا لله وانا اليه راجعون مات والدي فاسود وجهه فجذبت الازار على وجهه فغلبتني عيناي فنمت فاذا أنا برجل لم أر أجمل منه وجها ولا أنظف منه ثوبا ولا أطيب منه ريحا يرفع قدما ويضع أخرى حتى دنا من والدي فكشف الازار عن وجهه فمر بيده على وجهه فعاد وجهه أبيض ثم ولى راجعا فتعلقت بثوبه فقلت يا عبد الله من أنت الذي من الله على والدي بك في ديار الغربة فقال أو ما تعرفني أنا محمد بن عبد الله صاحب القرآن أما ان والدك كان مسرفا على نفسه ولكن كان يكثر الصلاة على فلما نزل به ما نزل فاستغاث بي وأنا غياث لمن يكثر الصلاة على فانتبهت فاذا وجهه أبيض (الثالثة) حكى القاضي شرف الدين البارزي رحمه الله في كتاب توثيق عرا الايمان عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن موسى بن النعمان أنه قال قفلنا مع الحاج سنة سبع وثلاثين وستمائة فعرضت لي حاجة في الطريق فنزلت عن راحلتي فغلبني النوم فنمت فلم أنتبه الى آخر النهار فلما انتبهت فاذا أنا في برية قفراء ذهالى ما رأيت فمشيت في البرية ولا أدري أين أروح ودخل على الليل وقويت على الوحشة والخوف واشتد على العطش وأشرفت على التلف وعاينت الهلاك وأيست من الحياة فناديت في ظلام الليل يا محمداه يا محمداه أنا مستغيث بك فلم أتم الكلام حتى سمعت قائلا يقول لي أرشد فنظرت فاذا أنا

الساقين واذا فرغ قال أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ويقول سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا أنت عملت سوأ وظلمت نفسي أستغفرك وأتوب اليك فاغفر لي وتب على انك أنت التواب الرحيم اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين واجعلني من عبادك الصالحين واجعلني صبورا شكورا واجعلني أذكرك ذكرا كثيرا وأسبحك بكرة وأصيلا فمن فعل هذا ختم على وضوئه بخاتم ورفع له تحت العرش يسبح الله تعالى ويقدسه ويكتب له ثوابه الى يوم القيامة ويكره في الوضوء أن يزيد على الثلاث وان يسرف في الماء ويكره أن ينفض اليد فيرش الماء وان يتكلم في أثناء الوضوء (كيفية الغسل) أن يستنجي ويتوضأ كما سبق ويؤخر غسل الرجلين فيصب الماء على شقه الايمن ثم على شقه الايسر ثلاثا ثم يدلك ما أقبل من بدنه وما أدبر ويخلل الشعر ويوصل الماء الى منابت الشعر خف أو كثف فان تحت كل شعرة جنابة وليس على المرأة أن تنقض الضفائر الا اذا علمت ان الماء لا يصل الى خلالها ويتحفظ أن لا يمس الذكر فينتقض الوضوء وليتعهد معاطف البدن ولا ينسى النية في افتتاح الغسل والواجب في الوضوء النية عند غسل الوجه وغسل اليدين الى المرفقين والمسح وغسل الرجلين الى الكعبين والموالاة ليست واجبة في الاغتسال والاغسال الواجبة أربعة الغسل لخروج

بشخص فأخذ بيدى فزال عنى ما كنت أجده من التعب والعطش وأنست به ثم سار بى ساعة فبينما أنا كذلك اذ سمعت الحاج والدليل ينادى بالناس وقد أوقد لهم نارا يهتدون بها فنظرت فاذا أنا براحلتى قدامى واقفة فصحت من فرحى بها فقال لى دونك وراحلتك ثم رفعنى بيده فوضعنى على راحلتى وتركنى وهو يقول نحن لانخيب من طلبنا واستغاث بنا فعلمت عند ذلك أنه النبى صلى الله عليه وسلم فرأيت أنواره تلوح فى ظلام الليل وهو ماض صلوات الله وسلامه عليه وقد لحقنى من الشدة شئ عظيم كيف لم أقبل يديه ورجليه (الرابعة) حكى عن أبى الخير الاقطع أنه قال قدمت مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فأقمت فيها خمسة أيام ماذقت شيأ فتقدمت الى القبر الشريف وسلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى صاحبيه وقلت يارسول الله أنا ضيفك الليلة وتنحيت ونمت خلف القبر فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام وأبو بكر عن يمينه وعمر عن يساره وعلى بين يديه فحركنى على وقال قم قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقمت اليه وقبلت بين عينيه فأعطانى رغيفا فأكلت نصفه وانتبهت وفى يدى نصفه

(فصل فى الصلاة على الانبياء) وآلهم تبعا لهم صلوات الله وسلامه عليهم من كتاب الاذكار للشيخ محيى الدين النووى رحمه الله قال أجمعوا على الصلاة على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كذلك أجمع من يعتد به على جوازها واستحبابها على سائر الانبياء والملائكة استقلالا وأما غير الانبياء فالجمهور على أنه لا يصلى عليهم ابتداء فلا يقال أبو بكر صلى الله عليه وسلم واختلف فى هذا المنع فقال بعض أصحابنا هو حرام وقال أكثرهم مكروه كراهة تنزيه وذهب كثير منهم الى أنه خلاف الاولى وليس مكروها والصحيح الذى عليه الاكثرون أنه مكروه كراهة تنزيه لانه شعار أهل البدع وقد نهينا عن شعارهم والمكروه هو ما ورد فيه نهى مقصود قال أصحابنا والمعتمد فى ذلك أن الصلاة صارت مخصوصة فى لسان السلف بالانبياء كما أن قولنا عز وجل مخصوص بالله سبحانه وتعالى وكما لا يقال محمد عز وجل وان كان عزيزا جليلا لا يقال أبو بكر أو على صلى الله عليه وان كان معناه صحيحا واتفقوا على جواز جعل غير الانبياء تبعا لهم فى الصلاة فيقال اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأصحابه وأزواجه وذريته وأتباعه للاحاديث الصحيحة فى ذلك وقد أمرنا به فى التشهد ولم يزل السلف عليه خارج الصلاة أيضا وأما السلام فقال الشيخ أبو محمد الجوينى من أصحابنا هو فى معنى الصلاة فلا يستعمل فى الغائب ولا يفرد به غير الانبياء فلا يقال على عليه السلام وسواء فى هذا الاحياء والاموات وأما الحاضر فيخاطب به فيقال سلام عليك وسلام عليكم أو السلام عليك وعليكم وهذا مجمع عليه

(فصل) قال النووى رحمه الله يستحب الترضى والترحم على الصحابة والتابعين فمن بعدهم من العلماء والعباد وسائر الاخيار فان كان المذكور صحابيا ابن صحابى قال قال ابن عمر رضى الله عنهما اليشمله وأباه جميعا قال النووى رحمه الله فان قيل اذا ذكر لقمان ومريم هل يصلى عليهما كالانبياء أم يترضى كالصحابة والاولياء أو يقول عليهما السلام فالجواب أن الجماهير من العلماء على أنهما ليسا نبيين وقد شذ من قال هما نبيان ولا التفات اليه ولا يعرج عليه فاذا عرفت ذلك فقد قال بعض العلماء كلاما يفهم منه انه يقول قال لقمان أو مريم صلى الله على الانبياء وعليه أو عليها وسلم قال لانهما يرتفعان عن حال من يقال رضى الله عنه لما فى القرآن العزيز فيما يرفعهما قال النووى رحمه الله والذى أراه أن هذا لا بأس به وأن الارجح أن يقال رضى الله عنه أو عنها لان هذا مرتبة غير الانبياء ولم يثبت كونهما نبيين وقد نقل امام الحرمين اجماع العلماء على أن مريم ليست نبية ذكره فى الارشاد ولو قال عليه السلام أو عليها فالظاهر أنه لا باس به والله أعلم

(كتاب فضل أمة محمد صلى الله عليه وسلم وفيه عشرة أبواب)

(الباب الاول فى دلائل فضل هذه الامة)

قال الله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا أى عدلا خيارا قال الله تعالى قال أوسطهم أى خيرهم وأعدلهم وخير الاشياء أوسطها لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا أى معدلا مزكيا لكم وذلك أن الله يجمع الاولين والآخرين فى صعيد واحد ثم يقول لكفار الامم ألم يأتكم نذير فينكرون

المنى والتقاء الختانين والحيض والنفاس وما عداه من الاغسال سنة كغسل الجمعة والعيدين والاحرام والوقوف بعرفة ومزدلفة ودخول مكة وثلاثة أغسال أيام التشريق ولطواف الوداع على قول والكافر اذا أسلم غير جنب والمجنون اذا أفاق ولمن غسل ميتا فالكل مستحب فافهم تغنم (كيفية التيمم) من تعذر عليه استعمال الماء لفقده بعد الطلب أو لمانع له عن الوصول اليه من سبع وحائل وحابس أو كان الماء الحاضر يحتاج اليه لعطشه أو عطش رفيقه أو كان ملكا لغيره ولم يبع الا بأكثر من ثمن مثله أو كان به جراحة أو مرض يخاف من استعمال الماء فساد العضو أو شدة الضنا فصبر حتى يدخل عليه وقت الصلاة ثم يقصد صعيدا طيبا عليه تراب خالص طاهر لين ويضرب عليه بديه ضاما بين أصابعه وينوى استباحة الصلاة ويمسح بها وجهه كله مرة واحدة ولا يتكلف ايصال التراب الى منابت الشعور بحال ويستوعب بشرة وجهه بالتراب والغبار ويحصل ذلك بالضربة الواحدة فان عرض الوجه لا يزيد على عرض الكفين ثم ينزع خاتمه ويضرب ضربة ثانية لليد يفرج بين أصابعه ثم يلصق ظهور أصابع يده اليمنى ببطون أصابع يده اليسرى بحيث لا يتجاوز أطراف الانامل من احدى الجهتين عرض المسبحة من الاخرى ثم يمر يده اليسرى من حيث

ويقولون

ويقولون ما جاءنا من نذير فيسأل الانبياء عليهم السلام عن ذلك فيقولون كذبوا قد بلغناهم فيسألهم البينة وهو أعلم بهم اقامة للحجة فيؤتى بأمة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون لهم أنهم قد بلغوا فتقول الامم الماضية من أين علموا وانهم أتوا بعدنا فيسأل هذه الامة فيقولون أرسلت الينا رسولا وأنزلت عليه كتابا أخبرتنا فيه بتبليغ الرسل وأنت صادق فيما أخبرت ثم يؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسأل عن حال أمته فيزكيهم ويشهد بصدقهم وفى البخارى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء بنوح يوم القيامة فيقال له هل بلغت فيقول نعم يارب فيسأل أمته هل بلغكم فيقولون لا ما جاءنا من نذير فيقول من شهودك فيقول محمد وأمته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجاء بكم فتشهدون ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك جعلناكم أمة وسطا قال عدلا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وقد سمى الله تعالى هذه الامة صالحين فقال تعالى ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادى الصالحون أى كتبنا فى الكتب المنزلة من بعد اللوح المحفوظ والمراد بالارض كل أرض فتحها المسلمون كالحجاز والعراق وغيرهما وقيل يعنى أرض الجنة وقال ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين ووصفها بالفلاح فقال تعالى قد أفلح المؤمنون ووصفها بالخير قال تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس قيل معناه أنتم خير أمة وقيل معناه كنتم خير أمة فى اللوح المحفوظ وقال مجاهد وعكرمة أى كنتم خير الناس للناس وقيل معناه أنتم خير أمة للناس لانكم تأمرونهم بالمعروف وتنهونهم عن المنكر وتردونهم الى الاسلام وتدخلونهم الى الجنة وتمنعونهم دخول النار وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى حديث الشفاعة فارفع رأسى فأقول أمتى يارب فيقال يامحمد أدخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الايمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب ثم قال والذى نفسى بيده ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحمير أو كما بين مكة وبصرى وقال صلى الله عليه وسلم أمتى أمة مرحومة فاذا كان يوم القيامة يدفع الى كل رجل رجل من أهل الشرك فقيل هذا فداؤك رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم أمتى أمة توفى سبعين أمة هى خيرها وأكرمها على الله عز وجل وفى الصحيحين عن عبد الله قال قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة قال فكبرنا ثم قال أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة قال فكبرنا ثم قال أما ترضون أن تكونوا شطر أهل الجنة وسأخبركم عن ذلك ما المسلمون فى الكفار الا كشعرة بيضاء فى ثور أسود أو شعرة سوداء فى ثور أبيض وفى الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال نحن الآخرون الاولون يوم القيامة ونحن أول من يدخل الجنة وقال صلى الله عليه وسلم أهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون من هذه الامة وقال صلى الله عليه وسلم ان الجنة حرمت على الانبياء كلهم حتى أدخلها وحرمت على الامم حتى تدخلها أمتى رواه ابن ماجه والترمذى وقال حديث حسن وذكر الثعلبى فى تفسيره عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال موسى عليه السلام يارب هل خلقت أمة أكرم عليك من أمتى قال الله تعالى ياموسى ان فضل أمة محمد صلى الله عليه وسلم على سائر الخلق كفضلى على جميع خلقى قال يارب ليتنى رأيتهم قال ياموسى انك لن تراهم ولو أردت أن تسمع كلامهم سمعت قال فانى أريد أن أسمع كلامهم قال الله عز وجل يا أمة أحمد فأجبنا كلنا من أصلاب آبائنا وأرحام أمهاتنا لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك قال الله تعالى يا أمة أحمد ان رحمتى سبقت غضبى وعفوى عقابى وقد أعطيتكم قبل أن تسألونى وقد غفرت لكم قبل أن تعصونى من جاءنى يوم القيامة يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسولى وعبدى جعلت الجنة مأواه وان كانت ذنوبه أكثر من زبد البحر وروى الثعلبى أيضا عن كعب الاحبار أن موسى عليه السلام نظر فى التوراة فقال انى أجد أمة خير الامم أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالكتاب الاول والكتاب الآخر ويقاتلون أهل الضلالة حتى يقاتلوا الاعور الدجال رب اجعلهم أمتى قال هى أمة

وضعها على ظاهر ساعد اليمنى الى المرفق ثم يقلب كفه اليسرى على باطن ساعد اليمنى ويمرها الى الكوع ويمر بطن ابهامه اليسرى على ظهر ابهامه اليمنى ثم يفعل باليد اليسرى كذلك ثم يمسح كفيه ويخلل بين أصابعه وغرض هذا التكلف الاستيعاب بضربة واحدة ولا بأس بأن يستوعب بضربتين وزيادة ان تعذر بضربة وله أن يصلى بالتيمم فرضا واحدا وما شاء من النوافل (فصل) يستحب التنظيف من الاوساخ التى تكون على الرأس وفى الاذن وفى الانف وتنظيف الرواجب وهى رؤس الانامل وما تحت الاظفار من الوسخ ويكره تأخير تقليم الاظفار ونتف الابط وحلق العانة لاكثر من أربعين يوما ويدخل الحمام بشرط أن يستر عورته ويحترز من الاطلاع على عورات الناس وينوى بالدخول التنظيف لاجل الصلاة ويقول عند دخوله ما يقول عند دخول بيت الماء وكذلك عند الخروج واذا أراد تقليم الاظفار ابتدأ بمسبحة يده اليمنى ويختم بابهامه اليمنى وابتدأ فى اليسرى بالخنصر الى الابهام وينبغى أن يكتحل وترا وروى أنه عليه السلام كان يكتحل فى اليمنى ثلاثا وفى اليسرى اثنين ليكون الجميع وترا ولا ينبغى أن يكون فعل من أفعالك خاليا عن نوع ترتيب بحسب الاتفاق فهو الفرق بين البهائم والآدمى

محمد عليه الصلاة والسلام ياموسى فقال يارب انى أجد أمة هى الحمادون رعاة الشمس المحكمون اذا أرادوا أمرا قالوا نفعل ان شاء الله فاجعلهم أمتى قال هى أمة محمد فقال رب انى أجد أمة يأكلون كفاراتهم وصدقاتهم وكان الاولون يحرقون صدقاتهم بالنار وهم المستجيبون والمستجاب لهم الشافعون المشفوع لهم فاجعلهم أمتى قال هى أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقال انى أجد أمة اذا أشرف أحدهم على شرف كبر الله واذا هبط واديا حمد الله الصعيد لهم طهور والارض لهم مسجد حيثما كانوا يتطهرون من الجنابة طهورهم بالصعيد كطهورهم بالماء حيث لا يجدون الماء غر محجلون من آثار الوضوء فاجعلهم أمتى قال هى أمة محمد عليه الصلاة والسلام فقال يارب انى أجد أمة اذا هم أحدهم بحسنة لم يعملها كتبت له حسنة مثلها وان عملها ضعف له عشر أمثالها الى سبعمائة ضعف واذا هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه وان عملها كتبت مثلها فاجعلهم أمتى قال هى أمة محمد عليه الصلاة والسلام فقال رب انى أجد أمة مرحومة ضعفاء يرثون الكتاب الذين اصطفيتهم فنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فلا أجد أحدا منهم الا مرحوما فاجعلهم أمتى قال هى أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقال يارب انى أجد أمة مصاحفهم فى صدورهم يلبسون ألوان ثياب أهل الجنة يصفون فى صلاتهم صفوف الملائكة أصواتهم فى مساجدهم كدوى النحل لا يدخل النار أحد منهم أبدا الا من يرى الحساب مثل ما يرى الحجر من وراء الشجر فاجعلهم أمتى قال هى أمة محمد صلوات الله وسلامه عليه فلما عجب موسى من الخير الذى أعطى الله محمدا صلى الله عليه وسلم وأمته قال ياليتنى كنت من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فأوحى الله عز وجل اليه ثلاث آيات ياموسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى الى قوله دار الفاسقين ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون قال فرضى موسى كل الرضا

(الباب الثانى فى أن أفضل الامة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم)

قال الله تعالى والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم وقال تعالى للفقراء المهاجرين الآية والتى بعدها وقال فى الثالثة والذين جاؤا من بعدهم يعنى التابعين وهم يجيئون بعد المهاجرين والانصار الى يوم القيامة *فى بيان أفضل الامة وهم الذين يجيئون بعد المهاجرين والانصار الى يوم القيامة يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا شرط فى هذه الآية فى الذين يجيئون من بعد المهاجرين والانصار أن يكونوا مستغفرين لمن سبقهم داعين لهم يسمونهم لهم اخوانا فكل من كان فى قلبه غل لاحد من الصحابة ولم يترحم على جميعهم فانه ليس ممن عناه الله تعالى بهذه الآية لان الله عز وجل رتب المؤمنين على ثلاث منازل المهاجرين والانصار والتابعين الموصوفين بما ذكر فمن لم يكن من التابعين بهذه الصفة كان خارجا من أقسام المؤمنين وقال ابن أبى ليلى الناس على ثلاث منازل الفقراء المهاجرون والذين تبوؤا الدار والايمان والذين جاؤا من بعدهم فاجتهد أن لا تكون خارجا من هذه المنازل قالت عائشة رضى الله عنها أمرتم بالاستغفار لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فسببتموهم سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول لا تذهب هذه الامة حتى يلعن آخرها أولها وقال مالك بن مغول قال عامر بن شراحيل الشعبى يا مالك تفاضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلة سئلت اليهود من خير أهل ملتكم فقالت أصحاب موسى وسئلت النصارى من خير أهل ملتكم فقالوا حوارى عيسى وسئلت الرافضة من شر أهل ملتكم فقالوا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أمروا بالاستغفار لهم فسبوهم فالسيف مسلول عليهم الى يوم القيامة لا تقوم لهم راية ولا تثبت لهم قدم ولا تجتمع لهم كلمة كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله تسفك دماؤهم ويفرق شملهم وتدحض حجتهم أعاذنا الله واياكم من الاهواء المظلمة وقال مالك بن أنس من انتقص أحدا من الصحابة أو كان فى قلبه عليهم غل فليس له حق فى فىء المسلمين ثم تلا هذه الآية للفقراء المهاجرين والذين تبوؤا الدار والذين جاؤا من بعدهم وفى الصحيحين عن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وفى الصحيحين أيضا عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

فالبهيمة تحرك كيفما اتفق
والآدمى كيفما أمر وختان الولد ينبغى أن يتأخر عن اليوم السابع من الولادة مخالفة لليهود قال عليه السلام الختان سنة للرجال ومكرمة للنساء قال النخعى عجبت لرجل عاقل طويل اللحية كيف لا يأخذ من لحيته فيجعلها بين لحيتين فان التوسط فى كل شئ حسن ويكره فى اللحية الخضاب بالسواد والتبييض بالكبريت ونتف الشيب منها والنقصان منها والزيادة وتسريحها تصنعا للرياء وتركها شعثة اظهارا للزهد قال كعب يكون فى آخر الزمان أقوام يقصون لحاهم كذنب الحمامة ويفرقعون نعالهم كالمراجل أولئك لا خلاق لهم

(الباب الرابع فى أسرار الصلاة ومهماتها وفيه فصول)

(فصل فى فضائل الصلوات والسجود والجماعة والاذان وغيرها) فضيلة الاذان قال عليه السلام ثلاث يوم القيامة على كثيب من مسك أذفر ولا يهمهم حساب ولا ينالهم فزع حتى يفرغ مما بين الناس رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله تعالى ورجل ابتلى بالرق فى الدنيا فلم يشغله ذلك عن عمل الآخرة ورجل أذن للصلاة وقال عليه السلام يد الرحمن على رأس المؤذن حتى يفرغ من أذانه وقيل المراد من قوله تعالى ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله المؤذنون فاذا سمعت الاذان فقل مثل ما يقول المؤذن الا فى الحيعلتين فانك تقول لا حول ولا قوة

لا

لا تسبوا أصحابى فوالذى نفسى بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه وقال صلى الله عليه وسلم من أحب جميع أصحابى وتولاهم واستغفر لهم جعله الله يوم القيامة معهم فى الجنة وقال صلى الله عليه وسلم ان الله اختارنى واختار لى أصحابا فجعل لى منهم أصهارا وأنصارا فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا وقال صلى الله عليه وسلم ان الله اختارنى واختار لى أصحابا فجعلهم أصحابى وأصهارى وأنصارى وسيأتى قوم من بعدهم يسبونهم ويبغضونهم فلا تجالسوهم ولا تواكلوهم ولا تناكحوهم ولا تصلوا عليهم ولا تصلوا معهم وقال صلى الله عليه وسلم من مات من أصحابى بأرض كان نورهم وقائدهم يوم القيامة وقال ابن مسعود رضى الله عنه ان الله نظر فى قلوب العباد فوجد قلب محمد صلى الله عليه وسلم خير قلوب العباد فاختاره لرسالته ثم نظر فى قلوب العباد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد بعد قلبه فاختارهم لصحبته

(الباب الثالث فى بيان أن أفضل الصحابة السابقون الاولون من المهاجرين والانصار والعشرة الابرار)

قال الله تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم الآية قال النووى رحمه الله فى شرح مسلم قال أبو منصور البغدادى أصحابنا مجمعون على أن أفضلهم الخلفاء الاربعة على الترتيب المذكور ثم تمام العشرة ثم أهل بدر ثم أحد ثم أهل بيعة الرضوان وممن له مزية أهل العقبتين من الانصار وكذلك السابقون الاولون وهم من صلى الى القبلتين فى قول ابن المسيب وطائفة وفى قول الشعبى أهل بيعة الرضوان وفى قول عطاء ومحمد بن كعب أهل بدر وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لا يدخل النار ان شاء الله أحد من أصحاب الشجرة الذين بايعوا تحتها وقال صلى الله عليه وسلم لعمر رضى الله عنه حين قال دعنى أضرب عنقه يعنى حاطبا انه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم وعن سهل بن مالك قال لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان أبا بكر لم يسؤنى قط فاعرفوا ذلك له يا أيها الناس انى راض عن عمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص والمهاجرين الاولين فاعرفوا ذلك لهم يا أيها الناس ان الله قد غفر لاهل بدر والحديبية وعن عبد الرحمن بن عوف قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر فى الجنة وعمر فى الجنة وعلى فى الجنة وعثمان فى الجنة وطلحة فى الجنة والزبير فى الجنة وعبد الرحمن فى الجنة وسعد فى الجنة وسعيد فى الجنة وأبو عبيدة بن الجراح فى الجنة رواه النسائى والترمذى وقال تعالى محمد رسول الله والذين معه الآية قال الحسن رحمه الله والذين معه أبو بكر أشداء على الكفار عمر رحماء بينهم عثمان تراهم ركعا سجدا على يبتغون فضلا من الله ورضوانا بقية العشرة المبشرين بالجنة كمثل زرع الزرع محمد رسول الله أخرج شطأه أبو بكر فآزره عمر فاستغلظ عثمان يعنى استغلظ للاسلام فاستوى على سوقه على بن أبى طالب استقام الاسلام بسوقه يعجب الزراع قال المؤمنون ليغيظ بهم الكفار قول عمر لاهل مكة بعد ما أسلم لا نعبد الله سرا بعد اليوم وعن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أرحم أمتى أبو بكر وأشدهم فى أمر الله عز وجل عمر وأصدقهم حياء عثمان وأفرضهم زيد وأقرؤهم أبى وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ ابن جبل ولكل أمة أمين وأمين هذه الامة أبو عبيدة بن الجراح رواه معمر عن قتادة مرسلا وفيه وأقضاهم على رضى الله عنه

(الباب الرابع فى بيان أن أفضل السابقين الخلفاء الاربعة)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمع حب هؤلاء الاربعة الا فى قلب مؤمن أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وقال صلى الله عليه وسلم ان الله اختار أصحابى على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار من أصحابى أربعة فجعلهم خير أصحابى وفى كل أصحابى خير أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وقال صلى الله عليه وسلم ان الله افترض عليكم حب أبى بكر وعمر وعثمان وعلى كما افترض عليكم الصلاة والصيام والحج فمن أبغض أحدا منهم أدخله الله النار وعن على كرم الله وجهه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال رحم الله أبا بكر زوجنى

الا بالله العلى العظيم وفى قوله قد قامت الصلاة أقامها الله وأدامها ما دامت السموات والارض وفى التثويب صدقت وبررت وعند الفراغ اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والمقام المحمود الذى وعدته (فضيلة المكتوبة) قال عليه السلام الصلوات كفارات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر وقال بيننا وبين المنافقين شهود العتمة والصبح لا يستطيعونهما وقال عليه السلام الصلاة عماد الدين فمن تركها فقد هدم الدين وروى ان أول ما ينظر فيه يوم القيامة من عمل العبد الصلاة فان وجدت تامة قبلت منه وسائر عمله وان وجدت ناقصة ردت عليه وسائر عمله (فضيلة اتمام الاركان) قال عليه السلام مثل الصلاة المكتوبة كمثل الميزان من أوفى استوفى وقال عليه السلام ان الرجلين من أمتى ليقومان الى الصلاة وركوعهما وسجودهما واحد وان ما بين صلاتيهما ما بين السماء والارض وأشار الى الخشوع وقال عليه السلام أسوأ الناس سرقة من سرق من صلاته (فضيلة الجماعة) قال عليه السلام صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة وقال ابن عباس من سمع المنادى ولم يجب لم يرد خيرا ولم يرد به وقال عليه السلام من صلى أربعين يوما الصلاة فى جماعة لا يفوته فيها تكبيرة الاحرام كتب الله له براءتين براءة من النفاق

ابنته وأعتق بلالا من ماله وحملنى الى دار الهجرة رحم الله عمر يقول الحق وان كان مرا تركه الحق وماله من صديق رحم الله عثمان تستحيه الملائكة رحم الله عليا اللهم أدر الحق معه حيثما دار قال الشيخ موفق الدين بن قدامة رحمه الله وهؤلاء الاربعة هم الخلفاء الراشدون الذين وعدهم الله بالاستخلاف ورضى رسول الله صلى الله عليه وسلم باتباع سنتهم قال الله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض الآية لايجوز أن تحمل الآية على استخلاف غيرهم لان وعد الله حق لايجوز الخلف عليه وما وجد الاستخلاف بعد النبى صلى الله عليه وسلم مع الشروط المذكورة فى الاخبار المأثورة فى جماعة غيرهم كوجودها فيهم سيما وقد بين النبى صلى الله عليه وسلم مدة خلافتهم وحث على سنتهم ووصفهم بصفتهم وسماهم باسمائهم

(الباب الخامس فى بيان أن أفضل الاربعة أبو بكر وعمر رضى الله عنهما)

عن على كرم الله وجهه قال كنت قاعدا عند النبى صلى الله عليه وسلم اذ أقبل أبو بكر وعمر رضى الله عنهما فقال هذان سيدا كهول أهل الجنة من الاولين والآخرين الا النبيين والمرسلين ثم قال لاتخبرهما يا على رواه الترمذى وقال صلى الله عليه وسلم اقتدوا باللذين من بعدى أبى بكر وعمر وقال صلى الله عليه وسلم أنا الاول وأبو بكر الثانى وعمر الثالث وقال على ان امارة أبى بكر وعمر فى كتاب الله واذ أسر النبى الى بعض أزواجه حديثا وقال صلى الله عليه وسلم مامن نبى الا وله وزيران من أهل السماء ووزيران من أهل الارض فاما وزيراى من أهل السماء فجبرائيل وميكائيل وأما وزيراى من أهل الارض فابو بكر وعمر وقال محمد بن الحنفية قلت لابى يا أبت من خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يابنى أولا تعلم قلت لا قال أبو بكر قلت ثم من قال يابنى أولا تعلم قلت لا قال ثم عمر قال ثم بدرته قلت يا أبت ثم أنت قال يابنى أبوك رجل من المسلمين له مالهم وعليه ماعليهم رواه البخارى وعن أبى جعفر محمد بن على عن أبيه عن على رضى الله عنه أنه قال لا أوتى برجل يفضلنى على أبى بكر وعمر الا جلدته الجد وقال على فى خطبته ألا ان خير هذه الامة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر بن الخطاب

(الباب السادس فى بيان أن أفضل الاربعة أبو بكر رضى الله عنه)

قال الله تعالى الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لاتحزن ان الله معنا قال الشعبى عاتب الله أهل الارض جميعا فى هذه الآية غير أبى بكر الصديق رضى الله عنه وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لابى بكر أنت صاحبى فى الغار وصاحبى على الحوض وقال الحسين بن الفضل من قال ان أبا بكر لم يكن صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كافر لانكار نص القرآن وفى سائر الصحابة اذا أنكر يكون مبتدعا ولا يكون كافرا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من أمن الناس على فى صحبته وماله أبا بكر رضى الله عنه ولو كنت متخذا خليلا من أمتى لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن أخوة الاسلام ومودته لا تبقين فى المسجد خوخة الا خوخة أبى بكر وعن جبير بن مطعم رضى الله عنه قال أتت النبى صلى الله عليه وسلم امرأة كلمته فى شئ فأمرها أن ترجع اليه قالت يارسول الله أرأيت ان جئت ولم أجدك كأنها تريد الموت قال ان لم تجدينى فأتى أبا بكر وعن عمرو بن العاص رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم بعثه على جيش ذات السلاسل قال فأتيته فقلت أى الناس أحب اليك قال عائشة قلت من الرجال قال أبوها قلت ثم من قال عمر فعد رجالا فسكت مخافة أن يجعلنى فى آخرهم وقال صلى الله عليه وسلم أنا أول من تنشق عنه الارض ثم أبو بكر ثم عمر ثم آتى أهل البقيع فيحشرون معى ثم انتظر أهل مكة حتى أحشر بين الحرمين وقال عمر رضى الله عنه والله لليلة من أبى بكر ويوم خير من عمر وآل عمر وقال وددت لو أنى شعرة فى صدر أبى بكر وقال لو وزن ايمان أبى بكر بايمان أهل الارض لرجح ايمان أبى بكر بايمان أهل الارض وقال ألا ان أفضل هذه الامة بعد نبيها أبو بكر فمن قال غير ذلك بعد يومى هذا فهو مفتر عليه وعليه ما على المفترى وقال على رضى الله عنه خير الناس بعد رسول الله صلى الله

وقال عليه السلام ماتقرب العبد الى الله تعالى بشئ أفضل من السجود الخفى و روى

وروا همن النار (فضيلة السجود) ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله أن يجعلنى من أهل شفاعتك وأن يرزقنى مرافقتك فى الجنة قال اعنى بكثرة السجود وقال أبو هريرة أقرب ما يكون العبد الى الله تعالى اذا سجد فأكثروا الدعاء عند ذلك (فضيلة الخشوع) قال الله تعالى وأقم الصلاة لذكرى وقال عليه السلام انما الصلاة تمسكن وتواضع وتضرع وتأسف وندم وتضع يديك فتقول اللهم اللهم فمن لم يفعل فهى خداج خداج وقال عليه السلام اذا صليت صلاة فصل صلاة مودع أى مودع لنفسه مودع لهواه سائر الى مولاه وقال عليه السلام من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله الا بعدا واعلم أن الصلاة مناجاة فكيف تكن مع الغفلة وقال عليه السلام لاينظر الله الى صلاة لم يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه وكان ابراهيم عليه السلام اذا قام الى الصلاة سمع وجيب قلبه من ميلين (فضيلة بناء المسجد) قال عليه السلام من بنى مسجدا لله ولو كمفحص قطاة بنى الله له قصرا فى الجنة وقال تعالى ان بيوتى فى أرضى المساجد وان زوارى فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر فى بيته ثم زارنى فى بيتى فحق على المزور أن يكرم زائره وقال عليه السلام اذا رأيتم الرجل يختار المسجد فاشهدوا له بالايمان قال أنس من أسرج

عليه

عليه وسلم أبو بكر وعن أبى يحيى قال سمعت عليا رضى الله عنه يحلف لأنزل الله اسم أبى بكر من السماء الصديق يعنى قوله تعالى والذى جاء بالصدق وصدق به الآية وقال ابن عمر رضى الله عنهما كنا نقول ورسول الله صلى الله عليه وسلم حى أبو بكر ثم عمر ثم عثمان فيبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فلا ينكره وقال أبو الدرداء رآنى النبى صلى الله عليه وسلم أمشى أمام أبى بكر فقال يا أبا الدرداء أتمشى أمام من هو خير منك فى الدنيا والآخرة ماطلعت الشمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين على أفضل من أبى بكر الصديق وقال صلى الله عليه وسلم حب أبى بكر وشكره واجب على كل أمتى واختلفوا فى سبب تلقيب أبى بكر رضى الله عنه بعتيق على ثلاثة أقوال أحدها ماروى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت انى جالسة ذات يوم ورسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فى فناء البيت اذ أقبل أبى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه من أراد أن ينظر الى عتيق من النار فلينظر الى أبى بكر والثانى أنه اسم سمته به أمه قاله موسى بن طلحة والثالث أنه سمى به لجمال وجهه ويروى عن ابى هريرة رضى الله عنه أنه قال اجتمع المهاجرون والانصار عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر رضى الله عنه وعيشك يارسول الله انى لم أسجد لصنم قط فغضب عمر رضى الله عنه وقال يقول وعيشك يارسول الله انى لم أسجد لصنم قط وقد كنت فى الجاهلية كذا وكذا سنة فقال أبو بكر رضى الله عنه ان أبا قحافة أخذ بيدى فانطلق بى الى مخدع فيه الاصنام فقال لى هذه آلهتك الشم العلى فاسجد لها وخلانى وذهب فدنوت من الصنم وقلت انى جائع فأطعمنى فلم يجبنى فقلت انى عطشان فارونى فلم يجبنى فقلت انى عار فاكسنى فلم يجبنى فاخذت صخرة وقلت انى ملق عليك هذه الصخرة فان كنت الها فامنع نفسك منها فلم يجبنى فالقيت الصخرة عليه فخر لوجهه وأقبل والدى فقال ماهذا يابنى فقلت هذا الذى ترى فانطلق بى الى أمى فاخبرها فقالت دعه فهذا الذى ناجانى به الله فقلت ياأماه وما ناجاك به الله فقالت ليلة أصابنى المخاض ولم يكن عندى أحد سمعت هاتفا يقول أسمع الصوت ولا أرى الشخص ياأمة الله على التحقيق ألا أبشرى بالولد العتيق اسمه فى السماء الصديق لمحمد صاحب ورفيق قال أبو هريرة رضى الله عنه فلما انقضى كلام أبى بكر رضى الله عنه نزل جبريل على النبى صلى الله عليه وسلم وقال صدق أبو بكر فصدقه ثلاث مرات ومن فضائله رضى الله عنه أن الله أعطاه من عنده مثل ما أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خمسة أشياء *الاول انه سبحانه وتعالى قال لنبيه ولسوف يعطيك ربك فترضى وقال لابى بكر ولسوف يرضى* الثانى أنه قال لنبيه ونيسرك لليسرى وقال لابى بكر فسنيسره لليسرى * الثالث ان جبريل نزل على أبى بكر بالسلام كما نزل بالسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم روى عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال كنت عند النبى صلى الله عليه وسلم وعنده أبو بكر وعليه عباءة قد خللها فى صدره بخلال فنزل جبريل فقال يامحمد مالى أرى أبا بكر عليه عباءة قد خللها فى صدره بخلال فقال ياجبريل أنفق ماله على قبل الفتح قال فاقرئه من الله السلام وقل له يقول لك ربك أراض أنت عنى فى فقرك هذا أم ساخط فبكى أبو بكر رضى الله عنه وقال على ربى أسخط أنا عن ربى راض أنا عن ربى راض الرابع ان الله ساوى بينه وبين نبيه فى الصحبة فى الغار قال الله تعالى اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه *الخامس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسمع الوحى فيغشى عليه وكان أبو بكر عند النبى صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل على النبى صلى الله عليه وسلم بقوله انك لاتهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء فسمعه أبو بكر رضى الله عنه فغشى عليه ومن فضائله رضى الله عنه أنه أسلم على يده من العشرة المشهود لهم بالجنة خمسة عثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف ومن فضائله رضى الله عنه أنه تنزه عن شرب المسكر فى الجاهلية والاسلام روى عن أبى العالية قال سئل أبو بكر رضى الله عنه فى مجمع من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هل شربت خمرا فى الجاهلية قال أعوذ بالله قالوا ولم قال كنت أصون عرضى وأحفظ مروءتى لانه من شرب كان لعرضه ومروءته مضيعا فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدق أبو بكر وقال ربيعة بن كعب كان اسلام الصديق شبيها بالوحى وذلك لانه كان تاجرا

سراجا فى المسجد لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له مادام فى ذلك المسجد ضوء (فصل

فى كيفية الاعمال الظاهرة من الصلاة) ينبغى للمصلى اذا فرغ من الوضوء وطهارة الخبث والقلب والمكان ومن ستر العورة من السرة الى الركبة أن ينتصب قائما متوجها الى القبلة ويراوح بين قدميه ولا يضمهما البتة فانه عليه السلام نهى عن الصفن والصفد فى الصلاة والصفد هو اقران القدمين معاونة قوله تعالى مقرنين فى الاصفاد والصفن هو رفع احدى الرجلين ومنه قوله عزوجل اذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد ويطرق رأسه ويقصر بصره على مصلاه ويحضر النية ولا بأس بقراءة قل أعوذ برب الناس تحصنا بها من الشيطان وينوى فى الظهر مثلا ويقول بقلبه أؤدى فرض الظهر لله ليميز بقوله أؤدى عن القضاء وبقوله الظهر عن العصر وبالفرض عن النفل ويجتهد فى استدامة ذلك الى آخر التكبير ويحاذى بكفيه منكبيه وبابهاميه شحمة أذنيه وبرؤس أصابعه رؤس أذنيه فذلك جمع بين الاخبار الواردة ولا يتكلف فى أصابعه ضما ولا تفريجا ويكبر مع حضور النية كما سبق ويرسل يديه مع التكبير ويضع اليمنى على اليسرى فوق السرة وتحت الصدر وتكون اليمنى كالمحمولة وينشر المسبحة والوسطى من اليمنى على طول ساعد اليسرى ويقبض بالبنصر والخنصر على كوع اليسار ثم يبتدئ بدعاء الاستفتاح وحسن أن يقول عقيب قوله الله أكبر

بالشام فرأى رؤيا فقصها على بحيرا الراهب فقال من أين أنت قال من مكة قال من أيها قال من قريش قال أي شئ أنت قال تاجر قال ان صدق الله رؤياك فانه سيبعث نبي من قومك تكون وزيره في حياته وخليفته بعد موته فأسر الصديق رضي الله عنه حتى بعث سيد الاولين والآخرين فجاءه فقال ما الدليل على ما تدعي فقال الرؤيا التي رأيتها بالشام فعانقه وقبل بين عينيه وقال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أنك نبي الله ورسوله

(الباب السابع قد تبين بما سبق من الاحاديث أن أفضل الاربعة بعد أبي بكر عمر رضي الله عنهما ونحن نذكر شيأ من فضائله زيادة على ما سبق)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كان فيما قبلكم من الامم محدثون فان يك في أمتي أحد فانه عمر قال النووي رحمه الله اختلف العلماء في المراد بمحدثون فقال ابن وهب ملهمون وقيل مصيبون اذا ظنوا وقيل تكلمهم الملائكة وجاء في رواية مكلمون وقال البخاري يجري الصواب على ألسنتهم وفي الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا الا سلك فجا غير فجك وقال صلى الله عليه وسلم بينا أنا نائم أتيت بقدح لبن فشربت حتى اني لأرى الري يخرج من أظفاري ثم أتيت فضلي عمر بن الخطاب فقالوا فما أولته يا رسول الله قال العلم وقال صلى الله عليه وسلم ان الله وضع الحق على لسان عمر وقلبه وقال علي رضي الله عنه ما كنا نبعد أن السكينة تنطق على لسان عمر وقال ابن مسعود رضي الله عنه ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر وقال أيضا ان اسلام عمر كان فتحا وان هجرته كانت نصرا وان امارته كانت رحمة وقد نزل القرآن بموافقته في أسرى بدر وفي الحجاب وفي تحريم الخمر وفي مقام ابراهيم وفتح الله له الفتوح بالشام والعراق ومصر ودون الدواوين في العطاء ورتب الناس فيه على سوابقهم وهو الذي نور شهر الصوم بصلاة التراويح فيه وأرخ التاريخ من الهجرة الذي بأيدي الناس الى اليوم وهو أول من سمي بأمير المؤمنين وهو أول من اتخذ الدرة وكان نقش خاتمه كفى بالموت واعظا يا عمر

(الباب الثامن في بيان فضل عثمان بن عفان رضي الله عنه)

روى نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كنا نقول على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم نسكت وقال علي رضي الله عنه كان عثمان أوصلنا للرحم وكان من الذين اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين وعن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه قال جاء عثمان الى النبي صلى الله عليه وسلم بألف دينار في مكة حين جهز جيش العسرة فنثرها في حجره فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقلبها في حجره ويقول ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم مرتين وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عثمان ان الله مقمصك قميصا فان أراد المنافقون أن تخلعه لهم فلا تخلعه ولا كرامة يقولها مرتين وثلاثا رواه الترمذي وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنة قال يقتل فيها هذا المقنع مظلوما قال فنظرت فاذا هو عثمان بن عفان رواه أحمد والترمذي وقال صلى الله عليه وسلم من يشتري بئر رومة غفر الله له فأتى عثمان صاحبها وكان يهوديا فاشترى منه نصفها باثني عشر ألفا وقال لصاحبها اختر ان شئت نصبت لي دلوا ونصبت أنت لك دلوا وان شئت كان لك يوم ولي يوم فقال اليهودي بل يكون لي يوم ولك يوم فكان الناس يستقون في يوم عثمان ليومين فقال اليهودي أفسدت علي نصيبي فاشتر بقيتها مني فاشتراها منه بثمانية آلاف درهم وسبلها للمسلمين وقال صلى الله عليه وسلم من يبتاع مربد بني فلان غفر الله له فاشتراه عثمان فجعله في المسجد وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من سقى شربة من ماء حيث يوجد الماء كان كمن أعتق رقبة ومن سقى شربة حيث لا يوجد الماء كان كمن أحياها فكل من شرب من بئر رومة الى يوم القيامة فلعثمان بكل شربة عتق رقبة

(الباب التاسع في فضل علي بن أبي طالب رضي الله عنه)

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه في غزوة تبوك فقال يا رسول الله تخلفني في النساء والصبيان فقال أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هرون من

تكبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا ثم وجهت وجهي الى قوله وما أنا من المشركين ثم يقول سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك ثم يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ويبتدئ بقراءة الفاتحة بتمام تشديداتها وحروفها ويجتهد في الفرق بين الضاد والظاء ويقول آمين وبعدها ولا يصل آمين بقوله ولا الضالين ويقرأ في الصبح بطوال المفصل وفي المغرب بقصاره وفي الباقي من الصلوات نحو والسماء والطارق ونحو والسماء ذات البروج وما قاربها وفي الصبح في السفر قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وكذلك في ركعتي الفجر والطواف والتحية (الركوع) ثم يركع فيراعي فيه أمورا أن يكبر للركوع وأن يرفع يديه مع تكبيرة الركوع ويمد التكبير مدا الى الانتهاء الى الركوع ويضع راحتيه على ركبتيه وأصابعه منشورة على طول الساق وينصب ركبتيه ويمد ظهره مستويا فيكون عنقه وظهره ورأسه كالصفيحة الواحدة وأن يجافي مرفقيه عن جنبيه بخلاف المرأة ويسبح ثلاثا والزيادة حسن للمنفرد ثم يرتفع الى القيام وينتصب قائما قائلا سمع الله لمن حمده ويقول ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الارض وملء ما شئت من شئ بعد ولا يطول هذا القيام الا في صلاة الصبح للقنوت (السجود) ثم يهوي الى السجود مكبرا مادا تكبيره

موسى الا أنه لا نبي بعدي وقال علي رضي الله عنه والذي فلق الحبة وبرأ النسمة انه لعهد النبي الامي الي أن لا يحبني الا مؤمن ولا يبغضني الا منافق وعن البراء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي رضي الله عنه والله أنت مني وأنا منك وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كنت مولاه فعلي مولاه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكا فكان آخر الثلاثين خلافة علي رضي الله عنه وقال محمد بن الحنفية كنا مع علي رضي الله عنه وعثمان محصور فأتاه رجل فقال ان أمير المؤمنين مقتول الساعة فقام علي فأخذت بوسطه تخوفا عليه فقال خل لا أبا لك فأتى علي الدار وقد قتل عثمان فأتى داره وأغلق بابه فأتاه الناس فضربوا عليه الباب فدخلوا فقالوا ان عثمان قد قتل ولا بد للناس من خليفة ولا نعلم أحدا أحق بها منك فقال لهم علي لا تريدوا فاني أكون لكم وزيرا خير من الامير قالوا لا والله لا نعلم أحدا أحق بها منك قال فان أبيتم علي فان بيعتي لا تكون سرا ولكن أخرج الى المسجد فمن شاء أن يبايعني بايعني قال فخرج الى المسجد فبايعه الناس وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما يقاتل على تنزيله قال أبو بكر أنا هو يا رسول الله قال لا قال عمر أنا هو يا رسول الله قال لا ولكن خاصف النعل فابتدرنا ننظر من هو فاذا هو علي رضي الله عنه يخصف نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن عطية وقد علم المؤمنون أن عليا رضي الله عنه هو الذي قاتل أهل التأويل وقد كانت خلافة علي رضي الله عنه مذكورة في كتب الله المتقدمة فان كعبا روى عن حبر من أحبار اليهود أنه سأله عقيب وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من يلي بعده الخلافة قال العدل أبو بكر قلت فمن يلي بعده قال قرن من حديد عمر بن الخطاب قلت فمن يلي بعده قال الحيي الستير عثمان قلت فمن يلي بعده قال الهادي المهدي علي بن أبي طالب

(الباب العاشر في كف اللسان عن ذكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أحد منهم بسوء)

قال الله تعالى والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم قالت عائشة رضي الله عنها أمرتم بالاستغفار لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فسببتموهم سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول لا تذهب هذه الامة حتى يلعن آخرها أولها وقال صلى الله عليه وسلم سيكون بين أصحابي فتنة يغفرها الله لهم بصحبتهم اياي ثم يستن بها قوم من بعدهم يدخلون النار بسببها وقال صلى الله عليه وسلم الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه وقال مالك من شتم أحدا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر أو عمر أو عثمان أو معاوية أو عمرو بن العاص فان قال كانوا على ضلال وكفر قتل وان شتمهم بغير هذا من مشاتمة الناس نكل نكالا شديدا قال سفيان بن عيينة ليس في الارض صاحب بدعة الا وهو يجد ذلة تغشاه لقوله تعالى ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين فهي لكل مفتر ومبتدع الى يوم القيامة قال الامام أبو حامد رحمه الله في الاحياء روي عن ابراهيم النخعي أنه سئل عن القتال الذي وقع بين الصحابة رضي الله عنهم فقال تلك دماء قد سلمت منها أيدينا فلا نلطخ بها ألسنتنا وحكى في الاحياء أيضا عن عوف بن عبد الله أنه دخل على الفضل بن المهلب وكان يومئذ على واسط فقال اني أريد أن أعظك بشئ فقال ما ذاك فقال اياك والكبر فانه أول ذنب عصي الله به ثم قرأ واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم الآية واياك والحرص فانه أخرج آدم من الجنة أمكنه الله من جنة عرضها السموات والارض يأكل منها الا شجرة واحدة نهاه الله عنها فأكل منها فأخرجه الله تعالى ثم قرأ اهبطا منها الى آخر الآية واياك والحسد فانه قتل قابيل أخاه حين حسده ثم قرأ واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق الآية واذا ذكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسكت واذا ذكر القدر فاسكت واذا ذكرت النجوم فاسكت وروي عن عمر بن عبد العزيز أنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وأبو بكر وعمر جالسان عنده فسلمت عليه وجلست فبينما أنا جالس اذا أنا بعلي

الى الانتهاء الى السجود فيضع ركبتيه وجبهته ويضع كفيه مكشوفتين على الارض ويضع أولا ركبتيه ثم يديه ثم يضع أنفه مع جبهته ويجافي مرفقيه عن جنبيه بخلاف المرأة ويفرج بين رجليه ولا تفعل المرأة ذلك ويكون مخويا ولا تكون المرأة مخوية ويضع يديه على الارض حذاء منكبيه ولا يفرج بين الاصابع ولا يفرش ذراعيه على الارض كما يفرش الكلب فانه منهي عنه ويقول سبحان ربي الاعلى ثلاثا ولا بأس بالزيادة للمنفرد ويرفع رأسه من السجود مكبرا فيطمئن جالسا على رجله اليسرى وينصب قدمه اليمنى ويضع يديه على فخذيه ولا يتكلف ضم الاصابع ويقول رب اغفر لي وارحمني وارزقني واهدني وعافني واعف عني ويأتي بالسجدة الثانية كما سبق ويستوي منها جالسا جلسة خفيفة للاستراحة ثم يقوم فيضع اليد على الارض ولا يقدم احدى رجليه ويمد التكبير الى انتهاء القيام (التشهد) ثم يتشهد في الركعة الثانية وفي التشهد الاول يجلس على الرجل اليسرى ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ويكون أصابعه اليمنى مقبوضة الا المسبحة فيشير بها عند قوله لا اله الا الله وفي التشهد الاخير يستكمل الدعاء المأثور ويجلس على وركه الايسر ويقول عند الفراغ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ويلتفت يمينا بحيث يرى خده وكذلك يفعل شمالا وينوي الخروج من الصلاة بالسلام وينوي السلام على من ثم

ومعاوية فادخلا بيتا وأجيف عليهما الباب وأنا أنظر فما كان بأسرع من أن خرج علي وهو يقول قضي لي ورب الكعبة وما كان بأسرع من أن خرج معاوية على أثره وهو يقول غفر لي ورب الكعبة وحكي عن بعض الصالحين أنه قال حججت الى بيت الله الحرام فوافيت في الحرم رجلا ذكر لي أنه لا يشرب الماء قال فسألته عن ذلك فقال أنا أخبرك بسبب ذلك أنا رجل من أهل الحلة من الطائفة المتشيعة نمت ليلة فرأيت كأن القيامة قد قامت والناس في كرب شديد وشدة عطش فاصابني عطش عظيم فاتيت حوض النبي صلى الله عليه وسلم فوجدت عليه أبا بكر وعمر وعثمان وعليا رضي الله عنهم وهم يسقون الناس فاتيت عليا رضي الله عنه لادل عليه وبحبي له وتقدمي اياه ليسقيني فاعرض بوجهه عني فاتيت أبا بكر فاعرض بوجهه عني فاتيت عمر فاعرض بوجهه عني فاتيت عثمان فاعرض بوجهه عني رضي الله عنهم والنبي صلى الله عليه وسلم واقف في المحشر يذود الناس فاتيته فقلت يا رسول الله أصابني عطش عظيم فاتيت عليا ليسقيني فاعرض عني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يسقيك وأنت تبغض أصحابي فقلت يا رسول الله مالي من توبة قال نعم أسلم من جديد وتب حتى أسقيك شربة لا تظما بعدها أبدا فاسلمت وتبت على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم فناولني كأسا فشربته فاستيقظت وأنا لم أجد عطشا وبقيت على ذلك ان شئت شربت وان شئت لا أشرب فعند ذلك مضيت الى أهل الحلة وتبرأت منهم الا من أجاب ورجع وأنا الى الآن ما شربت الماء منذ عشرين سنة ويشهد لصحة هذه الحكاية حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحوضي أربعة أركان فاول ركن منها في يد أبي بكر رضي الله عنه والركن الثاني في يد عمر رضي الله عنه والثالث في يد عثمان والرابع في يد علي رضي الله عنه فمن أحب أبا بكر وأبغض عمر لم يسقه أبو بكر ومن أحب عمر وأبغض أبا بكر لم يسقه عمر ومن أحب عثمان وأبغض عليا لم يسقه عثمان ومن أحب عليا وأبغض عثمان لم يسقه علي وعن أبي قلابة قال كنت في رفقة بالشام فسمعت رجلا يقول يا ويلاه النار فقمت اليه فاذا رجل مقطوع اليدين من المنكبين والرجلين من الحقوين أعمى منكب لوجهه فقلت يا عبد الله مالك قال كنت ممن دخل على عثمان يوم الدار فلما دنوت منه صرخت امرأته فاقبلت عليها فلطمتها فنظر الى عثمان فقال مالك سلب الله يديك ورجليك وأعمى بصرك وأدخلك نار جهنم فاخذتني رعدة شديدة فخرجت هاربا من دعوته فلما صرت بموضع هذا البلاء أتاني آت فصنع بي ما ترى فقد استجاب الله فما بقي من دعائه الا النار قال أبو قلابة فهممت أن أطأه برجلي فقلت بعدا لك وسحقا وحكي أن رجلا مضى الى الحج فبلغ بغداد وكان يطلب من يودعه وديعة فرأى شيخا على دكان فدنا منه وعرض عليه تلك الوديعة فامتنع الرجل فحرص صاحب الوديعة وقال قلما يكون مثل هذا الرجل فقال الشيخ ان كان لابد أن أقبل وديعتك فبلغ مني رسالة الى النبي صلى الله عليه وسلم وقل له لولا عندك هذان الرجلان يجنبك لزرتك كل سنة فقضى الحاج حجه ورجع الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وكان يختلج في صدره تلك الرسالة فنعس فرأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه مع أصحابه فقال بلغ رسالة الرجل قال فانتبهت من هيبة النبي صلى الله عليه وسلم وتوضأت وصليت ركعتين ونمت فرأيت ثانيا وثالثا مثل الاول فقلت يا رسول الله أنت أعلم بما قال ذلك الملعون قال نعم ولكن أد أمانته عنك قلت قال الرجل لولا هذان الرجلان يجنبك لزرتك كل سنة قال فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم الى علي رضي الله عنه فغاب علي ساعة ثم جاء ومعه الرجل البغدادي آخذا بزيق قميصه فقال لي هل هو هذا قلت نعم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي اضرب عنقه فسل علي سيفه فضرب عنقه فقطر من دمه قطرة على قميصي ففزعت فانتبهت وجئت الى رحلي وكتبت التاريخ لذلك اليوم وتلك الساعة ثم أتيت بغداد وطلبت دار ذلك الشيخ الذي عنده الوديعة فجئت الى باب داره فرأيت رجلا فاستخبرت عنه فقال غاب فطلبناه فوجدناه في خربة بغير رأس وذلك بتاريخ كذا وكذا وهو بالتاريخ الذي أثبته بالمدينة فاخبرته بالقصة فبلغ الخبر الى الخليفة فامر مناديا ينادي ببغداد وفي سائر البلدان لا تسبوا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم (وصية) عباد الله اذكروا نعمة الله عليكم اذ أرسل خير خلقه اليكم نعرفكم مصالح الامور ونصحكم نصحا تأمنون به من

عينه ومن يساره من الملائكة والمسلمين ولا بعد السلام (تمييز الفرائض والسنن) الفرض من جملة ما ذكرناه اثنا عشر النية وقول الله أكبر والقيام والفاتحة والانحناء في الركوع الى أن تنال راحتاه ركبتيه مع الطمأنينة والاعتدال عنه قائما والسجود مع الطمأنينة والاعتدال عنه قاعدا والجلوس للتشهد الاخير والتشهد الاخير والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلام الاول (فصل في الشروط الباطنة من أعمال القلب) فمنها الخشوع قال تعالى أقم الصلاة لذكري وقال عليه السلام كم من قائم حظه من الصلاة التعب والنصب واعلم أن الصلاة انما هي ذكر وقراءة ومناجاة ومحاورة وذلك لا يكون الا بحضور القلب وتمامه يحصل بالتفهيم والتعظيم والهيبة والرجاء والحياء وعلى الجملة كلما ازداد العلم بالله زادت الخشية وحصل الحضور فاذا سمعت الاذان ينبغي أن تستحضر القلب هول النداء يوم القيامة وتتشمر بظاهرك وباطنك للاجابة والمسارعة فان المسارعين الى هذا النداء هم الذين ينادون باللطف يوم العرض الاكبر فان وجدت قلبك مملوأ بالفرح والاستبشار مشغوفا الى الابتدار فيكون مثل ذلك وفي ذلك النداء لذلك قال عليه السلام أرحنا يا بلال اذ كانت قرة عينه في الصلاة فالطهارة طهارة السر عما سوى الله فيها تتم هذه الصلاة فانك ان سترت العورة بالثياب

الغرور ولا تنسوا فضل الصحابة الابرار السادة الاخيار الذين فتحوا لكم البلاد وأوضحوا لكم سبل الرشاد فاكثروا من الاستغفار لهم وأحسنوا الظن بهم وتوسلوا الى ربكم أن يجعلكم من حزبهم وقيدوا رحمكم الله ألسنتكم عن سبهم وطهروا قلوبكم من بغضهم والاستنقاص بهم فوالله ما يبغضهم الا ملحد ولا يستنقص بهم الا من عن تحقيق الايمان قد أبعد فيا مبغض الصديق من غير علم ولا استبصار أما سمعت قوله تعالى ثاني اثنين اذ هما في الغار ويا مبغض الفاروق بجهله المبين أما سمعت قول رب العالمين فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين ويا أيها الرافضي المجرم أما سمعت الاحاديث المروية في صحيح البخاري ومسلم في فضل أبي بكر وعمر أتقدر أن تنكرها يا من غلب عليه الافتراء والشر أما بلغك قول النبي صلى الله عليه وسلم الطهر فاقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر كم في فضلهما من حديث رواه علي عن سيد البشر كحديث جئت أنا وأبو بكر وعمر أما بلغك ما رواه محمد بن الحنفية عن أبيه أنهما خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا من الصحيح الذي لا طعن فيه كم من مفصح بفضلهما من الصحابة والتابعين أتستطيع أن تنكر ذلك يا مسكين كم من مكثر في مدحهما من فصحاء الشعراء هل عندك في ذلك شك أو مراء ويحك أتريد أنت وأصحابك الاغمار ابطال قول السادة الاخيار ومخالفة المصطفى المختار ومعارضة الملك الجبار في قوله والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار يا من رفض الحق واتبع الهوى ووساوس الشيطان تيقظ من غفلتك وتب الى الرحمن وتذلل بين يدي الملك الديان وقل بقلب خال عن الغش والعدوان ولسان طاهر من اللغو والبهتان ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان

(كتاب فضل الاولياء وكراماتهم وفيه أربعة أبواب)

(الباب الاول في فضلهم)

قال الله تعالى ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم قيل ان أولياء الله هم المؤمنون لقوله الذين آمنوا وكانوا يتقون وقيل هم الذين تولى الله هداهم بالبرهان الذي آتاهم فتولوا القيام بحقه والرحمة بخلقه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم قوم تحابوا في الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم تلا ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا يحزنون أي على دنياهم أي لا خوف عليهم في ذريتهم لان الله يتولاهم ولا هم يحزنون على دنياهم لتعويض الله اياهم في أولادهم وأخراهم لانه وليهم ومولاهم وفي بعض الاخبار ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل من أولياء الله قال الذين اذا رؤوا ذكر الله ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ان أوليائي من عبادي الذين يذكرون بذكري واذكر بذكرهم لهم البشرى في الحياة الدنيا أي عند الموت بان يرى مكانه في الجنة وفي الآخرة هي الجنة وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله لهم البشرى في الحياة الدنيا قال هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له وروى البخاري رضي الله عنه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قال من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب الى عبدي بشيء أحب الى مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وان سألني أعطيته ولئن استعاذني لاعيذنه روي استعاذني بالنون والباء وآذنته بالحرب أعلمته باني محارب له وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رب أشعث مدفوع بالابواب لو أقسم على الله لابره أي لو حلف على وقوع شيء لاوقعه الله اكراما له باجابة سؤاله وقيل معنى القسم هنا الدعاء وأبره أجابه والله أعلم وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال بدلاء أمتي أربعون اثنان وعشرون بالشام وثمانية عشر بالعراق كلما مات واحد منهم أبدل الله مكانه آخر فاذا جاء الامر قبضوا وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

فما الذي يستر عورتك في الباطن عن الله فتادب بين يدي الله واعلم أنه يطلع عليك وعلى سرك فتواضع بظاهرك وباطنك وانظر لو وقفت بين يدي الملك كيف تكون ولا نسبة بينه تعالى وتقدس وبين الملوك الكل عبيده فاذا فعلت ذلك فلا تكون كاذبا في قولك وجهت وجهي وفي قولك حنيفا مسلما وما أنا من المشركين وقولك صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله فانظر فلا ينبغي أن يكون هذا كذبا فيكون سبب هلاكك وينبغي ان تذكر كبرياء الله وعظمته عند ركوعك وسجودك وتعلم ذلك بصغارك والله برحمته أهلك لمناجاته فلا أقل من التادب والحضور بقلبك بين يديه قال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى مقبل على المصلي ما لم يلتفت فاحفظ ظاهرك وباطنك عن الالتفات وقال عليه السلام ان العبد ليصلي ولا يكتب له من صلاته لا نصفها ولا ثلثها ولا ربعها ولا خمسها ولا سدسها ولا عشرها وانما يكتب للرجل من صلاته ما عقل منها وقال بعضهم ان العبد يسجد السجدة عنده انه تقرب بها الى الله تعالى ولو قسمت ذنوبه في سجدته على أهل مدينته اهلكوا قيل وكيف ذلك قال يكون ساجدا عند الله تعالى وقلبه مصغ الى هوى ومشاهد لباطل قد استولى عليه

(فصل في القدوة والامامة) قال عليه السلام الائمة ضمناء ولا ينبغي أن يتقدم على قوم يكرهونه ومادام يقدر المريد على

ان الله تعالى فى الارض ثلثمائة قلوبهم على قلب آدم وله أربعون قلوبهم على قلب موسى وله سبعة قلوبهم على قلب ابراهيم وله خمسة قلوبهم على قلب جبرائيل وله ثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل وله واحد قلبه على قلب اسرافيل فاذا مات الواحد أبدل الله مكانه من الثلاثة واذا مات من الثلاثة أبدل الله مكانه من الخمسة واذا مات من الخمسة أبدل الله مكانه من السبعة واذا مات من السبعة أبدل الله مكانه من الاربعين واذا مات من الاربعين أبدل الله مكانه من الثلثمائة واذا مات من الثلثمائة أبدل الله مكانه من العامة يدفع الله بهم البلاء عن هذه الامة وذكر بعضهم عزرائيل ولم يذكر موسى وجعل مكان ابراهيم جبرائيل ومكان جبرائيل ميكائيل ومكان ميكائيل اسرافيل ومكان اسرافيل عزرائيل صلوات الله عليهم أجمعين قال الشيخ الامام عبد الله بن أسعد اليافعى رحمه الله والواحد المذكور فى هذا الحديث هو القطب وهو الغوث ومكانه من الاولياء كالنقطة من الدائرة التى هى مركزها به يقع صلاح العالم وقال بعضهم لم يذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قلبه فى جملة الانبياء والملائكة والاولياء اذلم يخلق الله تعالى فى عالم الخلق والامر أعز وألطف وأشرف من قلبه عليه الصلاة والسلام فقلوب الملائكة والانبياء والاولياء بالاضافة الى قلبه كاضافة سائر الكواكب الى كمال نور الشمس وقال الشيخ العارف أبو الحسين النورى رحمه الله شاهد الحق القلوب فلم ير قلبا أشوق اليه من قلب محمد صلى الله عليه وسلم فأكرمه بالمعراج تعجيلا للرؤية والمكالمة وقال الشيخ العارف بحر المعارف ذو النون المصرى رحمه الله ركضت أرواح الانبياء فى ميدان المعرفة فسبقت روح نبينا صلى الله عليه وسلم أرواح سائر الانبياء الى رياض الوصال وروى عن على رضى الله عنه انه قال البدلاء فى الشام والنجباء بمصر والعصائب بالعراق والنقباء بخراسان والاوتاد بسائر البلدان والخضر عليه السلام سيد القوم وروى عن أبى الدرداء رضى الله عنه انه قال ان لله عبادا يقال لهم الابدال لم يبلغوا ما بلغوا بكثرة الصوم والصلاة والتخشع وحسن الحلية ولكن بلغوا بصدق الورع وحسن النية وسلامة الصدر والرحمة لجميع المسلمين اصطفاهم الله بعلمه واستخلصهم لنفسه وهم أربعون رجلا على مثل قلب ابراهيم صلى الله عليه وسلم لا يموت الرجل منهم حتى يكون الله قد أنشأ من يخلفه واعلم أنهم لا يسبون شيأ ولا يلعنونه ولا يؤذون من تحتهم ولا يحقرونه ولا يحسدون من فوقهم أطيب الناس خبرا وألينهم عريكة وأسخاهم نفسا لا تدركهم الخيل المجراة ولا الرياح العواصف فيما بينهم وبين ربهم انما قلوبهم تصعد فى السقوف العليا ارتياحا الى الله تعالى فى استباق الخيرات أولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون وهذا بعض كلامه قال اليافعى رحمه الله وقال أبو الليث السمرقندى رحمه الله يقال أخلاق الابدال عشرة أشياء سلامة الصدور والسخاوة فى المال وصدق اللسان وتواضع النفس والصبر فى الشدة والبكاء فى الخلوة والنصيحة للخلق والرحمة للمؤمنين والتفكر فى الاشياء والعبرة بالاشياء وقال الحسن لولا الابدال لخسفت الارض بمن فيها ولولا الصالحون لفسدت الارض ولولا العلماء لصارت الناس مثل البهائم ولولا السلطان لاكل الناس بعضهم بعضا ولولا الحمقى لخربت الارض ولولا الريح لانتن ما بين السماء والارض وعن أبى عثمان المغربى رضى الله تعالى عنه انه قال العارف تضئ له أنوار العلم فينظر بها عجائب الغيب وقال ابراهيم بن أدهم رضى الله عنه لرجل أتحب أن تكون لله وليا قال نعم قال لا ترغب فى شئ من الدنيا والآخرة وفرغ نفسك لله وأقبل عليه بوجهك ليقبل عليك ويواليك وقال الشيخ أبو نصر السراج رضى الله عنه الناس فى الادب على ثلاث طبقات أما أهل الدنيا فأكثر آدابهم فى الفصاحة والبلاغة وحفظ العلوم وأسماء الملوك وأشعار العرب وأما أهل الدين فأكثر آدابهم فى رياضة النفوس وتأديب الجوارح بالعهود وحفظ الحدود وترك الشهوات وأما أهل الخصوصية فأكثر آدابهم فى طهارة القلب ومراعاة الاسرار والوفاء بالعهود وحفظ الوقت وقلة الالتفات الى الخواطر وحسن الادب فى مواقف الطلب وأوقات الحضور ومقامات القرب وكان أحمد بن حنبل عند الشافعى رضى الله تعالى عنهما فجاء شيبان الراعى فقال أحمد أريد يا أبا عبد الله أن أنبه هذا على نقصان علمه ليشتغل بتحصيل بعض العلوم فقال له الشافعى لا تفعل فلم يقتنع فقال لشيبان ما تقول فيمن سها عن صلاة من خمس صلوات فى اليوم

اختيار الاذان لاختيار الامامة فانه أسلم والاصح ان الامامة أفضل لمن يستقل باعبائها ولذلك داوم عليه السلام وينبغى أن يراعى أوقات الصلاة فيصلى فى أوائل الاوقات فاول الوقت رضوان الله وآخره عفو الله ورضوان الله أولى من عفو الله وينبغى له أن يكون له ثلاث سكتات هكذا نقل عنه صلى الله عليه وسلم أولها عند الاسرار بدعاء الاستفتاح وهى الاولى والثانية بعد قراءة الفاتحة وقبل افتتاح السورة وهى نصف الاولى والثالثة بعد الفراغ من السورة وقبل الهوى للركوع وهى أخفها ولا ينبغى أن يسابق المأموم الامام بل لا يهوى للركوع ما لم يستقر الامام فى الركوع وهكذا فى جميع الاركان وقيل ان الناس يخرجون من الصلاة على ثلاثة أقسام طائفة بخمس وعشرين صلاة وهم الذين يكبرون ويركعون بعد ركوع الامام وطائفة بصلاة واحدة وهم الذين يساوونه وطائفة بلا صلاة وهم الذين يسبقون الامام وقد اختلفوا فى أن الامام هل ينتظر فى ركوعه لحوق من دخل لينال فضل الجماعة ولعل الاولى أنه لا باس به مع الاخلاص اذا لم يظهر تفاوت ظاهر ويقول فى قنوت صلاة الصبح اللهم اهدنا والقوم يؤمنون الى قوله انك تقضى ولا يقضى عليك فاذا انتهى اليه فالقوم يوافقونه سرا فى القراءة أو يقولون أشهد *(فصل فى فضل الجمعة والليلة

والليلة ولا يدرى أى صلاة نسيها فما الواجب عليه يا شيبان فقال شيبان يا أحمد هذا قلب غفل عن الله عز وجل فالواجب أن يؤدب حتى لا يغفل عن مولاه فغشى على أحمد وفى رواية أخرى فالواجب أن يؤدب باعادة الخمس فلما أفاق الامام أحمد قال له الامام الشافعى ألم أقل لك لا تحرك هذا وفى رواية أخرى انه سأله عن الزكاة أيضا فى كم تجب فقال شيبان أما على مذهبكم تجب فى الابل فى كذا وكذا وفى البقر فى كذا وكذا وفى الغنم فى كذا وكذا وفى الفضة فى كذا وكذا وفى الذهب فى كذا وكذا وفى الزرع والثمار فى كذا وكذا وأما على مذهبى فالكل له وكان فقيه من أكابر الفقهاء حلقته بجنب حلقة الشبلى فى جامع المنصور وكان يقال لذلك الفقيه أبو عمران وكان يتعطل عليه وعلى أصحابه حلقتهم بكلام الشبلى فسأل أصحاب أبى عمران يوما الشبلى عن مسئلة فى الحيض وقصدوا اخجاله فذكر مقالات الناس فى تلك المسئلة والخلاف فيها فقام أبو عمران وقبل رأس الشبلى وقال يا أبا بكر استفدت فى هذه المسئلة عشر مقالات لم أسمعها وكان عندى من جملة ما قلت ثلاثة أقاويل وقال بعضهم حضرت مجلس أبى العباس بن سريج فتكلم فى الفروع والاصول بكلام حسن عجبت منه فلما رأى اعجابى قال أتدرى من أين هذا هذا من بركة مجالستى أبا القاسم الجنيد وقيل لابى القاسم الجنيد ممن استفدت هذه العلوم فقال من جلوسى بين يدى الله عز وجل ثلاثين سنة تحت تلك الدرجة وأشار الى درجة فى داره وقال رحمه الله لو علمت أن لله علما تحت أديم السماء أشرف من هذا العلم الذى نتكلم فيه مع أصحابنا واخواننا لسعيت اليه ولقصدته وقال أيضا ما أخذنا التصوف عن القال والقيل لكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات وروى أن الامام أحمد رحمه الله كان مع جلالة قدره يكثر التردد الى بعض الصوفية العارفين فقيل له أتتردد لرواية عند هذا الشيخ فقال عنده رأس الامر تقوى الله عز وجل أو قال معرفة الله عز وجل

(الباب الثانى فى اثبات كرامات الاولياء)

قال الشيخ الامام الزاهد عبد الله بن أسعد اليافعى رحمه الله تعالى ظهور الكرامات على الاولياء جائز عقلا واقع نقلا أما جوازه عقلا فانه ليس بمستحيل فى قدرة الله تعالى بل هو من قبيل الممكنات كظهور معجزات الانبياء هذا مذهب أهل السنة من المشايخ العارفين والنظار الاصوليين والفقهاء والمحدثين وتصانيفهم ناطقة بذلك ثم القول الصحيح المحقق المختار عند جمهور المحققين من أهل السنة ان كل ما جاز للانبياء من المعجزات جاز للاولياء مثله من الكرامات بشرط عدم التحدى ولا يرد على ذلك القرآن للزومه التحدى ولا يصح قول من يقول ان ذلك يؤدى الى الالتباس بين الكرامات والمعجزات لان المعجزة يجب على النبى أن يتحدى بها ويظهرها والكرامة يجب على الولى أن يخفيها ويسرها الا عند ضرورة أو اذن أو حال غالب لا يكون له فيه اختيار أو لتقوية يقين بعض المريدين كما فعل بعضهم غرف عسلا من الجو ووضعه فى مريد وآخر أرى غيره الكعبة من بلاد بعيدة وآخر أرى بعض المنكرين الكعبة تطوف به قال اليافعى رحمه الله وقد سمعنا سماعا محققا أن جماعة منهم شوهدت الكعبة تطوف به طوافا محققا حقيقة قال ورأيت بعض من شاهد ذلك من الثقات الاتقياء بل من السادات العلماء وما ذهب اليه الاستاذ أبو اسحق الاسفراينى رحمه الله من اثبات بعض الكرامات دون بعض فهو مخالف لمذهب الجمهور الصحيح المشهور وأما وقوع ذلك نقلا فقد جاء فى القرآن والاخبار والآثار بالاسناد ما يخرج عن الحصر والتعداد فمن ذلك ما أخبر الله عن مريم رضوان الله عليها بقوله عز وجل كلما دخل عليها زكريا المحراب الآية وقوله سبحانه لمريم وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا وكان فى غير أوان الرطب كما جاء فى التفسير وكذلك ما أخبر الله تعالى من العجائب على يد الخضر مع موسى عليه السلام وكذلك قصة ذى القرنين وتمكين الله سبحانه له ما لم يمكنه لغيره وكذلك قصة أصحاب الكهف والاعاجيب التى ظهرت عليهم رضوان الله عليهم من كلام الكلب معهم وغير ذلك وكذلك قصة آصف بن برخيا رضى الله عنه مع سليمان صلى الله عليه وسلم فى عرش بلقيس فى قوله تعالى قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك وكل

وآدابها وسننها وفرائضها)* قال النبى صلى الله عليه وسلم من ترك الجمعة ثلاثا من غير عذر طبع على قلبه وفى لفظ آخر نبذ الاسلام وراء ظهره وفى حديث أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال أتانى جبرائيل عليه السلام وفى كفه مرآة بيضاء وقال هذه الجمعة يفرضها عليك ربك لتكون لك عيدا ولامتك من بعدك قلت فما لنا فيها قال لكم فيها خير ساعة من دعا فيها بخير قسم له أعطاه الله سبحانه اياه أو ليس له قسم ذخر له ما هو أعظم منه وهو سيد الايام عندنا ونحن ندعوه فى الآخرة يوم المزيد قلت ولم قال ان ربك عز وجل اتخذ واديا فى الجنة أفيح من المسك الابيض فاذا كان يوم الجمعة نزل من عليين على كرسيه فيتجلى لهم حتى ينظروا الى وجهه واعلم أنها لا تنعقد الا بأربعين ذكرا مكلفين أحرارا مقيمين لا يظعنون عنه شتاء ولا صيفا وينبغى أن لا تكون الجمعة مسبوقة بأخرى الا فى بلدة كبيرة ظن تعذر اجتماع الناس فى جامع واحد فيجوز اثنتان وثلاثة بقدر الحاجة والخطبتان فيهما فريضتان والقيام فيهما فريضة والجلسة بينهما فريضة وفى الاولى أربع فرائض التحميد وأقله الحمد لله والثانية الصلاة على رسول الله والثالثة الوصية بتقوى الله والرابعة قراءة آية من القرآن وكذلك الثانية فرائضها أربعة الا أنه يجب فيها الدعاء بدل القرآن واستماع الخطبتين واجب من الاربعين وأما السنن فاذا زالت الشمس وأذن

هؤلاء المذكورين ليسوا بانبياء ومن ذلك في الحديث المشهور في الصحيحين حديث جريج الراهب الذي كلمه الطفل في المهد حين قال له يا غلام من أبوك قال فلان الراعي ومن ذلك حديث أصحاب الغار الذين انطبقت عليهم الصخرة وهو حديث صحيح مذكور في الصحيحين ومن ذلك ما جاء في الصحيحين في أبي بكر الصديق مع ضيفه الذي قال فيه وأيم الله ما كنا نأخذ لقمة الا ربى من أسفلها أكثر منها حتى شبعوا وصارت أكثر مما كانت قبل ذلك ومن ذلك ما في الصحيحين أيضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كان فيما قبلكم من الامم محدثون فان يك في أمتي أحد فانه عمر ومن ذلك ما صح عن عمر رضي الله عنه أنه قال يا سارية الجبل في حال خطبته في يوم الجمعة فبلغ صوته الى سارية في ذلك الوقت فتحرز من العدو في مكان من الجبل في تلك الساعة فكان في ذلك لعمر كرامتان احداهما كشف له عن حال سارية وأصحابه المسلمين وحال العدو والثانية بلوغ صوته الى سارية في بلاد بعيدة ومن ذلك حديث خبيب المشهور وهو في صحيح البخاري ومن ذلك حديث البخاري في أسيد بن حضير وعباد بن بشر رضي الله عنهما الذي قال فيه خرجنا من عند النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة مظلمة ومعهما مثل المصباحين بين أيديهما فلما افترقا صار مع كل واحد منهما واحد حتى أتى أهله ومن ذلك ما جاء أن ابن عمر رضي الله عنهما قال للاسد الذي منع الناس الطريق تنح فبصبص بذنبه وذهب فمشى الناس فقال ابن عمر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم من خاف من الله خوف الله منه كل شيء ومن ذلك ما جاء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه في غزاة فحال بينهم وبين الموضع قطعة من البحر فدعا الله باسمه الاعظم ومشى على الماء فان قيل ما بال الصحابة رضي الله عنهم لم يشتهر عنهم من الكرامات الكثيرة مثل ما اشتهر عن الاولياء بعدهم فالجواب ما أجاب به أحمد بن حنبل رحمه الله لما قيل له يا أبا عبد الله ان الصحابة لم يروعنهم من الكرامات ما قد روي عن الاولياء والصالحين فكيف هذا فقال أولئك كان ايمانهم قويا فما احتاجوا الى زيادة شيء يقوون به وغيرهم كان ايمانه ضعيفا فلم يبلغوا ايمان أولئك فقووا باظهار الكرامات لهم وفي هذا المعنى قال بعض الشيوخ في كرامات مريم كانت في بدايتها يتعرف اليها بخرق العادات بغير سبب تقوية لايمانها وتكميلا ليقينها فكانت كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا فلما قوي ايمانها وكمل يقينها ردت الى السبب وقيل لها هزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا وقال أبو القاسم القشيري رضي الله عنه وكل نبي ظهر كرامته على واحد من أمته فهي معدودة من جملة معجزاته قال ثم هذه الكرامات قد تكون اجابة دعوة وقد تكون اظهار طعام في أوان فاقة من غير سبب ظاهر أو حصول ماء في زمن عطش أو تسهيل قطع مسافة في مدة قريبة أو تخليصا من عدو وسماع خطاب من هاتف أو غير ذلك من فنون الافعال الناقضة للعادة انتهى فان قيل تشتبه الكرامات بالسحر فالجواب بما أجاب به العلماء المحققون أن السحر يظهر على يد الفساق والزنادقة والكفار الذين هم على غير الالتزام بالاحكام الشرعية ومتابعة السنة وأما الاولياء فهم الذين بلغوا في متابعة السنة وأحكام الشريعة وآدابها الدرجة العليا فافترقا والناس في الكرامات مختلفون فمنهم من ينكرها مطلقا وهؤلاء أهل مذهب معروف وعن التوفيق مصروف ومنهم من يكذب بكرامات أولياء زمانه ويصدق بكرامات الاولياء الذين ليسوا في زمانه كمعروف وهؤلاء كما قال الشاذلي والله ما هي الا اسرائيلية صدقوا بموسى وكذبوا بمحمد صلى الله عليه وسلم لانهم أدركوا زمنه ومنهم من يصدق بأن لله تعالى أولياء لهم كرامات ولا يصدق بأحد معين من أهل زمانه فهؤلاء محرومون أيضا لان من لم يسلم لواحد معين لم ينتفع بأحد نسأل الله التوفيق ذكر هذا جميعه الامام عبد الله بن أسعد اليافعي رحمه الله تعالى وعن عائشة رضي الله عنها أن أبا بكر نحلها جداد عشرين وسقا من ماله بالغابة فلما حضرته الوفاة قال والله يا بنية ما من الناس أحب الى غنى بعدي منك ولا أعز علي فقرا منك واني كنت نحلتك جداد عشرين وسقا فلو كنت جددتيه واحترتيه كان لك وانما هو اليوم مال وارث وانما هما أخواك وأختاك فاقتسموه على كتاب الله قالت عائشة يا أبت لو كان كذا وكذا لتركته انما هي أسماء فمن الاخرى فقال ذو بطن بنت خارجة أراها جارية وتوبنت خارجة زوجته وكانت حاملا حين

المؤذن وجلس الامام على المنبر انقطعت الصلاة سوى التحية والكلام لا ينقطع الا بافتتاح الخطبة ويستحب فيه الثياب البيض والطيب والغسل والبكور مستحب قال النبي صلى الله عليه وسلم من راح في الساعة الاولى فكأنما قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة فاذا خرج الامام طويت الصحف ورفعت الاقلام واجتمعت الملائكة عند المنبر يستمعون الذكر فمن جاء بعد ذلك فانما جاء لحق الصلاة ليس له من الفضل شيء تفصيل الساعات الساعة الاولى الى طلوع الشمس والثانية الى ارتفاعها والثالثة الى انبساطها والرابعة والخامسة بعد الضحى الاعلى الى الزوال وينبغي أن لا يتخطى رقاب الناس ولا يمر بين أيديهم ويجلس بحيث لا يمر أحد بين يديه ويطلب الصف الاول فاذا فرغ من الصلاة فيذكر الله كثيرا ويحسن مراقبة الساعة التي في يوم الجمعة ويكثر الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عليه السلام أكثروا الصلاة علي في الليلة الغراء واليوم الازهر يعني يوم الجمعة وليلتها ويستحب الصدقة في هذا اليوم خاصة ويستحب أن لا يجلس اذا دخل المسجد حتى يصلي أربع

توفي

توفي فولدت بعده أم كلثوم فزوجها طلحة بن عبيد الله وعن ابن عمر أن عمر رضي الله عنه حين بعث جيشا وأمر عليهم رجلا يدعى سارية قال فبينما عمر يخطب وهو على المنبر جعل يصيح يا سارية الجبل يا سارية الجبل يا سارية الجبل فلما قدم رسول الجيش فسأله قال يا أمير المؤمنين لقينا عدونا فهزمونا وان الصائح ليصيح يا سارية الجبل فاسندنا ظهورنا الى الجبل فهزمهم الله تعالى وروي أنه لما فتحت مصر أتى أهلها عمرو ابن العاص حين دخل بؤنة من أشهر العجم فقالوا أيها الامير ان لنيلنا هذا سنة لا يجري الا بها فقال لهم وما ذاك فقالوا اذا كان اثنتا عشرة ليلة خلون من هذا الشهر عمدنا الى جارية بكر بين أبويها فأرضينا أبويها وجعلنا عليها من الحلي والثياب أفضل ما يكون ثم ألقيناها فيه فقال عمرو هذا لا يكون في الاسلام فان الاسلام يهدم ما قبله وكتب الى عمر رضي الله عنه بذلك فكتب اليه انك قد أصبت فان الاسلام يهدم ما قبله واني قد بعثت اليك ببطاقة فالقها في النيل فلما وصلت البطاقة الى عمرو فاذا فيها من عبد الله أمير المؤمنين عمر الى نيل مصر أما بعد فان كنت انما تجري من قبلك فلا تجري وان كان الله الواحد القهار هو الذي يجريك فنسأله أن يجريك فالقاها فيه فأجراه الله ستة عشر ذراعا في ليلة واحدة وقطع الله تلك السنة عن أهل مصر الى اليوم وقال أبو بكر بن عياش رحمه الله قال عمر أتيت زمزم فاستقيت منها عسلا وأتيتها فاستقيت منها لبنا وأتيتها فاستقيت منها ماء وعن سعد بن أبي عروبة قال غم على الناس هلال شهر رمضان قال فخرج الحسن البصري وقال اللهم ان كانت ليلته فبينه قال فانجلى عنه الغيم حتى نظر اليه الناس وعن عامر بن عبد القيس أنه مر بقافلة قد حبسهم أسد فقالوا له يا أبا عبد الله انا نخاف عليك من الاسد قال انما هو كلب من كلاب الله ان شاء الله أن يسلطه سلطه وان شاء أن يكفه كفه فمشى اليه حتى أخذ أذنه فنحاه عن الطريق وجازت القافلة وقال اني أستحي من ربي عز وجل أن يرى من قلبي أني أخاف غيره وعن ثابت البناني رحمه الله قال كنت مع مصعب بن الزبير في سواد الكوفة فدخلت حائطا أصلي فافتتحت حم المؤمن حتى بلغت لا اله الا هو اليه المصير فاذا رجل خلفي على بغلة شهباء عليه مقطعات يمانية فقال اذا قلت يا غافر الذنب فقل يا غافر الذنب اغفر ذنبي واذا قلت وقابل التوب فقل يا قابل التوب اقبل توبتي واذا قلت شديد العقاب قل يا شديد العقاب لا تعاقبني فاذا قلت ذي الطول فقل يا ذا الطول تطول علي منك برحمتك فالتفت فلم أر أحدا فرجعت الى الباب فقلت هل مر بكم رجل عليه مقطعات يمانية قالوا ما رأينا أحدا وكانوا يرون أنه الياس عليه السلام وقيل ان عتبة الغلام دعا ربه أن يهب له ثلاث خصال في دار الدنيا دعا ربه أن يمن عليه بصوت حزين ودمع غزير وطعام من غير تكلف فكان اذا قرأ بكى وأبكى فكانت دموعه جارية دهره وكان يأوي الى منزله فيصيب قوته ولا يدري من أين يأتيه وقيل ان رابعة كانت تطبخ قدرا فاشتهت بصلا فجاء طير في منقاره بصلة فالقاها اليها وكان أبو معاوية الاسود قد عمي وكان اذا أراد أن يقرأ نشر المصحف رجع بصره اليه فاذا أطبقه ذهب بصره وحكى النووي رحمه الله في كتاب البستان أن امرأة أبي مسلم الخولاني قالت له ليس لنا دقيق قال هل عندك شيء قالت درهم بعنا به غزلا قال ابغنيه وهات الجراب فدخل السوق فوقف على رجل يبيع الطعام فوقف عليه سائل فقال يا أبا مسلم تصدق علي فهرب منه وأتى حانوتا آخر فتبعه السائل فقال يا أبا مسلم تصدق علينا فاضجره فاعطاه الدرهم ثم عمد الى الجراب فملأه من نحاتة النجار مع التراب ثم أقبل الى باب منزله فنقر الباب وهو مرعوب من أهله فلما فتحت الباب رمى الجراب وذهب واذا فيه دقيق حواري فعجنت وخبزت فلما ذهب من الليل الهوي جاء أبو مسلم فنقر الباب فلما دخل وضعت بين يديه خوانا وأرغفة حواري فقال من أين لكم هذا قالت يا أبا مسلم من الدقيق الذي جئت به فجعل يأكل ويبكي واسم أبي مسلم عبد الله بن ثوب وكان رحل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصحبه فتوفي النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الطريق ولما ادعى الاسود بن قيس العنسي الكذاب النبوة باليمن بعث الى أبي مسلم الخولاني رضي الله عنه فلما جاءه قال أتشهد أني رسول الله فقال ما أسمع قال أتشهد أن محمدا رسول الله قال نعم فردد ذلك عليه فأمر بنار عظيمة فأججت وألقي فيها أبا مسلم فلم تضره فقيل له انفه عنك والا أفسد عليك من اتبعك فأمره بالرحيل فأتى أبو مسلم المدينة وتوفي

ركعات يقرأ فيهن مائتي مرة قل هو الله أحد وان قدر على أن يجعل يوم الجمعة للآخرة فلا يشتغل فيه بشيء من أشغال الدنيا فمن فعل فانها كفارة لما بين الجمعتين وروي أن من سافر في ليلة الجمعة دعا عليه ملكاه ويحرم بعد طلوع الفجر الا اذا كانت الرفقة تفوت

(فصل في النوافل) ولا ينبغي أن يترك النوافل فهي جوابر للفرائض والفرض رأس المال والنوافل بمنزلة الربح ولا يترك الرواتب كما عرف ولا يترك صلاة الضحى وهي ركعتان أو أربعة أو زيادة ولا يترك التهجد واحياء ما بين العشاءين وركعتي الصبح فانهما خير من الدنيا وما فيها ويدخل وقتهما بطلوع الصبح الصادق وهو المستطير دون المستطيل

(فصل) في صلاة العيدين وصلاة العيدين سنة مؤكدة وشعار من شعائر الدين ويراعى فيه عدة أمور الاول التكبير ثلاثا نسقا فيقول الله أكبر الله أكبر الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا لا اله الا الله وحده لا شريك له مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ويفتتح التكبير ليلة الفطر الى الشروع في صلاة العيد وتكبير يوم النحر ويفتتح عقب الصبح يوم عرفة الى آخر النهار يوم الثالث عشر في أكمل الاقوال ويكبر عقيب الصلاة المفروضة وقيل عقيب النوافل أيضا ويستحب الغسل والتزين

رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر رضى الله عنه فاناخ أبو مسلم راحلته بباب المسجد فقام يصلى الى سارية فبصر به عمر رضى الله عنه فقام اليه فقال ممن الرجل قال من أهل اليمن قال مافعل الذى حرقه الكذاب بالنار قال ذلك عبد الله بن ثوب قال نشدتك الله أنت هو قال اللهم نعم فاعتنقه ثم بكى ثم ذهب به حتى اجلسه مابينه وبين أبى بكر الصديق رضى الله عنهم أجمعين وقال الحمد لله الذى لم يمتنى حتى أرانى فى أمة محمد صلى الله عليه وسلم من فعل به كما فعل بابراهيم خليل الرحمن قال النووى رحمه الله وقوله لاأسمع يحتمل وجهين أحدهما معناه لاأقبل هذا والثانى أنه على ظاهره وان الله تعالى سد مسامعه عن هذا الباطل قال وهذا أظهر

(الباب الثالث)

قال القرطبى فى تفسيره اختلف الناس هل يجوز أن يعلم الولى أنه ولى أم لا على قولين أحدهما أنه لايجوز وأن مايظهر على يديه يجب أن يلاحظه ٢ بغير خوف المكر لانه لايأمن أن يكون مكرا واستدراجا له وقد حكى عن السرى رحمه الله أنه كان يقول ان رجلا دخل بستانا فكلمه من رأس كل شجرة طير بلسان فصيح وقال السلام عليك ياولى الله فلولم يخف أن يكون ذلك مكرا كان ممكورا به ولانه لو علم أنه ولى لزال عنه الخوف وحصل له الامن ومن شرط الولى أن يستديم الخوف الى أن تنزل عليه الملائكة كما قال تعالى تتنزل عليهم الملائكة أن لاتخافوا ولاتحزنوا ولان الولى من كان مختوما له بالسعادة والعواقب مستورة ولايدرى أحد مايختم له به ولهذا قال عليه السلام انما الاعمال بالخواتيم القول الثانى أنه يجوز للولى أن يعلم انه ولى ألاترى أن النبى صلى الله عليه وسلم يجوز أن يعلم أنه ولى ولاخلاف أنه يجوز لغيره أن يعرفه انه ولى لله فجاز له أن يعلم ذلك وقد أخبر النبى صلى الله عليه وسلم عن حال العشرة من أصحابه أنهم من أهل الجنة ولم يكن فى ذلك نز والخوفهم بل كانوا أكثر تعظيما لله وأشد خوفا وهيبة واذا جاز للعشرة من أصحابه ذلك ولم يخرجهم عن الخوف فكذلك غيرهم وكان الشبلى يقول أنا أمان هذا الجانب فلما مات ودفن عبر الديلم الدجلة فى ذلك اليوم واستولوا على بغداد ويقول الناس مصيبتان موت الشبلى وعبور الديلم ولايقال انه يحتمل أن يكون ذلك استدراجا لانه لو جاز ذلك لجاز أن لايعرف النبى أنه نبى وولى لله لجواز أن يكون ذلك استدراجا فلما لم يجز ذلك لان فيه ابطال المعجزات لم يجز هذا لان فيه ابطال الكرامات وماروى من ظهور الكرامات على يد بلعام وانسلاخه عن الدين بعدها بقوله فانسلخ منها فليس فى الآية أنه كان وليا ثم انسلخت عنه الولاية ومانقل أنه أظهر على يده مايجرى مجرى الكرامات هو اخبار آحاد لاتوجب العلم والله أعلم والفرق بين المعجزة والكرامة ان الكرامات من شرطها الاستتار والمعجزة من شرطها الاظهار وقيل الكرامة ماتظهر من غير دعوى والمعجزة ماتظهر عند دعوى الانبياء فيطالبون بالبرهان ليظهر أثر ذلك

(الباب الرابع فى الخضر عليه السلام)

كنيته أبو العباس واسمه بليا بن ملكان وسبب تلقيبه بالخضر أنه جلس على فروة بيضاء فصارت خضراء والفروة وجه الارض واختلف العلماء هل هو نبى أم ولى واختلفوا أيضا هل هو حى أم ميت وصحح أبو عمرو بن الصلاح والنووى رحمهما الله تعالى أنه حى قيل سبب حياته فيما يحكى أنه شرب من عين الحياة وذلك أن ذا القرنين دخل الظلمات لطلب عين الحياة وكان الخضر على مقدمته فوقع على العين فنزل واغتسل وشرب وصلى شكرا لله عز وجل وأخطأ ذو القرنين الطريق فعاد وقيل ان الخضر والياس حيان يلتقيان كل سنة بالموسم ويصومان شهر رمضان ببيت المقدس وقيل أربعة من الانبياء احياء اثنان فى الارض الخضر والياس واثنان فى السماء ادريس وعيسى عليهم السلام قيل ان الياس موكل بالفيافى والخضر موكل بالبحار وروى أن موسى عليه السلام قال للخضر عليه السلام بماذا أطلعك الله تعالى على ماأطلعك من الغيب قال بترك المعاصى لاجل الله تعالى وروى أن موسى لما أراد أن يفارقه قال له أوصنى قال لاتطلب العلم لتحدث به واطلبه لتعمل به قال وهب بن منبه وكان يرفع لادريس كل يوم من العبادة مثل مايرفع لجميع اهل الارض فى زمانه فتعجبت منه الملائكة فاشتاق اليه ملك الموت فاستأذن ربه فى زيارته فاذن

عند الخروج ويستحب اخراج الصبيان والعجائز ويستحب أن يخرج من طريق ويرجع من طريق ويستحب الخروج الى الصحراء الا بمكة وبيت المقدس الا بعذر المطر ووقت الصلاة فيه مابين طلوع الشمس الى الزوال ووقت الذبح للضحايا مابين ارتفاع الشمس بقدر ركعتين وخطبتين الى آخر يوم الثالث عشر ويستحب تعجيل صلاة الاضحى لاجل الذبح وتأخير صلاة الفطر لاجل تفريق صدقة الفطر قبلها وليخرج الناس مكبرين واذا بلغ الامام المصلى لايجلس ولايتنفل وغيره يفعل ويقطع الناس التنفل وينادى مناد الصلاة جامعة ويصلى الامام ركعتين يكبر فى الاولى سوى تكبيرة الاحرام والركوع سبع تكبيرات ويقول بين كل تكبيرتين سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ويقول وجهت وجهى عقيب تكبيرة الافتتاح ويقرأ ويؤخر الاستعاذة الى ماوراء الثامنة ويقرأ ق واقتربت الساعة والتكبيرات الزائدة فى الثانية خمسة ويخطب بعد الصلاة خطبتين بينهما جلسة ومن فاتته صلاة العيد قضاها فاذا فرغ من الصلاة يستعجل بالتضحية وقد ضحى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبش وقال بسم الله والله أكبر هذا عنى وعمن لم يضح من أمتى وقال عليه الصلاة والسلام من رأى هلال ذى الحجة وأراد أن يضحى فلا يأخذ من شعره

له فأتاه فى صورة بنى آدم فقال له من أنت فقال أنا ملك الموت استأذنت ربى ان أصحبك قال فلى اليك حاجة قال ماهى قال تقبض روحى فأوحى الله اليه أن اقبض روحه فقبض روحه وردها الله اليه بعد ساعة ثم قال له لى اليك حاجة أخرى قال وماهى قال ترفعنى الى السماء لانظر اليها والى الجنة والنار فاذن له فى رفعه فلما قرب من النار قال حاجة أخرى تسأل مالكا حتى يفتح لى أبوابها فاردها ففعل ثم قال وكما أريتنى النار فارنى الجنة فذهب به الى الجنة واستفتح ففتح له أبوابها فدخلها ثم قال له ملك الموت أخرج لتعود الى مقرك فتعلق بشجرة وقال لاأخرج منها فبعث الله ملكا حكما بينهما فقال له الملك مالك لاتخرج قال لان الله تعالى يقول كل نفس ذائقة الموت وقد ذقته وقال وان منكم الا واردها وقد وردتها وقال وماهم منها بمخرجين فلست أخرج فأوحى الله اليه أى ملك الموت باذنى دخل وبأمرى لايخرج فهو حى هناك وأما الياس عليه السلام فروى أنه كان قد بعث الى بنى اسرائيل فرأى منهم أذى شديدا ورأى أنهم لايزدادون الا طغيانا فسأل ربه أن يريحه منهم فقيل له فيما يزعمون أنظر يوم كذا وكذا فاخرج فيه الى موضع كذا وكذا فما جاءك من شئ فاركبه ولاتهبه فخرج الياس ومعه اليسع حتى اذا كان بالموضع الذى أمر أقبل فرس من نار وقيل لونه كلون النار حتى وقف بين يديه فركب عليه فانطلق به الفرس فناداه اليسع ياالياس ماتأمرنى فقذف اليه بكسائه من الجو الاعلى وكان ذلك علامة استخلافه اياه على بنى اسرائيل فكان ذلك آخر العهد به ورفع الله الياس من بين اظهرهم وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وكساه الريش فكان انسيا ملكيا أرضيا سماويا والله أعلم وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال الراوى لاأعلمه الا مرفوعا الى النبى صلى الله عليه وسلم قال يلتقى الخضر والياس فى كل عام فى الموسم فيحلق كل واحد منهما رأس صاحبه ويفترقان عن هؤلاء الكلمات بسم الله ماشاء الله لايسوق الخير الا الله ماشاء الله لايصرف السوء الا الله ماشاء الله ما كان من نعمة فمن الله ماشاء الله لاحول ولاقوة الا بالله قال ابن عباس رضى الله عنهما فى الكلمات التى يقولهن الخضر والياس عليهما السلام من قالهن حين يصبح وحين يمسى ثلاث مرات أمنه الله من الغرق والحرق والسرق قال الراوى وأحسبه قال ومن الشيطان والسلطان والحية والعقرب

(قصة أصحاب الكهف)

قال الله تعالى أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا أى ليسوا بأعجب آياتنا فان ماخلقت من السموات والارض ومافيهن من العجائب أعجب والكهف هو الغار فى الجبل والرقيم لوح كتب فيه أسماء أهل الكهف وقصصهم وكان من رصاص قال محمد بن اسحق بن يسار عظمت الخطايا فى أهل الانجيل وطغت فيهم الملوك حتى عبدوا الاصنام وفيهم بقية على دين المسيح وكان فيهم ملك من الروم يقال له دقيانوس عبد الاصنام وذبح للطواغيت وقتل من خالفه فنزل مدينة أصحاب الكهف وهى أفسوس فلما نزلها كبر على أهل الايمان فاستخفوا منه وهربوا فاتخذ دقيانوس أعوانا من الكفار يتتبعون أهل الايمان فيجيؤنه بهم فيخيرهم بين القتل وعبادة الاصنام فمنهم من رغب فى الحياة ومنهم من أبى أن يعبد غير الله فيقتل ويصلب على سور المدينة حتى عظمت الفتنة فرأى ذلك فتية من أشراف الروم فحزنوا حزنا شديدا وقاموا واشتغلوا بعبادة الله عز وجل والتضرع اليه فبينماهم على ذلك وقد دخلوا فى مصلى لهم جاءتهم الاعوان فوجدوهم سجدا على وجوههم يبكون ويتضرعون الى الله عز وجل فاخبروا دقيانوس بشأنهم فبعث اليهم فاتى بهم تفيض أعينهم من الدمع معفرة وجوههم بالتراب فقال لهم اختاروا اما أن تذبحوا لآلهتنا واما أن أقتلكم فقال مكسلمينا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا أى جورا فقال أصحابه مثل قوله فلما قالوا ذلك قال لهم انى أراكم شبابا حديثة أسنانكم ولاأرى أن أهلككم حتى أجعل لكم أجلا تذكرون فيه وترجعون الى عقولكم ثم أمر بهم حتى أخرجوا ثم ان الفتية عمد كل واحد الى بيت أبيه فاخذ نفقة فتصدق منها وانطلقوا بما كان معهم وتبعهم كلب حتى أتوا الى كهف قريب من المدينة يقال له بنجلوس فلبثوا فيه يعبدون الله تعالى وجعلوا نفقتهم الى فتى منهم يقال له تمليخا

ولا من أظفاره شيأ *(فصل)* فى صلاة الكسوف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لاينخسفان لموت أحد ولا لحياته فاذا رأيتم ذلك فافزعوا الى ذكر الله والى الصلاة فاذا انخسف الشمس والقمر نودى الصلاة جامعة ويصلى الامام بالناس فى المسجد ركعتين فيركع فى كل ركعة ركوعين أوائلهما أطول من أواخرهما ويجهر ويستحب أن يمد الصلاة الى انكشافهما (فصل فى صلاة الاستسقاء) فيأمر الامام الناس بصيام ثلاثة أيام وما استطاعوا من الصدقة والتوبة والخروج من المظالم ثم يخرج بهم اليوم الرابع وبالعجائز والصبيان متنظفين فى ثياب بذلة واستكانة متواضعين بخلاف صلاة العيد ويصلى بهم ركعتين مثل صلاة العيد سواء ثم يخطب خطبتين بينهما جلسة خفيفة ولكن الاستغفار معظم الخطبتين وينبغى فى الخطبة الثانية أن يستدبر الناس ويستقبل القبلة ويحول رداءه فى هذه الحالة تفاؤلا بتحويل الحال هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجعل أعلاه أسفله وما على اليمين على اليسار وما على الشمال على اليمين وكذلك يفعل الناس ويدعون فى هذه الحالة وفى هذه الساعة سرا ثم يستقبلهم فيختم الخطبة ويدعون أرديتهم محولة كماهى حتى ينزعوها متى نزعوا الثياب ويقول اللهم كما أمرتنا بدعائك ووعدتنا باجابتك فقد دعوناك كما أمرتنا فاجبنا كما وعدتنا اللهم فامنن علينا بمغفرة ما قارفنا

وكان يبتاع لهم أرزاقهم سرا ويتجسس لهم الخبر هل ذكروا فلبثوا في ذلك مدة ثم ان تمليخا جاءهم يوما وهو يبكي ومعه طعام قليل وأخبرهم أنهم قد ذكروا ففزعوا ووقعوا سجدا يدعون الله تعالى و يتضرعون اليه و يتعوذون من الفتنة فقال لهم تمليخا يا اخوتاه ارفعوا رؤسكم واطعموا وتوكلوا على ربكم فرفعوا رؤسهم وأعينهم تفيض من الدمع فطعموا وذلك مع غروب الشمس ثم جلسوا يتحدثون و يتدارسون و يذكرون بعضهم بعضا فبينما هم على ذلك اذ ضرب الله على آذانهم في الكهف وكلبهم باسط ذراعيه في باب الكهف فلما كان من الغد فقدهم دقيانوس فالتمسهم فلم يجدهم فارسل الى آبائهم فاتى بهم فسألهم عنهم فقالوا له أما نحن فلا نعصيك فلم تقتلنا بقوم مردة قد ذهبوا باموالنا وأهلكوها في أسواق المدينة ثم انطلقوا الى جبل يدعى بنجلوس فخلى سبيلهم وجعل لا يدرى ما يصنع بالفتية فالقى الله عز وجل في نفسه أن يأمر بالكهف فيسد عليهم أراد الله أن يكرمهم و يجعلهم آية لامة تستخلف من بعدهم وأن يبين لهم أن الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من في القبور فأمر دقيانوس بالكهف أن يسد وقال دعوهم يموتون في الكهف جوعا وعطشا و يكون كهفهم الذي اختاروه قبرا لهم وهو يظن أنهم أيقاظ يعلمون ما يصنع بهم وقد توفى الله أرواحهم وفاة النوم وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف قد أصابه ما أصابهم يقلبون ذات اليمين وذات الشمال ثم ان رجلين مؤمنين من بيت الملك دقيانوس يكتمان ايمانهما كتبا شأن الفتية وأنسابهم وأسماءهم في لوحين من رصاص وجعلاهما في تابوت من نحاس وجعلاه في البنيان وقالا لعل الله يظهر على هؤلاء الفتية قوما مؤمنين قبل يوم القيامة فيعلم من فتح عنهم حين يقرأ هذا الكتاب خبرهم ثم مات دقيانوس هو وقومه وقرون بعده كثيرا قال محمد بن اسحق ثم ملك أهل تلك البلاد رجل صالح يقال له بندوسيس و بقي في ملكه ثمانية وستين سنة فتحزب الناس في ملكه فمنهم من يؤمن بالله و يعلم أن الساعة حق ومنهم من يكذب بها فكبر ذلك على الملك الصالح فبكى وتضرع الى الله تعالى وحزن حزنا شديدا لما رأى أهل الباطل يزيدون و يظهرون على أهل الحق فدخل بيته وأغلق عليه بابه ولبس مسحا وجعل تحته رمادا وجعل يتضرع الى الله و يقول رب قد رأيت اختلاف هؤلاء فابعث لهم آية تبين لهم ثم ان الله عز وجل أراد أن يظهر أمر الفتية و يبين للناس شأنهم و يجعلهم آية وحجة ليعلموا أن الساعة آتية لاريب فيها و يستجيب العبد الصالح بندوسيس و يتم نعمته عليه فالقى الله في نفس رجل من أهل ذلك البلد أن يهدم البنيان الذي على فم الكهف فيبني حظيرة لغنمه ففعل وفتح باب الكهف وحجبهم الله عن الناس بالرعب ثم ان الله عز وجل محيي الموتى أذن للفتية أن يجلسوا فجلسوا فرحين مسفرة وجوههم طيبة أنفسهم فسلم بعضهم على بعض كأنما استيقظوا من ساعتهم التي كانوا يستيقظون لها اذا أصبحوا من ليلتهم ثم قاموا الى الصلاة يصلون كعادتهم لا يرى في وجوههم ولا ألوانهم شئ ينكرونه كهيئتهم حين رقدوا فهم يرون ان ملكهم دقيانوس في طلبهم فلما قضوا صلاتهم قال بعضهم لبعض كم لبثتم نياما قالوا لبثنا يوما الا أنهم كانوا دخلوا الكهف عند طلوع الشمس واستيقظوا عند غروبها فلما رأوا بقية من الشمس قالوا أو بعض يوم فلما رأوا طول أظفارهم وشعورهم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم ثم قالوا لتمليخا انطلق الى المدينة وتسمع ما يقال فينا وابتع لنا طعاما فوضع تمليخا ثيابه وأخذ الثياب كأخفاف الابل فانطلق فلما مر بباب الكهف رأى الحجارة منزوعة عن باب الكهف فتعجب منها ثم مر ولم يبال بها حتى أتى المدينة مستخفيا لا يراه أحد من أهلها فيعرفه ولا يشعر أن دقيانوس قد هلك قبل ذلك بثلثمائة سنة فلما أتى باب المدينة رأى عليه علامة تكون لأهل الايمان اذا كان أمر الايمان ظاهرا فيها فتعجب من ذلك ثم تحول الى باب آخر من أبوابها فرأى مثل ذلك وجعل يخيل اليه أن المدينة ليست بالتي كان يعرفها ورأى ناسا لم يكن رآهم قط فتعجب من ذلك وقال لعلي حالم ثم يرى انه ليس بنائم ثم دخل المدينة فسمع ناسا يحلفون باسم عيسى بن مريم فتعجب من ذلك وقال في نفسه والله ما أدري ما هذا أما عشية أمس فليس على ظهر الارض انسان يذكر عيسى بن مريم الا قتل والغداة أسمع كل انسان يذكر اسم عيسى ولا يخاف لعل هذه ليست بالمدينة التي أعرف ثم لقي فتى فقال له ما اسم هذه المدينة فقال أفسوس فقال في نفسه لعل بي جنونا ثم دنا من الذين يبيعون الطعام

فاخرج

واماننا في سقيانا وسعة رزقنا برحمتك يا أرحم الراحمين *(الباب الخامس في أسرار الزكاة)* قال الله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله الآية والمراد به منع الزكاة والزكاة احدى مباني الاسلام واحدى أركانه الخمس وقال أبوذر انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبة فلما رآني قال عليه السلام الاكثرون هم الاخسرون ورب الكعبة قلت من هم قال عليه السلام الاكثرون أموالا الا من قال هكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ماهم ما من صاحب ابل ولا بقر ولا غنم لا يؤدى زكاتها الا جاءت يوم القيامة أعظم ما كانت وأسمنها تنطحه بقرونها وتطؤه باظلافها كلما نفدت أخراها عادت اليه أولاها حتى يقضى بين الناس وهذا الحديث في الصحيحين مخرج والله أعلم *(فصل وأسباب وجوب الزكاة باعتبار معلقاتها ستة)* زكاة النعم والنقدين والتجارة وزكاة الركاز والمعادن وزكاة العشرات وزكاة الفطر (الاول زكاة النعم) ولا تجب هذه الزكاة وغيرها الا على حر مسلم ولا يشترط البلوغ فتجب في مال الصبي والمجنون (وأما المال) فشروطه خمسة أن يكون نعما سائمة باقية حولا نصابا كاملا على الكمال فالاول أن يكون نعما فلا زكاة الا في الابل والبقر والغنم وأما

فاخرج الورق التي كانت معه فاعطاها رجلا منهم فقال بعني بهذه طعاما فاخذها الرجل فنظر الى ضربها ونقشها فتعجب منها ثم طرحها الى رجل من أصحابه ثم جعلوا يتطارحونها بينهم من رجل الى رجل و يتعجبون منها و يقول بعضهم لبعض ان هذا أصاب كنزا فلما رآهم تمليخا يتشاورون في أمره فزع فزعا شديدا وظن أنهم عرفوه وأنهم يريدون أن يذهبوا به الى الملك دقيانوس فقال لهم قد أخذتم ورقي فامسكوها وأما طعامكم فلا حاجة لي به فقالوا له من أنت يا فتى والله لقد وجدت كنزا من كنوز الاولين فارنا اياه وشاركنا فيه نخفي عليك ما وجدت وان لم تفعل نأت بك الى السلطان فيقتلك فلما سمع قولهم جعل لا يدرى ما يقول لهم فلما رأوه لا يتكلم جعلوا كساءه في عنقه ثم جعلوا يقودونه في سكك المدينة حتى يسمع به من فيها وهو ساكت ثم انطلقوا به الى رئيسي المدينة اللذين يدبران أمرها وهما رجلان صالحان اسم أحدهما أريوس واسم الآخر اسطيوس فنظرا الى الورق فتعجبا منه ثم قال أحدهما أين الكنز الذي وجدت يا فتى فقال ما وجدت كنزا ولكن هذا ورق آبائي ونقش هذه المدينة وضربها ولكن والله ما أدري ما شأني وما أقول لكم فقيل له من أنت قال تمليخا وأنا من أهل هذه المدينة قالوا فمن أبوك ومن يعرفك بها فانبأهم باسم أبيه فلم يجدوا أحدا يعرفه ولا يعرف أباه فقال أحدهما أتظن انا نرسلك ونصدقك ان هذا مال أبيك ونقش هذا الورق وضربها أكثر من ثلثمائة سنة وأنت غلام شاب أتسخر بنا ونحن شمط كما ترى وخزائن هذه البلدة بايدينا وليس عندنا من هذا الضرب درهم ولا دينار واني سآمر بك فتعذب عذابا شديدا حتى تعترف بهذا الكنز الذي وجدته فقال لهم تمليخا أنبؤني عن شئ حتى أسألكم منه فان فعلتم صدقتكم قالوا سل قال ما فعل الملك دقيانوس قالوا ليس نعرف على وجه الارض ملكا يسمى دقيانوس ولم يكن الا ملك هلك منذ زمان طويل وهلك بعده قرون كثيرة فقال تمليخا اني اذا لحيران وما أحد يصدقني من الناس بما أقول ولقد كنا فتية وان الملك أكرهنا على عبادة الاوثان فهربنا منه عشية أمس فنمنا فلما انتبهنا خرجت لاشترى طعاما وأتجسس الاخبار فانطلقوا معي الى الكهف الذي في جبل بنجلوس أريكم أصحابي فلما سمع أريوس ما يقول تمليخا قال يا قوم لعل هذه آية من آيات الله جعلها الله على يد هذا الفتى فانطلقوا بنا يرينا أصحابه فانطلقوا معه فلما سمع الفتية الاصوات وجلبة الخيل ظنوا أنهم رسل دقيانوس فبينما هم كذلك لم يروا الا أريوس وأصحابه وقفوا على باب الكهف فسبقهم تمليخا ودخل عليهم وأخبرهم وقص عليهم نبأه فعرفوا عند ذلك أنهم كانوا نياما باذن الله تعالى ذلك الزمان كله وانما أوقظوا ليكونوا آية للناس وليعلموا أن الساعة آتية لاريب فيها ثم دخل أريوس فرأى تابوتا من نحاس مختوما بخاتم من فضة فدعا رجالا من عظماء أهل المدينة ففتح التابوت عندهم فوجد فيه لوحين من رصاص مكتوبا فيهما أسماء الفتية وأنهم هربوا من ملكهم دقيانوس الجبار مخافة أن يفتنهم عن دينهم فدخلوا هذا الكهف فلما أخبر بمكانهم أمر بالكهف فسد عليهم بالحجارة وانا كتبنا شأنهم وخبرهم ليعلمه من بعدهم ان عثر عليهم فلما قرأوه عجبوا وحمدوا الله الذي أراهم آية البعث فيهم ثم دخلوا على الفتية فوجدوهم جلوسا مشرقة وجوههم لم تبل ثيابهم فخر أريوس وأصحابه سجودا وحمدوا الله الذي أراهم آية ثم أنبأهم الفتية عن الذي لقوا من ملكهم دقيانوس ثم ان أريوس وأصحابه بعثوا بريدا الى الملك الصالح بندوسيس أن اعجل لعلك تنظر آية من آيات الله جعلها الله تعالى على ملكك وجعلها الله آية للعالمين لتكون لهم نورا وضياء وتصديقا بالبعث فركب الملك وأهل المدينة حتى أتوا الى الكهف فلما رأى الفتية بندوسيس فرح بهم وخر ساجدا لله تعالى على وجهه وقام بندوسيس واعتنقهم و بكى وهم جلوس بين يديه على الارض يسبحون الله و يحمدونه ثم قال الفتية لبندوسيس نستودعك الله والسلام عليك ورحمة الله وحفظك الله وحفظ ملكك ونعيذك بالله من شر الانس والجن ثم رجعوا الى مضاجعهم وتوفى الله أنفسهم فامر الملك ان يجعل كل واحد منهم في تابوت من ذهب فلما أمسى ونام أتوه في المنام فقالوا له انا لم نخلق من ذهب ولا فضة ولكن خلقنا من التراب والى التراب نعود فاتركنا في الكهف كما كنا على التراب حتى يبعثنا الله منه فأمر الملك بتابوت من ساج فجعلوا فيه وحجبهم الله حين خرجوا من عندهم بالرعب فلم يقدر أحد أن

المتولد من الشاة والظباء والخيل والحمير فلا زكاة فيها الثاني السوم فلا زكاة في معلوفة و ينبغي أن يكون نصابا كاملا أما الابل فلا شئ فيها حتى تبلغ خمسا وفيها شاة جذعة من الضأن وهي التي تكون في السنة الثانية أو ثنية من المعز وهي التي تكون في السنة الثالثة وفي عشر شاتان وفي خمس عشرة ثلاث شياه وفي عشرين أربع شياه وفي خمس وعشرين بنت مخاض وهي التي في السنة الثانية فان لم تكن في ماله فابن لبون ذكر وهو الذي في السنة الثالثة يؤخذ وان كان قادرا على شرائه وفي ست وثلاثين بنت لبون ثم اذا بلغت ستا وأربعين ففيها حقة وهي التي في السنة الرابعة فاذا صارت احدى وستين ففيها جذعة وهي التي في السنة الخامسة فاذا صارت ستا وسبعين ففيها بنتا لبون فاذا صارت احدى وتسعين ففيها حقتان فاذا صارت احدى وعشرين ومائة ففيها ثلاث بنات لبون فاذا صارت مائة وثلاثين فقد استقر الحساب ففي كل أربعين بنت لبون وفي كل خمسين حقة (وأما البقر) فلا شئ فيها حتى تبلغ ثلاثين ففيها تبيع وهو الذي طعن في السنة الثانية ثم في أربعين مسنة وهي التي طعنت في السنة الثالثة ثم في الستين تبيعان واستقر الحساب ففي كل أربعين مسنة وفي كل ثلاثين تبيع والله أعلم (وأما الغنم) فلا زكاة فيها حتى تبلغ أربعين ففيها شاة جذعة من الضأن أو ثنية من المعز ثم لا شئ فيها حتى

يدخل عليهم وجعل الملك على باب الكهف مسجدا وجعل لهم عيدا عظيما يؤتى كل سنة والله أعلم روى الواحدي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ما يعلمهم الا قليل أنا من القليل وهم مكسلمينا وتمليخا ومرطونس وينيونس وساريونس وذونوانس وكفشطيطيونس والكلب اسمه قطمير تمت بعون الله وحسن توفيقه

(قصة اسكندر ذي القرنين عليه السلام)

قال الله تعالى ويسئلونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا قيل انه كان نبيا والاكثرون على انه كان ملكا عادلا صالحا وسمي بذي القرنين لانه بلغ قرني الشمس مشرقها ومغربها وكان اسمه اسكندر انا مكنا له في الارض قال علي رضي الله عنه سخر له السحاب فحمله عليها ومد له في الاسباب وبسط له النور فكان الليل والنهار عليه سواء وآتيناه من كل شيء يحتاج اليه الخلق سببا السبب ما يوصل الشيء الى الشيء وقال الحسن بلاغا الى حيث أراد فاتبع سببا أي سلك وسار طريقا حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حامية أي حارة وقرئ حمئة بالهمزة من غير مد أي ذات حمأة وهي الطينة السوداء قال القتيبي يجوز أن يكون معنى قوله في عين حمئة أي عندها أو في رأي العين ووجد عندها قوما قال ابن جريج مدينة لها اثنا عشر ألف باب لولا ضجيج أهلها لسمعت وجبة الشمس حين تجب قلنا يا ذا القرنين يستدل بهذا من زعم انه كان نبيا فان الله تعالى خاطبه والاصح انه لم يكن نبيا والمراد منه الالهام اما ان تعذب يعني اما أن تقتلهم ان لم يدخلوا في الاسلام واما ان تتخذ فيهم حسنا يعني تعفو وتصفح قال أما من ظلم أي كفر فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه أي في الآخرة فيعذبه عذابا نكرا أي منكرا يعني النار وهي أنكر من القتل وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا أي نلين له القول ونعامله باليسر من أمرنا ثم أتبع سببا حتى اذا بلغ مطلع الشمس أي موضع طلوعها وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا قال الحسن وقتادة لم يكن بينهم وبين الشمس ستر وذلك انهم كانوا في مكان لا يستقر عليه بناء وكانوا يكنون في أسراب لهم حتى اذا زالت الشمس عنهم خرجوا الى معايشهم وحروثهم وقوله كذلك أي كما حكم في القوم الذين هم عند مغرب الشمس حكم في الذين هم عند مطلعها وقد أحطنا بما لديه أي بما عنده ومعه من الجند والآلات خبرا أي علما ثم أتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين أي الجبلين وجد من دونهما قوما أي امام السدين لا يكادون يفقهون قولا أي لا يفقهون كلام أحد قالوا يا ذا القرنين ان يأجوج ومأجوج هم من أولاد يافث بن نوح وقيل ان آدم احتلم وامتزجت نطفته بالتراب فخلق الله من ذلك الماء يأجوج ومأجوج وقال قتادة هما اثنان وعشرون قبيلة بنى ذو القرنين السد على احدى وعشرين قبيلة وبقيت قبيلة واحدة وهم الترك وسموا الترك لانهم تركوا خارجين وروى عن حذيفة مرفوعا ان يأجوج أمة ومأجوج أمة كل أمة أربعمائة ألف أمة لا يموت الرجل منهم حتى ينظر الى ألف ذكر من صلبه كلهم قد حملوا السلاح وهم من ولد آدم يسيرون الى خراب الدنيا وهم ثلاثة أصناف منهم أمثال الارز شجر بالشام طوله عشرون ومائة ذراع في السماء وصنف منهم عرضه وطوله سواء عشرون ومائة ذراع في السماء وهؤلاء لا يقوم بهم جبل ولا حديد وصنف منهم يفترش احدى أذنيه ويلتحف بالاخرى لا يمرون بفيل ولا وحش ولا خنزير الا أكلوه ومن مات منهم أكلوه مقدمتهم بالشام وساقتهم بخراسان يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية وعن علي رضي الله عنه انه قال منهم من هو طوله شبر ومنهم من هو مفرط في الطول قوله عز وجل قالوا يا ذا القرنين ان يأجوج ومأجوج مفسدون في الارض قال الكلبي فسادهم انهم كانوا يخرجون أيام الربيع الى أرضهم فلا يدعون فيها شيئا أخضر الا أكلوه ولا شيئا يابسا الا احتملوه ولقوا منهم أذى شديدا وقتلا وقيل فسادهم أنهم كانوا يأكلون الناس فهل نجعل لك خرجا أي جعلا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا أي حاجزا فلا يصلون الينا قال ما مكني فيه ربي خير من جعلكم فأعينوني بقوة أي أعينوني بأبدانكم وقوتكم أجعل بينكم وبينهم ردما أي سدا قالوا وما تلك القوة قال فعلة وصناع يحسنون البناء والعمل والآلة قالوا وما تلك الآلة قال آتوني زبر الحديد أي قطع

الحديد

ثبلغ مائة وعشرين وواحدة ففيها شاتان الى مائتين وواحدة ففيها ثلاث شياه الى أربعمائة ففيها أربع شياه ثم استقر الحساب ففي كل مائة شاة وصدقة الخليطين كصدقة المالك الواحد في النصب وشرط الخلطة أن يكونا في جميع الاحوال معا وخلطة الجوار كالشيوع (أما المعشرات) فيجب العشر في كل مستنبت مقتات بلغ ثمانمائة من (وأما زكاة النقدين) فاذا تم الحول على مائتي درهم بوزن مكة نقرة خالصة ففيها خمسة دراهم وأما نصاب الذهب فعشرون دينارا خالصا بوزن مكة ففيها ربع العشر وما زاد في الذهب والفضة ولو دانقا فبحسابه وتجب الزكاة في التبر والحلي المحظور ولا زكاة في شيء من المعادن الا في الذهب والفضة ففيها بعد الحفر والتحصيل وبعد الطحن والتخليص ربع العشر على أصح القولين وهل يعتبر النصاب وفي الحول قولان وفي قول يجب الخمس فعلى هذا لا يتعين الحول وفي النصاب قولان (وأما صدقة الفطر) فهي واجبة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم على كل مسلم فضل عن قوته وقوت من يقوته يوم الفطر وليلته صاع مما يقتات بصاع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو منوان وثلثا من يخرجه من جنس قوته أو أفضل منه وفيه منها يكفيه زكاة الاموال قال النبي صلى الله عليه وسلم أدوا زكاة الفطر عمن تمونون *(فصل في أداء الزكاة

الحديد فأتوا بها وبالحطب فجعل الحديد على الحطب والحطب على الحديد حتى اذا ساوى بين الصدفين أي طرفي الجبلين قال انفخوا أي في النار حتى اذا جعله نارا أي صار الحديد نارا قال آتوني أفرغ عليه قطرا أي نحاسا مذابا فجعلت النار تأكل الحطب ويصير النحاس مكان الحطب حتى لزم الحديد النحاس وفي القصة أن عرضه كان خمسين ذراعا وارتفاعه مائتي ذراع وطوله فرسخ فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا من أسفله لشدته وصلابته قال أي ذو القرنين هذا أي السد رحمة أي نعمة من ربي فاذا جاء وعد ربي قيل يوم القيامة وقيل وقت خروجهم جعله دكا أي مدكوكا مستويا مع وجه الارض وكان وعد ربي حقا وروى قتادة عن أبي رافع عن أبي هريرة رضي الله عنه يرفعه أن يأجوج ومأجوج يحفرونه كل يوم حتى اذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا فيعيده الله كما كان حتى اذا بلغت مدتهم حفروا حتى اذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا ان شاء الله تعالى فاستثنى فيغدون اليه وهو كهيئته حين تركوه فيحفرونه فيخرجون على الناس فيتبعون المياه ويتحصن الناس في حصونهم منهم فيرمون بسهامهم الى السماء فترجع كهيئة الدم فيقولون قهرنا أهل السماء وعلونا أهل السماء فيبعث الله عليهم نغفا في أقفائهم فيهلكون وان دواب الارض لتسمن وتسكر من لحومهم شكرا وفي القصة أن ذا القرنين دخل الظلمة فلما رجع توفي بشهر زور وذكر بعضهم أن عمره كان نيفا وثلاثين سنة والله أعلم

(قصة حبيب النجار رحمه الله تعالى)

قال الله تعالى واضرب لهم مثلا أصحاب القرية وهي أنطاكية اذ جاءها المرسلون يعني رسل عيسى عليه السلام قال العلماء بأخبار الانبياء بعث عيسى رسولين من الحواريين الى مدينة أنطاكية فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار فلما سلما عليه قال لهما من أنتما قالا رسولا عيسى ندعوكم من عبادة الاوثان الى عبادة الرحمن فقال أمعكما آية قالا نعم نحن نشفي المريض ونبرئ الاكمه والابرص باذن الله تعالى فأتاهما بابن له مريض منذ سنين فمسحاه فقام في الوقت باذن الله عز وجل صحيحا قال وهب بعث عيسى هذين الرجلين الى أنطاكية فأتياها فلم يصلا الى ملكها وطالت مدة مقامهما فخرج الملك ذات يوم فكبرا وذكرا الله تعالى فغضب الملك وأمر بهما فحبسا وجلد كل واحد منهما مائة جلدة قالوا فلما كذب الرسولان وضربا بعث عيسى رأس الحواريين شمعون الصفا على أثرهما لينصرهما فدخل شمعون البلدة وتنكر وجعل يعاشر حاشية الملك حتى أنسوا به فرفعوا خبره الى الملك فدعاه ورضي عشرته وأنس به وأكرمه ثم قال له ذات يوم أيها الملك بلغني عنك أنك حبست رجلين حين دعواك الى غير دينك فهل كلمتهما وسمعت قولهما فقال الملك حال الغضب بيني وبين ذلك قال فان رأى الملك أن يدعوهما حتى يطلع الملك على ما عندهما فدعاهما فقال لهما شمعون من أرسلكما الى ههنا قالا الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك فقال لهما شمعون صفاه وأوجزا فقالا انه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فقال شمعون وما آيتكما قالا ما تتمناه فأمر الملك حتى جاؤا بغلام مطموس العينين موضع عينيه كالجبهة فما زالا يدعوان حتى انشق موضع البصر فأخذا بندقتين من طين فوضعاهما في حدقتيه فصارتا حدقتين فتعجب الملك فقال شمعون للملك ان أنت سألت الهك حتى يصنع مثل هذا فيكون لك الشرف فقال الملك ليس لي دونك سر ان الهنا الذي نعبده لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع فقال الملك للرسولين ان قدر الهكما على احياء ميت آمنا به وبكما قالا الهنا قادر على كل شيء فأتاهما بميت قد مات منذ سبعة أيام وقد أنتن فجعلا يدعوان ربهما وجعل شمعون يدعو سرا فقام الميت باذن الله وقال اني قد مت منذ سبعة أيام ووجدت مشركا فادخلت في تسعة أودية من النار وأنا أحذركم ما أنتم فيه فآمنوا بالله ثم قال فتحت أبواب السماء ورأيت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك ومن الثلاثة قال شمعون وهذان وأشار الى صاحبيه فتعجب الملك لما علم وكان شمعون اذا دخل الملك على الصنم يدخل بدخوله ويصلي لله كثيرا ويتضرع اليه حتى ظنوا أنه على ملتهم فلما علم شمعون أن قوله أثر في الملك أخبره في الحال ودعاه فآمن الملك وآمن قوم وكفر آخرون وقال ابن اسحق ووهب بل الملك لم يؤمن

وشرائطه) * فاول الشرائط النية وهو أن ينوي بقلبه زكاة الفطر ونية الولي تقوم مقام نية المجنون والصبي ونية السلطان تقوم مقام نية المالك الممتنع ولا ينبغي أن يؤخر زكاة الفطر عن يوم الفطر ويدخل وقتها بغروب الشمس آخر يوم من شهر رمضان ووقت تعجيلها شهر رمضان كله ومن أخر زكاة ماله مع التمكن عصى ولم تسقط عنه بتلف ماله والتمكن بمصادفة المستحق فان لم يصادف وتلف ماله سقط وينبغي أن يقسم ماله بين الاصناف الموجودين في بلده ويستوعبهم وقد عدم من الاصناف الثمانية صنفان في أكثر البلاد وهم المؤلفة قلوبهم والعاملون على الزكاة ويوجد في جميع البلاد أربعة أصناف الفقراء والمساكين والغارمون والمسافرون وصنفان يوجدان في بعض البلاد دون البعض وهم الغزاة والمكاتبون فما صادف من الاصناف في بلده قسم مال الزكاة بعددهم فيخص كل واحد من الاصناف صرفه الى ثلاثة أنفار منهم فصاعدا ولا تجب التسوية في هذا التفريق بين آحاد الصنف الواحد واذا قدر على اعطاء الزكاة لمن تحلى بخصال الخير لقبض الزكاة فالاولى أن يفعل ذلك وذلك أن يكون ورعا عالما مستور الحال وان يكون من أقاربه فكلما وجد فيه هذه الخصال كان أقرب الى القبول والله أعلم (فصل في القابضين للزكاة) ولا يستحق الا حر مسلم ليس بهاشمي ولا مطلبي ويجوز الصرف

ولم يصدقهم فاجتمع هو وقومه على قتل الرسل و بلغ ذلك حبيبا فجاء يسعى اليهم و يذكرهم و يدعوهم الى طاعة المرسلين فذلك قوله تعالى اذ أرسلنا اليهم اثنين قال وهب اسمهما يحنا و بولس فكذبوهما فعززنا فقوينا بثالث هو شمعون وانما أضاف الله الارسال اليه لان عيسى عليه السلام انما بعثهم بامره فقالوا انا اليكم مرسلون قالوا ما أنتم الا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شئ ان أنتم الا تكذبون قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون وما علينا الا البلاغ المبين قالوا انا تطيرنا بكم تشاءمنا بكم وذلك أن المطر حبس عنهم فقالوا أصابنا هذا بشؤمكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم قالوا طائركم معكم أى شؤمكم معكم بكفركم وتكذيبكم ان ذكرتم وعظتم بالله وهذا استفهام محذوف الجواب تقديره ان ذكرتم تطيرتم بنا بل أنتم قوم مسرفون وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى وهو حبيب النجار وكان مؤمنا ذا صداقة يجمع كسبه اذا أمسى فيقسمه نصفين فيطعم نصفا لعياله و يتصدق بنصف فلما بلغه ان قومه قصدوا قتل الرسل جاءهم فقال يا قوم اتبعوا المرسلين قال قتادة كان حبيب النجار فى غار يعبد ربه فلما بلغه خبر الرسل أتاهم فاظهر دينه وقال لما انتهى الى الرسل أتسألون على هذا أجرا قالوا لا فاقبل على قومه وقال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون فلما قال ذلك قالوا له أنت مخالف لديننا ومتابع لدين هؤلاء الرسل ومؤمن بالههم فقال ومالى لا أعبد الذى فطرنى واليه ترجعون قيل أضاف الفطرة الى نفسه والرجوع اليهم لان الفطرة أثر النعمة وكان عليه أظهر وفى الرجوع معنى الزجر وكان بهم أليق أأتخذ من دونه آلهة استفهام بمعنى الانكار أى لا أتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عنى شفاعتهم شيئا ولا ينقذون من العذاب لو عذبنى الله ان فعلت ذلك انى اذا لفى ضلال مبين انى آمنت بربكم فاسمعون فلما قال ذلك وثب القوم عليه وثبة رجل واحد فقتلوه قال ابن مسعود رضى الله عنه وطؤه بارجلهم حتى خرج قصبه من دبره وقال السدى كانوا يرمونه بالحجارة وهو يقول اللهم اهد قومى حتى قتلوه وقطعوه وقال الحسن خرقوه خرقا فى حلقه فعلقوه بسور المدينة وقبره بانطاكية فادخله الله الجنة وهو حى فيها يرزق فذلك قوله تعالى قيل ادخل الجنة قال فلما أفضى الى الجنة قال يا ليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين أى تمنى أن يعلم قومه ان الله غفر له وأكرمه ليرغبوا فى دين الرسل قيل ما ترك نصح قومه حيا ولا ميتا فلما اقتلوه غضب الله وعجل لهم النقمة فامر جبريل عليه السلام فصاح بهم صيحة واحدة فماتوا عن آخرهم فذلك قوله تعالى وما أنزلنا على قومه من بعده أى من بعد قتله من جند من السماء يعنى الملائكة وما كنا منزلين أى ما كنا نفعل هذا بل الامر فى اهلاكهم كان أيسر مما يظنون ثم بين عقوبتهم فقال ان كانت الا صيحة واحدة قال المفسرون أخذ جبريل عليه السلام بعضادتى باب المدينة ثم صاح بهم صيحة واحدة فاذا هم خامدون أى ميتون

(كتاب الطهارة وفيه ستة أبواب)

(الباب الاول فى فضل الوضوء)

قال الله تعالى ان الله يحب التوابين و يحب المتطهرين قال عطاء رحمه الله يحب التوابين من الذنوب و يحب المتطهرين بالماء من الاحداث والنجاسات وروى مسلم عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال الطهور شطر الايمان قيل المراد من الايمان الصلاة كما فى قوله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم أى صلاتكم الى بيت المقدس وانما جعل الطهارة نصف الصلاة لان الصلاة لا تصح الا بالشرائط والاركان وأقوى الشرائط الطهارة وجعلت الطهارة كأنها الشرط كله وقيل يحتمل أنه جعلها نصف الايمان على وجه الاتساع وذلك لان الايمان هو الداعى الى الصلاة والحامل عليها والطهور هو السبيل اليها ولان الايمان طهارة عن الشرك والطهور طهارة عن الاحداث فهما طهارتان احداهما تختص بالباطن والاخرى بالظاهر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بما يمحو الله به الخطايا و يرفع به الدرجات اسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط رواه مسلم الاسباغ الاتمام

الصبى والمجنون بشرط أن يقبض عنهما الولى وبيان الاصناف الثمانية الاول الفقير وهو من ليس له مال ولا قدر على الكسب والثانى المسكين وهو الذى لا يفى دخله بخرجه الثالث السعاة وهم الذين يجمعون مال الزكاة الرابع وهم المؤلفة قلوبهم وهو الشريف الذى أسلم وهو مطاع فى قومه وفى اعطائه ترغيب لقومه فى الاسلام الخامس المكاتب ويجوز دفع سهمه الى مولى سيده والسيد لا يدفع زكاته الى مكاتب نفسه السادس الغارمون وهو من عليه قرض استقرضه لمباح وهو فقير لا يملك ما يؤدى به الدين فان استقرضه لمعصية لا يعطى ما لم يتب وان كان غنيا ولكن استقرضه لمصلحة أو اطفاء فتنة جاز أن يعطى السابع الغزاة وهم الذين ليس لهم مرسوم فى ديوان المرتزقة فيصرف اليهم سهمهم وان كانوا أغنياء الثامن ابن السبيل وهو المسافر الذى ليس معه مال حاضر يصرفه الى مآربه لسفره هذا اذا كان السفر مباحا ويعتمد على قوله فى دعوى الفقر والمسكنة والسفر والغزو ويسترد من الغازى والمسافر اذا لم يف بما وعد وما وراءه من الاصناف لا بد فيهما من البينة والله أعلم

(فصل فى صدقة التطوع)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة وقال عليه السلام ما أحسن عبد

والمكاره

والمكاره الشدائد وهو البرد الشديد ومراده ايصال الماء الى موضع الفرائض والسنن من غير نقصان عند شدة البرد وقال صلى الله عليه وسلم من توضأ فاحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم اذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر اليها بعينيه مع الماء أو مع آخر قطر الماء فاذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطر الماء فاذا غسل رجليه خرج كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقيا من الذنوب رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوأه ثم يقوم فيصلى ركعتين مقبلا عليهما بقلبه و وجهه الا دخل الجنة وفى الصحيحين عن عثمان بن عفان رضى الله عنه أنه دعا باناء فافرغ على كفيه ثلاث مرات فغسلهما ثم أدخل يمينه فى الاناء فمضمض واستنثر ثم غسل وجهه ثلاثا و يديه الى المرفقين ثلاث مرات ثم مسح رأسه ثم غسل رجليه ثلاث مرات الى الكعبين ثم قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ نحو وضوئى هذا ثم قال من توضأ نحو وضوئى هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه قال النووى رحمه الله تعالى انما قال صلى الله عليه وسلم نحو وضوئى ولم يقل مثل وضوئى لان حقيقة مماثلته صلى الله عليه وسلم لا يقدر عليها غيره والمراد بالغفران الصغائر دون الكبائر وفيه استحباب صلاة ركعتين فاكثر عقيب كل وضوء وهو سنة مؤكدة قال جماعة من أصحابنا وتفعل هذه الصلاة فى أوقات النهى وغيرها لان لها سببا واستدلوا فيه بحديث بلال المخرج فى صحيح البخارى انه كان متى توضأ صلى وقال انه أرجى عمل له انتهى كلام النووى وخالف فى الاحياء فى هذه وقال الوضوء لا يكون سببا للصلاة بل الصلاة سببه قال النووى رحمه الله ولو صلى فريضة أو نافلة مقصودة حصلت هذه الفضيلة كما تحصل تحية المسجد بذلك قال وأما قوله لا يحدث فيهما نفسه المراد به لا يحدث بشئ من أمور الدنيا وما لا يتعلق بالصلاة ولو عرض له حديث فاعرض عنه بمجرد عروضه عفى عن ذلك وحصلت له فائدة الفضيلة ان شاء الله تعالى لان هذا ليس من فعله وقد عفى لهذه الامة عن الخواطر التى تعرض ولا تستقر وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم و بين يديه اناء من ماء فقال لى يا أنس ادن منى أعلمك مقادير الوضوء فدنوت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أن غسل يديه قال بسم الله والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله فلما استنجى قال اللهم حصن لى فرجى و يسر لى أمرى فلما أن تمضمض واستنشق قال اللهم لقنى حجتى ولا تحرمنى رائحة الجنة فلما أن غسل وجهه قال اللهم بيض وجهى يوم تبيض الوجوه فلما أن غسل ذراعيه قال اللهم اعطنى كتابى بيمينى فلما أن مسح يده على رأسه قال اللهم غشنا برحمتك وجنبنا عذابك فلما أن غسل قدميه قال اللهم ثبت قدمى يوم تزال الاقدام ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم والذى بعثنى بالحق نبيا ما من عبد قالها عند وضوئه لم يقطر من خلل أصابعه قطرة الا خلق الله منها ملكا يسبح الله تعالى بسبعين لسانا يكون ثواب ذلك التسبيح له الى يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم من توضأ فاحسن الوضوء ثم قال أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين فتحت له ثمانية أبواب الجنة يدخل من أيها شاء

(الباب الثانى فى آداب الوضوء الباطنة)

اعلم أنك اذا أردت أن تتوضأ فانك تريد زيارة ربك عز وجل فينبغى لك أن تتوب من جميع ذنوبك لان الله تعالى جعل الغسل بالماء علامة للغسل من الذنوب فابدأ بتسمية الله تعالى فاذا تمضمضت وطهرت فمك بالماء فطهر لسانك من الكذب والغيبة والنميمة فان لسانك انما خلق لذكر الله تعالى وتلاوة كتابه ولترشد به خلق الله الى طريقه وتظهر به ما فى ضميرك من حاجات دينك ودنياك فاذا استعملته فى غير ما خلق له فقد كفرت نعمة الله فيه فان جوارحك نعمة من الله تعالى عليك والاستعانة بنعم الله على معصيته غاية الكفران وفى الحديث ان الرجل ليتكلم بالكلمة فيهوى بها فى جهنم سبعين خريفا واذا استنشقت بالماء وأزلت ما فى منخريك من الاذى فطهرهما من أن تشم بهما محرما كطيب مغصوب وطيب النساء الاجنبيات الحسان فانه

الصدقة الا أحسن الله الخلافة على ذريته وقال عليه السلام الصدقة تسد سبعين بابا من الشر وسئل صلى الله عليه وسلم أى الصدقة أفضل فقال أن تصدق وأنت صحيح شحيح تأمل البقاء وتخشى الفقر ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا ولا بأس بالاخفاء والاظهار على حسب ما شاء وكان ابراهيم الخواص والجنيد رضى الله عنهما يرون ان أخذ الصدقة أفضل من أخذ الزكاة لان فيها مزاحمة الفقراء ولان لها شرائط كثيرة وربما لا يكون تمامها موجودا فى الآخذ وذهب بعضهم الى أن أخذ الزكاة أولى فان فيه اعانة على أداء الواجب وفيه أيضا كسر للنفس ومذلة والامر فى ذلك على الجملة متقارب فافهم تغنم والله أعلم

(الباب السادس فى أسرار الصيام)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حكاية عن ربه عز وجل كل حسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف الا الصوم فانه لى وأنا أجزى به وقال عليه السلام والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك يقول الله تعالى انما يذر شهوته وطعامه وشرابه لاجلى فالصيام لى وأنا أجزى به وقال عليه السلام ان الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع ولذلك قال لعائشة رضى الله عنها داومى قرع باب الجنة قالت بماذا قال بالجوع وقال عليه السلام لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا الى ملكوت السماء فالصوم

حرام كما قاله الشيخ عز الدين بن عبد السلام وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما امرأة أصابت بخورا فلا تشهد معنا العشاء الآخرة واذا طهرت وجهك بالماء فطهر نظرك من ثلاث أن تنظر به الى محرم أو الى مسلم بعين الاحتقار أو الى عيب مسلم فانما خلقت العينان لتهتدى بهما فى الظلمات وتستعين بهما فى الحاجات وتنظر بهما الى عجائب ملكوت الارض والسموات وتعتبر بما فيهما من الآيات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم النظر سهم مسموم من سهام ابليس فمن غض بصره عن محاسن امرأة أورث الله قلبه حلاوة الى يوم يلقاه واذا طهرت يديك بالماء فطهرهما من أن تضرب بهما مسلما أو تتناول بهما مالا حراما أو تكتب بهما مالا يجوز النطق به فان القلم أحد اللسانين فاحفظه عما يجب حفظ اللسان منه واذا مسحت رأسك بالماء فاعلم انك انما تفعل ذلك امتثالا لامر الله تعالى فان العبادات كلها لها معان فان الشرع لا يأمر بعبث وقد يفهمه المكلف وقد لا يفهمه فالحكمة فى الصلاة الخضوع واظهار الافتقار الى الله تعالى وفى الصوم كسر النفس وفى الزكاة مواساة المحتاج وفى الحج اقبال العبد أشعث أغبر من مسافة بعيدة الى بيت الله كاقبال العبد الى مولاه ذليلا ومما لا يفهم معناه السعى والرمى ومسح الرأس فكلف العبد بها ليتم انقياده اذ لا حظ للنفس فى هذا النوع ولا أنس للعقل به فلا يحمل عليه الا مجرد الامتثال واذا مسحت أذنيك بالماء فطهرهما من الاصغاء الى بدعة أو غيبة أو خوض فى باطل فانهما لم يخلقا الا لتسمع بهما كلام الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وحكمة أوليائه واذا طهرت رجليك فطهرهما من المشى الى حرام والسعى بهما الى أبواب الظلمة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد يخطو خطوة الا يسئل عنها ما أراد بها وقال العينان زناهما النظر والاذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل زناها الخطا وقال الله تعالى ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا قيل معناه يسئل المرء عن سمعه و بصره وفؤاده قال ابن مسعود رضى الله عنه ما منكم من أحد الا سيخلو الله به كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر ثم يقول يا ابن آدم ما غرك بى يا ابن آدم ماذا عملت فيما علمت يا ابن آدم ماذا أجبت المرسلين يا ابن آدم ألم أكن لك رقيبا على عينيك وأنت تنظر بهما الى ما لا يحل لك ألم أكن رقيبا على أذنيك وهكذا على سائر الاعضاء وعن شكل بن حميد رضى الله عنه قال أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت يا نبى الله علمنى تعوذا أتعوذ به فاخذ بيدى ثم قال قل اللهم انى أعوذ بك من شر سمعى وشر بصرى وشر لسانى وشر قلبى وشر منيى

(الباب الثالث فى بيان المواضع التى يستحب فيها الوضوء)

روى أحمد باسناد صحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لولا أن أشق على أمتى لامرتهم عند كل صلاة بوضوء ومع كل وضوء بسواك وفى الترمذى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من توضأ على طهر كتب الله له به عشر حسنات وروى أحمد عن المهاجر بن قنفذ رضى الله عنه أنه سلم على النبى صلى الله عليه وسلم وهو يتوضا فلم يرد عليه حتى فرغ من وضوئه فرد عليه وقال انه لم يمنعنى أن أرد عليك الا انى كرهت أن أذكر الله الا على طهارة وروى البخارى عن البراء بن عازب رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له اذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوأك للصلاة ثم اضطجع على شقك الايمن الحديث وفى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا أراد أن ينام وهو جنب غسل فرجه وتوضأ وضوأه للصلاة وروى مسلم عنها أنها قالت كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا كان جنبا فاراد أن يأكل أو ينام توضأ وروى مسلم أيضا عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا أتى أحدكم أهله ثم أراد أن يعود فليتوضأ وروى مسلم أيضا عن جابر بن سمرة رضى الله عنه أن رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم أنتوضأ من لحوم الغنم قال ان شئت فتوضأ وان شئت فلا تتوضأ قال أنتوضا من لحوم الابل قال نعم قال الامام أحمد رحمه الله يجب الوضوء من أكل لحوم الابل وهو قول للشافعى فى القديم وهو عند الاكثرين منسوخ أو محمول على غسل اليد والفم لان لحم الابل له زهومة ليست لغيره من اللحم لكن يستحب الوضوء منه وفى كل موضع أوجب فيه بعض العلماء الوضوء وروى أحمد والترمذى وأبو داود والنسائى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من

غسل

يعين على كسر الشهوات وسيأتى فى باب كسر الشهوتين (فصل) اعلم أنه يثبت هلال شهر رمضان بقول عدل واحد ولا يثبت هلال شوال الا بقول عدلين وسواء قضى القاضى به أو لم يقض فكل يعمل بغلبة ظنه ويجب التبييت وهو أن ينوى بالليل ويجب أن ينوى فريضة صوم شهر رمضان ولو نوى ليلة الشك أن أصوم ان كان من رمضان لم يجزه والصوم هو الامساك عن ايصال شئ الى الجوف فيفسد بالاكل والشرب والسعوط والحقنة ولا يفسد بالفصد والحجامة والاكتحال وادخال ميل فى الاحليل والاذن الا ان يقطر فيه ما يبلغ الى المثانة وما يكون من غير قصد كغبار الطريق وسبق ذبابة الى جوفه وفى المضمضة والاستنشاق لا يفطر ما لم يبالغ وان أكل فى طرف النهار على ظن أنه ليل فتبين أنه نهار فسد صومه فان أكل أو شرب أو جامع ناسيا لم يفطر والاستقاء يفسد الصوم وان ذرعه القئ لم يفسد صومه وان اقتلع نخامة من صدره أو حلقه لا يفسد صومه رخصة لعموم البلوى ولا تجب الكفارة الا بالجماع ولا تجب بالاستمناء والاكل والشرب والكفارة عتق رقبة فان لم يجد فصوم شهرين فان عجز فاطعام ستين مسكينا مدا مدا (فصل) اعلم أن الصوم ثلاث درجات صوم العموم وصوم الخصوص وصوم خصوص الخصوص أما صوم العموم فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة وأما صوم

الخصوص أما صوم العموم فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة وأما صوم الخصوص فهو كف السمع والبصر واللسان

غسل ميتا فليغتسل ومن حمله فليتوضأ أما الغسل فلانه قد يلحقه رشاش من غسالة الميت وأما الوضوء فلاحتمال خروج ريح وهو لا يشعر به فيتوضأ احتياطا وقيل معنى فليتوضأ فليكن على وضوء عند حمله ليتهيأ له للصلاة عليه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الغضب من الشيطان وان الشيطان خلق من النار وانما تطفأ النار بالماء فاذا غضب أحدكم فليتوضأ وعن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان استطعت أن تكون أبدا على وضوء فافعل فان ملك الموت اذا قبض روح العبد وهو على وضوء كتب له شهادة وحكى عن بعض الصالحين أنه توضأ فى الليلة التى مات فيها ثمانين مرة حرصا على أن يموت وهو متوضئ

(الباب الرابع فى ذم الوسواس وغير ذلك من المسائل النافعة)

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال جاء اعرابى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأله عن الوضوء فاراه ثلاثا ثلاثا وقال هذا الوضوء فمن زاد على هذا فقد أساء وتعدى وظلم رواه أحمد والنسائى وابن ماجه وروى ابن ماجه أن النبى صلى الله عليه وسلم مر بسعد وهو يتوضا فقال له لا تسرف فقال يا رسول الله أفى الماء اسراف قال نعم وان كنت على نهر جار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاتقوا وسواس الماء رواه الترمذى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيكون فى هذه الامة قوم يعتدون فى الطهور والدعاء رواه أبو داود وقال زين العابدين لابنه يوما يا بنى اتخذ لى ثوبا ألبسه عند قضاء الحاجة فانى رأيت الذباب يسقط على الشئ ثم يقع على الثوب ثم انتبه فقال وما كان للنبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه الا ثوب واحد فتركه قال الشيخ موفق الدين بن قدامة رحمه الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ما كان فيهم موسوس ولو كانت الوسوسة فضيلة لما ادخرها الله لرسوله وأصحابه وهم خير الخلق وأفضلهم ولو أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم الموسوسين لمقتهم ولو أدركهم عمر رضى الله عنه لضربهم وأدبهم ولو أدركهم أحد من الصحابة لبدعهم وقيل كان بعض الصوفية يتوسوس فى وضوئه وكان يكثر صب الماء فقال كنت ليلة من الليالى أجدد الوضوء لصلاة العتمة وكنت أصب الماء على نفسى حتى مضى شطر الليل فلم تطب نفسى ولم يذهب الوسواس فبكيت وقلت يا رب العفو فسمعت هاتفا يقول يا فلان العفو فى العلم يعنى فى استعمال العلم قال الغزالى رحمه الله لا ينبغى أن يطيل القعود فى حاجته وروى عن لقمان الحكيم أنه قال لمولاه لا تطل القعود فى حاجتك فان ذلك يتولد منه الباسور وقال الغزالى رحمه الله لا يستحب امساك البول بعد ما أخذه فان ذلك يضر بالمثانة وقيل لطبيب ان ابنك قد أخذه البول فى موضع كذا فنزل عن دابته فى ذلك الموضع ولم يصبر الى منزله قال بئسما صنع حيث نزل عن دابته فهلا فعل قبل نزوله عن دابته ويقال ان حبس البول يفسد من الجسد كما يفسد النهر ما حوله اذا سد مجراه قال الترمذى الحكيم سمى الخلاء باسم شيطان موكل بذلك الموضع اسمه خلاء وأورد فيه حديثا مرفوعا من رواية بريدة وقال اذا أتيت الخلاء فاعلم أنك تقصد الشيطان فاحذر كيده وأقل من اتيانه بقلة الطعام وكن وجلا مستحيا من خالقك مستحقرا لنفسك فقد قال فضيل بن عياض انى لامقت نفسى من كثرة ترددى الى الخلاء وعظ نفسك حياء من ربك وامش متواضعا متفكرا فى نعم الله عليك حيث أطعمك وسقاك وأخرجه عنك حين آذاك وقف على باب الخلاء وقل اللهم اجعل دخولى عبرة وأمط الاذى عنى رحمة ترحمنى بها وعن أنس ان الشيطان يتباعد اذ ذاك

(فصل فى مسائل الاولى) سئل الشيخ عز الدين بن عبد السلام رحمه الله عن تعاليق الحروز التى فيها القرآن على الخيل مع علمه بانها تتمرغ فى النجاسة فأجاب هذا بدعة وتعريض لكتاب الله تعالى للاهانة بما يتعلق به من النجاسة ولم تكن الصحابة رضى الله عنهم يصنعون شيأ من ذلك الثانية لو وجد انسان اسما معظما فى ورق ملقى فى الطريق فعليه رفعها وهل الاولى تفرقة حروفه أو غسله أو جعله فى حائط قال الشيخ عز الدين الاولى غسله لان المجعول فى الجدار معرض لان يسقط فيستهان الثالثة حكى عن بشر الحافى رحمه الله أنه رأى ورقة فيها اسم الله تعالى فاخذها فطيبها فرأى الله تعالى فى النوم وقال طيبت اسمى لأطيبن اسمك وذكر

فهو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام وأما صوم خصوص الخصوص فصوم القلب عن الهمم الدنية والافكار الدنيوية وكفه عما سوى الله بالكلية ويحصل الفطر فى كل صوم بما عنه الصوم قال صلى الله عليه وسلم خمس يفطرن الصائم الكذب والغيبة والنميمة واليمين الكاذبة والنظر بشهوة فحفظ الجوارح عن المعاصى لا بد منه فى صوم الخواص *(فصل)* وينبغى أن لا يستكثر من الطعام الحلال فما ملئ وعاء أبغض الى الله تعالى من المعدة وينبغى أن يكون قلبه مضطربا بين الرجاء والخوف أقبل صيامه أم كان نصيبه منه الجوع أو العطش والنصب قيل رب امرئ كان نصيبه من صومه الجوع والنصب اذ المقصود من الصوم الكف عن الشهوات وليس ذلك مقصورا على الامتناع عن تناول الطعام والشراب فلعله أقدم على نظر أو غيبة أو نميمة او كذب فكل ذلك مفطرات للصوم *(فصل)* فى التطوع بالصيام اعلم أن استحباب الصوم يتأكد بالايام الفاضلة وفواضل الايام بعضها يوجد فى كل سنة وبعضها فى كل شهر وبعضها فى كل أسبوع أما فى السنة بعد أيام رمضان فيوم عرفة ويوم عاشوراء والعشر الاول من ذى الحجة

الغزالى فى الاحياء انه وقع من عبد الله بن مروان رحمه الله فلس فى بئر قاذورة فاكترى عليه بثلاثة عشر دينارا حتى أخرجه فقيل له فى ذلك فقال كان عليه اسم الله تعالى الرابعة قال القفال الشاشى فى محاسن الشريعة اذا تختم فى يساره بما عليه ذكر الله تعالى أو اسم الرسول صلى الله عليه وسلم حوّل فى الاستنجاء تنزيها له عن تنجيسه فيكون استخفافا قال الشيخ جمال الدين الاسنوى وفى كلامه اشعار بتحريمه قال وهو ظاهر اذا أفضى ذلك الى تنجيسه الخامسة قال أبو الليث رحمه الله يكره الكلام فى خمسة واضع خلف الجنازة وعند قراءة القرآن وعند الخطبة وفى الخلاء وعند الجماع

(الباب الخامس فى السواك وسنن الفطرة وغير ذلك وفيه ثمانية فصول)

(الفصل الاول فى السواك) روى أحمد والنسائى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال السواك مطهرة للفم مرضاة للرب وفى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لولا ان أشق على أمتى لامرتهم بالسواك عند كل صلاة وفى رواية للنسائى عند كل وضوء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتان بسواك أفضل من سبعين ركعة بلا سواك وقالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل بيته بدأ بالسواك وعن حذيفة رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك والشوص الدلك وقال ابن مسعود رضى الله عنه كنت أجتنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم سواكا من أراك وذكر المحاملى رحمه الله للسواك ثلاثة عشر فائدة يطهر الفم ويرضى الرب ويبيض الاسنان ويطيب النكهة ويشد اللثة ويصفى اللون ويجرى اللسان ويذكى الفطنة ويقطع الرطوبة ويحد البصر ويبطئ الشيب ويسوى الظهر ويضاعف الاجر وزاد شيخنا العلامة سراج الدين البلقينى رحمه الله فى كتاب التدريب أنه يسهل النزع ويذكر الشهادة عند الموت

(الفصل الثانى فى سنن الفطرة) فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس من الفطرة الختان والاستحداد ونتف الابط وقص الشارب وتقليم الاظفار قال النووى رحمه الله فى شرح مسلم الختان واجب عند الشافعى وكثير من العلماء وسنة عند مالك وأكثر العلماء ولو مات انسان غير مختون ففيه ثلاثة أوجه الصحيح أنه لا يختن صغيرا كان أو كبيرا والثانى يختن والثالث يختن الكبير دون الصغير وفى الحديث الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم أن ابراهيم عليه السلام اختتن وعمره ثمانون سنة بالقدوم مشددا أو مخففا على اختلاف فيه قال عبد الرزاق هو اسم للقرية وقال غيره هو اسم للآلة قال الشيخ سراج الدين بن الملقن رحمه الله وقد حكى التشديد والتخفيف فى المكان والآلة وذكر الثعلبى رحمه الله تعالى أن ابراهيم عليه السلام وقع بينه وبين العمالقة قتال فقتل من الفريقين فلم يعرف ابراهيم أصحابه حتى يدفنهم فجعل ابراهيم الختان علامة أهل الاسلام وذكر صاحب التنقيب على المهذب أن اسمعيل بن هاجر عليه السلام ضرب اسحاق بن سارة وكانت هاجر جارية لسارة ثم وهبتها لابراهيم فولدت اسمعيل فتألمت سارة بضرب ولدها فأخرجت هاجر من عندها وحلفت لتقطعن منها بضعة ثم فكرت فى أى بضعة تقطع ولا تؤذيها فقطعت بظرها فمن ذلك اليوم اختتن النساء وأول من اختتن من النساء هاجر والختان واجب عند الشافعى وكثير من العلماء على الرجال والنساء وسنة عند مالك وأكثر أهل العلم والسنة فى ختان الذكور اظهاره وفى ختان النساء اخفاؤه وذكر ابن الجوزى أن الذين خلقوا مختونين سبعة عشر آدم عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم وشيث وادريس ونوح وسام وهود وصالح ولوط وشعيب ويوسف وموسى وسليمان وزكريا ويحيى وعيسى وحنظلة نبى أصحاب الرس ذكره فى كتابه المسمى بالمنتخب فى النوب قال النووى رحمه الله المختار فى وقت حلق العانة وقص الشارب ونتف الابط وقلم الظفر أنه يضبط بالحاجة وطوله فاذا طال حلق أما حديث أنس وقت لنا فى قص الشارب ونتف الابط وتقليم الاظفار وحلق العانة أن لا نترك أكثر من أربعين ليلة فمعناه لا نترك تركا نتجاوز به أربعين لا انهم وقت لهم الترك أربعين والله أعلم وقال النووى أيضا يستحب أن يبدأ فى قلم الاظفار باليدين قبل الرجلين فيبدأ بمسبحة يده اليمنى ثم

والعشر الاول من المحرم وجميع الاشهر الحرم مظان الصوم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر من صوم شعبان حتى يظن انه من رمضان وفى الخبر أفضل الصيام بعد الصوم شهر رمضان شهر الله المحرم وقال عليه الصلاة والسلام صوم يوم من شهر رمضان أفضل من ثلاثين من غيره وصوم يوم من شهر حرام أفضل من ثلاثين يوما من صوم غيره ومن صام الخميس والجمعة والسبت من الاشهر الحرم كتب الله له عبادة سبعمائة عام والاشهر الفاضلة ذو الحجة والمحرم ورجب وشعبان والاشهر الحرم ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب واحد فرد وثلاثة سرد وأما ما يتكرر فى الشهر فأول الشهر وأوسطه وهو الايام البيض وآخره والايام البيض الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر وأما ما يتكرر فى الاسبوع فالاثنين والخميس والجمعة وصوم الدهر شامل للكل ولكن اختلفوا فى كراهيته وقال صلى الله عليه وسلم أفضل الصيام صوم أخى داود ولعل الاشارة اليه بقوله صلى الله عليه وسلم عرضت على مفاتيح خزائن الدنيا وكنوز الارض فرددتها وقلت أجوع يوما وأشبع يوما أحمدك اذا شبعت وأتضرع اليك اذا جعت وقد روى انه عليه السلام ما صام شهرا كاملا قط الا رمضان

(الباب السابع فى أسرار الحج وما فيه) وقد أنزل الله تعالى فى الحج اليوم أكملت لكم دينكم

بالوسطى ثم بالبنصر ثم الخنصر ثم الابهام ثم يعود الى اليسرى فيبدأ بخنصرها ثم ببنصرها الى آخرها ثم يعود الى رجله اليمنى فيبدأ بخنصرها ويختم بخنصر اليسرى والله أعلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يأخذ من شاربه فليس منا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحفوا الشوارب واعفوا اللحى وفى رواية وأوفوا اللحى قال النووى رحمه الله أما معنى أحفوا الشوارب أى احفوا ما طال على الشفتين وأما اعفاء اللحية فمعناه توفيرها وهو بمعنى أوفوا اللحى وكان من عادة الفرس قص اللحى فنهى الشرع عن ذلك قال القاضى عياض رحمه الله تعالى يكره حلق اللحية وقصها وتحريقها وأما الاخذ من طولها وعرضها فحسن وتكره الشهرة فى تعظيمها كما يكره فى قصها وجزها قال وقد اختلف السلف هل لذلك حد فمنهم من لم يحد شيأ الا أنه لا يتركها لحد الشهرة ويأخذ منها وكره مالك طولها جدا ومنهم من حددها بما زاد على القبضة فيزال ومنهم من كره الاخذ منها الا فى حج أو عمرة وأما الشارب فذهب كثير من السلف الى استئصاله وحلقه لظاهر قوله صلى الله عليه وسلم أحفوا وهو قول الكوفيين وذهب كثير منهم الى منع ذلك وبه قال مالك وكان يرى حلقه مثلة ويأمر بادب فاعله وكان يكره أن يأخذ من أعلاه وذهب هؤلاء الى أن الاحفاء والجز والقص بمعنى واحد وهو الاخذ منه حتى يبدو طرف الشفة وذهب بعض العلماء الى التخيير بين الامرين هذا آخر كلام القاضى قال النووى رحمه الله والمختار ترك اللحية على حالها وأن لا يتعرض لها بتقصير شئ أصلا والمختار فى الشارب ترك الاستئصال والاقتصار على ما يبدو به طرف الشفة والله أعلم قال فى الاحياء لا ينبغى أن يحلق أو يقلم أو يستحد أو يخرج دما أو يبين من نفسه جزأ وهو جنب اذ ترد اليه سائر أجزائه فى الآخرة فتعود جنبا ويقال ان كل شعرة تطالب بجنابتها روى خالد بن معدان أن النبى صلى الله عليه وسلم قال من تنور قبل أن يغتسل جاءته كل شعرة فتقول يارب سله لم ضيعنى ولم يغسلنى

(الفصل الثالث فى النهى عن نتف اللحية) روى أحمد وأبو داود عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تنتفوا الشيب فانه نور المسلم ما من مسلم يشيب شيبة فى الاسلام الا كتب الله له بها حسنة ورفعه بها درجة وحط عنه بها خطيئة قال الغزالى رحمه الله رد عمر رضى الله عنه شهادة من كان ينتف لحيته قال الغزالى وقد قيل ان لله ملائكة يقسمون والذى زين الرجال باللحى وقيل فى غريب التأويل فى معنى قوله تعالى يزيد فى الخلق ما يشاء انها اللحية وقال أصحاب الاحنف بن قيس وددنا أن نشترى للاحنف لحية بمائة ألف وقال شريح القاضى وددت أن لى لحية بعشرة آلاف

(الفصل الرابع فى خضاب اللحية) فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم وروى مسلم عن جابر رضى الله عنه قال جئ بأبى قحافة يوم الفتح الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكأن رأسه ولحيته كالثغامة بياضا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهبوا به الى بعض نسائه فلتغيره بشئ وجنبوه السواد قال النووى رحمه الله الثغامة بثاء مثلثة مفتوحة ثم غين معجمة مخففة قال أبو عبيد هو نبت أبيض الزهر والثمر شبه بياض الشيب به وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون قوم يخضبون فى آخر الزمان بالسواد كحواصل الحمام لا يريحون رائحة الجنة صححه الحاكم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير شبابكم من تشبه بشيوخكم وشر شيوخكم من تشبه بشبابكم قال الغزالى رحمه الله والمراد بالتشبه بالشيوخ فى الوقار لا فى تبييض الشعر وقال الغزالى أيضا تزوج رجل على عهد عمر رضى الله عنه وكان قد خضب بالسواد فذهب خضابه وظهرت شيبته فرفعه أهل المرأة الى عمر فرد نكاحه وأوجعه ضربا وقال غررت القوم بالشباب ولبست عليهم شيبتك وروى أن ابراهيم عليه السلام أول من رأى الشيب فقال يارب ما هذا قال الله تعالى وقار يا ابراهيم فقال رب زدنى وقارا قال الشيخ محيى الدين فى الروضة خضاب الشعر الشائب بحمرة أو صفرة سنة وبالسواد حرام وقيل مكروه وأما خضاب اليدين والرجلين فمستحب فى حق النساء وحرام فى حق الرجال الا لعذر

(الفصل الخامس فى النهى عن القزع) فى الصحيحين عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال نهى

الآية وقال عليه الصلاة والسلام من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا

(فصل) فى فضيلة الحج وفضيلة مكة والمدينة وبيت المقدس وشد الرحال الى المشاهد قال الله تعالى وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا الآية وقال عليه الصلاة والسلام ما رؤى الشيطان فى يوم أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه يوم عرفة وقال صلى الله عليه وسلم من خرج من بيته حاجا أو معتمرا فمات كان له أجر الحاج المعتمر الى يوم القيامة قال بعض السلف اذا وافق يوم الجمعة يوم عرفة غفر لاهل عرفة كلهم وهو أفضل يوم فى الدنيا وفيه حج رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وكان واقفا اذ نزلت عليه هذه الآية اليوم أكملت لكم دينكم قال أهل الكتاب لو أنزلت علينا هذه الآية لجعلناها يوم عيد فقال عمر رضى الله عنه أشهد لقد أنزلت فى يوم عيدين اثنين فى يوم عرفة ويوم جمعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف بعرفة وقال عليه الصلاة والسلام اللهم اغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج وروى أن على بن موفق حج عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حججا قال فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال لى يا ابن الموفق حججت عنى قلت نعم قال ولبيت عنى قلت نعم قال فانى أكافئك بها يوم القيامة وآخذ بيدك فى الموقف فادخلك الجنة والخلائق فى كرب الحساب (فضيلة

رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القزع فقيل لنافع ما القزع قال أن يحلق بعض رأس الصبي و يترك بعضه

(الفصل السادس في وصل الشعر) في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لعن الله الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والنامصة والمتنمصة المتفلجات للحسن المغيرات خلق الله تعالى قال في الروضة وصل المرأة شعرها بشعر نجس أو بشعر آدمي حرام قطعا لانه يحرم الانتفاع بشيء منه لكرامته بل يدفن شعره وغيره وسواء في هذا المزوجة وغيرها وأما الشعر الطاهر لغير الآدمي فان لم تكن ذات زوج ولا سيد حرم الوصل به على الصحيح وعلى الثاني يكره وان كانت ذات زوج أو سيد فثلاثة أوجه أصحها ان وصلت باذنه جاز والاحرم والثاني يحرم مطلقا والثالث لا يحرم ولا يكره وأما الوشم فحرام مطلقا والوشر وهو تحديد طرف الاسنان وترقيقها كالوصل بشعر طاهر

(الفصل السابع في الاكتحال) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اكتحل فليوتر من فعل فقد أحسن ومن لا فلا حرج وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكتحل قبل أن ينام بالاثمد ثلاثا في كل عين وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اكتحل جعل في العين اليمنى ثلاثا وفي العين اليسرى مرودين وقد اختلفوا في قول النبي صلى الله عليه وسلم من اكتحل فليوتر فقيل يكون في كل عين وترا لحديث ابن عباس وهذا هو الصحيح وقيل يكون في عين وترا وفي عين شفعا ليكون المجموع وترا لحديث ابن عمر

(الفصل الثامن في التطيب) روى النسائي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال حبب الي من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة وفي مسلم عنه صلى الله عليه وسلم قال من عرض عليه طيب فلا يرده فانه خفيف المحمل طيب الرائحة وفي رواية من عرض عليه ريحان فلا يرده فانه خفيف المحمل طيب الرائحة وروى مسلم أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أطيب الطيب المسك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الرياحين في الدنيا والآخرة الفاغية وقال أنس رضي الله عنه كان أحب الرياحين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاغية رواهما البيهقي والفاغية نور الحناء

(الباب السادس في الحمام وفيه أربعة فصول)

(الفصل الاول فيما ورد فيه من الاخبار والآثار) روى أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر من ذكور أمتي فلا يدخل الحمام الا بمئزر ومن كانت تؤمن بالله واليوم الآخر من اناث أمتي فلا تدخل الحمام وروى أبو داود وابن ماجه عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انها ستفتح لكم أرض العجم وستجدون فيها بيوتا يقال لها الحمامات فلا يدخلنها الرجال الا بالازر وامنعوا النساء الا مريضة أو نفساء وفيه دليل على منع دخول النساء الا لضرورة وبه قال ابن أبي هريرة واقتصر الرافعي على ذكره في السير وعليه جرى الغزالي في الاحياء وغيره فقال يحرم عليها الا لنفاس أو مرض وقال النووي في الروضة قلت الاصح الاشهر أنه لا يحرم عليهن لكن يكره ان لم يكن عذر وبهذا قطع أبو بكر السمعاني وقد أوضحته في شرح المهذب انتهى وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال نعم البيت الحمام يدخله المسلم اذا دخله سأل الله عز وجل الجنة واستعاذه من النار وقال بعضهم نعم البيت الحمام يطهر البدن ويذكر النار روى ذلك عن أبي الدرداء وأبي أيوب الانصاري وقيل بئس البيت الحمام يبدي العورة ويذهب الحياء وقال ابن عمر رضي الله عنه الحمام من النعيم الذي أحدثوه قال ابن الجوزي رحمه الله أول من دخل الحمام وصنعت له النورة والصابون سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام

(الفصل الثاني في واجبات دخول الحمام وسننه) قال النووي رحمه الله في شرح المهذب قال الغزالي في الاحياء ومختصره انه لا بأس بدخوله وعلى داخله واجبات وسنن فيجب عليه في عورته شيا آن سترها عن نظر غيره ومسه فلا يتعاطى أمرها وازالة وسخها الا بيده قال وواجبات في عورة غيره أن يغض بصره عنها وأن

ينهاه

البيت ومكة) قال عليه السلام ان الله قد وعد البيت أن يحجه في كل سنة ستمائة ألف فان نقصوا أكملهم الله تعالى بملائكته وان الكعبة تحشر يوم القيامة كالعروس الى الموقف وكل من حجها متعلق باستارها يسعون حولها يوم القيامة حتى تدخل الجنة فيدخلون معها وفي الخبران الحجر ياقوتة من يواقيت الجنة وانه يبعث يوم القيامة له عينان ولسان ينطق به يشهد لمن استلمه بحق وصدق وكان صلى الله عليه وسلم يقبله كثيرا وقبله عمر رضي الله عنه وقال اني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا اني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ثم بكى فالتفت فرأى عليا وراءه فقال له على لا تقل كذا فقال يا أبا الحسن ههنا تسكب العبرات فقال على يا أمير المؤمنين بل هو يضر وينفع قال وكيف قال ان الله تعالى لما أخذ الميثاق على الذرية كتب عليهم كتابا ثم ألقمه هذا الحجر فهو يشهد للمؤمنين بالوفاء ويشهد على الكفار بالجحود قيل فذلك هو معنى قول الناس عند الاستلام اللهم ايمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك وروى عن الحسن البصري ان صوم يوم في مكة بمائة ألف وصدقة درهم بمائة ألف وكذا كل حسنة بمائة ألف وقال صلى الله عليه وسلم أنا أول من تنشق عنه الارض ثم آتي أهل البقيع فيحشرون معي ثم آتي أهل مكة فاحشر بين الحرمين

ينهاه عن كشفها لان النهي عن المنكر واجب ولا يسقط الانكار الا بخوف ضرب أو شتم أو نحوه لا لظنه أنه لا يفيد والحزم في هذا الزمان ترك دخوله اذ لا يخلو عن عورات مكشوفة لا سيما ما فوق العانة وتحت السرة ولهذا استحب اخلاء الحمام قال والسنن عشر نية التنظيف المحبوب لا عبثا ولا لغرض الدنيا وأن يعطي الحمامي الاجرة قبل دخوله وأن يقدم يساره عند دخوله قائلا ما يقوله داخل الخلاء وأن يتحرى وقت الخلوة أو يتكلف اخلاءه وأن لا يعجل بدخول البيت الحار حتى يعرق في الاول وأن لا يكثر صب الماء بل يقتصر على قدر الحاجة فهو المأذون فيه وأن يذكر بحره حر النار وأن لا يكثر الكلام ويكره دخوله بين العشاءين وقريبا من الغروب وأن يشكر الله تعالى اذا فرغ على نعمة النظافة ويكره من جهة الطب صب الماء البارد على رأسه عند الخروج منه وشربه ولا بأس بقوله لغيره عافاك الله قال الغزالي واذا دخلت المرأة لضرورة فلا تدخل الا بمئزر سابغ قال ولا يقرأ القرآن الا سرا ولا يسلم اذا دخل هذا آخر ما نقله النووي عن الاحياء ونقل النووي عن أبي بكر السمعاني رحمه الله أن من آداب داخله أن يستغفر الله تعالى عند خروجه ويصلي ركعتين فقد كانوا يقولون يوم الحمام يوم اثم

(الفصل الثالث في فوائد طبية) قال الغزالي رحمه الله في الاحياء الحناء بعد النورة أمان من الجذام وقيل النورة في كل شهر تطفئ المرة وتنقي اللون وتزيد في الجماع قال وقيل بولة في الحمام قائما في الشتاء أنفع من شربة دواء قال وقيل نومة في الصيف بعد الحمام تعدل شربة دواء قال وغسل القدمين بعد الخروج من الحمام بماء بارد أمان من النقرس قال الشافعي رحمه الله عجبت لمن يدخل الحمام على الريق ثم يؤخر الاكل بعد أن يخرج كيف لا يموت قال بعض الاطباء من دخل الحمام وهو ممتلئ فأصابه الفالج فلا يلومن الا نفسه وقال جالينوس لاصحابه اجتنبوا ثلاثا وعليكم بأربع ولا حاجة بكم الى طبيب اجتنبوا الغبار والدخان والنتن وعليكم بالدسم والطيب والحلو والحمام وقيل أربعة تقوي الجسم لبس الثوب الناعم ودخول الحمام المعتدل وأكل الطعام الحلو والدسم وشم الروائح الطيبة وأربعة تهدم البدن الهم والحزن والجوع والسهر

(الفصل الرابع في ستر العورة) عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال قلت يا رسول الله عوراتنا ما نأتي منها وما نذر قال احفظ عورتك الا من زوجتك أو ما ملكت يمينك قلت فاذا كان القوم بعضهم في بعض قال ان استطعت أن لا يراها أحد فلا يرينها قلت فاذا كان أحدنا خاليا قال فالله تبارك وتعالى أحق أن يستحيى منه رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه وروى أحمد أن النبي صلى الله عليه وسلم مر على معمر وفخذاه مكشوفتان فقال يا معمر غط فخذيك فان الفخذين عورة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله حيي ستير يحب الحياء والتستر فاذا اغتسل أحدكم فليستتر وروى ابن عمر رضي الله عنهما في الحمام ووجهه الى الحائط وقد عصب عينيه وقال الحسن رحمه الله لا يصلح دخول الحمام الا بازارين ازار للعورة وازار للعينين يعني يغض بصره عن عورات الناس وقال علي رضي الله عنه لعن الله الناظر والمنظور اليه وقال عيسى عليه السلام اياكم والنظرة فانها تزرع في القلب شهوة وكفى بها لصاحبها فتنة

(كتاب الصلاة وفيه أحد عشر بابا)

(الباب الاول في الاذان وفيه ثلاثة فصول)

(الفصل الاول في فضله) قال الله تعالى ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله الآية قالت عائشة رضي الله عنها أرى هذه في المؤذنين وروى البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا انس الا شهد له يوم القيامة المدى الغاية وانما قال مدى صوته ولم يقل صوته لان غاية الصوت تكون أخفى فاذا شهد له من وصل اليه همس صوته ابعده فاولى أن يشهد له من قرب منه وروى أبو داود والنسائي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال المؤذن يغفر له مدى صوته ويشهد له كل رطب ويابس وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤذنون أطول الناس أعناقا يوم القيامة واختلفوا في معناه فقيل أكثر رجاء لان الراجي الى الشيء يمد عنقه اليه وقيل لا يلجمهم العرق فان العرق يأخذ الناس بقدر أعمالهم وروى

ويقال لا تغرب الشمس من يوم الا ويطوف بهذا البيت رجل من الابدال ولا يطلع الفجر من ليلة الا طاف به واحد من الاوتاد واذا انقطع ذلك كان سبب رفعه من الارض فيصبح الناس وقد رفعت الكعبة لا يرى لها أثر وهذا اذا أتى عليها سبع سنين لم يحجها أحد ثم يرفع القرآن من المصاحف فيصبح الورق أبيض يلوح ليس فيه حرف ثم ينسخ القرآن من القلوب فلا يذكر منه كلمة ثم يرجع الناس الى الاشعار والاغاني والاخبار الجاهلية ثم يخرج الدجال وينزل عيسى فيقتله والساعة عند ذلك بمنزلة الحامل المقرب يتوقع ولادتها (فضيلة المقام بمكة وكراهيته) كرهه بعضهم خوفا من السآمة وكذلك قال الامام عمر رضي الله عنه خشية أن يانس الناس بهذا البيت وكان يصرف الحاج اذا حجوا ويقول يا أهل اليمن يمنكم ويا أهل الشام شامكم ويا أهل العراق عراقكم وقيل أيضا تهييج الشوق لينبعث عند المفارقة داعية العود وقال تعالى مثابة للناس وأمنا وقيل للخوف من ركوب الخطايا والذنوب بها وذلك محظور ويدل على فضيلة المقام لمن يقدر على الوفاء بحقها انه عليه الصلاة والسلام لما عاد الى مكة استقبل الكعبة وقال انك لخير أرض الله وأحب بلاد الله ولولا اني أخرجت منك ما خرجت منك (فضيلة المدينة) وما بعد مكة بقعة أفضل من المدينة قال عليه الصلاة والسلام صلاة في مسجدي هذا

اعناقا بالكسر أى هم أكثر اسراعا الى الجنة مأخوذ من العنق بالفتح وهو ضرب من السير وروى الحاكم عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان خيار عباد الله الذين يراعون الشمس والقمر والنجوم والاظلة لذكر الله عز وجل

(الفصل الثانى فى اجابة المؤذن) فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن قال النووى رحمه الله يستحب اجابة المؤذن بالقول مثل قوله لكل من سمعه من متطهر ومحدث وجنب وحائض وغيرهم الا أن يكون فى خلاء أو جماع أهله ونحوهما وكذلك اذا كان فى صلاة فريضة كانت أو نافلة فاذا سلم أتى بمثله فلو فعله فى الصلاة كره فى أظهر القولين لانه اعراض عن الصلاة لكن لا تبطل صلاته الا اذا قال حى على الصلاة أوحى على الفلاح أو الصلاة خير من النوم فتبطل صلاته ان كان عالما بتحريمه لانه كلام آدمى وروى مسلم عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا قال المؤذن الله أكبر الله أكبر فقال أحدكم الله أكبر الله أكبر ثم قال أشهد أن لا اله الا الله قال أشهد أن لا اله الا الله ثم قال أشهد أن محمدا رسول الله قال أشهد أن محمدا رسول الله ثم قال حى على الصلاة قال لا حول ولا قوة الا بالله ثم قال حى على الفلاح قال لا حول ولا قوة الا بالله ثم قال الله أكبر الله أكبر قال الله أكبر الله أكبر ثم قال لا اله الا الله قال لا اله الا الله مخلصا من قلبه دخل الجنة قال القاضى عياض رحمه الله اذا قال المؤذن الله أكبر الله أكبر فقال أحدكم الله أكبر الله أكبر الى آخره ثم قال فى آخره من قلبه دخل الجنة انما كان كذلك لان ذلك توحيد وثناء على الله عز وجل وانقياد لطاعته وتفويض اليه بقوله لا حول ولا قوة الا بالله فمن حصل هذا فقد حاز حقيقة الايمان وكمال الاسلام واستحق الجنة بفضل الله تعالى وهذا معنى قوله فى الرواية الاخرى رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالاسلام دينا قال واعلم أن الاذان كلمة جامعة لعقيدة الايمان مشتملة على نوعيه من العقليات والسمعيات فاوله اثبات الذات وما يستحقه من الكمال والتنزيه عن اضدادها وذلك بقوله الله أكبر وهذه اللفظة مع اختصار لفظها دالة على ماذكرناه ثم صرح باثبات الوحدانية ونفى ضدها من الشركة المستحيلة فى حقه سبحانه وتعالى وهذه عمدة التوحيد والايمان المقدمة على كل وظائف الدين ثم صرح باثبات النبوة والشهادة بالرسالة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهى قاعدة عظيمة بعد الشهادة بالوحدانية وموضعها بعد التوحيد لانها من باب الافعال الجائزة الوقوع فتلك المقدمات من باب الواجبات وبعد هذه القواعد كملت العقائد العقليات فيما يجب ويستحيل ويجوز فى حقه سبحانه وتعالى ثم دعا الى ما دعاهم اليه من العبادات فدعاهم الى الصلاة وعقبها بعد اثبات النبوة لان معرفة وجوبها من جهة النبى صلى الله عليه وسلم لا من جهة العقل ثم دعا الى الفلاح وهو الفوز والبقاء فى النعيم المقيم وفيه اشعار بامور الآخرة من البعث والجزاء وهى آخر تراجم عقائد الاسلام ثم كرر ذلك باقامة الصلاة للاعلام بالشروع فيها وهو متضمن لتأكيد الايمان وتكراره ذكره عند الشروع فى العبادة بالقلب واللسان وليدخل المصلى فيها على بينة من أمره وبصيرة من ايمانه ويستشعر عظيم مادخل فيه وعظمة حق من يعبده وجزيل ثوابه هذا آخر كلام القاضى رحمه الله قال الهروى قال أبو الهيثم الحول الحركة أى لا حول ولا استطاعة الا بمشيئة الله تعالى وقيل لا حول فى دفع شر ولا قوة فى تحصيل خير الا بالله وقيل لا حول عن معصية الله الا بعصمته ولا قوة على طاعته الا بمعونته وحكى هذا عن ابن مسعود رضى الله عنه وروى مسلم عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على فانه من صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لى الوسيلة فانها منزلة فى الجنة لا تنبغى الا لعبد من عباد الله تعالى وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لى الوسيلة حلت له الشفاعة وروى البخارى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته حلت له شفاعتى يوم القيامة المراد بالدعوة التامة دعوة الاذان سميت بذلك لكمالها وعظم موقعها والصلاة القائمة أى التى ستقوم أى تقام وتفعل بصفاتها والوسيلة منزلة فى الجنة وقيل انها الشفاعة وقيل القرب من الله تعالى والمقام المراد به

الا المسجد الحرام وبعد المدينة الارض المقدسة قال صلى الله عليه وسلم الصلاة فيها بخمسمائة خير من ألف صلاة فيما سواه وروى عن ابن عباس رضى الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال صلاة فى مسجد المدينة بعشرة آلاف صلاة وصلاة فى المسجد الاقصى بالف صلاة والصلاة فى المسجد الحرام بمائة ألف صلاة (فصل) فى شروط وجوب الحج وصحته وأركانه وواجباته ومحظوراته أما الشرائط المصححة له فهو الوقت والاسلام فيصح حج الصبى المميز ويحرم بنفسه ويحرم الولى عنه اذا لم يكن مميزا ويفعل به مالا يفعل بنفسه ووقت الاحرام هو شوال وذو القعدة وتسع من ذى الحجة الى طلوع الفجر من يوم النحر ومن أحرم بالحج فى غير هذا الوقت فهى عمرة اذ جميع السنة وقت العمرة وشروط وقوعه عن حجة الاسلام خمسة الحرية والاسلام والبلوغ والعقل والوقت فان أحرم الصبى أو العبد ولكن عتق العبد وبلغ الصبى بعرفة أو بالمزدلفة فعاد الى عرفة قبل طلوع الفجر يوم النحر أجزأهما عن حجة الاسلام لان الحج عرفة وليس عليهما دم الاساءة وتشترط هذه الشرائط فى وقوع العمرة عن فرض حج الاسلام الا الوقت وأما الشرط فى وقوع الحج نفلا عن الحر البالغ فبراءة ذمته عن حجة الاسلام فحج الاسلام متقدم ثم القضاء لمن أفسده فى حالة الوقوف ثم النذر ثم النيابة ثم النفل وهذا

مقام الشفاعة العظمى الذى يحمده فيه الاولون والآخرون وسؤال هذا المقام مع أنه موعود به انما هو اظهار لشرفه صلى الله عليه وسلم وكمال منزلته وعظيم حقه ورفيع ذكره ومعنى حلت غشيته ونالته وله بمعنى عليه كما فى قوله تعالى يخرون للاذقان وقيل معناه وجبت له وقال صلى الله عليه وسلم ثنتان لا تردان الدعاء عند النداء وعند البأس حين يلتحم بعضهم بعضا وروى وتحت المطر وقال صلى الله عليه وسلم اطلبوا استجابة الدعاء عند التقاء الجيوش واقامة الصلاة ونزول الغيث

(الفصل الثالث فى مؤذنى النبى صلى الله عليه وسلم) قال ابن القيم رحمه الله فى كتاب الهدى مؤذنو النبى صلى الله عليه وسلم أربعة اثنان بالمدينة بلال وابن أم مكتوم وبقباء سعد القرظى وبمكة أبو محذورة فكان أبو محذورة منهم يرجع الاذان ويثنى الاقامة وبلال لا يرجع ويفرد الاقامة فاخذ الشافعى وأهل مكة باذان أبى محذورة واقامة بلال وأخذ أبو حنيفة وأهل العراق باذان بلال واقامة أبى محذورة وأخذ أحمد وأهل الحديث باذان بلال واقامته وخالفهم مالك فى موضعين اعادة التكبير وتثنية لفظ الاقامة فانه لا يكررهما وروى الدارقطنى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذن يطرب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الاذان سهل سمح فان كان أذانك سمحا سهلا والا فلا تؤذن

(الباب الثانى فى الحث على المحافظة على الصلاة وبيان فضلها)

قال الله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم وأنهم اليه راجعون قوله تعالى واستعينوا أى على ما يستقبلكم من أنواع البلاء وقيل على طلب الآخرة وأراد بالصبر حبس النفس عن المعاصى وقيل أراد الصبر على أداء الفرائض وقال مجاهد الصبر هو الصوم ومنه سمى شهر رمضان شهر الصبر وذلك لان الصوم يزهده فى الدنيا والصلاة ترغبه فى الآخرة وقيل الواو بمعنى على أى واستعينوا بالصبر على الصلاة كما قال الله تعالى وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها وقال وانها ولم يقل وانهما لانه رد الكناية الى كل واحد منهما أى وان كل خصلة منهما كما قال كلتا الجنتين آتت أكلها أى كل واحدة منهما لكبيرة ثقيلة الا على الخاشعين يعنى المؤمنين وقيل الخائفين الذين يظنون يستيقنون والظن من الاضداد يكون شكا ويقينا كالرجاء يكون أمنا وخوفا أنهم ملاقوا معاينو ربهم فى الآخرة وهو رؤية الله تعالى وقيل المراد من اللقاء الصير ورة اليه وانهم اليه راجعون فيجزيهم بأعمالهم وقال الله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى أى واظبوا وداوموا على الصلوات المكتوبات بمواقيتها وحدودها واتمام أركانها وخص الوسطى بالذكر دلالة على فضلها والوسطى تأنيث الاوسط ووسط الشئ خيره وأعدله واختلف العلماء من الصحابة وغيرهم فى الصلاة الوسطى فقيل هى صلاة الفجر واليه ذهب مالك والشافعى لان الله تعالى قال وقوموا لله قانتين والقنوت طول القيام وصلاة الصبح مخصوصة بطول القيام وبالقنوت ولان الله تعالى خصها بآية أخرى من بين الصلوات فقال تعالى وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا يعنى يشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار فهى مكتوبة فى ديوان الليل وديوان النهار ولانها بين صلاتى جمع وهى لا تقصر ولا تجمع الى غيرها وقيل انها صلاة الظهر لانها فى وسط النهار وهى أوسط صلاة النهار فى الطول وروى زيد بن ثابت رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلى الظهر بالهاجرة ولم يكن يصلى صلاة أشد على أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم منها فنزلت حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وذهب الاكثرون الى انها صلاة العصر رواه جماعة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أبو يونس مولى عائشة أمرتنى عائشة ان أكتب لها مصحفا وقالت اذا بلغت هذه الآية فآذنى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى فلما بلغتها آذنتها فأملت على حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى صلاة العصر وقوموا لله قانتين قالت سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن حفصة مثل ذلك وسئل على رضى الله عنه عن الصلاة الوسطى فقال كنا نرى انها الفجر حتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم الخندق شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله أجوافهم وقبورهم نارا ولانها بين صلاتى نهار وصلاتى ليل وقد خصها

الترتيب مستحق ولا يقع الا كذلك وان نوى خلافه وشرط لزوم الحج الحرية والاستطاعة ومن لزمه فرض الحج لزمه فرض العمرة ومن أراد دخول مكة لزيارة أو تجارة ولم يكن حطابا لزمه الاحرام على قول ويتحلل بعمل عمرة أو حج وأما الاستطاعة فنوعان أحدهما للمباشرة وذلك الصحة وأمن الطريق والخصب فيها وأن لا يكون بحرا مخطرا وأن يملك نفقة ذهابه وايابه الى وطنه ونفقة من تلزمه نفقته فى هذه المدة بعد أداء الديون وان يقدر على كراء الراحلة النوع الثانى استطاعة المعضوب بماله وهو ان يستأجر من يحج عنه بعد فراغ الاجير عن حجة الاسلام لنفسه والابن اذا عرض الطاعة على الاب الزمن صار به مستطيعا ويجوز التأخير بعد الاستطاعة ولكن بشرط سلامة العاقبة والا لقى الله تعالى عاصيا والاركان التى لا يصح الحج بدونها خمسة الاحرام والطواف والسعى بعده والوقوف بعرفة والحلق على قول وأركان العمرة كذلك الا الوقوف والواجبات المجبورة بالدم ستة الاحرام فى الميقات وعلى تاركه شاة والرمى وفيه الدم قولا واحدا وأما الصبر بعرفة الى غروب الشمس والمبيت بمزدلفة والمبيت بمنى وطواف الوداع فهذه الاربعة يجبر تركها بالدم على أحد القولين وفى الثانى فيها دم على سبيل الاستحباب وأما وجوه أداء الحج والعمرة فثلاثة الاول الافراد وهو الافضل وذلك أن يقدم

النبي صلى الله عليه وسلم بالتغليظ ففي صحيح البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله وقيل هي صلاة المغرب لانها وسط ليس باقلها ولا أكثرها قال أبو محمد رحمه الله في معالم التنزيل ولم ينقل عن أحد من السلف أنها صلاة العشاء قال وذكره بعض المتأخرين لانها بين صلاتين لا تقصران وقال بعضهم هي احدى الصلوات الخمس لا بعينها أبهمها الله تعالى تحريضا للعباد على المحافظة على أداء جميعها كما أخفى ليلة القدر في شهر رمضان وساعة اجابة الدعوة في يوم الجمعة وأخفى اسمه الاعظم في الاسماء ليحافظوا على جميعها قوله تعالى وقوموا لله قانتين أي مطيعين والقنوت الطاعة قال الله تعالى أمة قانتا أي مطيعا وقيل هو السكوت عما لا يجوز التكلم به في الصلاة قال زيد بن أرقم رضي الله عنه كنا نتكلم خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلاة يكلم الرجل منا صاحبه الى جنبه حتى نزلت وقوموا لله قانتين فامرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام وقيل معنى قانتين خاشعين وقيل القنوت طول القيام روى جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قيل له أي الصلاة أفضل قال طول القنوت وقيل قانتين أي داعين لما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال قنت رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا متتابعا الحديث وقيل معناه مصلين لقوله تعالى أمن هو قانت أي مصل وقال الله تعالى وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين قيل الطرف الاول صلاة الفجر والطرف الثاني الظهر والعصر وزلفا من الليل المغرب والعشاء ان الحسنات يعني الصلوات الخمس يذهبن السيئات الخطيئات ذلك الذي ذكرناه وقيل القرآن ذكرى عظة للذاكرين أي المتيقظين في الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه ان رجلا أصاب من امرأة قبلة فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فانزل الله تعالى أقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات فقال الرجل يا رسول الله ألي هذا قال لجميع أمتي كلهم وعن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنبت الكبائر وفي الصحيحين عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شئ قالوا لا قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا قال الله تعالى وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر الفحشاء ما قبح من الاعمال والمنكر ما لا يعرف في الشرع قال ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم في الصلاة منتهى ومزدجر عن معاصي الله فمن لم تأمره صلاته بالمعروف ولم تنهه عن المنكر لم يزدد بصلاته من الله الا بعدا وقال الحسن وقتادة من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فصلاته وبال عليه وروى عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال كان فتى من الانصار يصلي الصلوات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لا يدع شيأ من الفواحش الا ركبه فوصف لرسول الله صلى الله عليه وسلم حاله فقال ان صلاته تنهاه يوما فلم يلبث أن تاب وحسن اسلامه وقال ابن عون رحمه الله معنى الآية ان الصلاة تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر ما دام فيها وقيل أراد بالصلاة القرآن كما قال تعالى ولا تجهر بصلاتك أي بقراءتك وأراد أنه يقرأ القرآن في الصلاة فالقرآن ينهاه عن الفحشاء والمنكر وعن جابر رضي الله عنه قال قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا يقرأ القرآن الليل كله فاذا أصبح سرق قال ستنهاه قراءته وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بني الاسلام على خمس شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت وقال صلى الله عليه وسلم يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون رواه البخاري ومسلم قوله عليه الصلاة والسلام يتعاقبون أي تأتي طائفة بعد طائفة ومنه تعقب الجيوش وهو أن يذهب الى الثغر قوم ويجيء آخرون وأما اجتماعهم في الفجر والعصر فهو من لطف الله تعالى بعباده المؤمنين وكرمه لهم أن جعل اجتماع الملائكة عندهم ومفارقتهم لهم في أوقات عبادتهم واجتماعهم على

الى الحل وأحرم واعتمر وأفضل الحل الاحرام بالعمرة من الجعرانة ثم التنعيم ثم الحديبية ولا يش... الحج وجده فاذا فرغ خرج على المفرد دم الا أن يتطوع الثاني القران وهو أن يجمع فيقول لبيك بحج وعمرة فيصير محرما ويكفيه أعمال الحج وتندرج العمرة تحت الحج كما يندرج الوضوء تحت الغسل الا أنه اذا طاف وسعى قبل الوقوف فسعيه محسوب من النسكين وأما طوافه فغير محسوب لان شرط طواف الفرض في الحج أن يقع بعد الوقوف وعلى القارن دم شاة الا أن يكون مكيا فلا شئ عليه لانه لم يترك الميقات اذ ميقاته بمكة الثالث التمتع وهو أن يجاوز الميقات بعمرة ويتحلل بمكة ويتمتع بالمحظورات الى وقت الحج ثم يحرم بالحج ولا يكون متمتعا الا بخمس شرائط أحدها أن لا يكون من حاضري المسجد الحرام وحاضره من كان منه على مسافة لا يقصر فيها الصلاة الثاني أن يقدم العمرة على الحج الثالث أن تكون عمرته في أشهر الحج الرابع أن لا يرجع الى ميقات الحج ولا الى مثل مسافته لاحرام الحج الخامس أن تكون حجته وعمرته عن شخص واحد فبهذه الاوصاف يصير متمتعا ويلزمه دم شاة فان لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج قبل يوم النحر متفرقة أو متتابعة وسبعة اذا رجع الى أهله فهي عشرة ان شاء تتابعا أو متفرقا والافضل الافراد ثم التمتع ثم القران وأما

طاعة ربهم فتكون شهادتهم لهم بما شاهدوه من الخير وقوله فيسألهم قال النووي هذا السؤال على ظاهره وهو تعبد منه للملائكة كما أمرهم بكتب الاعمال وهو أعلم بالجميع قال القاضي عياض الاظهر وهو قول الاكثرين أن هؤلاء الملائكة هم الحفظة وقال صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله حمدني عبدي فاذا قال الرحمن الرحيم قال الله أثنى على عبدي فاذا قال مالك يوم الدين قال الله مجدني عبدي واذا قال اياك نعبد واياك نستعين قال هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل فاذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال هذا لعبدي ولعبدي ما سأل رواه مسلم قال العلماء المراد بالصلاة الفاتحة سميت بذلك لانها لا تصح الصلاة الا بها كقوله عليه السلام الحج عرفة قالوا والمراد بقسمتها من جهة المعنى لان نصفها الاول تحميد الله تعالى وتمجيده وثناء عليه وتفويض اليه والنصف الثاني سؤال وطلب وتضرع وافتقار وقوله حمدني عبدي وأثنى علي ومجدني انما قاله لان التحميد الثناء بجميل الفعال والتمجيد الثناء بصفات الجلال ويقال أثنى عليه في ذلك كله ولهذا جاء جوابا للرحمن الرحيم لاشتمال اللفظين على صفاته الذاتية والفعلية والله أعلم وقال صلى الله عليه وسلم ما افترض الله على خلقه بعد التوحيد شيأ أحب اليه من الصلاة ولو كان شئ أحب اليه منها ما تعبد بها ملائكته فمنهم راكع وساجد وقائم وقاعد وقال صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة مر أهلك بالصلاة فان الله يأتيك بالرزق من حيث لا تحتسب وقال علي كرم الله وجهه اذا مات العبد بكى عليه مصلاه من الارض ومصعد عمله من السماء ثم تلا فما بكت عليهم السماء والارض قال ابن عباس تبكي عليه الارض أربعين صباحا وقال عطاء الخراساني ما من عبد يسجد لله سجدة في بقعة من بقاع الارض الا شهدت له يوم القيامة وبكت عليه يوم يموت قال أنس رضي الله عنه ما من بقعة يذكر الله تعالى عليها بصلاة أو ذكر الا افتخرت على ما حولها من البقاع واستبشرت بذكر الله عز وجل من منتهاها الى سبع أرضين وما من عبد يقوم يصلي الا تزخرفت له الارض ويقال ما من منزل ينزله قوم الا أصبح ذلك المنزل يصلي عليهم أو يلعنهم وقال ابن القيم رحمه الله في الهدى قيل أربعة تجلب الرزق قيام الليل وكثرة الاستغفار بالاسحار وتعاهد الصدقة والذكر أول النهار وآخره وأربعة تمنع الرزق نوم الصبحة وقلة الصلاة والكسل والخيانة

(فصل في فضل السجود) قال الله تعالى واسجد واقترب أي اقترب اليه بالطاعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد أي أقرب ما يكون من رحمة ربه وفضله وروى ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله أدع الله أن يجعلني من أهل شفاعتك ويرزقني مرافقتك في الجنة قال أعني بكثرة السجود وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يسجد لله عز وجل سجدة الا رفعه الله تعالى بها درجة وحط عنه بها خطيئة وقال تعالى سيماهم في وجوههم من أثر السجود قيل هو ما يلتصق بوجوههم من الارض عند السجود ويروى عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أنه كان لا يسجد الا على التراب وقيل هو نور الخشوع فانه يشرق من الباطن على الظاهر قال الغزالي رحمه الله وهذا هو الاصح وقيل هي الغرر التي تكون في وجوههم يوم القيامة من أثر الوضوء وقال صلى الله عليه وسلم اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي وقال يا ويلاه أمر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فعصيت فلي النار ويروى عن علي بن عبد الله بن عباس انه كان يسجد في كل يوم ألف سجدة وكانوا يسمونه السجاد قال النووي رحمه الله في قوله صلى الله عليه وسلم أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فاكثروا الدعاء دليل لمن يقول ان السجود أفضل من القيام وسائر أركان الصلاة قال وفي هذه المسئلة ثلاثة مذاهب أحدها أن تطويل السجود وتكثير الركوع والسجود أفضل حكاه الترمذي والبغوي عن جماعة وممن قال بتفضيل تطويل السجود ابن عمر والثاني مذهب الشافعي وجماعة أن تطويل القيام أفضل لحديث جابر في مسلم أفضل الصلاة طول القنوت والقنوت القيام ولان ذكر القيام القراءة وذكر السجود التسبيح والقراءة أفضل ولان المنقول عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يطول القيام أكثر من تطويل السجود الثالث أنهما

محظورات الحج والعمرة فستة الاول لبس القميص والسراويل والخف والعمامة بل ينبغي أن يلبس ازارا ورداء ونعلين فان لم يجد نعلين فكعبان فان لم يجد ازارا فسراويل ولا باس بالمنطقة والاستظلال بالمحمل ولكن لا يغطي رأسه فان احرامه في رأسه وللمرأة أن تلبس المخيط غير أن لا تستر وجهها بما يماسها فان احرامها في وجهها الثاني التطيب فليجتنب كل ما يعده العقلاء طيبا فان تطيب أو لبس فعليه دم شاة الثالث الحلق والقلم وفيهما الفدية وهي دم شاة ولا باس بالكحل ودخول الحمام والفصد والحجامة وترجيل الشعر الرابع الجماع وهو مفسد قبل التحلل الاول وفيه بدنة أو بقرة أو سبع شياه وان كان بعد التحلل لزمه البدنة ولم يفسد حجه الخامس مقدمات الجماع وهي القبلة والملامسة التي تنقض التطهير مع النساء فهو محرم وفيه شاة وكذا في الاستمناء ويحرم النكاح والانكاح ولا دم فيه لانه لا ينعقد السادس قتل صيد البر أعني ما يؤكل أو ما هو متولد من الحلال والحرام فان قتل صيدا فعليه مثله من النعم يراعى فيه التقارب في الخلقة والله أعلم

(فصل) في ترتيب الاعمال الظاهرة من أول السفر الى الرجوع الى الوطن وهي عشر جمل (الاولى) في السير من أول الخروج الى الاحرام وهي ثمانية التوبة ورد المظالم وقضاء الديون واعداد نفقة من يمونه الى الرجوع ورد الودائع وأن يكونه

سواء وتوقف أحمد فى المسئلة وقال اسحق أما فى النهار فتكثير الركوع والسجود أفضل وأما بالليل فطول القيام الا أن يكون للرجل جزء بالليل فتكثير الركوع والسجود أفضل لانه يقرأ جزأه ويربح كثرة الركوع والسجود قال الترمذى انما قال اسحق هذا لانهم وصفوا صلاة النبى صلى الله عليه وسلم بالليل بطول القيام ولم يوصف من تطويله بالنهار ما وصف بالليل والله أعلم

(الباب الثالث فيما جاء من التشديد على تارك الصلاة)

قال الله تعالى فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات الآية وقوله فخلف من بعدهم أى من بعد النبيين المذكورين قبل خلف وهم قوم سوء والخلف بالفتح الصالح وبالسكون الطالح قال السدى أراد بهم اليهود ومن لحق بهم وقال مجاهد وقتادة هم فى هذه الامة أضاعوا الصلاة تركوا الصلاة المفروضة وقال ابن مسعود وابراهيم أخروها عن وقتها وقال سعيد بن المسيب هو أن لا يصلى الظهر حتى يأتى العصر ولا العصر حتى تغيب الشمس واتبعوا الشهوات أى المعاصى كشرب الخمر أى آثروا شهوات أنفسهم على طاعة الله فسوف يلقون غيا قال وهب الغى نهر فى جهنم بعيد قعره خبيث طعمه وقال ابن عباس رضى الله عنهما هو واد فى جهنم وان أودية جهنم تستعيذ بالله من حره أعد للزانى المصر عليه ولشارب الخمر المدمن عليها ولآكل الربا الذى لا ينزع عنه ولاهل العقوق ولشاهد الزور وقال تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض الآية قال ابن عباس أراد بالامانة الطاعة والفرائض التى فرضها الله على عباده عرضها على السموات والارض والجبال على انهم ان أدوها أثابهم وان ضيعوها عذبهم ويروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ائتمن الله خلقه على أربع على الصلاة والزكاة والصيام والغسل وهن السرائر التى يختبرها الله يوم القيامة وقال الله تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فقال اضاعة الوقت وقال قتادة ساه عنها لا يبالى صلى أو لم يصل وقال مجاهد غافلون عنها يتهاونون بها وقال الحسن هو الذى ان صلاها صلاها رياء وان فاتته لا يندم عليها وقال أبو العالية لا يصلونها لمواقيتها ولا يتمون ركوعها وسجودها وقال الله تعالى فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فاذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحق الاسلام وحسابهم على الله رواه البخارى ومسلم قوله الا بحق الاسلام أى كما لو قتل مسلما عمدا عدوانا فاقتله قصاصا أو زنى محصنا فارجمه حدا ونحو ذلك وقوله وحسابهم على الله أى أنا أراعى أفعالهم الظاهرة فلا أدع أحدا أن يترك فرضا من فرائض الله تعالى وأن يظلم أحدا فأما ما يخفون فى بواطنهم ويسرون فى ضمائرهم من النيات والعقائد فليس لى اليه سبيل والله تعالى يتولى حسابهم فيثيب المخلص ويعاقب المنافق ويجزى المصر بفسقه أو يعفو عنه وقال صلى الله عليه وسلم ان بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر رواه الترمذى وقال حسن صحيح وقال أبو هريرة رضى الله عنه كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرون من الاعمال شيأ تركه كفر الا الصلاة وقال صلى الله عليه وسلم من حافظ على الصلاة كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نورا ولا برهانا ولا نجاة وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبى بن خلف رواه أحمد وقال صلى الله عليه وسلم ان أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته فان صلحت فقد أفلح وأنجح وان فسدت فقد خاب وخسر حسنه الترمذى وقال صلى الله عليه وسلم لا ايمان لمن لا أمانة له ولا صلاة لمن لا طهور له ولا دين لمن لا صلاة له انما موضع الصلاة من الدين كموضع الرأس من الجسد رواه الطبرانى وقال ابن حزم رحمه الله لا ذنب بعد الشرك أعظم من ترك الصلاة حتى يخرج وقتها وقتل مؤمن بغير حق وقال الغزالى رحمه الله لو زعم زاعم أنه بلغ بينه وبين الله حالة أسقطت عنه الصلاة وأحلت له شرب الخمر وأكل مال السلطان كما زعمه بعض المتصوفة فلا شك فى وجوب قتله وان كان فى خلوده فى النار نظر وقتل مثله أفضل من

ما يستصحبه حلالا الثانية التماس رفيق صالح ينتفع بدينه الثالثة أن يصلى قبل الخروج ركعتين يقرأ فيهما قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد فاذا فرغ رفع يديه وقال اللهم أنت الصاحب فى السفر وأنت الخليفة فى الاهل والمال والولد والاصحاب احفظنا واياهم من كل آفة وعاهة وبلية الرابعة اذا وصل الى باب الدار قال بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة الا بالله رب أعوذ بك أن أضل أو أضل أو أزل أو أزل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل على الخامسة فى الركوب فاذا ركب الدابة قال بسم الله وبالله والله أكبر توكلت على الله حسبى الله سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون السادسة النزول والسنة ان لا ينزل حتى يحمى النهار ويكون سيره فى الليل قال عليه الصلاة والسلام عليكم بالدلجة فان الارض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار السابعة أن يحذر المشى وحده مخيفة الاغتيال الثامنة أن يقول مهما علا نشزا من الارض بعد أن يكبر ثلاثا اللهم لك الشرف على كل شرف ولك الحمد على كل حال ومهما هبط سبح ومهما خاف الوحشة قال سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات والارض بالعزة والجبروت (الجملة الثانية فى آداب الاحرام من الميقات الى دخول مكة) وهى خمسة الاول الاغتسال وينوى به غسل الاحرام ويتمم ذلك

قتل مائة كافر لان ضرره أكثر وأجمع المسلمون على تكفير من جحد وجوب الصلاة وأما من تركها تكاسلا فقال النووى رحمه الله اختلفوا فيه فذهب مالك والشافعى والجماهير من السلف والخلف الى أنه لا يكفر بل يفسق ويستتاب فان تاب والا قتل حدا وذهب جماعة من السلف الى أنه يكفر وهو مروى عن على وهو احدى الروايتين عن أحمد وبه قال عبد الله بن المبارك واسحق بن راهويه وهو وجه لبعض أصحاب الشافعى وذهب أبو حنيفة وجماعة من أهل الكوفة والمزنى الى أنه لا يكفر ولا يقتل بل يعزر ويحبس حتى يصلى ونقل الشيخ شهاب الدين الاذرعى رحمه الله عن فتاوى جمال الدين بن البرزى أنه يجب على الرجل أمر زوجته بالصلاة فى أوقاتها وضربها عليها وقال الشيخ تقى الدين بن تيمية رحمه الله يجب على الرجل أن يأمر زوجته بالصلاة وقد قال الله تعالى وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا قال فان أصرت على تركها فعليه أن يطلقها (حكاية) قال أبو الليث السمرقندى رحمه الله حكى أن رجلا دفن أختا له ثم ذكر أنه نسى كيسا له فى قبرها فأتى القبر فنبشه فوجد الكيس ثم رفع بعض ما على اللحد فرأى القبر يشتعل نارا فسأل أمه عن عمل أخته فقالت كانت تؤخر الصلاة ولا تصلى بطهارة كاملة وتأتى أبواب الجيران لتسمع حديثهم لتمشى بالنميمة

(الباب الرابع فى فضل تعجيل الصلاة أول الوقت)

قال الله تعالى فاستبقوا الخيرات أى سارعوا الى الطاعات قال القرطبى فى تفسيره وهذا يدل على أن تقديم الواجبات أفضل من تأخيرها وذلك لا خلاف فيه فى العبادات كلها الا فى الصلاة فى أول الوقت فان أبا حنيفة يرى أن الاولى تأخيرها وعموم الآية دليل عليه وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال سألت النبى صلى الله عليه وسلم أى الاعمال أفضل قال الصلاة لاول وقتها وعن على رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له يا على ثلاث لا تؤخرها الصلاة اذا أتت والجنازة اذا حضرت والايم اذا وجدت لها كفؤا وقال صلى الله عليه وسلم الوقت الاول من الصلاة رضوان الله والوقت الآخر عفو الله وقيل فى قوله تعالى فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات السابق الذى تهيأ للصلاة قبل دخول وقتها والمقتصد الذى تهيأ للصلاة بعد دخول وقتها والظالم الذى ينتظر الاقامة قال الاوزاعى رحمه الله فى قوله تعالى ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين أراد المصلين فى أول الوقت والمؤخرين الى آخره قال الغزالى رحمه الله فى احياء علوم الدين ومما يستدل به على فضيلة أول الوقت أن النبى صلى الله عليه وسلم تأخر يوما عن صلاة الفجر وكانوا فى سفر وانما تأخر بسبب الطهارة فلم ينتظر وقدموا عبد الرحمن بن عوف فصلى بهم حتى فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة فقام يقضيها قال فأشفقنا من ذلك فقال عليه السلام أحسنتم هكذا فافعلوا وتأخر يوما صلى الله عليه وسلم عن صلاة الظهر فقدموا أبا بكر ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم فى الصلاة فقام الى جانبه واختلفوا بماذا تحصل فضيلة أول الوقت على أوجه أصحها انها تحصل بان يشتغل بأسباب الصلاة كالطهارة والاذان كما دخل الوقت لانه حينئذ لا يعد متوانيا وقيل يبقى الى نصف وقت الاختيار وقيل يشترط تقديم ما يمكن تقديمه على الوقت كالطهارة ونحوها وعلى الاول لا يضر شغل خفيف كأكل لقم وكلام يسير ولا يكلف العجلة على خلاف العادة ويستثنى من استحباب التعجيل مسائل منها الابراد بالظهر فى شدة الحر والاصح اختصاصه ببلد حار وجماعة مسجد يقصدونه من بعد ومنها العشاء فى قول والمسافر فانه يستحب له ان كان مسافرا فى وقت الاولى أن يؤخرها الى وقت الثانية والواقف بعرفة فانه يستحب له تأخير المغرب ليجمعها مع العشاء بمزدلفة والمقيم بمنى للرمى يستحب له تأخير الظهر عنه ومن يدافع الحدث أو بحضرة طعام يتوق اليه والمنفرد اذا تحقق الجماعة أو رجاها والمتيمم اذا تيقن وجود الماء فى آخر الوقت وكذا المريض الذى لا يقدر على القيام أول الوقت ويعلم قدرته فى آخره وما لو ظن دخول الوقت بالاجتهاد فالافضل التأخير وما اذا كان يدافع النعاس أول الوقت قال الشيخ سراج الدين بن الملقن رحمه الله فى شرح التنبيه نصب هذه الاوقات أسبابا للصلوات تعبد غير معقول المعنى

بتقليم الاظفار وقص الشارب وما يلحق به الثانى أن يفارق الثياب المخيطة كما سبق ويتطيب ولا بأس ببقاء جرم الطيب وريحه كما نقل الثالث أن ينوى الاحرام عند حركته أو حركة دابته منبعثا ويكفى مجرد النية لانعقاد الاحرام ولكن السنة أن يقرن بالنية لفظة التلبية فيقول لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك وان زاد قال لبيك وسعديك والخير كله بيديك والرغبة اليك لبيك بحجة حقا حقا تعبدا ورقا اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل محمد وسلم الرابع اذا انعقد احرامه يستحب أن يقول اللهم انى أريد الحج فيسره لى وأعنى على أداء فرضه وتقبله منى الخامس يستحب تجديد التلبية فى دوام الاحرام (الجملة الثالثة فى آداب دخول مكة الى الطواف وهى ستة) الاول الاغتسال بذى طوى لدخول مكة والاغسال المسنونة فى الحج تسعة الاول الاحرام ثم لدخول مكة ثم لطواف القدوم ثم للوقوف بعرفة ثم بمزدلفة ثم ثلاثة أغسال لرمى الجمار الثلاث ولا غسل لرمى جمرة العقبة ثم لطواف الوداع ولم ير الشافعى فى الجديد الغسل لطواف الزيارة ولطواف الوداع فتعود الى سبعة الثانى ان يقول عند الدخول الى أول الحرم وهو خارج مكة اللهم هذا حرمك وأمنك فحرم لحمى ودمى وبشرى على النار وآمنى من عذابك يوم تبعث عبادك واجعلنى من أوليائك وأهل طاعتك يارب العالمين الثالث أن يدخل مكة من جانب

الابطاع وهي من ثنية كدا بفتح الكاف عدل رسول الله صلى الله عليه وسلم من جادة الطريق اليها و يخرج

عند جهور العلماء وقال الحكيم الترمذي في كتاب العلل والمقادير ومعقول المعنى فعلة نصب الفجر أن الشمس آية عظيمة والفجر مبدؤها فاذا ظهرت فحقيق بالعباد أن ينهضوا الى طاعة مولاهم فان السكون تلاعب بالآية ألا ترى أن الشمس اذا انكسفت تعين النهوض الى العبادة تعظيما للآية لان الانكساف تخويف بزوال النعمة وظهورها بعد ذلك نعمة عظيمة وقبيح بالعبد أن تظهر آية من آيات الله تعالى وهو مستقر لا ينزعج لها بل يقوم معتذرا ممأ جنت يداه ثم مدله في ذلك الى طلوع الشمس وعلة الظهر زوال الشمس وهو سجودها لله فانها ما دامت مرتفعة فهي في علو فاذا زالت مالت للسجود وهو منها بمنزلة الركوع فاذا بلغت متوسط الانحطاط فهو انحدارها للسجود ولذلك سميت العصر عصرا لانها في صورة انعصارها للانحطاط كما سميت الظهر ظهرا لظهورها على ظهر القبة والعشاء عشاء لعشو الابصار بالاظلام والفجر لانفجار الصبح وعلة وقت المغرب ظهور سلطان الليل وهو آية عظيمة طبقت الافق وآب كل شئ الى مأواه وهو رحمة عظيمة لما فيه من ميل النفوس الى السكون فيشكر الله عليها وآخر هذه الآية ظلمة الليل ونعمة السكون فهذه معان مناسبة وقال الامام فخر الدين الرازي رحمه الله هذه الاحوال الخمسة تشبه أحوال الانسان في مدة عمره فان أول ظهور آية الشمس تشبه ولادة الصبي من حيث الظهور ثم تزداد قوة وتزداد تصاعدا واستقلالا وكمالا الى أن تقرب من وسط السماء وهي في هذه الحالة تشبه الآدمي في زمن النشو والنماء فاذا قربت من وسطها بقيت أزمانا على حالة واحدة لا يشاهد فيها ارتفاعا ولا انخفاضا وهي في هذه الحالة تشبه حالة الانسان في زمن الشباب الذي لا يظهر فيه زيادة ولا نقص ثم تنتقل الى الجانب الغربي وتأخذ في الانحطاط قليلا قليلا لكن لا يظهر نقصان نورها وقوتها وحرارتها وهذه الحالة تشبه حالة الكهولة من الانسان وآخر هذا الوقت هو أول وقت العصر وتأخذ الشمس في النقصان الظاهر والانحطاط البين الى الغروب وهذه الحالة تشبه حالة الانسان في الشيخوخة فاذا غربت أشبه حالها حال الانسان عند موته ويبقى آثارها في الافق ثم بعد ذلك يزول أثرها وهو الشفق وهي تشبه حالة الانسان بعد موته فان ذكره يبقى قليلا بعد موته ثم ينسى أي فكانت الصلاة في هذه الاوقات تذكيرا لهذه الاحوال

(فصل) في الصحيحين عن أبي برزة الاسلمي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يكره النوم قبل العشاء والحديث بعدها المعنى في كراهة النوم قبل العشاء مخافة استمراره الى خروج الوقت وأما كراهة الحديث بعدها فذكر الشيخ جمال الدين الاسنوي رحمه الله له ثلاث معان أحدها أن نومه يتأخر فيخاف مع ذلك أن تفوته الصبح عن وقتها أو عن أوله الثاني لوقوع الصلاة التي هي أفضل الاعمال خاتمة عمله وربما مات في نومه الثالث لان الله تعالى جعل الليل سكنا وهذا يخرجه عن ذلك وروى أبو داود أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج يوما الى الصلاة فلم يمر بنائم الا أيقظه قال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله في شرح المهذب يستحب ايقاظ النائم للصلاة ولا سيما ان ضاق وقتها لقوله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى قال في تسهيل المقاصد لزوار المساجد ايقاظ النائم مستحب في ثلاث عشرة صورة الاولى هذه الثانية اذا نام امام المصلين لانه يشوش عليهم الثالثة اذا نام في الصف الاول أو محراب المسجد فانه يوقظ عند اقامة الصلاة لان اقامتها في هذه المواضع مطلوبة وان كان صلى ثم نام وهو مقصر حيث لم ينم في أخريات المسجد الرابعة اذا كان نائما على سطح لا حظير له لورود النهي عنه قال صلى الله عليه وسلم من بات على ظهر بيت ليس له حجار فقد برئت منه الذمة رواه أبو داود قال المنذري في كتاب الترغيب والترهيب هكذا وقع في روايتنا حجار بالراء بعد الالف وفي بعض النسخ حجاب بالباء الموحدة وهو بمعناه الخامسة اذا نام وبعضه في الظل وبعضه في الشمس لان النبي صلى الله عليه وسلم نهى ان ينام الرجل وبعضه في الظل وبعضه في الشمس السادسة اذا نام بعد طلوع الفجر وقبل طلوع الشمس لما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال الصبحة تذهب الرزق وعن بعضهم وأظنه عمر بن عبد العزيز أنه رأى ابنا له في هذا الوقت نائما فأيقظه وقال الارزاق تقسم وأنت نائم السابعة اذا نام قبل صلاة العشاء فانه يكره النوم قبلها الثامنة اذا نام بعد العصر التاسعة اذا نام خاليا في البيت وحده فانه يكره له ذلك كما ذكره الحليمي في شعب

من ثنية كدا بضم الكاف فالاولى هي العليا والثانية هي السفلى الرابع اذا دخل مكة وانتهى الى رأس الردم فعندما يقع بصره على البيت فليقل لا اله الا الله والله أكبر اللهم أنت السلام ومنك السلام ودارك دار السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام اللهم ان هذا بيتك عظمته وكرمته وشرفته اللهم فزده تعظيما وزده تشريفا وتكريما الخامس اذا دخل المسجد الحرام فليدخل من باب بني شيبة وليقل بسم الله وبالله ومن الله والى الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا قرب من البيت قال الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ونبيك وعلى ابراهيم خليلك وعلى جميع أنبيائك ورسلك وليرفع يديه وليقل اللهم اني أسألك في مقامي هذا في أول مناسكي أن تقبل توبتي وتتجاوز عن خطيئتي وتضع عني وزري الحمد لله الذي بلغني بيته الحرام الذي جعله مثابة للناس وأمنا وجعله مباركا وهدى للعالمين اللهم اني عبدك والبلد بلدك والحرم حرمك والبيت بيتك جئت أطلب رحمتك أسألك مسألة المضطر الخائف من عقوبتك الراجي لرحمتك الطالب لمرضاتك السادس ان يقصد الحجر الاسود بعد ذلك ويمسه بيده

اليمنى ويقبله ويغسله ويقول اللهم أمانتي أديتها وميثاقي تعاهدته اشهد لي بالموافاة فان لم يستطع التقبيل

الايمان العاشرة اذا نامت المرأة مستلقية ووجهها الى السماء فانه يكره كما ذكره الحليمي في المنهاج واستدل بان عمر بن عبد العزيز رأى ابنته كذلك فنهاها الحادية عشر اذا رأى شخصا نائما على وجهه فانه صلى الله عليه وسلم رأى رجلا كذلك فقال هذه ضجعة يبغضها الله ورسوله الثانية عشر يستحب أن يوقظ غيره لصلاة الليل لانه صلى الله عليه وسلم أيقظ عليا وفاطمة وفي أبي داود أنه صلى الله عليه وسلم قال رحم الله رجلا قام من الليل فأيقظ أهله فان أبت رش في وجهها الماء الثالثة عشر يستحب ايقاظ النائم ليتسحر لقوله صلى الله عليه وسلم ان بلالا ينادي بليل ليوقظ نائمكم

(الباب الخامس في الحث على الخشوع في الصلاة)

قال الله تعالى قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها الا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم يأت كبيرة وذلك الدهر كله رواه مسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليصلي الصلاة ولعله لا يكون له منها الا عشرها أو تسعها أو ثمنها أو سبعها أو سدسها حتى أتى على الصلاة رواه ابن حبان في صحيحه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى ركعتين لم يحدث نفسه فيهما بشئ من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه وقالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه اشتغالا بعظمة الله عز وجل ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يعبث بلحيته في صلاته فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس للعبد من صلاته الا ما عقل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجلين من أمتي ليقومان الى الصلاة وركوعهما وسجودهما واحد وان بين صلاتيهما ما بين السماء والارض وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى الصلاة لوقتها فأسبغ وضوءها وأتم ركوعها وسجودها وخشوعها عرجت وهي بيضاء مضيئة تقول حفظك الله كما حفظتني ومن صلاها لغير وقتها فلم يسبغ وضوءها ولم يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها عرجت وهي سوداء مظلمة تقول ضيعتني ضيعك الله حتى اذا كانت حيث شاء الله لفت كما يلف الثوب الخلق فضرب بها وجهه وقال علي رضي الله عنه يا رسول الله ما أفضل الصلاة قال ما حضرت فيها القلوب وذرفت فيها العيون وخلصت فيها النيات وفاضت فيها العبرات وقال أبو الدرداء رضي الله عنه من فقه الرجل أن يبدأ بحاجته قبل دخوله في الصلاة ليدخل في الصلاة وقلبه فارغ وروي أن عمر رضي الله عنه قال يوما على المنبر ان الرجل ليشيب عارضاه في الاسلام وما أكمل صلاته لله تعالى قيل وكيف ذلك قال لا يتم خشوعها وتواضعها واقباله على الله تعالى فيها وروي عن حاتم الاصم أنه سئل عن صلاته فقال اذا حان وقت الصلاة أسبغت الوضوء ثم أتيت الموضع الذي أريد الصلاة فيه فاقعد فيه حتى تجتمع جوارحي ثم أقوم الى صلاتي فاجعل الكعبة بين حاجبي والصراط تحت قدمي والجنة عن يميني والنار عن شمالي وملك الموت ورائي وأظنها آخر صلاتي ثم أقوم بين الرجاء والخوف وأكبر تكبيرا بتحقيق وأقرأ قراءة بترتيل وأركع ركوعا بتواضع وأسجد سجودا بتخشع وأجلس على الورك اليسرى وأفرش ظهر قدمها وأنصب القدم اليمنى على الابهام وأتبعها الاخلاص ثم لا أدري أقبلت مني أم لا قال الغزالي رحمه الله وكان عامر بن عبد قيس من خاشعي المصلين وكان اذا دخل في الصلاة ضربت ابنته بالدف وتحدث النساء بما يردن ولم يكن يسمع ذلك ولا يعقله وقيل له ذات يوم هل تحدث نفسك في الصلاة بشئ قال نعم بوقوفي بين يدي الله تعالى ومنصرفي الى احدى الدارين قيل فهل تجد شيأ مما نجده من أمور الدنيا فقال لان تختلف الاسنة في أحب الي من أن أجد في الصلاة ما تجدون وكان يقول لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا وتأكل طرف بعضهم فاحتاج الى قطعه فلم يمكن منه فقيل انه في الصلاة لا يشعر بما يجري عليه فقطعت وهو في الصلاة وقيل لخلف ابن أيوب رحمه الله ألا يؤذيك الذباب في الصلاة فتطرده فقال لا أعود نفسي شيأ يفسد علي صلاتي قيل فكيف تصبر على ذلك فقال بلغني أن الفساق يصبرون على سياط السلطان ليقال فلان صبور وأنا قائم بين يدي الله تعالى أفاتحرك لذبابة وقيل لآخر هل تحدث نفسك في الصلاة بشئ من الدنيا قال لا في الصلاة ولا في غيرها وقيل

فليقف في مقابلته ويقول ما سبق ثم لا يعرج على شئ دون طواف القدوم الا أن يجد الناس في المكتوبة فيصلي معهم ثم يطوف (الجملة الرابعة في الطواف) فاذا أراد أن يطوف أي طواف كان فعليه ستة أمور منها أن يراعي شروط الصلاة في الطواف فان الطواف صلاة الا أنه أبيح فيه الكلام وليضطبع في ابتداء الطواف وهو أن يجعل وسط ازاره تحت ابطه اليمنى ويجمع طرفيه على منكبه الايسر ويقطع التلبية عند ابتداء الطواف ويشتغل بالادعية التي سنوردها الثاني اذا فرغ من الاضطباع فليجعل البيت على يساره وليقف عند الحجر الاسود وليتنح عنه قليلا ليكون الحجر قدامه وليجعل بينه وبين البيت قدر ثلاث خطوات ليكون قريبا من البيت فانه أفضل ولكيلا يكون طائفا على الشاذروان فانه من البيت وعند الحجر الاسود وقد يتصل الشاذروان بالارض ويلتبس به والطائف عليه لا يصح طوافه لانه طائف في البيت ثم من هذا الموقف يبتدئ الطواف الثالث أن يقول قبل مجاوزة الحجر بل في ابتداء الطواف بسم الله وبالله والله أكبر اللهم ايمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك واتباعا لسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ويطوف فاول ما يجاوز الحجر الاسود وينتهي الى باب البيت يقول اللهم هذا البيت بيتك كما

لآخر هل تذكر فى الصلاة شيأ قال وهل شئ أحب الى من الصلاة فاذكره فى الصلاة قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام رحمه الله فى أماليه ينبغى للمصلى أن يشتغل بما هو فيه فاذا قرأ آية وعيد حزن وخاف من عذاب الآخرة أو آية وعد جار جهتر به عز وجل أو آية فيها تعظيم لله عز وجل عظمه وأعرض عن الخوف والرجاء ثم على هذا يكون فى سائر أركان الصلاة يقوم فى كل ركن بما هو فيه دون ما سواه وقد قال يحيى بن معاذ الرازى رحمه الله ان الشيطان ليشغلنى عن القراءة بذكر الجنة والنار

(الباب السادس فيما يكره فى الصلاة)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما يخشى أحدكم اذا رفع رأسه قبل الامام أن يجعل الله رأسه رأس حمار أو يجعل صورته صورة حمار رواه البخارى ومسلم وروى الطبرانى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ما يؤمن أحدكم اذا رفع رأسه قبل الامام أن يحول الله رأسه رأس كلب قال الغزالى رحمه الله قيل ان الناس يخرجون من الصلاة على ثلاثة أقسام طائفة بخمس وعشرين صلاة وهم الذين يكبرون ويركعون بعد ركوع الامام وطائفة بصلاة واحدة وهم الذين يساوقونه وطائفة بلا صلاة وهم الذين يسبقون الامام وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال الله عز وجل مقبلا على العبد ما كان فى صلاته ما لم يلتفت فاذا التفت أعرض عنه وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا قام الى الصلاة أحسبه قال انما هو بين يدى الرحمن تبارك وتعالى فاذا التفت يقول الله تبارك وتعالى الى من تلتفت الى خير منى أقبل يا ابن آدم الى فانا خير ممن تلتفت اليه رواه البزار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بال أقوام يرفعون أبصارهم الى السماء فى صلاتهم فاشتد قوله فى ذلك حتى قال لينتهن عن ذلك أو لتخطفن أبصارهم وقال أبو رافع رضى الله عنه نهى النبى صلى الله عليه وسلم أن يصلى الرجل ورأسه معقوص وعن أبى هريرة رضى الله عنه نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يغطى الرجل فاه فى الصلاة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صلاة بحضرة طعام ولا وهو يدافعه الاخبثان رواه مسلم قال النووى رحمه الله كراهة الصلاة بحضرة طعام يتوق اليه أو وهو يدافعه الاخبثان عند جمهور أصحابنا وغيرهم اذا صلى كذلك وفى الوقت سعة فان ضاق بحيث لو أكل أو تطهر خرج الوقت صلى على حاله وحكى المتولى وجها أنه لا يصلى بل يأكل ويتوضأ وان خرج الوقت واذا صلى على حاله وفى الوقت سعة كره وصلاته صحيحة ونقل القاضى عياض عن أهل الظاهر أنها باطلة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان أحدكم فى الصلاة فانه يناجى ربه عز وجل فلا يبزقن بين يديه ولا عن يمينه ولكن عن يساره أو تحت قدمه رواه البخارى ومسلم قال القاضى عياض رحمه الله النهى عن البصاق عن يمينه هو مع امكان غير اليمين فان تعذر بان يكون عن يساره رجل فله البصاق عن يمينه لكن الافضل تنزيه اليمين عن ذلك ما أمكن وعن بلال رضى الله عنه أنه أبصر رجلا لا يتم الركوع ولا السجود فقال لو مات هذا لمات على غير ملة محمد صلى الله عليه وسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله الى عبد لا يقيم صلبه بين ركوعه وسجوده وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوأ الناس سرقة الذى يسرق صلاته قيل وكيف يسرق صلاته قال لا يتم ركوعها ولا سجودها وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه نهى أن يصلى الرجل مختصرا رواه البخارى ومسلم وفى رواية لابن حبان الاختصار فى الصلاة راحة أهل النار وحكى فى شرح المهذب فى معنى الاختصار فى الصلاة أربعة أقوال أحدها أن يضع يده على خاصرته وهو الاصح وفى حكمة النهى عنه أقوال قيل انه فعل المتكبرين وقيل فعل الكفار وقيل فعل الشيطان وحكى فى شرح مسلم أن ابليس هبط من الجنة كذلك القول الثانى أن يتوكأ على عصا الثالث أن يختصر السورة فيقرأ آخرها الرابع أن يختصر صلاته فلا يتم حدودها وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يصلى فى سبع مواطن فى المزبلة والمجزرة والمقبرة وقارعة الطريق وفى الحمام وفى معاطن الابل وفوق ظهر بيت الله رواه الترمذى تكره الصلاة فى هذه المواضع وحكى ابن هبيرة عن أحمد فى الصلاة فيها ثلاث روايات قال أشهرها البطلان والثانية الصحة مع الكراهة الثالثة ان كان عالما

سبق الرابع أن يرمل فى ثلاثة أشواط ويمشى فى الاربعة الاخيرة على السكينة واستلام الحجر والركن اليمانى مستحب فى كل شوط الخامس اذا تم الطواف سبعا فليأت الملتزم وهو بين الحجر والباب وهو موضع استجابة الدعوة وليلتزق بالبيت ويتعلق باستار الكعبة وليضع عليه خده الايمن ويبسط ذراعيه وكفيه عليه ويقول اللهم يارب البيت العتيق اعتق رقبتى من النار وأعذنى من الشيطان الرجيم وأعذنى من كل سوء وقنعى بما رزقتنى وبارك لى فيما آتيتنى اللهم ان هذا البيت بيتك والعبد عبدك وهذا مقام العائذ بك من النار اللهم اجعلنى من اكرم وفدك عليك وليحمد الله كثيرا وليصل على محمد صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الرسل السادس اذا فرغ من ذلك ينبغى أن يصلى خلف المقام ركعتين يقرأ فى الاولى قل يا أيها الكافرون وفى الثانية سورة الاخلاص وهما ركعتا الطواف وقال الزهرى مضت السنة بان يصلى لكل سبع ركعتين (الجملة الخامسة) فى السعى فاذا فرغ من الطواف فليخرج من باب الصفا فاذا انتهى الى الصفا وهو جبل فيستحب ان يرقى فيه درجا فى حضيض الجبل بقدر قامة الرجل رقى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت له الكعبة وابتداء السعى من أصل الجبل كاف ولكن بعض تلك الدرج مستحدث فينبغى أن لا يخلفها وراء ظهره فلا يكون متمما للسعى وان ابتدأ من ههنا سعى بينه وبين المروة سبع مرات فاذا انتهى الى المروة صعدها واقبل بوجهه على الصفا مرة فقد حصل بالسعى

بالنهى أعادوا الافلا وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن الصفن والصفد فى الصلاة قال الغزالى رحمه الله والصفد هو اقران القدمين معا ومنه قوله تعالى مقرنين فى الاصفاد والصفن هو رفع احدى الرجلين ومنه قوله تعالى الصافنات الجياد وفى الخبر سبعة أشياء فى الصلاة من الشيطان الرعاف والنعاس والوسوسة والتثاؤب والحكاك والالتفات والعبث بالشئ قال الغزالى وزاد بعضهم والسهو والشك وقال بعض السلف أربعة فى الصلاة من الجفاء الالتفات ومسح الوجه وتسوية الحصى وان يصلى بطريق من يمر بين يديه وقال الغزالى رحمه الله حق على من حضر الصلاة اذا رأى من غيره اساءة فى الصلاة ان ينكر عليه فان صدر ذلك منه عن جهل رفق به وعلمه فمن ذلك الامر بتسوية الصفوف ومنع المنفرد والوقوف خارج الصف والانكار على من رفع رأسه قبل الامام الى غير ذلك من الامور قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويل للعالم من الجاهل حيث لا يعلمه وقال ابن مسعود رضى الله عنه من رأى من يسئ صلاته ولم ينهه فهو شريكه فى وزرها وقال بلال بن سعد الخطيئة اذا خفيت لم تضر الا صاحبها فاذا ظهرت فلم تغير أضرت بالعامة وكان بلال يسوى الصفوف ويضرب عراقيبهم بالدرة وعن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسوى صفوفنا كأنما يسوى بها القداح حتى رأى أنا قد عقلنا عنه ثم خرج يوما فقام حتى كاد أن يكبر فرأى رجلا باديا صدره من الصف فقال عباد الله لتسون صفوفكم أو ليخالفن الله بين وجوهكم

(الباب السابع فى أحكام المساجد وفيه خمسة فصول)

(الفصل الاول فى فضل المساجد) قال الله تعالى فى بيوت أذن الله أن ترفع قال الحسن تعظم يعنى لا يذكر فيها الخنا من القول ويذكر فيها اسمه قال ابن عباس يتلى فيها كتابه أى يصلى له فيها بالغدو بالغداة والآصال أراد بالغداة والعشى قال أهل التفسير أراد به الصلاة المفروضة فالتى تؤدى بالغداة صلاة الفجر والتى تؤدى بالآصال صلاة الظهر والعصر والعشاءين رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله عن حضور المساجد لاقامة الصلاة وأراد بقوله واقام الصلاة أداءها فى وقتها لان من أخر الصلاة عن وقتها لا يكون من مقيمى الصلاة وأعاد ذكر اقامة الصلاة مع أن المراد من ذكر الله الصلوات الخمس لانه أراد باقام الصلاة حفظ المواقيت روى سالم عن ابن عمر أنه كان فى السوق فأقيمت الصلاة فقام الناس وأغلقوا حوانيتهم فدخلوا المسجد فقال ابن عمر فيهم نزلت هذه الآية رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وقوله تعالى وايتاء الزكاة أى المفروضة وقال ابن عباس رضى الله عنهما اذا حضر وقت أداء الزكاة لم يحبسوها وقيل هى الاعمال الصالحة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار قيل تتقلب القلوب عما كانت عليه فى الدنيا من الشرك والكفر وتنفتح الابصار من الاغطية وقيل تتقلب القلوب فى الجوف فترفع الى الحنجرة ولا تنزل ولا تخرج وتقلب البصر شخوصه من هول الامر وشدته ليجزيهم الله أحسن ما عملوا يعنى انهم اشتغلوا بذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة ليجزيهم الله أحسن أى بأحسن ما عملوا يريد يجزيهم باحسانهم وما كان من مساوى أعمالهم لا يجزيهم بها ويزيدهم من فضله ما لم يستحقوه بأعمالهم والله يرزق من يشاء بغير حساب وفى صحيح مسلم عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من بنى لله مسجدا بنى الله له مثله فى الجنة قال النووى رحمه الله يحتمل قوله مثله أمرين أحدهما أن يكون معناه بنى الله له مثله فى مسمى البيت وأما صفته فى السعة وغيرها فمعلوم فضلها وانها مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر الثانى معناه أن فضله على بيوت الجنة كفضل المسجد على بيوت الدنيا والله أعلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من غدا الى المسجد أو راح أعد الله له نزله من الجنة كلما غدا أو راح وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر المشائين فى الظلم الى المساجد بالنور التام يوم القيامة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم الرجل يتعاهد المسجد فاشهدوا له بالايمان فان الله تعالى يقول انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وقال عثمان بن مظعون رضى الله عنه يا رسول الله ائذن لنا فى الاختصاء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منا من خصى ولا اختصى وان خصاء أمتى الصيام فقال ائذن لنا فى السياحة قال ان سياحة أمتى الجهاد فى سبيل الله فقال فى الترهب فقال ان ترهب أمتى الجلوس فى

السعى مرة فاذا عاد الى الصفا حصلت مرتان يفعل ذلك سبعا فاذا فعل ذلك فقد فرغ من طواف القدوم والسعى وهما سنتان والطهارة مستحبة للسعى بخلاف الطواف فهى واجبة فاذا سعى فينبغى له أن لا يعيد السعى بعد الوقوف ويكتفى بهذا ركنا فانه ليس من شرط السعى أن يتأخر عن الوقوف وانما ذلك شرط فى طواف الركن نعم من شرطه أن يقع بعد الطواف أى طواف كان (الجملة السادسة) فى الوقوف وما قبله ان كان الحاج اذا انتهى يوم عرفة الى عرفات فلا يتعرض لطواف القدوم ودخول مكة قبل الوقوف واذا وصل قبل ذلك بأيام وطاف طواف القدوم فيمكث محرما الى اليوم السابع من ذى الحجة فيخطب الامام بمكة خطبة بعد الظهر عند الكعبة ويأمر الناس بالاستعداد للخروج الى منى يوم التروية والمبيت بها وبالغد ومنها الى عرفات لاقامة فرض الوقوف بعد زوال الشمس اذ وقت الوقوف من الزوال الى طلوع الفجر الصادق من يوم النحر فينبغى أن يخرج الى منى ملبيا ويستحب له المشى من مكة فى المناسك الى انقضاء الحج ان قدر عليه والمشى من مسجد ابراهيم الى الموقف أفضل وآكد فاذا انتهى الى منى قال اللهم ان هذه منى فامنن على بما مننت به على أوليائك وأهل طاعتك وليمكث هذه الليلة بمنى وهو مبيت منزل لا يتعلق به نسك فاذا أصبح يوم عرفة صلى الصبح فاذا طلعت الشمس على ثبير سار الى عرفات ويقول اللهم اجعلها خير غدوة غدوتها وأقربها من رضوانك وأبعدها من سخطك اللهم

المساجد لانتظار الصلاة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم المساجد سوق من أسواق الآخرة من دخلها كان ضيف الله وجزاؤه المغفرة وتحيته الكرامة عليكم بالارتاع قالوا يارسول الله وما الارتاع قال الدعاء والرغبة الى الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل ان بيوتى فى أرضى المساجد وان زوارى فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر فى بيته ثم زارنى فى بيتى فحق على المزور أن يكرم زائره وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ألف المسجد ألفه الله عز وجل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الملائكة تصلى على أحدكم مادام فى مصلاه اللهم اغفرله اللهم ارحمه مالم يحدث أو يخرج من المسجد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تطهر فى بيته ثم مضى الى بيت من بيوت الله تعالى كانت خطوتاه احداهما تحط خطيئة والاخرى ترفع درجة وقيل فى قوله تعالى ونكتب ماقدموا وآثارهم أى خطاهم الى المسجد قال أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه شكت بنو سلمة بعد منازلهم من المسجد فأنزل الله ونكتب ماقدموا وآثارهم وفى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان أعظم الناس أجرا فى الصلاة أبعدهم اليها ممشى فأبعدهم والذى ينتظر الصلاة حتى يصليها مع الامام أعظم أجرا من الذى يصليها ثم ينام وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من توضأ فأحسن الوضوء ثم راح فوجد الناس قد صلوا أعطاه الله مثل أجر من صلاها وحضرها لاينقص ذلك من أجورهم شيأ

(الفصل الثانى فى آداب داخل المسجد) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل أحدكم المسجد فليصل على النبى صلى الله عليه وسلم ثم ليقل اللهم افتح لى أبواب رحمتك واذا خرج فليقل اللهم انى أسألك من فضلك رواه النسائى وغيره وقال أنس رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال بسم الله اللهم صل على محمد واذا خرج قال بسم الله اللهم صل على محمد قال الغزالى رحمه الله لايضع المصلى نعليه عن يمينه ولا عن يساره فيضيق الموضع ويقطع الصف بل يضعهما بين يديه ولا يتركهما وراء ظهره فيكون قلبه ملتفتا اليها وروى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اذا صلى أحدكم فليجعل نعليه بين يديه وقال أبو هريرة رضى الله عنه لغيره اجعلها بين رجليك ولا تؤذ بهما مسلما وفى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلى ركعتين قال النووى رحمه الله تحية المسجد سنة بالاجماع وحكى القاضى عياض رحمه الله عن داود وأصحابه وجوبها وهى مستحبة كل وقت وكرهها أبو حنيفة والاوزاعى والليث فى وقت النهى قال فى الاحياء فلو دخل المسجد ولم يكن على وضوء فليقل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر قال النووى ولا بأس به وقال يستحب أيضا اذا كان له شغل يشغله عن الصلاة وزاد ابن الرفعة ولا حول ولا قوة الا بالله فاذا جلس استحب له أن ينوى الاعتكاف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اعتكف فواق ناقة فكأنما أعتق نسمة وفواق الناقة مابين الحلبتين سمى فواقا لان اللبن ينزل من فوق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اعتكف عشرا فى رمضان كان كحجتين وعمرتين رواه البيهقى ويستحب له أن يشتغل بالذكر وتلاوة القرآن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قيل يارسول الله وما رياض الجنة قال المساجد قيل وما الرتع يارسول الله قال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده رواه مسلم ويكره الخروج من المسجد بعد الاذان لما روى أبو الشعثاء قال كنا قعودا عند أبى هريرة فى المسجد فأذن المؤذن فقام رجل من المسجد يمشى فأتبعه أبو هريرة بصره حتى خرج من المسجد فقال أبو هريرة أما هذا فقد عصى أبا القاسم

(الفصل الثالث فيما يكره فى المسجد) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أكل البصل والثوم والكراث فلا يقربن مسجدنا فان الملائكة تتأذى مما يتأذى به بنو آدم رواه مسلم وفى رواية الطبرانى الفجل أيضا قال ابن المنذر فى الاقناع يحرم عليه الحضور والحالة هذه وجزم النووى فى الروضة بان ذلك مكروه وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن تناشد الاشعار فى المسجد وعن

اليك غدوت واياك اعتمدت و وجهك أردت فاجعلنى ممن تباهى به اليوم من هو خير منى وأفضل يوم القيامة فاذا أتى عرفات فليضرب خباءه بنمرة قريبا من المسجد فثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبته ونمرة هى ببطن عرنة دون الموقف ودون عرفة وليغتسل للوقوف فاذا زالت الشمس خطب الامام خطبة وجيزة وقعد وأخذ المؤذن فى الاذان والامام فى الخطبة الثانية ووصل الاقامة بالاذان وفرغ الامام مع اتمام اقامة المؤذن ثم يجمع بين الظهر والعصر باذان واقامتين وقصر الصلاة وراح الى الموقف فليقف بعرفة ولا يقف فى وادى عرنة وأما مسجد ابراهيم فصدره فى الوادى وأخرياته من عرنة فمن وقف فى صدر المسجد لم يحصل له الوقوف بعرفة ويتميز مكان عرفة من المسجد بصخرات كبار والاولى أن يقف عند الصخرات بقرب الامام مستقبل القبلة وليكثر من أنواع التحميد والتسبيح والتهليل والثناء على الله تعالى والدعاء والتوبة ولا يصوم فى هذا اليوم ليقوى على المواظبة على الدعاء وينبغى أن لاينفصل عن طرف عرفة الا بعد الغروب ليجمع بين الليل والنهار فى عرفة وان أمكنه الوقوف ساعة من اليوم الثامن عند امكان الغلط فى الهلال فهو الحزم ومن فاته الوقوف حتى طلع الفجر يوم النحر فقد فاته الحج فعليه أن يتحلل من احرامه بأعمال العمرة ثم يريق دما لاجل الفوات ثم يقضى وليكن أهم أشغاله فى هذا اليوم

البيع

البيع والشراء فيه وأن يتحلق الناس يوم الجمعة قبل الصلاة فى المسجد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم من يبيع ويبتاع فى المسجد فقولوا لا أربح الله تجارتك واذا رأيتم من ينشد فيه ضالة فقولوا لاردها الله عليك حسنه الترمذى ففى كراهة البيع والشراء فى المسجد قولان أصحهما يكره بل قال صاحب العدة انه مما فيه من الصغائر وقال أحمد لايصح البيع قال الغزالى فى الاحياء لو اتخذ المسجد حانوتا على الدوام حرم ذلك ومنع منه ونقل مالك عن عطاء بن يسار أنه كان اذا رأى رجلا يبيع ويشترى فى المسجد يقول له عليك بسوق الدنيا فان هذا سوق الآخرة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم جنبوا مساجدكم صبيانكم ومن سل سيوفكم ومن اقامة حدودكم ورفع أصواتكم وخصوماتكم وأجمروها فى الجمع واجعلوا على أبوابها المطاهر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى فى آخر الزمان قوم يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقا حلقا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا فلا تجالسوهم فليس لله فيهم حاجة وفى الخبر ان الحديث فى المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش وقال سعيد بن المسيب من جلس فى المسجد فانما يجالس ربه فحقه أن لايقول الاخيرا وعن خلف بن أيوب أنه كان فى المسجد فأتاه غلامه فسأله عن شئ فقام وخرج من المسجد ثم أجابه فقيل له فى ذلك فقال ماتكلمت فى المسجد منذ كذا وكذا سنة بكلام الدنيا فكرهت أن أتكلم اليوم فيه وعن عثمان رضى الله عنه أنه رأى خياطا فى ناحية المسجد فأمر باخراجه فقيل يا أمير المؤمنين انه يكنس المسجد ويغلق الابواب فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول جنبوا صناعكم من مساجدكم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم البصاق فى المسجد خطيئة وكفارتها دفنها رواه البخارى ومسلم قال النووى والمراد بدفنها اذا كان المسجد ترابا أو رملا ونحوه فيواريها تحت ترابه قال الرويانى فى البحر وقيل المراد بدفنها اخراجها من المسجد أما اذا كان المسجد مبلطا أو مجصصا فدلكها عليه بمداسه أو بغيره كما يفعله كثير من الجاهلين فليس ذلك بدفن بل زيادة فى الخطيئة وتكثير للقذر فى المسجد وعلى من فعل ذلك أن يمسحه بعد ذلك بثوبه أو بيده أو غيره أو يغسله وروى أن رجلا أم قوما فبصق فى القبلة ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر فقال صلى الله عليه وسلم حين فرغ لايصل لكم فاراد بعد ذلك أن يصلى فمنعوه وأخبروه بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد فرأى نخامة فى قبلة المسجد فحكها ثم أقبل على الناس مغضبا فقال أيسر أحدكم أن يبصق فى وجهه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المسجد بيت كل تقى ومن ابتلع ريقه فى المسجد تعظيما له أعقبه الله من ذلك صحة فى جسمه وعافية فى بدنه وعن على رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ازدرد ريقه فى المسجد تعظيما لحق المسجد جعل الله ذلك صحة فى جسمه وكتب له حسنة ومحى عنه سيئة وقال لفاعله أى الذى يبصق فى المسجد انك آذيت الله ورسوله وعزله عن ولاية الامامة وغضب حين رأى ذلك والنبى صلى الله عليه وسلم لايغضب الا اذا انتهكت حرمات الله تعالى وصحح النووى فى التحقيق تحريم البصاق فى المسجد قال سواء فيه داخله وخارجه وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أمرت بتشييد المساجد قال ابن عباس لتزخرفنها كما زخرفت اليهود والنصارى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من أشراط الساعة أن يتباهى الناس فى المساجد وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه مر بمسجد مزخرف فقال لعن الله من زخرفه أو قال لعن الله من فعل هذا المساكين أحوج من الاساطين وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام يكره كراهة شديدة تعليق العمر فى المسجد اذا كانت بحيث يراها المصلى وتهوش عليه فان كانت بحيث لاتهوش فلا بأس وقال بعض العلماء ينبغى الاحتراز عن الصلاة فى المواضع المنقوشة فان النبى صلى الله عليه وسلم لما صلى فى الخميصة التى لها أعلام نزعها وقال أنها ألهتنى آنفا عن صلاتى وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يكون الغرباء فى الدنيا أربعة قرآن فى جوف ظالم ومسجد بين قوم لايصلون فيه ومصحف فى بيت لايقرأ فيه ورجل صالح بين قوم سوء

(الفصل الرابع فى الحث على تنظيف المساجد وتطييبها وتنويرها) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

الدعاء فانه ترجى الاجابة فى هذا الجمع وهذا اليوم وهذه البقعة وأولى الدعاء المأثور فى يوم عرفة أن يقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لايموت بيده الخير وهو على كل شئ قدير اللهم اجعل فى قلبى نورا وفى سمعى نورا وفى بصرى نورا اللهم اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى

(الجملة السابعة) فى بقية أعمال الحج بعد الوقوف من المبيت والرمى والنحر والحلق والطواف ثم يجمع بين المغرب والعشاء بمزدلفة فى وقت العشاء قاصرا لها باذان واقامتين وليس بينهما نافلة ولكن يجمع نافلة المغرب والعشاء والوتر بعد الفريضتين ويبدأ بنافلة المغرب ومن خرج منها فى النصف الاول من الليل ولم يبت فعليه دم واجب واحياء هذه الليلة الشريفة من محاسن القربات لمن يقدر عليه ثم مهما انتصف الليل يأخذ فى التأهب للرحيل ويتزود الحصى منها ففيها أحجار رخوة فليأخذ سبعين حصاة فانه قدر الحاجة ولا بأس بان يستظهر بزيادة وليكن الحصى صغيرا ثم ليغلس لصلاة الصبح وليأخذ فى السير حتى اذا انتهى الى المشعر الحرام وهو آخر المزدلفة فيقف ويدعو الى الاسفار (ويقول) اللهم بحق المشعر الحرام والبيت الحرام والشهر الحرام والركن والمقام بلغ روح سيدنا محمد منا التحية والسلام وأدخلنا دار السلام ياذا الجلال والاكرام ثم يدفع منها قبل طلوع الشمس حتى ينتهى الى موضع

عرضت على أجور أمتى حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد وعرضت على ذنوب أمتى فلم أر ذنبا أعظم من سورة من القرآن أو آية أوتيها رجل ثم نسيها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذوا المساجد فى المحال ونظفوها وطيبوها وقال الحسن رحمه الله مهور الحور العين كنس المساجد وعمارتها وقال أنس رضى الله عنه من أسرج سراجا فى مسجد لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له مادام فى ذلك المسجد ضوءه قال فى الروضة ومما يحتاج اليه اذا نذر زيتا أو شمعا أو نحوه ليسرج فى مسجد أو غيره ان كان بحيث قد ينتفع به ولو على ندور مصل هناك أو نائم أو غيرهما صح ولزم وان كان يغلق ولا يتمكن أحد من الدخول والانتفاع به لم يصح ولو وقف شيأ ليشترى من غلته زيت أو غيره ليسرج فى مسجد أو غيره فحكمه فى الصحة ماذكرناه فى النذر

(الفصل الخامس فى حضور النساء المساجد وفضل صلاتهن فى بيوتهن) عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا استأذنت أحدكم امرأته الى المسجد فلا يمنعها رواه البخارى ومسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتمنعوا نساءكم المساجد وبيوتهن خير لهن رواه الحاكم وأبو داود وقال الا صحيح على شرط الشيخين وفى رواية لابى داود وابن حبان لاتمنعوا اماء الله مساجد الله وليخرجن تفلات قال النووى رحمه الله فى شرح مسلم قوله صلى الله عليه وسلم لاتمنعوا اماء الله مساجد الله هذا وشبهه من أحاديث الباب ظاهرة فى أنها لاتمنع المسجد لكن بشروط ذكرها العلماء مأخوذة من الاحاديث وهو أن لاتكون متطيبة ولا متزينة ولا ذات خلاخل يسمع صوتها ولا ثياب فاخرة ولا مختلطة بالرجال ولا شابة ونحوها ممن يفتتن بها وأن لايكون بالطريق مايخاف به مفسدة ونحوها وهذا النهى عن منعهن من الخروج محمول على كراهة التنزيه اذا كانت المرأة ذات زوج أو سيد ووجدت الشروط المذكورة فان لم يكن لها زوج ولا سيد حرم المنع اذا وجدت الشروط وروى أحمد عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال خير مساجد النساء قعر بيوتهن وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال المرأة عورة وانها اذا خرجت من بيتها استشرفها الشيطان وانها لاتكون أقرب الى الله منها فى قعر بيتها رواه الطبرانى فى الاوسط ورجاله رجال الصحيح وعن أبى عمرو الشيبانى أنه رأى عبد الله يخرج النساء من المسجد يوم الجمعة ويقول أخرجن الى بيوتكن خير لكن رواه الطبرانى فى الكبير باسناد لابأس به وعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ماأحدثت النساء لمنعهن من المسجد كما منعت بنو اسرائيل نساءها قوله لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ماأحدثت النساء لمنعهن من المسجد تعنى من الزينة والطيب وحسن الثياب ونحوها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما امرأة أصابت بخورا فلا تشهد معنا العشاء الآخرة رواه مسلم وعن زينب الثقفية امرأة ابن مسعود رضى الله عنها قالت قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا شهدت احداكن المسجد فلا تمس طيبا رواه مسلم وروى عن عائشة رضى الله عنها قالت بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فى المسجد اذ دخلت امرأة من مزينة ترفل فى زينة لها فى المسجد فقال النبى صلى الله عليه وسلم ياأيها الناس انهوا نساءكم عن لبس الزينة والتبختر فى المسجد فان بنى اسرائيل لم يلعنوا حتى لبس نساؤهم الزينة وتبختروا فى المساجد رواه ابن ماجه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهى زانية وكل عين زانية رواه النسائى وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايقبل الله من امرأة صلاة خرجت الى المسجد وريحها تعصف حتى ترجع فتغتسل رواه ابن خزيمة ويستحب للمرأة اذا مشت الى المسجد أن تمشى بجانب الطريق حتى لاتختلط بالرجال لما روى أبو أسيد أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول وهو خارج من المسجد وقد اختلط الرجال مع النساء فى الطريق استأخرن فليس لكن أن تحققن الطريق عليكن بحافات الطريق وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمشى فى طريق وأمامه امرأة فقال لها تنحى من الطريق فقالت الطريق واسع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوها فانها جبارة وعن ابن عمر رضى

الله

يقال له وادى محسر فيستحب أن يحرك دابته به حتى يقطع عرض الوادى فان كان راجلا أسرع فى المشى ثم اذا أصبح يوم النحر خلط التلبية بالتكبير فينتهى الى منى سائرا ومواضع الجمرات وهى ثلاثة فيجاوز الاول والثانى فلا شغل له معهما يوم النحر حتى ينتهى الى جمرة العقبة وهى على يمين مستقبل القبلة فى الجادة والمرمى مرتفع قليلا فى سفح الجبل فيرمى جمرة العقبة بعد طلوع الشمس بقدر الرمح قبل الذبح فيستقبل القبلة وان استقبل الجمرة فلا باس و يرمى سبع حصيات رافعا يده ويكبر و يقول مع كل حصاة اللهم تصديقا بكتابك واتباعا لسنة نبيك فاذا رمى قطع التلبية والتكبير الا التكبير عقب فرائض الصلاة من ظهر يوم النحر الى عقب العصر آخر أيام التشريق ثم ليذبح الهدى ان كان معه والاولى أن يذبح بنفسه وليقل بسم الله والله أكبر اللهم منك و بك ولك تقبل منى كما تقبلت من خليلك ابراهيم عليه السلام والتضحية بالبدنة أفضل ثم بالبقرة ثم بالشاة والشاة أفضل من مشاركة سبعة فى البدنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الاضحية الكبش الاقرن والبيضاء أفضل من الصفراء والسوداء وليأكل منه ان كان هدى تطوع ولا يضحين بالجذعاء والعضباء والجرباء والشرقاء والخرقاء ثم ليحلق بعد ذلك والسنة أن يستقبل القبلة

الله عنهما قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يمشى الرجل بين المرأتين أخرجهما أبو داود

(الباب الثامن فى صلاة الجماعة وفيه ثلاثة فصول)

(الاول فى فضلها) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة رواه البخارى ومسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الرجل فى جماعة تضعف على صلاته فى بيته وفى سوقه خمسا وعشرين ضعفا وذلك أنه اذا توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج الى المسجد لايخرجه الا الصلاة لم يخط خطوة الا رفعت له بها درجة وحط عنه بها خطيئة فاذا صلى لم تزل الملائكة تصلى عليه مادام فى مصلاه مالم يحدث اللهم صل عليه اللهم ارحمه ولا يزال فى صلاة ما انتظر الصلاة لفظ البخارى فى الجمع بين هذين الحديثين أوجه أحدها أنه لامنافاة بينهما فذكر القليل لاينفى الكثير ومفهوم العدد باطل عند جمهور الاصوليين الثانى أن يكون أخبر أولا بالقليل ثم أعلمه الله بزيادة الفضل فأخبر بها الثالث انه يختلف باختلاف أحوال المصلين والصلاة فيكون لبعضهم خمس وعشرون ولبعضهم سبع وعشرون بحسب كمال الصلاة ومحافظته على هيآتها وخشوعها وكثرة جماعتها وفضلهم وشرف البقعة ونحو ذلك الرابع أن الاختلاف بحسب قرب المسجد وبعده الخامس أن الاولى للصلاة الجهرية والثانية للسرية لانها تنقص عن الجهرية بسماع قراءة الامام والتأمين لتأمينه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن ثلاثة فى قرية ولا بدو لاتقام فيهم الصلاة الا استحوذ عليهم الشيطان فعليكم بالجماعة فانما يأكل الذئب من الغنم القاصية رواه أبو داود والنسائى والحاكم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ثم آمر رجلا فيصلى بالناس ثم أنطلق معى برجال معهم حزم من حطب الى قوم لايشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار لفظ مسلم ذهب عطاء والاوزاعى وأحمد وأبو ثور وابن المنذر وابن خزيمة وداود الى أن الجماعة فرض عين واحتجوا بهذا الحديث وعن عمرو بن أم مكتوم أنه سأل النبى صلى الله عليه وسلم قال يارسول الله انى رجل ضرير البصر شاسع الدار ولى قائد لايلازمنى فهل لى رخصة أن أصلى فى بيتى قال هل تسمع النداء قال نعم قال لاأجد لك رخصة رواه أبو داود قال البيهقى وغيره معناه لاأجد لك رخصة تحصل لك فضيلة الجماعة من غير حضورها وقال صلى الله عليه وسلم ان صلاة الرجل مع الرجل أزكى من صلاته وحده وصلاته مع الرجلين أزكى من صلاته مع الرجل وما كثر فهو أحب الى الله عز وجل رواه أبو داود وغيره وقال صلى الله عليه وسلم من صلى أربعين يوما فى جماعة يدرك التكبيرة الاولى كتب له براءتان براءة من النار وبراءة من النفاق رواه الترمذى وانما تحصل هذه الفضيلة بأن يشتغل بالتحرم بالصلاة عقب تحريم امامه من غير وسوسة ظاهرة فلو خاف فوت وقت تكبيرة الاحرام قال أبو اسحق يستحب أن يسرع ليدركها والصحيح أنه لايسرع بل يمشى بسكينة ولو خاف فوت أصل الجماعة بأن يسلم الامام أسرع قطعا قاله الفورانى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى العشاء فى جماعة فكأنما قام نصف الليل ومن صلى الصبح فى جماعة فكأنما قام الليل كله رواه مسلم وذكروا للجماعة فوائد منها أمن المصلى من السهو عن بعض أركان الصلاة ومافى الجماعة من اظهار شعار الدين ومافيها من كثرة العمل وانتظار الصلاة اليها والاجتماع على جماعة المسلمين وتفقد أحوالهم وافشاء السلام بينهم وسؤال بعضهم عن بعض وتشبيه صلاتهم بالجمعة التى هى أكمل الصلوات وايقاع الصلاة فى أول الوقت غالبا وغيظ الكفار اذا شاهدوا اجتماع المسلمين ومن فوائدها ماقاله النيسابورى انه مااجتمع أربعون رجلا الا كان فيهم عبد صالح لله تعالى فببركته ترحم البقية ويستجاب لهم ومنها ان الانسان اذا دعا لنفسه وحده واستجيب له دخله العجب بخلاف ما اذا دعا والقوم يؤمنون فانه يجوز انه انما استجيب له بدعائهم ومنها ادراك فضيلة تكبيرة الاحرام مع الامام ومنها ماذكر بعضهم ان المياه المتفرقة اذا كانت دون قلتين تحتمل النجاسة واذا اجتمعت دفعت النجاسة وكذلك الجماعة تدفع عنها دنس الذنوب باجتماعها بخلاف المنفرد ومنها ان الشيطان لايقوى على الجماعة بخلاف المنفرد وانما يأخذ الذئب من الغنم القاصية ومنها ان آتى المسجد والجماعة يكتب له أجر ذهابه ورجوعه الى منزله كما قال صلى الله عليه وسلم لابى بن كعب حين قيل ألا تتخذ دابة

و يبتدئ بمقدم رأسه فيحلق الشق الايمن الى العظمين المشرفين على القفا ثم يحلق الباقى و يقول اللهم أثبت لى بكل شعرة حسنة وامح بها سيئة وارفع لى بها عندك درجة والمرأة تقص الشعر والاصلع يستحب له امرار الموسى على الرأس ومهما حلق بعد رمى الجمرة فقد حصل له التحلل الاول وحل له كل المحظورات الا النساء والصيد ثم يفيض الى مكة فيطوف كما ذكرناه وهذا الطواف ركن فى الحج و يسمى طواف الزيارة وأول وقته بعد نصف الليل من ليلة النحر وأفضل وقته يوم النحر ولا آخر لوقته بل له التأخير ولكن يبقى مقيدا بالاحرام فلا تحل له النساء الا بعد هذا الطواف فاذا طاف تم التحلل وارتفع الاحرام بالكلية ولم يبق الا رمى أيام التشريق والمبيت بمنى وهى واجبات بعد زوال الاحرام على سبيل الاتباع للحج وأسباب التحلل ثلاثة الرمى والحلق والطواف الذى هو ركن وفى الحج أربع خطب خطبة يوم السابع وخطبة يوم عرفة وخطبة يوم النحر وخطبة يوم النفر الاول وكلها عقب الزوال وكلها أفراد الا خطبة يوم عرفة فانها خطبتان بينهما جلسة ثم اذا فرغ من الطواف عاد الى منى للمبيت والرمى فيبيت تلك الليلة بمنى وتسمى ليلة القر لان الناس فى غد يقرون فى منى ولا ينفرون فاذا أصبح اليوم الثانى من العيد و زالت الشمس اغتسل

تمحلات في الظلماء وتقيك حر الرمضاء فقال اني أحب أن يكتب لي أجر ممشاي الى المسجد وأجر رجوعي قال ان الله قد أعطاك ذلك كله قال القفال الشاشي في محاسن الشريعة الحكمة في طلب صلاة الجماعة أن الاجتماع في الصلاة مشتمل على مطلوبات كافشاء السلام بين الحاضرين والتودد لهم ومعرفة أحوالهم فيقومون بعيادة المرضى ومنها زيادة العمل عند مشاهدة أرباب الجد فطلب الشارع اجتماع أهل الخطط والمحال في مساجدهم في كل يوم وليلة خمس مرات واجتماع أهل البلد في الجمعة مرة واحدة في المسجد الجامع وأهل الرساتيق والبوادي مع أهل البلد في السنة مرتين وذلك في العيدين واجتماع أهل الامصار والاقاليم في السنة مرة واحدة في موقف عرفة

(الفصل الثاني في فضل الامامة وذكر ما على الامام من الوظائف) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة على كثبان المسك أراه قال يوم القيامة عبد أدى حق الله وحق مواليه ورجل أم قوما وهم به راضون ورجل ينادي بالصلاة في كل يوم وليلة رواه الترمذي وقد استدلت الصحابة رضي الله عنهم على تقديم أبي بكر رضي الله عنه بالخلافة بتقديم رسول الله صلى الله عليه وسلم اياه للامامة اذ قالوا نظرنا فاذا الصلاة عماد الدين فاخترنا لدنيانا من رضيه لديننا صلى الله عليه وسلم قال صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا تجاوز صلاتهم تراقيهم العبد الآبق وامرأة زوجها ساخط عليها وامام قوم له كارهون قال في التنبيه ويكره بان يؤم الرجل قوما وأكثرهم له كارهون قال النووي رحمه الله في زوائد الروضة فان كرهه الاقل أو النصف لم تكره امامته قال ابن الرفعة في تعليق ما يدل على الكراهة مطلقا قال النووي والمراد أن يكرهوه لمعنى مذموم في الشرع أي مثل أئمة الظلمة ومن تغلب على الامامة وهو غير مستحق لها كما قال صاحب التهذيب فان لم يكن كذلك فالعيب عليهم ولا كراهة قال الغزالي رحمه الله فان اختلف القوم كان النظر الى الاكثرين فان كان الاقلون هم أهل الخير والدين فالنظر اليهم أولى قال وكما ينهى عن تقدمه لكراهيتهم فكذلك ينهى عنه ان كان وراءه من هو أفقه وأقرأ منه الا اذا امتنع من هو أولى به فله التقدم وقال صلى الله عليه وسلم ان سركم أن تقبل صلاتكم فليؤمكم خياركم فانهم وفدكم فيما بينكم وبين الله وقال صلى الله عليه وسلم من أم قوما فليتق الله وليعلم أنه ضامن مسؤل لما ضمن فان أحسن كان له من الاجر مثل أجر من صلى خلفه من غير أن ينقص من أجرهم شيأ وما كان من نقص فهو عليه رواه الطبراني وقال صلى الله عليه وسلم يصلون لكم فان أصابوا فلكم وان أخطؤا فلكم وعليهم رواه البخاري وقال الحسن رحمه الله لا تصلوا خلف رجل لا يختلف الى العلماء وقال النخعي رحمه الله مثل الذي يؤم الناس بغير علم كمثل الذي يكيل الماء في البحر لا يعرف زيادته من نقصانه وقال ابن هبيرة في الافصاح أشهر الروايه عن أحمد أنه لا تصح امامة الفاسق قال صلى الله عليه وسلم اذا أم أحدكم الناس فليخفف فان فيهم الضعيف والمريض والكبير والصغير وذا الحاجة واذا صلى أحدكم لنفسه فليطول ما شاء قال صلى الله عليه وسلم لا يؤم عبد قوما فيخص نفسه بالدعاء دونهم فان فعل فقد خانهم حسنه الترمذي وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لأدخل في الصلاة أريد اطالتها فأسمع بكاء الصبي فأخفف من شدة وجد أمه به قال الخطابي هذا الحديث يدل على أن الامام اذا أحس برجل يريد الصلاة معه وهو راكع جاز له أن ينتظره وهو راكع ليدرك الركعة لانه اذا جاز له أن يحذف من طول صلاته لحاجة انسان في بعض أمور الدنيا جاز له أن يزيد فيها لعبادة الله سبحانه

(الفصل الثالث فيما على المأمومين من الوظائف) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون وأتوها تمشون وعليكم السكينة والوقار فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فاتموا رواه البخاري ومسلم قال ابن الملقن رحمه الله في شرح المنهاج لو خاف فوت تكبيرة الاحرام قال أبو اسحق يستحب أن يسرع ليدركها والصحيح انه لا يسرع بل يمشي بسكينة ووقار كما لو لم يخف فوتها ولو خاف فوت أصل الجماعة بأن يسلم الامام أسرع قطعا قاله الفوراني وفي الصحيحين عن ابن عباس قال كنت عند خالتي ميمونة نائما فقام رسول الله

للرمي وقصد الجمرة الاولى التي تلي عرفة وهي على يمين الجادة ويرمي اليها سبع حصيات فاذا أنفذها انحرف قليلا عن يمين الجادة ووقف مستقبل القبلة وحمد الله تعالى وهلله وكبره ودعا مع الخشوع قدر قراءة سورة البقرة ثم يتقدم الى الجمرة الوسطى ويرمي كما رمى الاول ويقف كما وقف للاول ثم يتقدم الى جمرة العقبة ويرمي سبعا ولا يعرج على شغل ثم يرجع الى منزله ويبيت تلك الليلة بمنى وتسمى ليلة النفر الاول ويصبح فاذا صلى الظهر في اليوم الثاني من التشريق رمى احدى وعشرين حصاة كاليوم الذي قبله ثم هو مخير بين المقام بمنى وبين العود الى مكة فان خرج من منى قبل غروب الشمس فلا شيء عليه وان صبر الى الليل فلا يجوز له الخروج بل لزمه المبيت حتى يرمي في يوم النفر الثاني احدى وعشرين حصاة كما سبق وفي ترك المبيت والرمي اراقة دم ويتصدق باللحم وله أن يزور البيت في ليالي منى بشرط أن لا يبيت الا بمنى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك (الجملة الثامنة) في صفة العمرة وما بعدها الى طواف الوداع وهو أن يغتسل ويلبس ثياب الاحرام ويحرم بالعمرة وينوي ويلبي ويقصد مسجد عائشة ويصلي ركعتين ثم يعود الى مكة ملبيا حتى يدخل المسجد الحرام فاذا دخل المسجد ترك التلبية وطاف سبعا

صلى الله عليه وسلم يصلي من الليل فقمت عن يساره فاخذ برأسي وأقامني عن يمينه فيه فوائد الاولى أنه يدل على جواز الجماعة في النافلة الثانية المأموم الواحد يقوم عن يمين الامام الثالثة أن العمل القليل لا يبطل الصلاة الرابعة أنه يدل على أن المأموم لا يتقدم على الامام لان النبي صلى الله عليه وسلم أدار ابن عباس من ورائه وهو أشق من ادارته عن يمينه ومع ذلك عدل اليه فدل ذلك على أنه لا يجوز الخامسة أنه دل على أنه يجوز الاقتداء بمن لم ينو الامامة لان النبي صلى الله عليه وسلم شرع في الصلاة منفردا وذكره البغوي وعن أبي بكرة رضي الله عنه انه انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راكع فركع قبل أن يصل الى الصف فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال زادك الله حرصا ولا تعد رواه البخاري قيل معناه لا تعد الى الاحرام خارج الصف وقيل الى التأخر عن الصلاة الى هذا الوقت وقيل الى اتيان الصلاة مسرعا وقال صلى الله عليه وسلم ليلني منكم أولوا الاحلام والنهى ثم الذين يلونهم ثلاثا واياكم وهيشات الاسواق رواه مسلم الاحلام جمع حلم بكسر الحاء وهو الرفق في الامر والتأني فيه والنهى جمع نهية بضم النون وهي العقل لانه ينهى عن القبيح وهيشات الاسواق جمع هيشة وهي الفتنة والاضطراب يعني احذروا من أن تقفوا مختلطين بحيث لا يتميز العالم من الجاهل والرجال من الصبيان ولا الذكور من الاناث وانما أمر صلى الله عليه وسلم أن يليه أولو الاحلام ليعقلوا عنه صلاته ولانه اذا احتاج الى الاستخلاف كانوا قريبا منه ليستخلفهم في صلاته وان أصابه سهو في صلاته فينبهوه قال الدارمي في استذكاره انما يقدم الرجال على الصبيان اذا كان الرجال أفضل أو تساويا فان كان الصبيان أفضل قدموا وقال صلى الله عليه وسلم لو يعلم الناس ما في النداء والصف الاول ثم لم يجدوا الا أن يستهموا عليه لاستهموا رواه البخاري ومسلم وقال صلى الله عليه وسلم خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها رواه مسلم قال النووي رحمه الله أما صفوف الرجال فخيرها أولها أبدا وشرها آخرها أبدا وأما صفوف النساء فالمراد صفوف النساء اللواتي يصلين مع الرجال وأما اذا صلين متميزات لا مع الرجال فهن كالرجال والمراد بشر الصفوف في الرجال والنساء أقلها ثوابا وأبعدها من مطلوب الشرع وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتسون صفوفكم أو ليخالفن الله بين وجوهكم رواه البخاري ومسلم قال النووي رحمه الله قيل معناه يمسخها ويحولها عن صدورها كقوله يجعل الله صورته صورة حمار وقيل يغير صفتها قال والاظهر والله أعلم أن معناه يوقع بينكم العداوة والبغضاء واختلاف القلوب كما يقال تغير وجه فلان علي أي ظهر من وجهه كراهة لي وتغير قلبه علي لان مخالفتهم في الصفوف مخالفة في ظواهرهم واختلاف الظواهر سبب لاختلاف البواطن وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتموا الصف المقدم ثم الذي يليه فما كان من نقص فليكن في الصف المؤخر رواه أبو داود وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله وملائكته يصلون على ميامن الصفوف رواه أبو داود أيضا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من وصل صفا وصله الله ومن قطع صفا قطعه الله رواه النسائي وابن خزيمة في صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم وقال صلى الله عليه وسلم خياركم ألينكم مناكب في الصلاة وما من خطوة أعظم أجرا من خطوة مشاها رجل الى فرجة في الصف فسدها رواه الطبراني وقال صلى الله عليه وسلم من سد فرجة في الصف غفر له رواه البزار باسناد حسن وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما جعل الامام ليؤتم به فاذا كبر فكبروا واذا ركع فاركعوا واذا قال سمع الله لمن حمده فقولوا اللهم ربنا لك الحمد واذا صلى قائما فصلوا قياما واذا صلى جالسا فصلوا جلوسا أجمعون رواه البخاري ومسلم قال النووي معنى قوله انما جعل الامام ليؤتم به عند الشافعي في الافعال الظاهرة والا فيجوز أن يصلي الظهر خلف العصر وعكسه والفرض خلف النفل وعكسه وقال مالك وأبو حنيفة لا يجوز ذلك قالوا معنى الحديث ليؤتم به في الافعال والنيات وقالت طائفة بظاهر هذا الحديث وممن قال به أحمد والاوزاعي وقال مالك في رواية لا تجوز صلاة القادر على القيام خلف القاعد لا قائما ولا قاعدا وقال أبو حنيفة والشافعي وجمهور السلف لا يجوز للقادر على القيام أن يصلي خلف القاعد الا قائما واحتجوا بأن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في مرض وفاته بعد هذا قاعدا وأبو بكر والناس خلفه قياما وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما يخشى

وسعى سبعا فاذا فرغ حلق رأسه وقد تمت عمرته (الجملة التاسعة) في طواف الوداع وهو أن ينجز أشغاله ويشد رحاله ويشتغل بالوداع فيطوف سبعا من غير رمل واضطباع فاذا فرغ صلى ركعتين خلف المقام ويشرب من ماء زمزم ثم يأتي الملتزم ويدعو ويتضرع ويلتمس الرضا والمغفرة (الجملة العاشرة) في زيارة المدينة وآدابها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زارني بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي وقال عليه الصلاة والسلام من وجد سعة ولم يزرني فقد جفاني وقال صلى الله عليه وسلم من جاءني زائرا لا يهمه الا زيارتي كان حقا على الله أن أكون له شفيعا فمن قصد زيارة المدينة فليصل على رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا في طريقه فاذا وقع بصره على حيطان المدينة وأشجارها قال اللهم هذا حرم رسولك فاجعل لي وقاية من النار وأمانا من العذاب وسوء الحساب وليغتسل قبل الدخول من بئر الحرة وليتطيب وليلبس أنظف ثيابه فاذا دخلها فليدخل البهامتواضعا معظما لها وليقل بسم الله وعلى ملة رسول الله رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا ثم يقصد المسجد فيدخله ويصلي بجنب المنبر ركعتين ويجعل عمود المنبر حذاء منكبه الايمن ويستقبل السارية التي الى جانبها الصندوق وتكون الدائرة التي في قبلة المسجد

أحدكم اذا رفع رأسه قبل الامام أن يجعل الله رأسه رأس حمار أو يجعل صورته صورة حمار رواه البخارى ومسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قال الامام غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقولوا آمين فانه من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه رواه البخارى قال النووى رحمه الله معناه وافقهم فى وقت التأمين فأمن مع تأمينهم قال فهذا هو الصحيح والصواب وحكى القاضى عياض قولا أن معناه وافقهم فى الصفة والخشوع والاخلاص واختلفوا فى هؤلاء الملائكة فقيل هم الحفظة وقيل غيرهم لقوله صلى الله عليه وسلم فوافق قوله قول أهل السماء وأجاب الاولون عنه بانه اذا قالها الحاضرون من الحفظة قالها من فوقهم حتى ينتهى الى السماء

(الباب التاسع فى صلاة الجمعة وفيه أربعة فصول)

(الفصل الاول) فى تفسير قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة الى آخر السورة قوله تعالى اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة أى فى يوم الجمعة كقوله أرونى ماذا خلقوا من الارض وأراد بهذا النداء الاذان عند قعود الامام على المنبر للخطبة لما روى البخارى عن السائب بن يزيد رضى الله عنه قال كان النداء يوم الجمعة أوله اذا جلس الامام على المنبر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وابى بكر وعمر فلما كان عثمان وكثر الناس زاد النداء الثالث على الزوراء ولم يكن للنبى صلى الله عليه وسلم مؤذن غير واحد واختلفوا فى سبب تسمية يوم الجمعة بذلك فقيل لان الله جمع فيه خلق آدم وقيل لان الله تعالى فرغ فيه من خلق الاشياء فاجتمعت فيه المخلوقات وقيل لاجتماع الناس فيه للصلاة قال ابن سيرين جمع أهل المدينة قبل قدومه عليه الصلاة والسلام الى المدينة وقبل أن تنزل الجمعة وقالوا لليهود يوم يجتمعون فيه فى كل أسبوع وللنصارى يوم فلنجعل لنا يوما نجتمع فيه نذكر الله تعالى ونصلى له فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا الى أسعد بن زرارة فصلى بهم ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة ثم أنزل الله عز وجل فى ذلك بعد قوله فاسعوا أى فامضوا واعملوا له قال الحسن رحمه الله أما والله ما هو بالسعى على الاقدام ولقد نهوا أن يأتوا الصلاة الا وعليهم السكينة والوقار ولكن بالقلوب والنية الى ذكر الله أى الى الصلاة وقيل الى موعظة الامام وذروا البيع يعنى البيع والشراء لان اسم البيع يتناولهما ذلكم الذى ذكرت من حضور الجمعة خير لكم من المبايعة ان كنتم تعلمون مصالح أنفسكم قوله تعالى فاذا قضيت الصلاة أى فرغ منها فانتشروا فى الارض للتجارة والتصرف فى حوائجكم وابتغوا من فضل الله يعنى الرزق وهذا أمر اباحة قال ابن عباس ان شئت فاقعد وان شئت فاخرج وان شئت فصل الى العصر وقال أنس رضى الله عنه أما انه ليس لطلب دنيا ولكن لعيادة مريض وشهود جنازة وتعلم علم وزيارة أخ فى الله قال الغزالى رحمه الله وقد سمى الله تعالى العلم فضلا قال سبحانه وتعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وقال تعالى ولقد آتينا داود منا فضلا يعنى العلم فتعلم العلم وتعليمه فى هذا اليوم من أفضل القربات قوله تعالى واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما قالوا أصاب أهل المدينة جوع وغلاء سعر فقدم دحية بن خليفة بتجارة زيت من الشام والنبى صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فلما رأوه قاموا اليه بالبقيع خشوا أن يسبقوا اليه فلم يبق مع النبى صلى الله عليه وسلم الا رهط منهم أبو بكر وعمر فنزلت هذه الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفس محمد بيده لو تتابعتم حتى لم يبق منكم أحد لسال بكم الوادى نارا قيل وكانت العير اذا قدمت المدينة استقبلوها بالطبل والتصفيق وهو المراد باللهو فى الآية وقوله انفضوا اليها رد الكناية الى التجارة لانها أهم قل ما عند الله من الثواب على الصلاة خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين لانه موجد الارزاق فاياه فاسألوا ومنه فاطلبوا وكان عراك بن مالك اذا صلى الجمعة انصرف فوقف بباب المسجد فقال اللهم أجبت دعوتك وصليت فريضتك وانتشرت لما أمرتنى فارزقنى من فضلك وأنت خير الرازقين

(الفصل الثانى فى فضل يوم الجمعة) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها ولا تقوم الساعة الا فى يوم الجمعة رواه مسلم وعن أبى

هريرة

بين عينيه فذلك موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يأتى قبر النبى صلى الله عليه وسلم فيقف عنده وجهه وذلك بأن يستدبر القبلة ويستقبل جدار القبر على نحو من أربع أذرع من السارية ويجعل القنديل على رأسه وليس من السنة والاحترام أن يمس الجدار ولا أن يقبله ثم يقول السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا نبى الله السلام عليك يا أمين الله السلام عليك يا حبيب الله السلام عليك يا صفوة الله السلام عليك يا خيرة الله السلام عليك يا أحمد السلام عليك يا محمد السلام عليك يا شفيع السلام عليك يا عاقب السلام عليك يا بشير السلام عليك يا نذير السلام عليك يا طه السلام عليك يا أكرم ولد آدم السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا رسول رب العالمين السلام عليك يا سيد المرسلين السلام عليك يا خاتم النبيين السلام عليك يا قائد الخير السلام عليك يا فاتح البر السلام عليك يا نبى الرحمة السلام عليك يا سيد الامة السلام عليك يا قائد الغر المحجلين السلام عليك وعلى أهل بيتك الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا السلام عليك وعلى أصحابك الطيبين وأزواجك الطاهرات أمهات المؤمنين جزاك الله عنا أفضل ما جزى نبيا عن قومه ورسولا عن أمته صلى الله عليك كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكرك

هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوم الجمعة فقال فيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلى يسأل الله شيأ الا أعطاه اياه وأشار بيده يقللها رواه البخارى ومسلم وفى مسلم عن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هى ما بين أن يجلس الامام الى أن تقضى الصلاة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات يوم الجمعة كتب الله أجر شهيد ووقى فتنة القبر وفى الخبر ان لله تعالى فى كل جمعة ستمائة ألف عتيق من النار

(الفصل الثالث فى التغليظ على تارك صلاة الجمعة) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين رواه مسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك ثلاث جمع تهاونا بها طبع الله على قلبه حسنه الترمذى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك الجمعة من غير عذر فليتصدق بدينار فان لم يجد فنصف دينار وسئل ابن عباس عن رجل يصوم النهار ويقوم الليل ولا يشهد الجمعة ولا الجماعة فقال هذا فى النار رواه الترمذى وروى البيهقى فى كتاب فضائل الاوقات عن الاوزاعى قال كان عندنا رجل يسافر يوم الجمعة يصطاد ولا ينتظر الجمعة فخرج يوما فخسف ببغلته فلم يبق منها الا أذنها ويروى عن مجاهد أن قوما سافروا يوم الجمعة حين زوال الشمس فاضطرم عليهم خباؤهم من غير أن يروا نارا

(الفصل الرابع فى آداب يوم الجمعة وصلاتها) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل رواه البخارى ومسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من طهر ويدهن من دهنه أو يمس من طيب بيته ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين ثم يصلى ما كتب له ثم ينصت اذا تكلم الامام الا غفر له ما بينه وبين الجمعة الاخرى رواه البخارى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فى الساعة الاولى فكأنما قرب بدنة ومن راح فى الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح فى الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن ومن راح فى الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ومن راح فى الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة فاذا خرج الامام حضرت الملائكة يستمعون الذكر رواه البخارى ومسلم قال النووى قوله غسل الجنابة أى غسلا كغسل الجنابة قال ابن القيم فى الهدى لما كان يوم الجمعة فى الاسبوع كالعيد فى العام وكان العيد يشتمل على صلاة وقربان وكان يوم الجمعة يوم صلاة جعل الله سبحانه وتعالى التعجيل فيه الى المسجد بدلا عن القربان وقائما مقامه فيجتمع للرائح فيه الى المسجد الصلاة والقربان قال الغزالى رحمه الله فى الاحياء الساعة الاولى الى طلوع الشمس والثانية الى ارتفاعها والثالثة الى انبساطها حتى ترمض الاقدام والرابعة والخامسة بعد الضحى الاعلى الى الزوال وفضلها قليل ووقت الزوال حق الصلاة ولا فضل فيه قال الغزالى وفى الخبر اذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على أبواب المساجد بايديهم صحف من فضة وأقلام من ذهب يكتبون الاول فالاول على مراتبهم وفى الاثر أن الملائكة يفتقدون العبد اذا تأخر عن وقته يوم الجمعة فيسأل بعضهم بعضا عنه ما فعل فلان وما الذى أخره عن وقته فيقولون اللهم ان كان أخره فقر فاغنه وان مرض فاشفه أو شغل ففرغه لعبادتك أو أخره لهو فأقبل بقلبه الى طاعتك قال الغزالى وكان فى القرن الاول ترى الطرقات سحرا وبعد الفجر مملوءة من الناس يمشون فى السرج ويزدحمون فيها الى الجامع كأيام العيد حتى اندرس ذلك وأول بدعة أحدثت فى الاسلام ترك البكور الى الجامع يوم الجمعة وكيف لا يستحى المسلمون من اليهود والنصارى وهم يبكرون الى البيع والكنائس يوم السبت ويوم الاحد وطلاب الدنيا يبكرون الى رحاب الجامع للبيع والشراء والربح فلم لا يسابقهم طلاب ربح الآخرة فقد قيل ان الناس يوم القيامة يكونون فى قربهم عند النظر الى وجه الله تعالى على قدر بكورهم الى الجمعة دخل ابن مسعود رضى الله عنه بكرة الى الجامع فرأى ثلاثة نفر قد سبقوه بالبكور فاغتم لذلك وجعل يعاتب نفسه ويقول لها رابع أربعة وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقلم أظفاره ويقص شاربه يوم الجمعة قبل أن يخرج الى الصلاة وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اغتسل يوم الجمعة

الغافلون وصلى الله عليك فى الاولين والآخرين أفضل وأكمل وأعلى وأجل وأطيب وأطهر ما صلى على أحد من خلقه كما استنقذنا بك من الضلالة وبصرنا بك من العماية وهدانا بك من الجهالة أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وانك عبده ورسوله وصفيه وأمينه وخيرته من خلقه وأشهد انك قد بلغت الرسالة وأديت الامانة ونصحت الامة وجاهدت عدوك وهديت أمتك وعبدت ربك حتى أتاك اليقين فصلى الله عليك وعلى أهل بيتك الطيبين الطاهرين وكرم وشرف وان كان قد أوصى بتبليغ سلام فيقول السلام عليك من فلان ثم يتأخر قدر ذراع ويسلم على الصديق رضى الله عنه لان رأسه عند منكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأس عمر رضى الله عنه عند منكب أبى بكر رضى الله عنهما ثم يتأخر قدر ذراع ويسلم على الفاروق * ويقول السلام عليكما يا وزيرى رسول الله صلى الله عليه وسلم المعاونين له على القيام بالدين ما دام حيا القائمين فى أمته بعده بامور الدين تتبعان فى ذلك آثاره وتعملان بسنته فجزاكما الله خير ما جزى وزيرى نبى على دينه خيرا ثم يرجع فيقف عند رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم بين القبر والاسطوانة ويستقبل القبلة وليحمد الله وليمجده وليكثر من الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يقول اللهم انك قلت ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم

وابس من أحسن ثيابه ومس من طيب ان كان عنده ثم أتى الجمعة فلم يتخط أعناق الناس ثم صلى ما كتب الله له ثم أنصت اذا خرج امامه حتى يفرغ من صلاته كانت كفارة لما بينها وبين جمعته التى قبلها ويقول أبو هريرة وزيادة ثلاثة أيام ان الحسنة بعشر أمثالها رواه أبو داود وعن عبد الله بن بسر بالسين المهملة رضى الله عنه قال جاء رجل يتخطى رقاب الناس فقال له النبى صلى الله عليه وسلم اجلس فقد آذيت وآنيت أى تأخرت وابطأت قال الغزالى رحمه الله وورد أن من يتخطى الرقاب يجعل جسرا يوم القيامة يتخطاه الناس قال ومهما كان الصف الاول متروكا خاليا فيه مواضع فله أن يتخطى رقاب الناس لانهم ضيعوا حقهم وتركوا موضع الفضيلة قال الحسن رحمه الله تخطوا رقاب الناس الذين يقعدون على باب الجامع يوم الجمعة فانهم لا حرمة لهم وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى أن يقام الرجل من مجلسه ويجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا رواه البخارى ومسلم ولمسلم كان ابن عمر اذا قام له رجل عن مجلسه لم يجلس فيه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام أحدكم من مجلسه ثم رجع اليه فهو أحق به رواه مسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نعس أحدكم فى مجلسه يوم الجمعة فليتحول الى غيره صححه الترمذى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الملائكة تصلى على أحدكم ما دام فى مجلسه تقول اللهم اغفر له اللهم ارحمه ما لم يحدث وأحدكم فى صلاة ما دامت الصلاة تحبسه رواه البخارى ومسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكهف فى يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين رواه الحاكم فى المستدرك قال ابن الملقن رحمه الله والمعنى فى قراءتها يوم الجمعة أن فى سورة الكهف ذكر أهوال يوم القيامة والجمعة مشبهة بالقيامة لما فيها من اجتماع الخلق وقيام الخطيب ولان القيامة تقوم يوم الجمعة قال صاحب الذخائر قيل المستحب أن يقرأها قبل طلوع الشمس وقبل العصر وظاهر الحديث لا يقتضى التخصيص بوقت اه وفى الشامل الصغير أن الاولى قراءتها عند الرواح الى الجامع قال ابن الملقن وهو غريب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤا سورة هود يوم الجمعة رواه الدارمى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان ليلة الجمعة غفر الله له رواه الترمذى وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال من قرأ حم الدخان فى ليلة الجمعة ويوم الجمعة بنى الله له بها بيتا فى الجنة وفى تفسير الثعلبى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من قرأ السورة التى يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تجب الشمس وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من قرأ سورة يس فى ليلة الجمعة غفر له وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من أفضل أيامكم يوم الجمعة فأكثروا على من الصلاة فيه فان صلاتكم معروضة على فقالوا يا رسول الله كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت أى يقول بليت قال ان الله حرم على الارض أجساد الانبياء رواه أبو داود والنسائى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثروا الصلاة على ليلة الجمعة ويوم الجمعة فمن صلى على صلاة صلى الله عليه عشرا رواه البيهقى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال صبيحة الجمعة قبل صلاة الغداة أستغفر الله العظيم الذى لا اله الا هو الحى القيوم وأتوب اليه ثلاث مرات غفر الله له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وروى المنذرى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من قرأ اذا سلم الامام يوم الجمعة قبل أن يثنى رجله فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد والمعوذتين سبعا سبعا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وأعطى من الاجر بعدد من آمن بالله ورسوله قال الغزالى يستحب أن يقول بعد صلاة الجمعة اللهم يا غنى يا حميد يا مبدئ يا معيد يا رحيم يا ودود أغننى بحلالك عن حرامك وبطاعتك عن معصيتك وبفضلك عمن سواك يقال من داوم على هذا الدعاء أغناه الله عن خلقه ورزقه من حيث لا يحتسب وذكر البيهقى فى فضائل الاوقات عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان لكم فى كل جمعة حجة وعمرة فالحجة التهجير للجمعة والعمرة انتظار العصر بعد الجمعة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس من عملهن فى يوم كتبه الله من أهل الجنة من عاد مريضا وشهد جنازة وصام يوما وراح الى الجمعة وأعتق رقبة رواه ابن حبان فى صحيحه *(حكاية)* ذكر أن رجلا أكارا من بعض القرى وكان يحضر الجماعات بالمدينة فيصلى وينصرف لا يحضرها الا للصلاة فاتفق له يوم الجمعة أن بقرته ضاعت ومزرعته كانت عطشانة وكان له حنطة فى الرحى ولم يكن فى البيت طعين يخبزون الخبز

فقال

نبارك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما اللهم قد سمعنا قولك وأطعنا أمرك وقصدنا نبيك مستشفعين به اليك فى ذنوبنا وما أثقل ظهورنا من أوزارنا تائبين من زللنا معترفين بخطايانا فتب علينا اللهم وشفع نبيك هذا فينا وارفعنا بمنزلته عندك وحقه عليك اللهم اغفر للمعاهدين والمهاجرين والانصار ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان اللهم لا تجعله آخر العهد من قبر نبيك ومن حرمك برحمتك يا أرحم الراحمين ثم يأتى الروضة فيصلى فيها ويكثر من الدعاء لقوله عليه الصلاة والسلام ما بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة ومنبرى على حوضى ويدعو عند المنبر ويستحب أن يضع يده على الرمانة السفلى ويستحب أن يخرج يوم الخميس فيزور قبور الشهداء فيصلى الغداة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخرج للزيارة ويعود الى المسجد لصلاة الظهر حتى لا تفوته فريضة فى الجماعة فى المسجد ويستحب أن يخرج فى كل يوم الى البقيع بعد السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويزور قبر الحسن بن على رضى الله عنه ويزور قبر عثمان ويزور قبر على بن الحسين ابن على ومحمد بن على وجعفر ابن محمد والعباس رضوان الله عليهم أجمعين ويصلى فى مسجد فاطمة رضى الله عنها ويزور قبر ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبر صفية

فقال لامرأته يا هذه ان خرجت فى طلب البقرة يفوتنى سقى الماء والطحن جميعا وان خرجت الى الرحى يفوتنى طلب البقرة وسقى الماء وان خرجت الى سقى الماء يفوتنى هذان وان اشتغلت بهذه الاشغال تفوتنى الجمعة فالاولى أن أبدأ بالجمعة وأؤدى الفرض فان الله تعالى يكفينى هذه الاشغال فلما قضى صلاته ورجع الى بيته جعل الطريق على مزرعته واذا فيها ماء قدر الكفاية فلما بلغ باب داره رأى بقرته على باب الدار فلما دخل الدار فاذا بالمرأة تخبز فسألها فقالت كان جارنا فلان خرج الى الرحى والطحان قد طحن الحنطة فلما أراد أن ينصرف الى بيته بطحينه عدل طحيننا بطحينه على الحمار ورده اليه وأما الماء فكان جيراننا فى المزرعة يسقون أرضهم فخرج الماء من جحر يربوع وجرى الى مزرعتنا فسقى فقال لها يا هذه اعقلى عن الله أمره فان الله تعالى انما كفانا هذه المؤن لانى قدمت أمره على أمور الدنيا وكان هذا ببركة صلاة الجمعة

(الباب العاشر فى النوافل من الصلاة وهى كثيرة مشهورة)

لكن نذكر هنا صلاة قد تخفى على بعض الناس عن جابر رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة فى الامور كلها كالسورة من القرآن يقول اذا هم أحدكم بالامر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل اللهم انى أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم أن هذا الامر خير لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى أو قال عاجل أمرى وآجله فاقدره لى ويسره لى ثم بارك لى فيه وان كنت تعلم أن هذا الامر شر لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى أو قال عاجل أمرى وآجله فاصرفه عنى واصرفنى عنه واقدر لى الخير حيث كان ثم رضنى به قال ويسمى حاجته رواه البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال للعباس بن عبد المطلب يا عماه ألا أعلمك ألا أمنحك ألا أفعل بك عشر خصال اذا أنت فعلت ذلك غفر لك ذنبك أوله وآخره وخطأه وعمده صغيره وكبيره وسره وعلانيته أن تصلى أربع ركعات تقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة فاذا فرغت من القراءة قلت وأنت قائم سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر خمس عشرة مرة ثم تركع فتقولها عشرا ثم ترفع رأسك من الركوع فتقولها عشرا ثم تهوى ساجدا فتقولها عشرا ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشرا ثم تسجد فتقولها عشرا ثم ترفع رأسك فتقولها عشرا قبل أن تقوم فذلك خمس وسبعون فى كل ركعة ان استطعت أن تصليها فى كل يوم مرة فافعل فان لم تفعل ففى كل جمعة فان لم تفعل ففى كل شهر فان لم تفعل ففى كل سنة فان لم تفعل ففى عمرك مرة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت له حاجة الى الله أو الى أحد من بنى آدم فليتوضأ فليحسن الوضوء ثم ليصل ركعتين ثم ليثن على الله عز وجل وليصل على النبى صلى الله عليه وسلم ثم ليقل لا اله الا الله الحليم الكريم سبحان الله رب العرش العظيم والحمد لله رب العالمين أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والغنيمة من كل بر والسلامة من كل اثم لا تدع لى ذنبا الا غفرته ولا هما الا فرجته ولا حاجة هى لك رضا الا قضيتها يا أرحم الراحمين رواه الترمذى وقال صلى الله عليه وسلم ما من رجل يذنب ذنبا ثم يقوم فيتطهر ثم يصلى ثم يستغفر الله الا غفر له ثم قرأ والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم وقال صلى الله عليه وسلم من صلى بعد المغرب ست ركعات ولم يتكلم بينهن بسوء عدلن له بعبادة ثنتى عشرة سنة وقال صلى الله عليه وسلم من صلى بعد المغرب عشرين ركعة بنى الله له بيتا فى الجنة وروى ابن ماجه عن أبى سعيد الخدرى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان لا يصلى قبل العيد شيأ فاذا رجع الى منزله صلى ركعتين وقال أنس رضى الله عنه كان النبى صلى الله عليه وسلم لا ينزل منزلا الا ودعه بركعتين رواه الحاكم فى المستدرك وقال صلى الله عليه وسلم اذا تزوج أحدكم امرأة وكانت ليلة البناء فليصل ركعتين وليأمرها فلتصل خلفه فان الله جاعل فى البيت خيرا رواه البزار وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من قام ليلتى العيدين لله محتسبا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب وروى الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاءه على بن أبى طالب فقال بأبى أنت وأمى تفلت هذا القرآن من صدرى فما أجدنى أقدر عليه فقال رسول الله صلى الله

عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم *(فصل)* وينبغى أن لا يتجر ليكون قصده العبادة وحدها ومهما أمكنه أن يوسع النفقة على غيره فعل ويكون توجهه الى الحج توجها الى الله تعالى فلا ينساه فى كل حال ويتبرأ من الحول والقوة فافهم تغنم والله أعلم

(الباب الثامن فى تلاوة القرآن)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن ثم رأى أن أحدا أوتى أفضل مما أوتى فقد استصغر ما عظمه الله تعالى وقال عليه السلام ما من شفيع أفضل منزلة عند الله يوم القيامة من القرآن لا نبى ولا ملك ولا غيرهما وقال صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل قرأ طه ويس قبل أن يخلق الخلق بألفى عام فلما سمعت الملائكة القرآن قالت طوبى لامة ينزل عليهم هذا وطوبى لاجواف تحمل هذا وطوبى لالسنة تنطق بهذا

(فصل فى ذم تلاوة الغافلين)

قال أنس بن مالك رب تال للقرآن والقرآن يلعنه وقال أبو سليمان الدارانى الزبانية أسرع الى حملة القرآن الذين يعصون الله تعالى منهم الى عبدة الاوثان حين عصوا الله بعد القرآن فقد ورد فى التوراة يا عبدى أما تستحى منى يأتيك كتاب من بعض اخوانك وأنت فى الطريق تمشى فتعدل عن الطريق فتقعد لاجله وتقرأه وتتدبره حرفا حرفا حتى لا يفوتك منه شىء وهذا كتاب أنزلته اليك انظر كم فصلت لك فيه من

عليه وسلم ياأبا الحسن أفلا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن وينفع بهن من علمته ويثبت ما تعلمت فى صدرك قال أجل يارسول الله فعلمنى قال اذا كان ليلة الجمعة فان استطعت أن تقوم فى ثلث الليل الآخر فانها ساعة مشهودة والدعاء فيها مستجاب وقد قال أخى يعقوب لبنيه سوف أستغفر لكم ربى يقول حتى تأتى ليلة الجمعة وان لم تستطع فقم فى وسطها فان لم تستطع فقم فى أولها فصل أربع ركعات تقرأ فى الركعة الاولى فاتحة الكتاب وسورة يس وفى الركعة الثانية بفاتحة الكتاب وحم الدخان وفى الركعة الثالثة بفاتحة الكتاب والم تنزيل السجدة وفى الركعة الرابعة بفاتحة الكتاب وتبارك المفصل فاذا فرغت من التشهد فاحمد الله وأحسن الثناء عليه وصل على محمد وأحسن وعلى سائر النبيين واستغفر للمؤمنين والمؤمنات ولاخوانك الذين سبقوك بالايمان ثم قل فى آخر ذلك اللهم ارحمنى بترك المعاصى أبدا ما أبقيتنى وارحمنى أن أتكلف ما لا يعنينى وارزقنى حسن النظر فيما يرضيك عنى اللهم بديع السموات والارض ذا الجلال والاكرام والعزة التى لاترام أسألك ياالله يارحمن بجلالك ونور وجهك أن تلزم قلبى حفظ كتابك كما علمتنى وارزقنى أن أتلوه على النحو الذى يرضيك عنى اللهم بديع السموات والارض ذا الجلال والاكرام والعزة التى لاترام أسألك ياالله يارحمن بجلالك ونور وجهك أن تنور بكتابك بصرى وأن تطلق به لسانى وأن تفرج به عن قلبى وأن تشرح به صدرى وأن تغسل به بدنى فانه لايعيننى على الحق غيرك ولا يؤتيه الا أنت ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ياأبا الحسن تفعل ذلك ثلاث جمع أو خمسا أو سبعا تجاب باذن الله والذى بعثنى بالحق نبيا ماأخطأ مؤمنا قط قال ابن عباس فوالله مالبث على الا خمسا أو سبعا حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مثل ذلك المجلس فقال يارسول الله انى كنت فيما خلا لا آخذ الا أربع آيات ونحوهن فاذا قرأتهن على نفسى تفلتن وأنا أتعلم اليوم أربعين آية ونحوها فاذا قرأتهن على نفسى فكأنما كتاب الله بين عينى ولقد كنت أسمع الحديث فاذا رددته تفلت وأنا اليوم أسمع الاحاديث فاذا تحدثت بها لم أخرم منها حرفا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك مؤمن ورب الكعبة ياأبا الحسن

(الباب الحادى عشر فى قيام الليل)

قال الله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا وقال تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع الآية وقال تعالى كانوا قليلا من الليل مايهجعون وعن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه فقلت لم تصنع هذا يارسول الله وقد غفر لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا رواه البخارى ومسلم وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال ذكر عند النبى صلى الله عليه وسلم رجل نام ليلة حتى أصبح قال ذاك رجل بال الشيطان فى أذنيه أو قال أذنه رواه البخارى ومسلم وقال صلى الله عليه وسلم يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم اذا هو نام ثلاث عقد يضرب على كل عقدة عليك ليل طويل فارقد فان استيقظ فذكر الله تعالى انحلت عقدة فان توضأ انحلت عقدة فان صلى انحلت عقدة فأصبح نشيطا طيب النفس والا أصبح خبيث النفس كسلان رواه البخارى ومسلم قال النووى رحمه الله القافية آخر الرأس وقافية كل شئ آخره ومنه قافية الشعر قال واختلف العلماء فى هذا العقد فقيل هو عقد حقيقى بمعنى عقد السحر للانسان ومنعه من القيام قال الله تعالى ومن شر النفاثات فى العقد فعلى هذا هو قول يقوله يؤثر فى تثبيط النائم كتأثير السحر وقيل يحتمل أن يكون فعلا يفعله كفعل النفاثات فى العقد وقيل هو من عقد القلب وتصميمه فكأنه يوسوس فى نفسه ويحدثه بان عليك ليلا طويلا فتأخر عن القيام وقيل هو مجاز عن تثبيط الشيطان عن قيام الليل وقوله فأصبح نشيطا طيب النفس معناه لسروره بما وفقه الله الكريم من الطاعة ووعده به من ثوابه مع ما يبارك له فى نفسه وتصرفه فى كل أموره مع ما زال عنه من عقد الشيطان وتثبيطه وقوله والا أصبح خبيث النفس كسلان معناه لما عليه من عقد الشيطان وآثار تثبيطه واماتته واستيلائه مع أنه لم يزل ذلك عنه فظاهر الحديث ان من لم يجمع بين الامور الثلاثة فهو داخل فيمن يصبح خبيث النفس كسلان وقال صلى الله عليه وسلم أيها الناس أفشوا

القول وكم كررت عليك فيه لتتأمل طوله وعرضه ثم أنت معرض عنه أفكنت أهون عليك من بعض اخوانك ياعبدى يقص عليك بعض اخوانك حديثا فتقبل عليه بكل وجهك وتصغى الى حديثه بكل قلبك فان كلمك متكلم أو شغلك شاغل عن حديثه أومأت اليه أن كف وها أنا ذا مقبل عليك ومحدث لك وأنت تعرض عنى بقلبك أفجعلتنى أهون عندك من بعض اخوانك تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا

(فصل) وينبغى أن يكون على وضوء وعلى هيئة الادب قائما أو جالسا وأفضله مايقرأ فى الصلاة قائما وقال صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن فى أقل من ثلاث لم يفهمه وكرهوا أن يختم كل ليلة واعل الختم فى كل أسبوع قريب والترتيل مستحب فى تلاوة القرآن وقال صلى الله عليه وسلم ان هذا القرآن نزل بحزن فاذا قرأتموه فتحازنوا وينبغى أن يراعى حق آية السجدة فيسجد سواء سمعه من غيره أوقرأه هو بنفسه اذا كان على وضوء وفى القرآن أربع عشرة سجدة وفى الحج سجدتان وليس فى ص سجدة

(فصل) ينبغى أن تكون قراءته بتعظيم وتدبر فان الله تعالى لطف بخلقه فى نزوله عن عرش جلاله الى درجة أفهام خلقه حتى أوصل معانى كلامه الذى هو صفة ذاته الى أفهام خلقه وكيف تجلت لهم تلك الصفة فى طى حروف وأصوات ولولا

السلام

السلام وأطعموا الطعام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم أحب الصلاة الى الله صلاة داود وأحب الصيام الى الله صيام داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وكان يصوم يوما ويفطر يوما رواه البخارى ومسلم وقال صلى الله عليه وسلم ان فى الليل لساعة لايوافقها رجل مسلم يسأل الله خيرا من أمر الدنيا والآخرة الا أعطاه اياه وذلك كل ليلة رواه مسلم قال صلى الله عليه وسلم من نام عن حزبه أو عن شئ منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنما قرأه من الليل رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم رحم الله رجلا قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته فان أبت نضح فى وجهها الماء رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فان أبى نضحت فى وجهه الماء رواه أبوداود باسناد صحيح وقيل يارسول الله أى الدعاء أسمع قال جوف الليل الآخر ودبر الصلوات المكتوبات وقال الحسن رحمه الله مانعمل عملا أشد من مكابدة الليل ونفقة هذا المال فقيل له مابال المتهجدين من أحسن الناس وجوها قال انهم خلوا بالرحمن فألبسهم نورا من نوره وقال الفضيل رحمه الله اذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك محروم وقد كثرت خطيئتك وقال الربيع بت فى منزل الشافعى رضى الله تعالى عنه ليالى كثيرة فلم يكن ينام من الليل الا يسيرا وكان أبوحنيفة رحمه الله يقوم نصف الليل فمر بقوم فقالوا ان هذا يحيى الليل كله فقال انى أوصف بما لا أفعل فكان بعد ذلك يحيى الليل كله

(كتاب الصدقة وفيه خمسة أبواب)

(الباب الاول فى فضلها)

قال الله تعالى خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وقال تعالى وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا أى تجدوا ثوابه فى الآخرة أفضل مما أعطيتم وأعظم أجرا من الذى أخرتم ولم تقدموه عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيكم مال وارثه أحب اليه من ماله قالوا يارسول الله مامنا أحد الا ماله أحب اليه من مال وارثه قال فان ماله ماقدم ومال وارثه ما أخر رواه البخارى وقال صلى الله عليه وسلم مانقصت صدقة من مال ومازاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع أحد لله الا رفعه الله عز وجل رواه مسلم قال النووى رحمه الله قيل معناه انه يبارك فيه ويدفع عنه المفسدات فيجبر نقص الصورة بالبركة الخفية وهذا مدرك بالحس والعادة وقيل انه وان نقصت صورته كان فى الثواب المرتب عليه جبر لنقصه وزيادة الى أضعاف كثيرة وقوله صلى الله عليه وسلم ومازاد الله عبدا بعفو الا عزا قيل هو على ظاهره وان من عرف بالعفو والصفح ساد وعظم فى القلوب وزاد عزه واكرامه وقيل المراد أجره فى الآخرة وعزه هناك وقوله وما تواضع أحد لله الا رفعه الله قيل يرفعه فى الدنيا ويثبت له بتواضعه فى القلوب منزلة يرفعه الله عند الناس ويجل مكانه وقيل المراد ثوابه فى الآخرة ورفعه فيها بتواضعه فى الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم مانقص مال عبد من صدقة ولا ظلم عبد مظلمة صبر عليها الا زاده الله عزا ولا فتح عبد باب مسئلة الا فتح الله عليه باب فقر أو كلمة نحوها رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وقال صلى الله عليه وسلم من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله الا الطيب فان الله يقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربى أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل رواه البخارى ومسلم قال النووى رحمه الله الفلو بفتح الفاء وضم اللام وتشديد الواو ويقال أيضا بكسر الفاء واسكان اللام وتخفيف الواو وهو المهر وقال صلى الله عليه وسلم أيما مسلم كسا مسلما ثوبا على عرى كساه الله من خضر الجنة وأيما مسلم أطعم مسلما على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة وأيما مسلم سقى مسلما على ظمأ سقاه الله عز وجل من الرحيق المختوم رواه أبوداود وقال صلى الله عليه وسلم على كل مسلم صدقة قالوا فان لم يجد قال فيعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق قالوا فان لم يستطع أو لم يفعل قال فيعين ذا الحاجة الملهوف قالوا فان لم يفعل قال فيأمر بالخير قالوا فان لم يفعل قال فيمسك عن الشر فانه له صدقة وقال

استتار كنه جلال كلامه بكسوة الحروف لما ثبت لسماع الكلام عرش ولا ثرى ولتلاشى ما بينهما من عظمة سلطانه وسبحات نوره ولولا تثبيت الله موسى عليه الصلاة والسلام لما أطاق سماع كلامه كما لم يطق الجبل مبادى تجليه حيث صار دكا دكا ولكن تعظيم المتكلم حاضرا فى قلبه مساوقا له فى قراءته ويظن ان الله تعالى يخاطبه بذلك

(فصل) قال عليه الصلاة والسلام ان للقرآن ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا وقال على كرم الله وجهه ورضى عنه لو شئت لاوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب فتبين أن أسرار القرآن لاتنقضى وعجائبه لاتحصى وذلك على قدر طهارة القلب ويدل على أن التفسير ليس مسموعا منقولا كالتنزيل قوله عليه الصلاة والسلام لابن عباس اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل قال تعالى لعلمه الذين يستنبطونه منهم أثبت لاهل العلم استنباطا فيدل على انه لايتوقف على محض السماع والله أعلم فافهم تغنم والله أعلم

(الباب التاسع فى الاذكار والدعوات)

قال الله تعالى ادعونى أستجب لكم وقال تعالى فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم وقال عليه الصلاة والسلام ذاكر الله فى

الغافلين كالحى بين الاموات وقال عليه الصلاة والسلام ذاكر الله فى الغافلين كشجرة خضراء فى وسط

صلى الله عليه وسلم الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار وقال صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وان من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق وان تفرغ من دلوك فى اناء أخيك وقال صلى الله عليه وسلم يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك يا ابن آدم من مالك الا ما أكلت فأفنيت أو لبست فابليت أو تصدقت فأمضيت وروى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت يا رسول الله ما الشئ الذى لا يحل منعه قال الماء والملح والنار قالت قلت يا رسول الله هذا الماء فقد عرفناه فما بال الملح والنار فقال يا حميراء من أعطى نارا فكانما تصدق بجميع ما أنضجت تلك النار ومن أعطى ملحا فكانما تصدق بجميع ما طيبت تلك الملح فمن سقى مسلما شربة من ماء حيث يوجد الماء فكانما أعتق رقبة ومن سقى شربة من ماء حيث لا يوجد الماء فكانما أحياها رواه ابن ماجه وقال عبيد بن عمير يحشر الناس يوم القيامة أجوع ما كانوا وأعطش ما كانوا فمن أطعم فى الدنيا أطعمه الله ومن سقا سقاه الله ومن كسا كساه الله وقال الحسن البصرى لو شاء الله لجعلكم أغنياء لا فقير فيكم ولكنه ابتلى بعضكم ببعض ويقال ان الحسن مر به نخاس ومعه جارية فقال أترضى فى ثمنها الدرهم والدرهمين قال لا قال فاذهب فان الله قد رضى فى ثمن الحور العين بالفلس واللقمة (حكى) أن رجلا من أهل البصرة كانت له ماشية عظيمة وكان قليل الصدقة فتصدق ذات يوم بسخلة فنام فرأى فى المنام كأن القيامة قد قامت وكان ماشيته قد أقبلت عليه تنطحه والسخلة تحامى عنه فانتبه مرعوبا فكان بعد ذلك يجزل العطية ويبذل الصدقة وكان بعض الصالحين اذا دخلت الفواكه الى السوق يشترى منها ويحملها الى مكاتب الصبيان ويقول للمعلم هل عندك فقير أو يتيم فيقول هذا وهذا فان أشار اليه أطعمه من تلك الفواكه فلما مات الرجل رؤى فى المنام وهو فى بستان كثير الفواكه وهو يأكل منها ما أحب فقيل له ما هذا قال أطعمنا فأطعمنا (وحكى) أن سائلا سأل الحسن البصرى رحمه الله فنهض ونزع بعض ثيابه فدفعه الى السائل فقيل له لو صبرت حتى نأتى منزلك لكان أحسن فقال اعلم أنه جاء الى منزلنا هذا سائل فشكا الجوع فغفلنا عنه فانصرفنا وتركناه فى المسجد فأصبح ميتا فكفناه ودفناه فلما كان من الغد وجدنا الكفن مطروحا فى المحراب وعليه مكتوب خذوا كفنكم هذا فان الله لم يقبله قال الحسن فآليت على نفسى أن لا أؤخر عطاء سائل ولا أرده خائبا أبدا قال بعض السادة جلس رجل من المسرفين فى مجلس شرابه فدفع الى غلامه أربعة دراهم وأمره أن يشترى له ريحانا لمجلسه فمر الغلام بمجلس منصور بن عمار وهو يسأل لفقير بين يديه فوقف بين الناس فسمعه يقول كتبت لهذا الفقير أربعة دراهم فمن دفعها اليه دعوت له أربع دعوات فدفع له الغلام الدراهم فقال له منصور ما الذى تريد أن أدعو لك به فقال لى سيد أريد أن أتخلص منه فدعا له بذلك ثم قال وما تريد أن أدعو لك ثانية فقال له أحب أن تخلف على هذه الدراهم فدعا له فقال فالدعوة الثالثة قال أحب أن يتوب الله على سيدى فدعا له بذلك وسأله عن الرابعة فقال أحب أن يغفر الله لى ولسيدى ولك ولجميع المسلمين والحاضرين فدعا له منصور بذلك ورجع الغلام فقال له سيده أبطأت على وأين الحاجة التى أنفذتك فيها فقص عليه القصة فقال له أخبرنى بالذى دعا لك به فقال سألت لنفسى العتق فقال أنت حر لوجه الله فالثانية فقال سألته أن تخلف على الدراهم التى دفعت اليه فقال له لك من مالى أربعمائة درهم فالثالثة قال سألته أن يتوب الله عليك فقال انى أشهد الله تعالى على أنى تائب من جميع معاصيه فالرابعة قال سألت أن يغفر الله تعالى لى ولك ولاهل مجلسه ولجميع المسلمين فقال له هذا لله تعالى فلا قدرة لى عليه فلما كان بالليل هتف به هاتف فى منامه فقال له يقول لك المولى جلت قدرته فعلت ما كان لك قدرة عليه أفترانى أنت عبدى وذلك بمعونتى أفعل ما يكون الى وأنا المولى الكريم ولا راد لمشيئتى قد غفرت لك وللغلام ولمنصور بن عمار ولجميع من كان فى مجلسه

(الباب الثانى فى الحث على أداء الزكاة)

قال الله تعالى وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وقال تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله

الهشيم وقال ذاكر الله فى الغافلين كالحى بين الاموات وقال عليه الصلاة والسلام ما جلس قوم مجلسا يذكرون الله عز وجل فيه الا حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده وقال ما قعد قوم مقعدا لم يذكروا الله ولم يصلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم الا كان حسرة عليهم يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلى لا اله الا الله وحده لا شريك له وقال النبى صلى الله عليه وسلم من سبح دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وحمد ثلاثا وثلاثين وكبر ثلاثا وثلاثين وختم المائة بلا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وروى ان رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم قال يا رسول الله تولت عنى الدنيا وقلت ذات يدى قال عليه السلام أين أنت من صلاة الملائكة وتسبيح الخلائق وبها يرزقون قال قلت وماذا يا رسول الله قال سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وبحمده أستغفر الله مائة مرة ما بين طلوع الفجر الى أن تصلى الصبح تأتيك الدنيا راغمة صاغرة ويخلق الله تعالى من كل كلمة ملكا يسبح الله تعالى الى يوم القيامة لك ثوابه وقال صلى الله عليه وسلم اذا قال العبد الحمد لله ملأت ما بين السماء والارض فاذا قال الحمد لله الثانية ملأت ما بين السماء السابعة الى الارض السفلى فاذا قال الحمد لله الثالثة

عليه

عليه وسلم يقول بنى الاسلام على خمس شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فاذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحق الاسلام وحسابهم على الله تعالى رواهما البخارى ومسلم وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذا الى اليمن قال انك تأتى قوما من أهل الكتاب فادعهم الى شهادة أن لا اله الا الله وانى رسول الله فان هم أطاعوك لذلك فاعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة فان هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم فان هم أطاعوك لذلك فاياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب رواه البخارى ومسلم وقد احتج به على وجوب صرف الزكاة فى بلدها واشتراط اسلام الفقير وأنها تجب فى مال الطفل الغنى عملا بعمومه وفى الصحيحين أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه قاتل مانعى الزكاة وقال والله لو منعونى عناقا كانوا يؤدونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ويباعدنى من النار قال لقد سألت عن شئ عظيم وانه ليسير على من يسره الله عليه تعبد الله لا تشرك به شيأ وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ثم قال ألا أدلك على أبواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار وصلاة الرجل من جوف الليل ثم تلا تتجافى جنوبهم عن المضاجع حتى بلغ يعملون ثم قال ألا أخبرك برأس الامر وعموده وذروة سنامه الجهاد ثم قال ألا أخبرك بملاك ذلك كله قلت بلى يا رسول الله فأخذ بلسانه ثم قال كف عليك هذا قلت يا رسول الله وانا لمؤاخذون بما نتكلم به فقال ثكلتك أمك وهل يكب الناس فى النار على وجوههم أو على مناخرهم الا حصائد ألسنتهم رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وعن على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا كانت لك مائتا درهم وحال عليها الحول ففيها خمسة دراهم وليس عليك شئ يعنى فى الذهب حتى يكون لك عشرون دينارا فاذا كانت لك عشرون دينارا وحال عليها الحول ففيها نصف دينار رواه أبو داود وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس فيما دون خمس أواق من الورق صدقة وليس فيما دون خمس ذود من الابل صدقة وليس فيما دون خمسة أوسق من التمر صدقة رواه مسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما سقت السماء والعيون أو كان عثريا العشر وفيما سقى بالنضح نصف العشر رواه البخارى

(الباب الثالث فى التشديد على تارك الزكاة)

قال الله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون قال ابن عمر كل مال تؤدى زكاته فليس بكنز وان كان مدفونا وكل مال لا تؤدى زكاته فهو كنز وان لم يكن مدفونا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح وروى مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لما نزلت هذه الآية كبر ذلك على المسلمين وقالوا ما يستطيع أحد منا يدع لولده شيأ فذكر عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فقال ان الله لم يفرض الزكاة الا ليطيب بها ما بقى من أموالكم وسئل ابن عمر عن هذه الآية فقال كان هذا قبل أن تنزل الزكاة فلما نزلت جعلها الله طهر الاموال وقال ابن عمر ما أبالى لو كان لى مثل أحد ذهبا أعلم عدده أزكيه وأعمل بطاعة الله عز وجل قوله تعالى يوم يحمى عليها أى تدخل النار فيوقد عليها يعنى الكنوز فتكوى فيحرق بها جباههم كانوا بها وجنوبهم وظهورهم روى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال لا يوضع دينار على دينار ولا درهم على درهم ولكن يوسع جلده حتى يوضع كل درهم ودينار فى موضع على حدته وسئل أبو بكر الوراق رحمه الله لم خصت الجباه والجنوب والظهور بالكى قال لان الغنى صاحب الكنز اذا رأى الفقير قبض جبهته وزوى ما بين عينيه وولاه ظهره وأعرض عنه كشحه وقال القرطبى فى التذكرة قالت الصوفية لما طلبوا المال والجاه شان الله وجوههم ولما طووا كشحا عن الفقير

قال الله تعالى سل تعط وقال صلى الله عليه وسلم الباقيات الصالحات هن لا اله الا الله وسبحان الله والله أكبر والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وقال صلى الله عليه وسلم ما من رجل يقولها الا غفرت له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر رواه ابن عمر رضى الله عنه واعلم ان النافع من جملة الاذكار ما حضر فيه القلب وما عداه فهو قليل الجدوى فان المقصود الانس بالله وذلك بالمداومة على الذكر مع حضور القلب وبذلك تؤمن سوء الخاتمة والله أعلم (فصل) فى آداب الدعاء فليترصد الاوقات الشريفة ويكون على الوضوء مستقبل القبلة ويكون بخفض الصوت والتضرع موقنا بالاجابة ملحا فيه ويفتح الدعاء بذكر الله تعالى وبالصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم ويرد المظالم قبل اقباله على الدعاء (فضيلة الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم) روى أنه عليه الصلاة والسلام جاء ذات يوم والبشرى ترى فى وجهه فقال صلى الله عليه وسلم انه جاءنى أخى جبريل عليه السلام فقال أما ترضى يا محمد أن لا يصلى عليك أحد من أمتك مرة الا صليت عليه عشرا وقال من صلى على صلت عليه الملائكة ما صلى على فليقلل العبد عند ذلك أو ليكثر وقال صلى الله عليه وسلم من صلى على فى كتاب لم تزل الملائكة يستغفرون له ما دام اسمى فى ذلك الكتاب (فضيلة الاستغفار) قال الله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا

ذا جباههم كويت جنوبهم ولما أسندوا ظهورهم الى أموالهم ثقة بها واعتمادا عليها كويت ظهورهم قوله هذا ما كنزتم أى يقال لهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون أى تمنعون حقوق الله فى أموالكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له ماله يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه ثم يأخذ بلهزمتيه يعنى شدقيه ثم يقول أنا مالك انا كنزك ثم تلا ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم من فضله رواه البخارى الزبيبتان هما الزبدتان فى الشدقين وقيل هما النكتتان السوداوان فوق عينيه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من رجل يكون له ابل أو بقر أو غنم لا يؤدى حقها الا أتى بها يوم القيامة أعظم ما تكون وأسمنه تطؤه باخفافها وتنطحه بقرونها كلما جازت أخراها ردت عليه أولاها حتى يقضى بين الناس وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ثلاثة يدخلون النار أمير مسلط وذو ثروة لا يؤدى حق الله من ماله وفقير فخور وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال خمس بخمس ما نقض قوم العهد الا سلط الله عليهم عدوهم ولا حكموا بغير ما أنزل الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت الفاحشة فيهم الا فشا فيهم الطاعون ولا طففوا الكيل الا منع منهم النبات وأخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة الا حبس الله عنهم المطر وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لم تظهر الفاحشة فى قوم الا ظهر فيهم الطاعون والاوجاع التى لم تكن فى أسلافهم ولا نقصوا المكيال والميزان الا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان ولم يمنعوا زكاة أموالهم الا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ولم ينقضوا عهد الله ولا عهد رسوله الا سلط عليهم عدوهم فاخذ بعضهم ما كان فى أيديهم واذا لم تحكم أئمتهم بكتاب الله الا جعل الله بأسهم بينهم رواه ابن ماجه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويل للاغنياء من الفقراء يوم القيامة يقولون ربنا ظلمونا حقوقنا التى افترضت لنا عليهم فيقول الله تعالى وعزتى وجلالى لأدنينكم ولأبعدنهم ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال أمرنا باقام الصلاة وايتاء الزكاة ومن لم يزك فلا صلاة له وروى الاصبهانى عن على رضى الله عنه قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله وشاهده وكاتبه والواشمة والمستوشمة ومانع الصدقة والمحلل والمحلل له

(الباب الرابع فى فوائد الصدقة وهى كثيرة لا تحصى)

ونقتصر منها على عشر فوائد (الفائدة الاولى) انها تطهر المال قال صلى الله عليه وسلم يا معشر التجار ان البيع يحضره اللغو والحلف فشوبوه بالصدقة (الثانية) أنها تطهر صاحبها من الذنوب قال الله تعالى خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها (الثالثة) أنها ترفع البلاء والامراض قال صلى الله عليه وسلم الصدقة تسد سبعين بابا من الشر وقال صلى الله عليه وسلم داووا مرضاكم بالصدقة وقال صلى الله عليه وسلم من كسا مسلما ثوبا لم يزل فى ستر من الله ما دام عليه منه خيط أو سلك رواه الحاكم وذكر ابن الجوزى رحمه الله فى روضة المشتاق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما رجل وامرأته يتعشيان وقد رفعت المرأة اللقمة الى فيها فاذا سائل على الباب فآثرته بها فلما أصبحا غدا زوجها الى زرعه فلما كان وقت غدائه حملت اليه طعاما وولدها على يدها فمرت ببقل أخضر فقالت لو أخذت من هذا البقل مع هذا الطعام لكان أمثل فالقت ولدها وأقبلت تحش من البقل فمر ذئب فاحتمله فاستقبلت القبلة وقالت اللهم ان كنت تعلم انى رفعت اللقمة وأنا أشتهيها فهتف بى سائل على الباب فآثرته بها على نفسى من أجلك ورغبة فيما لديك وقد وقفت ببابك فاعد على ولدى فكر الذئب راجعا حتى اذا كان قريبا منها ألقى اليها ولدها وقال هذه اللقمة بتلك اللقمة (الرابعة) أن فيها ادخال السرور على المساكين وأفضل الاعمال ادخال السرور على المؤمنين قال صلى الله عليه وسلم موجبات المغفرة ادخال السرور على أخيك المسلم واشباع جوعه وتنفيس كربه (الخامسة) ان المال يبارك فيه ويكثر بسببها قال الله تعالى وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه وفى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من يوم يصبح فيه العباد الا وملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقا خلفا ويقول

الآخر

أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم وقال الله تعالى والمستغفرين بالاسحار وقال عليه الصلاة والسلام انى لاستغفر الله وأتوب اليه فى اليوم والليلة سبعين مرة وقال عليه الصلاة والسلام ما أصر من استغفر وان عاد فى اليوم سبعين مرة وقال عليه الصلاة والسلام من عمل ذنبا فعلم ان الله قد اطلع عليه غفر له وان لم يستغفر وقال النبى صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل يا عبادى كلكم مذنب الا من عافيته فاستغفرونى أغفر لكم ومن علم انى ذو قدرة على ان أغفر له غفرت له ولا أبالى وقال صلى الله عليه وسلم من قال سبحانك ظلمت نفسى وعملت سوأ فاغفر لى انه لا يغفر الذنوب الا أنت غفرت ذنوبه ولو كانت كدبيب النمل وقال فضيل ابن عياض استغفار بلا اقلاع توبة الكذابين

(فصل) ويستحب أن يفتتح الدعاء بقوله سبحان ربى العلى الاعلى الوهاب لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لا يموت وهو على كل شئ قدير رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ثم قال اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة رب كل شئ ومليكه أشهد أن لا اله الا أنت أعوذ بك من شر نفسى ومن شر الشيطان الرجيم وشركه وقل اللهم انى أسألك العفو والعافية فى دينى وأهلى ومالى اللهم استر عوراتى وآمن روعاتى واعلم ان الدعوات كثيرة فاشتغل منها بما

الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا وقال صلى الله عليه وسلم ما أحسن عبد الصدقة الا أحسن الله الخلافة على تركته (السادسة) أنها تحصن المال قال صلى الله عليه وسلم حصنوا أموالكم بالزكاة وداووا مرضاكم بالصدقة واستقبلوا أنواع البلايا بالدعاء (وحكى) أن بعض التجار كان يخرج زكاة ماله تاما وافيا ويضعها فى موضعها وكان قد بعث مع غلام له بضاعة نفيسة الى موضع فقطعت تلك القافلة التى كانت بضاعته فيها فوقع الخبر بان القافلة قد قطعت فاغتم التجار كلهم وكان هو يقول مالى سالم بحمد الله تعالى فقيل له ما يدريك قال أنا أتحقق ذلك فلما قدمت القافلة اذا غلامه قد أتى ببضاعته فقال له كيف سلمت بضاعتنا فقال له ان البعير كان قد تفلت فذهبت خلفه فاخذت القافلة وسلمت بضاعتنا فسئل التاجر عن ذلك قال أنا صدقت رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتمدت على قوله حصنوا أموالكم بالزكاة وقد أديت زكاة هذا المال منذ ملكته فعلمت أنه لا يضيع (وحكى) عن بعض الشيوخ الكبار أنه دخل على بعض التجار بثغر الاسكندرية فرحب به التاجر وخرج به فرأى الشيخ فى ايوان التاجر بساطين ثمينين مستعملين من بلاد الروم على قدر الايوان فطلبهما من التاجر فصعب عليه ذلك وقال له يا سيدى أنا أعطيك ثمنهما فقال ما أطلب الا اياهما فقال التاجر ان كان لابد فخذ أحدهما فاخذ الشيخ أحد البساطين وخرج به وكان للتاجر ابنان مسافران فى بلاد الهند كل واحد منهما فى مركب فبعد مدة سمع أبوهما أن أحدهما غرق هو ومركبه وجميع ما كان فيه ووصل الابن الآخر الى عدن سالما فبعد مدة وصل الى قريب الاسكندرية فخرج أبوه الى ظاهر البلد فرأى البساط الذى أخذه الشيخ منه بعينه على بعض الجمال فسأل ابنه عن ذلك ومن أين هو له فقال له يا أبت لهذا البساط قصة عجيبة وآية عظيمة فقال له أبوه أخبرنى بذلك يا بنى فقال سافرت أنا وأخى فى ريح طيبة من بلاد الهند كل منا فى مركبه فلما توسطنا البحر عصفت علينا الريح واشتد علينا الامر وانفتح المركبان واشتغل أهل كل مركب بمركبه وأسلم كل منا أمره الى الله تعالى واذا بشيخ قد ظهر لنا وفى يده هذا البساط فسد به مركبنا وسرنا بالسلامة والمركب مسدود بهذا البساط الى أن وصلنا الى بعض المراسى فنجينا بما كان فيه فقال التاجر لابنه أتعرف الشيخ اذا رأيته قال نعم فذهب به اليه فلما رآه قال هو والله يا أبت فقال التاجر للشيخ لم لا عرفتنى بحقيقة الامر يا سيدى حتى أعطيتك البساطين كلاهما أستغفر الله العظيم وأتوب اليه فقال الشيخ هكذا أراد الله عز وجل (السابعة) أنها تظل صاحبها يوم القيامة من شدة الحر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل امرئ فى ظل صدقته حتى يقضى بين الناس (الثامنة) أن فيها رضا الله تعالى قال الله تعالى وأنفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وأحسنوا ان الله يحب المحسنين وقال صلى الله عليه وسلم صدقة السر تطفئ غضب الرب (التاسعة) أنها تغيظ الشيطان روى الحاكم عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ما يخرج رجل شيأ من الصدقة حتى يفك عنها لحيى سبعين شيطانا وقال الله تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء وقال سفيان ليس للشيطان سلاح على العبد أشد من خوف الفقر فاذا قبل ذلك منه أخذ من الباطل ومنع من الحق وتكلم بالهوى وظن بربه تعالى ظن السوء (العاشرة) أن فيها الاقتداء بالانبياء والصالحين ففى الصحيحين عن جابر رضى الله عنه قال ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ قط فقال لا ويروى أنه صلى الله عليه وسلم جاءت اليه تسعون ألف درهم فوضعت على حصير ثم قام اليها يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها وكان صلى الله عليه وسلم لا يكل خصلتين الى غيره كان يضع طهوره بالليل ويخمره بيده وكان يناول المسكين بيده وعن عمر رضى الله عنه قال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتصدق فوافق ذلك مالا عندى فقلت اليوم أسبق أبا بكر ان سبقته يوما فجئت بنصف مالى فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أبقيت لاهلك فقلت مثله قال وأتى أبو بكر بكل ما عنده فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أبقيت لاهلك فقال أبقيت لهم الله ورسوله قلت لا أسابقك الى شئ أبدا قال واشترى عثمان رضى الله عنه بئر رومة بعشرين ألفا وسبلها للمسلمين وقال ابن عباس رضى الله عنه فى قوله تعالى الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية الآية نزلت فى على رضى الله عنه كانت عنده أربعة دراهم لا يملك

رأيت نفسك فيها حاضرة والسلام على من اتبع الهدى

(الباب العاشر فى الاوراد)

اعلم أن الله تعالى جعل الارض ذلولا لعباده ليتخذوها منزلا ويتزودوا منها محترزين من مصائبها ومعاطبها ويتحققوا ان العمر يسير بهم سير السفينة براكبها فالناس فى هذا العالم سفر وأول منازلهم المهد وآخرها اللحد والوطن هو الجنة أو النار والعمر مسافة السفر وسنوه مراحله وشهوره فراسخه وأيامه أمياله وأنفاسه خطواته وطاعته بضاعته وأوقاته رأس ماله وشهواته وأغراضه قطاع طريقه وربحه الفوز بلقاء الله فى دار السلام مع الملك الكبير والنعيم المقيم وخسرانه البعد من الله تعالى والعياذ بالله مع الانكال والاغلال والعذاب الاليم فى دركات الجحيم فالغافل ولو عن نفس من عمره متعرض الى حسرة لا نهاية لها وخسران لا تدرك له نهاية

(فصل) فى فضيلة الاوراد وترتيبها وأحكامها قال الله تعالى ان لك فى النهار سبحا طويلا واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا وقال تعالى واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا فان أردت أن تسعد سعادة لا تشقى بعدها فاستوعب جميع نهارك وليلك بالطاعة فان سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم مع أن الله تعالى قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر أمر بذلك فانت بالمداومة أحق وأمرك على الخطر فلا تشتغل بالكسب والامور الدنيوية الا بقدر

غيرها فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية وقال السدى رضى الله عنه فى قوله تعالى والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون أراد به عليا رضى الله عنه مر به سائل وهو راكع فى المسجد فاعطاه خاتمه وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا انها نزلت فى على رضى الله عنه وذلك أنه عمل ليهودى بشىء من شعير فقبض الشعير فطحن ثلثه فجعلوا منه شيأ ليأكلوه فلما تم انضاجه أتى مسكين فسأل فاخرجوا اليه الطعام ثم عمل الثلث الثانى فلما تم أتى يتيم يسأل فاطعموه ثم عمل الثلث الباقى فلما تم انضاجه أتى أسير من المشركين فاطعموه وطووا يومهم ذلك وقال عروة بن الزبير رضى الله عنه تصدقت عائشة رضى الله عنها يوما بخمسين ألفا وان درعها لمرقع وروى أن مسكينا سألها وهى صائمة وليس عندها فى بيتها الا رغيف فقالت لمولاة لها أعطيها اياه فقالت ليس لك ما تفطرين عليه فقالت أعطيها اياه ففعلت فلما أمست أهدى لها شاة وكفنها أى ما يسترها من طعام وغيره فدعتها عائشة وقالت لها كلى هذا خير من قرصك وروى أن يوسف عليه السلام لما جعل على خزائن الارض جعل أهل مصر يبتاعون منه الطعام فباعهم أول سنة بالنقود حتى لم يبق بمصر دينار ولا درهم الا قبضه وباعهم فى السنة الثانية بالحلى والجواهر وباعهم فى السنة الثالثة بالمواشى والدواب وباعهم فى السنة الرابعة بالعبيد والاماء وباعهم فى السنة الخامسة بالضياع والعقار وباعهم فى السنة السادسة باولادهم حتى استرقهم وباعهم فى السنة السابعة برقابهم حتى لم يبق بمصر حر ولا حرة الا صار عبدا له فقال الناس ما رأينا ملكا أجل ولا أعظم من هذا ثم قال يوسف للملك كيف رأيت صنع ربى فيما خولنى فما ترى قال الملك الرأى رأيك ونحن لك تبع قال فانى أشهد الله وأشهدك أنى أعتقت أهل مصر ورددت عليهم أملاكهم وروى أن يوسف كان لا يشبع من طعام فى تلك الايام فقيل له أتجوع وبيدك خزائن الارض فقال أخاف ان شبعت ان أنسى الجائع وأمر يوسف طباخ الملك ان يجعل غداءه نصف النهار وأراد بذلك أن يذيق الملك طعم الجوع فلا ينسى الجائع فمن ثم جعل الملوك غداءهم نصف النهار وروى أنه قيل ليعقوب عليه السلام ما الذى أذهب بصرك وقوس ظهرك قال أذهب بصرى بكائى على يوسف وقوس ظهرى حزنى على أخيه فاوحى الله اليه أتشكونى وعزتى وجلالى لا أكشف ما بك حتى تدعونى فعند ذلك قال انما أشكو بثى وحزنى الى الله فاوحى الله اليه وعزتى وجلالى لو كانا ميتين لاحييتهما لك وانما وجدت عليكم لانكم ذبحتم شاة فقام ببابكم مسكين فلم تطعموه منها شيأ وان أحب خلقى الى الانبياء ثم المساكين فاصنع طعاما فادع اليه المساكين فصنع طعاما ثم قال من كان صائما فليفطر الليلة عند آل يعقوب وروى أنه كان بعد ذلك ينادى كل يوم من أراد الغداء فليأت يعقوب واذا أفطر أمر من ينادى من أراد أن يفطر فليأت يعقوب فكان يتغدى ويتعشى مع المساكين فقال وهب بن منبه أوحى الله الى يعقوب أتدرى مم عاقبتك وحبست عنك يوسف ثمانين قال لا يا الهى قال لانك شويت عناقا وقترت على جارك وأكلت ولم تطعمه وروى ان سبب ابتلاء يعقوب أنه ذبح عجلا بين يدى أمه وهو يخور

(الباب الخامس فى آداب معطى الصدقة وقابضها وفيه فصلان)

(الفصل الاول فى آداب المعطى) الادب الاول قال الغزالى رحمه الله ينبغى أن يفهم المراد من الزكاة وهو ثلاثة أشياء ابتلاء مدعى محبة الله تعالى باخراج محبوبه والتنزه عن صفة البخل المهلك وشكر نعمة المال الثانى اخفاؤها لقوله تعالى ان تبدوا الصدقات أى تظهروها فنعما هى أى فنعم الخصلة هى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم قال الواحدى رحمه الله جمهور المفسرين على أن المراد بالصدقات فى هذه الآية التطوع لا الفرض لان الفرض اظهاره أفضل من كتمانه والتطوع كتمانه أفضل وفى حديث السبعة الذين يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله رجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه قال ابن الملقن رحمه الله الافضل فى الزكاة اظهارها لئلا يساء الظن به فى ترك الواجب وهى كالصلاة فى أن الاولى اظهار فرضها واخفاء نفلها كذا أطلقه القاضى وغيره وعن ابن عباس صدقة السر فى التطوع

تفضل

حاجتك وما عدا ذلك فاستعمله فى طريق الآخرة ولا تترك قيام الليل قال عليه الصلاة والسلام لابد من قيام الليل ولو قدر حلب شاة ولا ينبغى أن تستجاب للنفس النوم بتمهيد الفرش الوطية بل تشتغل بالصلاة والذكر الى أن يغلبك النوم وقال النبى صلى الله عليه وسلم يعقد الشيطان على ناصية أحدكم اذا هو نام ثلاث عقد يضرب مكان كل عقدة عليك ليل طويل فارقد فان استيقظ وذكر الله تعالى انحلت عقدة فان توضأ انحلت عقدة فان صلى انحلت عقدة فاصبح نشيطا طيب النفس والا أصبح خبيث النفس كسلان وفى الخبر أنه ذكر عنده عليه الصلاة والسلام رجل نام كل الليل حتى أصبح فقال ذاك بال الشيطان فى أذنه وقال النبى صلى الله عليه وسلم ركعتان يركعهما العبد فى جوف الليل خير له من الدنيا وما فيها ولولا أنى أشق على أمتى لفرضتهما عليهم (بيان الليالى والايام الفاضلة) والايام قد سبق ذكرها أما الليالى فخمسة عشر وهى أوتار العشر الاخير من رمضان وليلة السابع عشر من رمضان فهى ليلة صبيحة يوم الفرقان يوم التقى الجمعان فيه كانت وقعة بدر وأما الليالى الاخر فاول ليلة من المحرم وليلة عاشوراء وأول ليلة من رجب وليلة النصف منه وليلة سبع وعشرين منه وهى ليلة المعراج وفيها صلاة مأثورة فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم للعامل فى هذه الليلة

تفضل علانيتها بسبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها أفضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا قال الماوردى هذا فى الاموال الظاهرة فاما الباطنة فالاولى اخفاء اخراج زكاتها للآية واختار الغزالى فى الاحياء أنه اذا أظهر صدقة التطوع لا بقصد الرياء والسمعة لكن ليقتدى به وهو ممن يقتدى به فاظهارها أفضل الثالث أن لا يفسد صدقته بالمن والاذى قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى قيل المن أن يمن عليه بعطائه فيقول له أعطيتك كذا أو يعدد نعمه عليه فيكدرها والاذى هو أن يعيره فيقول الى كم تسأل تؤذينى وقيل من الاذى أن يذكر انفاقه عليه عند من لا يحب وقوفه عليه حظر الله على عباده المن بالصنيعة واختص به صفة لنفسه لانه من العباد تعيير وتكدير ومن الله افضال وتذكير وقال تعالى وأما السائل فلا تنهر قال المفسرون يريد السائل على الباب يقول لا تنهره ولا تزجره اذا سألك فقد كنت فقيرا فاما أن تطعمه واما أن ترده ردا لينا قال قتادة رد السائل برحمة ولين قال ابراهيم بن أدهم نعم القوم السؤال يحملون زادنا الى الآخرة واعلم أن الانسان لو حقق النظر لرأى حاجته الى الصدقة أشد من حاجة الفقير اليها فان ثوابها يأتيه أحوج ما يكون اليه قال أنس رضى الله عنه يصف أهل النار فيمر بهم الرجل من أهل الجنة فيقول الرجل منهم يا فلان أما تعرفنى أنا الذى سقيتك شربة ويقول بعضهم أنا الذى وهبت لك وضوأ فيشفع له فيدخل الجنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون من الصعلوك قيل الرجل الذى لا مال له قال ان الصعلوك كل الصعلوك الذى له المال لم يقدم منه شيأ الرابع أن يستصغر العطية فان المستعظم للفعل معجب به وقد قيل لا يتم المعروف الا بثلاثة تصغيره وتعجيله وستره الخامس أن ينفق من ماله احله وأجوده وأحبه اليه أما الحل فقد قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم قوله من طيبات أى من خيار وقال ابن مسعود ومجاهد من حلالات ما كسبتم بالتجارة والصناعة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى طيب لا يقبل الا طيبا وأما الاجود فقد قال الله تعالى ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه المعنى ولا تقصدوا الردىء فتنفقوا منه فى سبيل الله ولستم بآخذيه يعنى الخبيث الا أن تغمضوا فيه الاغماض غض البصر وأراد هنا التجوز والمساهلة وقيل لو أهدى ذلك اليكم لما أخذتموه الا على استحياء من صاحبه وغيظ فكيف ترضون لى ما لا ترضون لانفسكم قال حاتم الاصم رحمه الله أراكم تفسدون الطيب وتطيبون الفاسد تأكلون من الطعام ألذه وتلبسون من الثياب أرقها ومرجع ذلك الى الكنيف والبلاء وتتصدقون بالخسيس وبذلك نجاتكم وذخائركم أى عند ربكم وعن عائشة رضى الله عنها انهم ذبحوا شاة فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما بقى منها فقالت ما بقى الا كتفها قال بقى كلها غير كتفها رواه الترمذى وقال حديث صحيح ومعناه تصدقوا بها الا كتفها فقال بقيت لنا فى الآخرة الا كتفها وأما أحبه اليه فقد قال الله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وكان ابن عمر رضى الله عنهما اذا اشتد حبه لشىء من ماله قربه لله عز وجل وروى انه نزل الجحفة وهو شاك فقال انى لاشتهى حيتانا فالتمسوا له فلم يجدوا الا حوتا فاخذته امرأته فصنعته ثم قربته اليه فأتى مسكين فقال ابن عمر خذه فقال له أهله سبحان الله قد عنيتنا ومعنا زاد نعطيه فقال ان عبد الله يحبه وروى أن سائلا وقف بباب الربيع بن خثيم فقال أطعموه سكرا فقالوا نطعمه خبزا أنفع له فقال ويحكم أطعموه سكرا فان الربيع يحب السكر السادس أن يطلب لصدقته من تزكو به كالصدقة على الاتقياء فانه يرد بها همهم الى الله تعالى وأهل العلم فان فى اعطاء العالم اعانة على العلم ونشر الدين وروى أن ابن المبارك كان يخص بمعروفه أهل العلم فقيل له لو عممت فقال انى لا أعرف بعد مقام النبوة أفضل من مقام العلماء فاذا اشتغل قلب أحدهم لم يتفرغ للعلم ولم يقبل على التعليم فتفرغهم للعلم أفضل ومن ذلك أن يكون صائنا الفقر ساترا الحاجة كاتما الشكوى كما قال تعالى يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف ومن ذلك أن يكون ذا عائلة أو محبوسا بمرض أو دين فهذا من المحصرين والصدقة عليه اطلاق لحصره ومن ذلك أن يكون من الاقارب وذوى الارحام أو الجيران قال رسول

حسنات مائة سنة فمن صلى فيها اثنى عشر ركعة يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة ق يتشهد فى كل ركعتين ويسلم فى آخرهن ثم يقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر مائة مرة ويستغفر مائة مرة ويصلى على النبى صلى الله عليه وسلم مائة مرة ويدعو لنفسه ما شاء من أمر دنياه وآخرته ويصبح صائما فان الله تعالى يستجيب له دعاءه كله الا أن يكون فى معصية وأما ليلة النصف من شعبان ففيها مائة ركعة فى كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة الاخلاص عشر مرات ويستحب على الخصوص احياء ليلتى العيدين قال عليه الصلاة والسلام من أحيا ليلتى العيدين لم يمت قلبه يوم تموت القلوب وآخر ليلة من ذى الحجة وفيها فضل عظيم (تم ربع العبادات ويتلوه ربع العادات)

(الباب الحادى عشر فى آداب الاكل والشرب)

وينبغى أن يكون أكلك على نية التقوى به على طاعة الله تعالى وعبادته بعد كونه حلالا على ما سيأتى ذكره قال الله تعالى يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا واذا كان أكلك لله فهو جدير بان تقدم عليه غسل اليد لقوله عليه الصلاة والسلام الوضوء قبل الطعام ينفى الفقر وبعده ينفى اللمم وينبغى أن يكون على السفرة فذلك أقرب الى السنة وكان عليه السلام اذا أتى بطعام وضعه على الارض لانه أقرب الى التواضع وكان صلى الله عليه وسلم يقول لا آكل متكئا انما أنا

الله صلى الله عليه وسلم الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم ثنتان صدقة وصلة رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه وعن عائشة رضي الله عنها قالت يا رسول الله ان لي جارين فالى أيهما أهدي فقال الى أقربهما منك بابا رواه البخاري واعلم أن تعجيل الصدقة في الصحة ثم في الحياة أفضل من الوصية بها وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الصدقة أفضل قال أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن يتصدق المرء في حياته وصحته بدرهم خير له من أن يتصدق عند موته بمائة رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الذي يعتق عند موته كمثل الذي يهدي اذا شبع رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح

(الفصل الثاني في آداب القابض) منها أن يشكر المعطي ويدعو له ويثني عليه عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بنعمة الله شكر وتركه كفر والجماعة رحمة والفرقة عذاب وعن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صنع اليه معروف فليجز به فان لم يجد ما يجزي به فليثن عليه فانه اذا أثنى عليه فقد شكره وان كتمه فقد كفره ومن تحلى بما لم يعط كان كلابس ثوبي زور وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صنع اليكم معروفا فكافئوه فان لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه ومنها أن لا يلح في السؤال وان لا يسأل الا اذا كان محتاجا قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل لا يسألون الناس الحافا يقول اذا كان عنده غداء لم يسأل عشاء واذا كان عنده عشاء لم يسأل غداء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل وله أوقية أو عدلها فقد سأل الحافا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس المسكين الذي يطوف على الناس ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن به فيتصدق عليه ولا يقوم فيسأل الناس رواه البخاري ومسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل وعنده ما يغنيه فانما يستكثر من جمر جهنم قالوا يا رسول الله وما يغنيه قال ما يغديه أو يعشيه رواه أحمد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل وله ما يغنيه جاءت يوم القيامة خدوشا أو كدوشا في وجهه قالوا يا رسول الله وما غناه قال خمسون درهما أو حسابها من الذهب رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الغني الحليم المتعفف ويبغض البذي الفاجر السائل الملح رواه البزار قال الغزالي في الاحياء سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه سائلا يسأل بعد المغرب فقال لواحد من قومه عش الرجل فعشاه ثم سمعه ثانيا يسأل فقال ألم أقل لك عش الرجل فقال قد عشيته فنظر عمر فاذا تحت يده مخلاة مملوءة خبزا فقال لست سائلا ولكنك تاجر ثم أخذ المخلاة ونثرها بين يدي ابل الصدقة وضربه بالدرة وقال له لا تعد قال الغزالي رحمه الله انما فعل عمر ذلك لانه رآه مستغنيا عن السؤال وان من أعطاه شيئا انما أعطاه على اعتقاده أنه محتاج وقد كان كاذبا فلم يدخل في ملكه وعسر تمييزه ورده الى أصحابه اذ لا يعرف أصحابه بأعيانهم فبقي مالا لا مالك له فوجب صرفه الى المصالح وعلف ابل الصدقة من المصالح وينزل أخذ السائل مع اظهاره الحاجة كاذبا كأخذ العلوي بقوله انه علوي وهو كاذب لانه لا يملك ما يأخذه وكأخذ الصوفي والصالح يعطى لصلاحه وهو في الباطن مقارف معصية لو عرفها المعطي لما أعطاه وما أخذوه على هذا الوجه لا يملكونه وهو حرام عليهم ويجب عليهم الرد الى مالكه قال النووي رحمه الله في شرح مسلم اختلف أصحابنا في مسئلة القادر على الكسب على وجهين أصحهما أنها حرام لظاهر الاحاديث والثاني حلال مع الكراهة بثلاث شروط أن لا يذل نفسه ولا يلح في السؤال ولا يؤذي المسؤل فان فقد أحد هذه الشروط فهي حرام بالاتفاق وقال صاحب الانوار يكره السؤال في المسجد فان كان فيه تشويش على المصلين حرم وكذا المشي أمام الصفوف أو تخطاهم

آكل كما يأكل العبد وأشرب كما يشرب العبد وقيل أول بدعة أحدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الموائد والمناخل والأشنان والشبع ولا نقول ان الأكل على الموائد منهي عنه فليس كل مبدع منهيا عنه وينبغي أن يحسن الجلسة على السفرة في أول جلوسه ويستديمها هكذا كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وربما جثى للأكل على ركبتيه وجلس على ظهر قدميه وربما نصب رجله اليمنى وجلس على اليسرى ويكره الأكل والشرب نائما ومتكئا الا ما يتنقل به وليعزم على قلة الأكل والشرب فانه لا يصدق في نية الأكل للعبادة الا بذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان لم يفعل فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس فاذا ينبغي أن لا يقدم على الطعام الا بعد الجوع فان الشبع على الشبع يقسي القلب ويمسك قبل الشبع ولا ينتظر لذيذ الأطعمة والأدم فان من كرامة الخبز أن لا ينتظر به الأدم وينبغي أن يجتهد في تكثير الأيدي وان كان من أهله وولده فخير الطعام ما كثرت عليه الأيدي كان عليه السلام لا يأكل وحده رواه أنس رضي الله عنه

(فصل) في آداب الأكل وهو أن يبدأ باسم الله في أوله وبالحمد في آخره وحسن أن يقول بسم الله مع كل لقمة حتى لا يشغله الشره عن ذكر الله فيقول في اللقمة الأولى بسم الله وفي الثانية بسم الله الرحمن وفي الثالثة بسم الله الرحمن الرحيم ويجهر به ليذكر غيره ويأكل باليمنى ويبدأ بالملح ويختم به ويصغر اللقمة ويجود مضغها ولا يمد اليد الى أخرى ما لم يبلع الأولى وأن لا يذم مأكولا كان صلى الله عليه وسلم لا يعيب طعاما قط ان كان أعجبه أكله والا تركه وأن يأكل مما يليه الا الفاكهة وكان صلى الله عليه وسلم يقول كل مما يليك ثم كان يدير يده على الفاكهة فقيل له في ذلك فقال صلى الله عليه وسلم ليس هو نوعا واحدا وأن لا يأكل من ذروة القصعة ومن وسط الطعام بل يأكل من استدارة الرغيف وأن لا يقطع بالسكين لا الخبز ولا اللحم فقد نهي عنه قال صلى الله عليه وسلم انهشوا نهشا ولا يوضع على الخبز القصعة ولا غيرها الا ما يؤكل به قال صلى الله عليه وسلم أكرموا الخبز فان الله تعالى أنزله من بركات السماء ولا يمسح يده بالخبز وقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا وقعت لقمة أحدكم فليأخذها وليمط ما كان بها من أذى ولا يدعها للشيطان وليلعق أصابعه ولا ينفخ في الطعام الحار فذلك منهي عنه ويأكل من التمر أوتارا ولا يجمع بين التمر والنوى على طبق وأما الشرب فيأخذ الكوز بيمينه ويقول بسم الله ويشربه مصا لا عبا فان الكباد من العب ويقول بعد الشرب الحمد لله الذي جعله عذبا فراتا برحمته ولم يجعله ملحا أجاجا بذنوبنا وكل ما يدار على القوم يدار عنة ويشرب في ثلاثة أنفاس

(كتاب الصيام)

قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون اختلف المفسرون في قوله كما كتب على الذين من قبلكم قال سعيد بن جبير رحمه الله كان صوم من قبلنا من العتمة الى الليلة القابلة كما كان في ابتداء الاسلام وقال جماعة من أهل العلم أراد أن صيام رمضان كان واجبا على النصارى كما فرض علينا فربما كان يقع في الحر الشديد والبرد الشديد وكان يشق عليهم في أسفارهم ويضرهم في معايشهم فاجتمع رأي علمائهم ورؤسائهم على أن يجعلوا صيامهم في فصل من السنة بين الشتاء والصيف فجعلوه في الربيع وزادوا فيه عشرة أيام كفارة لما صنعوا فصار أربعين ثم ان ملكا لهم اشتكى فمه فجعل لله عليه ان برئ من وجعه أن يزيد في صومهم أسبوعا فبرئ فزاد فيه أسبوعا ثم مات ذلك الملك ووليهم ملك آخر فقال أتموه خمسين يوما وقال مجاهد أصابهم موتان فقالوا زيدوا في صيامكم فزادوا عشرا قبل وعشرا بعد قال الشعبي لو صمت السنة كلها لأفطرت اليوم الذي يشك فيه فيقال من شعبان ويقال من رمضان وذلك أن النصارى فرض عليهم شهر رمضان فصاموا قبل الثلاثين يوما ويوما بعدها ثم لم يزل الآخر يستن بسنة القرن الذي قبله حتى صاروا الى خمسين يوما واختلفوا في قوله تعالى أياما معدودات قيل كان صوم ثلاثة أيام من كل شهر واجبا وصوم يوم عاشوراء فصاموا كذلك من ربيع الى شهر رمضان سبعة أشهر ثم نسخ بصوم رمضان وقيل المراد بالأيام شهر رمضان وهي غير منسوخة وفي الكتاب خمسة أبواب

(الباب الأول في فضل شهر رمضان وصيامه)

قال الله تعالى شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف قال الله تعالى الا الصوم فانه لي وأنا أجزي به يدع شهوته وطعامه من أجلي للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين روى هذه الأحاديث البخاري ومسلم (سؤال) ان قيل قد نرى الشر والمعاصي تقع في رمضان كثيرا فجوابه من وجوه ذكرها ابن الملقن في شرح البخاري أحدها أنها تغل عن الصائمين في الصوم الذي حوفظ على شروطه بخلاف غيره ثانيها أن الشر واقع من غيرهم كالنفس الخبيثة والعادات الركيكة والشياطين الانسية ثالثها أنه اخبار عن غالب الشياطين والمردة منهم وأما من ليس من المردة فقد لا يصفد والمقصود تقليل الشر وهو موجود في شهر رمضان وقد يقال الحاصل من تلك الحركة أعني حركة المغلول وان قلت وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شهر رمضان يغفر الله في أول ليلة لكل أهل هذه القبلة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولله في كل ليلة من شهر رمضان عند الافطار ألف ألف عتيق من النار كلهم قد استوجبوا النار فاذا كان آخر يوم من شهر رمضان أعتق الله في ذلك اليوم بقدر ما أعتق من أول الشهر الى آخره وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاكر الله في رمضان يغفر له وسائل الله فيه لا يخيب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطيت أمتي في شهر رمضان خمسا لم يعطهن نبي قبلي أما واحدة فانه اذا كان أول ليلة من شهر رمضان نظر الله اليهم ومن نظر الله اليه لم يعذبه أبدا وأما الثانية فان خلوف أفواههم حين يمسون أطيب عند الله من ريح المسك وأما الثالثة فان الملائكة تستغفر لهم في كل يوم وليلة وأما الرابعة فان الله عز وجل يأمر جنته فيقول لها استعدي وتزيني لعبادي أوشك أن يستريحوا من تعب الدنيا الى داري وكرامتي وأما الخامسة فانه اذا كان آخر ليلة غفر لهم جميعا فقال رجل من القوم أهي ليلة القدر فقال لا ألم تر الى العمال يعملون فاذا فرغوا من أعمالهم وفوا أجورهم روى هذه

الاحاديث البيهقي وروى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاعمال عند الله سبع عملان موجبان وعملان بامثالهما وعمل بعشر أمثاله وعمل بسبعمائة وعمل لا يعلم ثواب عامله الا الله عز وجل فاما الموجبان فمن لقى الله يعبده مخلصا لا يشرك به شيأ وجبت له الجنة ومن لقى الله قد أشرك به وجبت له النار ومن عمل سيئة جزى بها ومن أراد أن يعمل حسنة فلم يعملها جزى مثلها ومن عمل حسنة جزى عشرا ومن أنفق ماله فى سبيل الله ضوعفت له نفقته الدرهم بسبعمائة والدينار بسبعمائة والصيام لله عز وجل لا يعلم ثواب عامله الا الله عز وجل رواه الطبرانى فى الاوسط والبيهقى وهو فى صحيح ابن حبان من حديث خريم بن فاتك بنحوه لم يذكر فيه الصوم وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اغزوا تغنموا وصوموا تصحوا وسافروا تستغنوا رواه الطبرانى فى الاوسط ورواته ثقات وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة يقول الصيام أى رب منعته من الطعام والشهوة فشفعنى فيه ويقول القرآن منعته النوم بالليل فشفعنى فيه قال فيشفعان رواه أحمد والطبرانى فى الكبير ورجاله محتج بهم فى الصحيح وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من أدرك شهر رمضان بمكة فصامه وقام منه ما تيسر كتب الله له مائة ألف شهر رمضان فيما سواه وكتب له بكل يوم عتق رقبة وكل ليلة عتق رقبة وكل يوم حملان فرس فى سبيل الله وفى كل يوم حسنة وفى كل ليلة حسنة رواه ابن ماجه قال المنذرى ولا يحضرنى الآن سنده ذكر هذه الاحاديث الاربعة المنذرى رحمه الله فى كتاب الترغيب والترهيب وذكر فيه أيضا من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أفطر يوما من رمضان من غير رخصة ولا مرض لم يقضه صيام الدهر كله وان صامه رواه الترمذى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب وينادى مناد يا باغى الخير أقبل ويا باغى الشر أقصر ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان للصائم عند فطره دعوة ما ترد وكان ابن عمر واذا أفطر يقول اللهم انى أسألك برحمتك التى وسعت كل شئ أن تغفر لى ذنوبى رواه ابن ماجه والحاكم واللفظ له

(الباب الثانى فى الحث على أفعال الخير فى شهر رمضان)

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير وكان أجود ما يكون فى شهر رمضان ان جبريل عليه السلام كان يلقاه فى كل سنة فى رمضان حتى ينسلخ فيعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن فاذا لقيه جبريل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة وعن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الاواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل ثم اعتكف أزواجه من بعده وعنها رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل العشر أحيا الليل وأيقظ أهله وشد المئزر روى هذه الثلاثة البخارى ومسلم وقد ذكر العلماء فى معنى شد المئزر وجهين أحدهما أنه الاعراض عن النساء والثانى أنه كناية عن الجد والتشمير فى العمل قالوا وكان سبب اجتهاده فى العشر طلب ليلة القدر وعن أنس رضى الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الصدقة أفضل قال صدقة فى رمضان رواه الترمذى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فطر صائما كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شئ رواه الترمذى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فطر صائما على طعام وشراب من حلال صلت عليه الملائكة فى ساعات شهر رمضان وصلى عليه جبريل ليلة القدر رواه الطبرانى

(الباب الثالث فى أمر الصائم بحفظ لسانه وجوارحه عما لا يحل)

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث

بحمد الله تعالى فى أواخرها ويسمى فى أوائلها فاذا فرغ من الطعام يستحب أن يلتقط فتات الطعام ويتخلل ويقال ان من لعق القصعة وشرب ماءها كان له عتق رقبة ويقول الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات وتنزل البركات اللهم لا تجعله قوة على معصيتك ويقرأ سورة الاخلاص ولئيلاف قريش ولا يقوم حتى يرتفع الطعام والمائدة وان كان لغيره فليدع له ويقول أكل طعامكم الابرار وأفطر عندكم الصائمون وصلت عليكم الملائكة ويستحب أن يقول الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا سيدنا ومولانا ثم يتمم بغسل يديه

(فصل) واذا كان فى جمع فيصبر الى أن يمد له من هو أكبر منه سنا الا أن يكون هو المتبوع ويحدثون بما فيه خير ويرفق برفيقه ولا يحلف على أحد قال الحسن بن على رضى الله عنه الطعام أهون من أن يحلف عليه ولا بأس باعادة قوله كل ثلاثا واذا أكرمه غيره بتقديم الطشت اليه فليقبل اجتمع أنس بن مالك وثابت البنانى فقدم أنس الطشت اليه فامتنع قال أنس رضى الله عنه اذا أكرمك أخوك فاقبل كرامته ولا تردها فانما يكرم الله عز وجل ولا بأس بالاجتماع فى الطشت على غسل اليد ويستحب أن يجمع ماء الكل فى الطشت ما أمكن قال عليه الصلاة والسلام اجمعوا وضوأكم جمع الله ولا

ولا يصخب فان سابه أحد أو قاتله فليقل انى صائم رواه البخارى ومسلم قيل انه يقول ذلك بلسانه ويسمع خصمه ولا يقصد الرياء وقيل يقوله لنفسه ليذكرها انه لا يليق به المشاتمة قال النووى رحمه الله والتأويلان حسنان والاول أقوى ولو جمعهما كان حسنا وحكى الرويانى وجها ثالثا واستحسنه أنه يقول بلسانه فى صوم رمضان وفى نفسه فى صوم التطوع وعنه رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه رواه البخارى وعنه رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رب صائم ليس له من صيامه الا الجوع ورب قائم ليس له من قيامه الا السهر رواه النسائى وابن ماجه واختلفوا فى هذا فقيل هو الذى يفطر على الحرام وقيل هو الذى يمسك عن الطعام الحلال ويفطر على لحوم الناس بالغيبة وقيل هو الذى لا يحفظ جوارحه عن الآثام وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صام رمضان وعرف حدوده وتحفظ مما ينبغى أن يتحفظ منه كفر ما قبله رواه ابن حبان فى صحيحه

(الباب الرابع فى فضل ليلة القدر وليلة النصف من شعبان وليلتى العيدين)

قال الله تعالى انا أنزلناه فى ليلة القدر الى آخر السورة سميت ليلة القدر بذلك لان بالليلة تقدير الامور والاحكام قيل للحسين بن الفضل أليس قد قدر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والارض قال نعم قال فما معنى ليلة القدر قال سوق المقادير الى المواقيت وتنفيذ القضاء المقدور وروى أنه ذكر للنبى صلى الله عليه وسلم رجل من بنى اسرائيل حمل السلاح فى سبيل الله ألف شهر فتمنى عليه السلام أن يكون ذلك لامته فاعطاه الله ليلة القدر خير من ألف شهر التى حمل فيها السلاح قال المفسرون معناه عمل صالح فى ليلة القدر خير من عمل ألف شهر ليس فيها ليلة القدر تنزل الملائكة والروح يعنى جبريل فيها فى ليلة القدر باذن ربهم من كل أمر أى بكل أمر من الخير والبركة سلام قيل يريد سلام على أولياء الله وأهل طاعته وقيل هو تسليم الملائكة ليلة القدر على أهل المساجد حين تغيب الشمس الى أن يطلع الفجر عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه رواه البخارى ومسلم وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تحروا ليلة القدر فى الوتر من العشر الاواخر من رمضان رواه البخارى وله عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال التمسوها فى العشر الاواخر من رمضان ليلة القدر فى تاسعة تبقى فى سابعة تبقى فى خامسة تبقى فى ثالثة تبقى وعن عائشة رضى الله عنها قالت قلت يا رسول الله أرأيت ان علمت أى ليلة ليلة القدر ما أقول فيها قال قولى اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عنى رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح واختلف المفسرون فى قوله تعالى انا أنزلناه فى ليلة مباركة فقال قتادة وابن زيد هى ليلة القدر وقال آخرون هى ليلة النصف من شعبان قال ابن عباس رضى الله عنهما يكتب من أم الكتاب فى ليلة القدر ما هو كائن فى السنة من الخير والشر والارزاق والآجال حتى الحجاج يقال يحج فلان ويحج فلان وقال الحسن ومجاهد وقتادة يبرم فى ليلة القدر من شهر رمضان كل أجل وعمل وخلق ورزق وما يكون فى تلك السنة وقال عكرمة هى ليلة النصف من شعبان يبرم فيها أمر السنة وتنسخ الاحياء والاموات فلا يزاد فيهم أحد ولا ينقص وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال تقطع الآجال من شعبان الى شعبان حتى ان الرجل لينكح ويولد له ولقد أخرج اسمه فى الموتى وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان الله عز وجل يقضى الاقضية فى ليلة النصف من شعبان ويسلمها الى أربابها فى ليلة القدر وعن أبى بكر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ينزل الله تعالى ليلة النصف من شعبان الى سماء الدنيا فيغفر لكل نفس الا انسانا فى قلبه شحناء أو مشركا بالله تعالى وروى أبو القاسم الاصبهانى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحيا الليالى الخمس وجبت له الجنة ليلة التروية وليلة عرفة وليلة النحر وليلة الفطر وليلة النصف من شعبان وعن أبى أمامة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من قام ليلتى العيدين محتسبا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب رواه ابن ماجه

(الباب الخامس فى صوم التطوع)

شملكم وحسن أن يصب صاحب المنزل الماء على أيديهم ويغسه بدار الطشت وينبغى أن لا يفعل ما يكرهه القوم من النظر اليهم فى أكلهم ومن نفض اليد فى القصعة والامساك قبلهم اظهارا لقلة أكله قال جعفر بن محمد اذا قعدتم مع الاخوان على المائدة فاطيلوا الجلوس فانها ساعة لا تحسب عليكم من أعماركم وقال عليه الصلاة والسلام لا تزال الملائكة تصلى على أحدكم ما دامت مائدته موضوعة بين يديه حتى ترفع وقال الحسن كل نفقة ينفقها الرجل على نفسه وأبويه فمن دونهم يحاسب عليها غدا الا نفقة الرجل على اخوانه فى الطعام فانها له حجاب من النار وقال على رضى الله عنه لان أجمع اخوانى على صاع من طعام أحب الى من أن أعتق رقبة وكانوا اذا اجتمعوا على قراءة القرآن لا يتفرقون الا عن ذواق وفى الخبر يقول الله عز وجل يوم القيامة يا ابن آدم جعت فلم تطعمنى فيقول كيف أطعمك وأنت رب العالمين فيقول الله تعالى جاع أخوك المسلم فلم تطعمه ولو أطعمته كنت أطعمتنى وقال عليه الصلاة والسلام ان فى الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها لمن ألان الكلام وأطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام ولا ينبغى أن يمشى الى الطعام الذى لم يدع اليه ففى الخبر من مشى الى طعام لم يدع اليه مشى فاسقا وأكل حراما الا اذا كان يعلم من ذلك الرجل فرحه به قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحرى صوم الاثنين والخميس حسنه الترمذى وصححه ابن حبان وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرض الاعمال يوم الاثنين والخميس فاحب أن يعرض عملى وأنا صائم رواه ابن ماجه والترمذى وقال حسن غريب وعن أبى قتادة رضى الله عنه انه عليه الصلاة والسلام سئل عن صوم يوم عرفة فقال يكفر السنة الماضية والباقية وسئل عن صوم يوم عاشوراء فقال يكفر السنة الماضية رواه مسلم قال امام الحرمين رحمه الله والتكفير للصغائر دون الكبائر وقال فى الذخائر وهذا يحتاج الى دليل وفضل الله واسع قال الماوردى للتكفير تأويلان أحدهما الغفران والثانى العصمة حتى لا يعصى وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قدم النبى صلى الله عليه وسلم فرأى اليهود تصوم عاشوراء فقال ما هذا قالوا يوم صالح نجى الله فيه موسى وبنى اسرائيل من عدوهم فصامه موسى فقال انا أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه رواه البخارى ومسلم وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لئن بقيت الى قابل لأصومن التاسع رواه مسلم وفى رواية له فلم يأت العام المقبل حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية للبيهقى صوموا يوم عاشوراء وخالفوا فيه اليهود وصوموا قبله يوما وبعده يوما وعن أبى قتادة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث من كل شهر ورمضان الى رمضان فهذا صيام الدهر كله رواه مسلم وعن أبى ذر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أباذر اذا صمت من الشهر ثلاثة أيام فصم ثالث عشره ورابع عشره وخامس عشره رواه النسائى والترمذى وقال حسن وفى رواية للنسائى وصححها ابن حبان أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نصوم من الشهر ثلاثة أيام البيض ثالث عشره ورابع عشره وخامس عشره قال الشيخ جمال الدين الاسنوى رحمه الله والمعنى فى استحباب صيامها ان الحسنة بعشرة فصيامها كصيام الدهر وقدمت هذه على غيرها لانه لا يتأتى غالبا تعميم اليوم بشئ من العبادة مع اشتغاله بمصالحه الا بالصوم فلما عم النور لياليها هذه الايام ناسب تعميم أيامها بالعبادة وروى الثعلبى فى تفسيره عن على رضى الله عنه انه قال لما أهبط آدم من الجنة الى الارض أحرقته الشمس فاسود جسده فأتاه جبريل فقال يا آدم أتحب أن يبيض جسدك فقال نعم قال صم من كل شهر ثالث عشره ورابع عشره وخامس عشره فصام آدم عليه السلام أول يوم فابيض ثلث جسده وصام اليوم الثانى فابيض ثلثا جسده ثم صام اليوم الثالث فابيض جسده كله فسميت بالايام البيض وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال كانت كصيام الدهر رواه مسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل رواه مسلم وعن عائشة رضى الله عنها قالت لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم يصوم من شهر أكثر من شعبان فانه كان يصوم شعبان كله وفى رواية كان يصوم شعبان الا قليلا رواه البخارى ومسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أيام العمل الصالح فيها أحب الى الله من هذه الايام يعنى أيام العشر قالوا يا رسول الله ولا الجهاد فى سبيل الله قال ولا الجهاد فى سبيل الله الا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشئ رواه البخارى ومسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أيام أحب الى الله أن يتعبد له فيها من عشر ذى الحجة يعدل صيام كل يوم منها بصيام سنة وقيام كل ليلة منها بقيام ليلة القدر

(كتاب الحج وفيه خمسة أبواب)

(الباب الاول فى فضله وبيان تأكد وجوبه)

قال الله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين قال رجل يا رسول الله ما السبيل قال زاد وراحلة وقوله ومن كفر قال ابن عباس والحسن وعطاء جحد فرض الحج وقال مجاهد من كفر بالله واليوم الآخر قال السدى هو من وجد ما يحج به ثم لم يحج حتى مات فهو كفر به وقد روى أبو أمامة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال من لم تحبسه حاجة ظاهرة أو مرض حابس أو سلطان جائر ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال خطبنا رسول الله صلى الله

منزل أبى الهيثم بن التيهان وأبى أيوب الانصارى لاجل طعام يأكلونه وكانوا جياعا وأبو بكر وعمر رضى الله عنهما فان دخل ولم يجد صاحب الدار وعلم أنه يفرح فيقدم طعامه ويأكله ومن الآداب أن لا يقترح على أخيه شيأ معينا فلعله يعسر عليه الا اذا وثق به وان اقترح عليه أحد الشيئين فليختر أيسرهما عليه ولا بأس أن يقول لهم اقترحوا ما شئتم ففيه الثواب الجزيل فقد روى جابر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لذذ أخاه بما يشتهى كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة وأطعمه الله تعالى من ثلاث جنات جنة الفردوس وجنة عدن وجنة الخلد وان لا يقول له هل أقدم لك طعاما بل ينبغى ان يقدم له فان اشتهى أكل والا رفع هكذا قاله الثورى

(فصل) فى آداب الضيافة قال عليه الصلاة والسلام لا تتكلفوا للضيف فتبغضوه فان من أبغض الضيف فقد ابغض الله ومن أبغض الله فقد أبغضه الله والاجابة سنة للفقير والغنى وفى بعض الكتب المنزلة سر ميلا عد مريضا سر ميلين شيع جنازة سر ثلاثة أميال أجب دعوة وقال صلى الله عليه وسلم لو دعيت الى كراع لاجبت وهو موضع على أميال من المدينة أفطر عليه السلام لما بلغه فى رمضان وقصر عنده فى سفره و يفطر اذا كان صائما من التطوع

عليه وسلم فقال يا أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل أكل عام يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم ثم قال ذرونى ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فاذا أمرتكم بشئ فأتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شئ فدعوه رواه مسلم وعنه قال سئل النبى صلى الله عليه وسلم أى العمل أفضل قال ايمان بالله ورسوله قيل ثم ماذا قال الجهاد فى سبيل الله قيل ثم ماذا قال حج مبرور رواه البخارى ومسلم قال النووى رحمه الله المبرور هو الذى لا يرتكب صاحبه فيه معصية وعنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه رواه البخارى ومسلم قال النووى الظاهر انه يحصل له ذلك من حين يحرم بالحج الى أن يفرغ منه لا من حين يخرج من بلده والرفث الجماع على الصحيح المشهور والفسق المعصية قال العلماء هذا مخصوص بالمعاصى المتعلقة بحقوق الله تعالى دون المتعلقة بحقوق العباد وتوهم بعض الناس ان حقوق الله تسقط به قال ابن الملقن رحمه الله وهذا غلط فمن كان عليه صلاة أو صيام أو كفارة ونحوها من حقوق الله تعالى لا تسقط عنه به لكن ان أخرها عن وقتها المعين لها سقط بالحج اثم العصيان بالتأخير لا هى فلو أخرها بعده تجددا ثم آخر والحج المبرور كالتوبة يسقط اثم المخالفة لا الحقوق وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للحاج حين يخرج من بيته ان راحلته لا تخطو خطوة الا كتب الله له بها حسنة وحط عنه بها خطيئة فاذا وقف بعرفة فان الله عز وجل ينزل الى سماء الدنيا فيقول انظروا الى عبادى أتونى شعثا غبرا أشهدكم انى قد غفرت لهم ذنوبهم وان كانت عدد قطر السماء ورمل عالج واذا رمى الجمار لا يدرى أحد ماله حتى يتوفاه يوم القيامة واذا حلق رأسه فله بكل شعرة سقطت من رأسه نور يوم القيامة فاذا قضى آخر طوافه بالبيت خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه رواه ابن حبان فى صحيحه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جاء حاجا يريد وجه الله تعالى فقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وشفع فيمن دعا له وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قضى نسكه وسلم الناس من لسانه ويده غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج الحاج من بيته كان فى حرز الله فان مات قبل أن يقضى نسكه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وانفاق الدرهم الواحد فى ذلك الوجه يعدل أربعين ألفا فيما سواه ذكر هذه الثلاثة المنذرى فى جزئه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج حاجا فمات كتب له أجر الحاج الى يوم القيامة ومن خرج معتمرا فمات كتب له أجر المعتمر الى يوم القيامة ومن خرج غازيا فمات كتب له أجر الغازى الى يوم القيامة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج فى هذا الوجه لحج أو عمرة فمات فيه لم يعرض ولم يحاسب وقيل له ادخل الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تابعوا بين الحج والعمرة فانهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفى الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس للحجة المبرورة ثواب الا الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل بحجة أو عمرة من المسجد الاقصى الى المسجد الحرام غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ووجبت له الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الله بالحجة الواحدة ثلاثة الجنة الموصى بها والمنفذ لها ومن حج بها عن أخيه وروى أن الله عز وجل قال لابراهيم أذن فى الناس بالحج فقال رب أين يبلغ ندائى فقال الله له عليك النداء وعلى الابلاغ فصعد ابراهيم على المقام وقال عباد الله أجيبوا داعى الله فاجابه من فى أصلاب الرجال وأرحام النساء لبيك داعى ربنا لبيك فقال انه لا يحج الا من أجاب دعوة ابراهيم عليه السلام وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن أول من أجابه أهل اليمن فهم أكثر الناس حجا قال القاضى حسين الحج من الشرائع القديمة روى أن آدم عليه السلام لما حج قال له جبريل ان الملائكة كانوا يطوفون قبلك بهذا البيت سبعة آلاف سنة وفى شرح التعجيزان أول من حج آدم عليه السلام وانه حج أربعين سنة من الهند ماشيا وقيل ما من نبى الا وقد حج وروى مرفوعا ما لكت أمة نبى الا انتقل الى الكعبة وعبد الله تعالى فيها حتى مات قال القاضى

فادخال السرور على قلبه أفضل و يمتنع من الاجابة ان كان الطعام أو الموضع أو الفراش فيه شبهة أو كان الداعى فاسقا أو ظالما أو مبتدعا أو طالبا بذلك للمباهاة وينوى بالاجابة طاعة لا قضاء شهوة ولا يخرج من منزل المضيف الا باذنه (وروى أن ابن عمر) قال كنا نأكل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نمشى ونشرب ونحن قيام ويستحب أن يحمل طعام الى أهل الميت فانهم تغنم والله أعلم واليه المرجع والمآب

(الباب الثانى عشر فى آداب النكاح)

اعلم أن العلماء اختلفوا فيه حتى ذهب بعضهم الى أنه أفضل من التخلى للعبادة واعترف آخرون بفضله ولكن قدموا عليه التخلى ما لم تتق نفسه الى النكاح وذهب بعضهم الى أن الافضل فى زماننا تركه اذ غالب الاكساب محظورة واخلاق النساء مذمومة ويدل على الترغيب فيه قوله تعالى وأنكحوا الايامى منكم وقال تعالى والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين وقال النبى صلى الله عليه وسلم النكاح سنتى فمن أحب فطرتى فليستن بسنتى ويدل على الترغيب عنه قوله صلى الله عليه وسلم خير الناس بعد المائتين الخفيف الحاذ الذى لا أهل له ولا ولد وقال صلى الله عليه وسلم يأتى على الناس زمان يكون هلاك الرجل على يد زوجته وأبويه وولده يعيرونه بالفقر

حسين هو أفضل العبادات لانه يشتمل على المال والبدن ودعينا اليه فى الاصلاب كالايمان سواء فان الله تعالى أخرج ذرية آدم عليه السلام من ظهره مثل الذر ثم قال ألست بربكم قالوا بلى ثم الايمان أفضل العبادات اذ تتمة الكل به فكذا الحج الذى هو قرينه

(الباب الثانى فى فضل يوم عرفة)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الدعاء دعاء يوم عرفة وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلى لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير رواه الترمذى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفة رواه مسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رؤى الشيطان فى يوم هو أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه يوم عرفة وما ذاك الا لما يرى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عز وجل عن الذنوب العظام وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم عرفة فان الله تعالى ينزل الى السماء الدنيا فيباهى بهم الملائكة فيقول انظروا الى عبادى أتونى شعثا غبرا ضاجين من كل فج عميق أشهدكم انى قد غفرت لهم فتقول الملائكة يارب فلان كان يرهق وفلان وفلانة قال يقول الله عز وجل قد غفرت لهم وقال بعض السلف اذا وافق يوم عرفة يوم الجمعة غفر لكل أهل عرفة وهو أفضل يوم فى الدنيا فيه حج صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وكان واقفا اذ نزل قوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم

(الباب الثانى فى فضل المساجد الثلاثة وفيه ثلاثة فصول)

(الفصل الاول فى فضل مسجد مكة) قال الله تعالى ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا اختلف المفسرون فى قوله تعالى ان أول بيت وضع للناس فقال بعضهم هو أول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السماء والارض خلقه الله قبل الارض بألفى عام وكانت زبدة بيضاء على الماء فدحيت الارض من تحته هذا قول ابن عمر ومجاهد وقتادة والسدى وقال بعضهم هو أول بيت بنى فى الارض روى عن على بن الحسين ان الله تعالى وضع تحت العرش بيتا وهو البيت المعمور وأمر الملائكة أن يطوفوا به ثم أمر الملائكة الذين هم سكان الارض أن يبنوا فى الارض بيتا على مثاله وقدره فبنوا وأمر من فى الارض أن يطوفوا به كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور وروى أن الملائكة بنوه قبل خلق آدم بألفى عام وكانوا يحجونه فلما حجه آدم قالت الملائكة بر حجك حججنا هذا البيت قبلك بألفى عام وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال أراد به انه أول بيت بناه آدم فى الارض وقيل هو أول بيت مبارك وضع هدى للناس يعبد الله فيه يحج الناس اليه وقيل أول بيت جعل قبلة للناس وقال الحسن والكلبى معناه انه أول مسجد ومتعبد وضع للناس عن أبى ذر رضى الله عنه قال قلت يارسول الله أى مسجد وضع فى الارض أولا قال المسجد الحرام قلت ثم أى قال المسجد الاقصى قلت كم كان بينهما قال أربعون سنة ثم أينما أدركتك الصلاة فصل فان الفضل فيه رواه البخارى ومسلم قال ابن القيم فى كتاب الهدى وقد استشكل هذا الحديث على من لم يعرف المراد فقال معلوم أن سليمان بن داود عليهما السلام هو الذى بنى المسجد الاقصى وبينه وبين ابراهيم عليه السلام أكثر من ألف عام قال ابن القيم وهذا من جهل هذا القائل فان سليمان انما كان له من المسجد الاقصى تجديده لا تأسيسه والذى أسسه هو يعقوب بن اسحق عليهما السلام بعد بناء ابراهيم الكعبة بهذا المقدار قوله تعالى فيه آيات بينات مقام ابراهيم هو الحجر الذى قام عليه ابراهيم حين بنى البيت وكان أثر قدميه فيه ثم زال من كثرة المسح بالايدى ومنها الحجر الاسود والحطيم وزمزم والمشاعر كلها ومن الآيات أن الطير لا تعلوه فى الطيران وان الجارحة اذا قصدت صيدا فدخل الحرم كفت عنه قوله ومن دخله كان آمنا كان العرب فى الجاهلية يقتل بعضهم بعضا ويغير بعضهم على بعض ومن دخل الحرم كان آمنا من القتل والغارة وقيل ان من دخله معظما له متقربا الى الله كان يوم القيامة آمنا من العذاب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل قد وعد هذا البيت أن يحجه فى كل سنة ستمائة ألف فان نقصوا كملهم الله عز وجل بالملائكة وأن الكعبة تحشر كالعروس المزفوفة وكل من حجها متعلق بأستارها يسعون حولها

حتى

ويكلفونه ما لا يطيق فيدخل المداخل التى يذهب فيها دينه فيهلك (فصل فى فوائد النكاح) هى كثيرة فمنها الولد الصالح وكسر الشهوة وتدبير المنزل وكثرة العشيرة وثواب المجاهدة فى القيام بنفقتهم فان كان الولد صالحا لحقه بركة دعائه وان توفى كان له شفيعا وآفات النكاح انه يعسر عليه الانفاق من الحلال وطلبه وهو واجب ولعله أيضا يقصر عن القيام بحقها فلها حقوق ويلزمه حسن الاحتمال والرفق بهن وهذا لا يقوى عليه الا الاقوياء ومن الآفات العظيمة أن يكون الاهل والولد شاغلين عن دوام ذكر الله تعالى وسلوك طريق الآخرة ولعله يورث البخل فى الغالب وهو من المهلكات وقد نبهناك على الفوائد والآفات وهو يختلف باختلاف الاشخاص والاحوال فاختبر حالك واختر لنفسك ما هو أقرب لك الى طريق الآخرة والله أعلم

(فصل) فيما يختار حالة العقد من أحوال المرأة وشروط العقد وشروطه حتى ينعقد أربعة اذن الولى فان لم يكن فالسلطان ورضا المرأة ان كانت ثيبا بالغة وحضور شاهدين ظاهرى العدالة وينعقد بمستورى الحال وايجاب وقبول متصل بلفظ الانكاح أو التزويج أو معناهما الخاص بكل لسان من شخصين مكلفين ليس فيهما امرأة سواء كانا هما الزوج والولى أو وكيلهما وأما آدابه فتقديم الخطبة مع الولى لا فى حال

حتى تدخل الجنة فيدخلون معها وفى الخبر أن الحجر ياقوتة من ياقوت الجنة وانه يبعث يوم القيامة له عينان ولسان ينطق به يشهد لمن استلمه بحق وصدق وفى الحديث الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام قال النووى رحمه الله اختلف العلماء فى المراد بهذا الاستثناء على حسب اختلافهم فى مكة والمدينة أيهما أفضل ومذهب الشافعى وجماهير العلماء أن مكة أفضل من المدينة وأن مسجد مكة أفضل من مسجد المدينة وعكسه مالك وطائفة فعند الشافعى والجمهور معناه الا المسجد الحرام فان الصلاة فيه أفضل من الصلاة فى مسجدى وعند مالك وموافقيه الا المسجد الحرام فان الصلاة فى مسجدى تفضله بدون الالف قال القاضى عياض أجمعوا على أن موضع قبره صلى الله عليه وسلم أفضل بقاع الارض وأن مكة والمدينة أفضل بقاع الارض واختلفوا فى أفضلهما ما عدا موضع قبره صلى الله عليه وسلم فقال عمر وبعض الصحابة ومالك وأكثر المدنيين المدينة أفضل وقال أهل مكة والكوفيون والشافعى وابن وهب وابن حبيب المالكيان مكة أفضل قال النووى رحمه الله ومما احتج به أصحابنا لتفضيل مكة حديث عبد الله بن عدى بن الحمراء رضى الله عنه انه سمع النبى صلى الله عليه وسلم وهو واقف على راحلته بمكة يقول والله انك لخير أرض الله وأحب أرض الله الى الله ولولا أنى أخرجت منك ما خرجت رواه الترمذى والنسائى قال الترمذى وهو حديث حسن صحيح وعن عبد الله بن الزبير رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من مائة صلاة فى مسجدى حديث حسن رواه أحمد بن حنبل فى مسنده والبيهقى وغيرهما باسناد حسن والله أعلم

(الفصل الثانى فى فضل مسجد النبى صلى الله عليه وسلم) تقدم قوله صلى الله عليه وسلم صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال صلاة فى مسجد المدينة بعشرة آلاف صلاة وصلاة فى المسجد الاقصى بألف صلاة وصلاة فى المسجد الحرام بمائة ألف صلاة وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة وفى معنى الحديث قولان أحدهما أن ذلك الموضع بعينه ينقل الى الجنة والثانى ان العبادة فيه تؤدى الى الجنة وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فانى أشفع لمن مات بها صححه الترمذى وفى مسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لا يثبت أحد على لأوائها وجهدها الا كنت له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة

(الفصل الثالث فى فضل المسجد الاقصى) قال الله سبحانه وتعالى سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله سمى بيت المقدس أقصى لانه أبعد المساجد التى تزار وقيل لبعده من المسجد الحرام الذى باركنا حوله بالانهار والاشجار والثمار وقال مجاهد سماه مباركا لانه مقر الانبياء ومهبط الملائكة والوحى ومنه يحشر الناس يوم القيامة وقيل قوله باركنا حوله من بركة نشأت منه فعمت جميع الارض لان مياه الارض كلها أصل انفجارها من تحت الصخرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الاقصى وروى أحمد فى المسند أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الدجال يطوف الارض الا أربعة مساجد مسجد المدينة ومسجد مكة والاقصى والطور وعن ميمونة مولاة النبى صلى الله عليه وسلم أنها قالت يا نبى الله أفتنا فى بيت المقدس قال أرض المحشر والمنشر ائتوه وصلوا فيه فان صلاة فيه بألف صلاة أخرجه الامام أحمد وابن ماجه وأبو داود وفى رواية لاحمد عن بعض نساء النبى صلى الله عليه وسلم أنها قالت يا رسول الله فان لم تستطع احدانا أن تأتيه قال اذا لم تستطع احداكن أن تأتيه فلتبعث اليه زيتا يسرج فيه فان من بعث اليه زيت يسرج كان كمن صلى فيه وروى بعضه أبو داود وقال وهب بن منبه قال الله تعالى لصخرة بيت المقدس لاضعن عليك عرشى ولاحشرن عليك خلقى وليأتينك داود يومئذ راكبا وقيل فى قوله تعالى واستمع يوم يناد المنادى من مكان قريب أنه ملك قائم على

عدتها ولا فى حال سبق خطبة من غيره فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخطبة على الخطبة ومن آدابه الخطبة قبل النكاح ومزج التحميد بالايجاب والقبول فيقول المزوج بسم الله والحمد لله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجتك فيقول الزوج كذلك ثم يقول قبلت نكاحها على هذا الصداق والقاء أمر الزوج على البكر مستحب فانه أقرب الى الالفة وكذلك يستحب تقديم النظر اليها ومن الآداب احضار جمع من أهل الصلاح للاستظهار وراء العدلين وينبغى أن ينوى بالنكاح غض البصر وطلب الولد الصالح وتكثير الامة ومن الشرائط أن لا تكون رقيقة ما دام الزوج قادرا على مهر الحرة ولا تكون محرمة من الرضاع فانه يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب والمحرم خمس رضعات وما دونها لا يحرم وأما الخصال المطلوبة لدوام العيش فثمانية الدين والخلق الحسن وخفة المهر والولادة والبكارة والنسب وأن لا تكون قرابة قريبة فكل ذلك مما دلت عليه الآثار والاخبار

(فصل) فى آداب المعاشرة وما على الزوج والزوجة أما الزوج فعليه الوليمة قال عليه الصلاة والسلام أولم ولو بشاة وعليه حسن المعاشرة والرعاية وحسن السياسة فى الغيرة والنفقة والتعليم والقسم والتأديب فى النشوز والوقاع ويكره العزل واذا ولد له ولد فيؤذن فى أذن المولود كذلك روى عنه صلى الله

صخرة بيت المقدس فينادي أيتها العظام البالية والاوصال المتقطعة ويا عظاما نخرة ويا أكفانا فانية ويا قلوبا خاوية ويا أبدانا فاسدة ويا عيونا سائلة قوموا العرض رب العالمين قال قتادة المنادي هو صاحب الصور ينادي من الصخرة من بيت المقدس قال كعب وهي أقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا وقيل باثني عشر ميلا وقيل ان المنادي جبريل عليه السلام قال الغزالي رحمه الله يروى ان عمر رضي الله عنه خرج من المدينة قاصدا بيت المقدس حتى صلى فيه الصلوات الخمس ثم كر عنه راجعا من الغد الى المدينة وقد سأل سليمان صلوات الله وسلامه عليه ربه عز وجل ان من قصد هذا المسجد لا يعنيه الا الصلاة فيه ان لا تصرف نظرك عنه ما دام مقيما فيه حتى يخرج منه وان تخرجه من ذنوبه كيوم ولدته أمه فأعطاه الله ذلك

(الباب الرابع في فضل ماء زمزم)

عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ماء زمزم لما شرب له (وحكي) عن الشافعي رضي الله عنه انه قال شربته لثلاث للرمي فكنت أصيب التسعة من عشرة والعشرة من عشرة وللعلم فها أنا كما ترونى ولدخول الجنة وأرجو حصول ذلك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في ماء زمزم انه مبارك انها طعام طعم وشفاء سقم وعن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تحمل من ماء زمزم وتخبر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحمله ويروى ان مياه الارض ترفع قبل يوم القيامة غير زمزم

(الباب الخامس في زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم)

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من زار قبري وجبت له شفاعتي رواه ابن خزيمة في صحيحه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زارني بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجد سعة ولم يفد الي فقد جفاني وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أحد يسلم علي الارد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام رواه أبو داود (خاتمة) نختم بها كتاب الحج روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج الحاج حاجا بنفقة طيبة ووضع رجله في الغرز فنادى لبيك اللهم لبيك ناداه مناد من السماء لبيك وسعديك زادك حلال وراحلتك حلال وحجك مبرور غير مأزور واذا خرج بالنفقة الخبيثة فوضع رجله في الغرز فنادى لبيك ناداه مناد من السماء لا لبيك ولا سعديك زادك حرام ونفقتك حرام وحجك مأزور غير مبرور رواه الطبراني الغرز ركاب من جلد قال أحمد بن الحواري كنت مع أبي سليمان الداراني فلما أحرمنا وسرنا قدر ميل أخذه كالغشية ثم أفاق قال يا أحمد ان الله عز وجل أوحى الى موسى مر ظلمة بني اسرائيل أن يقلوا من ذكري فاني أذكر من ذكرني منهم باللعنة ويحك يا أحمد بلغني أنه من حج من غير حله ثم لبى الله تعالى قال الله تعالى له لا لبيك ولا سعديك حتى ترد ما في يديك فما نأمن أن يقال لنا مثل ذلك وقال سفيان بن عيينة حج علي بن الحسين رضي الله عنهما فلما أحرم واستوت به راحلته اصفر لونه وانتفض ووقعت عليه الرعدة ولم يستطع أن يلبي فقيل له لم لا تلبي فقال أخشى أن يقول لي لا لبيك ولا سعديك فلما لبى غشي عليه وسقط عن راحلته فلم يزل يعتريه ذلك حتى قضى حجه وروي في حديث من طريق أهل البيت اذا كان آخر الزمان خرج الناس للحج أربعة أصناف سلاطينهم للنزهة وأغنياؤهم للتجارة وفقراؤهم للمسئلة وقراؤهم للسمعة

(قصة أصحاب الفيل)

مختصرة من كتاب معالم التنزيل روي أن رجلا من أهل الحبشة يقال له أبرهة الاشرم بن الصباح كان عظيم الشان فيهم رأى الناس يتجهزون أيام الموسم الى مكة لحج البيت فبنى كنيسة بصنعاء وأراد أن يصرف الحاج العرب فسمع به رجل من العرب من كنانة فخرج اليها فدخلها ليلا وأحدث فيها ولطخ بالعذرة قبلتها فبلغ ذلك أبرهة وقيل له صنع ذلك رجل من العرب من أهل ذلك البيت سمع بالذي قلت فحلف أبرهة عند ذلك ليسيرن الى الكعبة حتى يهدمها فلما أتى مكة أرسل الى عبد المطلب اني لم آت لقتال وانما جئت لهدم هذا البيت فقال عبد المطلب ماله عندنا قتال ولا لنا يد الا أن نخلي بينه وبين ما جاء له فان هذا بيت الله الحرام وبيت ابراهيم

علي وسلم وان يحسن اسمه قال عليه الصلاة والسلام انكم تدعون يوم القيامة باسمائكم فأحسنوا أسماءكم ومن كان له اسم يكرهه فيستحب تبديله فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عليه الصلاة والسلام لا تجمعوا بين اسمي وكنيتي ويستحب التحنيك بالتمر أو بحلاوة وعلى المرأة طاعته في جميع الاحوال والشفقة على أحواله وأمواله والرفق بأقاربه وقد روي أنه عليه الصلاة والسلام قال حرم الله على كل آدمي دخول الجنة قبلي غير أني أنظر عن يميني فاذا امرأة تبادرني فأقول ما لهذه تبادرني الباب فيقال لي يا محمد هذه امرأة حسناء وكان عندها يتامى لها فصبرت عليهن حتى بلغ أمرهم الذي بلغ فشكر الله تعالى لها ذلك وروي أنه عليه السلام قال لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت أكثر من ثلاثة أيام الا المرأة على الزوج أربعة أشهر وعشرا ويلزمها لزوم مسكن النكاح الى آخر العدة والله أعلم

(الباب الثالث عشر في آداب الكسب والمعاش وفصول)

يدل على فضله قوله عليه الصلاة والسلام من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهم في طلب المعيشة وقال عليه الصلاة والسلام التاجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع الصديقين والشهداء وفي الخبر ان الله تعالى يحب المؤمن المحترف وقد ورد أيضا قوله صلى

خليله

خليله عليه السلام فان منعه فهو بيته وحرمه وان خلى بينه وبين ذلك فوالله ما لنا به قوة ثم انه اجتمع بأبرهة وفيما قال له ولهذا البيت رب سيمنعه قال أبرهة ما كان ليمنعه مني قال فانت وذاك فلما خرج عبد المطلب من عنده أخبر قريشا وأمرهم أن يتفرقوا في الشعاب تخوفا عليهم من معرة الجيش ففعلوا وأتى عبد المطلب الكعبة وأخذ بحلقة الباب وقال

يارب لا أرجو لهم سواكا * يارب فامنع منهم حماكا
ان عدو البيت من عاداكا * امنعهم أن يخربوا قراكا

وأبياتا أخر ثم ترك عبد المطلب الحلقة وتوجه في بعض تلك الوجوه مع قومه وكان أبرهة معه فيل لم ير مثله في العظم والقوة يقال له محمود ويقال كان معه اثنا عشر فيلا فجاء بفيل فأخذ باذن الفيل فقال ابرك محمود وارجع من حيث جئت فانك في البلد الحرام فبرك فضرب بالمعول في رأسه فأبى القيام فوجهوه راجعا الى اليمن فقام يهرول ووجهوه الى الشام ففعل مثل ذلك ووجهوه الى المشرق ففعل مثل ذلك فضربوه ووجهوه الى الحرم فبرك وأبى أن يقوم فلما عزم القوم على هدم البيت أرسل الله تعالى طيرا من البحر أمثال الخطاطيف مع كل طائر منها ثلاثة أحجار حجران في رجليه وحجر في منقاره أمثال الحمص والعدس فلما غشين القوم أرسلتها عليهم فلم تصب تلك الحجارة أحدا الا هلك وليس كل القوم أصابت وخرجوا هاربين لا يهتدون الى الطريق الذي جاؤا منه وخرج القوم وماج بعضهم في بعض يتساقطون بكل طريق ويهلكون على كل منهل وبعث الله على أبرهة داء في جسده فجعل تتساقط أنامله فانتهى الى صنعاء وهو مثل فرخ الطير وما مات حتى انصدع صدره من قلبه ثم هلك وكان ذلك في العام الذي ولد فيه النبي صلى الله عليه وسلم على قول الاكثرين

(باب فضل يوم عاشوراء وصيامه)

عن أبي قتادة رضي الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام سئل عن صوم يوم عرفة فقال يكفر السنة الماضية والباقية وسئل عن صوم يوم عاشوراء فقال يكفر السنة الماضية رواه مسلم قال الاسنوي قال الامام والتكفير للصغائر دون الكبائر وقال في الذخائر وهذا يحتاج الى دليل وفضل الله واسع قال الماوردي للتكفير تأويلان أحدهما الغفران والثاني العصمة حتى لا يعصي وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فرأى اليهود تصوم عاشوراء فقال ما هذا قالوا يوم صالح نجى الله فيه موسى وبني اسرائيل من عدوهم فصامه موسى فقال أنا أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه رواه البخاري ومسلم وعنه قال لما صام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم عاشوراء وأمر بصيامه قالوا يا رسول الله انه يوم تعظمه اليهود والنصارى فقال فاذا كان العام المقبل ان شاء الله صمنا اليوم التاسع قال فلم يأت العام المقبل حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه مسلم وفي رواية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صوموا يوم عاشوراء وخالفوا اليهود صوموا قبله يوما وبعده يوما رواه أحمد وروى شعبة عن أبي الزبير عن جابر مرفوعا من وسع على نفسه وأهله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر سنته قال جابر وأبو الزبير وشعبة جربناه فوجدناه كذلك وخص يوم عاشوراء بخصائص منها أن الله تاب فيه على آدم وفيه رفع ادريس الى السماء الرابعة وفيه استوت سفينة نوح على الجودي وأغرق قومه قال معمر ركب نوح في السفينة في رجب في عشر بقين منه ونزل من السفينة يوم عاشوراء وفيه ولد الخليل وموسى وعيسى صلوات الله عليهم وفيه بردت النار على ابراهيم عليه السلام وفيه أخرج يوسف من الجب وفيه رد على يعقوب عليه السلام بصره وفيه أعطى سليمان الملك وفيه خرج يونس من بطن الحوت وتاب الله على قومه وفيه كشف عن أيوب الضر وفيه استجاب الله دعوة زكريا حين استوهب يحيى عليهما السلام وهو يوم الزينة الذي غلب موسى فيه السحرة وفيه نجى الله موسى وقومه وأغرق فرعون وجنوده وفيه تكسى الكعبة في كل عام ذكره ابن بطال عن ابن حبيب وسمي يوم عاشوراء بذلك لانه عاشر المحرم وقيل لانه عاشر كرامة أكرم الله عز وجل بها هذه الامة وقيل لان الله تعالى أكرم فيه عشرة من الانبياء عليهم السلام حكاها المنذري ولم يزل يوم عاشوراء معظما عند أهل الاسلام حتى اتفق فيه قتل الحسين رضي

الله عليه وسلم ما أوحي الي أن اجمع المال وكن من التاجرين ولكن أوحي الي أن سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين واعلم أن السؤال لا يخلو عن نوع من الكراهية فالكسب أولى الا في حق من يتعلق به مصالح المسلمين فعند ذلك يكون ترك الكسب والقيام بتلك المصالح أولى فيكفي من مال المصالح أو غيرها ولهذا أشارت الصحابة على أبي بكر رضي الله عنه لما ولي الخلافة بترك التجارة فتركها وكان يكفي من مال المصالح وهو يقوم بمصالح الخلق

(فصل) في بيان شروط صحة المعاملات أما البيع فله ثلاثة أركان العاقد والمعقود عليه واللفظ فلا ينبغي أن يعامل أربعا الصبي والمجنون والعبد والاعمى ويجوز البيع من الكافر ولكن لا يباع منه المصحف والعبد المسلم ولا يباع منه السلاح ان كان من أهل الحرب ولا يجوز بيع الخمر والودك النجس والعاج ولا شراؤها ويجوز بيع الدهن الذي نجس بوقوع نجاسة فيه ولا يجوز بيع الكلب والحشرات والملاهي ويجوز بيع ما عليه الصور من الفرش واستعمالها لقوله عليه السلام لعائشة رضي الله عنها اتخذي منها نمارق ولا يجوز استعمالها منصوبة ويجوز موضوعة وينبغي أن يكون معلوما كما مقدورا على تسليمه معلوم العين وينبغي أن يأتي

الله عنه وكثير من أهل البيت فسمعوا أن بنى أمية اتخذوه عيدا يتزينون فيه وأقاموا الضيافات فاتخذته الشيعة يوم عزاء ينوحون فيه ويبكون ويجتنبون الزينة قال الشيخ سراج الدين بن الملقن رحمه الله فى شرح البخارى ما ورد فى صلاة ليلة عاشوراء ويوم عاشوراء وفى فضل الكحل يوم عاشوراء لا يصح ومن ذلك حديث جبير عن الضحاك عن ابن عباس رفعه من اكتحل بالاثمد يوم عاشوراء لم يرمد ابدا وهو حديث وضعه قتلة الحسين قال الامام أحمد والاكتحال يوم عاشوراء لم يرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه أثر وهو بدعة ومن أغرب ما روى فيه أنه عليه الصلاة والسلام قال فى الصرد انه أول طائر صام عاشوراء وهذا من قلة الفهم فان الطائر لا يوصف بالصوم قال الحاكم وضعه قتلة الحسين هذا آخر كلام ابن الملقن

(كتاب تلاوة القرآن وفيه ثمانية أبواب)

(الباب الاول فى فضل تلاوة القرآن وحملته)

قال الله تعالى ان الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور الآية وقال تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير جنات عدن يدخلونها الآية قال ابن عباس وأراد بقوله تعالى الذين اصطفينا من عبادنا أمة محمد صلى الله عليه وسلم ثم قسمهم ورتبهم فقال فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات روى عن أسامة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم كلهم من هذه الامة وعن عمر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له وعن أبى الدرداء رضى الله عنه أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية قال أما السابق بالخيرات فيدخل الجنة بغير حساب وأما المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا وأما الظالم لنفسه فيحبس فى المقام حتى يدخله الهم ثم يدخل الجنة ثم قرأ الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن وقال عقبة بن صهبان سألت عائشة عن قول الله تعالى ثم أورثنا الكتاب الآية فقالت يا بنى كلهم فى الجنة أما السابق بالخيرات فمن مضى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد له بالجنة وأما المقتصد فمن اتبع أثره من أصحابه حتى لحق به وأما الظالم فمثلى ومثلكم فجعلت نفسها معنا وعن الحسن رحمه الله قال السابق من رجحت حسناته على سيئاته والمقتصد من استوت حسناته وسيئاته والظالم من رجحت سيئاته على حسناته وقيل الظالم أصحاب الكبائر والمقتصد أصحاب الصغائر والسابق الذى لم يرتكب صغيرة ولا كبيرة وقال الوراق رتبهم هذا الترتيب على مقامات الناس لان أحوال العبد ثلاثة معصية وغفلة ثم توبة ثم قربة فاذا عصى دخل فى حيز الظالمين فاذا تاب دخل فى جملة المقتصدين فاذا صحت التوبة وكثرت العبادة والمجاهدة دخل فى عداد السابقين قال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى ثم رددناه أسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات الا الذين قرؤا القرآن وقال من قرأ القرآن لم يرد الى أرذل العمر فلهم أجر غير ممنوع مقطوع لانه يكتب له كصالح ما كان يعمل قال الضحاك أجر بغير عمل وقال ابراهيم فى قوله تعالى ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان الانسان اذا عمر فى الدنيا وهرم لفى نقص وتراجع الا المؤمنين فانهم يكتب لهم أجورهم ومحاسن أعمالهم التى كانوا يعملونها فى شبابهم وصحتهم وفى صحيح البخارى عن عثمان رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيركم من تعلم القرآن وعلمه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة والذى يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران رواه البخارى ومسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين رواه مسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤا القرآن فانه يأتى يوم القيامة شفيعا لاصحابه رواه مسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حسد الا فى اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وأطراف النهار ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار رواه البخارى ومسلم الحسد يطلق ويراد به تمنى زوال النعمة عن المحسود وهذا حرام ويطلق ويراد به الغبطة وهو تمنى مثل ماله وهذا لا بأس به وهو المراد هنا

بلفظ الايجاب والقبول وفى المحقرات والمطعومات قول أو وجه خرجه ابن سريج انه يكفى فيها المعاطاة لمسيس الحاجة وأما الربا فقد ورد فيه تهديدات كثيرة فاحترز منه والسلم مباح وكذا الاجارة وشرائطها مستوفاة فى كتب الفقه فلتطالع

(فصل) فى بيان العدل والاحسان واجتناب الظلم فى المعاملات اعلم أن المعاملة قد يفتى المفتى فيها بالصحة ولكن تشتمل على نوع من الظلم يتعرض به العامل لسخط الله تعالى فمنه الاحتكار وهو فى الطعام والمحتكر ملعون وفيه تشديدات عظيمة ومنه اخفاء العيوب فان فيه خيانة ومنها تعديل الميزان ففى تركه تغليظات عظيمة وفيه قوله تعالى ويل للمطففين وبالجملة فجميع أنواع التلبيس محرم فلا يجوز أن يقدم على شئ لا يريد شراءه ويطلب ما فوق ثمنه ترغيبا للمشترى فيه ونهى عن بيع حاضر لباد ولو اشترى الشئ بمحاباة من رفيقه أو ولده فليذكره للمشترى حتى لا يعول على شرائه وينبغى أن يحسن وهو أن لا يغبن غيره بما لم تجر العادة بمثله والمساهلة فى البيع والشراء مندوب اليها قال عليه الصلاة والسلام رحم الله امرأ سهل البيع سهل الشراء سهل القضاء سهل الاقتضاء فمن اغتنم دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون فى معاملته ربح الدنيا والآخرة وقال صلى الله عليه وسلم من أنظر معسرا أو ترك له

وقال

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حرفا من كتاب الله تعالى فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول الم حرف ألف حرف ولام حرف وميم حرف رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الرب سبحانه وتعالى من شغله القرآن وذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين وفضل كلام الله سبحانه وتعالى على سائر الكلام كفضل الله تعالى على خلقه رواه الترمذى وقال حديث حسن وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذى ليس فى جوفه شئ من القرآن كالبيت الخرب رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن مثل الاترجة ريحها طيب وطعمها طيب ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو ومثل المنافق الذى يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ومثل المنافق الذى لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر رواه البخارى ومسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا فان منزلتك عند آخر آية تقرأ رواه أبو داود والنسائى والترمذى وقال حديث حسن صحيح وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن وعمل بما فيه ألبس والداه تاجا يوم القيامة ضوءه أحسن من ضوء الشمس فى بيوت الدنيا فما ظنكم بالذى عمل بهذا رواه أبو داود وروى الدارمى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال اقرؤا القرآن فان الله لا يعذب قلبا وعى القرآن وان هذا القرآن مأدبة الله فمن دخل فيه فهو آمن ومن أحب القرآن فليبشر وعن على رضى الله عنه من قرأ القرآن وهو قائم فى الصلاة فله بكل حرف مائة حسنة ومن قرأ وهو جالس فى الصلاة فله بكل حرف خمسون حسنة ومن قرأ فى غير الصلاة وهو على وضوء فخمس وعشرون حسنة ومن قرأ على غير وضوء فعشر حسنات وفى الحديث القرآن غنى لا فقر بعده ولا غنى دونه (وحكى) عن بعض القراء انه اشتد به الفقر حتى ضاق به ذرعا فرأى فى المنام كان قائلا يقول له أتود أنا أنسيناك سورة الانعام ولك ألف دينار قال لا قال فسورة هود قال لا قال فسورة يوسف قال لا قال فعلك قيمة مائة ألف وأنت تشكو فاصبح وقد سرى عنه

(الباب الثانى فى فضل الفاتحة وذكر أسمائها)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى بن كعب كيف تقرأ القرآن فى الصلاة فقرأ أم القرآن فقال والذى نفسى بيده ما أنزلت فى التوراة ولا فى الانجيل ولا فى الزبور ولا فى القرآن سورة مثلها فانها السبع المثانى والقرآن العظيم الذى أعطيت وعن الحسن أن الله تعالى أنزل مائة وأربعة كتب وأودع علومها فى أربعة فى التوراة والانجيل والزبور والقرآن وأودع علم القرآن فى المفصل وهو من الحجرات الى آخر القرآن وأودع ذلك فى الفاتحة ففيها علم كل كتاب أنزله الله تعالى ومن قرأها فكانما قرأ جميع الكتب المنزلة وبيان ذلك أن جميع أسماء الله تعالى فى ضمن اسمه الله هذا هو الاسم الجامع وفيه معنى الجلال وفى الرحمن الرحيم معنى الجمال وكل ما ورد من الثناء الحسن على الله تعالى فى قوله الحمد لله فان الحمد جامع لكل ثناء حسن وكل ما ورد فى ذكر المخلوقات فى قوله رب العالمين فان العالم لفظة تدل على كل موجود سوى الله تعالى وكل ما ورد من الاكرام والانعام والاحسان الى سائر الخلق فى ضمن قوله الرحمن الرحيم وكل ما ورد فى ذكر القيامة والحساب والثواب والعقاب فى ضمن قوله مالك يوم الدين وكل ما ورد فى الاحكام من الامر والنهى وجميع الفقه فى ضمن قوله اياك نعبد وكل ما ورد فى التوحيد ورؤية الافعال من الله تعالى وعدم ملاحظة الاسباب فى ضمن قوله واياك نستعين وكل ما ورد فى سلوك الطريق من التوبة والمحاسبة والخوف والرجاء والمراقبة والحياء والزهد والورع وغير ذلك فى ضمن قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم وكل ما ورد فى ذكر الانبياء والاولياء والصديقين والشهداء والصالحين فى ضمن قوله صراط الذين أنعمت عليهم وقد بين الله تعالى ذلك فى قوله أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وكل ما ورد فى ذكر الاعداء من الكفار والفجار والمنافقين فى ضمن قوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين وكل ما ورد فى القرآن مفصلا ورد فى الفاتحة مجملا ولذلك سميت أم القرآن وأم الكتاب وفاتحة الكتاب وتسمى الكافية لانها

حاسبه الله حسابا يسيرا ومن الاحسان أن يقيل من يستقبله قال عليه الصلاة والسلام من أقال نادما صفقته أقال الله تعالى عثرته يوم القيامة

(فصل) وينبغى أن لا تشغلك التجارة فتطلب الربح فى الدنيا وتضيع رأس المال فى الآخرة فتخسر خسرانا مبينا فلتكن نيتك من التجارة الكسب فى طلب الحلال والتعفف عن السؤال وتحصيل الزاد لتتفرغ به لطلب الآخرة واعلم أن السلف رضى الله تعالى عنهم كرهوا أخذ الاجرة على ما هو من قبيل العبادات وفروض الكفايات كغسل الاموات ودفنهم والاذان وصلاة التراويح واذا كان يريد بتجارته ما قدمناه فلا يشغله سوق الدنيا عن سوق الآخرة وهو المساجد قال الله تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وذلك بان يلازم من أول الصبح الى ضحوة النهار المساجد ويرجع اليها عند فرائض الصلوات فكلما قرع الاذان سمعه يترك ما هو فيه من المعاملات الدنيوية كان بعضهم اذا سمع الاذان وقد رفع المطرقة لا يوقعها بل يتركها وليكن بقلبه فى السوق ذاكرا الله تعالى فقد ورد فيه فضائل وقال صلى الله عليه وسلم من دخل السوق فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لا يموت بيده الخير وهو على كل شئ قدير كتب الله له ألف ألف حسنة وينبغى أن يكون مراقبا للمعاملة حتى لا يجرى فيهما ما يتعذر عليه الخروج من

تكفى فى الصلاة فما كان منها من الثناء فعلى الله وما كان منها من الدعاء فللعبد حكى هذا الكلام جميعه عن الشيخ العالم عبد العزيز الدرينى رحمه الله تعالى وذكر القرطبى رحمه الله فى تفسيره للفاتحة اثنى عشر اسما (الاول) الصلاة قال الله تعالى قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين الحديث (الثانى) الحمد لانه فيها ذكر الحمد كما يقال سورة الاعراف والانفال والتوبة ونحوها (الثالث) فاتحة الكتاب لانه يفتتح قراءة القرآن بها وكتابة المصحف (الرابع) أم الكتاب جوزه الجمهور وكرهه أنس والحسن وابن سيرين قال الحسن أم الكتاب الحلال والحرام قال الله تعالى آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات وقال أنس وابن سيرين أم الكتاب اللوح المحفوظ قال الله تعالى وانه فى أم الكتاب (الخامس) أم القرآن جوزه الجمهور وكرهه أنس وابن سيرين والاحاديث الثابتة ترد هذين القولين روى الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثانى وقال هذا الحديث حسن صحيح (السادس) السبع المثانى لانها تثنى فى كل ركعة (السابع) القرآن العظيم سميت بذلك لتضمنها علوم جميع القرآن وذلك لانها تشمل الثناء على الله عز وجل باوصاف كماله وجلاله وعلى الامر بالعبادات والاخلاص فيها والاعتراف بالعجز عن القيام بشئ منها الا باعانة الله تعالى وعلى الانتهاء اليه فى الهداية الى الصراط المستقيم وكفاية أحوال الناكثين وعلى عاقبة بيان الجاحدين (الثامن) الشفاء روى الدارمى عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتحة الكتاب شفاء من كل سم (التاسع) الرقية ثبت ذلك من حديث أبى سعيد الخدرى وفيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للرجل الذى رقى سيد الحى ما أدراك أنها رقية فقال يا رسول الله شئ ألقى فى روعى الحديث (العاشر) الاساس قال ابن عباس رضى الله عنهما لكل شئ أساس وأساس القرآن الفاتحة (الحادى عشر) الوافية لانها لا تتنصف ولو قرأ من سائر السور نصفها فى ركعة ونصفها فى ركعة لاجزأ ولو تنصفت الفاتحة فى ركعتين لم تجز (الثانى عشر) الكافية لانها تكفى عن سواها ولا يكفى سواها عنها يدل عليه ما روى محمد بن خلاد الاسكندرانى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أم القرآن عوض من غيرها وليس غيرها عوضا منها

(الباب الثالث فى فضل تعليم القرآن وتعلمه)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيركم من تعلم القرآن وعلمه وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أباهريرة تعلم القرآن وعلمه الناس ولا تزال كذلك حتى يأتيك الموت فانه اذا أتاك الموت وأنت كذلك حجت الملائكة الى قبرك كما يحج المؤمنون الى بيت الله الحرام وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال خير الناس وخير من مشى على جديد الارض المعلمون كلما خلق الدين جددوه أعطوهم ولا تستأجروهم فتحوجوهم فان المعلم اذا قال للصبى قل بسم الله الرحمن الرحيم كتب الله براءة للصبى وبراءة للمعلم وبراءة لابويه من النار ذكره الثعلبى ويروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرأ صبى من صبيانهم فى الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمع الله عز وجل فيرفع عنهم العذاب أربعين سنة وعن أبى هريرة رضى الله عنه ما من مسلم علم ولده القرآن الا توج تاجا فى الجنة يعرفه أهل الجنة بعمل ولده القرآن

(الباب الرابع فى اكرام أهل القرآن وترجيحهم على غيرهم والنهى عن ايذائهم)

عن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من اجلال الله تعالى اكرام ذى الشيبة المسلم وحامل القرآن غير الغالى فيه والجافى عنه واكرام ذى السلطان رواه أبو داود وعن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله عز وجل أهلين من الناس قيل من هم يا رسول الله قال أهل القرآن هم أهل الله وخاصته رواه النسائى وعن أبى مسعود الانصارى البدرى رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله تعالى رواه مسلم وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان القراء أصحاب مجلس عمر رضى الله عنه ومشاورته كهولا كانوا أو شبابا

عهدته يوم الحساب فانه سيحاسب على ماجرى منه من المعاملات ويطالب فيها بنيته وبحقوق الناس أحفظها أم ضيعها والله أعلم بالصواب

(الباب الرابع عشر فى الحلال والحرام)

روى عن ابن مسعود أنه صلى الله عليه وسلم قال طلب الحلال فريضة على كل مسلم وقد ركن من استولى عليه الكسل الى أنه لم يبق الحلال فاسترسل فى كل شئ وذلك جهل فقد قال صلى الله عليه وسلم الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور متشابهات (فضيلة الحلال) قال الله تعالى يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقال صلى الله عليه وسلم من أكل الحلال أربعين يوما نور الله قلبه وأجرى ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وفى رواية زهده الله فى الدنيا وروى أن سعدا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسأل الله تعالى أن يجعله مستجاب الدعوة فقال عليه الصلاة والسلام أطب طعمتك تستجب دعوتك وفى حديث ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم ان لله ملكا على بيت المقدس ينادى كل ليلة من أكل حراما لم يقبل منه صرف ولا عدل فقيل الصرف النافلة والعدل الفريضة وقال صلى الله عليه وسلم من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفى ثمنه درهم حرام لم يقبل الله صلاته مادام عليه وقال النبى عليه الصلاة والسلام كل لحم نبت من الحرام فالنار أولى به وقال صلى الله عليه وسلم من لم يبال من أين اكتسب المال لم يبال الله تعالى من أين أدخله النار

رواه البخارى ويروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ثلاثة لا يستخف بحقهم الا منافق امام مقسط وذو شيبة فى الاسلام وحامل القرآن ذكره أبو الليث السمرقندى ويروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال القرآن أفضل من كل شئ فمن وقر القرآن فقد وقر الله ومن استخف بالقرآن استخف بحق الله حملة القرآن هم المحفوفون برحمة الله المعظمون كلام الله الملبسون نور الله فمن والاهم فقد والى الله ومن عاداهم فقد استخف بحق الله عز وجل

(الباب الخامس فى آداب حامل القرآن وفيه أربعة فصول)

(الفصل الاول) ينبغى لحامل القرآن أن يكون أول ما يقصد بتعليمه وتعلمه وجه الله تعالى ورضاه قال الله تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وفى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ مانوى قال ابن عباس رضى الله عنهما انما يحفظ الرجل على قدر نيته وقال غيره انما يعطى الناس على قدر نياتهم وأن يتأدب بآدابه فيمتثل أوامره ويجتنب نواهيه قال الله تعالى فمن اتبع هداى يعنى القرآن فلا يضل ولا يشقى قال ابن عباس رضى الله عنهما من قرأ القرآن واتبع ما فيه هداه الله من الضلالة ووقاه يوم القيامة سوء الحساب وذلك بان الله تعالى يقول فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى وعنه أنه قال أجار الله تابع القرآن من أن يضل فى الدنيا ويشقى فى الآخرة وقرأ هذه الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حسد الا فى اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وأطراف النهار ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار رواه البخارى ومسلم وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال كنا نتعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم العشر فلا نجاوزها الى العشر الاخر حتى نعلم ما فيها من العلم والعمل وقال أيضا أنزل القرآن عليهم ليعملوا به فاتخذوا دراسته عملا ان أحدهم ليقرأ القرآن من فاتحته الى خاتمته ما يسقط منه حرفا وقد أسقط العمل به وقال أيضا ينبغى لحامل القرآن أن يعرف بليله اذا الناس نائمون وبنهاره اذا الناس مفطرون وبحزنه اذا الناس يفرحون وببكائه اذا الناس يضحكون وبصمته اذا الناس يخوضون وبخضوعه اذا الناس يختالون وقال الفضيل ابن عياض رحمه الله ينبغى لحامل القرآن أن لا يكون له حاجة الى أحد من الخلفاء فمن دونهم وينبغى أن يكون حوائج الخلق اليه وقال أيضا حامل القرآن حامل راية الاسلام لا ينبغى أن يلهو مع من يلهو ولا يسهو مع من يسهو ولا يلغو مع من يلغو تعظيما لحق القرآن وقال بعض العلماء ان العبد ليتلو القرآن فيلعن نفسه وهو لا يعلم يقرأ ألا لعنة الله على الظالمين وهو ظالم لنفسه ألا لعنة الله على الكاذبين وهو منهم وقال بعض السلف ان العبد ليفتتح بسورة فتصلى عليه حتى يفرغ منها وان العبد ليفتتح بسورة فتلعنه حتى يفرغ منها فقيل كيف ذلك قال اذا أحل حلالها وحرم حرامها صلت عليه والا لعنته

(الفصل الثانى فى الامر بتعهد القرآن والتحذير من تعريضه للنسيان) عن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال تعاهدوا هذا القرآن فوالذى نفس محمد بيده لهو أشد تفلتا من الابل فى عقلها وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما مثل صاحب القرآن كمثل الابل المعقلة ان عاهد عليها أمسكها وان أطلقها ذهبت رواهما البخارى ومسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت على أعمال أمتى حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد وعرضت على ذنوب أمتى فلم أر ذنبا أعظم من سورة من القرآن أو آية أوتيها الرجل ثم نسيها رواه أبو داود والترمذى وتكلم فيه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن ثم نسيه لقى الله تعالى يوم القيامة أجذم رواه أبو داود وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من رجل تعلم القرآن ثم نسيه الا بذنب ثم قرأ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم وأى مصيبة أعظم من نسيان القرآن وقال أبو عبد الله الجيلى كنت أمشى يوما مع أستاذى فرأيت شابا حدثا جميلا فقلت يا أستاذى ترى يعذب الله هذه الصورة فقال نظرت الى وقال سترى غبها قال فنسيت القرآن بعد ذلك بعشرين سنة

وقال صلى الله عليه وسلم العبادة عشرة أجزاء تسعة منها فى طلب الحلال روى مرفوعا وموقوفا وقال صلى الله عليه وسلم من أصاب مالا من مأثم فوصل به رحما أو تصدق به أو أنفقه فى سبيل الله جمع الله ذلك جميعا ثم قذفه فى النار وروى أن الصديق رضى الله عنه شرب لبنا من كسب عبده ثم سأل عبده فقال تكهنت لقوم فاعطونى فادخل أصبعه فى فيه وجعل يقئ حتى ظننت أنه ستخرج روحه ثم قال اللهم انى أستغفرك وأعتذر اليك مما حملت العروق وخالط الامعاء وفى الخبر أنه عليه الصلاة والسلام أخبر بذلك فقال أوما علمتم أن الصديق لا يدخل جوفه الا طيبا وقال ابن عباس رضى الله عنه لا يقبل الله صلاة امرئ فى جوفه حرام وقال سهل رضى الله عنه من أراد أن يكاشف باحوال الصديقين فلا يأكل الا حلالا طيبا ولا يعمل الا فى سنة أو ضرورة

(فصل فى بيان درجات الحلال)

واعلم أنه تحل الاموال المأخوذة من أهل الحرب باى طريق أخذت وما يملك بالاصطياد أو الاحتطاب أو يستخرج من المعادن وما يؤخذ من أهل الحرب انما يحل بعد اخراج الخمس اذا كان بقتال من السلطان والطين الذى يؤكل انما يحرم على من يتضرر به وقد ورد فيه مناه تشعر بعموم التحريم فينبغى أن

(الفصل الثالث) ينبغى لقارئ القرآن اذا شرع فى القراءة أن يكون شأنه الخشوع وتدبر القرآن قال الله عز وجل أفلا يتدبرون القرآن وقال تعالى كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته فينبغى أن يستحضر فى نفسه أنه يناجى الله تعالى ويقرأ على حال من يرى الله تعالى فانه ان لم يكن يراه فانه يراه قال النووى رحمه الله وقد بات جماعة من السلف يتلون آية واحدة يتدبرونها ويرددونها الى الصباح قال وقد صعق جماعة من السلف عند القراءة ومات جماعة منهم حال القراءة قال وروينا عن بهز بن حكيم أن زرارة بن أوفى التابعى الجليل رضى الله عنه أمهم فى صلاة الفجر فقرأ حتى اذا بلغ فاذا نقر فى الناقور فذلك يومئذ يوم عسير خر ميتا قال بهز فكنت فيمن حمله قال ابراهيم الخواص رحمه الله دواء القلب خمسة أشياء قراءة القرآن بالتدبر وخلاء البطن وقيام الليل والتضرع عند السحر ومجالسة الصالحين ويستحب ترديد الآية للتدبر عن أبى ذر رضى الله عنه قال قام النبى صلى الله عليه وسلم بآية يرددها حتى أصبح والآية ان تعذبهم فانهم عبادك رواه النسائى وابن ماجه وعن تميم الدارى رضى الله عنه أنه كرر هذه الآية حتى أصبح أم حسب الذين اجترحوا السيآت أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية وأما البكاء عند قراءة القرآن قال النووى رحمه الله فهو صفة العارفين وشعار عباد الله الصالحين قال الله تعالى ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وعن أبى صالح رضى الله عنه قال قدم ناس من أهل اليمن على أبى بكر الصديق رضى الله عنه فجعلوا يقرؤن القرآن فيبكون قال أبو بكر هكذا كنا قال أبو حامد الغزالى رحمه الله البكاء مستحب مع القراءة وعندها قال وطريقه فى تحصيله أن يحضر قلبه الحزن بان يتأمل ما فيه من التهديد والوعيد الشديد والوثائق والعهود ثم يتأمل تقصيره فى ذلك فان لم يحضره حزن وبكاء كما يحضر الخواص فليبك على فقد ذلك فانه من أعظم المصائب

(الفصل الرابع يستحب ترتيل القراءة) قال الله تعالى ورتل القرآن ترتيلا وعن أم سلمة رضى الله عنها أنها نعتت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم قراءة مفسرة حرفا حرفا رواه أبو داود والنسائى والترمذى وقال حسن صحيح وعن عبد الله بن مغفل رضى الله عنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة على ناقته وهو يقرأ سورة الفتح فرجع فى قراءته رواه البخارى ومسلم وقال ابن عباس رضى الله عنهما لان أقرأ سورة أرتلها أحب الى من أن أقرأ القرآن كله وعن مجاهد رضى الله عنه أنه سئل عن رجلين قرأ أحدهما البقرة وآل عمران والآخر البقرة وحدها وزمنهما وركوعهما وسجودهما وجلوسهما سواء قال الذى قرأ البقرة وحدها أفضل وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن رجلا قال له انى أقرأ المفصل فى ركعة واحدة فقال عبد الله هذا كهذ الشعر ان قوما يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم ولكن اذا وقع فى القلب فرسخ فينفع ويستحب اذا مر بآية رحمة أن يسأل الله تعالى من فضله واذا مر بآية عذاب أن يستعيذ من الشر ومن العذاب واذا مر بآية تنزيه لله سبحانه وتعالى نزهه فقال سبحانه وتعالى ففى صحيح مسلم عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه قال صليت مع النبى صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فافتتح البقرة فقلت يركع عند المائة ثم مضى فقلت يصلى بها فى ركعة فمضى فقلت يركع بها ثم افتتح النساء ثم افتتح آل عمران فقرأها يقرأ مترسلا اذا مر بآية فيها تسبيح سبح واذا مر بسؤال سأل واذا مر بتعوذ تعوذ وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ والتين والزيتون فقال أليس الله باحكم الحاكمين فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين ومن قرأ آخر لا أقسم بيوم القيامة أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى فليقل بلى أشهد ومن قرأ فبأى حديث بعده يؤمنون فليقل آمنت بالله

(الباب السادس فى ختم القرآن)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد خاتمة القرآن كان كمن شهد المغانم حين تقسم ومن شهد فاتحة القرآن ومات كان كمن شهد فتحا فى سبيل الله قال النووى رحمه الله يستحب حضور مجلس ختم القرآن استحبابا مؤكدا فقد ثبت فى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الحيض بالخروج يوم العيد يشهدن الخير

يحترز منه (بيان درجات الحلال والحرام) اعلم أن الحرام كله خبيث الا أن بعضه أخبث من بعض والحلال كله طيب الا أن بعضه أطيب فاول الدرجات وأقلها أن يحترز مما يفتى الفقهاء بتحريمه (الدرجة الثانية) ورع الصالحين وهو الامتناع عما يتطرق اليه احتمال التحريم وان كان المفتى رخص فيه بناء على الظاهر ولكنه من مواقع الشبه على الجملة (الدرجة الثالثة) ما لا تحرمه الفتوى ولا شبهة فى حله ولكن يخاف أداؤه الى محرم وهو ترك ما لا باس به مخافة مما به باس (الدرجة الرابعة) ما لا باس به أصلا ولا يخاف منه أن يؤدى الى ما به باس ولكنه يتناول لغير الله تعالى ولا على نية التقوى به على العبادة أو يتطرق الى أسبابه المسهلة له كراهية تحريم او معصية والامتناع منه ورع الصديقين

(فصل فى بيان مراتب الشبهات)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور متشابهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه ومن وقع فى الشبهات واقع الحرام كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه (بيان القسم المتوسط) وهو الشبهة ومثاله أن الماء من المطر حلال قطعا قبل أن يقع فى ملك الغير والحرام المحض هو المحرم مثلا ومثارات الشبهة خمس أولها ما وقع الشك فى سبب المحرم والمحلل وذلك لا يخلو اما أن يكون متعادلا

ودعوة

ودعوة المسلمين وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه كان يجعل رجلا يراقب رجلا يقرأ القرآن فاذا أراد أن يختم أعلم ابن عباس فيشهد ذلك وقال قتادة كان أنس بن مالك رضى الله عنه اذا ختم القرآن جمع أهله ودعا وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال من ختم القرآن له دعوة مستجابة وكان اذا ختم القرآن جمع أهله ثم دعا وأمنوا على دعائه وقال حميد الاعرج رحمه الله من قرأ القرآن ثم دعا أمن على دعائه أربعة آلاف ملك وقال مجاهد كانوا يجتمعون عند ختم القرآن يقولون تنزل الرحمة وروى أبو داود ان عثمان رضى الله عنه كان يفتتح القرآن ليلة الجمعة ويختمه ليلة الخميس وعن طلحة بن مصرف رضى الله عنه انه قال من ختم القرآن أية ساعة كانت من النهار صلت عليه الملائكة حتى يمسى وأية ساعة كانت من الليل صلت عليه الملائكة حتى يصبح وروى الدارمى عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال اذا وافق ختم القرآن أول الليل صلت عليه الملائكة حتى يصبح وان وافق ختم القرآن آخر الليل صلت عليه الملائكة حتى يمسى قال الغزالى رحمه الله فى الاحياء الافضل أن يختم ختمة بالليل وختمة بالنهار ويجعل ختمة النهار يوم الاثنين فى ركعتى الفجر أو بعدهما ويجعل ختمة الليل ليلة الجمعة فى ركعتى المغرب أو بعدهما ليستقبل أول النهار وآخره وقال الغزالى رحمه الله فى الاحياء أيضا حزب الصحابة القرآن أحزابا فروى عن عثمان رضى الله عنه أنه كان يفتتح ليلة الجمعة بالبقرة الى المائدة وليلة السبت بالانعام الى هود وليلة الاحد بيوسف الى مريم وليلة الاثنين بطه الى طسم موسى وفرعون وليلة الثلاثاء بالعنكبوت الى ص وليلة الاربعاء بتنزيل الى الرحمن ويختم ليلة الخميس قال الغزالى رحمه الله قيل أحزاب القرآن سبعة فالحزب الاول ثلاث سور والحزب الثانى خمس سور والحزب الثالث سبع سور والرابع تسع سور والخامس احدى عشرة سورة والسادس أربعة عشرة سورة والسابع المفصل من قاف هكذا حزبه الصحابة رضى الله عنهم وكانوا يقرؤن كذلك وفيه خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا قبل أن تعمل الاخماس والاعشار والاجزاء فما سوى هذا محدث وقال أبو الفرج بن الجوزى رحمه الله فى كتاب فنون الافنان فى عيون علوم القرآن السبع الاول قوله فى النساء صدودا والثانى قوله فى الاعراف أجر المصلحين والثالث قوله فى ابراهيم يتذكرون والرابع قوله فى المؤمنين من مال وبنين والخامس فى سبأ من المؤمنين والسادس خاتمة الفتح والسابع آخر القرآن

(الباب السابع فى الحث على قراءة سور وآيات مخصوصة)

عن أبى سعيد رافع بن المعلى رضى الله عنه قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أعلمك أعظم سورة فى القرآن قبل أن تخرج من المسجد فأخذ بيدى فلما أردنا أن نخرج قلت يا رسول الله انك قلت لأعلمنك أعظم سورة من القرآن قال الحمد لله رب العالمين هى السبع المثانى والقرآن العظيم الذى أوتيته رواه البخارى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا بيوتكم مقابر ان الشيطان ينفر من البيت الذى يقرأ فيه سورة البقرة رواه مسلم وعن أبى بن كعب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا المنذر أتدرى أى آية من كتاب الله معك أعظم قلت الله لا اله الا هو الحى القيوم فضرب فى صدرى وقال ليهنك العلم أبا المنذر رواه مسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم المؤمن الى اليه المصير وآية الكرسى حين يصبح حفظ بهما حتى يمسى ومن قرأهما حين يمسى حفظ بهما حتى يصبح وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى هاتين الآيتين اسم الله الاعظم والهكم اله واحد والله لا اله الا هو الحى القيوم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسم الله الاعظم فى ثلاث سور فى البقرة وآل عمران وطه قال بعض الائمة المتقدمين هو الحى القيوم لانه فى البقرة فى آية الكرسى وفى آل عمران وفى طه فى قوله تعالى وعنت الوجوه للحى القيوم وفى حديث أبى هريرة رضى الله عنه المشهور فى حفظ زكاة رمضان ان شيطانا قال له اذا أويت الى فراشك فاقرأ آية الكرسى فانه لا يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما انه قد صدقك وهو كذوب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه من قيام الليل رواه البخارى ومسلم قال النووى رحمه الله قيل معناه كفتاه من قيام الليل وقيل من الشيطان وقيل من الآفات

أو غلب أحد الاحتمالين فان تعادل الاحتمالان كان الحكم لما عرف قبله فيستصحب وان غلب أحد الاحتمالين كان الحكم للغالب ونبين ذلك باربعة أقسام *القسم الاول أن يكون التحريم معلوما ثم يقع الشك فى المحلل مثاله أن يرمى السهم الى صيد فيجرحه ويقع فى الماء فيصادفه ميتا ولا يدرى أنه مات بالغرق أو بالجرح فهذا حرام لان الاصل التحريم الا اذا مات بطريق معين وقد وقع الشك فى الطريق المعين فلا يترك اليقين بالشك والله أعلم

*القسم الثانى أن يعرف الحل ويشك فى المحرم فالحكم الحل كما اذا نكح رجلان امرأتين وطار طائر فقال أحدهما ان كان هذا غرابا فامرأتى طالق وقال الآخر ان لم يكن غرابا فامرأتى طالق وبقى ملتبسا فلا يحكم بتحريم البتة ما لم يتبين والله أعلم

*القسم الثالث أن يكون الاصل التحريم ولكن طرأ ما أوجب تحليله بظن غالب فهو مشكوك فيه والغالب حله مثاله أن يرمى الى صيد فيغيب ثم يدركه ميتا وليس عليه أثر سوى سهمه ولكن يحتمل أنه مات بسقطة أو بسبب آخر فان ظهر سبب آخر من صدمة أو سقطة التحق بالقسم الاول وقد اختلف قول الشافعى رحمه الله تعالى فى هذا القسم والمختار انه حلال القسم الرابع أن يكون الحل معلوما ولكن يغلب على الظن طريان محرم بسبب معتبر شرعا فيرتفع

ويحمل الجميع وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله كتب كتابا قبل أن يخلق السموات والارض بألفي عام أنزل فيه آيتين ختم بهما سورة البقرة لا يقرآن فى دار ثلاث ليال فيقربها الشيطان وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال وفى رواية من آخر سورة الكهف رواهما مسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنزلوا النساء الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن الغزل وسورة النور وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قرأ طه ويس قبل ان يخلق السموات والارض بألف عام فلما سمعت الملائكة القرآن قالت طوبى لامة ينزل هذا عليها وطوبى لاجواف تحمل هذا وطوبى لالسنة تتكلم بهذا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شئ قلبا وقلب القرآن يس ومن قرأ يس كتب الله له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤا على موتاكم يس وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن سورة ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له وهى تبارك الذى بيده الملك رواه الترمذى وقال حديث حسن وعن جابر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان لا ينام حتى يقرأ الم تنزيل وتبارك الذى بيده الملك وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسى وان مات فى ذلك اليوم مات شهيدا ومن قالها حين يمسى كان بتلك المنزلة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا زلزلت تعدل نصف القرآن وقل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن وقل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن وعن فروة بن نوفل عن أبيه قال قلت يارسول الله علمنى شيئا أقوله اذا أويت الى فراشى فقال اقرأ قل يا أيها الكافرون فانها براءة من الشرك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيعجز أحدكم أن يقرأ فى ليلة ثلث القرآن قالوا وكيف يقرأ ثلث القرآن قال قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن وعن عائشة رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا أوى الى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ فيهما قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ كل يوم مائتى مرة قل هو الله أحد محى عنه ذنوب خمسين سنة الا أن يكون عليه دين وقال عقبة بن عامر رضى الله عنه بينا انا أسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الجحفة والابواء اذ غشيتنا ريح وظلمة شديدة فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ بأعوذ برب الفلق وأعوذ برب الناس ويقول يا عقبة تعوذ بهما فما تعوذ متعوذ بمثلهما وعن عبد الله بن خبيب رضى الله عنه قال خرجنا فى ليلة مطر وظلمة شديدة نطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فادركناه فقال قل قلت ما أقول قال قل هو الله أحد والمعوذتين حين تصبح وحين تمسى ثلاث مرات تكفيك من كل شئ

(الباب الثامن فى أشياء متفرقة)

قال الغزالى رحمه الله تعالى تحسين القراءة وتزيينها بترديد الصوت من غير تمطيط مفرط يغير النظم سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن فقيل أراد به الاستغناء وقيل أراد به الترنم وترديد الالحان به وهو أقرب عند أهل اللغة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أذن الله لشئ ما أذن لنبى حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به رواه البخارى ومسلم ومعنى أذن استمع وهو اشارة الى الرضا والقبول وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤا القرآن بلحون العرب وأصواتها واياكم ولحون أهل الفسق وأهل الكتابين وسيجئ قوم من بعدى يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح لا يجاوز حناجرهم مفتونة قلوبهم وقلوب من يعجبهم شأنهم وقال أبو ذر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوف على أمته قوما يتخذون القرآن مزامير يقدمون الرجل يؤمهم ليس بأفقههم ليس الا ليغنيهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أحسن الناس صوتا بالقرآن الذى اذا سمعته يقرأ رأيت انه يخشى الله عز وجل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسمع القرآن من أحد أشهى منه ممن يخشى الله عز وجل وقال رسول الله صلى الله

الاستصحاب لضعفه ويحكم بغالب الظن مثاله أن يغلب على ظنه نجاسة أحد الاناءين بالاعتماد على علامة معينة توجب غلبة الظن فتوجب تحريم شربه كما أوجبت منع الوضوء به (المثار الثانى للشبهة) شك منشؤه الاختلاط وذلك بان يختلط الحرام بالحلال ويشتبه الامر ولا يتميز والخلط لا يخلو اما أن يقع بعدد لا يحصر من الجانبين أو من أحدهما أو بعدد محصور وان اختلط المحصور فلا يخلو اما أن يكون اختلاط امتزاج كالمائعات أو اختلاط استبهام مع التميز كالاعبد وغيرها وذلك يتبين باقسام ثلاثة القسم الاول أن تستبهم العين بعدد كما لو اختلطت ميتة بعشر مذكيات أو رضيعة بعشرة نسوة فهذا يوجب الاجتناب بالاجماع اذ لا مجال للاجتهاد فيها * القسم الثانى حرام محصور بحلال غير محصور كما لو اختلطت عشرة رضائع بنسوة بلد كبير فلا يحرم نكاح أهل البلد والعلة الغلبة والحاجة جميعا اذ كل من ضاع له محرم لا يمكن أن يسد عليه باب النكاح ومن علم ان مال الدنيا خالطه حرام لا يحرم عليه الاكل والبيع اذ ما جعل الله عليكم فى الدين من حرج لانه لما سرق فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم مجن وعباءة لم يمتنع أحد من شراء المجن والعباءة فى الدنيا فافهم تغنم والله أعلم * القسم الثالث) أن يختلط حرام لا يحصر بحلال لا يحصر كالاموال فى زماننا هذا والذى أختاره أنه لا يحرم تناول شئ بعينه

عليه

عليه وسلم لابن مسعود اقرأ على فقال يارسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل فقال انى أحب أن أسمعه من غيرى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استمع الى آية من كتاب الله كانت له نورا يوم القيامة وقال الغزالى رحمه الله تعالى ومهما عظم أجر الاستماع وكان التالى هو السبب فيه كان شريكا فى الاجر الا أن يكون قصده الرياء والتصنع وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن فليسأل الله به فانه سيأتى قوم يقرؤن القرآن يسألون الناس به وقال ابراهيم كانوا يكرهون أن يتلوا الآية عند الشئ لغرض من أمر الدنيا قال أبو عبيد وهذا كالرجل يريد لقاء صاحبه أو يهم بالحاجة فيأتيه من غير طلب فيقول كالمازح جئت على قدر يا موسى وهذا من الاستخفاف بالقرآن وحكى الكواشى فى تفسيره ان بعض المتجبرين تلى عليه قوله تعالى قل أرأيتم ان أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين فقال تأتى به الفؤوس والمعاول فذهب ماء عينيه وعمى وروى النووى رحمه الله عن أبى يحيى الساجى قال كنا نمشى فى أزقة البصرة الى باب بعض المحدثين فاسرعنا المشى وكان معنا رجل ماجن متهم فى دينه فقال ارفعوا أرجلكم عن أجنحة الملائكة لا تكسروها كالمستهزئ فما زال من موضعه حتى جفت رجلاه وسقط وروى عن أبى داود السجستانى انه قال كان فى أصحاب الحديث رجل خليع فسمع حديث النبى صلى الله عليه وسلم ان الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع فجعل فى نعليه مسامير من حديد وقال أريد أطأ أجنحة الملائكة فاصابته الأكلة فى رجليه وحكى أن بعض المبتدعين سمع قول النبى صلى الله عليه وسلم اذا استيقظ أحدكم من منامه فلا يغمس يده فى الاناء حتى يغسلها فانه لا يدرى أين باتت يده فقال ذلك المبتدع كالمستهزئ أنا أدرى أين باتت يدى فى الفراش فاصبح وقد أدخل يده فى دبره الى ذراعه قال النووى رحمه الله فى كتاب البستان بعد أن ذكر هذه الحكايات ومن هذا المعنى ما وجد فى زماننا هذا وتواترت به الاخبار وثبت عند القضاة أن رجلا فى قرية من بلاد بصرى فى أوائل سنة خمس وستين وستمائة كان سئ الاعتقاد فى أهل الخير وله ابن يحسن الاعتقاد فيهم فجاء ابنه من عند شيخ له صالح ومعه سواك فقال له ما أعطاك شيخك مستهزئا فقال هذا السواك فاخذه منه وأدخله فى دبره احتقارا له فبقى مدة ثم ولد ذلك الرجل الذى أدخل السواك فى دبره جروا قريب الشبه بالسمكة فقتله ومات الرجل فى الحال أو بعد يومين عافانا الله من بلائه

(كتاب ذكر الله عز وجل وفيه ستة أبواب)

(الباب الاول فى فضله والحث عليه)

قال الله تعالى فاذكرونى أذكركم قال ابن عباس اذكرونى بطاعتى أذكركم بمعونتى وقال سعيد بن جبير اذكرونى بطاعتى أذكركم بمغفرتى وقيل اذكرونى فى النعمة والرخاء أذكركم فى الشدة والبلاء بيانه فلولا انه كان من المسبحين للبث فى بطنه الى يوم يبعثون وقيل اذكرونى على ظهر الارض أذكركم فى بطنها اذا نسيكم أهل الدنيا وقيل معناه اذكرونى بخدمتى أذكركم بنعمتى اذكرونى بالتوحيد أذكركم بالتأييد اذكرونى بالشكر أذكركم بالمزيد اذكرونى بالمحبة أذكركم بالقربة اذكرونى بالخوف أذكركم بالامان اذكرونى بالرجاء أذكركم بتحقيق الآمال وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه حيث يذكرنى فان ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وان ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منهم وان تقرب الى شبرا تقربت منه ذراعا وان تقرب منى ذراعا تقربت منه باعا وان أتانى يمشى أتيته هرولة قال الشيخ عبد العزيز الديرينى رحمه الله معناه من جاهد نفسه قليلا فى خدمتى تقربت الى قلبه برحمتى ويسرت عليه كثيرا من الطاعات بحلاوة ورغبة ورزقته لذة مناجاتى وحلاوة الانس بذكرى فيصير محبوبا بعد أن كان خاملا وقال تعالى الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله أى تسكن والسكون يكون باليقين والاضطراب يكون بالشك ألا بذكر الله تطمئن القلوب تسكن قلوب المؤمنين ويستقر فيها اليقين فان قيل أليس قد قال الله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم فكيف يكون الوجل والطمأنينة فى حالة واحدة قيل الوجل عند ذكر الوعيد والعقاب والطمأنينة

الا أن تقترن بتلك العين علامة معينة الا أن تركه ورع * ومن جملة العلامات يد السلطان الظالم الى غير ذلك من العلامات التى ستأتى ويدل على ما ذكرناه أن فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين رضى الله عنهم لم يتركوا المعاملات وأخذ الاموال مع كثرة أثمان الخمور وأموال الربا فى يد أهل الذمة ومن جملة الشبهات أن يكون الشئ مما قد اشترى فى الذمة ولكن قضى ثمنه من مال حرام الا أن يكون تسليم الطعام قبل قبض الثمن بطيب قلب فأكله قبل قضاء الثمن فهو حلال بالاجماع ولا ينقلب باداء المال فى مقابلته من الحرام حراما بل غايته أن لا تبرأ ذمته فكأنه لم يقبض الثمن ولا يحرم ما أكل وان أبرأ ذمته مع العلم بكون الثمن حراما فهو يوجب براءة الذمة والحل والله أعلم

(فصل فى التجسس والسؤال)

اعلم أنه لا يعتمد على كل حال ولا يترك بكل حال فان كان من يأخذ المال من يده على زى أهل الصلاح فحاله كافية وان كان على زى أهل الظلم والفسق فكذلك أيضا وان كان مستور الحال لا على زى أهل الصلاح والتجار ولا على زى أهل الظلم فالظاهر الاكتفاء بعدالة الاسلام ومنهم من جوز السؤال وإذا كان للرجل ادرار ودخول من الحرام ومال السلطان ودهقنة فالورع تركه ومنهم من نظر الى

عند ذكر الوعد والثواب فالقلوب توجل اذا ذكرت عدل الله وشدة حسابه وتطمئن اذا ذكرت فضل الله وحسن ثوابه قال الله تعالى ولذكر الله أكبر أى ذكر الله أفضل الطاعات وقيل ذكر الله بالقلب أفضل من العبادات مع الغفلة وأكبر أجرا قاله سلمان الفارسى وقتادة وقيل معناه ان ذكر الله بالقلب ومراقبته والحياء من نظاره أكبر زاجر ناهيا عن المعاصى من جميع الطاعات قاله عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف أى وسوسة من الشيطان تذكروا ان الله ناظر اليهم فاذا هم مبصرون وقال ابن عباس وأبو الدرداء ومجاهد وعكرمة معناه ان ذكر الله لكم أكبر من ذكركم الله وقال ابن عطاء أى أكبر من ان تبقى معه معصية وقال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا قال ابن عباس رضى الله عنهما لم يفرض الله على عباده فريضة الا جعل لها حدا معلوما ثم عذر أهلها فى حال العذر غير الذكر فانه لم يجعل له حدا ينتهى اليه ولم يعذر أحدا فى تركه الا مغلوبا على عقله وأمرهم فى الاحوال كلها فقال الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم وقال تعالى اذكروا الله ذكرا كثيرا أى بالليل والنهار فى البر والبحر والصحة والسقم فى السر والعلانية وقال مجاهد الذكر الكثير أن لا تنساه أبدا قال الشيخ عبد العزيز رحمه الله المؤمن يذكر الله كثيرا لانه يذكر الله بقلبه فتسكن جوارحه الى ذكره فلا يبقى منه عضو الا وهو ذاكر فى المعنى فاذا امتدت يده الى شئ ذكر الله فوقف عن السعى الا فيما يرضى الله عز وجل واذا طمحت عينه الى شئ ذكر الله فغض بصره عن محارم الله وكذلك سمعه ولسانه وبصره وسائر جوارحه مصونة بمراقبة الله تعالى ومراعاة أمر الله والحياء من نظر الله فهذا هو الذكر الكثير والذكر القليل ذكر المنافقين يذكرون الله بالسنتهم رياء الناس وليس فى قلوبهم من الذكر شئ قال الله تعالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا والذكر المطلوب ذكر القلب وانما ذكر اللسان طريق اليه فمن لازم ذكر الله بلسانه مخلصا لله وصلت بركة الذكر الى قلبه فعاش قلبه بذكر الله فعند ذلك يكون ذكره كثيرا وقال ذو النون من ذكر الله على الحقيقة نسى فى جنب ذكره كل شئ وحفظ الله عليه كل شئ وكان له عوضا من كل شئ ويقال ذكر اللسان حسنات وذكر القلب قربات ودرجات ويقال الاشارة فى قول الله تعالى اذكروا الله ذكرا كثيرا أى أحبوا الله فان فى الحديث من أحب شيأ أكثر من ذكره فالمحبوب لا ينسى محبوبه فى بعد ولا قرب ولا وصل ولا هجر وقال أبو الليث السمرقندى رحمه الله اعلم ان ذكر الله تعالى أفضل العبادات لان الله تعالى جعل لسائر العبادات مقدارا وجعل لها أوقاتا ولم يجعل لذكر الله مقدارا ولا وقتا وأمر بالكثرة من غير مقدار فقال يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا يعنى اذكروه فى جميع الاحوال قال وتفسير الذكر فى الاحوال كلها ان العبد لا يخلو من أربعة أحوال اما أن يكون فى الطاعة أو فى المعصية أو فى النعمة أو فى الشدة فان كان فى الطاعة ينبغى أن يذكر الله تعالى بالتوفيق ويسال منه القبول وان كان فى المعصية ينبغى أن يدعو الله بالامتناع ويساله التوبة وان كان فى النعمة يذكره بالشكر وان كان فى الشدة يذكره بالصبر وقوله وسبحوه بكرة وأصيلا التسبيح الصلاة والذكر والبكرة ربع النهار الاول والاصيل الربع الاخير وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق المفردون قالوا وما المفردون يا رسول الله قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات رواه مسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكر مثل الحى والميت وقال صلى الله عليه وسلم ان لله ملائكة يطوفون فى الطرق يلتمسون أهل الذكر فاذا وجدوا قوما يذكرون الله عز وجل تنادوا هلموا الى حاجتكم فيحفونهم باجنحتهم الى السماء الدنيا فيسألهم ربهم وهو أعلم ما يقول عبادى قال يقولون يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك فيقول هل رأونى فيقولون لا والله ما رأوك فيقول كيف لو رأونى قال يقولون لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد تمجيدا وأكثر لك تسبيحا فيقول فماذا يسألونى قال يقولون يسألونك الجنة قال يقول وهل رأوها قال يقولون لا والله يا رب ما رأوها فيقول فكيف لو رأوها قال يقولون لو أنهم رأوها كانوا أشد حرصا عليها وأشد لها طلبا وأعظم فيها رغبة قال فمم يتعوذون قال فهم يتعوذون من

لا كثر وجعل الاعتبار به قال الحرث المحاسبى رحمه الله تعالى ان من كان له صديق أو أخ فلا ينبغى أن يسأله لانه ربما يبدو له ما كان مستورا عنه فيؤدى الى الغضب وهو معصية فى الحال واعلم أنه لا فائدة فى السؤال ممن بعض ماله حرام لانه ربما يكذب لغرض فالاولى أن يكون السؤال من غيره والله أعلم

(فصل فى الخروج من المظالم المالية) اعلم أن من تاب وفى يده مال مختلط فعليه وظيفة فى تمييز الحرام واخراجه ووظيفة أخرى فى مصرف المخرج (الوظيفة الاولى) فى كيفية التمييز والاخراج فان كان معينا من جهة غصب أو وديعة أو غيره فهو سهل وان كان مختلطا مثلا بأن يعلم أن قدر نصف المال حرام أو بكسب تجارة فيها كذب وخيانة فعليه تمييز ذلك القدر وان لم يعلم قدره أخذ بالاحتياط وغالب الظن واليقين (الوظيفة الثانية) فى المصرف فاذا ميز الحرام فان كان له مالك معين يصرف اليه وان لم يكن صرف لوارثه وان كان غائبا انتظر حضوره أو تكلف الايصال اليه حيث هو وان لم يكن له مالك معين تصدق به أو صرفه الى مصالح المسلمين من الرباطات والمساجد والقناطر وحسن أن يسلمه الى القاضى ان كان أمينا والا لم تبرأ ذمته بالتسليم الى قاض خائن وقد وردت أخبار وآثار تدل على جواز التصدق بهذا المال الحرام وصرفه الى المصالح وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتصدق

النار قال فيقول وهل رأوها قال يقولون لا والله ما رأوها فيقول فكيف لو رأوها قال يقولون لو رأوها كانوا أشد منها فرارا وأشد لها مخافة قال فيقول فاشهدكم انى قد غفرت لهم قال يقول ملك من الملائكة فيهم فلان ليس منهم انما جاء لحاجة قال هم الجلساء لا يشقى جليسهم رواه البخارى ومسلم وقال صلى الله عليه وسلم لا يقعد قوم يذكرون الله الا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده رواه مسلم ويروى أن فى الجنة ملائكة يغرسون الاشجار للذاكرين فاذا وقف الذاكر وقف الملك فيقول فتر صاحبى وفى الحديث يقول الله تعالى أنا مع عبدى ما ذكرنى أو تحركت بذكرى شفتاه انما عبدا اطلعت على قلبه فرأيت الغالب عليه التمسك بذكرى توليت سياسته وكنت جليسه وأنيسه ويروى أنه عليه الصلاة والسلام قال ذاكر الله فى الغافلين كالمقاتل خلف الفارين وذاكر الله فى الغافلين كغصن أخضر فى شجر يابس وذاكر الله فى الغافلين مثل مصباح فى بيت مظلم وذاكر الله فى الغافلين يريه مقعده من الجنة وينظر الله اليه وهو حى وذاكر الله فى الغافلين يغفر له بعدد كل فصيح من الجنة وأعجم والفصيح بنو آدم والاعجم البهائم وذاكر الله فى الغافلين ينظر الله اليه نظرة لا يعذبه بعدها أبدا وذاكر الله فى السوق له بكل شعرة نور يوم القيامة ويروى أن بيوت الذاكرين لها نور تراه الملائكة بقدر ما فيها من الذكر كما ترى نحن النجوم فى السماء وقال سهل بن عبد الله ان الله تعالى يقول عبدى ما أنصفتنى أذكرك وتنسانى وأدعوك الى وتذهب الى غيرى وأذهب عنك البلايا وأنت منعكف على الخطايا يا ابن آدم ما تقول غدا اذا جئتنى وحكى ابن الجوزى رحمه الله عن بعض السادة أنه قال خرجت الى السوق ومعى جارية حبشية فاجلستها فى مكان منه وأمرتها أن لا تقوم حتى أعود اليها فعدت فلم أجدها فانصرفت الى منزلى وأنا شديد الغضب عليها فلما رأتنى عرفت ذلك فى وجهى وقالت يا مولاى لا تعجل على أجلستنى بين قوم لا يذكرون الله فخشيت أن يخسف بهم وأنا معهم فقلت لها هذه أمة مرحومة وقد رفع الله الخسف عنهم اكراما لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقالت يا مولاى ان كان رفع عنها خسف المكان فما رفع عنها خسف القلوب والاعيان وقال أبو الليث السمرقندى رحمه الله فى ذكر الله تعالى خمس فوائد أولها رضا الله تعالى عنه والثانى انه حرز من الشيطان والثالث انه يرق القلب والرابع انه يزيد فى الحرص على الطاعات والخامس انه يمنع من المعاصى

(الباب الثانى فى تقسيم الذكر وبيان كيفيته)

قال القاضى عياض رحمه الله ذكر الله تعالى ضربان ذكر بالقلب وذكر باللسان وذكر القلب نوعان أحدهما وهو أرفع الاذكار وأجلها الفكر فى عظمة الله تعالى وجلاله وجبروته وملكوته وآياته فى سمواته وأرضه ومنه الحديث خير الذكر الخفى والمراد به هذا الثانى ذكر بالقلب عند الامر والنهى فيمتثل ما أمر به ويترك ما نهى عنه ويترك ما أشكل عليه وأما ذكر اللسان مجردا فهو أضعف الاذكار ولكن فيه فضل عظيم كما جاءت به الاحاديث قال وذكر ابن جرير الطبرى وغيره اختلاف السلف فى ذكر القلب واللسان أيهما أفضل قال القاضى والخلاف عندى انما يتصور فى مجرد ذكر القلب تسبيحا وتهليلا وشبههما وعليه يدل كلامهم لا أنهم مختلفون فى الذكر الخفى الذى ذكرناه أولا فذلك لا يقاربه ذكر اللسان فكيف يفاضله وانما الخلاف فى ذكر القلب بالتسبيح المجرد ونحوه والمراد بذكر اللسان مع حضور القلب فان كان لاهيا فلا واحتج من رجح ذكر القلب بان عمل السر أفضل ومن رجح اللسان قال لان العمل فيه أكثر فانه زاد باستعمال اللسان فاقتضى زيادة أجر قال القاضى واختلفوا هل تكتب الملائكة ذكر القلب فقيل تكتبه ويجعل الله تعالى لهم علامة يعرفونه بها وقيل لا يكتبونه لانه لا يطلع عليه غير الله تعالى قال النووى رحمه الله والصحيح أنهم يكتبونه وان ذكر اللسان مع حضور القلب أفضل من القلب وحده وقال النووى فى كتاب الاذكار اعلم أن فضيلة الذكر غير منحصرة فى التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير ونحوها بل كل عامل لله بطاعة فهو ذاكر لله تعالى كذا قاله سعيد بن جبير وغيره وقال عطاء مجالس الذكر هى مجالس

بالشاة المصلاة التى قدمت اليه فكلمته بانها حرام فقال صلى الله عليه وسلم أطعموها الاسارى

(فصل فى ادرارات السلاطين وصلاتهم) وهو نوع من الاصلاحات وينبغى أن ينظر فيه فلا ياخذه ان كان من الخراج الموظف على المسلمين والمصادرات ويحل ان كان من المواريث والاموال الضائعة والفىء والغنيمة والجزية بشرط أن يكون فى صرفه اليه مصلحة أو حاجة وذهب عمر رضى الله عنه الى أنه ما من مسلم الا وله فى بيت المال حق واعلم أن الجزية أربعة أخماسها للمصالح وخمسها لجهات معينة وان كان يأخذ مال السلطان ليتصدق به على الفقراء فمن الورعين من أمسك عنه ومنهم من أقدم عليه ولعل الاولى الاقدام عليه بشرط أن لا يرغب فيه لنفسه ولا يقتدى به غيره ولا يظن باخذه من السلطان أن ماله حلال فيجترئ بسببه على أمثاله والله أعلم فافهم تغنم

(الباب الخامس عشر فى آداب الصحبة) اعلم أن التحابب فى الله تعالى والاخوة فى دينه من أفضل القربات وهو ثمرة حسن الخلق وكلاهما محمودان أما حسن الخلق فقال تعالى فيه وانك لعلى خلق عظيم وأما الاخوة والالفة فقال تعالى فيهما فاصبحتم بنعمته اخوانا وقال تعالى لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم الآية وقال صلى الله عليه وسلم ان أقربكم منى مجلسا أحاسنكم أخلاقا الموطؤن أكنافا الذين يألفون ويؤلفون وقال صلى الله عليه

الحلال والحرام كيف تشترى وتبيع وتصوم وتصلى وتنكح وتطلق وتحج وأشباه هذا ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من أطاع الله فقد ذكر الله وان قلت صلاته وصيامه وتلاوته القرآن

(الباب الثالث فى فضل كلمات من الاذكار جاءت غير مقيدة بوقت)

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم رواه البخارى وعنه صلى الله عليه وسلم قال لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر أحب الى مما طلعت عليه الشمس رواه مسلم وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير فى يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى ولم يأت أحد بافضل مما جاء به الا رجل عمل أكثر منه وقال من قال سبحان الله وبحمده فى يوم مائة مرة حطت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر رواه البخارى ومسلم وعن أبي ذر رضى الله عنه قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبرك باحب الكلام الى الله ان أحب الكلام الى الله سبحان الله وبحمده رواه مسلم قال النووى رحمه الله هذا محمول على كلام الآدمى والا فالقرآن أفضل وكذا قراءة القرآن أفضل من التسبيح والتهليل المطلق فاما المأثور فى وقت أو حال ونحو ذلك فالاشتغال به أفضل وقال صلى الله عليه وسلم الطهور شطر الايمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السموات والارض رواه مسلم وعن أبي ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة فكل تسبيحة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة وكل تكبيرة صدقة وأمر بالمعروف صدقة ونهى عن المنكر صدقة ويجزى عن ذلك ركعتان تركعهما من الضحى رواه مسلم وعن أم المؤمنين جويرية بنت الحرث رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج بكرة من عندها حين صلى الصبح وهى فى مسجدها ثم رجع بعد ان أضحى وهى جالسة فقال مازلت على الحال الذى فارقتك عليها قالت نعم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضاء نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة فى الجنة رواه الترمذى وقال حديث حسن قال صلى الله عليه وسلم لقيت ابراهيم صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى بى فقال يا محمد أقرئ أمتك منى السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وانها قيعان وان غراسها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر رواه الترمذى وقال حديث حسن وعن سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه أنه دخل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على امرأة وبين يديها نوى أو حصى تسبح به فقال ألا أخبرك بما هو أيسر عليك من هذا وأفضل فقال سبحان الله عدد ما خلق فى السماء وسبحان الله عدد ما خلق فى الارض وسبحان الله عدد ما بين ذلك وسبحان الله عدد ما هو خالق والله أكبر مثل ذلك والحمد لله مثل ذلك ولا اله الا الله مثل ذلك ولا حول ولا قوة الا بالله مثل ذلك رواه الترمذى وقال حديث حسن وعن أبي موسى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة فقلت بلى يا رسول الله قال لا حول ولا قوة الا بالله رواه البخارى ومسلم

(الباب الرابع فى الاذكار المقيدة بوقت أو سبب)

قال الله تعالى واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين قال أهل اللغة الآصال جمع الاصيل وهو ما بين العصر والمغرب وعن حذيفة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا أوى الى فراشه قال باسمك اللهم أحيا وأموت واذا استيقظ قال الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا واليه النشور رواه البخارى وقال صلى الله عليه وسلم ما من عبد يقول عند رد الله تعالى عليه روحه لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير الا غفر الله

وسلم المؤمن آلف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف وقال صلى الله عليه وسلم من أراد الله به خيرا رزقه خليلا صالحا ان نسى ذكره وان ذكر أعانه وقال عليه الصلاة والسلام من آخى أخا فى الله تعالى يرفعه الله تعالى درجة فى الجنة لا ينالها بشئ من عمله *بيان معنى الاخوة فى الله تعالى وتمييزها عن الاخوة فى الدنيا قال صلى الله عليه وسلم الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وقال انر وحى المؤمنين المتقيين ليلتقيان على مسيرة يوم وما رأى أحدهما صاحبه قط فالانسان يحب غيره اما لذاته لكونه جميلا محبوبا فى ذاته أو لكونه وسيلة الى غرض خارج عن ذاته وذلك الغرض متعلق بمصالح الدنيا واما أن يكون وسيلة الى حظ فى الآخرة واما أن يكون لله وفى الله لا ينال به دنيا ولا آخرة بل لكونه من عباد الله فمن أحب شيأ أحب من أحبه وهذا هو الاخوة فى الله وهو كما قال مجنون بنى عامر حيث يقول شعرا

أمر على الديار ديار ليلى
أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبى
ولكن حب من سكن الديارا

وكما لا بد من الحب فى الله فلا بد من البغض فى الله فمن أحب انسانا لكونه حبيب حبيبه ومطيعا له فلا بد وأن يبغض عدوه لكونه عاصيا له

(فصل) اعلم أن كل أحد لا يصلح للصحبة قال صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل فلا بد من

تعالى

تعالى له ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر رواه ابن السنى وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اذا أصبح اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت واليك النشور واذا أمسى قال اللهم بك أمسينا وبك نحيا وبك نموت واليك النشور رواه أبوداود والترمذى وقال حديث حسن وعنه رضى الله عنه أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه قال يا رسول الله مرنى بكلمات أقولهن اذا أصبحت واذا أمسيت قال قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة رب كل شئ ومليكه أشهد أن لا اله الا أنت أعوذ بك من شر نفسى وشر الشيطان وشركه قال قلها اذا أصبحت واذا أمسيت واذا أخذت مضجعك رواه أبوداود والترمذى وقال حديث حسن صحيح وعن أم سلمة رضى الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا خرج من بيته قال بسم الله توكلت على الله اللهم انى أعوذ بك أن أضل أو أضل أو أزل أو أزل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل على رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح قال مجاهد اذا خرج الرجل من بيته فقال بسم الله قال الملك هديت واذا قال توكلت على الله قال الملك كفيت واذا قال لا حول ولا قوة الا بالله قال الملك وقيت فتتفرق عنه الشياطين فيقولون لا سبيل لكم اليه قد هدى وكفى ووقى وقال صلى الله عليه وسلم اذا أولج الرجل بيته فليقل اللهم انى أسألك خير المولج وخير المخرج بسم الله ولجنا وبسم الله خرجنا وعلى الله ربنا توكلنا ثم ليسلم على أهله رواه أبوداود ويروى عن بلال رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج قال بسم الله آمنت بالله توكلت على الله لا حول ولا قوة الا بالله اللهم بحق السائلين عليك وبحق مخرجى هذا فانى لم أخرجه أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة خرجت ابتغاء مرضاتك واتقاء سخطك أسألك أن تعيذنى من النار وتدخلنى الجنة وعن أسامة رضى الله عنه أنه صلى ركعتى الفجر وان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى قريبا منه ركعتين خفيفتين ثم سمعه يقول وهو جالس اللهم رب جبريل واسرافيل وميكائيل ومحمد النبي صلى الله عليه وسلم أعوذ بك من النار ثلاث مرات رواه ابن السنى وروى الشافعى رضى الله عنه فى الام باسناده حديثا مرسلا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اطلبوا استجابة الدعاء عند التقاء الجيوش واقامة الصلاة ونزول الغيث وقال صلى الله عليه وسلم من سبح الله فى دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وحمد الله ثلاثا وثلاثين وكبر الله ثلاثا وثلاثين وقال تمام المائة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير غفرت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر رواه مسلم وعن معاذ رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بيده وقال يا معاذ والله انى لأحبك فقال أوصيك يا معاذ لا تدعن فى دبر كل صلاة تقول اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك رواه أبوداود باسناد صحيح وقال صلى الله عليه وسلم من صلى الفجر فى جماعة ثم قعد يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وعن أم سلمة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى الصبح قال اللهم انى أسألك علما نافعا وعملا متقبلا ورزقا طيبا رواه أحمد وابن ماجة وقال علقمة بن قيس رحمه الله بلغنا أن الارض تعج الى الله تعالى من نومة العالم بعد صلاة الصبح ويروى عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا طلعت الشمس قال الحمد لله الذى جللنا اليوم عافيته وجاء بالشمس من مطلعها اللهم أصبحت أشهد لك بما شهدت به لنفسك وشهدت به ملائكتك وحملة عرشك وجميع خلقك انك أنت الله لا اله الا أنت القائم بالقسط لا اله الا أنت العزيز الحكيم أكتب شهادتى بعد شهادة ملائكتك وأولى العلم اللهم أنت السلام ومنك السلام واليك السلام أسألك ياذا الجلال والاكرام أن تستجيب لنا دعوتنا وأن تعطينا رغبتنا وأن تغنينا عمن أغنيته عنا من خلقك اللهم أصلح لى دينى الذى هو عصمة أمرى وأصلح لى دنياى التى فيها معيشتى وأصلح لى آخرتى التى اليها منقلبى وقال صلى الله عليه وسلم من جلس مجلسا وكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا أنت أستغفرك وأتوب اليك الا غفر له ما كان فى مجلسه ذلك وقال على رضى الله عنه من أحب أن يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك رب

اعتبار عدة خصال أن يكون عاقلا حسن الخلق غير فاسق ولا مبتدع ولا حريص على الدنيا أما العقل فهو رأس المال قال أمير المؤمنين على رضى الله عنه

فلا تصحب أخا الجهل
واياك واياه
فكم من جاهل أردى
حليما حين آخاه
يقاس المرء بالمرء
اذا ما المرء ماشاه
وللشئ من الشئ
مقاييس وأشباه
وللقلب على القلب
دليل حين يلقاه

كيف والاحمق يضرك وهو يريد أن ينفعك وقال بعضهم انى لآمن من عدو عاقل وأخاف خلا يعتريه جنون فالعقل فن واحد وطريقه* أدرى فارصد والجنون فنون ولذلك قيل مقاطعة الاحمق قربان الى الله تعالى وكذا الفاسق لا فائدة فى صحبته لان من يخاف الله لا يصر على كبيرة ومن لا يخاف الله لا تؤمن غائلته وقال الله تعالى ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه والطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدرى وكذا المبتدع وأما حسن الخلق فقد جمعه علقمة فى وصيته لابنه رحمه الله لما حضرته الوفاة قال يا بنى ان عرضت لك الى صحبة الرجال حاجة فاصحب من اذا خدمته صانك وان صحبته زانك وان قعدت بك مؤنة مانك اصحب من اذا مددت يدك بخير مدها وان رأى منك حسنة عدها وان راى منك سيئة سدها اصحب من اذا سألته أعطاك وان سكت ابتداك وان نزلت بك نازلة واساك اصحب من اذا قلت صدق قولك واذا حاولت أمرا أمرك وان تنازعتما

العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وعن شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سيد الاستغفار اللهم أنت ربي لا اله الا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا أنت اذا قال ذلك حين يمسي فمات دخل الجنة أو كان من أهل الجنة واذا قال حين يصبح فمات من يومه مثله رواه البخاري ومعنى أبوء أقر وأعترف وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أقول عند أذان المغرب اللهم هذا اقبال ليلك وادبار نهارك وأصوات دعاتك اغفر لي رواه أبو داود والترمذي وعنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انصرف من صلاة المغرب يدخل فيصلي ركعتين ثم يقول فيما يدعو يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك رواه ابن السني وعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلم من الوتر قال سبحان الملك القدوس ثلاث مرات رواه النسائي وفي الصحيحين عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوأك للصلاة ثم اضطجع على شقك الايمن وقل اللهم أسلمت نفسي اليك وفوضت أمري اليك وألجأت ظهري اليك رغبة ورهبة اليك لا ملجأ ولا منجا منك الا اليك آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت فان مت مت على الفطرة واجعلهن آخر ما تقول وقال صلى الله عليه وسلم من تعار من الليل فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير والحمد لله وسبحان الله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم قال اللهم اغفر لي أو دعا استجيب له فان توضأ قبلت صلاته رواه البخاري قوله تعار هو بتشديد الراء معناه استيقظ وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال شكوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أرقا أصابني فقال قل اللهم غارت النجوم وهدأت العيون وأنت حي قيوم لا تأخذك سنة ولا نوم يا حي يا قيوم أهدئ ليلي وأنم عيني فقلتها فاذهب الله عز وجل عني ما كنت أجد رواه ابن السني وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعلمهم من الفزع كلمات أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه ومن شر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون قال وكان عبد الله بن عمرو يعلمهن من عقل من بنيه ومن لم يعقل كتبه فعلقه عليه رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن وقال صلى الله عليه وسلم اذا رأى أحدكم رؤيا يحبها فانما هي من الله تعالى فليحمد الله تعالى عليها وليحدث بها واذا رأى غير ذلك مما يكره فانما هي من الشيطان فليستعذ من شرها ولا يذكرها لاحد فانها لا تضره رواه البخاري وقال أبو الليث السمرقندي رحمه الله من حفظ سبع كلمات فهو عند الله شريف وعند الملائكة شريف وغفرت له ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر أولها أن يقول في ابتداء كل شيء بسم الله والثاني أن يقول عند الفراغ من كل شيء الحمد لله والثالث اذا جرى على لسانه لغو أو عمل شيأ يقول بعده أستغفر الله والرابع اذا أراد أن يقول غدا أعمل عملا فيقول على أثره ان شاء الله والخامس اذا استقبله مكروه فيقول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم والسادس اذا أصابته مصيبة في النفس أو في المال قلت أو كثرت فيقول انا لله وانا اليه راجعون والسابع لا يزال يجري على لسانه في آناء الليل وأطراف النهار لا اله الا الله محمد رسول الله

(الباب الخامس في فضل لا اله الا الله)

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا اله الا الله خالصا من قلبه أو نفسه رواه البخاري وروى الترمذي عن جابر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أفضل الذكر لا اله الا الله قال صلى الله عليه وسلم أخبرني جبريل عليه السلام أن لا اله الا الله أنس للمسلم عند موته وفي قبره وحين يخرج من قبره يا محمد لو تراهم حين يمرقون من قبورهم ينفضون رؤسهم هذا يقول لا اله الا الله والحمد لله فيبيض وجهه وهذا ينادي يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله مسودة وجوههم وقال صلى الله عليه وسلم ليس على أهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم ولا في

شنت فيك شمله ليجمعك وكان في السلف من يتفقد عيال أخيه وأولاده بعد موته أربعين سنة يقوم بحاجاتهم ويتردد كل يوم اليهم ويمونهم بماله فكانوا لا يفقدون من أبيهم الا عينه بل كانوا يرون منه ما لا يرونه من أبيهم في حياته ويحسن أن يكون عالما بعد الورع لينتفع بعلمه أيضا قال لقمان يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتك فان القلوب تحيي بالحكمة كما تحيي الارض الميتة بوابل القطر *(فصل في حقوق الاخوة والصحبة)* اعلم أن عقد الاخوة رابطة بين شخصين كعقد النكاح بين الزوجين فاذا انعقدت الاخوة فذلك يوجب حقوقا عليك في المال والنفس واللسان والقلب بالعفو والدعاء والاخلاص والوفاء وترك التكلف (الاول في المال) وأقله أن يكون مثل عبدك فيكون أمره من مهماتك وأوسطه أن يكون مثلك فان الاخوة توجب الشركة والمساواة وأعلاها أن تؤثره عليك فتخل بأمر نفسك لينتظم حاله وهو من أعلى الدرجات فقد ورد في الآثار أخبار كثيرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اصطحب اثنان قط الا كان أحبهما الى الله تعالى أرفقهما بصاحبه (الثاني الاعانة بالنفس) في قضاء الحاجات والقيام بها قبل السؤال وهذه له درجات توازي ما سبق من درجات المال في المقامات الثلاثة (الثالث)

النشور كأني أنظر اليهم عند الصيحة ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور وقال صلى الله عليه وسلم أكثروا من قول لا اله الا الله قبل أن يحال بينكم وبينها فانها كلمة التوحيد وهي كلمة الاخلاص وهي كلمة التقوى وهي الكلمة الطيبة وهي دعوة الحق وهي العروة الوثقى وهي ثمن الجنة وقال عطاء بن أبي رباح سألت ابن عباس عن قوله تعالى غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول فقال غافر الذنب لمن قال لا اله الا الله شديد العقاب لمن لم يقل لا اله الا الله وقوله لا اله الا هو اليه المصير مصير من قال لا اله الا الله الى الجنة ومصير من لم يقل لا اله الا الله الى النار وقال صلى الله عليه وسلم لقنوا موتاكم لا اله الا الله فانها تهدم ما كان قبلها من الخطايا وقال صلى الله عليه وسلم حضر ملك الموت رجلا يموت فنظر في قلبه فلم يجد فيه شيأ ففك لحييه فوجد طرف لسانه لاصقا بحنكه يقول لا اله الا الله فغفر له بكلمة الاخلاص وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من قرأ شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم ثم قال وأنا أشهد بما شهد الله به وأستودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله وديعة ان الدين عند الله الاسلام يجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول الله ان لعبدي هذا عندي عهدا وأنا أحق من وفى بالعهد أدخلوا عبدي الجنة قال سعيد بن جبير رضي الله عنه كان حول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فلما نزل قوله تعالى شهد الله أنه لا اله الا هو خرت الاصنام سجدا حول الكعبة قيل في لا اله الا الله خاصيتان احداهما أن جميع حروفها جوفية ليس فيها شيء من الحروف الشفهية للاشارة الى الاتيان بها من خالص جوفه وهو القلب لا من الشفتين الثاني أنه ليس فيها حرف معجم بل جميعها مجردة من النقط اشارة الى التجرد من كل معبود سوى الله تعالى وقيل لا اله الا الله محمد رسول الله أربعة وعشرون حرفا وساعات الليل كذلك فكأنه قيل كل ذنب أذنبت في هذه الساعات يغفر بهذه الحروف وأيضا قول لا اله الا الله محمد رسول الله سبع كلمات وللعبد سبعة أعضاء وللنار سبعة أبواب فكل كلمة من هذه السبع تغلق بابا من الابواب السبعة عن كل عضو من الاعضاء السبعة وقيل قول لا اله الا الله اثنا عشر حرفا فلا جرم وجب بها اثنا عشر فريضة ستة ظاهرة وستة باطنة أما الظاهرة فالطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد وأما الباطنة فالتوكل والتفويض والصبر والرضا والزهد والتوبة وقال الامام فخر الدين الرازي رحمه الله في كتاب أسرار التنزيل ولطائف التأويل يحصل للمؤمن بسبب الشهادة أبوة ابراهيم عليه السلام قال الله تعالى ملة أبيكم ابراهيم وأمومة أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى وأزواجه أمهاتهم واخوة المؤمنين قال الله تعالى انما المؤمنون اخوة واستغفار النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات واستغفار الملائكة قال الله تعالى ويستغفرون للذين آمنوا وشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم قال عليه السلام شفاعتي لاهل الكبائر من أمتي ومشاركة الله في الاسم المؤمن حكي أنه عرض على بعض الملوك عسكره وكان يسألهم عن أسمائهم فيجيبونه فسأل واحدا عن اسمه فسكت لانه كان سميه فعرف ذلك فأعطاه خلعة عظيمة وفي الخبر يؤتى برجل يوم القيامة اسمه محمد فيقول الله له ما استحييت أن تعصيني وأنت سمي حبيبي فأنا أستحي أن أعذبك وأنت سمي حبيبي قال الامام فخر الدين فاذا كان لا يعذب سمي رسوله فنرجو أن لا يعذب سمي نفسه قال الامام فخر الدين روي أن الماء زاد ببغداد حتى أشرفت على الغرق قال بعض الصالحين رأيت في بعض تلك الليالي كأني واقف على طرف الدجلة وأقول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم غرقت بغداد فجاء انسان حسن الصورة وكنت أعلم أنه ملك وجاء آخر من ناحية أخرى فقال أحدهما للآخر ما الذي أمرت به فقال أمرت بتغريق بغداد ثم نهيت عنه فقال ولم قال رفعت ملائكة الليل البارحة أنه افتض ببغداد سبعمائة فرج حرام فغضب الله تعالى وأمرني بتغريقهم ثم رفعت ملائكة النهار في صبح هذا اليوم سبعمائة أذان واقامة فغفر الله تعالى لهؤلاء بهؤلاء قال صاحب الرؤيا فانتبهت وجئت الى الدجلة فاذا الماء قد نقص وحكي أن امرأة جاءت الى بعض أكابر الصوفية بقارورة من زيت وقالت يا شيخ أحب أن تصلح قناديل المسجد بهذا الزيت فقال الشيخ أيما أحب اليك نور يصعد الى

كنت تطلب من هو خال من العيوب فلا تجد قال الشافعي رضي الله عنه ما أحد من المسلمين يطيع الله فلا يعصيه ولا أحد يعصي الله فلا يطيعه فمن كانت طاعته أغلب من معاصيه فهو عدل فاذا كان هذا عدلا في حق الله تعالى فهو في حقك أولى فكن ممن يظهر الجميل ويستر القبيح لان الله تعالى وصف بذلك في الدعاء فقيل يا من يظهر الجميل ويستر على القبيح واعلم أن المرضى عند الله تعالى من يتخلق بأخلاقه وهو ستار العيوب غفار الذنوب واعلم انه لا يتم ايمان الرجل حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه ولا شك أنه ينتظر منه ستر العورات والعفو عن الزلات وأن يكتم سره وقد قيل قلوب الاحرار قبور الاسرار وقيل ان قلب الاحمق في فيه ولسان العاقل في قلبه وقال ابن المعتز

ومستودعي سرا تبوأت كتمه * فأودعته صدري فصار له قبرا

الرابع النطق بما يحبه من المدح من غير خروج عن الحق قال عليه الصلاة والسلام اذا أحب أحدكم أخاه فليخبره وذلك لانه يوجب زيادة في الحب وما أحسن ما قيل في هذا المعنى شعر

خذ من خليلك ما صفا * ودع الذي فيه الكدر
فالعمر أقصر من معا * تبسة الخليل على الغير

وقيل بيت مفرد

* ولست بمستبق أخا لا تلمه * على شعث أي الرجال المهذب

(الخامس) الوفاء والاخلاص وذلك

السقف أو نور يصعد الى العرش فقالت بل نور يصعد الى العرش فقال اذا صببت هذا الدهن فى القناديل صعد النور الى السقف واذا صببته فى طعام الفقراء صعد النور منه الى العرش ثم أصلح طعاما بذلك الدهن للفقراء فلما أكلوا قال قولوا بصدق واخلاص لا اله الا الله واجعلوا ثوابها لتلك المرأة (وحكى) أنه كان فى الامم الماضية ملك متمرد على ربه فغزاه المسلمون وأخذوه أسيرا فقالوا باى قتلة نقتله فاجمع رأيهم على أن يضعوه فى قمقم ويوقدوا تحته النار ليذيقوه قوة العذاب ففعلوا ذلك به فجعل يدعوا آلهته واحدا بعد واحد يا فلان بما كنت أعبدك انقذنى مما أنا فيه فلما رآها لا تغنى عنه شيأ رفع رأسه الى السماء وقال لا اله الا الله ودعا مخلصا فصب الله عليهم ماء من السماء فاطفأ النار وجاءت ريح فحملت القمقم وجعلت تدور بين السماء والارض وهو يقول لا اله الا الله وقذفته الى قوم لا يعبدون الله وهو يقول لا اله الا الله فاستخرجوه وقالوا ويحك مالك فقال أنا ملك بنى فلان كان من أمرى وجندى كيت وكيت وقص عليهم القصة فآمنوا كلهم ويروى عن الله عز وجل أنه قال لا اله الا الله حصنى فمن دخل حصنى أمن من عذابى وقال أبو الليث السمرقندى رحمه الله وفى الخبر مفتاح الجنة لا اله الا الله قال أبو الليث ولكن المفتاح لابد له من أسنان حتى يفتح الباب ومن أسنانه لسان ذاكر طاهر من الكذب والغيبة وقلب خاشع طاهر من الحسد والخيانة وبطن طاهر من الحرام والشبهة وجوارح مشغولة بالخدمة طاهرة من المعاصى

(فصل فى قوله تعالى ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة الى قوله ويفعل ما يشاء) الكلمة الطيبة هى لا اله الا الله والشجرة الطيبة هى النخلة فانها طيبة الثمر أصلها ثابت أى فى الارض وفرعها أعلاها فى السماء كذلك أصل هذه الكلمة راسخ فى قلب المؤمن بالمعرفة والتصديق فاذا تكلم بها عرجت فلا تحجب حتى تنتهى الى الله قال الله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه تؤتى أكلها تعطى ثمرها كل حين باذن ربها قال مجاهد وعكرمة الحين ههنا سنة كاملة لان النخلة تثمر كل سنة وقيل ستة أشهر من وقت اطلاعها الى صرامها وقيل أربعة أشهر من حين ظهورها الى ادراكها وقال الربيع بن أنس كل حين أى كل غدوة وعشية لان ثمر النخل يؤكل أبدا ليلا ونهارا صيفا وشتاء اما تمرا أو رطبا أو بسرا كذلك عمل المؤمنين يصعد أول النهار وآخره وبركة ايمانه لا تنقطع أبدا بل تصل اليه فى كل وقت والحكمة فى تمثيل الايمان بالشجرة هى أن الشجرة لا تكون شجرة الا بثلاثة أشياء عرق راسخ وأصل قائم وفرع عال كذلك الايمان لا يتم الا بثلاثة أشياء تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل بالابدان قيل والحكمة فى تشبيهها بالنخلة من بين سائر الاشجار لان النخلة أشبه الاشجار بالانسان من حيث انها اذا قطع رأسها يبست وسائر الاشجار تتشعب من جوانبها بعد قطع رأسها وأنها تشبه الانسان فى أنها لا تحمل الا بالالقاح وأنها خلقت من فضل طينة آدم عليه السلام فلذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم أكرموا عمتكم قيل ومن عمتنا قال النخلة وقال الامام فخر الدين الرازى رحمه الله فى أسرار التنزيل ولطائف التأويل لسبب تشبيه النخلة بكلمة التوحيد وجوه الاول ان شجرة النخلة لا تنبت فى جميع البلدان كذلك كلمة التوحيد لا تجرى على كل لسان الثانى أن شجرة النخلة أطول الاشجار وكذلك كلمة التوحيد أعلى الكلمات الثالث أن الشجرة ثابتة فى الارض وفرعها فى السماء كذلك أصل الكلمة الطيبة ثابت فى القلب وهو المعرفة وفرعها فى السماء اليه يصعد الكلم الطيب الرابع أن شجرة النخل تحمل كل سنة مرتين كذلك الايمان يحمل فى الدنيا مرة ويثاب لاجل ايمانه أهلية الشهادة والولاية والامامة ومرة أخرى فى الآخرة وهى الجنة الباقية والنعمة الدائمة الخامس أن النخل وان حصل وسط ثمرها نواة لا خير فيها ولا منفعة فان قيمة تلك الثمرة لا تنقص بسبب تلك النواة وكذلك كلمة التوحيد وان كان يحصل معها شئ من المعاصى لا تنقص بسبب ذلك يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا السادس أن النخلة أسفلها الذى يقرب من الناس كله شوك والثمرة والمنفعة فى أعلاها كذلك كلمة التوحيد الذى أولها تكاليف شاقة هى كالشوكة وأعلاها الثمرة الحلوة اللذيذة وهى المعرفة والمحبة قوله ومثل كلمة خبيثة هى الشرك

كشجرة

بالثبات على الحب ومداومته الى دخلت عليه فقيل له فى ذلك فقال انها كانت تاتينا أيام خديجة واعلم أن حسن العهد من الايمان وان كرم العهد من الدين وينبغى أن ترى الفضل أبدا للاخوان لا لنفسك وقيل فيه شعر

تذلل لمن ان تذللت له
يرى ذاك للفضل لا للبله
وجانب صداقة من لا يزال
على الاصدقاء يرى الفضل له

(فصل فى حقوق المسلم والرحم والجوار) اما حقوق المسلم فهو أن يسلم عليه اذا لقيه ويجيبه اذا دعاه ويشمته اذا عطس ويعوده اذا مرض ويشهد جنازته اذا مات ويبر قسمه اذا أقسم وينصح له اذا استنصحه ويحفظه بظهر الغيب اذا غاب ويحب له ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع من حق المسلمين عليك أن تعين محسنهم وأن تستغفر لمذنبهم وأن تدعو لمدبرهم وأن تحب تائبهم ومنها أن لا تؤذى أحدا من المسلمين بفعل ولا قول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده وقال عليه الصلاة والسلام المؤمن من أمنه المؤمنون على أنفسهم وأموالهم وقال صلى الله عليه وسلم المهاجر من هجر السوء واجتنبه ومنها أن يتواضع لكل مسلم ولا يتكبر عليه فان الله تعالى لا يحب كل مختال فخور وان تكبر عليك أحد فاحتمل لقوله تعالى خذ العفو

كشجرة خبيثة وهى الحنظل وقيل الثوم وقيل الكشوث اجتثت اقتلعت من فوق الارض مالها من قرار أى ثبات اى ليس لها اصل ثابت ولا فرع صاعد الى السماء كذلك الكافر لا خير فيه ولا يصعد له قول طيب ولا عمل صالح يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت كلمة التوحيد وهى لا اله الا الله فى الحياة الدنيا أى قبل الموت وفى الآخرة أى فى القبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلم اذا سئل فى القبر يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فذلك قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة قوله ويضل الله الظالمين لا يهدى المشركين الى الجواب بالصواب فى القبر ويفعل الله ما يشاء من التوفيق والخذلان والتثبت وتركه

(الباب السادس)

فى قوله تعالى تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم قوله وان من شئ الا يسبح بحمده روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال وان من شئ حى الا يسبح بحمده وقال قتادة رحمه الله يعنى وما من شئ من الحيوانات والناميات الا يسبح قال عكرمة الشجرة تسبح والاسطوانة تسبح وقال النخعى وان من شئ جماد وحى الا يسبح بحمده حتى صرير الباب ونقيض السقف وقيل تسبيحها تسبيح الناظر اليها وقال النووى رحمه الله فى شرح مسلم ومذهب كثيرين والاكثرين من المفسرين أن معنى الآية وان من شئ حى ثم قالوا حياة كل شئ بحسبه فحياة الخشب ما لم ييبس والحجر ما لم يقطع وذهب المحققون من المفسرين وغيرهم الى أنه على عمومه ثم اختلف هؤلاء هل تسبح حقيقة أم فيه دلالة على الصانع فيكون مسبحا منزها بصورة حاله والمحققون على أنه يسبح حقيقة وقد أخبر الله تعالى وان من الحجارة لما يهبط من خشية الله وان كان العقل لا يحيل جعل التمييز فيها وجاء النص به وجب المصير اليه والله أعلم قال الامام ابو محمد رحمه الله فى معالم التنزيل مذهب أهل السنة ان لله علما فى الجمادات وسائر الحيوانات سوى العقلاء لا يقف عليه غيره فلها صلاة وتسبيح وخشية كما قال جل ذكره وان من شئ الا يسبح بحمده وقال والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه وقال ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض والشمس والقمر الآية فيجب على المرء الايمان به ويكل علمه الى الله روى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان على ثبير والكفار يطلبونه فقال الجبل انزل عنى فانى أخاف أن تؤخذ على فيعاقبنى الله بذلك فقال له جبل حراء الى الى يا رسول الله وعن أنس رضى الله عنه قال ما من صباح ولا رواح الا تنادى بقاع الارض بعضها بعضا يا جارة هل مر بك عبد فصلى لله أو ذكر الله عليك فمن قائلة لا ومن قائلة نعم فاذا قالت نعم رأت لها عليها بذلك فضلا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسمع صوت المؤذن جن ولا انس ولا شجر ولا حجر ولا مدر الا شهد له يوم القيامة رواه ابن ماجه وقال صلى الله عليه وسلم ما صيد حوت فى البحر ولا طائر يطير الا بما ضيع من تسبيح الله عز وجل قال مجاهد فى قوله تعالى وان منها لما يهبط من خشية الله لا ينزل حجر من أعلى الى أسفل الا من خشية الله وقد قال الله تعالى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله قوله تعالى ولكن لا تفقهون تسبيحهم لانه ليس بلغتكم ويجوز أن يفهم الله تعالى بعض عباده تسبيح الجمادات والحيوانات كداود وسليمان ومحمد صلوات عليهم أجمعين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما استقبلنى جبريل بالرسالة جعلت لا أمر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يا رسول الله وقال ابن مسعود رضى الله عنه كنا نأكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيح الطعام وقال أنس رضى الله عنه أخذ النبى صلى الله عليه وسلم كفا من حصى فسبحن فى يده حتى سمعت التسبيح ثم صبهن فى يد أبى بكر فسبحن ثم فى أيدينا فما سبحن ومما نحن فيه حنين الجذع وغيره مما تقدم فى معجزاته صلى الله عليه وسلم وقال الله تعالى ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوبى معه أى سبحى معه اذا سبح والطير قيل كان داود اذا تخلل الجبال فسبح الله جعلت الجبال تجاوبه بالتسبيح نحو ما يسبح وفى كتاب الزاهر لابى عبد الله القرطبى أن داود عليه السلام قال لاسبحن الله الليلة تسبيحا ما سبحه به أحد من خلقه فنادته ضفدع من ساقية فى داره أتفخر على الله بتسبيحك وان لى سبعين سنة ما جف لى لسان من ذكر الله وان لى عشر ليال ما طعمت خضراء ولا شربت ماء

وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ومنها أن لا يستمع بلاغات الناس لا على نفسه ولا على غيره ولا يفعل هو أيضا قال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة قتات ومنها أن لا يزيد فى الهجر لمن يعرفه على ثلاثة أيام ولا يدخل على أحد الا باذنه ويخالق الجميع بخلق حسن فيوقر المشايخ ويرحم الصبيان ويكون مع كافة الخلق طلق الوجه ولا يعد لمسلم بوعد الا ويفى به ومنها أن يصلح ذات البين بين المسلمين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بافضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى فقال صلى الله عليه وسلم اصلاح ذات البين وأن يستر عورات المسلمين ومنها أن يتقى مواضع التهم ويشفع لمن له حاجة عند من له عنده منزلة وأن يبدأ بالسلام قبل الكلام وأن يصون عرض أخيه وماله من ظلم غيره ما وجد اليه سبيلا ومنها أنه اذا بلى بذى شر يجامله ويداريه ومنها أن يزور قبورهم فيدعو لميتهم وأما حقوق الجوار فاعلم أن الجار يستحق ما يستحقه المسلمون كافة وزيادة بسبب الجوار قال النبى صلى الله عليه وسلم الجيران ثلاث جار له حق واحد وجار له حقان وجار له ثلاث حقوق فالجار الذى له ثلاث حقوق الجار المسلم ذو الرحم والجار الذى له حق واحد الجار المشرك والجار الذى له حقان الجار المسلم فاثباته الحق للمشرك بسبب الجوار دل على تأكد حق الجوار وقال

اشتغالا بكلمتين فقال ما هما قالت يا مسبحا بكل لسان ومذكورا في كل مكان فقال داود في نفسه وما عسى أن أقول أبلغ من هذا روى البيهقي في شعبه عن أنس رضي الله عنه أنه قال ان نبي الله داود عليه السلام ظن في نفسه ان أحدا لم يمدح خالقه بأفضل مما مدحه فأنزل الله عليه ملكا وهو قاعد في محرابه والبركة الى جانبه فقال يا داود افهم ما تصوت به الضفدع فأنصت اليها فاذا هي تقول سبحانك وبحمدك منتهى علمك فقال له الملك كيف ترى فقال والذي جعلني نبيا اني لم أمدحه بهذا قال سفيان رحمه الله يقال انه ليس شيء أكثر ذكرا لله من الضفدع وروى البيهقي عن سهل بن سعد الساعدي أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل خمس النملة والنحلة والضفدع والصرد والهدهد وقال الله تعالى وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير قيل سمي صوت الطير منطقا لحصول الفهم منه كما يفهم من كلام الناس روي عن كعب الاحبار قال صاح ورشان عند سليمان عليه السلام فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول لدوا للموت وابنوا للخراب وصاحت فاختة فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال فانها تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا وصاح طاوس فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال فانه يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال فانه يقول من لا يرحم لا يرحم وصاح صرد فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال فانه يقول استغفروا الله يا مذنبين قال وصاحت طيطوى فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال فانها تقول كل حي ميت وكل جديد بال وصاح خطاف فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال فانه يقول قدموا خيرا تجدوه وهدرت حمامة فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول سبحان ربي الاعلى ملء سمائه وأرضه وصاح قمري فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال فانه يقول سبحان ربي الاعلى قال والغراب يدعو على العشار والحدأة تقول كل شيء هالك الا الله والقطا تقول من سكت سلم والببغا تقول ويل لمن الدنيا همه والضفدع يقول سبحان ربي القدوس والبازي يقول سبحان ربي وبحمده والضفدعة تقول سبحان المذكور بكل لسان وعن مكحول قال صاح دراج عند سليمان فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال فانه يقول الرحمن على العرش استوى وروي أن سليمان مر على بلبل فوق شجرة يحرك رأسه ويميل بذنبه فقال لاصحابه أتدرون ما يقول قالوا الله ونبيه أعلم قال يقول أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء وروي أن جماعة من اليهود قالوا لابن عباس رضي الله عنه انا سائلوك عن سبعة أشياء فان أخبرتنا آمنا وصدقنا قال اسألوا تفقها ولا تسألوا تعنتا قالوا أخبرنا عما يقول القنبر في صفيره والديك في صقعه والضفدع في نقيقه والحمار في نهيقه والفرس في صهيله وما يقول الزرزور والدراج قال نعم أما القنبر فانه يقول اللهم العن مبغضي محمد وآل محمد وأما الديك فيقول اذكروا الله يا غافلين وأما الضفدع فيقول سبحان ربي المعبود في لجج البحار وأما الحمار فانه يقول اللهم العن العشار وأما الفرس فانه يقول اذا التقى الصفان سبوح قدوس رب الملائكة والروح وأما الزرزور فيقول اللهم اني أسألك قوت يوم بيوم وأما الدراج فانه يقول الرحمن على العرش استوى قال فأسلم اليهود وحسن اسلامهم وروي عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن جده عن الحسين بن علي رضي الله عنهم قال اذا صاح النسر قال يا ابن آدم عش ما شئت آخرك الموت واذا صاح العقاب قال في البعد من الناس أنس واذا صاح القنبر قال اللهم العن مبغضي آل محمد واذا صاح الخطاف قرأ الحمد لله رب العالمين ويمد في الضالين كما يمد القارئ وذكر أبو القاسم القشيري رحمه الله في الرسالة في باب المحبة ان خطافا راود خطافة على قبة سليمان وامتنعت منه فقال تمتنعين علي ولو شئت قلبت القبة على سليمان فدعاه سليمان قال ما حملك على هذا قال يا نبي الله العشاق لا يؤاخذون بأقوالهم فقال صدقت وروى البيهقي وابن عساكر بسندهما الى أبي مالك قال مر سليمان بن داود بعصفور يدور حول عصفورة فقال لاصحابه هل تدرون ما يقول قالوا وما يقول يا نبي الله قال يخطبها لنفسه ويقول تزوجيني أسكنك أي قصور دمشق شئت قال سليمان ان غرف دمشق مبنية بالصخر لا يقدر أن يسكنها لكن كل خاطب كذاب وقال الله تعالى حتى اذا أتوا على وادي النمل الآية روي عن وهب بن منبه عن كعب قال كان سليمان اذا ركب الريح حمل خدمه وحشمه وقد اتخذ مخابز ومطابخ يحمل فيها تنانير الحديد وقدورا عظاما يسع كل قدر عشر جزائر وقد

صلى الله عليه وسلم ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه وقال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره وأما حقوق الأقارب والرحم فقال عليه الصلاة والسلام يقول الله تعالى أنا الرحمن الرحيم وهذه الرحم شققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته وقال عز وجل لموسى صلوات الله عليه وسلامه يا موسى انه من بر والديه وعقني كتبته برا ومن عق والديه وبرني كتبته عاقا (حقوق المملوك) وقد كان من آخر ما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم أطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون فما أحببتم فامسكوا وما كرهتم فبيعوا ولا تعذبوا خلق الله تعالى فان الله ملككم اياهم ولو شاء الله ملكهم اياكم

(الباب السادس عشر في العزلة)

اعلم أنه قد اختلف الناس فيها فذهب بعضهم الى استحباب العزلة وتفضيلها على المخالطة مثل سفيان الثوري وابراهيم بن أدهم وداود الطائي والفضيل بن عياض وسليمان الخواص وبشر الحافي وذهب أكثر التابعين الى استحباب المخالطة واستكثار الاخوان للتعاون على البر والتقوى واستدل الجميع بما ورد في الاخوة والالفة من قوله عليه الصلاة والسلام لما أتى برجل كان قد أتى الجبل ليتعبد فيه فقال صلى الله اتخذ

اتخذ صيادين للدواب أمامه فيطبخ الطباخون ويخبز الخبازون وتجري الدواب بين الارض والسماء فسار بهم من اصطخر الى اليمن فسلك مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سليمان هذه دار هجرة نبي في آخر الزمان طوبى لمن آمن به وطوبى لمن اتبعه ورأى حول البيت أصناما تعبد من دون الله فلما جاوز سليمان البيت بكى البيت فأوحى الله الى البيت ما يبكيك قال يا رب أبكاني أن هذا نبي من أنبيائك وقوم من أوليائك مروا علي فلم يهبطوا ولم يصلوا عندي والاصنام تعبد حولي من دونك فأوحى الله اليه لا تبك فاني سوف أملؤك وجوها سجدا وأنزل فيك قرآنا جديدا وأبعث منك آخر الزمان أحب أنبيائي الي واجعل فيك عمارا من خلقي يعبدونني وأفرض على عبادي فريضة يدفون اليك دفيف النسور الى أوكارها ويحنون اليك حنين الناقة الى ولدها والحمامة الى بيضها وأطهرك من الاوثان وعبدة الشيطان ثم مر سليمان حتى مر بوادي السدير من الطائف فأتى على وادي النمل هكذا قال كعب انه واد بالطائف وقال مقاتل من أرض الشام قيل كان لا يتكلم خلق الا حملت الريح ذلك فألقته في مسامع سليمان فسمع سليمان قول النملة قال مقاتل سمعه من ثلاثة أميال فان قيل كيف يتصور الحطم من سليمان وجنوده وكانت الريح تحمله وجنوده على بساط بين السماء والارض قيل كانت جنوده ركبانا وفيهم مشاة على الارض تطوى لهم وقيل يحتمل أن يكون قبل تسخير الله الريح لسليمان قال أهل التفسير علمت النملة أن سليمان نبي الله ليس فيه جور وظلم فقالت وهم لا يشعرون وروي أن سليمان لما بلغ وادي النمل حبس جنوده حتى دخل النمل بيوتهم وروى الدارقطني والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تقتلوا النملة فان سليمان عليه السلام خرج ذات يوم يستسقي فاذا هو بنملة مستلقية على قفاها رافعة قوائمها تقول اللهم انا خلق من خلقك لا غناء لنا عن فضلك اللهم لا تؤاخذنا بذنوب عبادك الخاطئين واسقنا مطرا تنبت لنا به شجرا وأطعمنا ثمرا فقال سليمان لقومه ارجعوا فقد كفينا وسقيتم بغيركم

(فصل) قال الامام فخر الدين الرازي رحمه الله في أسرار التنزيل ولطائف التأويل هل يجوز أن تكون الطيور والبهائم عارفة بربها أم لا أكثر أرباب الآثار والاخبار جوزوا ذلك واحتجوا بأن كون هذه الطيور عارفة بربها مشتغلة بتسبيحه أمر جائز في العقول والنصوص وردت بوقوعها فوجب الاعتراف بذلك أما الجواز العقلي فدل عليه وجهان أحدهما الاجمال والثاني التفصيل أما الاجمال فهو أن حصول الفهم والعلم في ذوات هذه الحيوانات من جملة الممكنات والله تعالى قادر على كل الممكنات وأما التفصيل فانا نشاهد من هذه الحيوانات أفعالا لا تصدر الا من أفاضل العقلاء وذلك يدل على كونها عاقلة ومتى كان الامر كذلك ثبت جواز كونها عارفة بربها ونبين ما ذكرنا بوجوه الاول أن الفأرة تدخل ذنبها في قارورة الدهن ان كان رأسها ضيقا ولا تدخل رأسها ويحصل مقصودها بهذا الطريق وهذا يدل على عقلها الثاني أن النحل تبني بيوتها من أشكال موصوفة بصفتين أحدهما أن لا تكون زواياها ضيقة حتى لا يبقى الموضع الضيق معطلا والثاني أن تكون تلك البيوت مشكلة بشكل متى انضم بعضها الى بعض امتلأت القرصة منها ولا يبقى منها شيء ضائعا ثم انه تعالى أعطاها من الذكاء ما قدرت عليه على بناء تلك البيوت المسدسة من غير نظير ولا آلة ولا شكل وان البشر لا يقدرون على بناء البيوت المسدسة الا عند الاستعانة بالآلة الكثيرة الثالث أن النحل تسعى في تحصيل الذخيرة وذلك لعلمها بأنها قد تحتاج في الازمنة المستقبلة الى الغذاء ولا تكون قادرة على تحصيله في تلك الاوقات فوجب السعي في تحصيله في ذلك الوقت التي حصلت فيه القدرة على الاحضار الرابع أن العنكبوت تبني بيوتها على وجه عجيب وهل نسجها الشبكة التي تصيد بها الا بعد أن تفكرت كيف يمكنها اصطياد الذباب فهذه أفعال فكرية ليست بأولى من أفعال الفكرة الانسانية فوجب الاقرار بثبوت العقل لها الخامس أن الجمل والحمار اذا ذهبا طريقا في ليلة ظلماء ففي المرة الثانية يقدر على السلوك بتلك الطريق من غير ارشاد مرشد وأيضا فالانسان لا يمكنه المشي من بلد الى بلد مشيا سويا من غير غلط ولا خطا والكراكي تذهب من طرف أطراف العالم الى طرف آخر طالب الهواء الموافق من غير أن تضل البتة السادس

عليه وسلم لا تفعل أنت ولا أحد منكم لصبر أحدكم في بعض مواطن الاسلام خير من عبادة أحدكم أربعين عاما واستدل من فضل العزلة كفضيل رضي الله عنه بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عامر الجهني لما قال يا رسول الله ما النجاة قال صلى الله عليه وسلم ليسعك بيتك وأمسك عليك لسانك وابك على خطيئتك

(فصل في فوائد العزلة وغوائلها وكشف الحق في فضلها) واعلم أن الامر فيه يختلف باختلاف الاشخاص أما فوائد العزلة فالتمكن من المواظبة على الطاعات وتربية العلم والتخلص من ارتكاب المناهي التي يتعرض الانسان لها بالمخالطة كالرياء والغيبة وترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومسارقة الطبع من الاخلاق الذميمة وكذلك يتفرغ لاصلاح دنياه من الحرف والصناعات فالفائدة الاولى الفراغ للعبادة والتفكر والاستئناس بالله تعالى ومناجاته ومطالعة الملكوت وذلك انما يأتي بالعزلة ومفارقة الخلق ولهذا قال بعض الحكماء ولا يتمكن أحد من الخلوة الا بالانس بكتاب الله تعالى والمتمسكون بكتاب الله تعالى هم الذين استراحوا من الدنيا بذكر الله والذاكرون الله تعالى عاشوا بذكر الله وماتوا بذكر الله واتقوا الله بذكر الله ولا شك أن هؤلاء تمنعهم المخالطة عن الفكر والذكر وكذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في ابتداء أمره يتبتل في جبل حراء فاذا دام

ان الدب اذا أراد ان يفترس الثور لا يمكنه ان يقتله ظاهرا فيقال انه يستلقي في ممر ذلك فاذا قرب الثور منه وأراد أن ينطحه جعل قرنيه فيما بين ذراعيه ولا يزال ينهش مابين ذراعيه حتى يثخنه وأيضا انه يأخذ العصا ويضرب الانسان حتى يتوهم أنه مات ويتركه ربما عاد يشمه ويتجسس نفسه ويصعد الشجر أخف صعود ويهشم الجوز بين كفيه ثم ينفخ فيه ويبدد قشره ويأكل لبه السابع قالوا من خواص الفرس ان كل واحد منها تعرف صوت الفرس الذي قابله والتماسيح تفتح أفواهها الطائر كالعقعق حتى ينظف مابين أسنانها وفي رأس الطائر شئ كالشوك فاذا هم التمساح بالتقام ذلك الطائر تأذى من الشوكة فيفتح فاه فيخرج الطائر الثامن أن القنافذ قد تحس بريح الشمال والجنوب قبل الهبوب فتغير المدخل الى أجحرتها يقال انه كان رجل في القسطنطينية ينذر بالرياح قبل هبوبها وينفع الناس بانذاره وكان السبب فيه قنفذا في داره يفعل ذلك الفعل التاسع ان الخطاف صانع حسن في العش من الطين فاذا أعوزه ابتل وتمرغ في التراب ليحمل جناحاه قدرا من الطين واذا فرغ بالغ في التعهد للفراخ ويأخذ ذرقها بمنقاره ويرميها عن العش ثم يعلم فراخه القاء الذرق العاشر ان النعامة اذا اجتمع من بيضها عشرون أو ثلاثون قسمها ثلاثة أثلاث ثلثا تدفنه في التراب وثلثا تتركه في الشمس وثلثا تحفظه فاذا خرج فراخها كسرت ما كان في الشمس وتركت لفراخها ما كان من الرطوبة التي أذابتها الشمس ورفعتها فاذا اشتدت الفراخ وقويت أخرجت المدفون وفتحت لها ثقبا وقد اجتمع فيها النمل والذباب والديدان والحشرات ثم تطعم لفراخها فاذا تناولت ذلك قويت على المرعى والعب تفكر أيها الغافل أي امر أقتهتدي لتربية أولادها الى هذه الحيلة واعلم أن الاستقصاء في هذا الباب مذكور في كتاب طبائع الحيوانات ولولا كونها عاقلة لما صح منها شئ من ذلك واذا ثبت كونها مهتدية عارفة بهذه الدقائق فأي بعد في كونها عارفة بربها مسبحة لمالكها والنصوص الدالة على حصول هذه المعرفة كثيرة منها قوله تعالى حكاية عن سليمان علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شئ ان هذا لهو الفضل المبين وقوله تعالى قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وقوله تعالى لاعذبنه عذابا شديدا أو لاذبحنه الخ وهذا التهديد والوعيد لا يحسن الا مع الفاهم العاقل وقوله تعالى حكاية عن الهدهد قال أحطت بما لم تحط به الى قوله تعالى فهم لا يهتدون وهذا الترتيب في الكلام لا يتأتى الا من العاقل الذي يكون في غاية الذكاء وذلك لان أشد الاشياء أخذا بالقلوب النساء ولهذا السبب بدأ تعالى بذكر النساء في قوله تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين ولما لم يلتفت سليمان الى ذكر المرأة ثنى الهدهد بذكر المنازل وأوتيت من كل شئ فلما لم يلتفت أيضا سليمان ثلث بذكر الحياة والملك العظيم ولها عرش عظيم فلما لم يلتفت سليمان الى شئ من ذلك من أمور الدنيا ربع الهدهد بالدين فقال وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله ومعلوم ان مثل هذا الترتيب لا يحصل الا مع الذكاء ومنها قوله تعالى كل قد علم صلاته وتسبيحه ومنها قوله تعالى يا جبال أوبي معه والطير والتكليف لا يتوجه الا على العاقل ومنها قصة هابيل وهو قوله تعالى فبعث الله غرابا الخ فثبت بما ذكرنا من التجارب امكان كونها عارفة بربها وبهذه النصوص كونها عارفة عاقلة فوجب الاعتراف بذلك ثم ذكر الامام فخر الدين حجة القول الثاني والجواب عن ذلك وفيما ذكرناه كفاية وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم نهاق الحمير فتعوذوا بالله من الشيطان الرجيم فانها رأت شيطانا واذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله فانها رأت ملكا وقال صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الديك فانه يوقظ للصلاة

(كتاب الدعاء وفيه سبعة أبواب الباب الاول)

في الحث عليه وبيان فضله وقول العلماء فيه قال الله تعالى واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداعي اذا دعان الآية روى ان قوما لما نزل قوله تعالى ادعوني أستجب لكم قالوا يا رسول الله في أي وقت ندعوه وقال قوم أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فأنزل الله تعالى واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداعي اذا دعان اذا سألك عبادي عن ذاتي فانا الموجود من غير موجود لا يدركني كيف ولا يحيط

الرجل على الخلوة انتهى أمره الى ماقال الجنيد رضي الله عنه أكلم الله منذ ثلاثين سنة والناس يظنون اني أكلمهم وقيل لبعضهم ما حملك على الوحدة فقال لست وحدي انما أنا جليس الله فاذا أردت الله أن يناجيني قرأت كتاب الله واذا أردت أنا أناجيه صليت وقيل بينما أويس القرني جالس اذ أتاه هرم بن حيان فقال له ما جاء بك قال جئت لآنس بك قال ما كنت أدري ان أحدا يعرف ربه فيأنس بغيره وقال الفضيل اذا رأيت الليل مقبلا فرحت به وقلت أخلو بربي واذا رأيت الصبح أدركني استوحشت كراهة لقاء الناس وأن يجيئني من يشغلني عن ربي وقال مالك ابن دينار من لم يأنس بمحادثة الله عن محادثة الخلق فقد قل علمه وعمي قلبه وضيع عمره (الفائدة الثانية) التخلص بالعزلة عن المعاصي التي يتعرض الانسان لها غالبا بالمخالطة ويسلم منها في الخلوة وهي الغيبة والرياء والسكوت عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وسيأتي ذكره في موضعه وعلى الجملة الحكم بان الاولى واحد منهما على الاطلاق محال فانه يختلف باختلاف الاشخاص والاعتدال هو الاولى وهو ان لا ينقبض كل الانقباض فتفوته الفوائد الموقوفة على المخالطة ولا ينبسط كل الانبساط فتفوته فوائد العزلة وينوي بالعزلة ان يعتزل الناس من شره ويقبل بكليته على ذكر ربه ولا يطيل الامل فتأمن نفسه مذلك

بي أين ولا يصفني واصف ولا يلحقني وهم وان سألوك عن صفاتي فالعلم والحياة والقدرة والسمع والبصر والارادة والكلام صفاته قديمة لا تدركها الافهام وان سألوك عن أفعالي فكل يوم أنا في شأن أقرب وأبعد وأشقي وأسعد وأحيي وأميت واغفر لمن شئت وأعطي وأمنع وأخفض وأرفع وان سألوك عن الدلالة عني فالدلالة على عجيب تدبيري ومحكم آياتي وبديع تقديري في مخلوقاتي وان سألوك عن قربي منهم فاني قريب بالقدرة والنصرة والرحمة والنعمة والعلم والحلم أجيب دعوة الداعي اذا دعان ان دعاني لضر كشفت وان دعاني لحاجة قضيت وان دعاني لمرض شفيت وان دعاني لهم كفيت وان دعاني لرزق أعطيت وأرويت وان دعاني لدين أديت وان دعاني لعيب أصلحت وان دعاني لذنب صفحت وغفرت وان دعاني لتوبة تقبلت وان دعاني لنقص كملت وان أطاعوني أحسنت اليهم وان عصوني سترت وان أدبروا ناديتهم وان أقبلوا أدنيتهم وان سألوني أعطيتهم هذا جميعه من كلام الشيخ عبد العزيز رحمه الله (سؤال) ان قيل ما وجه قوله تعالى أجيب دعوة الداعي وقوله تعالى ادعوني أستجب لكم وقد يدعى كثيرا فلا يجيب قيل معنى الدعاء ههنا الطاعة ومعنى الاجابة الثواب وقيل المعنى انه يجيب دعاءه فان قدر له ما سأل أعطاه وان لم يقدر له ادخر له الثواب في الآخرة أو كف عنه سوأ والدليل عليه ما روى عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما على الارض من رجل مسلم يدعو الله عز وجل بدعوة الا آتاه اياها أو كف عنه من السوء مثلها ما لم يدع باثم أو قطيعة رحم وعن أبي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من عبد مسلم يدعو بدعاء الا استجيب له فاما ان يعجل له في الدنيا واما أن يؤخر له في الآخرة واما أن يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا ما لم يدع باثم أو قطيعة رحم وقال يزيد الرقاشي رحمه الله اذا كان يوم القيامة عرض الله تعالى لعبده كل دعوة دعا بها في الدنيا لم يكن استجاب له فيقول عبدي دعوتني يوم كذا فامسكت عليك دعوتك فهذا الثواب مكان هذا الدعاء ولا يزال العبد يعطى من الثواب حتى يتمنى انه لم يكن استجاب الله عز وجل دعوته قط وقيل ان للدعاء آدابا وشرائط وهي أسباب الاجابة فمن استكملها كان من أهل الاجابة ومن أخل بها فهو من أهل الاعتداء في الدعاء فلا يستحق الجواب قال الامام العارف الشيخ عبد القادر الجيلي رحمه الله في كتاب الغنية الادعية والتعوذات بمنزلة السلاح والسلاح بضاربه لا بحده فقط فمتى كان السلاح سلاحا تاما لا آفة والساعد قوي والمانع مفقود حصلت به النكاية في العدو ومتى تخلف واحد من هذه الثلاثة تخلف التأثير فان كان الدعاء في نفسه غير صالح والداعي لم يجمع بين قلبه ولسانه في الدعاء أو كان ثم مانع من الاجابة لم يحصل الاثر وفي كتاب الزهد للامام أحمد أصاب بني اسرائيل بلاء فخرجوا مخرجا فأوحى الله عز وجل الى نبيهم أن أخبرهم انكم تخرجون الى الصعيد بأبدان نجسة وترفعون الي أكفا قد سفكتم بها الدماء وملأتم بها بيوتكم من الحرام الآن اشتد غضبي عليكم ولن تزدادوا مني الا بعدا وأوحى الله الى داود عليه السلام قل للظلمة لا يدعوني فاني أوجبت على نفسي اني أجيب لمن دعاني واذا أجبت الظالمين لعنتهم وقال الله تعالى ادعوا ربكم تضرعا لا تواستكانة وخفية أي سرا قال الحسن بين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفا ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت ان كان الا همسا بينهم وبين ربهم وذلك ان الله سبحانه وتعالى يقول ادعوا ربكم تضرعا وخفية وان الله ذكر عبدا صالحا ورضي فعله فقال اذ نادى ربه نداء خفيا انه لا يحب المعتدين قيل المعتدين في الدعاء قال أبو مجلز هم الذين يسألون منازل الانبياء عليهم السلام وقيل أراد به الاعتداء بالجهر قال ابن جريج من الاعتداء بالجهر رفع الصوت بالدعاء وعن أبي موسى رضي الله عنه قال لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر اشرف الناس على واد فرفعوا أصواتهم بالتكبير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعوا على أنفسكم انكم لا تدعون أصم ولا غائبا انكم تدعون سميعا قريبا وقال عطية هم الذين يدعون على المؤمنين فيما لا يحل فيقولون اللهم اخزهم اللهم العنهم قوله ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها أي لا تفسدوا فيها بالمعاصي والدعاء الى غير طاعة الله بعد اصلاح الله اياها ببعث الرسل وبيان الشريعة والدعاء الى طاعة الله وقال عطية لا تعصوا في الارض فيمسك الله المطر ويهلك

لتخيل طول الامل وينوي الجهاد الاكبر بالعزلة وهو جهاد النفس كما قالت الصحابة رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر والله أعلم فافهم تغنم والله أعلم واليه المرجع والمآب

(الباب السابع عشر في السفر)

اعلم أن السفر سفران سفر بالظاهر في آفاق الارض وأقطارها وسفر بالباطن الى الله تعالى وهو ما دل عليه قوله تعالى حكاية عن خليله ابراهيم اني ذاهب الى ربي سيهدين ويدل على السفرين جميعا قوله تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق الآية فالسفر الاعظم هو السفر بالسر الى الله تعالى وهذا المسافر سيره أبدا في جنة عرضها السموات والارض في منازل لا تضيق مواردها ومناهلها بكثرة الواردين بل تتضاعف بكثرة المسافرين ومن حرم هذا السفر فقد حرم الخير كله وبقي في حضيض لا يرفع عنه أبد الآبدين وجميع الآداب والسنن التي وردت بها الاخبار والآثار هي آداب لهذا السفر وهو سفر الآخرة وأما السفر الظاهر الذي يختص بنقل الاقدام وقطع المنازل فنحن نبين فائدته وآدابه في فصول

(فصل) ينبغي أن يصحح أولا لقصد السفر نيته اما الحج أو زيارة عالم أو ولي اما حيا أو ميتا أو للمقام بالثغور والمرابطة بها أو الفرار عما لا يطاق من خلل في الدين أو الدنيا أو للتجارة في طلب الحلال حتى لا تكون حركته لمحض الدنيا فيضيع تعبه ونصبه واعلم أن النفس انما تظهر رذائلها وخبائثها باختلاف الاحوال وذلك

الحرث بمعاصيكم فعلى هذا معنى قوله اصلاحها أى بعد اصلاح الله اياها بالمطر والخصب وادعوه خوفا وطمعا أى خوفا منه ومن عذابه وطمعا فيما عنده من مغفرته وثوابه ان رحمة الله قريب من المحسنين وقال الله تعالى قل ما يعبأ بكم ربى لولا دعاؤكم قيل معناه ما خلقتكم ولى اليكم حاجة الا أن تسألونى فأعطيكم وتستغفرونى فأغفر لكم وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ليس شئ أكرم على الله عز وجل من الدعاء وأشرف العبادة الدعاء ومن لا يسأل الله يغضب عليه وقال صلى الله عليه وسلم اسألوا الله من فضله فان الله يحب أن يسئل وفى حديث مسلم عن أبى الدرداء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول دعوة المرء المسلم لاخيه بظهر الغيب مستجابة عند رأسه ملك موكل كلما دعا لاخيه بخير قال الملك الموكل به آمين ولك بمثله وقال صلى الله عليه وسلم أسرع الدعاء اجابة دعوة غائب لغائب وقال صلى الله عليه وسلم من صنع اليكم معروفا فكافئوه فان لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم كافأتموه وقال عمر رضى الله عنه استأذنت النبى صلى الله عليه وسلم فى العمرة فأذن وقال لا تنسنا يا أخى من دعائك فقال كلمة ما يسرنى ان لى بها الدنيا قال الخطابى اختلف مذاهب الناس فى الدعاء فقال قوم لا معنى للدعاء ولا طائل له لان الاقدار سابقة والاقضية متقدمة والدعاء لا يزيد فيها وتركه لا ينقص شيأ منها فلا فائدة فى الدعاء والمسئلة وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم قدر الله المقادير قبل أن يخلق الخلق بكذا وكذا عاما وروى عنه أنه قال جف القلم بما هو كائن وروى أربع قد فرغ منها العمر والرزق والخلق والخلق أو كما قال وقالت طائفة أخرى الدعاء واجب وهو يدفع البلاء ويرد القضاء واحتجوا بما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لا يرد القضاء الا الدعاء وبما روى أن الدعاء والقضاء يلتقيان فيعتلجان ما بين السماء والارض وقال آخرون الدعاء واجب الا انه لا يستجاب منه الا ما وافق القضاء قال الخطابى هذا المذهب هو الصحيح وهو قول أهل السنة والجماعة وفيه الجمع بين الاخبار المروية على اختلافها والتوفيق بينها قال فأما من ذهب الى ابطال الدعاء فمذهبه فاسد وذلك أن الله تعالى أمر بالدعاء وحض عليه فقال ادعونى أستجب لكم وقال ادعوا ربكم تضرعا وخفية وقال قل ما يعبأ بكم ربى لولا دعاؤكم فى آى ذوات عدد من القرآن فمن أبطل الدعاء فقد أنكر القرآن ورده ولا خفاء فى فساد قوله وسقوط مذهبه وقال الامام أبو القاسم القشيرى رحمه الله اختلف الناس فى أن الافضل الدعاء أم السكوت والرضا فمنهم من قال الدعاء عبادة لقوله صلى الله عليه وسلم الدعاء هو العبادة ولان الدعاء اظهار للافتقار الى الله تعالى وقالت طائفة السكوت والجمود تحت جريان الحكم أتم والرضا بما سبق به القدر أولى قال القشيرى والاولى أن يقال الاوقات مختلفة ففى بعض الاحوال الدعاء أفضل من السكوت وهو الادب وانما يعرف ذلك بالوقت فاذا وجد فى قلبه اشارة الى الدعاء فالدعاء أولى به واذا وجد اشارة الى السكوت فالسكوت أتم قال ويصح أن يقال ما كان للمسلمين فيه نصيب أو لله سبحانه وتعالى فيه حق فالدعاء أولى لكونه عبادة وان كان لنفسك فيه حظ فالسكوت أتم قال ومن شرائط الدعاء أن يكون مطعمه حلالا وكان يحيى بن معاذ الرازى رضى الله عنه يقول كيف أدعوك وأنا عاص وكيف لا أدعوك وأنت كريم وقال الامام الغزالى رحمه الله فان قيل فما فائدة الدعاء مع أن القضاء لا مرد له فاعلم أن من جملة القضاء رد البلاء بالدعاء فالدعاء سبب لرد البلاء ووجود الرحمة كما أن الترس سبب لدفع السلاح والماء سبب لخروج النبات من الارض فكما أن الترس يدفع السهم فيتدافعان فكذلك الدعاء والبلاء وليس من شرط الاعتراف بالقضاء أن لا يحمل السلاح وقد قال الله تعالى وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم فقدر الله الامر وقدر سببه وفيه من الفوائد ما ذكرناه وهو حضور القلب والافتقار وهما نهاية العبادة والمعرفة

(الباب الثانى فى آداب الدعاء)

قال الله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية الآيتين وقد تقدم تفسيرهما وعن ابن مسعود رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعجبه أن يدعو ثلاثا ويستغفر ثلاثا رواه أبو داود وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رفع يديه فى الدعاء لم يحطهما حتى يمسح بهما وجهه رواه

الترمذى

فى السفر كثير وقد بينا بعض آداب السفر فى كتاب الحج والرخص التى تثبت فى السفر هى المسح على الخف ثلاثة أيام بعد أن يكون لبس الخف بعد تمام الوضوء والتيمم للفرض والقصر والجمع وأداء النوافل على الراحلة وأداؤها ماشيا والفطر وينبغى أن يتعلم دلائل القبلة والمنازل فيما ينبغى له من السفر والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب فافهم تغنم والله أعلم

(الباب الثامن عشر فى السماع والوجد)

اعلم أن السماع قد اختلف الناس فيه فمنهم من حرمه ومنهم من أباحه ونبين حقيقة السماع واباحته فنقول السماع هو استماع صوت طيب موزون مفهوم المعنى محرك للقلب وليس فى جملة ذلك الا التذاذ حاسة السمع والقلب فهو كالتذاذ حاسة البصر بالنظر الى الخضرة والتذاذ القلب به وقد قال الله تعالى يزيد فى الخلق ما يشاء ففسروه بالصوت الحسن وقال صلى الله عليه وسلم فى أبى موسى الاشعرى لقد أوتى مزمارا من مزامير داود وفى الحديث ما بعث الله نبيا الا وهو حسن الصوت ومحال أن يقال هو مباح لكتاب الله تعالى وتلاوته فان استماع صوت العندليب مباح فاذا كان استماع الصوت الطيب مباحا فبأن يكون موزونا لا يحرم كيف وأصوات الغناء موزونة نوعا من الوزن لها مقاطع ومبادى متناسبة وهذا لا يختلف بخروج هذا الصوت الطيب من حلق آدمى أو طير أو غيرهما بل ينبغى أن يقاس على أصوات الطيور ما يخرج

الترمذى وروى الترمذى أيضا عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادعوا الله تعالى وأنتم موقنون بالاجابة واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه وفى الصحيحين عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يستجاب لاحدكم ما لم يعجل فيقول قد دعوت فلم يستجب لى وقال الامام أبو حامد الغزالى رحمه الله فى الاحياء آداب الدعاء عشرة الاولى أن يترصد الازمان الشريفة كيوم عرفة وشهر رمضان ويوم الجمعة والثلث الاخير من الليل ووقت الاسحار الثانى أن يغتنم الاحوال الشريفة كحالة السجود والتقاء الجيوش ونزول الغيث واقامة الصلاة وبعدها قال النووى وحال رقة القلب الثالث استقبال القبلة ورفع اليدين ويمسح بهما وجهه فى آخره الرابع خفض الصوت بين المخافتة والجهر الخامس لا يتكلف السجع وقد فسر به الاعتداء فى الدعاء والاولى أن يقتصر على الدعوات المأثورة فما كل أحد يحسن الدعاء فيخاف عليه الاعتداء وقال بعضهم ادع بلسان الذلة والافتقار ولا تدع بلسان الفصاحة والانطلاق ويقال ان العلماء والابدال لا يزيدون فى الدعاء على سبع كلمات ويشهد له ما ذكره الله تعالى فى آخر سورة البقرة ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا الى آخرها لم يخبر سبحانه وتعالى فى موضع عن أدعية عباده بأكثر من ذلك قال النووى ومثله قوله سبحانه وتعالى فى سورة ابراهيم صلى الله عليه وسلم واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا الخ قال والمختار الذى عليه جماهير العلماء انه لا حجر فى ذلك ولا تكره الزيادة على السبع بل يستحب الاكثار من الدعاء مطلقا السادس التضرع والخشوع والرهبة قال الله تعالى انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين وقال الله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية السابع أن يجزم بالطلب ويوقن بالاجابة ويصدق رجاءه فيها ودلائله كثيرة مشهورة قال سفيان بن عيينة رحمه الله لا يمنعن أحدكم من الدعاء ما يعلمه من نفسه فان الله تعالى أجاب شر المخلوقين ابليس اذ قال رب فانظرنى الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الثامن أن يلح فى الدعاء ويكرره ثلاثا ولا يستبطئ الاجابة التاسع أن يفتتح الدعاء بذكر الله تعالى قال النووى وبالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الحمد لله تعالى والثناء عليه ويختمه بذلك كله أيضا العاشر وهو أهمها والاصل فى الاجابة وهو التوبة ورد المظالم والاقبال على الله ويكره رفع بصره الى السماء فى الدعاء فى الصلاة وأما فى غيرها قال القاضى عياض رحمه الله اختلفوا فى كراهة رفع البصر الى السماء فى الدعاء فى غير الصلاة فكرهه شريح وآخرون وجوزه الاكثرون قالوا لان السماء قبلة الدعاء كما ان الكعبة قبلة الصلاة فلا يكره رفع الابصار اليها كما لا يكره رفع اليدين قال الله تعالى وفى السماء رزقكم وما توعدون قال عطاء رحمه الله للدعاء أركان وأجنحة وأوقات وأسباب فان وافق أركانه قوى وان وافق أجنحته ارتفع وان وافق أوقاته فاز وان وافق أسبابه نجح فأركانه حضور القلب مع الله والخشوع لله والحياء من الله ورجاء كرم الله وأجنحته الصدق وأكل الحلال وأوقاته أوقات الخلوة والفراغ كالاسحار وأسبابه الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم فان الدعاء لا يرد اذا كان قبله وبعده الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم

(الباب الثالث فى نهى الانسان عن الدعاء على نفسه وولده وماله)

قال الله تعالى ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضى اليهم الآية قال ابن عباس هذا فى قول الرجل عند الغضب لاهله وولده لعنكم الله ولا بارك فيكم وقال قتادة هو دعاء الرجل على نفسه وماله وأهله بما يكره أن يستجاب معناه لو يعجل الله للناس اجابة دعائهم فى الشر والمكروه استعجالهم بالخير أى كما يحبون استعجالهم بالخير لقضى اليهم أجلهم أى افرغ من هلاكهم ولماتوا جميعا وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم انى اتخذت عندك عهدا لن تخلفه انما أنا بشر فأى المؤمنين آذيته أو شتمته أو جلدته أو لعنته فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة تقربه بها يوم القيامة وقال الله تعالى ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير الآية معناه ويدعو الانسان على ماله ونفسه وولده بالشر فيقول عند الغضب اللهم العنه واهلكه ونحوهما دعاءه بالخير كدعائه ربه أن يهب له النعمة والعافية ولو استجاب الله دعاءه على نفسه لهلك

من الاجسام كالطبل والقضيب والدف والقصب فلا يستثنى من جملتها الا ما ورد النص بتحريمه كالاوتار والمزامير التى كانت معتادة للشرب اذا اقتضى المنع من شرب الخمر أن يمنع من متمماته وتوابعه مبالغة فى الفطام حتى اقتضى ذلك كسر الدنان فى الابتداء ويدل على ما ذكرناه من جوازه ما روى عن الصحابة من التغنى بالابيات حتى روى فى الصحيحين عن أبى بكر وبلال لما قدما المدينة ان بلالا كان مريضا فاذا أقلعت عنه الحمى قال رافعا صوته رضى الله عنه

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة * بواد وحولى اذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنة * وهل تبدون لى شامة وطفيل

وقال أبو بكر رضى الله عنه

كل امرئ مصبح فى أهله * والموت أدنى من شراك نعله

وقال عليه الصلاة والسلام

ان العيش عيش الآخرة * فارحم الانصار والمهاجرة

كل ذلك فى الصحيحين

(فصل فى آثار السماع)

من حيث انه محرك للقلب ومهيج لما هو غالب عليه فنقول ان لله تعالى سرا فى مناسبة الاصوات الموزونة للارواح فتؤثر فيها تأثيرا غريبا فتورثها الحزن مرة والفرح مرة والبكاء مرة والضحك أخرى وتوجب حركات فى الاعضاء غريبة عجيبة ولا تظن ان ذلك لفهم المعنى فحسب بل ذلك مشاهد فى الحيوانات خصوصا فى الابل ومشاهد فى الطفل الذى لا يتكلم ولا يفهم ومشاهد فى أصوات الاوتار التى لا تفهم وعلى الخصوص فى الابل فانها كلما

ولكن الله لا يستجيب بفضله وكان الانسان عجولا بالدعاء على ما يكره أن يستجاب له فيه وفى صحيح مسلم عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم ولا تدعوا على أموالكم لا توافقوا من الله تعالى ساعة يسئل فيها عطاء فيستجيب لكم

(الباب الرابع فى دعوات مستحبة فى كل وقت غير مختصة بوقت أو حال مخصوص)

فى الصحيحين عن أنس رضى الله عنه قال كان أكثر دعاء النبى صلى الله عليه وسلم اللهم آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار وفى صحيح مسلم عن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول اللهم انى أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال تعوذوا بالله من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الاعداء وفى سنن أبى داود والترمذى وابن ماجه عن بريدة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول اللهم انى أسألك بانى أشهد أنك أنت الله لا اله الا أنت الاحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فقال لقد سألت الله باسمه الاعظم وفى سنن أبى داود والنسائى عن أنس رضى الله عنه أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا ورجل يصلى ثم دعا اللهم انى أسألك بان لك الحمد لا اله الا أنت المنان بديع السموات والارض ياذا الجلال والاكرام ياحى ياقيوم فقال النبى صلى الله عليه وسلم لقد دعا الله باسمه العظيم الذى اذا دعى به أجاب واذا سئل به أعطى وروى مسلم عن زيد بن أرقم رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول اللهم انى أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل والهرم وعذاب القبر اللهم آت نفسى تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها اللهم انى أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها وفى مسلم أيضا عن ابى هريرة رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم أصلح لى دينى الذى هو عصمة أمرى وأصلح لى دنياى التى فيها معاشى وأصلح لى آخرتى التى فيها معادى واجعل الحياة زيادة لى فى كل خير واجعل الموت راحة لى من كل شر وفى سنن أبى داود والنسائى عن أبى اليسر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو اللهم انى أعوذ بك من الهرم وأعوذ من التردى وأعوذ بك من الغرق والحرق والهدم وأعوذ بك من أن يتخبطنى الشيطان عند الموت وأعوذ بك أن أموت فى سبيلك مدبرا وأعوذ بك أن أموت لديغا وفى الترمذى عن أم سلمة قالت كان أكثر دعاء النبى صلى الله عليه وسلم اللهم يامقلب القلوب ثبت قلبى على دينك وفى الترمذى أيضا عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوة ذى النون اذ دعا ربه وهو فى بطن الحوت لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين لم يدع بها رجل مسلم فى شئ قط الا استجاب له وعن أنس رضى الله عنه أن رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أى الدعاء أفضل فقال سل ربك العافية والمعافاة فى الدنيا والآخرة ثم أتاه فى اليوم الثانى فقال له مثل ذلك ثم أتاه فى اليوم الثالث فقال له مثل ذلك قال فاذا أعطيت العافية فى الدنيا وأعطيتها فى الآخرة فقد أفلحت قال الترمذى حديث حسن وروى ابن السنى عن طلق بن حبيب قال جاء رجل الى أبى الدرداء فقال يا أبا الدرداء قد احترق بيتك قال ما احترق لم يكن الله ليفعل ذلك بكلمات سمعتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم من قالها أول نهاره لم تصبه مصيبة حتى يمسى ومن قالها آخر النهار لم تصبه مصيبة حتى يصبح اللهم أنت ربى لا اله الا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم أعلم ان الله على كل شئ قدير وان الله قد أحاط بكل شئ علما اللهم انى أعوذ بك من شر نفسى ومن شر كل دابة ربى آخذ بناصيتها ان ربى على صراط مستقيم وفى صحيح مسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما قال كان من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انى أعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجاءة نقمتك وجميع سخطك وفى الترمذى عن أبى أمامة رضى الله عنه قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعاء كثير لم نحفظ منه شيا قلنا يارسول الله قد دعوت بدعاء كثير لم نحفظ منه شيا فقال ألا أدلكم على ما يجمع ذلك كله يقول اللهم انا نسألك من خير ما سألك منه

لطالت عليها البرارى وأعيت تحت الاحمال وتسمع الحداء فتمد أعناقها وتطوى المراحل فقد حكى أبو بكر محمد بن داود الدينورى المعروف بالرقى قال كنت فى البادية فوافيت قبيلة من قبائل العرب فاضافنى رجل وأدخلنى خباء فرأيت عبدا أسود مقيدا بقيد ورأيت جمالا قد ماتت بين يدى البيت ورأيت جملا قد نحل وهزل كأنه تخرج روحه فقال لى الغلام أنت ضيف ولك حق فتشفع لى فانه يكرم ضيفه فلا يرد شفاعته فلعله يحل القيد عن رجلى فلما أحضر الطعام امتنعت وقلت لا آكل مالم أشفع فى هذا العبد فقال ان هذا الغلام قد أهلك جميع مالى قلت ماذا فعل فقال ان له صوتا طيبا وكنت أعيش من ظهور هذه الجمال فحملها أحمالا ثقالا وكان يحدو حتى قطع مسيرة ثلاث ليال فى ليلة واحدة من طيب نغمته فلما حطت أحمالها ماتت كلها الا هذا الجمل ولكن أنت ضيفى قد أكرمتك ووهبته لك فاحببت أن أسمع صوته فلما أصبحنا أمره أن يحدو على جمل يسقى الماء من بئر هناك فلما رفع صوته هام الجمل وقطع حباله ووقعت أنا لوجهى فما أظن انى سمعت صوتا أطيب منه فاذا للسماع تأثير غريب ومن لم يحركه السماع فهو ناقص العقل مائل عن الاعتدال بعيد عن الروحانية وكان الطير يقف على رأس داود عليه السلام لاستماع صوته قال أبو سليمان السماع لا يحصل فى القلب ما ليس فيه وانما يحرك

نبيك

نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ونعوذ بك من شر ما استعاذ منه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم وأنت المستعان وعليك البلاغ ولا حول ولا قوة الا بالله وفى مسند أحمد وسنن ابن ماجه عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لها قولى اللهم انى أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم وأسألك الجنة وما قرب اليها من قول أو عمل وأعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول أو عمل وأسألك من خير ما سألك عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم وأعوذ بك من شر ما استعاذك منه عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم وأسألك ما قضيت لى من أمر أن تجعل عاقبته رشدا وفى مستدرك الحاكم عن ابن مسعود رضى الله عنه قال كان من دعاء النبى صلى الله عليه وسلم اللهم انى أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والسلامة من كل اثم والغنيمة من كل بر والفوز بالجنة والنجاة من النار وفيه عن جابر رضى الله عنه قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال واذنوباه مرتين أو ثلاثا فقال له النبى صلى الله عليه وسلم قل اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبى ورحمتك أرجى عندى من عملى وفيه عن أبى أمامة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تعالى ملكا موكلا بمن يقول يا أرحم الراحمين فمن قالها ثلاثا قال له الملك الموكل به ان أرحم الراحمين قد أقبل عليك فاسأل

(الباب الخامس فى الاذكار والدعوات للامور العارضات)

فى الصحيحين عن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول عند الكرب لا اله الا الله العظيم الحليم لا اله الا الله رب العرش العظيم لا اله الا أنت رب السموات ورب الارض رب العرش الكريم وروى ابن السنى عن ثوبان رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا راعه شئ قال قل هو الله ربى لا شريك له وروى ابن السنى عن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصابه هم أو حزن فليدع بهذه الكلمات يقول انا عبدك ابن عبدك ابن أمتك فى قبضتك ناصيتى بيدك ماض فى حكمك عدل فى قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته فى كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم نور صدرى وربيع قلبى وجلاء حزنى وذهاب همى وروى ابن السنى أيضا عن على رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا على ألا أعلمك كلمات اذا وقعت فى ورطة أى هلاك قلتها قلت بلى جعلنى الله فداك قال اذا وقعت فى ورطة فقل بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فان الله يصرف بها ما شاء من أنواع البلاء وفى سنن أبى داود والنسائى عن أبى موسى الاشعرى ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا خاف قوما قال اللهم انا نجعلك فى نحورهم ونعوذ بك من شرورهم وفى كتاب ابن السنى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خفت سلطانا أو غيره فقل لا اله الا الله الحليم الكريم سبحان الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم لا اله الا أنت عز جارك وجل ثناؤك وفيه عن أنس رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة فلقى العدو فسمعته يقول يامالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين فلقد رأيت الرجال تصرع تضربها الملائكة من بين أيديها ومن خلفها وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن القوى خير وأحب الى الله تعالى من المؤمن الضعيف وفى كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن وان أصابك شئ فلا تقل لو انى فعلت كذا كان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فان لو تفتح عمل الشيطان وفى كتاب ابن السنى عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم لا سهل الا ما جعلته سهلا وأنت تجعل الحزن اذا شئت سهلا الحزن بفتح الحاء المهملة واسكان الزاى وهو غليظ الارض وخشنها وفيه عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما يمنع أحدكم اذا عسر عليه أمر معيشته أن يقول اذا خرج من بيته بسم الله على نفسى ومالى ودينى اللهم رضنى بقضائك وبارك لى فيما قدر لى حتى لا أحب تعجيل ما أخرت ولا تأخير ما عجلت وفيه عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنعم الله عز وجل على عبد نعمة فى أهل

ماهو فيه فتذكره أصوات النياحة لانها تحرك ماهو مذموم وهو التأسف على الفائت قال الله تعالى لكيلا تأسوا على ما فاتكم وقد ورد فيه أخبار كثيرة ولا يكره السماع عند العرس والوليمة والعقيقة وغيرها فان فيه تحريكا لزيادة سرور مباح أو مندوب ويدل عليه ما روى من انشاد النساء بالدف والالحان عند قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة

طلع البدر علينا
من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا
ما دعا لله داعى

ويدل عليه ما روى فى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسترنى بردائه وأنا أنظر الى الحبشة يلعبون فى المسجد حتى أكون أنا الذى أسأم وما روى مسلم والبخارى أيضا فى صحيحهما عن الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها أن أبا بكر رضى الله عنه دخل عليها وعندها جاريتان فى أيام منى يدففان ويضربان والنبى صلى الله عليه وسلم متغش بثوبه فانتهرهما أبو بكر رضى الله عنه فكشف النبى صلى الله عليه وسلم عن وجهه وقال دعهما يا أبا بكر فانها أيام عيد وفى حديث آخر نحوه وفيه يغنيان ويضربان فهذه الامور دلت قطعا على اباحة السماع ودلت على اباحة صوت النساء اذا لم يكن بحيث يخاف

ومال وولد فقال ماشاء الله لاقوة الا بالله فيرى فيها آفة دون الموت وروى الترمذى عن على رضى الله عنه أن مكاتبا جاءه فقال انى عجزت عن كتابتى فاعنى قال ألا أعلمك كلمات علمنيهن رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان عليك مثل جبل دينا أداه الله عنك قل اللهم اكفنى بحلالك عن حرامك وأغننى بفضلك عمن سواك وفى كتاب ابن السنى عن البراء بن عازب رضى الله عنهما قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل يشكو اليه الوحشة فقال أكثر من أن تقول سبحان الله الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات والارض بالعزة والجبروت فقالها الرجل فذهبت عنه الوحشة قال يوسف بن أحمد البغدادى صحبت أنا وأبو سليمان الدارانى فبينما نحن نسير اذ سقطت الصطيحة منى وكان برد عظيم فلما افتقدت الصطيحة قلت يا أبا سليمان بقينا بلا ماء فقال سلم وصل على محمد وقل يا راد الضالة ويا هادى من الضلالة اردد الضالة واذا برجل ينادى من ذهب له صطيحة فاخذتها منه فقال أبو سليمان تراه يتركنا بلا ماء وقال الشيخ محيى الدين فى كتاب البستان روينا فى رسالة الاستاذ القشيرى رحمه الله تعالى قال قيل كان لجعفر الخالدى بضم الخاء المعجمة واسكان اللام فص فوقع يوما فى دجلة وكان عنده دعاء مجرب للضالة ترد عليه فدعا به فوجد الفص فى وسط أوراق كان يتصفحها قال القشيرى رحمه الله سمعت أبا حاتم السجستانى يقول سمعت أبا نصر السراج يقول ان ذلك الدعاء يا جامع الناس ليوم لاريب فيه اجمع على ضالتى قال الشيخ محيى الدين رحمه الله وقد جربت هذا الدعاء فوجدته نافعا سببا لوجود الضالة على قرب غالبا وانه لا ينخرم والله أعلم

(الباب السادس فى الرقى)

فى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يعوذ بعض أهله يمسح بيده اليمنى ثم يقول اللهم رب الناس اذهب البأس اشف وأنت الشافى لاشفاء الا شفاؤك شفاء لايغادر سقما وفى صحيح مسلم عن عثمان بن أبى العاص رضى الله عنه أنه شكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعا يجده فى جسده فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ضع يدك على الذى يألم من جسدك وقل بسم الله ثلاثا وقل سبع مرات أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر وفى سنن أبى داود والترمذى باسناد صحيح عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من عاد مريضا لم يحضر أجله فقال عنده سبع مرات أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك الا عافاه الله تعالى من ذلك المرض قال الترمذى حديث حسن وفى صحيح مسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن جبريل صلى الله عليه وسلم أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اشتكيت قال نعم قال باسم الله أرقيك من كل شئ يؤذيك من شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك باسم الله أرقيك قال الترمذى حديث حسن صحيح وفى كتاب ابن السنى عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال مرضت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودنى فعوذنى يوما فقال بسم الله الرحمن الرحيم أعيذك بالله الاحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد من شر ما تجد فلما استقل رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما قال يا عثمان تعوذ بها فما تعوذتم بمثلها وفيه عن ابن مسعود رضى الله عنه انه قرأ فى اذن مبتلى فافاق فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ماقرأت فى اذنه قال قرأت أفحسبتم انما خلقناكم عبثا حتى فرغ من آخر السورة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان رجلا موقنا قرأها على جبل لزال وفيه عن بعض أزواج النبى صلى الله عليه وسلم قالت دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد خرج فى أصبعى بثرة فقال هل عندك ذريرة فوضعتها عليها فقال قولى اللهم مصغر الكبير ومكبر الصغير صغر مابى فطفئت البثرة قال النووى رحمه الله الذريرة فتات قصب من قصب الطيب يجاء به من الهند

(الباب السابع فى علاج المصاب بالعين)

روى مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال العين حق ولو كان شئ سابق القدر سبقته العين وفى الصحيحين عن أم سلمة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى فى بيتها جارية فى وجهها سفعة فقال استرقوا لها فان بها النظرة قال النووى السفعة تغير وصفرة والنظرة العين يقال صبى

الفتنة وعلى الجملة فالسماع مهيج لما فى القلب فان كان فى قلبه عشق مباح فتهييجه جائز وان كان حراما فتهييجه غير جائز هذا فى سماع أهل الغفلة وأما سماع أرباب القلوب الذين استهتروا بحب الله والشوق اليه وهم الذين لا ينظرون الى شئ الا ويرونه فيه ولا يقرع سمعهم شئ الا وسمعوا منه أو فيه فسماعهم مؤكد للحب والعشق مهيج للشوق ومن زناد القلوب مستخرج اضروب المكاشفات والملاطفات لا يحيط الوصف بها يعرفها من ذاقها وينكرها من كل حسه عن دركها ويسمى فى لسان الصوفية وجدا وما يزيد فى حب الله تعالى والشوق اليه ان لم يعد من الفرائض فلا أقل من أن يكون من المباحات كيف وهو مشير لما استدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعائه حيث قال اللهم ارزقنى حبك وحب من أحبك وحب ما يقربنى الى حبك فاعلم الآن أن السماع محرك للباطن فمن الناس من قويت منته وكمل أمره فلا يحتاج الى محرك من خارج *(فصل)* اعلم أن من الآداب حسن الاصغاء وترك الشهقة والحركة ما وجد اليه سبيلا خصوصا للشاب بين يدى المشايخ وللمبتدى بين يدى المنتهى ومن الواجبات أن يراعى فيه أحوال قلبه ونفسه حتى لا تدعو نفسه الى المرآت بالحركات واظهار الوجد ولقد ذهب بعضهم الى تجويز التواجد رجاء لتحقيق الوجد وتهييج

منظور أى أصابته العين وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ من الجان ومن عين الانسان حتى نزلت المعوذتان فلما نزلتا أخذ بهما وترك ماسواهما قال الترمذى حديث حسن وروى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يعوذ الحسن والحسين رضى الله عنهما أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة ويقول ان أباكما كان يعوذ بهما اسمعيل واسحق وفى كتاب ابن السنى عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من رأى شيأ فاعجبه فقال ماشاء الله لاقوة الا بالله لم يضره وفيه عن عامر بن ربيعة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأى أحدكم ما يعجبه فى نفسه وماله فليدع بالبركة وقال السدى فى قوله تعالى وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم أى يصيبونك باعينهم قال الحسن دواء اصابة العين أن يقرأ الانسان هذه الآية وذكر القاضى الحسين أن نبيا من الانبياء استكثر قومه ذات يوم فامات الله مائة ألف من قومه فى ليلة واحدة فلما أصبح شكا الى الله من ذلك فقال الله تعالى لما استكثرتهم عنتهم هلا حصنتهم اذا استكثرتهم فقال يارب كيف أحصنهم فقال الله تعالى تقول حصنتكم بالحى القيوم الذى لا يموت أبدا ودفعت عنكم السوء بلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وهكذا السنة فى الرجل اذا رأى نفسه سليمة وأحواله مستقيمة يقول فى نفسه ذلك وكان القاضى يحصن تلامذته بذلك وروى أبو داود عن عائشة رضى الله عنها قالت كان يؤمر العائن أن يتوضأ ثم يغتسل منه المعين وروى مالك عن ابن شهاب عن أبى امامة بن سهل بن حنيف قال رأى عامر بن ربيعة سهل بن سهل بن حنيف يغتسل فقال والله مارأيت كاليوم ولا جلد مخبأة قال فلبط سهل فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم عامر فتغيظ عليه وقال علام يقتل أحدكم أخاه ألا بركت اغتسل له فغسل عامر وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخلة ازاره فى قدح ثم صب عليه فراح مع الناس قيل انه تنبعث جواهر لطيفة غير مرئية تتخلل المسام فيخلق الله تعالى الهلاك عندها وقيل ينبغى للسلطان منع من عرف بذلك من مخالطة الناس ويأمره بلزوم بيته ويرزقه مما يكفيه ان كان فقيرا فان ضرره أشد من ضرر المجذوم الذى منعه عمر من مخالطة الناس ثم الربع الاول وهو ربع العبادات ونبدأ الآن فى الربع الثانى وهو ربع العادات

(كتاب آداب الاكل والشرب والضيافة وفيه ستة أبواب)

(الباب الاول فى آداب الاكل وفيه سبعة فصول)

(الفصل الاول فى الامر بالتسمية وبالاكل بيمينه ومما يليه) عن عمرو بن أبى سلمة رضى الله عنهما قال كنت غلاما فى حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت يدى تطيش فى الصحفة فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم سم الله تعالى وكل بيمينك وكل مما يليك رواه البخارى ومسلم وقوله تطيش أى تتحرك وتمتد الى نواحى الصحفة وعن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله تعالى فان نسى أن يذكر اسم الله تعالى فى أوله فليقل بسم الله أوله وآخره رواه أبو داود والترمذى وقال حديث صحيح وقال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يستحل الطعام أن لايذكر اسم الله عليه وذكر الغزالى رحمه الله فى الاحياء عن أبى هريرة رضى الله عنه انه قال التقى شيطان المؤمن وشيطان الكافر فاذا شيطان الكافر سمين دهين كاس واذا شيطان المؤمن مهزول أشعث عار فقال شيطان الكافر لشيطان المؤمن مالك قال أنا مع هذا اذا أكل سمى فاظل جائعا وان شرب سمى فاظل عطشانا واذا ادهن سمى فاظل شعثا واذا لبس سمى فاظل عريانا قال شيطان الكافر ولكنى مع رجل لا يصنع شيأ من ذلك فانا أشاركه فى طعامه وشرابه ولباسه وعن عكراش بن ذؤيب قال أتينا بجفنة كثيرة الثريد والودك فخبطت بيدى فى نواحيها فقال النبى صلى الله عليه وسلم كل من موضع واحد فانه طعام واحد ثم أتينا بطبق فيه ألوان التمر فجعلت آكل من بين يدى وجالت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الطبق فقال يا عكراش كل من حيث شئت فانه غير لون

*(الفصل الثانى فى استحباب الاكل بثلاث أصابع ولعق الاصابع والقصعة وأخذ اللقمة التى تسقط منه

ماهو كامن فى الباطن ككمون النار فى الحجر والله أعلم فافهم تغنم والله أعلم بالصواب

(الباب التاسع عشر فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر)

اعلم أنهما من أصول الدين فبهما يحصل الغرض من بعثة الانبياء ويدل عليه قوله تعالى ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر الآية وفى الخبر ما رواه أبو بكر الصديق رضى الله عنه أنه قال فى خطبة خطبها يا أيها الناس انكم تقرؤن هذه الآية وتؤولونها على خلاف تأويلها يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من قوم عملوا بالمعاصى وفيهم من يقدر على أن ينكر عليهم فلم يفعل الا يوشك أن يعمهم الله بعذاب من عنده وروى عن أبى ثعلبة الخشنى أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله تعالى لا يضركم من ضل اذا اهتديتم فقال صلى الله عليه وسلم يا أبا ثعلبة مر بالمعروف وانه عن المنكر فاذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بنفسك ودع عنك العوام ان من ورائكم فتنا كقطع الليل المظلم للمتمسك فيها بمثل ما أنتم عليه أجر خمسين منكم الحديث *(فصل)* اعلم أن الامر بالمعروف له أركان أربعة المحتسب والمحتسب عليه والمحتسب فيه ونفس الاحتساب أما

وأكلها وغير ذلك من الآداب) * عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل بثلاث أصابع فاذا فرغ لعقها رواه مسلم ونقل الغزالي عن الشافعي رحمه الله انه قال الاكل على أربعة أنحاء الاكل بأصبع من المقت وباصبعين من الكبر وبثلاث أصابع من السنة وبأربع أو خمس من الشره والنوم على أربعة أنحاء النوم على القفا وهو نوم الانبياء يتفكرون في خلق السموات والارض ونوم على اليمين وهو نوم العلماء والعباد ونوم على الشمال وهو نوم الملوك لينهضم طعامهم ونوم على الوجه وهو نوم الشياطين وعن جابر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بلعق الاصابع والصحفة وقال انكم لاتدرون في أي طعامكم البركة رواه مسلم وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا وقعت لقمة أحدكم فليأخذها فليمط ما كان بها من أذى وليأكلها ولا يدعها للشيطان ولا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق أصابعه فانه لايدري في أي طعامه البركة رواه مسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أكل في قصعة فلحسها استغفرت له القصعة الى يوم القيامة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من بات وفي يده غمر لم يغسله فاصابه شئ فلا يلومن الا نفسه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أكل ما يسقط من المائدة عاش في سعة وعوفي في ولده وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه أتي بقصعة من ثريد فقال كلوا من جوانبها ولا تأكلوا من وسطها فان البركة تنزل في وسطها وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أبردوا الطعام فان الحار غير ذي بركة ولا تشموا الطعام فان ذلك من عمل البهائم وروي عنه عليه الصلاة والسلام انه قال لاتشموا الطعام كما تشم السباع ولا تنفخوا في الطعام والشراب فان ذلك من سوء الادب

*(الفصل الثالث في استحباب حمد الله تعالى اذا فرغ من الاكل) * عن معاذ بن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أكل طعاما فقال الحمد لله الذي أطعمني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن وقال الغزالي رحمه الله في الاحياء اذا أكل حلالا قال الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتنزل البركات اللهم أطعمنا طيبا واستعملنا صالحا وان أكل شبهة فليقل الحمد لله على كل حال اللهم لاتجعله قوة لنا على معصيتك ويقرأ بعد الطعام قل هو الله أحد ولئيلاف قريش

*(الفصل الرابع في كيفية الجلوس على الاكل) * عن أنس رضي الله عنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا مقعيا يأكل تمرا رواه مسلم المقعي هو الذي يلصق اليته بالارض وينصب ساقيه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا آكل متكئا وقال انما أجلس كما يجلس العبد وآكل كما يأكل العبد وروى ابن ماجه عنه صلى الله عليه وسلم انه نهى ان يأكل الرجل وهو منبطح على وجهه قال ابن قيم الجوزية رحمه الله وقد فسر الاتكاء بالتربع وبالاتكاء على الشئ وبالاتكاء على الجنب قال فالانواع الثلاثة نوع منها يضر بالاكل وهو الاتكاء على الجنب والنوعان الآخران من جلوس الجبابرة

*(الفصل الخامس في تخليل الاسنان من الطعام) * قال ابن سيرين كان ابن عمر يأمر بالخلال ويقال اذا ترك وهن الاضراس وفي الحديث حبذا المتخللون من الطعام فانه ليس شئ أشد على الملك الذي مع العبد من أن يجد من أحدكم ريح الطعام وقال أبو الليث السمرقندي رحمه الله ويستحب لمن أراد أكل اللحم أن يأكل قبله لقمتين أو ثلاثا من الخبز حتى يسد الخلل ونقل بعضهم عن الشافعي رحمه الله انه قال ما تخلل الانسان بخلال بين أسنانه فليقذفه وما أخرجه باصبعه فليأكله وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لاتأكلوا الفم ولا ترموا الوعم

*(الفصل السادس من آداب هذا الباب ان لايعيب الطعام وأن يرضى بما يحضر منه) * عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ما عاب رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما قط ان اشتهاه أكله وان كرهه تركه رواه البخاري ومسلم وعن جابر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم سأل أهله الادم فقالوا ما عندنا الا الخل فدعا به فجعل يأكل ويقول نعم الادم الخل نعم الادم الخل رواه مسلم وقال أنس رضي الله عنه ما أكل النبي صلى الله عليه وسلم

المحتسب فشرطه أن يكون مسلما مكلفا فيدخل فيه آحاد الرعايا ولا يشترط فيه التولية بالاذن * الشرط الثاني الاسلام لانه نصرة للاسلام واختلفوا في شرط العدالة فذهب بعضهم الى اشتراطها لقوله تعالى لم تقولون ما لا تفعلون ولقوله عز وجل أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وقد وردت فيه أخبار كثيرة ومنهم من ذهب الى أنه لاتشترط فيه العدالة وهو الحق لانه بالاجماع لاتشترط العصمة اذ اختلف الناس في عصمة الانبياء من الصغائر فكيف ترجى لغيرهم العصمة ثم هذا يؤدي الى تركه اذ لا يوجد هذا الشرط فاي بعد في أن يشرب هو ويمنع غيره ويقول على وظيفتان احداهما الانتهاء والثاني النهي وأنا فاعل احداهما رجاء أن أوفق للثانية بتركه ويمنع الكافر عنه لان فيه تسلطا على المسلمين ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا والمسلم يفعل ذلك فيمنع الناس بالتهديد والتخويف والضرب على حسب ما يليق في كل شئ به وذلك لايختلف بالسلطان والامام وغيرهما فكل من ارتكب ما لا ينبغي يحتسب عليه ويدل على ذلك ما روي أن مروان ابن الحكم خطب قبل الصلاة في العيد فقال له رجل انما الخطبة بعد الصلاة فقال مروان أترك ذلك يا فلان فقال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أما هذا فقد قضى ما عليه قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من رأى

على خوان ولا في سكرجة ولا خبز له مرقق قيل لقتادة علام كانوا يأكلون قال على السفر وقال سهل بن سعد رضي الله عنه ما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم النقي من حين ابتعثه الله حتى قبضه الله وقال ما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم منخلا من حين ابتعثه الله حتى قبضه الله قيل كيف كنتم تأكلون الشعير غير منخول قال كنا نطحنه وننفخه فيطير ما طار وما بقي ثريناه فأكلناه وقالت أم هانئ رضي الله عنها دخل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال أعندك شئ فقلت لا الا خبز يابس وخل فقال هاتي ما أقفر بيت فيه خل من ادم وعن عائشة رضي الله عنها قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أكرموا الخبز ومن كرامته أن لاينتظر به الادم وعنها انها قالت ما شبع آل محمد من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم

*(الفصل السابع ينبغي أن لايسرف في الاكل) * قال الله تعالى وكلوا واشربوا ولا تسرفوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطن بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان كان لابد فاعلا فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يتجشى فقال أقصر من جشائك فان أطول الناس جوعا يوم القيامة أطولهم شبعا في الدنيا وروى الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أفضلكم منزلة عند الله أطولكم جوعا وتفكرا وأبغضكم الى الله تعالى كل نؤوم أكول شروب وقال أبو سليمان الداراني من شبع دخل عليه ستة آفات فقد حلاوة العبادة وتعذر حفظ الحكمة وحرمان الشفقة على الخلق لانه اذا شبع ظن الخلق كلهم شباعا وثقل العبادة وزيادة الشهوات وأن سائر المؤمنين يدورون حول المساجد والشباع يدورون حول المزابل وعن الحسن رحمه الله قال والله لقد أدركنا أقواما كان الرجل منهم ليمسي وعنده من الطعام ما لا يكفيه ولو شاء لأكله كله فيقول والله لا أجعل هذا كله في بطني حتى أجعل بعضه لله تعالى وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نظر الى رجل سمين البطن فأومأ الى بطنه باصبعه وقال لو كان هذا في غير هذا كان خيرا لك قال الغزالي رحمه الله يعني لو قدمته لآخرتك وآثرت به غيرك كان خيرا لك قال الغزالي وبالجملة سبب هلاك الناس حرصهم على الدنيا وسبب حرصهم البطن والفرج وسبب شهوة الفرج شهوة البطن وفي تقليل الاكل ما يحسم هذه الابواب كلها وهي أبواب النار وفي حسمها فتح أبواب الجنة كما قال صلى الله عليه وسلم أديموا قرع باب الجنة بالجوع ونقل الشيخ شهاب الدين الاذرعي رحمه الله عن صاحب الحاصل انه قال لايحل له أن يأكل من ماله ولا من مال غيره فوق الشبع ولا أن يشرب قال ابن عبد السلام وانما حرم لكونه مؤذيا للمزاجه وللتضييع بلا فائدة

*(الباب الثاني فيما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبه من الاطعمة) *

عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحب الحلواء والعسل وعن أنس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعجبه الدباء وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان أحب الطعام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الثريد من الخبز والثريد من الحيس وفي الصحيحين أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحم فرفع اليه الذراع وكانت تعجبه وذكر أبو عبيد عن ضباعة بنت الزبير انها ذبحت في بيتها شاة فارسل اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أطعمينا من شاتكم فقالت للرسول ما بقي عندنا الا الرقبة واني لاستحي ان أرسل بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع الرسول فاخبره فقال ارجع اليها فقل لها أرسلي بها فانها هادية الشاة وأقرب الشاة الى الخير وأبعدها من الاذى وفي سنن ابن ماجه عن النبي صلى الله عليه وسلم سيد طعام أهل الدنيا وأهل الجنة اللحم وفيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أطيب اللحم لحم الطير وروى أبو داود عن ابني بشر السلميين قالا دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدمنا زبدا وتمرا وكان يحب الزبد والتمر وروى أبو داود والترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يأكل البطيخ بالرطب ويقول يدفع حر هذا برد هذا وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه كان يحب العنب والبطيخ

*(الباب الثالث في ذكر شئ من الاطعمة التي ذكر النبي صلى الله عليه وسلم انها يتداوى بها) *

منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان وحصل من هذا أيضا أن الاحتساب على مراتب الشرط الآخر ان يكون كون المحتسب فيه وهو الركن الآخر معلوما كونه منكرا بغير الاجتهاد فلا يكون في محل خلاف الائمة المعتبرين فلا ينكر الشافعي على الحنفي شرب النبيذ الذي لايسكر ولا الحنفي على الشافعي أكل الضب والضبع الركن الآخر هو المحتسب عليه وشرطه أن يكون انسانا لانه يمنع الصبي من شرب الخمر نعم من الافعال ما ليس منكرا في حق المجنون والصبي ولا يمنعان منه (بيان آداب المحتسب) وليكن عالما ورعا حسن الخلق يتلطف فلا يعنف أما العلم فليعلم حدود الاحتساب والورع ليقتصر على الحد المشروع فيه ويحسن الخلق يتلطف فلا يعنف كيلا يتجاوز حد الشرع فيفسد أكثر مما يصلح فيكون في احتسابه نوع شفقة حتى أنه اذا امتنع عليه أحد أو قابله بما يكره فلا يتجاوز حد الشرع وينسى الاحتساب ويأتي بالمنكر في نفس الاحتساب *(فصل) * في المنكرات المألوفة في العادات وهو كمن انحرف عن القبلة أو لا يطمئن في ركوعه وسجوده في صلاته أو يلحن في قراءته فانه يجب التنبيه في أمثال ذلك وهو من أفضل القربات وهو أولى من الاشتغال بالنوافل ومنها تراسل المؤذنين في آذانهم وتطويلهم ومد

الحمد وتكثير الاذان مرة بعد أخرى فى مسجد واحد بعد الصبح اذ لافائدة

فى الصحيحين أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان أخى يشتكى بطنه وفى رواية استطلق بطنه فقال اسقه عسلا فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فلم يغن عنه شيأ وفى لفظ لم يزده الا استطلاقا مرتين أو ثلاثا كل ذلك يقول له اسقه عسلا فقال له فى الثالثة أو الرابعة صدق الله وكذب بطن أخيك وفى سنن ابن ماجه عن النبى صلى الله عليه وسلم من لعق عسلا ثلاث غدوات كل شهر لم يصبه عظيم من البلاء وفى أثر آخر عليكم بالشفاءين العسل والقرآن قال ابن القيم فجمع بين الطب البشرى والالهى وبين طب الابدان وطب الارواح وبين الدواء الارضى والدواء السماوى وفى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من تصبح بسبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر وفى ابن ماجه عن النبى صلى الله عليه وسلم العجوة من الجنة وهى شفاء من السم وفى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عليكم بهذه الحبة السوداء فان فيها شفاء من كل داء الا السام والسام الموت وذكر البيهقى أثرا مرفوعا أن نبيا من الانبياء شكا الى الله سبحانه وتعالى الضعف فأمره بأكل البيض وعن أبى الدرداء قال أهدى للنبى صلى الله عليه وسلم طبق من تين فقال كلوا وأكل منه وقال لو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة قلت هذه لان فاكهة الجنة بلا عجم فكلوا منها فانها تقطع البواسير وتنفع من النقرس وروى الترمذى وابن ماجه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال كلوا الزيت وادهنوا به فانه من شجرة مباركة وروى ابن ماجه عن طلحة بن عبيد الله قال دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم وبيده سفرجلة فقال دونكها يا طلحة فانها تجم الفؤاد أى تريحه وعن صهيب يرفعه عليكم بالبان البقر فانها شفاء وسمنها دواء ولحومها داء وروى ابن ماجه عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أخذ أحدا من أهله الوعك أمر بالحساء من الشعير فصنع ثم أمرهم فحسوا منه ثم يقول انه ليرتو فؤاد الحزين ويسرو عن فؤاد السقيم كما تسرو احداكن الوسخ بالماء عن وجهها ومعنى يرتو يشده ويقويه ويسرو يكشف ويزيل وفى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين قوله من المن أى فانه يجمع من غير تعب وقوله وماؤها شفاء للعين قيل انه يخلط فى الادوية التى يعالج بها العين وقيل انه تشوى ويستقطر ماؤها فى العين وروى الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن ناسا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الكمأة جدرى الارض فقال الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين والعجوة من الجنة وهى شفاء من السم قال أبو هريرة فأخذت ثلاث كمآت أو خمسا أو سبعا فعصرتهن وجعلت ماءهن فى قارورة وكحلت به جارية لى عمشاء فبرأت وفى الترمذى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان ينعت الزيت والورس من ذات الجنب وفى الغيلانيات عن عائشة قالت قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة اذا طبختم قدرا فاكثروا فيها من الدباء فانها تشد قلب الحزين

(الباب الرابع فى آداب الشرب)

فى الصحيحين عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتنفس فى الشراب ثلاثا قال النووى رحمه الله يعنى يتنفس خارج الاناء وفى الصحيحين أيضا انه صلى الله عليه وسلم نهى أن يتنفس فى الاناء قال النووى يعنى يتنفس فى نفس الاناء وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى أن يتنفس فى الاناء أو ينفخ فيه رواه الترمذى وقال حسن صحيح وفى الصحيحين عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بلبن قد شيب بماء وعن يمينه أعرابى وعن يساره أبو بكر فشرب ثم أعطى الاعرابى وقال الايمن فالايمن وعن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه نهى أن يشرب الرجل قائما قال قتادة قلنا لانس فالاكل فقال ذلك أشر أو أخبث رواه مسلم وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يشربن أحد منكم قائما فمن نسى فليستقئ رواه مسلم وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال سقيت النبى صلى الله عليه وسلم من زمزم فشرب وهو قائم رواه البخارى ومسلم وفى صحيح البخارى أن عليا رضى الله عنه شرب قائما وقال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل كما رأيتمونى فعلت قال النووى رحمه الله فى شرح مسلم الصواب فى هذه الاحاديث أن النهى محمول على كراهة التنزيه وأما

الكلمات بحيث يخرج عن فيه ومنها لبس الثوب الذى فيه زيادة ابريسم ومنها كلام الفساق الذين يمزحون بالبدع ومنها الحلق يوم الجمعة لبيع الادوية والتعويذات ويستدل بما ذكرنا على أمثالها فلا مطمع فى احصائها

(فصل) فى أمر السلاطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر اعلم أن للاحتساب أربع درجات التعريف ثم الوعظ ثم التخشين فى القول ثم المنع بالقهر ولا يجوز فى حق السلاطين والامراء الا التعريف والوعظ وأما التخشين والمنع قهرا فذلك يحرك فتنة ويورث أمورا هى أفحش مما هم ملابسوه نعم ان كان يعلم أن المخاشنة تفيد ولا تورث أمرا محذورا فلا بأس به ومنهم من لم يكترث بذلك أيضا ويدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم خير الشهداء حمزة بن عبد المطلب ثم رجل قام الى امام فأمره ونهاه فى ذات الله عز وجل فقتله على ذلك وقال صلى الله عليه وسلم أفضل جهاد كلمة الحق عند سلطان جائر وان صاحب ذلك ان قتل فهو شهيد كما وردت به الاخبار وقد روى عن ضبة بن محصن العنزى قال كان علينا أبو موسى الاشعرى أميرا بالبصرة كان اذا خطبنا فحمد الله تعالى وأثنى عليه وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم أنشأ يدعو لعمر بن الخطاب رضى الله عنه

شربه صلى الله عليه وسلم قائما فبيان الجواز قال وأما قوله ومن نسى فليستقئ فمحمول على الاستحباب والندب قال ويستحب الاستقاء لمن شرب قائما ناسيا أو متعمدا وذكر الناسى فى الحديث ليس المراد ان العامد يخالفه بل للتنبيه على غيره بطريق الاولى لانه اذا أمر به الناسى وهو غير مخاطب فالعامد المخاطب المكلف أولى وفى الترمذى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال سموا اذا أنتم شربتم واحمدوا اذا أنتم رفعتم وفى مسلم عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله ليرضى عن العبد يأكل الاكلة فيحمده عليها او يشرب الشربة فيحمده عليها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أكل أحدكم طعاما فليقل اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيرا منه واذا سقى لبنا فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه فانه ليس شئ يجزئ من الطعام والشراب الا اللبن وروى مسلم عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال غطوا الاناء وأوكوا السقاء فان فى السنة ليلة ينزل فيها وباء لا يمر باناء ليس عليه غطاء وسقاء ليس عليه وكاء الا وقع فيه من ذلك الداء وفى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تلبسوا الحرير ولا الديباج ولا تشربوا فى آنية الذهب والفضة فانها لهم فى الدنيا ولكم فى الآخرة

(الباب الخامس فى الضيافة وفيه فصول)

(الفصل الاول فى الحث عليها) فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته يوم وليلة والضيافة ثلاثة أيام فما بعد ذلك فهو صدقة ولا يحل له أن يثوى عنده حتى يحرجه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما مسلم ضاف قوما فأصبح الضيف محروما كان حقا على كل مسلم نصره حتى يأخذ له بقراه من ماله وزرعه وعن أبى الاحوص الجشمى عن أبيه قال قلت يا رسول الله أرأيت ان مررت برجل فلم يقرنى ولم يضفنى ثم مر بى بعد ذلك أقريه أم أجزيه قال بل اقره وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تتكلفوا للضيف فتبغضوه فانه من أبغض الضيف فقد أبغض الله ومن أبغض الله أبغضه الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا خير فيمن لا يضيف ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل له ابل وبقر كثير فلم يضفه ومر بامرأة لها شويهات فذبحت له شاة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا اليهما انما هذه الاخلاق بيد الله فمن شاء أن يمنحه خلقا حسنا فعل وقال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه نزل به عليه الصلاة والسلام ضيف فقال لى قل لفلان اليهودى نزل بى ضيف فأسلفنى شيأ من الدقيق الى رجب فقال اليهودى والله لا أسلفته الا برهن فأخبرته فقال والله انى لأمين فى السماء أمين فى الارض ولو أسلفنى لأديته فاذهب بدرعى وارهنه عنده قال الغزالى رحمه الله كان ابراهيم الخليل عليه السلام اذا أراد أن يأكل خرج ميلا أو ميلين يلتمس من يتغدى معه وكان يكنى أبا الضيفان قال الغزالى رحمه الله ولصدق نيته فيه دامت ضيافته فى مشهده الى يومنا هذا ولا تنقضى ليلة الا ويأكل عنده جماعة من بين ثلاثة الى عشرة الى مائة

(حكاية) ذكرها الغزالى فى نصيحة الملوك قال رحمه الله نزل بعبد الله بن المبارك بعض الايام عشرة أضياف من العلماء ولم يكن له ما يضيفهم به ولم يملك سوى فرس كان يحج عليها سنة ويغزو عليها سنة فذبح ذلك الفرس وطبخ منه وقدمه بين يدى الاضياف فقالت له زوجته ما كنت تملك سوى هذا الفرس من الدنيا فلم ذبحته فدخل الى بيته وأخرج من متاع بيته بقدر مهرها وطلقها من ساعته ووقته وقال امرأة تبغض الاضياف لا تصلح الى فأتاه بعد ذلك بأيام رجل وقال له يا امام المسلمين لى بنت وقد توفيت أمها وهى كل يوم تمزق دستا من الثياب حزنا وغما واليوم تريد أن تقصد مجلسك فقل فى تسليتها شيأ فلعل يرق قلبها فلما جلس على المنبر ذكر من هذا الباب ما تسلت به الصبية عن أمها فلما عادت قالت يا أبت قد تبت ولا أعود أسخط الله تعالى ولكن لى اليك حاجة قال وما حاجتك قالت أنت تقول لى دائما ان أبناء الدنيا يخطبونك وأرباب الاحوال يطلبونك فناشدتك الله لا تزوجنى بغير عبد الله بن المبارك فان كان لنا دنيا فله دين فزوجها أبوها بعبد الله وحمل اليها جهازا كثيرا

فغاظنى ذلك منه فقمت اليه وقلت له أين أنت من صاحبه تفضله عليه فكتب الى عمر يشكونى يقول فى شكواه ان ضبة بن محصن العنزى يتعرض لى فى خطبتى فكتب اليه عمر أن أشخصه الى قال فأشخصنى اليه فقدمت اليه فضربت عليه الباب فخرج الى فقال من بالباب فقلت أنا ضبة ابن محصن العنزى قال فقال بك لا مرحبا ولا أهلا قلت أما المرحب فمن الله تعالى وأما الاهل فلا أهل لى ولا مال فبماذا استحللت يا عمر اشخاصى من البصرة بلا ذنب أذنبته ولا شئ أتيته قال ما الذى شجر بينك وبين عاملى قال قلت الآن أخبرك انه كان اذا خطبنا فحمد الله عز وجل وأثنى عليه وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم أنشأ يدعو لك فغاظنى ذلك منه فقمت اليه فقلت له أين أنت من صاحبه تفضله عليه فصنع ذلك جمعا عديدة ثم كتب اليك يشكونى قال فاندفع عمر باكيا وهو يقول أنت والله أوفق منه وأرشد فهل أنت غافر ذنبى يغفر الله لك قال قلت غفر الله تعالى لك يا أمير المؤمنين قال ثم اندفع باكيا وهو يقول والله لليلة من أبى بكر ويوم خير من عمر وآل عمر فهل لك أن أحدثك بليلته ويومه قلت نعم قال أما الليلة فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد الخروج من مكة هاربا من المشركين خرج ليلا فتبعه أبو بكر فجعل يمشى مرة امامه ومرة يمشى خلفه ومرة يمشى عن يمينه ومرة يمشى عن يساره فقال

ومالا كبيرا وأنفذ برسم عبدالله بن المبارك عشرة أفراس ليجاهد عليها في سبيل الله فرأى عبد الله في بعض الليالي في المنام كان قائلا يقول له ان كنت طلقت لأجلنا امرأة عجوزا فقد أعطيناك صبية بكرا وان كنت ذبحت فرسا واحدا فقد أعطيناك عشرة أفراس عوضه لتعلم أن الحسنة عندنا بعشرة ولا يضيع لدينا أجر المحسنين وما عاملنا أحد فخسر

(الفصل الثاني في آداب الضيافة وهي ثلاثة أقسام)

(القسم الاول في آداب المضيف) منها أن يقصد بدعوته الاتقياء والفقراء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تأكل الا طعام تقي ولا يأكل طعامك الا تقي وقال شر الطعام طعام الوليمة يدعى اليها الاغنياء دون الفقراء ومنها أن لا يهمل أقاربه لان ذلك يوحشهم ومنها أن لا يتكلف بل يقدم ما حضر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تتكلفوا للضيف فتبغضوه فانه من أبغض الضيف فقد أبغض الله ومن أبغض الله أبغضه الله وقال أبو الليث يذكر أن حكيما دعي الى طعام فقال أجيبك بثلاث شرائط أولها أن لا تتكلف الثاني أن لا تخون الثالث أن لا تجور قال أما التكلف أن تتكلف ما ليس عندك وأما الخيانة أن تبخل بما عندك فلا تقربه الى الضيف وأما الجور أن تحرم عيالك وتطعم الضيف ومنها أن لا يستأذنهم في التقديم ومنها الترحب بالضيف وحمد الله تعالى على حصوله ضيفا عنده ومنها تعجيل احضار الطعام قال حاتم الاصم العجلة من الشيطان الا في خمس فانها من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم اطعام الطعام للضيف وتجهيز الميت وتزويج البكر وقضاء الدين والتوبة من الذنب فلو حضر مدعوون وتأخر واحد واثنان عن الوقت الموعود فحق الحاضرين في التعجيل أولى الا أن يكون المتأخر فقيرا فينكسر قلبه بذلك فلا بأس بانتظاره وقال أبو الليث رحمه الله يقال ثلاث يورثن السل رسول بطيء وسراج لا يضيء وطعام ينتظر عليه من يجيء ومنها أن يقدم من الطعام قدر الكفاية فان التقليل عنها نقص في المروأة ومنها أن يعزل لاهله نصيبهم ومنها اذا رأى الضيف يقلل الاكل نشطه ولا يزيد في قوله كل على ثلاث مرات قال الغزالي رحمه الله وأما الحلف عليه بالاكل فممنوع ومنها أن يمد الاكل مع الضيوف ما دام يظن أن لهم حاجة الى الاكل ومنها أن يتبع الضيف عند خروجه الى باب الدار ومنها اذا دخل ضيف للمبيت فليعرفه رب الدار عند الدخول القبلة وبيت الماء وموضع الوضوء وفي رحلة الشافعي رحمه الله أنه قال لما دخلت على مالك داره أدخلني الغلام الى مخدع في الدار وقال لي القبلة من هذا البيت هكذا وهذا اناء فيه ماء وهناك الخلاء من الدار وأشار اليه قال الشافعي رحمه الله هذا أدب الغلام فكيف أدب السيد قال الشافعي رضي الله عنه فلبث مالك رحمه الله عني بعيدا حتى أقبل هو والغلام حاملا طبقا فوضعه من يده وسلم على مالك ثم قال للغلام اغسل علينا فوثب الغلام الى الاناء وأراد أن يغسل على فصاح مالك وقال الغسل في أول الطعام لرب البيت وفي آخر الطعام للضيف قال الشافعي رحمه الله فاستحسنت ذلك من مالك وسألته شرح ذلك فقال انه يدعو الناس الى كرمه فحكمه أن يبتدئ بالغسل وفي آخر الطعام ينتظر من يدخل ليأكل معه قال الشافعي رحمه الله فكشف مالك الطبق فكان فيه صحفتان في احداهما لبن وفي الاخرى تمر فسمى وسميت قال الشافعي رحمه الله فأتيت أنا ومالك على جميع الطعام وعلم مالك انا لم نأخذ من الطعام الكفاية فقال لي يا أبا عبد الله هذا جهد من مقل الى فقير معدم فقلت لا عذر على من أحسن انما العذر على من أساء

(القسم الثاني في آداب الضيف)

منها ان لا يخص الاغنياء بالاجابة دون الفقراء وأن لا يمتنع من الدعوة لكونه صائما بل يحضر فان كان صومه تطوعا وعلم أن فطره يسر أخاه المسلم أفطر فان كان الطعام حراما فلا يجيب وكذا اذا كان هناك منكر كمزمار ونحوه وان لا يقصد بالاجابة نفس الاكل بل ينوي به الاقتداء بالسنة واكرام أخيه المؤمن ومنها أن يتواضع في مجلسه اذا حضر ولا يتصدر فان عين له صاحب الدار مكانا لم يتعده ومنها أن لا يجلس في مقابلة حجرة النساء ولا ينظر الى الموضع الذي يخرج منه الطعام فانه دليل على الشره ومنها ان يدعو لصاحب المنزل قال أنس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أفطر عند قوم دعا لهم فقال أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم

د ـ لى الله عليه وسلم هذا يا أبا بكر ما أعرف هذا من أفعالك فقال يا رسول الله أذكر الرصد فأكون أمامك وأذكر الطلب فأكون خلفك ومرة عن يمينك ومرة عن يسارك ولا آمن عليك فمشى النبي صلى الله عليه وسلم ليلته على أطراف أصابعه حتى حفيت فلما رآه أبو بكر رضي الله عنه أنه حفي حمله على عاتقه وجعل يشتد به حتى أتى فم الغار فانزله فقال والذي بعثك بالحق لا تدخله حتى أدخله فان كان فيه شيء نزل بي قبلك قال فدخل فلم ير فيه شيأ فحمله فادخله وكان في الغار جحر مخروق وفيه حيات فالقمه أبو بكر قدمه مخافة أن يخرج منه شيء من الحيات الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيؤذيه فخرجت منه حية فلدغته فجعلت دموع أبي بكر تتحدر على خده من ألم ما يجده ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا أبا بكر لا تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته والطمأنينة لابي بكر فهذه ليلته وأما يومه فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب فقال بعضهم لا نصلي وقال بعضهم لا نزكي فاتيته لا آلوه نصحا فقلت يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم تألف الناس وارفق بهم فقال أجبار في الجاهلية خوار في الاسلام فبماذا تألفهم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتفع الوحي والله لو منعوني عقالا كانوا يعطونه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه فقال

طعامكم

طعامكم الابرار وصلت عليكم الملائكة ومنها أن يخرج طيب النفس وان يجري في حقه التقصير من صاحب المنزل ومنها أن لا يخرج الا برضا صاحب المنزل واذنه *(القسم الثالث في آداب الاجتماع على الاكل)* روي أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله انا نأكل ولا نشبع قال فلعلكم تفترقون قالوا نعم قال فاجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله يبارك لكم فيه ومن آداب المجتمعين على الاكل أن لا يبتدئ أحد بالاكل اذا كان معه من يستحق التقديم لكبر سن أو زيادة فضل ومنها أن لا يسكتوا بل يتحدثون بحكايات الصالحين في الاطعمة وغيرها ومنها أن يؤثر رفيقه وأن لا يحوجه أن يقول له كل بل ينبسط ولا يتصنع بالانقباض ومنها أن لا ينظر الى أصحابه حالة الاكل لئلا يستحيوا ومنها أن لا يفعل ما يستقذره من غيره

(الفصل الثالث في النهي عن التطفل) قال العلماء لا ينبغي لاحد اذا علم أن قوما يأكلون ان يدخل عليهم فان صادفهم من غير قصد نظر فان علم انما سألوه حياء منه فلا يأكل وان علم انهم يحبون أكله معهم جاز له أن يأكل قال النووي في الروضة ويحرم التطفل قال أبو الليث يقال ثمانية ان أهينوا فلا يلوموا الا أنفسهم الذاهب الى مائدة لم يدع اليها والمتأمر على رب البيت وطالب الخير من أعدائه وطالب الفضل من اللئيم والداخل بين اثنين في حديث بينهما من غير أن يدخلاه فيه والمستخف بالسلطان والجالس مجلسا ليس له باهل والمقبل بحديثه على من لا يستمع منه ومن دخل دار صديقه فلم يجده وكان عالما انه اذا أكل من طعامه سر بذلك جاز له أن يأكل (حكي) أن جماعة من الاصدقاء حضروا دار سفيان بن عيينة وكان غائبا والباب مغلق ففتحوا الباب ودخلوا ووضعوا السفرة وجلسوا ودخل سفيان عليهم فاخذ يبكي فقيل له ما يبكيك فقال ذكرتموني صحبة أقوام مضوا وعاملتموني معاملة الصالحين واست منهم

(الباب السادس في مستطرفات وآداب طبية)

نقل ابن القيم عن بعض الحكماء انه قال من أراد الصحة فليجود الغذاء وليأكل على نقاء وليشرب على ظمأ وليقلل من شرب الماء ويتمدد بعد الغداء ويتمشى بعد العشاء ولا ينام حتى يعرض نفسه على الخلاء وليحذر دخول الحمام عقب الامتلاء ومرة في الصيف خير من عشرة في الشتاء وأكل القديد اليابس بالليل معين على الفناء ومجامعة العجائز تهدم أعمار الاحياء وتسقم أبدان الاصحاء وروي هذا عن علي قال ابن القيم ولا يصح عنه وانما بعضه من كلام الحرث بن كلدة طبيب العرب وكلام غيره وقال الشافعي رضي الله عنه أربعة تقوي البدن كثرة أكل اللحم وشم الطيب وكثرة الغسل من غير جماع ولبس الكتان وأربعة توهن البدن كثرة الجماع وكثرة الهم وكثرة شرب الماء على الريق وكثرة أكل الحامض وأربعة تقوي البصر الجلوس مستقبل حيال الكعبة والكحل عند النوم والنظر الى الخضرة وتنظيف المجالس وأربعة توهن البصر النظر الى القذر والى المصلوب والى فرج المرأة والقعود مستدبر الكعبة وأربعة تزيد في الجماع أكل العصافير والاطريفل والفستق والخروب وأربعة تزيد في العقل ترك الفضول من الكلام والسواك ومجالسة الصالحين ومجالسة العلماء وقال أفلاطون خمس يذبن البدن وربما قتلن قصر ذات اليد وفراق الاحبة وتجرع المغائظ ورد النصح وضحك ذوي الجهل بالعقلاء وقال جالينوس لاصحابه اجتنبوا ثلاثا وعليكم باربع ولا حاجة بكم الى الطبيب اجتنبوا الغبار والدخان والنتن وعليكم بالدسم والطيب والحلو والحمام ويقال أربعة تضر بالفهم والذهن ادمان أكل الحامض والفاكهة والنوم على القفا والهم والغم وأربعة أشياء تزيد في الفهم فراغ القلب وقلة التملؤ من الطعام والشراب وحسن تدبير الغذاء بالاشياء الحلوة والدسمة واخراج الفضلات المثقلة للبدن وقال أبو الليث السمرقندي في تفسيره يروى عن علي رضي الله عنه أنه قال اذا كان أحدكم مريضا فليسأل من امرأته درهمين من مهرها حتى تهب له بطيب نفسها فليشتر بذلك عسلا فليشربه بماء المطر فقد اجتمع له الهنيء والمريء والشفاء والماء المبارك (خاتمة نختم بها الكتاب) قال الامام أبو حامد الغزالي رحمه الله في الاحياء في الخبر لا يستدير الرغيف ويوضع بين يديك حتى يعمل فيه ثلثمائة وستون صانعا

فقاتلنا عليه فكان والله رشيد الامر فهذا يومه وكتب الى أبي موسى يلومه فافهم تغنم والله أعلم *(الباب العشرون في آداب المعيشة وأخلاق النبوة)* بيان آدابه صلى الله عليه وسلم اعلم انه كان كثير الضراعة والابتهال دائما يسأل الله تعالى أن يحسنه بمحاسن الآداب وأن يزينه بمكارم الاخلاق فكان صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه اللهم حسن خلقي وخلقي قال سعيد بن هشام دخلت على عائشة رضي الله عنها فسألتها عن أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت أما تقرأ القرآن قلت بلى قالت خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن وانما أدبه بالقرآن بمثل قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وقوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي وقوله تعالى واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الامور الى آيات كثيرة وكسرت رباعيته يوم أحد فجعل يسيل الدم على وجهه وهو يمسح الدم ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربه فأنزل الله تعالى قوله ليس لك من الامر شيء تأديبا على ذلك واعلم ان مثل هذه الآيات في القرآن كثيرة وهو المقصود الاول بالتأديب والتهذيب ثم منه يشرق النور على كافة الخلق قال صلى الله عليه وسلم بعثت لأتمم مكارم الاخلاق وقال علي رضي الله عنه يا عجبا الرجل

أولهم ميكائيل الذي يكيل الماء من خزائن الرحمن ثم الملائكة التي تزجر السحاب والشمس والقمر والافلاك وملكوت الهواء ودواب الارض وآخر ذلك الجباز وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها

(كتاب اللباس وفيه تسعة أبواب)

(الباب الاول فيما يستحب و يباح من اللباس)

قال الله تعالى يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا قيل هو المال يقال تريش فلان اذا كثر ماله وقيل هو الجمال وهو ما يتجملون به من الثياب ولباس التقوى قيل هو الايمان وقيل الحياء وقيل العمل الصالح وقيل السمت الحسن وقيل هو الصوف والثياب التي يلبسها أهل الورع روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال نوروا قلوبكم بلباس الصوف فانه مذلة في الدنيا ونور في الآخرة واياكم أن تفسدوا دينكم بحمد الناس وثنائهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال البسوا من ثيابكم البياض فانها من خير ثيابكم وكفنوا فيها موتاكم رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح وقال صلى الله عليه وسلم البسوا البياض فانها أطهر واطيب وكفنوا فيها موتاكم رواه النسائي وفي الصحيحين عن البراء رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مربوعا وقد رأيته في حلة حمراء ما رأيت شيأ قط أحسن منه وعن رفاعة التيمي رضي الله عنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه ثوبان أخضران رواه أبو داود والترمذي باسناد صحيح وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل يوم فتح مكة وعليه عمامة سوداء رواه مسلم وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت كان أحب الثياب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم القميص رواه أبو داود وقال حديث حسن وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم لبس جبة رومية ضيقة الكمين وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اعتم سدل عمامته بين كتفيه وقال صلى الله عليه وسلم من ترك اللباس تواضعا لله وهو يقدر عليه دعاه يوم القيامة على رؤس الخلائق حتى يخيره من أي حلل الايمان شاء يلبسها رواه الترمذي وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده رواه الترمذي وقال حديث حسن وعن جابر رضي الله عنه قال أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرا فرأى رجلا شعثا قد تفرق شعره قال ما كان يجد هذا ما يسكن به رأسه ورأى رجلا عليه ثياب وسخة فقال ما كان يجد هذا ما يغسل به ثوبه وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له فراش للرجل وفراش للمرأة والثالث للضيف والرابع للشيطان

(الباب الثاني في صفة طول القميص والكم والازار وطرف العمامة وتحريم اسبال شيء من ذلك على سبيل الخيلاء وكراهته من غير خيلاء)

قال الله تعالى وثيابك فطهر قال طاوس رحمه الله والمعنى وثيابك فطهر أي قصر لان تقصير الثياب طهر لها عن أسماء بنت يزيد الانصارية رضي الله عنها قالت كان كم قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الرسغ رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن وعن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة فقال أبو بكر يا رسول الله ان ازاري يسترخي الا أني أتعاهده فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انك لست ممن يفعله خيلاء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أسفل من الكعبين من الازار ففي النار رواهما البخاري وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسبال في الازار والقميص والعمامة من جر شيأ خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة رواه أبو داود والترمذي باسناد صحيح قال النووي رحمه الله في فتاويه ما نزل عن الكعبين من القميص والسراويل والازار وغيرها من ملابس الرجل ان كان للخيلاء فهو حرام والا فمكروه والسنة في عذبة العمامة أن تكون بين كتفيه فان طولها طولا فاحشا فهو كما لو نزل القميص عن الكعبين وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الاسبال المنهي عنه يكون في القميص والعمامة

مسلم يجيئه اخوه المسلم في حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلا فلو كان لا يرجو ثوابا ولا يخشى عقابا لقد كان له أن يسارع في مكارم الاخلاق فانها تدل على سبيل النجاة فقال رجل أسمعته من النبي صلى الله عليه وسلم قال نعم ولما أتي بسبايا طي وقعت جارية في السبي فقالت يا محمد أرأيت ان تخلي عني ولا تشمت بي أحياء العرب فاني بنت سيد قومي وان أبي كان يحمي الذمار ويفك العاني ويشبع الجائع ويطعم الطعام ويفشي السلام ولم يرد صاحب حاجة أنا ابنة حاتم طي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جارية هذه صفة المؤمنين حقا لو كان أبوك مسلما لترحمنا عليه خلوا عنها فان أباها كان يحب مكارم الاخلاق وان الله تعالى يحب مكارم الاخلاق وقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة الا حسن الاخلاق وعن معاذ بن جبل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى حف الاسلام بمكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال ومن ذلك حسن المعاشرة وكرم الصنيعة ولين الكلام وبذل المعروف واطعام الطعام وافشاء السلام وعيادة المريض المسلم برا كان أو فاجرا وتشييع جنازة المسلم وحسن الجوار لمن جاورت مسلما كان أو كافرا وتوقير ذي الشيبة المسلم واجابة الطعام والدعاء والعفو والاصلاح والجود والكرم والسماحة والابتداء بالسلام وكظم الغيظ والعفو عن الناس ويذهب *(الباب

(الباب الثالث في تحريم لبس الحرير على الرجال وجوازه للنساء)

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تلبسوا الحرير فانه من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة وعنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما يلبس الحرير من لا خلاق له رواهما البخاري وقال صلى الله عليه وسلم حرم لباس الحرير والذهب لذكور أمتي وأحل لاناثهم رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وعن حذيفة رضي الله عنه قال نهانا النبي صلى الله عليه وسلم أن نشرب في آنية الذهب والفضة وأن نأكل فيها وعن لبس الحرير والديباج وأن نجلس عليه رواه البخاري وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير وعبد الرحمن بن عوف في لبس الحرير لحكة بهما وعن عمر رضي الله عنه قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لبس الحرير الا موضع أصبعين أو ثلاث أو أربع رواه مسلم وقد أفتى الشيخ عز الدين بن عبد السلام رحمه الله بانه لا بأس باستعمال العمامة التي في طرفها من الحرير قدر شبر الا أنه بين كل قدر أربع أصابع منها فرق قلم من كتان أو غيره

(الباب الرابع في النهي عن لبس المزعفر والمعصفر)

في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال نهى النبي صلى الله عليه وسلم ان يتزعفر الرجل وعن عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما قال رأى النبي صلى الله عليه وسلم ثوبين معصفرين فقال ان هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها رواه مسلم قال النووي رحمه الله في الروضة قال صاحب البيان يحرم على الرجل لبس الثوب المعصفر ونقل البيهقي وغيره عن الشافعي انه نهى الرجل عن المزعفر وأباح المعصفر قال البيهقي والصواب اثبات نهي الرجل عن المعصفر أيضا للاحاديث الصحيحة فيه قال وبه قطع الحليمي قال ولو بلغت أحاديثه الشافعي لقال بها وقد أوصانا بالعمل بالحديث الصحيح

(الباب الخامس في النهي عن تشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال)

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء وفي رواية لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال رواه البخاري وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل يلبس لبسة المرأة والمرأة تلبس لبسة الرجل رواه أبو داود باسناد صحيح وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صنفان من أهل النار لم أرهما قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وان ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا رواه مسلم قال النووي رحمه الله معنى كاسيات أي من نعمة الله عاريات من شكرها وقيل معناه تستر بعض بدنها وتكشف بعضه اظهارا لجمالها ونحوه وقيل تلبس ثوبا رقيقا يصف لون بدنها ومعنى مائلات قيل عن طاعة الله وما يلزمهن من حفظه مميلات أي يعلمن غيرهن فعلهن المذموم وقيل مائلات يمشين متبخترات مميلات لا كتافهن وقيل مائلات يمشطن المشطة الميلاء وهي مشطة البغايا ومميلات يمشطن غيرهن تلك المشطة رؤسهن كأسنمة البخت أي يكبرنها ويعظمنها بلف عمامة أو عصابة أو نحوه

(الباب السادس في النهي عن لبس ثياب الشهرة)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لبس ثوب شهرة في الدنيا ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه نهى عن الشهرتين في اللباس المرتفعة جدا والمنخفضة جدا وقال معمر عاتبت أبا أيوب على طول قميصه فقال ان الشهرة فيما مضى كانت في طوله وهي الآن اليوم في تشميره ودخل فرقد على الحسن فأخذ الحسن بكسائه فمده اليه وقال يا فريقد ان البر ليس في هذا الكساء انما البر ما وقر في الصدر وصدقه العمل وقال أبو الليث السمرقندي رحمه الله ينبغي للرجل أن يكون في لباسه موافقا لأقرانه ولا يلبس لباسا مرتفعا جدا ولا رديئا جدا فانه لو فعل ذلك ارتكب النهي وأوقع الناس في الغيبة وقال الشيخ عز الدين بن

بم الاسلام باللهو والباطل والغناء والمعازف كلها وكل ذي وتر وكل ذي دخل والكذب والغيبة والبخل والشح والجفاء والمكر والخديعة والنميمة وسوء ذات البين وقطيعة الارحام وسوء الخلق والتكبر والفخر والاختيال والاستطالة والمزح والفحش والتفحش والحقد والحسد والطيرة والبغي والعدوان والظلم قال أنس رضي الله عنه فلم يدع نصيحة جميلة الا قد دعانا اليها وأمرنا بها ولم يدع غشا أو قال عيبا ولا شينا الا حذرناه ونهانا عنه ويكفي من ذلك كله هذه الآية ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية وقال معاذ رضي الله عنه أوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أوصيك باتقاء الله تعالى وصدق الحديث والوفاء بالعهد وأداء الامانة وترك الخيانة وحفظ الجار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وحسن العمل وقصر الامل ولزوم الايمان والتفقه في القرآن وحب الآخرة والجزع من الحساب وخفض الجناح وأنهاك أن تسب حكيما أو تكذب صادقا أو تطيع آثما أو تعصي اماما عادلا أو تفسد أرضا وأوصيك باتقاء الله عند كل حجر وشجر ومدر وأن تحدث لكل ذنب توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية فهكذا آداب عباد الله ودعاؤهم الى مكارم الاخلاق ومحاسن الآداب (بيان جملة من محاسن أخلاقه التي جمعها بعض العلماء والتقطها من الاخبار) قال كان النبي صلى الله عليه وسلم أحلم الناس وأشجع الناس وأعدل الناس وأعف الناس

عبد السلام رحمه الله افراط توسيع الثياب والاكمام بدعة وسرف وتضييع للمال ولا باس بلبس شعار العلماء ليعرفوا بذلك فيسئلوا وقال ابن الجوزى رحمه الله فى روضة المشتاق روى عن الزهرى انه قال دخلت على زين العابدين وعليه ثوب خز فقلت يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم الخز لباسك فنظر الى فكشف ثوبه فاذا تحته ثوب من صوف ثم قال يا زهرى لباس لنا هذا الكم ولباس لنا هذا الله عز وجل يا زهرى أتدرى ما قال الله عز وجل لداود عليه السلام أنا وخلقى فى أمر عجيب أنا المنعم عليهم ويحمدون غيرى وأنا الرزاق لهم ويشكرون سواى ثم ان لله تعالى عبادا مخلصين من خلقه عبدوه بخالص من سرهم فاولئك الذين عمر صحائفهم مع الملائكة فارغة فاذا وصلت اليه ملأها من سر ما أسروا اليه يا زهرى الاجسام دنيوية والقلوب عرشية فهم مع ماخوت قلوبهم من المعرفة يعبدونه وهو مع ذلك يحميهم من معصيته كما يحمى الطبيب العليل

(الباب السابع فيما يقول اذا لبس ثوبه أو خلعه)

فى كتاب ابن السنى عن معاذ بن أنس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لبس ثوبا فقال الحمد لله الذى كسانى هذا ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استجد ثوبا سماه باسمه عمامة أو قميصا أو رداء ثم يقول اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه أسألك خيره وخير ما صنع له وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له رواه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن وعن عمر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من لبس ثوبا جديدا فقال الحمد لله الذى كسانى ما أوارى به عورتى وأتجمل به فى حياتى ثم عمد الى الثوب الذى أخلق فتصدق به كان فى حفظ الله تعالى وفى كنف الله عز وجل وفى سبيل الله حيا وميتا رواه الترمذى وروى ابن السنى عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستر ما بين أعين الجن وعورات بنى آدم أن يقول الرجل المسلم اذا أراد أن يطرح ثوبه باسم الله الذى لا اله الا هو

(الباب الثامن فى الخاتم)

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال اتخذ النبى صلى الله عليه وسلم خاتما من ذهب ثم ألقاه ثم اتخذ خاتما من ورق نقش فيه محمد رسول الله وقال لا ينقش أحد على نقش خاتمى هذا فكان اذا لبسه جعل فصه مما يلى بطن كفه قال النووى رحمه الله سبب نهيه أنه صلى الله عليه وسلم انما اتخذ الخاتم ونقش عليه ليختم به كتبه الى العجم وغيرهم فلو نقش غيره مثله لدخلت المفسدة وحصل الخلل وعن ثابت بن أنس رضى الله عنه قال كان خاتم النبى صلى الله عليه وسلم فى هذه وأشار الى الخنصر من يده اليسرى وعن ابن شهاب عن أنس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لبس خاتم فضة فى يمينه فيه فص حبشى كان يجعل فصه مما يلى كفه وعن على رضى الله عنه نهانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أتختم فى أصبعى هذه أو هذه قال فأومأ الى الوسطى والتى تليها قال النووى رحمه الله أجمع المسلمون على أن السنة جعل خاتم الرجل فى الخنصر وأما المرأة فانها تتخذ خواتم فى أصابع قال وأجمع الفقهاء على التختم فى اليمين واليسار واختلفوا أيهما أفضل فاستحب مالك اليسار وكره اليمين ولأصحاب الشافعى وجهان الصحيح أن اليمين أفضل لانه زينة واليمين أشرف وأحق بالزينة والاكرام وعن بريدة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لرجل عليه خاتم من شبه مالى أجد منك ريح الاصنام فطرحه ثم جاء وعليه خاتم من حديد فقال مالى أرى عليك حلية أهل النار فطرحه فقال مم أتخذه يا رسول الله فقال من ورق ولا تتمه مثقالا قال الشيخ شهاب الدين الاذرعى رحمه الله لم يتعرض أصحابنا لمقدار زنة المباح وظاهر كلامهم أن الرجوع فى وزنه الى العرف كما قالوا فى الخلخال ونحوه والصواب الضبط بما نص عليه الحديث قال وأما خاتم الحديد فقالوا يجوز لحديث التمس ولو خاتما من حديد وهذا الحديث يشير الى المنع أو الكراهة وقد قيل فى جواب الاول انه لم يرد حقيقة الخاتم بل المعنى التمس ولو شيأ قليلا وأيضا فلا يلزم من ذلك اباحة لبسه واستعماله وقد ينتفع به فى شئ آخر وعن ابن الزبير ان مولاة لهم ذهبت بابنة

لم يمس يده قط يد امرأة لا يملك رقبتها أو عصمة نكاحها أو تكون ذات محرم منه وكان صلى الله عليه وسلم أسخى الناس لا يبيت عنده دينار ولا درهم فان فضل ولم يجد من يعطيه لم يدخل منزله حتى يدبر أمره الى من يحتاج اليه لا يأخذ مما آتاه الله الا قوت عامه فقط من أيسر ما يجد من التمر والشعير ويضع سائر ذلك فى سبيل الله تعالى ولا يسئل شيأ الا أعطاه ثم يعود على قوت عامه فيواسى منه حتى ربما احتاج قبل انقضاء العام وان لم يأته شئ صبر وكان صلى الله عليه وسلم يخصف النعل ويرقع الثوب ويخدم فى مهنة أهله ويقطع اللحم معهن وكان صلى الله عليه وسلم من أشد الناس حياء لا يثبت بصره فى وجه أحد ويجيب دعوة العبد والحر وكان صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن أو فخذ أرنب ويكافئ عليها ويأكلها ولا يأكل الصدقة ولا يستكبر عن اجابة الامة والمسكين ويغضب لربه ولا يغضب لنفسه وكان صلى الله عليه وسلم يعصب الحجر على بطنه من الجوع ومرة يأكل ما حضر ولا يرد ما وجد ولا يتورع من مطعم حلال وكان صلى الله عليه وسلم يلبس ما وجد مرة شملة ومرة بردحبرة يمانيا ومرة جبة صوف وما وجد من المباح لبس وخاتم فضة يلبسه فى خنصره الايمن وربما فى الايسر ويردف خلفه عبده أو غيره يركب ما أمكنه مرة فرسا ومرة بغلة شهباء ومرة حمارا ومرة راجلا وحافيا بلا رداء ولا عمامة ولا قلنسوة وكان صلى الله عليه وسلم يعود المرضى

الزبير الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه وفى رجلها أجراس فقطعها عمر وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مع كل جرس شيطان

(الباب التاسع فى ذكر أول من خاط الثياب وأول من نسجها)

قال الامام أبو محمد رحمه الله فى معالم التنزيل أول من خط بالقلم ادريس عليه السلام قال وهو أول من خاط الثياب ولبس المخيط وكان من قبله يلبسون الجلود وأول من اتخذ السلاح وقاتل الكفار وأول من نظر فى علم الحساب وذكر الثعلبى رحمه الله فى كتاب العرائس عن ابن عباس رضى الله عنهما قال أهبط آدم على جبل سرنديب وهو بأرض الهند وقيل انه وجد ضربانا فى جسده فشكاه الى ربه فنزل جبريل بشجرة الزيتون فأمره أن يأخذ ثمرها ويعصره وقال ان فيها شفاء من كل داء الا السام قيل انه أصاب جسده أذى فشكاه الى جبريل فقال له انك تشتكى العرى فأنزل الله تعالى عليه ثمانية أزواج من الانعام أمره أن يذبح كبشا منها فذبحه ثم أخذ صوفه فغزلته حواء ونسجته هى وآدم فجعل منه آدم جبة لنفسه وجعل لحواء درعا وخمارا فهى أول من غزلت وآدم وحواء أول من نسجا وأول من لبس الصوف عن ابن عباس رضى الله عنهما قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله ما تقول فى حرفتى قال وما حرفتك قال أنا حائك قال حرفتك حرفة أبينا آدم وكان أول من نسج وكان جبريل يعلمه وآدم تلميذه ثلاثة أيام وان الله عز وجل يحب حرفتك فان حرفتك يحتاج اليها الاحياء والاموات فمن قال فيكم قبيحا فابونا آدم خصمه ومن أنف منكم فقد أنف من آدم ومن لعنكم فقد لعن آدم ومن آذاكم فقد آذى آدم وان آدم خصمه يوم القيامة فلا تخافوا وأبشروا فان حرفتكم حرفة مباركة ويكون آدم قائدكم الى الجنة ثم انه قال لجبريل انى أجد بين جلدى ولحمى كدبيب النمل فقال له ذلك الجوع ثم انه غاب عنه ثم أتاه بثورين أحمرين وأمره باتخاذ آلة الحراثة فهو أول من حرث ثم أتاه بصرة من حنطة فقال ما أصنع بها آكلها قال لا فبذرها فنبتت من ساعتها فقال آدم آكلها قال لا اصبر حتى تدرك فلما سنبل وأدرك قال آكله قال لا وعلمه الحصاد فلما حصد قال آكله قال لا وعلمه الدياسة فلما داسه قال آكله قال لا وعلمه التنقية فلما نقاه قال آكله قال لا وجاءه بحجرين وعلمه الطحن فلما طحنه قال آكله قال لا وعلمه العجن فلما عجن قال آكله قال لا وأمره أن يحفر حفيرة وان يجمع الحطب فيها ويوقد عليها نارا ففعل حتى جعله خبزملة فهو أول من خبز الملة فلما أخرج قال آكله قال حتى يبرد فلما برد أكله فدمعت عيناه وقال ما هذا التعب والنصب قال هذا وعد الله الذى وعدك وذلك قوله تعالى لآدم وحواء ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ان لك ان تأكل من كد يمينك وعرق جبينك أنت وذريتك فلما استوفى آدم من الطعام وجد تشكيا فذكره لجبريل فقال هو العطش فغاب عنه ثم عاد ومعه المعول ثم قال له احفر به الارض فحفر حتى بلغ ركبتيه فنبع من تحت رجليه ماء زلال فقال اشرب فشرب ثم انه وجد بعد ذلك تشكيا أشد من الاولى والثانية فقال يا جبريل ما هذه التى أجدها فقال لا أدرى فبعث الله تعالى له ملكا ففتق قبله ودبره ولم يكن قبل ذلك للطعام مخرج فلما خرج منه ما آذاه وجد ريحه فبكى على ذلك سبعين سنة

(كتاب النكاح وفيه أربعة أبواب)

(الباب الاول فى الترغيب فيه وعنه وذكر فوائده وآفاته وفيه ثلاثة فصول)

(الفصل الاول فى الترغيب فيه) قال الله تعالى فانكحوا ما طاب لكم أى ما حل لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم أن لا تعدلوا أى بين الاربع فواحدة أى فانكحوا واحدة أو ما ملكت أيمانكم يعنى السرارى لانه لا يلزم فيهن من الحقوق ما يلزم فى الحرائر ذلك أدنى أقرب أن لا تعولوا تجوروا ولا تميلوا وقيل لا تضلوا وقيل تجاوزوا ما فرض الله عليكم وأصل العول المجاوزة ومنه عول الفرائض وقال الشافعى رحمه الله أن لا تكثر عيالكم وقال الله تعالى وأنكحوا الأيامى منكم جمع أيم وهو من لا زوج له من رجل وامرأة والصالحين من عبادكم وامائكم معنى الآية زوجوا أيها المؤمنون من لا زوج له من احرار رجالكم ونسائكم والصالحين من عبيدكم وامائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله قيل الغنى ههنا القناعة وقيل

فى أقصى المدينة وكان يحب الطيب ويكره الريح الرديئة ويجالس الفقراء ويؤاكل المساكين ويكرم أهل الفضل فى أخلاقهم ويتألف أهل الشرف بالبر اليهم ويصل ذوى الارحام من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل لا يجفو على أحد ويقبل معذرة المعتذر اليه يمزح ولا يقول الا حقا يضحك من غير قهقهة يرى اللعب المباح فلا يكرهه ويسابق أهله له عبيد واماء لا يرتفع عليهم فى مأكل ولا ملبس وهو أمى لا يقرأ ولا يكتب نشأ فى بلاد الجهل والصحارى فى فقر وفى رعاية الغنم يتيما لا أب له ولا أم فعلمه الله تعالى جميع محاسن الاخلاق والطرق الحميدة وأخبار الاولين والآخرين وما فيه النجاة والفوز فى الآخرة وفقنا الله تعالى لطاعته والتأسى به فى فعله آمين (بيان جملة أخرى من آدابه صلى الله عليه وسلم) قالوا ما شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا من المؤمنين بشتيمة الا جعلت له كفارة ورحمة وما لعن امرأة ولا خادما بلعنة وقيل له وهو فى القتال لو لعنتهم يا رسول الله قال انما بعثت رحمة ولم أبعث لعانا وقال أنس رضى الله عنه والذى بعثه بالحق نبيا ما قال لى فى شئ قط كرهه لم فعلته ولا لامنى نساؤه الا قال دعوه انما كان هذا بكتاب وقدر قالوا وما خير بين أمرين الا اختار أيسرهما الا أن يكون فيه اثم أو قطيعة رحم فيكون أبعد الناس من ذلك ولا يأتيه أحد حر أو عبد أو أمة الا قام معه فى حاجته وقد وصفه الله تعالى الخ

اجتماع الرزقين رزق الزوج والزوجة قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه عجبت لمن يبتغى الغنى بغير النكاح والله عز وجل يقول ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله وفى الصحيحين عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء والوجاء قطع الشهوة والباءة بالمد القدرة على المؤن وبالقصر الوطء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم من أحب فطرتى فليستن بسنتى ومن سنتى النكاح وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نكح لله وأنكح لله استحق ولاية الله وروى ابن ماجه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من أراد أن يلقى الله طاهرا مطهرا فليتزوج الحرائر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة حق على الله عونهم المكاتب الذى يريد الاداء والناكح يريد العفاف والمجاهد فى سبيل الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك التزويج مخافة العيلة فليس منا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تزوج فقد أحرز شطر دينه فليتق الله فى الشطر الثانى قال الغزالى رحمه الله فكأن المفسد لدين المرء فى الاغلب فرجه وبطنه وقد كفى بالتزويج أحدهما وقال عمر رضى الله عنه لا يمنع من النكاح الا عجز أو فجور وقال ابن مسعود رضى الله عنه لو لم يبق من عمرى الا عشرة أيام لاحببت أن أتزوج لا ألقى الله عزبا وماتت امرأتان لمعاذ بن جبل فى الطاعون وكان هو أيضا مطعونا فقال زوجونى فانى أكره ان ألقى الله تعالى عزبا وقال بشر بن الحرث فضل على أحمد بن حنبل بثلاث بطلب الحلال لنفسه ولغيره وأنا أطلبه لنفسى فقط ولاتساعه فى النكاح وضيق عنه ولانه نصب اماما للعامة ويقال ان أحمد تزوج فى اليوم الثانى من وفاة أم ولده وقال رجل لابراهيم بن أدهم طوبى لك فقد تفرغت للعبادة بالعزوبة فقال لروعة منك بسبب العيال أفضل مما أنا فيه فقال فما الذى يمنعك من النكاح قال مالى حاجة فى امرأة وما أريد أن أغر امرأة بنفسى قال أبو حامد الغزالى رحمه الله وقد قيل فضل المتأهل على العزب كفضل المجاهد على القاعد وركعة من متأهل أفضل من سبعين ركعة من عزب قال أبو حامد رحمه الله يقال ان الله تعالى لم يذكر فى كتابه من الانبياء الا المتأهلين فقالوا ان يحيى عليه السلام تزوج ولم يجامع قيل انما فعل ذلك لنيل الفضل واقامة السنة وقيل لغض البصر وأما عيسى سينكح اذا نزل الى الارض ويولد له

(الفصل الثانى فى الترغيب عنه) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الناس بعد المائتين الخفيف الحاذ الذى لا أهل له ولا ولد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى على الناس زمان يكون هلاك الرجل على يد زوجته وأبويه وولده يعيرونه بالفقر ويكلفونه ما لا يطيق فيدخل المداخل التى يذهب فيها دينه فيهلك قال الامام أبو حامد رحمه الله وفى الخبر قلة العيال أحد اليسارين وكثرته أحد الفقرين وسئل أبو سليمان الدارانى عن النكاح فقال الصبر عنهن خير من الصبر عليهن والصبر عليهن خير من الصبر على النار وقال أيضا الوحيد يجد من حلاوة العمل وفراغ القلب ما لا يجد المتأهل وقال أيضا ما رأيت أحدا تزوج من أصحابنا فثبت على مرتبته الاولى وقال الحسن رحمه الله اذا أراد الله بعبد خيرا لم يشغله بأهل ولا مال قال ابن أبى الحوارى تناظر جماعة فى هذا الحديث فاستقر رأيهم على أنه ليس معناه أن لا يكون له بل أن يكون له ولا يشغلونه وهو اشارة الى قول أبى سليمان الدارانى ما شغلك عن الله من أهل ومال وولد فهو عليك مشؤم

(الفصل الثالث فى فوائد النكاح وآفاته) ذكر الامام أبو حامد الغزالى رحمه الله خمس فوائد وثلاث آفات أما فوائده فالاولى الولد وفيه أربع فوائد الاولى موافقة محبة الله فى السعى فى تحصيل الولد لبقاء جنس الانسان الثانية طلب محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تكثير من به مباهاته قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تناكحوا تكثروا فانى أباهى بكم الامم حتى بالسقط الثالثة طلب التبرك بدعاء الولد الصالح بعده الرابعة طلب الشفاعة بموت الولد الصغير اذا مات قبله وفى الخبر ان الاطفال يجتمعون فى موقف القيامة عند عرض الخلائق للحساب فيقال للملائكة اذهبوا بهؤلاء الى الجنة فيقفون على باب الجنة فيقال

في التوراة قبل أن يبعث في السطر الاول فقال محمد رسول الله عبدى المختار لا فظ ولا غليظ ولا صخاب فى الاسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ومولده بمكة وهجرته طيبة وملكه بالشام يأتزر على وسطه هو ومن معه دعاة القرآن والعلم يتوضأ على أطرافه وكذلك نعته فى الانجيل وكان من خلقه أن يبدأ من لقيه بالسلام ومن فاوضه بحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف ما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها وكان صلى الله عليه وسلم اذا لقى أحدا من أصحابه بدأه بالمصافحة ثم أخذ بيده فشابكه ثم شد قبضته وكان صلى الله عليه وسلم لا يقوم ولا يجلس الا على ذكر الله تعالى وكان لا يجلس اليه أحد وهو يصلى الا خفف صلاته وأقبل عليه فقال ألك حاجة فاذا فرغ من حاجته عاد الى صلاته وكان صلى الله عليه وسلم أكثر ما يجلس مستقبل القبلة وكان صلى الله عليه وسلم يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه لمن ليس بينه وبينه نسب ولا رضاع يجلسه عليه وكان صلى الله عليه وسلم يؤثر الداخل بالوسادة التى تحته فان أبى أن يقبلها عزم عليه حتى يفعل وكان صلى الله عليه وسلم اذا قام من مجلسه قال سبحان الله وفى نسخة سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك أستغفرك وأتوب اليك ثم يقول علمنيهن جبريل (بيان كلامه

لهم

لهم مرحبا بذرارى المسلمين ادخلوا لا حساب عليكم فيقولون فأين آباؤنا وأمهاتنا فتقول الخزنة ان آباءكم وأمهاتكم ليسوا أمثالكم انه كانت لهم ذنوب وسيآت فهم يحاسبون عليها ويطالبون بها قال فيتضاغون ويضجون على باب الجنة ضجة واحدة فيقول الله عز وجل وهو أعلم بهم ما هذه الضجة فيقولون ياربنا أطفال المسلمين قالوا لا ندخل الجنة الا مع آبائنا فيقول الله تخللوا الجمع فخذوا بأيدى آبائهم فأدخلوهم الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث أدخله الله الجنة بفضل رحمته اياهم قيل يارسول الله واثنان قال واثنان (وحكى) أن بعض الصالحين كان يعرض عليه التزويج فيأباه برهة من دهره فانتبه من نومه ذات يوم فقال زوجونى زوجونى فزوجوه فسئل عن ذلك فقال لعل الله أن يرزقنى ولدا فيقبضه فيكون لى مقدمة فى الآخرة ثم قال رأيت فى المنام كأن القيامة قد قامت وكأنى فى جملة الخلائق فى الموقف وبى من العطش ما كاد أن يقطع عنقى وكذا الخلائق فى شدة العطش والكرب فنحن كذلك واذا ولدان يتخللون الجمع عليهم مناديل من نور وبأيديهم أباريق من فضة وأكواب من ذهب وهم يسقون الواحد بعد الواحد يتخللون الجمع ويتجاوزون أكثر الناس فمددت يدى الى أحدهم فقلت اسقنى فقد أجهدنى العطش فقال ليس لك فينا ولد انما نسقى آباءنا فقلت فمن أنتم قالوا نحن من مات من أطفال المسلمين (الفائدة الثانية) التحصن عن الشيطان وكسر التوقان ودفع غوائل الشهوات وغض البصر وحفظ الفرج واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم من نكح فقد حصن شطر دينه فليتق الله فى الشطر الآخر وقال قتادة فى معنى قوله تعالى ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به هو الغلمة وعن عكرمة ومجاهد أنهما قالا فى قوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا أى لا يصبر عن النساء وقال فياض بن نجيح اذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله وبعضهم يقول ذهب ثلث دينه قال أبو حامد رحمه الله فى نوادر التفسير عن ابن عباس رضى الله عنهما ومن شر غاسق اذا وقب أى قيام الذكر وكان الجنيد رحمه الله يقول أحتاج الى النكاح كما أحتاج الى القوت قال الغزالى رحمه الله فالزوجة على التحقيق قوت وسبب لطهارة القلب ولذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم كل من وقع بصره على امرأة فتاقت اليها نفسه أن يجامع أهله لانه يدفع الوساوس عن النفس وروى جابر رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم رأى امرأة فدخل على زينب وقضى حاجته وخرج وقال ان المرأة اذا أقبلت أقبلت فى صورة شيطان فاذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليأت أهله فان معها مثل الذى معها (الفائدة الثالثة) ترويح النفس وايناسها بالمجالسة والنظر والملاعبة لراحة القلب وتقوية له على العبادة فان النفس ملول وهى عن الحق نفور لانه على خلاف طبعها فلو كلفت المداومة بالاكراه على ما يخالفها جمحت وتأبت واذا روحت باللذات فى بعض الاوقات قويت ونشطت قال على رضى الله عنه روحوا القلوب فانها اذا أكرهت عميت وفى الخبر على العاقل أن يكون له ثلاث ساعات ساعة يناجى فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يخلو فيها بمطعمه ومشربه فان هذه الساعة عون على تلك الساعات (الفائدة الرابعة) تفريغ القلب عن تدبير المنزل والتكفل بشغل الطبخ والكنس والفرش وتنظيف الاوانى وتهيئة أسباب المعيشة فان الانسان لو تكفل بهذه الاشغال اضاعت أكثر أوقاته ولم يتفرغ للعلم والعمل فالمرأة الصالحة المصلحة للمنزل عون على الدين بهذا الطريق قال أبو سليمان الدارانى رحمه الله الزوجة الصالحة ليست من الدنيا فانها تفرغك للآخرة وانما تفريغها بتدبير المنزل وبقضاء الشهوة جميعا وقال محمد بن كعب القرظى فى معنى قول الله تعالى ربنا آتنا فى الدنيا حسنة قال المرأة الصالحة وقال عليه الصلاة والسلام ليتخذ أحدكم قلبا شاكرا ولسانا ذاكرا وزوجة مؤمنة تعينه على آخرته قال الغزالى رحمه الله تعالى فانظر كيف جمع بينها وبين الذكر والشكر فى بعض التفاسير فلنحيينه حياة طيبة الزوجة الصالحة (الفائدة الخامسة) مجاهدة النفس ورياضتها بالرعاية والولاية والقيام بحقوق الاهل والصبر على أخلاقهن واحتمال الاذى منهن والسعى فى اصلاحهن وارشادهن الى طريق الدين والاجتهاد فى كسب الحلال لاجلهن والقيام بتربية الاولاد فكل هذه أعمال عظيمة الفضل قال عليه الصلاة والسلام ما أنفق الرجل على أهله فهو صدقة وان

وضحكه صلى الله عليه وسلم) كان أفصح الناس منطقا وأحلاهم كلاما ويقول أنا أفصح العرب وان أهل الجنة يتكلمون فيها بلغة النبى صلى الله عليه وسلم وكان يتكلم بجوامع الكلام لا فضول ولا تقصير كان كلامه يتبع بعضه بعضا وبين كلامه توقف يحفظه سامعه ويعيه صلى الله عليه وسلم لا يقول فى الرضا والغضب الا حقا أكثر الناس تبسما وأطيبهم نفسا ما لم ينزل عليه قرآن أو يذكر الساعة أو يخطب بخطبة عظة ولقد جاء اعرابى يوما وهو عليه السلام متغير تنكره أصحابه فاراد أن يسأله فقالوا لا تفعل يا اعرابى فانا ننكر لونه قال دعونى فوالذى بعثه بالحق نبيا لا أدعه حتى يتبسم فقال يارسول الله بلغنا أن المسيح الدجال يأتى الناس بالثريد وقد هلكوا جميعا جوعا أفترى لى بأبى أنت وأمى أكف عن ثريده تعففا وتنزها حتى أهلك هزالا أم أضرب فى ثريده حتى اذا تضلعت شبعا آمنت بالله وكفرت به قالوا فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه قال لا بل يغنيك الله بما يغنى به المؤمنين وكان اذا نزل به الامر فوض الامر وتبرأ من الحول والقوة واستنزل الهدى فيقول اللهم أرنى الحق حقا فاتبعه وأرنى المنكر منكرا وارزقنى اجتنابه وأعذنى من أن يشتبه على فاتبع هواى بغير هدى منك واجعل هواى تبعا لطاعتك وخذ رضا نفسك من نفسى فى عافية واهدنى فيما اختلف فيه من الحق باذنك فانك تهدى الى صراط

الرجل ليؤجر في رفع اللقمة الى في امرأته وقال ابن المبارك وهو مع اخوانه في الغزو أتعلمون عملا هو أفضل مما نحن فيه قالوا لا قال رجل متعفف ذو عيلة قام من الليل فنظر الى صبيانه متكشفين فسترهم وغطاهم بثوبه فعمله أفضل مما نحن فيه وقال عليه الصلاة والسلام من حسنت صلاته وكثر عياله وقل ماله ولم يغتب المسلمين كان معي في الجنة كهاتين وفي حديث آخر ان الله يحب الفقير المتعفف أبا العيال وقال بعض السلف من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهم بطلب المعيشة وفي أخبار الانبياء أن قوما دخلوا على يونس النبي عليه السلام فاضافهم فكان يدخل ويخرج الى منزله فتؤذيه امرأته فتستطيل عليه وهو ساكت فتعجبوا من ذلك فقال لا تعجبوا فاني سألت الله وقلت ما كنت معاقبا لي به في الآخرة فعجله لي في الدنيا فقال ان عقوبتك بنت فلان تزوج بها فتزوجت بها وأنا صابر على ما ترون منها (وأما آفاته) فثلاث (الاولى) وهي أقواها العجز عن طلب الحلال فان ذلك يصعب فربما امتدت يد المتزوج الى ما ليس له وفي الخبر ان العبد ليوقف عند الميزان وله من الحسنات أمثال الجبال فيسئل عن رعاية عياله والقيام بهن وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه حتى يستغرق بتلك المطالبة كل أعماله فلا تبقى له حسنة فتنادي الملائكة هذا الذي أكل عياله حسناته في الدنيا وارتهن اليوم بأعماله ويقال ان أول ما يتعلق بالرجل في القيامة أهله وولده فيوقفونه بين يدي الله عز وجل ويقولون يا ربنا خذ لنا بحقنا منه فانه ما علمنا ما نجهل وكان يطعمنا الحرام ونحن لا نعلم فيقتص لهم (الآفة الثانية) القصور عن القيام بحقوقهن والصبر على أخلاقهن واحتمال الاذى منهن وفي هذا خطر لانه راع ومسؤل عن رعيته وقال عليه الصلاة والسلام كفى بالمرء اثما أن يضيع من يعول وروى أن الهارب من عياله بمنزلة العبد الآبق لا تقبل له صلاة ولا صيام حتى يرجع اليهم ومن يقصر عن القيام بحقهن وهو حاضر فهو بمنزلة الهارب ورؤى سفيان على باب السلطان فقيل ما هذا موقفك فقال وهل رأيت ذا عيال أفلح * وحكى أبو الليث السمرقندي رحمه الله عن الحسن أنه قال جهد البلاء أربعة كثرة العيال وقلة المال وجار السوء وزوجة تخونك (الآفة الثالثة) أن يكون الاهل والولد يشغلونه عن الله عز وجل فينقضي ليله ونهاره بالتمتع بذلك ولا يتفرغ القلب للفكر في الآخرة والعمل لها قال ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى من تعود أفخاذ النساء لم يجئ منه شئ قال الامام أبو حامد رحمه الله تعالى فهذه مجامع الآفات والفوائد فالحكم على شخص واحد بان الافضل له النكاح أو العزوبة قصور عن الاحاطة بمجامع هذه الامور بل ينبغي أن ينظر فمن وجدت في حقه هذه الفوائد كلها أو بعضها وانتفت عنه الآفات كلها فلا شك أن النكاح له أفضل ومن انتفت في حقه الفوائد واجتمعت عليه الآفات فالعزوبة له أفضل وان تقابلت الفوائد والآفات على ما هو الغالب فليزن الامرين بميزان القسط فاذا غلب على ظنه رجحان أحدهما حكم بموجب الراجح

(الباب الثاني في بيان ما يحصل به طيب العشرة بين الزوجين وفيه فصلان)

(الفصل الاول في الخصال التي تعتبر في المرأة) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تنكح المرأة لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك وعن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له وقد تزوج ثيبا هلا جارية تلاعبها وتلاعبك رواهما البخاري ومسلم وفي رواية لمسلم فهلا بكرا تلاعبها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تخيروا لنطفكم وانكحوا الاكفاء وانكحوا اليهم رواه ابن ماجه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تنكح المرأة على احدى خصال ثلاث تنكح على جمالها وتنكح على دينها وتنكح على خلقها فعليك بذات الدين تربت يداك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير النساء من تسر اذا نظر وتطيع اذا أمر ولا تخالفه في نفسها وما لها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم النساء بركة أيسرهن صداقا وقال عمر رضي الله عنه وأنا أقول من عندي أول شؤمها أن يكثر صداقها روى هذه الاحاديث الثلاثة الحاكم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجوا الولود الودود فاني مكاثر بكم رواه أبو داود والنسائي وابن حبان والحاكم ويروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال عليكم بالابكار

مستقيم (بيان أخلاقه وآدابه في الطعام وقد سبق بعضه في باب الاكل والشرب) وكان صلى الله عليه وسلم يأكل القثاء بالرطب وبالملح وكان صلى الله عليه وسلم أحب الفواكه اليه الرطب والبطيخ والعنب وربما أكل العنب خرطا يرى زؤانه على لحيته كاللؤلؤ وهو الماء الذي يتقطر منه وكان صلى الله عليه أكثر طعامه الماء والتمر وكان صلى الله عليه وسلم يجمع اللبن بالتمر ويسميهما الاطيبين وكان صلى الله عليه وسلم أحب الطعام اليه اللحم ويقول هو يزيد في السمع وهو سيد الطعام في الدنيا والآخرة ولو سألت ربي أن يطعمنيه كل يوم لفعل وكان صلى الله عليه وسلم يأكل الثريد باللحم والقرع وكان صلى الله عليه وسلم يحب القرع ويقول انها شجرة أخي يونس قالت عائشة رضي الله عنها اذا طبختم قدرا فاكثروا فيه من الدباء فانه يشد القلب المحزون وكان صلى الله عليه وسلم يأكل لحم الطير الذي يصاد وكان لا يتبعه ولا يصيده ويحب أن يصاد له ويؤتى به فيأكله وكان صلى الله عليه وسلم يأكل الخبز والسمن وكان يحب من الشاة الذراع والكتف ومن القدر الدباء ومن الصباغ الخل ومن التمر العجوة ودعا فيها بالبركة وقال هي من الجنة وشفاء من السم والسحر وكان صلى الله عليه وسلم يحب من البقول الهندباء والباذروج والبقلة الحمقاء (بيان آدابه وأخلاقه في اللباس)

فانهن

فانهن أعذب أفواها وأنتق أرحاما وأغر غرة وأرضى باليسير قال الماوردي رحمه الله أنتق أرحاما أي أكثر أولادا وفي قوله وأغر غرة روايتان غرة بالكسر أي أبعد من معرفة الشر وأقل فطنة له والثانية بالضم وفيه تأويلان أحدهما أنه أراد غرة البياض والثاني أنه أراد حسن الخلق والمعاشرة ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تنكحوا القرابة القريبة فان الولد يخلق ضاويا أي نحيفا وذلك لضعف الشهوة قال ابن الملقن وأورد القاضي والماوردي حديثا أنه صلى الله عليه وسلم قال لزيد بن حارثة لا تتزوج خمسا شهبرة ولا لهبرة ولا نهبرة ولا هيدرة ولا لفوتا فالاولى الزرقاء البذية والثانية الطويلة المهزولة والثالثة العجوزة المدبرة والرابعة القصيرة الذميمة والخامسة ذات الولد من غيرك وذكر الامام أبو حامد رحمه الله في الاحياء عن بعض العرب أنه قال لا تنكحوا من النساء ستا لا أنانة ولا منانة ولا حنانة ولا حداقة ولا براقة ولا شداقة قال أبو حامد الغزالي أما الانانة التي تكثر الانين والتشكي وتعصب رأسها كل ساعة فنكاح الممراضة أو المتمارضة لا خير فيه والمنانة التي تمن على زوجها فتقول فعلت لاجلك كذا وكذا والحنانة التي تحن الى زوج آخر أو الى ولدها من زوج آخر وهذا أيضا مما يجب اجتنابه والحداقة التي ترمي الى كل شئ ببصرها فتشتهيه وتكلف الزوج شراءه والبراقة تحتمل معنيين أحدهما أن تكون طول نهارها في تصقيل وجهها وتزيينه ليكون لوجهها بريق يحصل بالتصنع والثاني أن تغضب على الطعام فلا تأكل الا وحدها وتستقل نصيبها من كل شئ وهذه لغة يمانية يقولون برقت المرأة وبرق الصبي الطعام اذا غضب عنده والشداقة المتشدقة الكثيرة الكلام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ان الله يبغض الثرثارين المتشدقين ويحكى ان السائح الازدي لقي الياس عليه السلام في سياحته فامره بالتزويج ونهاه عن التبتل ثم قال لا تنكح أربعا المختلعة والمبارية والعاهرة والناشزة قال الامام أبو حامد رحمه الله اما المختلعة فهي التي تطلب الخلع كل ساعة من غير سبب والمبارية المباهية بغيرها المفاخرة باسباب الدنيا والعاهرة الفاسقة التي تعرف بخليل وخدن وهي التي قال الله تعالى ولا متخذات أخدان والناشزة التي تعلو على زوجها في الفعال والمقال من النشز وهو العالي من الارض روى الترمذي والنسائي عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أنه خطب امرأة فقال النبي صلى الله عليه وسلم أنظر اليها فانه أحرى أن يؤدم بينكما وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في أعين الانصار شيأ فاذا أراد أحدكم أن يتزوج منهن فلينظر اليهن قال الغزالي رحمه الله في الاحياء قيل كان في أعينهن عمش وقيل صغر قال الغزالي وكان بعض الورعين لا ينكحون كرائمهم الا بعد النظر احترازا من الغرور وقال الاعمش كل تزويج يقع على غير نظر فآخره هم وغم قال الغزالي في الحديث من ينكح المرأة لمالها وجمالها حرم مالها وجمالها ومن نكحها لدينها رزقه الله مالها وجمالها وقال بعضهم من تزوج غنية كان له منها خمس خصال مغالاة الصداق وتسويف الزفاف وفوت الخدمة وكثرة النفقة واذا أراد طلاقها لم يقدر خوفا من ذهاب مالها والفقيرة بخلاف ذلك وقال علي رضي الله عنه شر خصال الرجال خير خصال النساء البخل والزهو والجبن فان المرأة اذا كانت بخيلة حفظت مالها ومال زوجها واذا كانت مزهوة استنكفت أن تكلم أحدا بكلام لين واذا كانت جبانة فرقت من كل شئ فلم تخرج من بيتها واتقت مواضع التهم خيفة من زوجها وقال بعض الحكماء ينبغي للمتزوج أن تكون الزوجة دونه باربعة أشياء السن والطول والمال والحسب والا استحقرته وتهاونت به وأن تكون فوقه باربعة أشياء الجمال والادب والخلق والورع

(الفصل الثاني) قال الامام أبو حامد الغزالي رحمه الله يجب على الولي أن يراعي خصال الزوج وينظر لكريمته فلا يزوجها ممن ساء خلقه أو خلقه أو ضعف دينه أو قصر عن القيام بحقها أو كان لا يكافئها في نسبها قال عليه الصلاة والسلام النكاح رق فلينظر أحدكم أين يضع كريمته فالاحتياط في حقها أهم لانها رقيقة والنكاح لا مخلص لها منه والزوج قادر على الطلاق ومهما زوج ابنته فاسقا أو مبتدعا فقد جنى على دينه وتعرض لسخط الله بما قطع من حق الرحم وسوء الاختيار قال رجل للحسن قد خطب ابنتي جماعة فممن أزوجها قال ممن يتقي الله فانه ان احبها أكرمها وان أبغضها لم يظلمها وقال عليه الصلاة والسلام من زوج كريمته من فاسق فقد

البياض ويقول ألبسوها أحياءكم وكفنوا فيها موتاكم وربما خرج وفي خاتمه الخيط المربوط يتذكر به الشئ وكان صلى الله عليه وسلم يلبس القلانس تحت العمائم وبغير عمامة وربما ينزع قلنسوته من رأسه فيجعلها سترة بين يديه ثم يصلي اليها وكان صلى الله عليه وسلم اذا لبس الثوب لبسه من قبل ميامنه ويقول الحمد لله الذي كساني ما أواري به عورتي وأتجمل به في الناس واذا نزع ثوبه خرج من مياسره وكان صلى الله عليه وسلم له ثوب لجمعته خاصة وكان صلى الله عليه وسلم اذا لبس جديدا أعطى خلق ثيابه مسكينا يقول ما من مسلم يكسو مسلما من فضل ثيابه ولا يكسوه الا لله تعالى الا كان في ضمان الله وحرزه وخيره ما واراه حيا وميتا وكان صلى الله عليه وسلم له فراش من أدم حشوه ليف طوله ذراعان أو نحوه وعرضه ذراع وشبر وكان صلى الله عليه وسلم له عباءة تفرش له حيثما تنقل تثنى طاقتين وكان صلى الله عليه وسلم يلبس المنطقة من الادم فيها ثلاث حلق من فضة (بيان شجاعته صلى الله عليه وسلم) قال علي رضي الله عنه لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا الى العدو وكان صلى الله عليه وسلم من أشد الناس يومئذ بأسا (بيان معجزاته) اعلم أن من شاهد أحواله وأخلاقه وأصغى الى

قطع رجها وزوج سعيد بن المسيب ابنته من أبي هريرة على درهمين ثم حملها اليه ليلا وأدخلها هو من الباب ثم انصرف ثم جاءها بعد سبعة أيام يسلم عليها (وحكى) الامام أبو حامد رحمه الله عن أبي وداعة قال كنت أجالس سعيد بن المسيب ففقدني أياما فلما جئته قال أين كنت قلت توفيت أهلي فاشتغلت بها فقال ألا أخبرتنا فشهدناها قال ثم أردت أن أقوم فقال هل استحدثت امرأة فقلت يرحمك الله ومن يزوجني وما أملك الا درهمين أو ثلاثة فقال أنا فقلت وتفعل قال نعم ثم تحمد وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وزوجني على درهمين أو قال ثلاثة قال فقمت وما أدري ما أصنع من الفرح فصرت الى منزلي فجعلت أتفكر ممن آخذ وممن أستدين فصليت المغرب وانصرفت الى منزلي وأسرجت السراج وكنت وحدي صائما فقدمت عشائي أفطر وكان خبزا وزيتا فاذا بابي يقرع فقلت من هذا قال سعيد قال فأفكرت في كل انسان اسمه سعيد الا سعيد ابن المسيب فانه لم ير أربعين سنة الا بين بيته والمسجد فقمت فخرجت فاذا سعيد بن المسيب فظننت أنه بدا له فقلت يا أبا محمد ألا أرسلت الى فآتيك قال لا أنت أحق أن تؤتى قلت فما تأمر قال انك كنت رجلا عزبا فتزوجت فكرهت أن أبيتك الليلة وحدك وهذه امرأتك فاذا هي قائمة خلفه في طوله ثم أخذ بيدها فدفعها في الباب ورد الباب فسقطت المرأة من الحياء فاستوثقت من الباب ثم تقدمت الى القصعة التي فيها الزيت والخبز فوضعتها في ظل السراج لكيلا تراه ثم صعدت الى السطح فرميت الجيران فجاؤني فقالوا ما شأنك قلت ويحكم زوجني سعيد بن المسيب ابنته اليوم وقد جاء بها الليلة على غفلة فقالوا سعيد زوجك فقلت نعم قالوا وهي في الدار قلت نعم فنزلوا اليها وبلغ أمي فجاءت وقالت وجهي من وجهك حرام ان مسستها قبل أن أصلحها الى ثلاثة أيام قال فأقمت ثلاثا ثم دخلت بها فاذا هي من أجمل الناس واذا هي أحفظ الناس لكتاب الله تعالى وأعلمهم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعرفهم بحق الزوج قال فمكثت شهرا لا يأتيني سعيد ولا آتيه فلما كان قرب الشهر أتيت سعيدا وهو في حلقته فسلمت عليه فرد على السلام ولم يكلمني حتى تفرق أهل المجلس فقال ما حال ذلك الانسان فقلت خيرا يا أبا محمد على ما يحب الصديق ويكره العدو وقال ان رابك شئ فالعصا فانصرفت الى منزلي فوجه الى بعشرين ألف درهم قال عبد الله بن سليمان وكانت بنت سعيد بن المسيب خطبها عبد الملك بن مروان لابنه الوليد حين ولاه العهد فأبى سعيد أن يزوجه فلم يزل عبد الملك يحتال على سعيد حتى ضربه مائة سوط في يوم بارد وصب عليه جرة ماء وألبسه جبة صوف (وحكى) أبو حامد رحمه الله تعالى في نصيحة الملوك انه كان بمدينة مرو رجل يقال له نوح بن مريم وكان رئيس مرو وقاضيها وكان له نعمة كثيرة وجاه موفور وكانت له بنت ذات حسن وجمال وبهاء وكمال خطبها منه جماعة من أكابر الرؤساء وذوي النعمة وأكثروا فلم ينعم بها لاحد منهم وتحير في أمرها ولم يدر لايهم يزوجها وقال ان زوجتها بفلان أسخطت فلانا وكان له غلام هندي دين تقي اسمه مبارك وكان له كرم عامر غامر الاشجار والفاكهة والثمار فقال للغلام أريد أن تمضي وتحفظ الكرم فمضى وأقام في الكرم شهرين فجاء سيده بعض الايام الى الكرم فقال له يا مبارك ناولني عنقود عنب فناوله عنقودا فوجده حامضا فقال له سيده أعطني غير هذا فناوله عنقودا حامضا فقال سيده ما السبب في انك لا تناولني من هذا الكرم الكبير الا الحامض فقال لاني لا أعلم الحامض من الحلو فقال سيده سبحان الله لك مدة شهرين مقيما في الكرم ولا تعرف الحلو من الحامض فقال وحقك أيها السيد انني ما ذقته ولا أعلم أحامض هو أم حلو فقال لم لم تأكل منه فقال لانك أمرتني بحفظه ولم تأمرني بأكله فما كنت أخونك فتعجب القاضي منه وقال حفظ الله عليك أمانتك وعلم القاضي أن الغلام غزير العقل فقال له القاضي أيها الغلام قد وقع لي فيك رغبة وينبغي أن تفعل ما آمرك فقال الغلام أنا طائع لله ولك فقال القاضي اعلم أن لي بنتا جميلة وقد خطبها كثير من الاكابر والمتقدمين ولم أعلم لمن أزوجها فأشر علي بما ترى فقال الغلام اعلم أن الكفار في زمن الجاهلية كانوا يريدون الاصل والحسب والنسب واليهود والنصارى يطلبون الحسن والجمال وفي عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الناس يطلبون الدين والتقى وفي زماننا هذا يطلبون المال فاختر الآن من هذه الاشياء الاربعة ما تريد فقال له القاضي يا غلام قد اخترت الدين والتقى وأريد

ما نقل عنه علماء الاولين والآخرين يعجزون عن أمثالها وأن ذلك لا يتصور الا أن يكون من الوحي والتنزيل وكان الجلف العربي يرى وجهه الكريم فيقول والله ما هذا وجه كذاب فقط فذو البصيرة يكفيه ذلك دلالة على صدقه ونبوته ونحن نورد بعض ما ظهر على يده من خرق العادات منها أنه شق له القمر بمكة اذ سأله قريش ذلك ومنها أنه أطعم النفر الكثير في منزل أبي طلحة يوم الخندق ونبع الماء من بين أصابعه فشرب العسكر كلهم وهم عطاش وتوضؤا من قدح صغير ضاق عن أن يبسط عليه السلام فيه يده وأمثال ذلك كثيرة والبصير لا يتوقف ايمانه على ذلك والله أعلم

(الباب الحادي والعشرون في عجائب القلب وهو الاول من ربع المهلكات)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في جسد ابن آدم مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله وصلح لها سائر البدن ألا وهي القلب فقد تبين بهذا الحديث ان الاصل هو القلب وهو الامير المطاع في عالم الجسد والبقية رعية ونحن نبين معنى القلب والروح والنفس والعقل (فالاول لفظ القلب) وهو يطلق لمعنيين أحدهما اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الايسر من الصدر وفي باطنه تجويف يسكنه دم أسود وهو منبع الروح ومعدنها وهذا اللحم على هذا الشكل أيضا موجود للبهائم وللموتى والمعنى الثاني هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا اللحم اتصال وهذه اللطيفة هي

ان

أن أزوجك يا بنتي لاني قد وجدت فيك الدين والصلاح وجربت منك التقى والامانة فقال الغلام أيها السيد أنا عبد رقيق هندي وابتعتني بمالك كيف تزوجني بابنتك وكيف تختارني لابنتك وترضاني فقال له القاضي قم بنا الى البيت لندبر هذا الامر فلما صار الى المنزل قال القاضي لزوجته اعلمي أن هذا الغلام الهندي دين تقي وقد رغبت في صلاحه وأريد أن أزوجه بابنتي فما تقولين قالت الامر اليك ولكن أمضي وأعلم الصبية وأعيد عليك جوابها فجاءت الام الى الصبية فأدت اليها رسالة أبيها فقالت مهما أمرتماني به فعلته وما أخرج عن حكمكما ولا أعقكما بالمخالفة لامركما فزوج القاضي ابنته بمبارك وأعطاه مالا عظيما وأولدها مباركا ولدا فسماه عبد الله وهو معروف في جميع العالم عبد الله بن المبارك صاحب العلم والزهد ورواية الحديث وما دامت الدنيا فالحديث عنه يروى

(الباب الثالث في آداب المعاشرة وفيه فصلان)

(الفصل الاول في آداب الزوج مع زوجته) قال الله تعالى وعاشروهن بالمعروف وقال الله تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب قال علي رضي الله عنه هو المرأة تكون معه الى جنبه وقال تعالى ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء أي لن تقدروا أن تسووا بين النساء في الحب وميل القلب ولو حرصتم على العدل فلا تميلوا الى التي تحبونها كل الميل في القسمة والنفقة أي لا تتبعوا أهواءكم أفعالكم فتذروها كالمعلقة أي فتدعوا الاخرى لا أيما ولا ذات بعل وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقسم بين نسائه فيعدل ويقول اللهم هذه قسمتي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كانت له امرأتان فمال الى احداهما جاء يوم القيامة وشقه مائل وان تصلحوا وتتقوا الجور فان الله كان غفورا رحيما وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال استوصوا بالنساء فان المرأة خلقت من ضلع وان أعوج ما في الضلع أعلاه فان ذهبت تقيمه كسرته وان تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيرا فانما هن عوان عندكم ليس تملكون منهن شيئا غير ذلك الا أن يأتين بفاحشة مبينة فان فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضربا غير مبرح فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ألا ان لكم على نسائكم حقا ولنسائكم عليكم حقا فحقكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم من تكرهون ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون الا وحقهن عليكم أن تحسنوا اليهن في كسوتهن وطعامهن رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قال النووي رحمه الله قوله صلى الله عليه وسلم عوان أي أسيرات جمع عانية بالعين المهملة وهي الاسيرة والعاني الاسير شبه صلى الله عليه وسلم المرأة في دخولها تحت حكم الزوج بالاسير والضرب المبرح هو الشاق الشديد وقوله صلى الله عليه وسلم فلا تبغوا عليهن سبيلا أي لا تطلبوا طريقا تحتجون به عليهن وتؤذونهن به والله أعلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا وخياركم خياركم لنسائهم رواه الترمذي وقال حديث صحيح ويروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الاجر مثل ما أعطى أيوب ومن صبرت على سوء خلق زوجها أعطاها الله مثل ثواب آسية امرأة فرعون وقال عمر رضي الله عنه ينبغي للرجل أن يكون في أهله مثل الصبي فاذا التمسوا ما عنده وجد رجلا ومن آدابه الاعتدال في الغيرة وهو أن لا يتغافل عن مبادي الامور التي تخشى غوائلها ولا يبالغ في اساءة الظن وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يطرق الرجل أهله ليلا وقال صلى الله عليه وسلم أتعجبون من غيرة سعد والله لانا أغير منه والله أغير مني ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لغيور وما من امرئ لا يغار الا منكوس القلب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يدخلون الجنة العاق لوالديه والديوث ورجلة النساء قال أبو سعيد المتولي الديوث هو الذي لا يمنع الناس الدخول على زوجته والقواد من يحمل الرجال الى أهله ويخلي بينهم وبين الاهل قال الرافعي ويشبه أن لا يختص بالاهل بل هو الذي يجمع بين

العالمة بالله تعالى المدركة لما ليس يدركه الخيال والوهم وهو حقيقة الانسان وهو المخاطب والى هذا المعنى أشار بقوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب ولو كان المراد بالقلب هو اللحم الصنوبري الشكل لكان موجودا لكل أحد فاذا عرفت هذا فاعلم أن تعلق هذه اللطيفة بهذا اللحم الصنوبري هو تعلق غامض لا يدرك بالبيان بل يتوقف على المشاهدة والعيان والذي يمكن أن يذكر فيه أنه كالملك وهذا اللحم له كالدار والمملكة اذ لو كان تعلقه به تعلق الاعراض لما صح فيه أن يقال وانه يحول بين المرء وقلبه (اللفظ الثاني) الروح وله أيضا معنيان أحدهما الروح الطبيعي وهو دخان منبعه دم أسود في تجويف القلب وهو اللحم الصنوبري وينتشر بواسطة العروق والضوارب في جميع أجزاء البدن ومثاله كسراج في بيت اذ يستضاء في جميع زوايا البيت به وهو الذي يريده الاطباء باطلاق الروح والمعنى الثاني هو اللطيفة الربانية التي هي معنى حقيقة القلب فالروح والقلب متواردان على تلك اللطيفة على نسق واحد واليه الاشارة بقوله تعالى ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي (اللفظ الثالث) النفس ولها معنيان أحدهما المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة والصفات المذمومة وهو المراد بقوله عليه السلام أعدى أعدائك نفسك التي بين جنبيك وهي المجاهدة والمأمور

النساء والرجال بالحرام وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لما خلق الجنة قال لها تكلمي قالت سعد من دخلني وقال الجبار جل جلاله وعزتي وجلالي لا يسكن فيك مدمن خمر ولا مصر على الزنا ولا قتات وهو النمام ولا ديوث ولا الشرطي ولا المخنث ولا قاطع رحم ولا الذي يقول على عهد الله ان لم أفعل كذا وكذا ثم لم يف به ومما ينبغي للرجل ويتعين عليه أن يحترز من أن يخلو أحد من أقاربه بزوجته وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والدخول على النساء فقال رجل من الانصار أفرأيت الحمو قال الحمو الموت قال النووي رحمه الله هو قريب الزوج كأخيه وابن أخيه وعمه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخلون أحدكم بامرأة الا مع ذي رحم رواهما البخاري ومسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة عليها السلام أي شيء خير للمرأة قالت أن لا ترى رجلا ولا يراها رجل فضمها الى صدره وقال ذرية بعضها من بعض واستحسن قولها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم المرأة عشر عورات فاذا تزوجت ستر الزوج عورة واحدة واذا ماتت ستر القبر العشر عورات وقال عمر رضي الله عنه أعروا النساء يلزمن الحجال قال الغزالي رحمه الله وانما قال ذلك لانهن لا يرغبن في الخروج في الهيئة الرثة قال العلماء ينبغي أن يتعلم المتزوج من علم الحيض وأحكامه ما يدري به كيف معاشرة الحائض ويلقنها الاعتقاد الصحيح ويزيل عن قلبها كل بدعة ان كانت ويعلمها أحكام الصلاة والحيض والاستحاضة فيعرفها أنها اذا انقطع دمها قبل المغرب بمقدار تكبيرة فعليها الظهر والعصر واذا انقطع قبل الصبح بمقدار تكبيرة فعليها المغرب والعشاء ومن ذلك آداب الجماع روى البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لو أن أحدكم اذا أتى أهله قال باسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فقضي بينهما ولد لم يضره شيطان أبدا وروي عن جعفر بن محمد في قوله تعالى وشاركهم في الاموال والاولاد ان الشيطان يقعد على ذكر الرجل فاذا لم يقل باسم الله أصاب معه امرأته وأنزل في فرجها كما ينزل الرجل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي الى المرأة وتفضي اليه ثم ينشر سرها رواه مسلم

(الفصل الثاني في آداب المرأة مع زوجها) قال الله تعالى وللرجال عليهن درجة قال ابن عباس رضي الله عنهما بما ساق فيها من المهر وأنفق عليها من المال وقال تعالى الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعا الرجل امرأته الى فراشه فلم تأته فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح رواه البخاري ومسلم وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يحل لامرأة أن تصوم وزوجها شاهد الا باذنه ولا تأذن في بيته الا باذنه رواه البخاري ومسلم وهذا اللفظ للبخاري وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعا الرجل زوجته لحاجته فلتأته وان كانت على التنور رواه النسائي والترمذي وقال حديث حسن وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لاحد لامرت المرأة أن تسجد لزوجها رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة رواه الترمذي وقال حديث حسن وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا الا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله فانما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك الينا رواه الترمذي وقال حديث حسن وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها دخلت جنة ربها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلعت في النار فاذا أكثر أهلها النساء فقلن لم يا رسول الله قال يكثرن اللعن ويكفرن العشير يعني الزوج المعاشر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله الى امرأة لا تشكر لزوجها وهي لا تستغني عنه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرجت من بيت زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع أو تتوب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مسئلة واحدة يتعلمها المؤمن خير له من عبادة سنة وخير له من عتق رقبة من ولد اسمعيل وان طالب العلم والمرأة المطيعة لزوجها والولد البار بوالديه يدخلون الجنة بغير حساب وقال علي رضي الله عنه من سعادة المرء

بكسرها المعنى الثاني لها اللطيفة الربانية التي هي احدى معنى الروح والقلب والنفس أيضا مع لفظ القلب والروح مطلقة على تلك اللطيفة وهي حقيقة الانسان التي يتميز بها عن سائر الحيوانات فاذا صفت وتحلت بذكر الله تعالى ومحي عنها آثار الشهوات والصفات المذمومة سميت النفس المطمئنة وهي المراد بقوله تعالى يا أيتها النفس المطمئنة الآية والنفس قبل أن تنتهي الى هذه الدرجة لها درجتان باعتبار أحدهما أن تسمى النفس اللوامة وهي التي أقسم الله تعالى بها في قوله تعالى ولا أقسم بالنفس اللوامة وهي التي تلوم على المعاصي ولا تركن اليها ولا ترضى بها وقبل أن تنتهي الى هذه الدرجة لها درجة وهي أن تكون أمارة بالسوء كما قال الله تعالى ان النفس لامارة بالسوء وهي في حالة لا تأمر بالخير ولا تلوم على الشر وهي حضيض النفس والمطمئنة سماكها واللوامة بينهما الا هي تؤذى بالشر فتركن اليه ولا تستطيع الاطمئنان فتطمئن الى الخير وهو ذكر الله تعالى (اللفظ الرابع) العقل وقد ذكر له عدة معان أحدها العلم بحقائق الاشياء والثاني العالم الذي يكون العلم له كالصفة وهذا المعنى هو اللطيفة الربانية التي سبق ذكرها اذ لا يمكن ان يكون المراد بالعقل المعنى الاول قوله صلى الله عليه وسلم اول ما خلق الله تعالى العقل ثم قال له اقبل فاقبل ثم قال له أدبر فادبر

خمسة أشياء أن تكون زوجته موافقة له وأولاده أبرارا واخوانه أتقياء وجيرانه صالحين وان يكون رزقه في بلده وروي أن رجلا خرج الى سفر وعهد الى امرأته أن لا تنزل من العلو الى السفل فمرض أبوها فارسلت المرأة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تستأذن في النزول الى أبيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيعي زوجك فمات فاستأمرت فقال أطيعي زوجك فدفن أبوها فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم اليها يخبرها أن الله قد غفر لابيها بطاعتها لزوجها قال الغزالي رحمه الله وحقوق الزوج على الزوجة كثيرة وأهمها أمران أحدهما الصيانة والستر والآخر ترك المطالبة بما وراء الحاجة والتعفف عن كسبه اذا كان حراما وهكذا كانت عادة النساء في السلف كان الرجل اذا خرج من منزله تقول امرأته وابنته اياك وكسب الحرام فانا نصبر على الجوع والضر ولا نصبر على النار وهم رجل من السلف بالسفر فقال جيرانه لزوجته لم ترضين بسفره ولم يدع لك نفقة فقالت زوجي منذ عرفته أكالا وما عرفته رزاقا ولي رزاق يذهب الاكال ويبقى الرزاق وخطبت رابعة بنت اسمعيل أحمد بن ابي الحواري فكره ذلك لما كان فيه من العبادة وقال لها والله ما لي همة في النساء لشغلي بحالي فقالت اني لأشغل بحالي منك وما لي شهوة ولكني ورثت مالا جزيلا من زوجي فاردت أن أنفقه على اخوانك وأعرف بك الصالحين فيكون ذلك طريقا الى الله تعالى فقال حتى أستأذن أستاذي فرجع الى أبي سليمان الداراني قال وكان ينهاني عن التزويج ويقول ما تزوج أحد من أصحابنا الا تغير فلما سمع كلامها قال تزوج بها فانها ولية لله تعالى هذا كلام الصديقين قال فتزوجها وكان في منزلها كر من جص ففني من غسل أيدي المستعجلين للخروج بعد الاكل فضلا عمن غسل بالاشنان قال رحمه الله وتزوجت عليها ثلاث نسوة فكانت تطعمني الطيبات وتطيبني وتقول اذهب بنشاطك وقوتك الى أزواجك وكانت هذه تشبه في أهل الشام برابعة العدوية في البصرة وروي أن عمر رضي الله عنه كان يعس المدينة فسمع امرأة تقول لابنة لها صغيرة شيبي اللبن بالماء فقالت يا أماه ان أمير المؤمنين أمر مناديه فنادى أن لا يشاب اللبن بالماء قالت أنت بمكان لا يراك فيه عمر ولا مناديه قالت والله ما كنت لاطيعه في الملأ وأعصيه في الخلا فزوجها عمر أحد أولاده ومن ذريتها عمر بن عبد العزيز قال الغزالي رحمه الله ومن آدابها أن لا تتفاخر على الزوج بجمالها ولا تزدريه لقبحه فقد روي أن الاصمعي قال دخلت البادية فاذا أنا بامرأة من أحسن الناس وجها تحت رجل من أقبح الناس وجها فقلت لها يا هذه أترضين لنفسك أن تكوني تحت مثله فقالت يا هذا اسكت أسأت في قولك فلعله أحسن فيما بينه وبين خالقه فجعلني ثوابه أو لعلي أسأت فيما بيني وبين خالقي فجعله عقوبتي أفلا أرضى بما رضي الله لي فاسكتني

(الباب الرابع في التحذير من كيد النساء وفتنتهن)

قال الله تعالى ان كيدكن عظيم وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما تركت بعدي فتنة هي أضر على الرجال من النساء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فان أول فتنة بني اسرائيل كانت في النساء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المرأة الصالحة في النساء كمثل الغراب الاعصم ما بين مائة غراب يعني الابيض البطن وقال عمر رضي الله عنه التجئوا الى الله من شرار النساء واحذروا خيارهن وفي وصية لقمان لابنه يا بني اتق المرأة السوء فانها تشيبك قبل الشيب واتق النساء فانهن لا يدعون الى خير وكن من خيارهن على حذر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا هلكت الرجال حين أطاعوا النساء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة وقال الحسن رحمه الله والله ما أصبح رجل يطيع امرأته فيما تهوى الا أكبه الله في النار ومن كلام علي رضي الله عنه أيها الناس لا تطيعوا النساء على حال ولا تأمنوهن على مال ولا تدعوهن يدبرن أمر عشير فانهن ان تركن وما يردن أفسدن الممالك وعصين المالك وجدناهن لا دين لهن في خلواتهن ولا ورع لهن عند شهواتهن اللذة بهن يسيرة والحيرة بهن كثيرة فاما صوالحهن ففاجرات وأما طوالحهن فعاهرات وأما المعصومات فهن المعدومات فيهن ثلاث خصال من اليهود يتظلمن وهن ظالمات ويحلفن وهن

الحديث فاذا تبين لك أن القلب والعقل والروح والنفس في الاخبار والآيات المراد منها هي اللطيفة الربانية ونحن اذا أطلقناها أردنا بها تلك فاعلم ذلك وقال سهل التستري القلب هو العرش والصدر هو الكرسي وهو يدل أيضا على أن المراد عنده من القلب شيء وراء اللحم الصنوبري

(فصل) اذا عرفت القلب فنحن نبين لك جنوده وله جندان جند يشاهد بالبصر وهو اليد والرجل والعين وسائر الاعضاء وجند يشاهد بالبصيرة وهو الصفات على ما سيأتي ذكرها ودل الحديث وهو قوله صلى الله عليه وسلم ان في جسد ابن آدم مضغة اذا صلحت صلح سائر الجسد ألا وهي القلب على أن القلب ينبغي أن يكون أميرا مطاعا وتكون النفس وسائر البدن مطيعة لاوامره ونواهيه فاذا لم يكن كذلك وغلبت الشهوات صار الامير مأمورا وانعكس الامر فيصير الملك مثلا أسيرا مسخرا في يد كلب أو عدو ولهذا ان الرجل اذا أطاع داعية الشره أو الشهوة يرى نفسه في النوم أو في اليقظة وهي حالة الصوفية ساجدة بين يدي خنزير أو حمار وان أطاع الغضب يرى نفسه ساجدة بين يدي كلب فانه على الحقيقة اطاع الحمار وهو الشهوة وأطاع الخنزير وهو الشره وهو في هذه الحالة أعني في طاعة الشهوة والشره مطيع للشيطان المسلط على الآدمي فاذا طال تسلط هوام هذه الصفات التي هي جند الشيطان

كاذبات ويمنعن وهن راغبات فاستعيذوا بالله من شرارهن وكونوا على حذر من خيارهن وقال عمر رضى الله عنه خالفوا النساء فان فى خلافهن البركة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعس عبد الزوجة قال الغزالى رحمه الله وانما قال ذلك لانه اذا أطاعها فى هواها فهو عبدها وقد تعس فان الله ملكه المرأة فملكها نفسه فاذا ملكها نفسه فقد عكس الامر وأطاع الشيطان لما قال ولآمرنهم فليغيرن خلق الله اذحق الرجل أن يكون متبوعا لا تابعا قال الغزالى رحمه الله وكانت نساء العرب يعلمن بناتهن اختبار الازواج كانت المرأة تقول لابنتها اختبرى زوجك قبل الاقدام والجراءة عليه انزعى زج رمحه فان سكت لذلك فقطعى اللحم على ترسه فان سكت فكسرى العظام بسيفه فان صبر فاجعلى الاكاف على ظهره وامتطيه فانما هو حمارك (حكاية) قال الغزالى رحمه الله تعالى فى كتاب نصيحة الملوك يقال ان خسرو كان يحب أكل السمك فكان يوما جالسا فى المنظرة وامرأته شيرين عنده فجاء الصياد ومعه سمكة كبيرة وأهداها لخسرو ووضعها بين يديه فاعجبته فامر له باربعة آلاف درهم فقالت شيرين بئسما فعلت قال ولم قالت لانك اذا أعطيت بعد هذا لاحد من حشمك هذا القدر احتقره وقال أعطانى عطية الصياد وان أعطيته أقل منه قال أعطانى أقل مما أعطى الصياد فقال خسرو لقد صدقت ولكن يقبح بالملوك أن يرجعوا فى هباتهم وقد فات هذا قالت شيرين أنا أدبر هذه الحالة فقال وكيف ذلك فقالت تدعو الصياد وتقول له هذه السمكة ذكر أم أنثى فان قال ذكر فقل انما أردنا أنثى وان قال أنثى فقل انما أردنا ذكرا فنودى الصياد فعاد وكان ذا ذكاء وفطنة فقال له خسرو هذه السمكة ذكر أم أنثى فقبل الصياد الارض وقال هذه السمكة خنثى لا ذكر ولا أنثى فضحك خسرو من كلامه وأمر له باربعة آلاف درهم أخرى فمضى الصياد الى الخازن وقبض منه ثمانية آلاف درهم ووضعها فى جراب كان معه وحملها على عنقه وهم بالخروج فوقع منه درهم واحد فوضع الصياد الجراب عن كاهله وانحنى الى الدرهم وأخذه والملك وشيرين ينظران اليه فقالت شيرين أيها الملك رأيت الى خسة هذا الرجل وسفالته سقط منه درهم واحد فالقى عن ظهره ثمانية آلاف وانحنى عليه فاخذه ولم يسهل عليه أن يتركه يأخذه بعض الغلمان فحرد خسرو من ذلك وقال لقد صدقت يا شيرين ثم أمر باعادة الصياد وقال له ياساقط الهمة لست بانسان وضعت مثل هذا المال عن عنقك لاجل درهم واحد وأسفت أن تتركه فى مكانه فقبل الصياد الارض وقال أطال الله بقاء الملك انى لم أرفع ذلك الدرهم لخطره عندى وانما رفعته عن الارض لان على أحد وجهيه صورة الملك وعلى الوجه الآخر اسمه فخشيت أن يضع أحد قدمه بغير علم عليه فيكون ذلك استخفافا باسم الملك وصورته فأكون أنا المأخوذ بهذا الذنب فعجب خسرو من كلامه واستحسن ماذكره فأمر له باربعة آلاف أخرى فعاد الصياد من عند الخازن باثنى عشر ألف درهم فأمر خسرو مناديا ينادى لا يتدبرن أحد برأى النساء فانه من يتدبر برأيهن ويأتمر بأمرهن خسر درهمه درهمين

(فصل فى ذكر النساء وعاداتهن) من كتاب نصيحة الملوك للامام الغزالى رحمه الله تعالى قال اعلم أن جملة النساء على عشرة أصناف وصفة كل واحدة منهن تشبه صفة بعض الحيوانات (الاولى) عادتها كعادة الخنزير وهى التى لا تحسن غير الاكل وحشو البطن وكسر الآنية ولا تبالى أين مضت ولا تهتم بالدين والصلاة والصوم ولا تفكر فى الممات والوعد والوعيد والثواب والعقاب والامر والنهى بل تكون غافلة عن رضا الله وسخطه ولا تشتغل بحفظ الاولاد وتربيتهم وتعليمهم القرآن والعلم وتلبس الثياب القذرة وتظهر الرائحة الكريهة (الثانية) عادتها كعادة القرد وهى التى همتها لبس الثياب الملونة واللؤلؤ والجواهر والتحلى بالذهب والفضة وتفتخر على أترابها وتعظم منزلتها عند زوجها وربما كانت حالتها تنافى ذلك (الثالثة) عادتها كالكلب وهى التى اذا كلمها زوجها وثبت على وجهه وهرت عليه كالكلب ومتى أبصرت كيس زوجها ملآنا من الذهب والفضة وبيته مشحونا بالخبز والنعمة والحنطة والفاكهة أكرمته وقالت زوجى لك الفداء ولا أقالك الله مكروها ومتى كانت حاله بخلاف ذلك وثبت كالكلب فى وجهه وشتمته وتنقصت بحسبه ونسبه وأخرجته من بيته وعيرته بالفقر (الرابعة) عادتها كالحية وهى التى تلين كلامها لزوجها وتضمر له شرا ولا ترى له خيرا فهى

على القلب ولم يكن للقلب نصرة على هزم هذا الجند وصار القلب مقهورا وامدة صار ذلك سببا فى ابطال خاصية تلك اللطيفة وهو المراد بسواد القلب فى الاخبار وهو المراد بالطبع والرين فى قوله تعالى أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وفى قوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ومثال القلب المرآة فانها مادامت صافية من الصدأ والخبث يشاهد فيها الاشياء واذا غلب عليها الصدأ ولم يكن لها ما يصقلها ويدفع الصدأ عنها ويجلوها تمكن منها وغاص فى جرمها وهلكت وصارت بحيث لا يقدر المصقل على صقلها وجلائها وهو المراد بالطبع والرين واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم ان القلب ليصدأ كما يصدأ الحديد قيل وما جلاؤه قال ذكر الموت وتلاوة القرآن فاذا بطلت ولاية القلب بالكلية استولى الشيطان فتقلب الصفات المحمودة مذمومة وقد قال صلى الله عليه وسلم القلوب أربعة قلب أجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب أسود منكوس فذلك قلب الكافر وقلب أغلف مربوط على غلافه فذلك قلب المنافق وقلب مصفح فيه ايمان ونفاق فمثل الايمان فيه مثل البقلة يمدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد فأى المادتين غلبت عليه حكم له بها وفى رواية ذهبت به وقد قال تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون أخبر أن ابصار القلب وجلاؤه

كالحية

كالحية أين لمسها قاتل سمها (الخامسة) عادتها كالبغلة اذا وقفت على الجسر كلما ضربت لا تبرح وتكون لجوجة منفردة برأيها معجبة بنفسها (السادسة) عادتها كالعقرب وهى التى تدور فى بيوت الجيران بالنميمة والغمز والتسمع لاحاديثهم لتنم بها وتوقع بينهم العداوة والخصومة مثل العقرب أين وصلت ضربت بحمتها ولا تخاف أن تكون من الذين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم القتات لا يدخل الجنة (السابعة) عادتها كالفأرة وهى المرأة السارقة التى تحل كيس زوجها وتسرق منه وتخبأ فى بيوت الجيران وتسرق من حنطته وتعطيه القرابات (الثامنة) عادتها كالطير وهى التى تدور طول نهارها ولا تستريح من دورانها وتقول لزوجها أين تمضى ولاشك أنك ما تريدنى وأنك تحب غيرى ولست معى مستقيما ولا على مشفقا (التاسعة) عادتها كالثعلب وهى اذا خرج زوجها من البيت فتحت عليه باب الاكل ونامت وتعللت واذا دخل زوجها البيت فتحت عليه باب الخصومة ونافرته وتقول تركتنى بالبيت وحيدة مريضة (العاشرة) عادتها كالغنمة وهى المباركة الرحيمة كالغنمة كل شئ منها منفعة وكذلك المرأة الصالحة الكثيرة النفع المشفقة على زوجها وقرابتها وجيرانها وأهل بيتها وأولادها المطيعة لربها تعالى

(كتاب آداب الكسب والمعاش وفضله وما يتعلق بذلك وفيه أربعة أبواب)

(الباب الاول فى فضل الكسب)

قال الله تعالى وجعلنا النهار معاشا فذكره فى معرض الامتنان وقال تعالى وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون فجعلها نعمة وطلب الشكر عليها وقال تعالى فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير له من أن يسأل أحدا فيعطيه أو يمنعه رواه البخارى ومسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده وان نبى الله داود كان يأكل من عمل يده رواه البخارى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أطيب ما أكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم التاجر الصدوق مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من طلب الدنيا حلالا تعففا عن المسئلة وسعيا على عياله وتعطفا على جاره لقى الله ووجهه كالقمر ليلة البدر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم العبادة عشرة أجزاء فتسعة منها فى طلب الحلال روى هذا مرفوعا وموقوفا على الصحابة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب الحلال جهاد وان الله يحب العبد المحترف وعن أنس رضى الله عنه أن رجلا من الانصار أتى النبى صلى الله عليه وسلم فسأله فقال ما فى بيتك شئ قال بلى حلس نلبس بعضه ونبسط بعضه وقعب نشرب فيه من الماء قال ائتنى بهما فأخذهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وقال من يشترى هذين قال رجل أنا آخذهما بدرهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يزيد على درهم مرتين أو ثلاثا قال رجل أنا آخذهما بدرهمين فأعطاهما اياه وأخذ درهمين فاعطاهما الانصارى وقال اشتر بأحدهما طعاما فانبذه الى أهلك واشتر بالآخر قدوما فائتنى به فأتاه به فشد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عودا بيده ثم قال اذهب فاحتطب وكل ولا أرينك خمسة عشر يوما ففعل فجاء وقد أصاب عشرة دراهم فاشترى ببعضها ثوبا وببعضها طعاما فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا خير لك من أن تجئ المسئلة نكتة فى وجهك يوم القيامة رواه أبو داود وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمسى كالا من عمل يده أمسى مغفورا له رواه الطبرانى وقال ابن عباس رضى الله عنهما كان آدم عليه السلام حراثا ونوح نجارا وادريس خياطا وابراهيم ولوط زراعين وصالح تاجرا وداود زرادا وموسى وشعيب ومحمد عليهم الصلاة والسلام رعاة وروى أن لقمان قال لابنه يابنى استعن بالكسب الحلال فانه ما افتقر أحد قط الا أصابه ثلاث خصال رقة فى دينه وضعف فى عقله وذهاب مروءته وأعظم من هذه الثلاث استخفاف الناس به وقيل لاحمد بن حنبل رحمه الله تعالى ما تقول فى رجل جلس فى بيته أو مسجده وقال لا أعمل شيأ حتى يأتينى رزقى فقال أحمد هذا رجل جهل العلم أما سمع قول النبى صلى الله عليه وسلم ان الله جعل رزقى تحت ظل رمحى وقال عليه الصلاة والسلام

يحصل بالذكر وأنه يتمكن من الذكر بالتقوى فالتقوى باب الذكر والذكر باب الكشف والكشف مفتاح الفوز الاكبر *(فصل)* اعلم أن القلب مثاله مثال المرآة وعلوم الحقائق مثالها مثال الصور التى ترى فى المرآة وحصول الصورة شئ ثالث فاذا عرفت هذا فاعلم أن امتناع انكشاف الصور فى المرآة له خمسة أسباب أحدها فساد صورتها أعنى المرآة وهو أن تدور وتتشكل وتصقل والثانى خبثه وصدؤه والثالث كونه معدولا به عن جهة الصورة بان تكون الصورة وراء المرآة والرابع الحجاب المرسل بين المرآة والصورة والخامس الجهل بالجهة التى فيها الصورة فكذلك القلب هو مستعد لان يتجلى بحلية الحق فى الامور كلها وانما خلا بهذه الاسباب الخمسة التى أولها النقصان فى ذات القلب كالصبى والمجنون الثانى الكدورة المعاصى والخبث التى تراكم على القلب بسببها من كثرة الشهوات واليه الاشارة بقوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم وقوله صلى الله عليه وسلم من قارف ذنبا فارقه عقل لم يعد اليه أبدا اذ غايته أن يصقل القلب بحسنة يتبعها ولو كانت دون الذنب لزاد اشراق القلب الثالثة أن يكون معدولا به عن جهة الحقيقة المطلوبة فيكون وجهه الى ترتيب الطاعات وينبغى أن يكون كما قال الخليل عليه السلام انى وجهت الرابع الحجاب وذلك أن يكون

حين ذكر الطير تغدو خماصا وتروح بطانا وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجرون فى البر والبحر ويعملون فى نخلهم والقدوة بهم وروى الترمذى عن عمر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا معناه تذهب أول النهار خماصا أى ضامرة البطون من الجوع وترجع آخره ممتلئة البطون قال الامام أحمد ليس فى هذا الحديث دلالة على القعود عن الكسب بل فيه ما يدل على طلب الرزق وانما أراد والله أعلم لو توكلوا على الله فى ذهابهم ومجيئهم وتصرفهم وعلموا أن الخير بيده ومن عنده لم ينصرفوا الا سالمين غانمين كالطير تغدو خماصا وتروح بطانا لكنهم يعتمدون على قوتهم وكسبهم وهذا خلاف التوكل وفى الشعب للبيهقى أن عمر رضى الله عنه لقى ناسا من أهل اليمن فقال ما أنتم قالوا متوكلون فقال كذبتم أنتم متأكلون انما المتوكل رجل ألقى حبه فى التراب وتوكل على رب الارباب وقيل انه اذا أوصى للمتوكلين أنه يكون للزراع وقال أبو سليمان الدارانى ليس العبادة عندنا أن تصف قدميك وغيرك يتعب لك ولكن ابدأ برغيفيك فاحرزهما ثم تعبد وروى أن الاوزاعى لقى ابراهيم بن أدهم وعلى عنقه حزمة حطب فقال له الى متى هذا يا أبا اسحق اخوانك يكفونك فقال دعنى عن هذا يا أبا عمر وفانه بلغنى انه من وقف موقف مذلة فى طلب الحلال وجبت له الجنة وقال شقيق بن ابراهيم فى قوله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض لو أن الله تعالى رزق العباد من غير كسب لتفرغوا فتفاسدوا ولكن شغلهم بالكسب حتى لا يتفرغوا للفساد وروى أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن الله عز وجل انه قال ان من عبادى المؤمنين لمن يسألنى الباب من العبادة فاكفه عنه لا يدخله عجب فيفسده ذلك وان من عبادى المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا الغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك وان من عبادى المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا الفقر ولو أغنيته لأفسده ذلك وان من عبادى المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا الصحة ولو أسقمته لأفسده ذلك وان من عبادى المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا السقم ولو أصححته لأفسده ذلك انى دبر أمر عبادى لعلمى بقلوبهم انى عليم خبير

(الباب الثانى فى أنواع المكاسب وبيان الطيب والخبيث منها)

روى البخارى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده وان نبى الله داود كان يأكل من عمل يده وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه انسان أو طير أو بهيمة الا كانت له صدقة ويروى وما سرق منه فهو له صدقة ويروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال خير تجارتكم البز وخير صناعتكم الخرز وقال لو اتجر أهل الجنة لاتجروا فى البز ولو اتجر أهل النار لاتجروا فى الصرف وقال ابن مسعود رضى الله عنه أيما رجل جلب شيأ الى مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان عند الله بمنزلة الشهداء ثم قرأ عبد الله وآخرون يضربون فى الارض يبتغون من فضل الله يعنى المسافرين للتجارة يطلبون من رزق الله وقال الغزالى رحمه الله أوصى بعض التابعين رجلا وقال لا تسلم ولدك فى بيعتين ولا فى صنعتين بيع الطعام وبيع الاكفان فانه يتمنى الغلاء وموت الناس والصنعتان أن يكون جزارا فانها صنعة تقسى القلب وصواغا فانها تزخرف الدنيا بالذهب والفضة قال الغزالى رحمه الله وكره ابن سيرين الدلالة وكره قتادة أجرة الدلال قال السبب فيه قلة استغناء الدلال عن الكذب والافراط فى الثناء على السلعة لترويجها ولان العمل فيه لا يتقدر فقد يقل وقد يكثر ولا ينظر فى مقدار الاجرة الى عمله بل الى قدر قيمة الثوب هذا هو العادة وهو ظلم بل ينبغى أن ينظر الى قدر التعب قال عبد الوهاب الوراق قال لى أحمد بن حنبل رحمه الله ما صنعتك قلت الوراقة قال كسب طيب ولو كنت صانعا بيدى لصنعت صنعتك ثم قال لى لا تكتب الا مواصفة واستبق الحواشى وظهور الاجزاء

(فصل فى الاحتكار) وهو حرام فى الاقوات وقيل يكره وهو أن يشترى الطعام فى الغلاء ويحبسه ليبيعه بأكثر ولا بأس بالشراء فى الرخص ليبيعه فى الغلاء ولا بأس بالشراء فى الغلاء لنفقة نفسه وعياله ثم يبيع الفاضل فى الغلاء وكذا امساك غلة ضيعته فى الرخص ليبيع فى الغلاء والاولى بيع ما فضل عن كفايته وفى

فى سر القلب بقية شهوة أوفساد عقيدة سبقت فى الصبا وبقى أثرها الخامسة الجهل بالجهة التى منها يطلب فانه ينبغى أن يكون له ايمان كلى بما لا يحصل له وهو الايمان بالغيب وما لم يكن له هذا الايمان كيف يمكنه أن يطلب ما لا يعلم وجوده فالغفلة مانعة وقد قال صلى الله عليه وسلم لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا الى ملكوت السماء وقال صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه وقد روى عن ابن عمر قال يا رسول الله اين الله قيل فى الارض اوفى السماء قال صلى الله عليه وسلم فى قلوب عباده المؤمنين وفى الخبر قال الله تعالى لم يسعنى ارضى وسمائى ووسعنى قلب عبدى المؤمن وبذلك قال عمر رأى قلبى ربى فانه كان زكى قلبه وقد قال الله تعالى قد افلح من زكاها واعلم ان قبول الحق له ثلاث درجات اولها القبول بالسماع فى اول الفطرة وهو يمكن فيه الخطأ وهو تقليد العوام الثانى ان يسمع كلام من يطلبه مثلا من داخل البيت فيستدل به على ان ذلك الرجل المطلوب الثالث ان تدخل البيت فتشاهده وتعاينه وهو المراد بقول على رضى الله عنه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا وهو ايمان الانبياء والصديقين والاولياء فهذا الذى لا يدرر السهو والغفلة حوالبه وأما مثال امتناع الكافر والصبى والمجنون عن استطلاع الحقائق مثال رجل بصير

كراهة

كراهة امساكه وجهان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بئس العبد المحتكر ان أرخص الله الاسعار حزن وان أغلاها فرح وفى رواية ان سمع برخص ساءه وان سمع بغلاء فرح وروى أبو الليث السمرقندى رحمه الله عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال الجالب مرزوق والمحتكر ملعون وروى أبو الليث أيضا عنه عليه الصلاة والسلام انه قال الغلاء والرخص جندان من جنود الله تعالى اسم أحدهما الرغبة واسم الآخر الرهبة فاذا أراد الله تعالى أن يرخصه قذف الرهبة فى قلوب الرجال فأخرجوه من أيديهم فرخص واذا أراد أن يغليه قذف الرغبة فى قلوب الرجال فيحبسونه فى أيديهم وقال على رضى الله عنه من احتكر الطعام أربعين يوما قسا قلبه ومنه أنه أحرق طعام محتكر بالنار كذا نقله الغزالى عنه فى الاحياء وحكى الغزالى رحمه الله عن بعض السلف انه كان بواسط فجهز سفينة حنطة الى البصرة وكتب الى وكيله بع هذا الطعام يوم يدخل البصرة ولا تؤخره الى غد فوافق بيعه فى السعر فقال له التجار ان أخرته جمعة ربحت أضعافه فأخره جمعة وربح فيه أمثاله وكتب الى صاحبه بذلك فكتب اليه صاحب الطعام يا هذا انا كنا قنعنا بربح يسير مع سلامة ديننا وانك قد خالفت وما نحب أن نربح أضعافه بفساد شئ من الدين وقد جنيت علينا جناية فاذا أتاك كتابى هذا فخذ المال كله وتصدق به على فقراء البصرة وليتنى أنجو من الاحتكار كفافا لا على ولا لى

(الباب الثالث فى آداب التاجر)

روى الترمذى عن عمر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من دخل السوق فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لا يموت بيده الخير وهو على كل شئ قدير كتب له ألف ألف حسنة ومحى عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة وعن بريدة رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل السوق قال باسم الله اللهم انى أسألك خير هذه السوق وخير ما فيها وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها اللهم انى أعوذ بك أن أصيب فيها يمينا فاجرة أو صفقة خاسرة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكن أول من يدخل السوق وآخر من يخرج منها فيها باض الشيطان وفرخ وكان عمر رضى الله عنه يقول للتجار اجعلوا أول نهاركم لآخرتكم وما بعده لدنياكم وقال الغزالى رحمه الله تعالى وكان صالحو السلف يجعلون أول النهار وآخره للآخرة ووسطه للتجارة فلم تكن تباع الهريسة والرؤس بكرة الا للصبيان وأهل الذمة كانهم كانوا فى المساجد بعد وفى الخبر أن الملائكة اذا صعدت بصحيفة العبد فى أول النهار وفى آخره وفيها ذكر وخير كفر الله عنه ما بينهما من سيئ الاعمال وروى عن معاذ بن جبل وعبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن ابليس يقول لولده زلنبور سر بكتائبك فأنت صاحب الاسواق زين الكذب والحلف والخديعة والمكر والخيانة وكن مع أول داخل وآخر خارج منها وفى الخبر شر البقاع الاسواق وشر أهلها أولهم دخولا وآخرهم خروجا ومن آدابه أن يتعلم أحكام البيع والشراء وقد ذكر الغزالى عن عمر رضى الله عنه أنه كان يطوف فى السوق ويضرب التجار بالدرة ويقول لا يبع فى سوقنا الا من تفقه والا أكل الربا شاء أو أبى قال عطاء فى قوله عليه الصلاة والسلام اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا يا رسول الله وما رياض الجنة قال حلق الذكر قال الذكر هو مجالس الحلال والحرام كيف تشترى كيف تبيع وتصلى وتصوم وتحج وتطلق وأشباه ذلك ومنها أن يكون سمحا فى الاخذ والعطاء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب سمح البيع سمح الشراء سمح القضاء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أطيب الكسب كسب التجار الذين اذا حدثوا لم يكذبوا واذا ائتمنوا لم يخونوا واذا وعدوا لم يخلفوا واذا اشتروا لم يذموا واذا باعوا لم يمدحوا واذا كان عليهم لم يمطلوا واذا كان لهم لم يعسروا وكان على رضى الله عنه يدور فى سوق الكوفة بالدرة ويقول معاشر التجار خذوا الحق واعطوا الحق تسلموا لا تردوا قليل الربح فتحرموا كثيره وقيل لعبد الرحمن بن عوف ما سبب يسارك قال ثلاث ما رددت ربحا قط ولا طلب منى حيوان فأخرت بيعه ولا بعت بنسيئة ومما يتأكد وجوبه عليه محافظة الصلاة فى وقتها قال ابن مسعود وابراهيم فى قوله تعالى فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة أخروها عن وقتها قال سعيد بن المسيب هو أن لا يصلى الظهر حتى تأتى العصر ولا العصر حتى تغرب الشمس

فان البصر ربما يكون كاملا ولكن يمتنع الابصار حتى يشرق نور الشمس فيضر ببصيرة سابقة عند طلوع الشمس فكذا العلم لم ينكشف فى قلب الصبى والمجنون وهو قبل التمييز والعقل لان لوح قلبه لم يتهيأ بعد لقبول نقش القلم والقلم عبارة عن خلق من خلائق الله تعالى جعل سببا لحصول نقش العلوم فى قلوب العباد قال الله تعالى الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم وقلم الله تعالى لا يشبه قلم خلقه كما أن وصفه لا يشبه وصف خلقه فليس قلمه من قصب ولا خشب كما أن ذاته ليست من جوهر ولا عرض

(فصل) قد تبين لك ان مثال القلب أعنى اللطيفة الربانية كالملك والبدن كالولاية له والقوة العقلية المفكرة كالوزير له والصفات المذمومة هى كالشرط فالقلب مادام متمكنا من استعمال اشارة بحسب التصرف فى المملكة الوزير واشارة العقل فهو مستقيم فى ولايته وان تسلطت الشهوات والصفات المذمومة على نقض اشارة العقل فذلك على خلاف العدل ونحن نضرب له مثالا آخر فنقول اللطيفة الربانية مثالها مثال الفارس الصياد والبدن مركبه والغضب والشهوة كلابه فان أذعنت له فرسه وانقاد له سباعه وكلابه تحصل على غرضه من الصيد وهو اقتناص العلوم واقتناء سعادة الابد وان كان الفرس جموحا لم نطعه أو

وقيل للحسن البصري رحمه الله أصليت قال لا قيل ان أهل السوق قد صلوا قال ومن يأخذ دينه من أهل السوق ان نفقت أسواقهم أخروا الصلاة وان كسدت عجلوا بها قال الغزالي رحمه الله جاء في تفسير قوله تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله انهم كانوا حدادين وخرازين وكان أحدهم اذا رفع المطرقة أو غرز الاشفاء فسمع الاذان لم يخرج الاشفاء من المغرز ولم يرفع المطرقة ورمى بها وقام الى الصلاة وحكى أبو الليث رحمه الله عن بعض الحكماء انه قال اذا لم يكن في التاجر ثلاث خصال افتقر في الدارين جميعا أولها لسان نقي من ثلاثة من الكذب واللغو والحلف والثاني قلب صاف من ثلاثة الغش والخيانة والحسد والثالث نفس محافظة على ثلاثة الجمعة والجماعات وطلب العلم في بعض الساعات وايثار مرضات الله تعالى على غيره

(الباب الرابع في بيان الامور التي ينبغي للتاجر أن يحترز عنها وفيه فصول)

(الفصل الاول في الحث على حفظ الامانة وتجنب الخيانة)

قال الله تعالى ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها وقال تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا قال ابن مسعود رضي الله عنه الامانة أداء الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت وصدق الحديث وقضاء الدين والعدل في المكيال والميزان وأشد من هذا كله الودائع وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان رواه البخاري ومسلم وعنه أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على صبرة طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللا فقال ما هذا يا صاحب الطعام قال أصابته السماء يا رسول الله قال أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس من غشنا فليس منا وروى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بطعام وقد حسنه صاحبه فأدخل يده فيه فاذا طعام رديء فقال بع هذا على حدة وهذا على حدة فمن غشنا فليس منا رواه أحمد ويروى أن أبا هريرة رضي الله عنه رأى انسانا يبيع لبنا فنظر اليه فاذا هو قد خلطه بالماء فقال كيف بك اذا قيل لك يوم القيامة خلص الماء من اللبن رواه البيهقي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ايمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يقول أنا ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه فاذا خانه خرجت من بينهما وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم البيعان بالخيار ما لم يتفرقا أو يختارا فان صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما وان كتما وكذبا محقت بركة بيعهما وحكى ابن الجوزي أن لبانا كان يخلط اللبن بالماء ويبيعه فجاء السيل فأغرق غنمه فجعل يبكي ويقول اجتمعت تلك القطرات فصارت سيلا وحكى أبو الليث أن رجلا مات فحفروا له قبرا فاذا فيه حية قد ملأت اللحد فحفروا ثانيا وثالثا فاذا هو كذلك فسألوا ابن عباس عنه فقال ذلك الخيانة والغل انطلقوا فادفنوه في بعضها فوالله لو حفرتم له الارض كلها لوجدتموها فيه فسئلت امرأته عن عمله قالت كان يبيع الحنطة ويخلطها بغيرها وقال بعضهم أتى على الناس زمان كان الرجل يدخل السوق ويقول من ترون لي أن أعامل من الناس فيقال عامل من شئت ثم أتى على الناس زمان آخر كان يقال عامل من شئت الا فلانا وفلانا ثم أتى وقت آخر فكان يقال لا تعامل أحدا الا فلانا وفلانا وأخشى أن يأتي زمان يذهب هذا أيضا قال الغزالي رحمه الله فكأنه قد كان الذي خاف أن يكون انا لله وانا اليه راجعون وقال الغزالي أيضا يقال انه يوقف التاجر يوم القيامة مع كل رجل باعه شيأ وقفة ويحاسب على كل واحد محاسبة على عدد من عامله وقال بعضهم رأيت بعض التجار في النوم فقلت ما فعل الله بك فقال نشر على خمسون ألف صحيفة فقلت أهذه كلها ذنوب فقال هذه معاملات الناس عدد من عاملته في الدنيا لكل انسان صحيفة مفردة فيما بيني وبينه من أول المعاملات الى آخرها قال الغزالي رحمه الله قيل انه اذا أثنى على الرجل جيرانه في الحضر وأصحابه في السفر ومعاملوه في الاسواق فلا تشكوا في صلاحه وقال الغزالي أيضا وشهد عند عمر رضي الله عنه شاهد فقال ائتني بمن يعرفك فأتاه برجل فأثنى عليه خيرا فقال له عمر أنت جاره الادنى الذي يعرف مدخله ومخرجه فقال لا فقال كنت رفيقه في السفر الذي يستدل به على مكارم

الكلب غير معلم لم يسترسل بارساله ولم يمسك باشارته فسد الامر وامتنع المقصود ويخاف أن يستولى عليه كلبه فيأكله فضلا عن أن يمتنع عليه الصيد

(فصل) اعلم أن اقتناص العلوم للقلب على مراتب منها ما يكون للعلماء فيتوسلون بالمقدمات الى النتائج وبالادلة الى المدلولات *ومنها ما يكون على سبيل الكشف والارادة من الله تعالى كما يكون للانبياء قال تعالى لابراهيم الخليل عليه السلام وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وقال نبينا صلى الله عليه وسلم اللهم أرنا الاشياء كما هي فتنكشف لهم الحقائق كفاحا من غير توسط دليل أو برهان أو مقدمات وهو المراد بقوله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وهذه الرحمة مبذولة في الجود الالهي والكرم الابدي في القلوب المتعرضة لها واليه الاشارة بقوله عليه السلام ان لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها فالتعرض هو الفلاح والسعادة بالتزكية قال تعالى قد أفلح من زكاها والاعراض هو الادبار والشقاء بضده وقد قال تعالى وقد خاب من دساها واذا كان القصد الاستكشاف من جهة العبد كان مثاله الدعاء واستنزال الهدى وان كان من جهة الله تعالى من غير استنزال وسبب من جهة العبد كان مثاله النزول واليه الاشارة بقوله عليه الصلاة والسلام ينزل الله تعالى كل

الاخلاق

الاخلاق فقال لا فقال عاملته بالدينار والدرهم الذي يستبين به ورع الرجل فقال لا قال أظنك رأيته في المسجد يهمهم بالقرآن يخفض رأسه طورا ويرفعه قال نعم قال اذهب فلست تعرفه فقال للرجل اذهب وائتني بمن يعرفك

(الفصل الثاني في النهي عن الحلف في البيع) روى مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اياكم وكثرة الحلف في البيع فانه ينفق ثم يمحق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولهم عذاب أليم المسبل ازاره والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذبة وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم رجل على فضل ماء بفلاة يمنعه ابن السبيل ورجل بايع رجلا بسلعة بعد العصر فحلف بالله لاخذها بكذا وكذا فصدقه فأخذها وهو على غير ذلك ورجل بايع اماما لا يبايعه الا للدنيا فان أعطاه منها ما يريد وفى له وان لم يعطه لم يف له وفي رواية نحوه وقال ورجل حلف على سلعة لقد أعطى بها أكثر مما أعطى وهو كاذب ورجل حلف على يمين كاذبة بعد العصر ليقتطع بها مال امرئ مسلم ورجل منع فضل ماء فيقول الله عز وجل له اليوم أمنعك فضلي كما منعت فضل ما لم تعمل يداك وفي الخبر ويل للتاجر من بلى والله ولا والله وويل للصانع من غد وبعد غد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان التجار يحشرون يوم القيامة فجارا الا من اتقى وبر وصدق

(الفصل الثالث في النهي عن اخفاء عيب المبيع) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بايع جريرا على الاسلام ذهب لينصرف فجذب ثوبه واشترط عليه النصح لكل مسلم وكان جرير اذا قام الى السلعة يبيعها أظهر عيبها ثم خير وقال ان شئت فخذ وان شئت فاترك فقيل له انك اذا فعلت هذا لم ينفذ لك بيع قال انا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم وكان واثلة بن الاسقع واقفا فباع رجل ناقة له بثلثمائة درهم وغفل واثلة وقد ذهب الرجل بالناقة فسعى وراءه وجعل يصيح به وقال يا هذا اشتريتها للحم أو للظهر فقال بل للظهر فقال ان بخفها نقبا قد رأيته وانها لا تبالغ السير فعاد فردها فنقصها البائع مائة درهم وقال لواثلة رحمك الله أفسدت علي بيعي قال انا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل لاحد يبيع بيعا الا بين ما فيه ولا يحل لمن يعلم ذلك الا بينه وحكى الغزالي رحمه الله عن ابن سيرين انه باع شاة فقال للمشتري أبرأ اليك من عيب فيها انها تقلب العلف برجلها

(الفصل الرابع في النهي عن دفع الدراهم والدنانير الزيوف) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدين النصيحة قال الغزالي رحمه الله عن بعض الغزاة في سبيل الله تعالى انه قال حملت على فرسي لأقتل علجا فقصر فرسي فرجعت ثم دنا مني العلج فحملت ثانية فقصر فرسي ثم حملت الثالثة فنفر مني فرسي وكنت لا أعتاد ذلك منه فرجعت حزينا وجلست منكس الرأس منكسر القلب لما فاتني من العلج وما ظهر لي من خلق الفرس فوضعت رأسي على عمود الفسطاط وفرسي قائم فرأيت في النوم كان الفرس يخاطبني ويقول بالله أردت أن تأخذ على العلج ثلاث مرات وأنت بالامس اشتريت لي علفا ودفعت في ثمنه درهما زيفا فلا يكون هذا أبدا قال فانتبهت فزعا فذهبت الى العلاف وأبدلت ذلك الدرهم وقال بعضهم انفاق درهم زيف أشد من سرقة مائة درهم لان السرقة معصية واحدة وقد تمت وانقطعت وانفاق الزيف بدعة أظهرها في الدين وسنة أظهرها يعمل عليها من بعده فيكون عليه وزره بعد موته الى أن يفنى ذلك الدرهم

(الفصل الخامس في النهي عن التطفيف) قال الله تعالى ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين وقال تعالى والسماء رفعها ووضع الميزان قال الحسن وقتادة والضحاك أراد به الذي يوزن به ليتوصل به الى الانصاف والانتصاف وقوله تعالى ألا تطغوا يعني لئلا تميلوا وتظلموا وتجاوزوا الحق في الميزان وأقيموا الوزن بالقسط بالعدل وقال أبو الدرداء وعطاء أراد أقيموا لسان الميزان بالعدل قال ابن عيينة الاقامة باليد

ليلة الى سماء الدنيا وبقوله عليه الصلاة والسلام حكاية عن ربه عز وجل لقد طال شوق الابرار الى لقائي واني الى لقائهم لأشد شوقا والى طرفي الاستكشاف والتكشف الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم حكاية عن ربه سبحانه وتعالى من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا وعلى الجملة فاعلم ان الجود الالهي اقتضى أن تكون السعادة مبذولة من غير بخل والكرم السرمدي اقتضى أن يكون القلب في أصل الفطرة مستعد القبول هذه السعادة واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة وقوله تعالى فطرة الله الآية وقوله تعالى لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ثم بعد ذلك يعترض في وسط الامرين أمور مانعة شاغلة وهي الشهوات والخبائث والشواغل فاذا رفعت الموانع رجعت الامور الى أصل مقتضاها وانكشف للقلب جلال الله وعظمته ووصل الى سعادة الابد فبقدر ما تفرغ الاناء من شيء يتسع لغيره قال الله تعالى الربانيون والاحبار فمن حصلت له هذه السعادة صار ملكا كريما وصار ربانيا واليه الاشارة بقول علي رضي الله عنه ان لله تعالى في أرضه آنية وهي القلوب فأحبها الى الله أرقها وأصفاها وأصلبها ثم فسرها فقال أصلبها في الدين وأصفاها في اليقين وأرقها على الاخوان واليه الاشارة بقوله تعالى مثل نوره كمشكاة فيها مصباح قال أبي بن كعب هذا مثل

والقسط بالقلب قوله تعالى ولا تخسروا معناه ولا تنقصوا الميزان ولا تطففوا في الكيل والوزن قال نافع رحمه الله كان ابن عمر رضي الله عنهما يمر بالبائع فيقول اتق الله تعالى أوف الكيل والوزن فان المطففين يقفون يوم القيامة حتى ان العرق ليلجمهم الى أنصاف آذانهم وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم في رشحه الى أنصاف أذنيه وقال يونس بن عبيد حضرت رجلا احتضر فقلت له قل لا اله الا الله فامتنع فألححت عليه فقال ادع الله لي فهذا لسان الميزان على لساني يمنعني من قولها قلت أفما يمنعك الا من قولها فقال نعم قلت وما كان عملك به قال ما أخذت ولا أعطيت به الا حقا في علمي غير أني كنت أقيم المدة لا أفتقده ولا أختبره وكان بعضهم اذا أخذ نقص نصف حبة واذا أعطى زاد نصف حبة فكان يقول ويل لمن يبيع بحبة جنة عرضها السموات والارض وما أخسر من باع طوبى بويل ونظر فضيل الى ابنه وهو يغسل دينارا يريد أن يصرفه ويزيل تكحيله وينقيه حتى لا يزيد وزنه بسببه فقال يا بني فعلك هذا أفضل من حجتين أو عشرين عمرة ولما نقص قوم شعيب الكيل والميزان أخذتهم الرجفة قال الكلبي الزلزلة وقال ابن عباس وغيره فتح الله عليهم بابا من جهنم فأرسل عليهم حرا شديدا فأخذ بأنفاسهم ولم ينفعهم ظل ولا ماء فكانوا يدخلون الاسراب ليتبردوا فيها فاذا دخلوها وجدوها أشد حرا من الظاهر فخرجوا هاربا الى البرية فبعث الله سحابة فيها ريح طيبة فأظلتهم وهي الظلة فوجدوا لها بردا ونسيما فنادى بعضهم بعضا حتى اجتمعوا تحت السحابة رجالهم ونساؤهم وصبيانهم فألهبها الله عليهم نارا ورجفت بهم الارض فاحترقوا كما يحترق الجراد المقلى وصاروا رمادا وروى أن الله تعالى حبس عنهم الريح سبعة أيام ثم سلط عليهم الحر ثم رفع لهم جبل من بعيد فأتاه رجل فاذا تحته أنهار وعيون فاجتمعوا تحته كلهم فوقع ذلك الجبل عليهم فذلك عذاب يوم الظلة قال قتادة بعث الله شعيبا الى أصحاب الايكة وأهل مدين فأما أصحاب الايكة فأهلكوا بالظلة وأما أهل مدين فأخذتهم الصيحة صاح بهم جبريل عليه السلام صيحة فأهلكوا جميعا

(حكايات) ذكرها الامام أبو حامد الغزالي رحمه الله في الاحياء (الاولى) روى عن يونس بن عبيد وكان خزازا فطلب منه خز للشراء فأخرج غلامه سفط الخز ونشره ونظر اليه وقال اللهم ارزقنا الجنة فقال لغلامه رده الى موضعه ولم يبعه وخاف أن يكون ذلك تعريضا للثناء على السلعة (الثانية) حكى عن بعض التابعين أنه كان بالبصرة وله غلام بالسوس يجهز اليه السكر وكتب اليه غلامه ان قصب السكر قد أصابته آفة في هذه السنة فاشتر السكر فاشتراه كثيرا فلما جاء وقته ربح فيه ثلاثين ألفا فانصرف الى منزله فافتكر ليلته فقال ربحت ثلاثين ألفا وخسرت نصح رجل من المسلمين فلما أصبح غدا الى بائع السكر فدفع اليه ثلاثين ألفا وقال بارك الله لك فيها فقال ومن أين صارت لي فقال اني قد كتمتك حقيقة الحال وكان السكر قد غلا في ذلك الوقت فقال رحمك الله قد أعلمتني الآن وقد طيبتها لك قال فرجع بها الى منزله وتفكر وبات ساهرا وقال ما نصحته فلعله استحيا مني فتركها لي فبكر اليه من الغد وقال عافاك الله خذ مالك اليك فهو أطيب لقلبي فأخذ منه ثلاثين ألفا (الثالثة) يروى انه كان عند يونس بن عبيد حلل مختلفة الاثمان ضرب قيمة كل حلة منها أربعمائة درهم وضرب منها ما ثمنه مائتا درهم فمر الى الصلاة وخلف ابن أخيه في الدكان فجاء أعرابي وطلب حلة بأربعمائة فعرض عليه حلة من حلل المائتين فاستحسنها ورضيها فاشتراها فمشى بها وهي على يديه فاستقبله يونس فعرف حلته فقال بكم اشتريت فقال بأربعمائة قال لا تسوى أكثر من مائتين فارجع حتى تردها فقال هذه تسوى ببلدنا خمسمائة درهم وأنا ارتضيتها فقال له يونس انصرف فان النصح في الدين خير من الدنيا وما فيها ثم رده الى الدكان ورد عليه مائتي درهم وخاصم ابن أخيه وقاتله فقال أما استحييت أما اتقيت الله تربح مثل الثمن وتترك النصح للمسلمين فقال والله ما أخذها الا وهو راض بها قال فهلا رضيت له ما ترضاه لنفسك

(الفصل السادس في بياعات نهى عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يبيع حاضر لباد وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن تلقي الركبان وعنه أيضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسم المسلم على سوم المسلم وعن ابن

نور المؤمنين وقلوبهم وأما قوله تعالى أو كظلمات في بحر لجي مثل قلب المنافق وقال زيد بن أسلم قوله تعالى في لوح محفوظ هو قلب المؤمن *(فصل)* اعلم أن الانسان في أصل فطرته وتركيبه قد اجتمع فيه أربعة شوائب فيها الصفات السبعية والبهيمية والشيطانية والربانية فهو من حيث سلط عليه الغضب يتعاطى أفعال السباع ومن حيث سلط عليه الشهوات يتعاطى فعل البهائم ولتركب هاتين الصفتين فيه وتولد حب الشره والقهر والغلبة والمكر والخديعة غلبت عليه الشيطنة ومن حيث انه في نفسه أمر رباني كما قال تعالى قل الروح من أمر ربي فانه يدعي لنفسه الربوبية والاستعلاء وترك الانقياد ويفرح بما يناسب هذا الامر من المعرفة والوصف به ويحزن بما يناقضه من الجهل والوصف به فاذا عرفت هذا فاعلم أن الاشتغال بالعبادات والمواظبة عليها القصد منه تحصيل الغرض من قهر ما لا ينبغي وابقاء ما ينبغي وسيأتي في باب رياضة النفس ذلك ان شاء الله تعالى واعلم أن العلم الصالح الحاصل في القلب ان كان بطريق التعلم وتقديم المقدمات فهو طريق العلماء وما وراءه فهو طريق الصوفية وهو بكشف ومشاهدة وذلك قسمان أحدهما مثل وقوع الهام في النفس وهو النفث في الروع واليه الاشارة بقوله عليه

عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يبيع الرجل على بيع أخيه ولا يخطب على خطبة أخيه الا أن يأذن له روى هذه الاحاديث البخاري ومسلم وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال المؤمن أخو المؤمن فلا يحل للمؤمن أن يبتاع على بيع أخيه ولا يخطب على خطبة أخيه حتى يذر رواه مسلم وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه عليه الصلاة والسلام نهى عن النجش رواه البخاري ومسلم ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من حبس العنب زمن القطاف حتى يبيعه من يهودي أو نصراني أو ممن يعلم أنه يتخذه خمرا فقد تقدم على النار على بصيرة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة رواه الترمذي وقال حسن غريب وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع العربان رواه مالك وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والاصنام وفي الصحيحين أيضا عن أبي مسعود الانصاري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن ثمن الكلب ومهر البغي وحلوان الكاهن وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تشتروا السمك في الماء فانه غرر رواه أحمد

(الفصل السابع في الربا) قال الله تعالى الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس لا يقومون يعني يوم القيامة من قبورهم الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس أي يصرعه الشيطان من الجنون وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا السبع الموبقات قالوا يا رسول الله وما هن قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله رواه مسلم زاد الترمذي وغيره وشاهديه وكاتبه وعن القاسم بن عبد الواحد الوراق قال رأيت عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه في السوق في الصيارفة فقال يا معشر الصيارفة أبشروا قالوا بشرك الله بالجنة بم تبشرنا يا أبا محمد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبشروا بالنار رواه الطبراني باسناد لا بأس به وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع حق على الله أن لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها مدمن الخمر وآكل الربا وآكل مال اليتيم بغير حق والعاق لوالديه رواه الحاكم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الربا سبعون بابا أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه وان أربى الربا عرض الرجل المسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأتين على الناس زمان لا يبقى احد الا آكل الربا فان لم يأكله أصابه من بخاره ويروى من غباره وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليلة أسري بي سمعت في السماء السابعة فوق رأسي رعدا وصواعق ورأيت رجالا بطونهم بين أيديهم كالبيوت فيها حيات ترى من ظاهر بطونهم فقلت يا جبريل من هؤلاء فقال هؤلاء أكلة الربا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحد أكثر من الربا الا كان عاقبة أمره الى قلة رواه ابن ماجه والحاكم وقال صحيح الاسناد قيل ان الله عز وجل ما أحل الربا في شريعة قط قال الله تعالى وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وقال عطاء الخراساني رحمه الله اذا كان خمس كان خمس اذا أكل الربا كان الخسف والزلزلة واذا جار الحكام كان قحط المطر واذا ظهر الزنا كان الموت واذا منعت الزكاة هلكت الماشية واذا تعدى على أهل الذمة كانت الدولة

(الفصل الثامن في الحث على قضاء الدين) في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال مطل الغني ظلم وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا تقاضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأغلظ له فهم به أصحابه فقال دعوه فان لصاحب الحق مقالا واشتروا له بعيرا وأعطوه اياه قالوا لا نجد الا أفضل من سنه قال اشتروه فأعطوه اياه فان خيركم أحسنكم قضاء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه ومن أخذها يريد اتلافها أتلفه الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم القتل في سبيل الله يكفر كل شيء الا الدين وعن أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعا من تداين بدين وفي نفسه وفاؤه ثم مات تجاوز الله عنه وأرضى غريمه بما شاء ومن تداين بدين

السلام ان روح القدس نفث في روعي أحبب من شئت فانك مفارقه واعمل ما شئت فانك مجزي به وعش ما شئت فانك ميت وقسم آخر هو من جنس الالهام وذلك أن يكشف له حقائق الاشياء ويرى الملك الموكل بها الذي منه يستفيد واعلم أن القلب اذا كان كالمرآة الصقيلة المجلوة وقد علمت قبل ذلك أن حقائق الاشياء منقوشة في اللوح المحفوظ فمهما ارتفع الحجاب وكانت المرآة في محاذاة اللوح المحفوظ انكشف فيه حقائق العلوم وارتفاع الحجاب تارة يكون في النوم وتارة يكون في اليقظة وهو المعتاد للصوفية وتارة بهبوب رياح الالطاف من غير سبب من جهة العبد أو استعداد فيلمع في القلب من وراء ستر الغيب شيء من غرائب العلوم وتمام هذا الكشف بالموت فبه ارتفاع الحجاب بالكلية واليه الاشارة بقوله عليه السلام الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا ويقرب من الموت تصفية الصوفية فلذلك لا يشتغلون بدراسة العلم بل يشتغلون بتصفية القلب وقطع العلائق ليكون ذلك سببا في الاقبال على الله تعالى بالكلية ثم تفويض الامر اليه فهو أعلم بما يكشف لقلوبهم من الانوار والالطاف وهو طريق الانبياء والاولياء فانهم لم يحصلوا العلوم والحقائق بالمدارسة بل وجدوا الكنوز فاشتغلوا بها عن الاكتساب ومثال العلم الكسبي ومثال طريقتهم الكنز والكيمياء واياك ان تترك الكسب مالم تعثر على

وليس فى نفسه وفاؤه ثم مات اقتص الله تعالى لغريمه يوم القيامة رواه الحاكم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يدعو صاحب الدين يوم القيامة فيقول يا ابن آدم فيم أضعت حقوق الناس فيم أذهبت أموالهم فيقول يارب لم أفسده ولكن أصبت اماغرقا واماحرقا فيقول الله عز وجل أنا أحق من قضى عنك اليوم فيرجح حسناته على سيئاته فيؤمر به الى الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الدين يقتص من صاحبه يوم القيامة اذا مات الامن تداين فى ثلاث خلال الرجل تضعف قوته فى سبيل الله فيستدين يتقوى به لعدو الله وعدوه ورجل يموت عنده رجل مسلم لايجد مايكفنه فيه ويواريه الابدين ورجل خاف على نفسه العزبة فينكح خشية على دينه فان الله يقضى عن هؤلاء يوم القيامة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ليكون للوالدين على ولدهما دين فاذا كان يوم القيامة يتعلقان به فيقول انى ولدكما فيودان أو يتمنيان لو كان أكثر من ذلك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مشى الى غريمه بحقه صلت عليه دواب الارض ونون الماء وكتب الله عز وجل له بكل خطوة شجرة تغرس فى الجنة وذنبه يغفر فان لم يفعل ومطل فهو متعد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدين راية الله فى الارض فاذا أراد أن يذل عبده ابتلاه بالدين وجعله فى عنقه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والدين فانه هم بالليل ومذلة بالنهار

(باب التحذير من أكل الحرام والحث على الورع وتوقى الشبهات وفيه فصلان)

(الفصل الاول فى التحذير من أكل الحرام) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى طيب لايقبل الاطيبا وان الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه الى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك رواه مسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايكسب عبد مالا حراما فيتصدق به فيقبل منه ولا ينفق منه فيبارك له فيه ولا يتركه خلف ظهره الا كان زاده الى النار ان الله لايمحق السيئ بالسيئ ولكن يمحق السيئ بالحسن ان الخبيث لايمحو الخبيث وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى على الناس زمان لايبالى المرء ما أخذ منه أمن الحلال أو من الحرام وعن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان لله ملكا على بيت المقدس ينادى كل ليلة من أكل حراما لم يقبل منه صرف ولا عدل فقيل الصرف النافلة والعدل الفريضة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يبال من أين اكتسب المال لم يبال الله من أين يدخله النار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصاب مالا من مأثم فوصل به رحما أو تصدق به أو أنفقه فى سبيل الله جمع الله ذلك جميعا ثم قذفه فى النار وقال سفيان الثورى من أنفق من الحرام فى طاعة الله كان كمن طهر الثوب بالبول والثوب لايطهره الا الماء والذنب لايكفره الا الحلال وقال ابن عباس رضى الله عنه لايقبل الله صلاة امرئ وفى جوفه حرام

(الفصل الثانى فى الحث على الورع وتوقى الشبهات) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الحلال بين وان الحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لايعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ألا وان لكل ملك حمى ألا وان حمى الله محارمه ألا وان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب رواه البخارى ومسلم وعن الحسن بن على رضى الله عنهما قال حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم دع مايريبك الى مالا يريبك رواه النسائى والترمذى وقال حديث حسن صحيح وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايبلغ العبد ان يكون من المتقين حتى يدع مالا بأس به حذرا مما به بأس وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أكل الحلال أربعين يوما نور الله قلبه وأجرى ينابيع الحكمة من قلبه وفى رواية زهده الله فى الدنيا وروى أن سعدا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسأل الله تعالى أن يجعله مجاب الدعوة فقال له أطب طعمتك تستجب دعوتك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير دينكم الورع وروى أن الصديق رضى الله

الكنز فذلك هو الهلاك (بيان حال القلب بالنسبة الى العلوم والفرق بين التعلم وحال الصوفية) اعلم أن للقلب بابين باب ينفذ الى عالم الحواس وباب ينفذ الى عالم الغيب ويعرف صدق هذا القول بالتأمل فى النوم فانك ترى فيه من العجائب ويظهر لك الغيب وماسيكون بعد مدة مديدة وفى اليقظة انما يفتح ذلك الباب للانبياء والاولياء وذلك لمن طهر قلبه عما سوى الله تعالى وأقبل بالكلية عليه واليه الاشارة بقوله عليه السلام سبق المفردون قيل ومن هم يارسول الله قال المجتهدون بذكر الله وضع الذكر عنهم أوزارهم فوردوا القيامة خفافا ثم قال فى وصفهم أقبل عليهم بوجهى أترى أن من واجهته بوجهى يعلم أحد أى شئ أريد أن أعطيه ثم قال عليه السلام أول ما أعطيهم أن أقذف من نورى فى قلوبهم فيخبرون عنى كما أخبر عنهم فاذا مدخل هذا كله هو الباب الداخل من القلب الذى ينفذ الى عالم الغيب وهو عالم الاله وقد قال بعضهم من القلب الى الغيب روزنة ونحن نبين الفرق بين التعلم والتصوف بمثال فى حكاية قد حكى أن أهل الصين وأهل الروم تباهوا بين يدى بعض الملوك بحسن النقش والصور فاستقر رأى الملك على أن يسلم اليهم صفة تنقش أهل الصين منها جانبا وأهل الروم جانبا ويرخى بينهما حجاب يمنع اطلاع كل فريق منهم على صاحبه ففعل ذلك وجمع أهل الروم

عنه شرب لبنا من كسب عبده ثم سأل عبده فقال تكهنت لقوم فأعطونى فأدخل أصبعه فى فيه وجعل يقئ حتى كادت نفسه أن تخرج ثم قال اللهم انى أعتذر اليك مما حملت العروق وخالط الامعاء وفى بعض الاخبار أنه صلى الله عليه وسلم أخبر بذلك فقال أوما علمتم أن الصديق لايدخل جوفه الا طيب وكذلك شرب عمر رضى الله عنه من ابل الصدقة غلطا فأدخل أصبعه وقاءه وقال ابراهيم بن أدهم رحمه الله لم يدرك من أدرك الامن يعقل مايدخل جوفه ويقال من أكل الشبهة أربعين يوما أظلم قلبه قال الغزالى رحمه الله وهو تأويل قوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقال أبو بكر الوراق تهت فى تيه بنى اسرائيل خمسة عشر يوما فلما وافيت الطريق استقبلنى جندى فسقانى شربة من ماء فعادت قسوتها على قلبى ثلاثين سنة وقيل خاطت رابعة رحمها الله شقا فى قميصها فى ضوء مشعل السلطان ففقدت قلبها زمانا حتى تذكرت فشقت قميصها فوجدت قلبها وقيل لبشر رحمه الله من أين تأكل فقال من حيث تأكلون ولكن ليس من يأكل وهو يبكى كمن يأكل وهو يضحك وقال يد أقصر من يد ولقمة أصغر من لقمة وروى عن بعضهم أنه كان عند محتضر فمات ليلا فقال اطفؤا السراج فقد حدث للورثة حق فى الدهن واشترى ابن سيرين أربعين حبا سمنا فأخرج غلامه فأرة من حب فسأله من أى حب أخرجتها فقال لاأدرى فصبها كلها ويحكى أن أبا حنيفة كان لايجلس فى ظل شجرة غريمه ويقول فى الخبر كل قرض جر نفعا فهو ربا وقيل ان أبا يزيد غسل ثوبا فى الصحراء مع صاحب له فقال صاحبه نعلق الثوب فى جدران الكرم فقال لا فقال نغرز الوتد فى الجدار فقال لا نغرزه فى جدران الناس فقال نعلقه فى الشجر فقال لا لانه يكسر الاغصان فقال نبسطه على الارض فقال لا لانه علف الدواب لانستره عنها فولى ظهره الى الشمس والثوب على ظهره حتى جف جانب ثم قلبه حتى جف الجانب الآخر وقيل ان أبا يزيد رحمه الله دخل يوما الجامع فغرز عصاه فى الارض فسقطت ووقعت على عصا شيخ بجنبه ركز عصاه فى الارض فانحنى الشيخ وأخذ عصاه فمضى أبو يزيد الى ذلك الشيخ واستحله وقال بسبب عصاى حيث احتجت الى أن تنحنى وروى عتبة الغلام يتصبب عرقا فى الشتاء فقيل له فى ذلك فقال انه مكان عصيت فيه ربى فسئل عنه فقال كشطت من هذا الجدار قطعة طين غسل ضيف لى يده ولم أستحل صاحبه وقال ابراهيم بن أدهم رحمه الله بت ليلة تحت الصخرة ببيت المقدس فلما كان بعض الليل نزل ملكان فقال أحدهما لصاحبه من ههنا فقال الآخر ابراهيم بن أدهم قال ذاك الذى حط الله درجة من درجاته فقال لم قال انه اشترى بالبصرة التمر فوقعت تمرة على تمره من تمر البقال قال ابراهيم فمضيت الى البصرة واشتريت التمر من ذلك الرجل وأوقعت تمرة على تمره ورجعت الى بيت المقدس وبت فى الصخرة فلما كان بعض الليل اذا أنا بملكين نزلا من السماء فقال أحدهما لصاحبه من ههنا فقال الآخر ابراهيم بن أدهم فقال ذاك الذى رد الى مكانه ورفعت درجته وقيل جاءت أخت بشر بن الحرث الحافى الى أحمد بن حنبل وقالت انا نغزل على سطوحنا فتمر بنا مشاعل الظاهرية ويقع الشعاع علينا أفيجوز لنا الغزل فى شعاعها فقال لها أحمد من أنت عافاك الله قالت أخت بشر الحافى فبكى أحمد وقال من بيتكم يخرج الورع الصادق لاتغزلى فى شعاعها وقال على بن القطان مررت بالبصرة فى بعض الشوارع فاذا مشايخ قعود وصبيان يلعبون فقلت أما تستحيون من هؤلاء المشايخ فقال صبى من بينهم هؤلاء المشايخ قل ورعهم فقلت هيبتهم وقيل ان مالك بن دينار مكث بالبصرة أربعين سنة فلم يصح له أن يأكل من تمر البصرة ولا من رطبها حتى مات ولم يذقه وكان اذا انقضى وقت الرطب قال يا أهل البصرة هذا بطنى مانقص منه شئ ولا زاد فيكم وكان الحارث المحاسبى اذا مد يده الى طعام فيه شبهة ضرب على رأس أصبعه عرق فيعلم أنه غير حلال وقال كهمس أذنبت ذنبا أبكى عليه من أربعين سنة وذلك انه زارنى أخ لى فاشتريت بدانق سمكة مشوية فلما فرغ أخذت قطعة طين من جدار جارلى حتى غسل يده ولم أستحله وكان رجل يكتب رقعة وهو فى بيت بكراء فأراد أن يترب الكتاب من جدار البيت فخطر بباله أن البيت بالكراء ثم انه خطر بباله لاخطر لهذا فترب الكتاب فسمع هاتفا يقول سيعلم المستخف بالتراب مايلقاه غدا من الهول عند الحساب ورهن أحمد بن حنبل سطلا له عند بقال بمكة حرسها الله تعالى فلما أراد فكاكه أخرج البقال سطلين وقال خذ أيهما لك فقال أحمد

غرائب الاصباغ ودخل أهل الصين يصقلون جانبهم فلما فرغ اهل الروم ادعى أهل الصين انهم أيضا قد فرغوا فتعجب الملك منهم وقال كيف الفراغ ولم تأتوا بشئ من الاصباغ فقيل ما عليكم من ذلك ارفعوا الحجاب وتأملوا ففعلوا ورفع الحجاب فاذا عجائب الاصباغ والالوان والنقوش تزهر وتتلألأ بزيادة بريق وصفاء اذ كانوا هم يصقلان مادام غيرهم ينقش فالصوفية يصقلون والعلماء ينقشون فما ينكشف للعلماء ينكشف لهم بزيادة بريق ووراء ما يحصله العلماء ينكشف لهم أمور لايتصور الوصول اليها بتكلف التعلم واليه الاشارة بقوله مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وبقوله أيعلم أحد اذا واجهته بوجهى أى شئ أريد أن أعطيه وذلك هو الحياة المرادة بقوله تعالى اذا دعاكم لما يحييكم فعند ذلك لايموت قلبه قال الحسن التراب لايأكل محل الايمان فيكون اذا أكل أحد الاجر على قدر النصب فالمؤمنون يسعون بأنوارهم الى لقاء الله تعالى والى هذا الاشارة بقوله عليه السلام ان بعضهم يعطى نورا مثل الجبل وبعضهم يعطى أصغر حتى يكون آخرهم رجل يعطى نوره على ابهام قدميه فيضئ مرة ويطفأ مرة فاذا أضاء قدم قدمه فمشى واذا طفئ أقام ومرورهم على الصراط على قدر نورهم فمنهم من يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم كالسحاب ومنهم كانقضاض الكوكب ومنهم من يمر كشد الفرس والذى

أشكل على سطلى فهو لك والدراهم لك فقال البقال سطلك هذا وأنا أردت أن أختبرك فقال لا آخذ ومضى وترك السطل عنده وقيل سيب ابن المبارك دابة قيمتها كثيرة فصلى صلاة الظهر فرتعت فى قرية سلطانية فترك ابن المبارك الدابة ولم يركبها وقيل رجع أيضا من مرو الى الشام فى قلم استعاره فلم يرده الى صاحبه واستأجر النخعى دابة فسقط سوطه من يده فنزل وربط الدابة ورجع وأخذ السوط فقيل له لو حولت الدابة الى الموضع الذى سقط السوط فأخذته فقال انما استأجرتها لأمضى هكذا الاهكذا وكان حسان بن أبى سنان لا ينام مضطجعا ولا يأكل سمينا ولا يشرب باردا ستين سنة فرؤى فى المنام بعد ما مات فقيل له ما فعل الله بك فقال خيرا الا أنى محبوس عن الجنة بابرة استعرتها فلم أردها

(كتاب الترغيب فى الحكم وعنه والتحذير من الظلم وفيه أربعة أبواب)

(الباب الاول فى الترغيب فيه)

فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشأ فى عبادة الله عز وجل ورجل قلبه معلق بالمساجد ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال انى أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه وفى صحيح مسلم عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان المقسطين على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون فى حكمهم وما ولوا قال النووى رحمه الله تعالى ولوا بفتح الواو وضم اللام المخففة أى كانت لهم عليهم ولاية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران واذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر قال الشيخ محيى الدين النووى رحمه الله قال العلماء أجمع المسلمون على أن هذا الحديث فى حاكم عالم أهل للحكم فان أصاب فله أجران أجر باجتهاده وأجر باصابته وان أخطأ فله أجر اجتهاده وفى الحديث محذوف تقديره اذا أراد الحكم فاجتهد قالوا فأما من ليس بأهل للحكم فلا يحل له الحكم فان حكم فلا أجر له بل هو آثم ولا ينفذ حكمه سواء وافق الحق أم لا لان اصابته اتفاقية غير صادرة عن أصل شرعى فهو عاص فى جميع أحكامه سواء وافق الصواب أم لا وهى مردودة كلها ولا يعذر فى شئ من ذلك وقد جاء فى حديث فى السنن القضاة ثلاثة قاض فى الجنة واثنان فى النار قاض عرف الحق فقضى به فهو فى الجنة وقاض عرف الحق فقضى بخلافه فهو فى النار وقاض قضى عن جهل فهو فى النار

(الباب الثانى فى الترغيب عن الحكم)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انكم ستحرصون على الامارة وستكون ندامة يوم القيامة رواه البخارى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أباذر انى أراك ضعيفا وانى أحب لك ما أحب لنفسى لا تأمرن على اثنين ولا تولين مال يتيم رواه مسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويل للامراء ويل للعرفاء ويل للامناء ليتمنين أقوام يوم القيامة ان ذوائبهم كانت معلقة بالثريا يتذبذبون بين السماء والارض ولم يكونوا عملوا على شئ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأتين على القاضى العدل ساعة يوم القيامة يتمنى انه لم يقض بين اثنين فى تمرة قط قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من رجل يلى عشرة فما فوق ذلك الا أتى الله يوم القيامة يداه الى عنقه فكه بره أو أوبقه اثمه أولها ملامة وأوسطها ندامة وآخرها خزى يوم القيامة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ولى القضاء فقد ذبح بغير سكين قال ابن الصلاح معناه والله أعلم فقد ذبح من حيث المعنى لا من حيث الصورة وذلك انه بين عذاب الدنيا ان رشد وعذاب الآخرة ان فسد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم من ولى من أمر هذه الامة شيأ فرفق بهم فارفق به ومن شق عليها فاشقق عليه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أمير يلى أمور المسلمين ثم لا يجهد لهم وينصح لهم الا لم يدخل معهم الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ولاه الله شيأ من أمور المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم احتجب الله دون حاجته وخلته وفقره يوم القيامة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم قالوا يا رسول الله أفلا ننابذهم قال لا ما أقاموا فيكم الصلاة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

أعطى نوره على ابهامه يخبو على وجهه ويديه ورجليه يجر يدا و يتعلق بأخرى و يجر رجلا و يتعلق بأخرى وتصيب جوانبه النار فلا يزال كذلك حتى يخلص الحديث وبهذا تتفاوت درجات الايمان قال عليه السلام لو وزن ايمان أبى بكر بايمان العالم سوى النبيين لرجح وهذا أيضا كقول القائل لو وزن نور الشمس بنور السرج كلها لرجح فايمان الناس كالسرج والشموع وايمان الاولياء كنور القمر والنجوم وايمان الانبياء كنور الشمس

(فصل) فى الدلالة على صحة طريق الصوفية رضى الله عنهم قال أبو الدرداء المؤمن ينظر من وراء ستر رقيق فوالله ان للحق قولا يقذفه الله فى قلوبهم ويجريه على ألسنتهم وقال عليه السلام اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله وقال عليه السلام ان من أمتى محدثين ومكلمين وان عمر منهم وقرأ ابن عباس رضى الله عنهما وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى ولا محدث يعنى الصديقين وعلى الجملة من رأى فى عمره ولو مناما واحدا صحيحا استغنى عن البراهين والاخبار والآثار والآيات الدالة على ذلك أكثر من أن تحصى

(فصل) واعلم أن للقلب بابا ينفذ فيه الشيطان فى مقابلة بابه النافذ الى عالم الغيب وللشيطان لمة كما ان للملك لمة والصفات المذمومة مداخل الشيطان الى القلب فبقدر رفع جميع تلك الصفات تضيق مجارى الشيطان أو تنسد و بقدر اهمالها تتسع تلك

با

الابواب على الشيطان والمنافذ وأنت بين أن تسد هذا الباب فيكون القلب محل الحكمة ومهبط الملائكة وبين أن تهمله فيكون القلب معشش الشياطين وجميع هذه الابواب التى ستأتى من بعد هذا الباب فى قمع الشهوات وتخلية القلب عنها فافهم تغنم والله أعلم بالصواب

يا كعب بن عجرة أعاذك الله من امارة السفهاء أمراء يكونون من بعدى لا يهتدون بهديى ولا يستنون بسنتى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استعمل رجلا من عصابة وفيهم من هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين صححه الحاكم وروى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال تضرعت الى ربى سنة ان يرينى أبى فى المنام حتى رأيته وهو يمسح العرق عن جبينه فسألته فقال لولا رحمة الله لهلك أبوك انه سألنى عن عقال بعير الصدقة وعن حياض الابل فكيف عن الناس فسمع بذلك عمر بن عبد العزيز فصاح وضرب بيده على رأسه فقال فعل هذا بالتقى الطاهر فكيف بابن المترف عمر بن عبد العزيز وقال أسلم رأيت ذات ليلة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو يطوف مع العسس فتبعته وقلت أتأذن لى فى صحبتك فقال نعم فلما خرجنا من المدينة رأينا نارا من بعد فقلنا ربما يكون مسافر فقصدنا النار فرأينا امرأة أرملة ومعها ثلاثة أطفال وهم يبكون وقد وضعت لهم قدرا على النار وهى تقول الهى أنصفنى من عمر وخذلى منه بالحق فانه شبعان ونحن جياع فلما سمع عمر ذلك الكلام تقدم وسلم عليها وقال أتأذنين لى من الدنو اليك فقالت ان دنوت بخير فباسم الله فتقدم عمر اليها وسألها عن حالها وحال أطفالها فقالت نعم وصلت وهؤلاء الاطفال معى من مكان بعيد وأنا جائعة والاطفال جياع وقد بلغ منى ومنهم الجوع ومنعهم الهجوع فقال عمر وأى شئ فى هذا القدر فقالت تركت فيها ماء أشاغلهم به ليظنوا أنه طعام فيصبروا قال فعاد أمير المؤمنين عمر فقصد دكانا يباع الدقيق فيها فابتاع منه ملء جراب ومضى الى دكان قصاب فابتاع منه دسما ثم وضع الجميع على كاهله ومضى حتى انتهى الى المرأة والاطفال فقلت يا أمير المؤمنين ناولنيه لاحمله عنك فقال ان حملته عنى فمن يحمل ذنوبى عنى يوم القيامة ومن يحول بينى وبين دعاء تلك المرأة على وجعل يسعى وهو يبكى الى أن وصل الى المرأة فقالت جزاك الله عنى خيرا الجزاء فأخذ عمر جزأ من الدقيق وشيأ من الدسم ووضعهما فى القدر وجعل يوقد النار فكلما أرادت أن تخمد نفخها وكان الرماد يسقط على محاسنه ووجهه حتى انطبخت القدر فوضع الطبيخ فى القصعة وقال للاطفال كلوا فأكلت المرأة والاطفال وقال عمر أيتها المرأة لا تدعى على عمر فانه لم يكن له منك ولا من أطفالك خبر

(الباب الثالث فى طرف مما ورد عن السلف من كراهية الولاية)

روى أحمد فى المسند أن عثمان قال لابن عمر رضى الله عنهم اقض بين الناس فقال لا أقضى بين اثنين ولا أؤم رجلين أما سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول من عاذ بالله فقد عاذ بمعاذ فقال عثمان بلى فقال انى أعوذ بالله ان تستعملنى فأعفاه وقال لا تخبر بهذا أحدا وروى أن أباذر طلب للقضاء فهرب فقيل له لو وليت وقضيت بالحق فقال من يقع فى البحر الى كم يسبح وروى القاضى أبو الطيب الطبرى ان المأمون كتب الى الشافعى يستدعيه ليوليه القضاء فى الشرق والغرب فأبى ودعا بالمزنى فى مرض موته ونهاه عن تولى القضاء واظهر له كتاب المأمون وقال لم أظهره لاحد غيرك وروى الخطيب فى تاريخ بغداد وغيره أن المنصور طلب أبا حنيفة للقضاء فأبى فحلف المنصور ليفعلن وحلف أبو حنيفة انه لا يفعل فقال له الربيع يحلف أمير المؤمنين وتحلف أنت فقال أمير المؤمنين أقدر على كفارة يمينه منى فحبسه المنصور أياما ثم أحضره فقال له أبو حنيفة يا أمير المؤمنين انا لا أصلح للقضاء فان كنت صادقا فلا أصلح وان كنت كاذبا فلا أصلح للكذب فرده الى السجن وضربه بالسياط فلم يل فأطلقه وروى أنه مات فى السجن وروى أن الخليفة كتب الى أمير البصرة أن اختر رجلين وأنفذهما الى لاولى أحدهما القضاء فوقع الاختيار على القاسم بن ربيعة الجوشنى واياس بن معاوية المزنى فأحضرا فقال انى بعثت اليكما لاقلد أحدكما القضاء فتقدم القاسم وقال يا أمير المؤمنين والله الذى لا اله الا هو انى أنا ما أصلح للقضاء وأنفذ فيه منى فان كنت عندك صادقا فقلده بيمينى وان كنت كاذبا فلا يحل أن يلى أمور المسلمين من يبارز الله بمثل هذه اليمين فقال الخليفة لا بأس ما تقول فيما قال فقال انك جئت به الى شفير جهنم ففدى نفسه بيمين حانثة يستغفر الله و يتوب اليه منها فقال له الخليفة فطنت لها أنت لها فولاه وفى كتاب عقلاء المجانين تأليف أبى القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابورى أن الخليفة كتب الى

(الباب الثانى والعشرون فى رياضة النفس وفيه فصول)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر اعلم أن النفس لها رذائل لابد من تنقيتها وتصفيتها فبذلك تصل الى سعادة الابد وجوار الله تعالى وقد عرفت مما سبق (فضيلة حسن الخلق) قال صلى الله عليه وسلم ان حسن الخلق يذيب الخطيئة كما تذيب الشمس الجليد وقال عبد الرحمن بن سمرة كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام انى رأيت البارحة عجبا رأيت رجلا من أمتى جاثيا على ركبتيه بينه وبين الله حجاب فجاء حسن الخلق فادخله على الله تعالى

(فصل) فى بيان حسن الخلق وسوئه يقال فلان حسن الخلق والخلق أى حسن الظاهر والباطن فحسن الظاهر هو الجمال كما عرفت وحسن الباطن هو غلبة الصفات الجيدة على المذمومة والتفاوت فى الباطن أكثر من التفاوت فى الظاهر واليه الاشارة بقوله تعالى انى خالق بشرا من

عبد الله بن وهب فى قضاء مصر فجنن نفسه ولزم بيته فاطلع عليه رشيد بن أبى سعد وهو يتوضأ فى صحن داره فقال يا أبا محمد ألا تخرج الى الناس فتقضى بينهم بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جننت نفسك ولزمت بيتك فرفع اليه رأسه فقال الى هنا انتهى عقلك أما علمت أن العلماء يحشرون مع الانبياء وأن القضاة يحشرون مع السلاطين وذكر ابن حبيب عن أبى معشر أن رجلا آلى بيمين أن لا يتزوج حتى يستشير مائة نفس لما قاسى من بلاء النساء فاستشار تسعة وتسعين نفسا وبقى واحد فخرج على أن يسأل أول من يطرأ عليه فرأى مجنونا قد اتخذ قلادة من عظم وسود وجهه وركب قصبة وأخذ رمحه فسلم عليه وقال مسئلة فقال سل ما يعنيك واياك وما لا يعنيك واحذر رمحة هذا الفرس قال فقلت مجنون والله ثم قلت انى رجل لقيت من النساء بلاء وآليت أن لا أتزوج حتى أستشير مائة نفس وأنت تمام المائة فقال اعلم أن النساء ثلاثة واحدة لك وواحدة عليك وواحدة لا لك ولا عليك فأما التى لك فشابة طرية لم تمس الرجال فهى لك لا عليك ان رأت خيرا حمدت وان رأت شرا قالت كل الرجال على مثل ذلك وأما التى عليك لا لك فامرأة ذات ولد من غيرك فهى تسلخ الزوج وتجمع لولدها وأما التى لا لك ولا عليك فامرأة قد تزوجت قبلك ان رأت خيرا قالت هكذا يجب وان رأت شرا حنت الى زوجها الاول قال فقلت نشدتك الله ما الذى غير من أمرك ما أرى قال ألم أشترط عليك أن لا تسأل عما لا يعنيك فأقسمت عليه فقال انى رشحت للقضاء فاخترت ترى على القضاء وذكر ابن حبيب أن المنصور دعا أبا حنيفة والثورى ومسعرا وشريكا ليوليهم القضاء فقال أبو حنيفة انا أخمن فيكم تخمينا أما أنا فاحتال فاتخلص وأما مسعر فيتجانن فيتخلص وأما سفيان فيهرب وأما شريك فيقع فلما دخلوا عليه قال أبو حنيفة أنا رجل مولى ولست من العرب ولا تكاد العرب ترضى بان يكون عليهم مولى ومع ذلك فانى لا أصلح لهذا الامر فان كنت صادقا فى قولى فلست أصلح وان كنت كاذبا فلا يجوز أن تولى كاذب دماء المسلمين وفروجهم وأما سفيان فأدركه شخص فى طريق فذهب لحاجة وانصرف والشخص منتظر فراغه فبصر سفيان سفينة فقال للملاح ان مكنتنى من سفينتك والا أذبح تأول قول النبى صلى الله عليه وسلم من جعل قاضيا فقد ذبح بغير سكين فأخذه الملاح تحت المبارى وأما مسعر فدخل على المنصور فقال القضاء بيدك كيف أنت وأولادك ودوابك فقال اخرجوه فانه مجنون وأما شريك فقال له المنصور تقلد القضاء وعليك بالعصيد والنبيذ الشديد حتى يرجع عقلك فتقلد فهجره الثورى وقال أمكنك الهرب فلم تهرب وهذا هو شريك بن عبد الله النخعى الكوفى أحد الاعلام

(الباب الرابع فى التحذير من الظلم)

قال الله تبارك وتعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون وقال تعالى ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع وقال صلى الله عليه وسلم اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فان الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتؤدن الحقوق الى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء رواهما مسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ظلم قيد شبر من الارض طوقه من سبع أرضين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليملى للظالم فاذا أخذه لم يفلته ثم قرأ وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهى ظالمة ان أخذه أليم شديد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ رضى الله عنه لما بعثه الى اليمن اياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب روى هذه الثلاثة البخارى ومسلم وقال صلى الله عليه وسلم من كانت عنده مظلمة لاخيه من عرضه أو من شئ فليتحلله منه اليوم قبل ان لا يكون دينار ولا درهم ان كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وان لم يكن له حسنات أخذت من سيئات صاحبه فحمل عليه رواه البخارى وقال صلى الله عليه وسلم أتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال ان المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتى قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح

طين فاذا سويته ونفخت فيه من
روحى نبه على أن صورة ظاهره مركبة من التراب وصورة باطنه من عالم أمر
الله تعالى فنعنى بحسن الخلق حسن صورة الباطن فبقدر ما ينمحى عنه من الصفات المذمومة يثبت بدلها من الصفات المحمودة فهو حسن الخلق وتمام حسن الخلق لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذ نال فى هذا المعنى درجة الكمال وقد قال عليه السلام حسنوا أخلاقكم نبه على قبولها التغيير وانفعالها تحت التصرف فعليك بالسعى فى اذعان الغضب والشهوة والشره وجميع هذه الصفات لاشارة الشرع فاذا فعلت ذلك فقد حصل الغرض وذلك بالمجاهدة والصبر على ما تكره ليصير بعد ذلك عادة قال صلى الله عليه وسلم الخير عادة فمن لم يكن فى أصل الفطرة مثلا سخيا جوادا فيتعود ذلك بالتكلف وكذلك لو لم يخلق متواضعا يفعل ذلك بالتكلف الى أن يتعود ذلك وكذا سائر الصفات يعالجها بضدها الى أن يحصل الغرض فالمداومة على العبادات ومخالفة الشهوات يحسن صورة الباطن ويحصل الانس بالله تعالى قال صلى الله عليه وسلم اعبد الله فى الرضا فان لم تستطع ففى الصبر على ما تكره خير كبير ففى الابتداء الصبر الى أن تصير راضيا اذ أصل الفطرة يقتضى حسن صورة الباطن واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم الحسنة بعشر أمثالها اذ هى موافقة أصل الفطرة وبيان تفصيل الطريق الى تهذيب

في

الاخلاق * انا قد عرفنا أن المعالجة فى مرض البدن أن يقابل الشئ بضده وكذلك

فى النار رواه مسلم وفى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال انما أنا بشر وانكم تختصمون الى ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضى نحو ما أسمع فمن قضيت له بحق أخيه فانما أقطع له قطعة من النار قوله ألحن أى أعلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار قيل يا رسول الله وان كان شيئا يسيرا قال وان كان قضيبا من أراك رواه مسلم وقال ثوبان رضى الله عنه لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الراشى والمرتشى والرائش ويعنى بالرائش الماشى بينهما وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله صلاة امام حكم بغير ما أنزل الله تعالى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة رجل أعطى بى ثم غدر ورجل باع حرا فأكل ثمنه ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعطه أجره وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ولى أمور المسلمين ولم يحفظهم كحفظه أهل بيته فقد تبوأ مقعده من النار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تبارك وتعالى وعزتى وجلالى لانتقمن من الظالم فى عاجله وآجله ولأنتقمن ممن رأى مظلوما فقدر أن ينصره فلم يفعل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة صاحب مكس وفى الحديث فى الزانية التى طهرت نفسها بالرجم لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له أو لقبلت منه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن دعوة المظلوم ودعوة المسافر ودعوة الوالد على ولده قال العلماء معنى على هنا اللام يعنى لولده وذكر ابن عبد السلام فى تفسير قوله تعالى ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير أن النبى صلى الله عليه وسلم قال اللهم لا تقبل دعاء حبيب على حبيبه (حكاية) قال الغزالى رحمه الله فى نصيحة الملوك يقال انه كان فى بنى اسرائيل رجل يصيد السمك ويقوت من صيده أطفاله وزوجته فكان بعض الايام يصيد فوقع فى شبكته سمكة كبيرة ففرح بها وقال امضى بهذه السمكة الى السوق فأبيعها وأخرج ثمنها فى نفقة العيال فلقيه بعض العوانية فى طريقه فقال له تبيع هذه السمكة فقال فى نفسه ان قلت لا أهاننى وان قلت نعم أخذها بنصف ثمنها فقال له ما أبيعها فغضب العوانى وضربه بخشبة كانت معه على صلبه ضربة فوجعته وأخذ السمكة منه غصبا بلا ثمن فدعا الصياد عليه وقال الهى خلقتنى فقيرا ضعيفا وخلقته غنيا قويا اللهم خذ بحقى منه فى هذه الدنيا فانى لا أصبر الى الآخرة ثم ان ذلك الغاصب انطلق بالسمكة الى منزله وسلمها الى زوجته وأمرها بان تشويها فلما شوتها وضعتها بين يديه على المائدة ومد يده ليأكل منها ففتحت السمكة فاها ونكزت أصبعه نكزة سلبت قراره وأزالت لشدة نكزتها اصطباره فشكا حاله الى الطبيب فقال له ينبغى أن تقطع هذه الاصبع لئلا يسرى الالم الى جميع اليد فقطع أصبعه فانتقل الوجع الى الكف وزاد الالم وارتعدت من خوفه فرائصه فقال له الطبيب ينبغى أن تقطع اليد من المعصم لئلا يسرى الالم الى الساعد فقطع يده من المعصم فانتقل الالم الى الساعد فقال له الطبيب ينبغى أن تقطع الساعد لئلا يسرى الالم الى الكتف وتوجع فخرج هاربا على وجهه داعيا الى ربه عز وجل ليكشف ما قد نزل به فرأى شجرة فاتكأ اليها فأخذه النوم فرقد فرأى قائلا يقول له يا مسكين الى كم تقطع يدك عضوا بعد عضو امض وأرض خصمك الصياد فانتبه من النوم فذكر وقال أنا أخذت السمكة غصبا وأوجعت الصياد ضربا وهى التى نكزتنى فنهض وقصد المدينة وطلب الصياد فوجده فوقع على أقدامه يقبلها والتمس الاقالة من ذنبه وأعطاه شيئا من ماله وتاب من فعله ورضى عنه خصمه ففى الحال سكن ألم المعوبات تلك الليلة على فراشه وتاب وأقلع عما كان يصنع ونام على توبة خالصة ففى اليوم الثانى تداركته رحمة ربه ورد يده كما كانت بقدرته فنزل الوحى على موسى عليه السلام يا موسى وعزتى وجلالى وعظمتى لولا أن الرجل أرضى خصمه لعذبته مهما امتدت به حياته وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال خمسة قد غضب الله عليهم وان شاء أمضى غضبه ومصيرهم الى النار أمير قوم يأخذ حقه منهم ولا ينصفهم من نفسه ولا يرفع الظلم عنهم ورئيس قوم يطيعونه وهو لا يسوى بين القوى والضعيف ويحكم بالميل والمحاباة ورجل لا يأمر أهله وأولاده بطاعة الله ولا يعلمهم أمور الدين ولا يبالى من أين أطعمهم ورجل استأجر أجيرا فتم عمله ومنعه أجرته وظالم ظلم زوجته فى صداقها وفى الخبر الدواوين ثلاثة ديوان يغفر وديوان لا يغفر وديوان لا يترك

فى مرض القلب وذلك يختلف باختلاف الاشخاص اذ الطباع مختلفة والشيخ فى قومه كالنبى فى أمته وهو ينظر فى حال المريد فيعلم ما يغلب عليه من الصفات وما ينبغى أن يعالج به فيشغله فى ابتداء أمره بالعبادات وتنظيف الثياب وتطهيرها والمواظبة على الصلوات وذكر الله تعالى فى الخلوات فبذلك تظهر عيوبه الكامنة كون النار فى الحجر وان كان معه فضل مال أخذه منه وصرفه الى حاجات أرباب القلوب ليفرغ قلبه ويكون فراغ قلبه هو الاصل ثم فراغ قلب غيره وباله بماله وعده بالهمم فيتيسر عليه مقصوده ببركة تلك الهمم ومن الطرق فى تهذيب أخلاقه أن يسلط بعض صفاته على بعض فيرغب فى السخاء والجود بوسيلة الرياء ليترك البخل وحب الدنيا وجمعها ويترك استعمال الغضب والشهوة ليحمل على العفة والسداد ثم بعد ذلك يتوجه الى الرياء فيقمعه بقوة دينه التى حصلت فى مدة الرياضة والاقبال على الله تعالى وبالمعالجة بالضدية عن النفس على المداومة وقد حكى أن بعض الشيوخ كانت نفسه تكسل عن قيام بعض الليل فالزمها القيام على الرأس مدة فرضيت بالقيام على الرجل واغتنمت (بيان معرفة عيوب النفس) قال صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه ولهذه المعرفة طرق

فالدوان الذى يغفر فذنوب العباد بينهم وبين الله تعالى وأما الدوان الذى لا يغفر فالشرك وأما الدوان الذى لا يترك فظالم العباد أى لابد أن يطالب بها (وحكى) عن أبي بكر الوراق رحمه الله انه قال أكثر ما ينزع الايمان من العبد انما ينزع عند الموت قال فنظرنا فى الذنوب فلم نجد ذنبا أسرع نزعا للايمان من ظلم العباد قال سفيان الثورى رحمه الله لان تلقى الله تعالى بسبعين ذنبا فيما بينك و بينه أهون عليك من أن تلقاه بذنب فيما بينك و بين العباد وقال ابن زيد رحمه الله فى قوله تعالى وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون أى نسلط بعض الظلمة على بعض فيهلكه و يذله قال و يدخل فى الآية جميع من يظلم كالظالم يظلم الرعية أو التاجر يظلم الناس فى تجارته أو السارق وغيرهم وقال الفضيل بن عياض رحمه الله اذا رأيت ظالما ينتقم من ظالم فقف وانظر فيه متعجبا وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من أعان ظالما سلطه الله عليه وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تمكروا ولا تعينوا ماكرا فان الله تعالى يقول ولا يحيق المكر السيئ الا بأهله ولا تبغوا ولا تعينوا باغيا يقول الله تعالى انما بغيكم على أنفسكم (وحكى) عن رجل من أهل العلم أنه قال كان عندنا رجل يعين الظلمة المكاسين ويخدمهم فمات فرأيته فى النوم فى حالة شنيعة فقلت من أين جئت قال لا تسأل فألححت عليه فقال من الجحيم فقلت كيف لقيته قال عذابا شديدا ونكالا عظيما فأنذر الظلمة وحذرهم عذاب الجحيم فهذا حال أعوانهم فكيف حالهم قال الحسن من دعا للظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله فى أرضه وقال وهب بن منبه اذا هم الوالى بالجور أو عمل به أدخل الله تعالى النقص فى أهل مملكته فى الزرع والضرع والثمرة وكل شئ واذا هم بالعدل والخير أو عمل به أدخل الله تعالى البركة فى أهل مملكته وقال الثورى رحمه الله لابى جعفر المنصور ان صلحت صلح الناس وان فسدت فسدوا وروى الامام أحمد باسناده انه وجد فى بعض خزائن بنى أمية صرة فيها حنطة أمثال نوى التمر مكتوب عليها هذا كان ينبت أيام العدل (حكايات) ذكرها الامام أبو حامد رحمه الله فى نصيحة الملوك (الاولى) عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال كان ملك من الملوك يخرج مستخفيا ليعلم أخبار مملكته فنزل على رجل عنده بقرة تحلب حلاب ثلاثين بقرة فلما أصبح حدث نفسه بأخذها فلم تحلب الا الشئ اليسير الذى لا قدر له فقال له الملك ما بال حلابها أنقص من عادتها أرعت فى غير موضعها التى كانت فيه قال لا ولكن ما أظن الا الملك هم بالجور فنقص لبنها فان الملك اذا ظلم أو هم بالظلم ذهبت البركة فعاهد الله تعالى الملك فى نفسه أن لا يأخذها ولا يظلم فراحت بين الطعن فحلبت مثل عادتها الاولى فتاب الملك الى الله عز وجل (الحكاية الثانية) حدث عن راع كان لمحمد ابن أبي عيينة قال كان يرعى الشياه بكرمان فى خلافة عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وكانت الشياه والذئاب والوحوش ترعى فى موضع واحد فبينما نحن ذات ليلة اذ عرض الذئب لشاة فأخذها فقلنا ما نرى الرجل الصالح الا قد هلك فى هذه الليلة قال حماد فحدثنى هو وغيره أنهم ساروا واستخبروا فوجدوه هلك فى تلك الليلة (الحكاية الثالثة) من المشهور بأرض المغرب أن السلطان بلغه أن امرأة لها حديقة فيها القصب الحلو وان قصبة منها تعصر قدحا وكان فى الحديقة أيضا رمان فذكر عنه أيضا أن رمانة واحدة تعصر قدحا فعزم على أخذها منها ثم أتاها وهى لا تعرفه فسألها عن ذلك فقالت نعم ثم انها عصرت قصبة ورمانة فلم تبلغ كل واحدة نصف قدح فقال لها وأين الذى يقال فقالت هو الذى بلغك الا أن يكون السلطان هم بأخذها أو عزم على ظلم فيها فارتفعت بركتها فتاب الملك فى نفسه وأخلص لله عز وجل نيته فعصرت أخرى فجاءت ملء قدح

(فصل فيما جاء فى التشديد على قاتل النفس ظلما) قال الله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتنبوا السبع الموبقات أى المهلكات فذكر قتل النفس التى حرم الله وقال صلى الله عليه وسلم وقد سئل أى الذنب أعظم قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك قال ثم أى قال أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك قال ثم أى قال ان تزانى حليلة جارك وقال صلى الله عليه وسلم اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار قيل يا رسول

شيخ من مشايخه ويشتغل بما أمره فعند ذلك ينكشف له تارة وتارة يكشفه له

أعلاها أن يجلس بين يدى شيخه وهذه أعلى الطرق وأولاها الا أنه قد عز فى هذا الزمان هذا الطريق وطريق أخرى أن يطلب رفيقا صالحا عالما بأسرار هذا الامر فيصحبه و يجعله رقيبا على نفسه ليلاحظ أحواله وينبهه على عيوبه فهكذا كان يفعل الاكابر من أئمة الدين كان عمر رضى الله عنه يقول رحم الله امرأ أهدى الى عيوبى وكان يسأل سلمان عن عيوبه رضى الله عنه لما قدم عليه وقال له ما الذى بلغك عنى مما كرهته فاستعفى فألح عليه فقال سمعت انك جمعت ادمين على مائدة وان لك حلتين حلة بالليل وحلة بالنهار فقال وهل بلغك غيرهما قال لا قال أما هذان فقد كفيتهما وكان يسأل حذيفة رضى الله عنه وهو صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنافقين هل ترى على شيأ من آثار النفاق فهو على جلالة قدره وعلو منصبه هكذا كان يتهم نفسه فان لم تجد رفيقا فاصغ الى قول الحساد فلا تعدم حاسدا يطلب معايبك و يزيد فاستفد منه واتهم نفسك فى كل ما ترضى به من العيوب ولا تغضب ولا تحرد اذا نبهك انسان على عيب من العيوب فان العيوب حيات وعقارب تلدغك فى الدنيا والآخرة فمن نبهك على أن حية فى ثيابك تلدغك فاقبل منه المنة فان حردت عليه دل على ضعف ايمانك

الله

الله هذا القاتل فما بال المقتول قال انه كان حريصا على قتل صاحبه وقال صلى الله عليه وسلم لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض وقال صلى الله عليه وسلم لقتل مؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم لا يزال المرء فى فسحة من دينه مالم يصب دما حراما لفظ البخارى وقال صلى الله عليه وسلم أول ما يقضى بين الناس فى الدماء وقال صلى الله عليه وسلم أكبر الكبائر الاشراك بالله وقتل النفس وعقوق الوالدين وقال صلى الله عليه وسلم من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وان ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاما رواه البخارى وقال صلى الله عليه وسلم من أعان على قتل مؤمن ولو بشطر كلمة لقى الله مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله وقال الشافعى رضى الله عنه فى المختصر القتل بغير حق أكبر الكبائر بعد الكفر

(كتاب آداب الصحبة وفيه ستة عشر بابا)

(الباب الاول فى حسن الخلق)

قال الله تعالى وانك لعلى خلق عظيم وقال الله تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس الآية وفى الصحيحين عن أنس رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا وعن النواس ابن سمعان رضى الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم فقال البر حسن الخلق والاثم ما حاك فى صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس رواه مسلم وقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا وكان يقول ان من خياركم أحسنكم أخلاقا رواه البخارى ومسلم وقال صلى الله عليه وسلم ما من شئ أثقل فى ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق وان الله يبغض الفاحش البذىء رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح البذى الذى يتكلم بالفحش وردىء الكلام وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة قال تقوى الله تعالى وحسن الخلق وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار قال الفم والفرج صححه الترمذى وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا وخياركم خياركم لنسائهم صححه الترمذى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن ليدرك بحسن الخلق درجة الصائم القائم رواه أبو داود وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا زعيم بيت فى ربض الجنة لمن ترك المراء وان كان محقا وبيت فى وسط الجنة لمن ترك الكذب وان كان مازحا وبيت فى أعلى الجنة لمن حسن خلقه رواه أبو داود باسناد صحيح وقال صلى الله عليه وسلم ان من أحبكم الى وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا وان أبغضكم الى وأبعدكم منى يوم القيامة الثرثارون المتشدقون والمتفيهقون قالوا يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون قال المتكبرون حسنه الترمذى قال النووى رحمه الله تعالى الثرثار كثير الكلام تكلفا المتشدق المتطاول على الناس بكلامه ويتكلم بملء فيه تفاصحا وتعظيما لكلامه والمتفيهق أصله الفهق وهو الامتلاء وهو الذى يملأ فمه بالكلام و يتوسع فيه و يغرب به تكبرا وارتفاعا واظهارا للفضيلة على غيره وروى الترمذى عن عبد الله بن المبارك رحمه الله فى تفسير حسن الخلق قال هو طلاقة الوجه و بذل المعروف وكف الاذى وقال صلى الله عليه وسلم لا عقل كالتدبير ولا ورع كالكف ولا حسب كحسن الخلق رواه ابن حبان

(الباب الثانى فى فضل الحب فى الله)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان أن يكون الله و رسوله أحب اليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه الا لله وأن يكره أن يعود فى الكفر بعد اذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف فى النار رواه البخارى ومسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول يوم القيامة أين المتحابون فى جلالى اليوم أظلهم فى ظلى يوم لا ظل الا ظلى رواه مسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل المتحابون فى جلالى لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تبارك وتعالى وجبت محبتى للمتحابين فى والمتجالسين فى والمتزاورين فى والمتباذلين فى رواه مالك فى الموطا باسناد صحيح وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أحب

بالآخرة واذا اغتممت ذلك دل على قوة ايمانك واعلم أن عين السخط تبدى المساوى فقوة الايمان تعيدك هذه الفائدة وهى أن تغتنم عذل الحسود وتعييره اياك قيل لعيسى عليه السلام من أدبك قال ما أدبنى أحد رأيت جهل الجاهل فجانبته

(فصل) اعلم أن ما ذكرناه اذا تأملته انفتحت لك عين تنتفع بها فان لم ترزق فلا أقل من الايمان والتصديق فالاول هو الايمان ثم الوصول قال الله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات فالتقوى رأس المال فى تحصيل هذه الاعمال قال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب و يقال ان امرأة العزيز قالت ليوسف عليه السلام يا يوسف ان الحرص والشهوة صير الملوك عبيدا والصبر والتقوى صير العبيد ملوكا فقال يوسف قال الله تعالى انه من يتق و يصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين وقال الجنيد رضى الله عنه أرقت ليلة فقمت الى وردى فلم أجد الحلاوة التى كنت أجدها فاردت أن أنام فلم أقدر فقعدت فلم أطق القعود فخرجت فاذا رجل ملتف فى عباءة مطروح على الطريق فلما أحس بى قال يا أبا القاسم الى الساعة فقلت يا سيدى من غير موعد قال بلى سألت محرك القلوب أن يحرك الى قلبك فقلت فقد فعل فما حاجتك فقال متى يصير داء النفس دواءها فقلت اذا خالفت النفس

الرجل أخاه فليخبره أنه يحبه رواه أبوداود والترمذى وقال حديث حسن صحيح وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الاعمال الحب فى الله والبغض فى الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحدث عبد أخا فى الله تعالى الا أحدث الله تعالى له درجة فى الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليقول فى الجنة مافعل صديقى فلان وصديقه فى الجحيم فيقول الله تعالى أخرجوا له صديقه الى الجنة فيقول من بقى فمالنا من شافعين ولاصديق حميم وقال على رضى الله عنه عليكم بالاخوان فانهم عدة فى الدنيا والآخرة ألا تسمع الى قول أهل النار فمالنا من شافعين ولاصديق حميم وقال بعض السلف استكثروا من الاخوان فان لكل مؤمن شفاعة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل وقال عيسى عليه السلام تحببوا الى الله ببغض أهل المعاصى وتوبوا الى الله بالتباعد منهم والتمسوا رضا الله عنكم بسخطهم قالوا ياروح الله فمن نجالس قال جالسوا من يذكركم الله رؤيته ومن يزيد فى عملكم كلامه ومن يرغبكم فى الآخرة عمله وروى أن امرأة بمكة كانت تضحك النساء وكانت بالمدينة أخرى فنزلت المكية على المدنية فدخلت على عائشة فأضحكتها فقالت أين نزلت فذكرت نزولها على المرأة المضحكة بالمدينة فقالت صدق الله ورسوله سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وماتناكر منها اختلف وكان مالك بن دينار يقول لايتفق اثنان فى عشرة الاوفى أحدهما وصف من الآخر وان أشكال الناس كأجناس الطير ولايتفق نوعان من الطير فى الطيران الاوبينهما مناسبة قال فرأى يوما غرابا مع حمامة فعجب من ذلك وقال اتفقا وليسا من شكل واحد ثم طارا فاذا هما أعرجان فقال من ههنا اتفقا

(الباب الثالث فى النصيحة للمسلمين)

عن تميم الدارى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال الدين النصيحة قلنا لمن قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم رواه مسلم قال العلماء أما النصيحة لله تعالى أن تؤمن بالله وتدعو الناس الى ذلك وتتمنى أن يكون الناس كلهم جميعا مؤمنين وأما النصيحة لنبيه عليه السلام ان تصدقه بما جاء به من عند الله تعالى وتعمل بسنته وتدل الناس عليه وأما النصيحة لكتابه فهو أن تقرأه وتعمل بما فيه وتتمنى أن يقرأه جميع الناس ويعملون بما فيه وأما النصيحة للائمة أن لاتخرج عليهم بالسيف وتدعو لهم بالعدل والانصاف وتدل الناس عليه وأما النصيحة للمسلمين فهو أن تحب لهم ما تحب لنفسك وتكره لهم ماتكره لنفسك وتتمنى أن يكونوا فيما بينهم على الالفة والمودة وعن جرير بن عبد الله رضى الله عنه أنه قال بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على اقام الصلاة وايتاء الزكاة والنصح لكل مسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حق المسلم على المسلم ستة اذا لقيته فسلم عليه واذا دعاك فاجبه واذا استنصحك فانصح له واذا عطس فحمد الله فشمته واذا مرض فعده واذا مات فاتبعه رواه مسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه مايحب لنفسه رواه البخارى ومسلم

(الباب الرابع فى تعظيم حرمات المسلمين وبيان حقوقهم والشفقة لهم ورحمتهم)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا رواه البخارى ومسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى رواه البخارى ومسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لايرحم الناس لايرحمه الله رواه البخارى ومسلم قال الله عزوجل ان كنتم تريدون رحمتى فارحموا خلقى رواه أبو بكر الصديق رضى الله عنه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انصر أخاك ظالما أومظلوما فقال الرجل يارسول الله أنصره اذا كان مظلوما أرأيت ان كان ظالما كيف أنصره قال تحجزه أوتمنعه من الظلم فان ذلك نصره رواه البخارى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حق المسلم على المسلم خمس رد السلام وعيادة المريض واتباع الجنائز واجابة الدعوة وتشميت العاطس رواه البخارى ومسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق كل انسان من بنى

هواها فاقبل على نفسه وقال اسمعى قد أجبتك بهذا سبع مرات فأبيت الآن تسمعيه من الجنيد قال فانصرفت وما عرفته (بيان علامات حسن الخلق) قال الله تعالى قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون الى قوله أولئك هم الوارثون وقال تعالى التائبون العابدون وقال تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وقال تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا الآية ومن الناس من يكفيه فى ذلك أدنى شئ لما اتفق له فى ابتداء نشوه من رعاية مشفق كما نقل عن سهل التسترى أنه قال كنت ابن ثلاث سنين وكنت أقوم بالليل أنظر الى خلوة خالى محمد ابن محمد بن سوار فقال لى خالى يوما ألا تذكر الله الذى خلقك قلت كيف أذكره قال قل بقلبك عند تقلبك فى ثيابك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك الله معى الله ناظر الى الله شاهدى ففعلت ذلك ليالى ثم أعلمته فقال قل فى كل ليلة سبع مرات ففعلت ذلك ثم أعلمته فقال قل فى كل ليلة احدى عشر مرة ففعلت ذلك فوقع فى قلبى حلاوته فلما كان بعد سنة قال لى خالى احفظ ماعلمتك ودم عليه الى أن تدخل القبر فانه ينفعك فى الدنيا والآخرة فلم أزل على ذلك سنين فوجدت لها حلاوة فى سرى ثم قال لى خالى يوما ياسهل من كان الله معه وهو ناظر اليه وشاهده كيف يعصيه فاياك والمعصية فكنت

آدم على ستين وثلثمائة مفصل فمن كبر الله وحمد الله وهلل الله وسبح الله واستغفر الله وعزل حجرا عن طريق الناس أوشوكة أوعظما أوأمر بمعروف أونهى عن منكر عدد ذلك الستين والثلثمائة فانه يمشى يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مر رجل بغصن شجرة على ظهر طريق فقال لانحين هذا عن المسلمين لايؤذيهم فأدخل الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبسمك فى وجه أخيك صدقة وأمرك بالمعروف صدقة ونهيك عن المنكر صدقة وارشادك الرجل فى أرض الضلال صدقة ونصرك للرجل الردىء البصر لك صدقة واماطتك الحجر والشوك والعظم عن الطريق لك صدقة وافراغك من دلوك فى دلو أخيك لك صدقة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يهتم للمسلمين فليس منهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع من حق المسلمين عليك أن تحسن صحبتهم وأن تستغفر لمذنبهم وأن تدعو لمدبرهم وأن تحب تائبهم وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يأخذ عنى هؤلاء الكلمات فيعمل بهن أو يعلم من يعمل بهن قلت أنا يارسول الله فأخذ بيدى وعد خمسا فقال اتق الله تكن أعبد الناس وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس وأحسن الى جارك تكن مؤمنا وأحب للناس ماتحب لنفسك تكن مسلما ولاتكثر الضحك فان كثرة الضحك تميت القلب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايقدس الله أمة ليس فيهم من يأخذ للضعيف حقه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايقفن أحدكم على رجل يضرب ظلما فان اللعنة تنزل من السماء على من حضره اذا لم يدافعوا عنه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حمى مؤمنا من منافق بعث الله ملكا يحمى لحمه يوم القيامة من نار جهنم ومن رمى مسلما بشر يريد به شينه حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أذل عنده مؤمن وهو يقدر على أن ينصره فلم ينصره أذله الله عزوجل على رؤس الخلائق وقال عمر رضى الله عنه ثلاث يصفين لك ود أخيك تسلم عليه اذا لقيته وتوسع له فى المجلس وتدعوه بأحب أسمائه وقال ابن عباس فى معنى قوله تعالى رحماء بينهم يدعو صالحهم لطالحهم وطالحهم لصالحهم اذا نظر الطالح الى الصالح من أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال اللهم بارك له فيما قسمت له من الخير وثبته عليه وانفعنا به واذا نظر الصالح الى الطالح قال اللهم اهده واغفر له وتب عليه

(الباب الخامس فى قضاء حوائج المسلمين)

فى الصحيحين عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المسلم أخو المسلم لايظلمه ولايسلمه من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن عبد أنعم الله عليه نعمة فأسبغها عليه ثم جعل من حوائج الناس اليه فتبرم فقد عرض تلك النعمة للزوال رواه الطبرانى باسناد جيد وقال صلى الله عليه وسلم من مشى فى حاجة أخيه ساعة من ليل أونهار قضاها أولم يقضها كان خيرا له من اعتكاف شهرين وقال صلى الله عليه وسلم ان لله عبادا خلقهم لحوائج الناس آلى على نفسه أن لايعذبهم بالنار واذا كان يوم القيامة وضعت لهم منابر من نور يحدثون الله عزوجل والناس فى الحساب وروى عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أى الناس أحب الى الله قال أحب الناس الى الله أنفعهم للناس وأحب الاعمال الى الله عزوجل سرور تدخله على مسلم تكشف عنه كربة أوتقضى عنه دينا أوتطرد عنه جوعا ولان أمشى مع أخ فى حاجة أحب الى من أن أعتكف فى هذا المسجد يعنى مسجد المدينة شهرا ومن كظم غيظه ولوشاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه يوم القيامة رضا ومن مشى مع أخيه فى حاجته حتى يقضيها له ثبت الله قدميه يوم تزل الاقدام رواه الاصبهانى وقال صلى الله عليه وسلم ان لله عزوجل خلقا خلقهم لحوائج الناس تفزع اليهم الناس فى حوائجهم أولئك هم الآمنون غدا من عذاب الله وقال صلى الله عليه وسلم من كان وصلة لاخيه المسلم الى ذى سلطان فى منفعة بر أوتيسير عسير أعانه على اجازة الصراط يوم دحض الاقدام وقال صلى الله عليه وسلم من أقر عين مؤمن أقر الله عينه يوم القيامة

أخلو بنفسى فبعثوا بى الى المكتب فقلت انى لأخشى أن تتفرق على همتى ولكن شارطوا المعلم أنى أذهب اليه ساعة فاتعلم ثم أرجع فمضيت الى الكتاب وحفظت القرآن وأنا ابن ست سنين أوسبع سنين وكنت أصوم الدهر وقوتى من خبز الشعير اثنتى عشرة سنة فوقعت لى مسئلة وأنا ابن ثلاث عشرة سنة فسألت أن يبعثونى الى البصرة أسأل عنها علماءها فلم يكشف أحد عنى شيأ فخرجت الى عبادان الى رجل يعرف بابى حبيب حمزة بن عبد الله العبادانى فسألته عنها فاجابنى وأقمت عنده أنتفع بكلامه وأتأدب بآدابه ثم رجعت الى تستر فجعلت قوتى اقتصادا على أن يشترى لى بدرهم من الشعير الفرق فيطحن ويخبز لى فافطر عند السحر كل ليلة على أوقية واحدة بحتا بغير ملح ولاادام فكان يكفينى ذلك الدرهم سنة ثم عزمت أن أطوى ثلاث ليال ثم أفطر ثم خمسا ثم سبعا ثم خمسا وعشرين ليلة فكنت على ذلك عشرين سنة ثم خرجت أسيح فى الارض ثم رجعت الى تستر وكنت أقوم الليل كلها فالموفق هو الله تعالى القوى الكريم (بيان شروط الارادة) اعلم أن من يريد حرث الآخرة فعلامته الاقلاع عن حرث الدنيا فمن شاهد الآخرة بقلبه مشاهدة يقين فعلامته استحقار الدنيا فمن شاهد الجوهر النفيس وفى يده خرزة لم يبق له رغبة فى الخرزة ومن لم يفعل ذلك لعدم الايمان بالله واليوم الآخر فاذا المانع من الوصول عدم السلوك والمانع من السلوك

وقال صلى الله عليه وسلم الخلق كلهم عيال الله وأحبهم اليه أنفعهم الى عياله وقال صلى الله عليه وسلم ان لله عبادا اختصهم بالنعم لمنافع العباد يقرها فيهم مابذلوا فاذا منعوها حولها عنهم وجعلها فى غيرهم وقال صلى الله عليه وسلم من أغاث ملهوفا كتب الله له ثلاثا وسبعين حسنة واحدة يصلح بها آخرته ودنياه والباقى فى الدرجات وقال صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة والدال على الخير كفاعله والله يحب اغاثة الملهوف وقال صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل أنا الله قدرت الخير والشر فطوبى لمن جعلت مفاتيح الخير على يديه وويل لمن جعلت مفاتيح الشر على يده وقال صلى الله عليه وسلم اصنع المعروف الى أهله فان لم تصب أهله فأنت أهله وقال صلى الله عليه وسلم رأس العقل بعد الايمان التودد الى الناس واصطناع المعروف الى كل بر وفاجر

(الباب السادس فى انظار المعسر والقرض)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنظر معسرا أو وضع له أظله الله يوم القيامة تحت ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وقال صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة أسرى بى على باب الجنة مكتوبا الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانية عشر فقلت يا جبريل ما بال القرض أفضل من الصدقة قال ان السائل يسأل وعنده والمستقرض لا يستقرض الا من حاجة هذا الحديث فى سنن ابن ماجه

(الباب السابع فى فضل الشفاعة)

قال الله تعالى من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها فى الصحيحين عن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا أتاه طالب حاجة أقبل على جلسائه فقال اشفعوا تؤجروا ويقضى الله على لسان نبيه ما شاء وقال صلى الله عليه وسلم ما من صدقة أفضل من صدقة اللسان قيل وكيف ذلك قال الشفاعة يحقن بها الدم وتجر بها المنفعة الى آخر ويدفع بها المكروه عن آخر وقال صلى الله عليه وسلم أفضل الشفاعة أن يشفع بين الاثنين فى النكاح قال النووى رحمه الله أجمع العلماء على تحريم الشفاعة فى الحد بعد بلوغه الى الامام للاحاديث وعلى أنه يحرم التشفع فيه فاما قبل بلوغه الى الامام فقد أجاز الشفاعة فيه أكثر العلماء اذا لم يكن المشفوع فيه صاحب شر وأذى للناس فان كان لم يشفع فيه وأما المعاصى التى لا حد فيها وواجبها التعزير فيجوز الشفاعة فيها والتشفع فيها سواء بلغت الامام أم لا لانها أهون ثم الشفاعة فيها مستحبة اذا لم يكن المشفوع فيه صاحب أذى ونحوه

(الباب الثامن فى فضل الاصلاح بين الناس)

قال الله تعالى لا خير فى كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس وقال تعالى انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس يعدل بين الاثنين صدقة ويعين الرجل فى دابته فيحمله عليها أو يرفع له عليها متاعه صدقة والكلمة الطيبة صدقة وبكل خطوة يمشيها الى الصلاة صدقة ويميط الاذى عن الطريق صدقة رواه البخارى ومسلم قال النووى رحمه الله معنى يعدل بينهما يصلح بينهما بالعدل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الكذاب الذى يصلح بين الناس فينمى خيرا أو يقول خيرا رواه البخارى ومسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكذب مكتوب الا أن يكذب الرجل فى الحرب فان الحرب خدعة أو يكذب بين اثنين فيصلح بينهما أو يكذب لامرأته ليرضيها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الصدقة اصلاح ذات البين

(الباب التاسع فى الاحسان الى المستضعفين من المؤمنين)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لا يرحم لا يرحم وقال صلى الله عليه وسلم لا تنزع الرحمة الا من قلب شقى وقال صلى الله عليه وسلم الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من فى الارض يرحمكم من فى السماء وقال مالك بن دينار رحمه الله تعالى ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة قلب وما غضب الله عز وجل على قوم الا نزع منهم الرحمة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل ترزقون وتنصرون الا بضعفائكم رواه البخارى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلا عن الله مهلا فانه لولا شباب خشع وبهائم رتع وشيوخ ركع واطفال رضع

لصب

عدم الايمان وسبب عدم الايمان فى الظاهر عدم الهداة والعلماء بالله الهادين الى طريقه بعدم الارادة والمانع من الارادة فمن تنبه من نفسه أو من غيره فله شروط لابد من تقدمها (الشرط الاول) رفع الحجاب والسد وهو أربع المال والجاه والتقليد والمعصية فالمال بان تفرقه والجاه الخلاص عنه بالبعد عن الوطن أو باشهار التواضع والخمول والاقبال على ما يذهب بالجاه والتقليد يرتفع بان يترك تعصب المذاهب وأن يصدق بمعنى قوله لا اله الا الله محمد رسول الله تصديق ايمان ويخوض فى تحقيقه بالاقبال على أعماله المصدقة المحققة له ورفع الآلهة كلها من الهوى والدنيا وجميع ما تركن اليه النفس فعند ذلك يقبل على الله بكنه همته ويداوم على ذكره فينكشف له الاعتقاد الحق لقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وأما المعصية فيتركها جانبا ويضع مكانها الطاعات والندم على ما قدم والتوبة ورد المظالم فاذا فعل وفرغ من هذه الامور الاربعة صار كمن توضأ ورفع الحدث والخبث وستر العورة واستعد للصلاة فعند ذلك لابد له من شيخ سالك طريق الآخرة لنفسه حتى يهتدى به وعند ذلك يكون بين يدى شيخه كالميت بين يدى الغاسل لا يتحرك لنفسه بل يقلبه الغاسل كيف شاء وعندها يذكر قصة موسى مع الخضر عليهما السلام فلا يعترض على شيخه بحال من الاحوال وعند ذلك يؤمر باربعة أشياء

اصب عليكم العذاب صبا وقال صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يرحم صغيرنا ولم يوقر كبيرنا ولم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر وقال صلى الله عليه وسلم ما أكرم شاب شيخا من أجل سنه الا قيض الله له عند سنه من يكرمه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما رواه البخارى وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى بعثنى بالحق لا يعذب الله يوم القيامة من رحم اليتيم ولان له فى الكلام ورحم يتمه وضعفه ولم يتطاول على جاره بفضل ما آتاه الله وقال يا أمة محمد والذى بعثنى بالحق لا يقبل الله صدقة من رجل وله قرابة محتاجون الى صلته ويصرفها الى غيرهم والذى نفسى بيده لا ينظر الله اليه يوم القيامة رواه الطبرانى ورواته ثقات وقال صلى الله عليه وسلم خير بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه وشر بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يساء اليه وقال صلى الله عليه وسلم من مسح رأس يتيم لم يمسحه الا لله كان له بكل شعرة تمر عليها يده حسنات ومن أحسن الى يتيمة ويتيم عنده كنت أنا وهو فى الجنة كهاتين وقرن أصبعيه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آوى يتيما الى طعامه وشرابه أوجب الله له الجنة البتة الا أن يعمل ذنبا لا يغفر ويروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال حرم الله على كل آدمى دخول الجنة قبلى غير أنى أنظر عن يمينى فاذا امرأة تبادرنى الى باب الجنة فأقول ما لهذه تبادرنى فيقال لى يا محمد هذه امرأة حسناء جميلة وكان عندها يتامى لها فصبرت عليهن حتى بلغ أمرهن الذى بلغ فشكر الله لها ذلك وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال الساعى على الارملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله وأحسبه قال وكالقائم الذى لا يفتر وكالصائم الذى لا يفطر وفى الصحيحين عنه أيضا صلى الله عليه وسلم انه قال من ابتلى من هذه البنات بشئ فأحسن اليهن كن له سترا من النار وقال صلى الله عليه وسلم من عال ثلاث بنات أو مثلهن من الاخوات فادبهن ورحمهن حتى يغنيهن الله أوجب الله له الجنة فقال رجل يا رسول الله أو اثنتين قال أو اثنتين حتى لو قال أو واحدة لقال أو واحدة وقال صلى الله عليه وسلم من كانت له أنثى فلم يئدها ولم يهنها ولم يؤثر ولده عليها يعنى الذكور أدخله الله الجنة ويروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من قاد مكفوفا أربعين خطوة غفر له ما تقدم من ذنبه وقال صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة ان أرشدت أعمى فخذ بيده اليسرى بيدك اليمنى فانها صدقة يا أبا هريرة من مشى مع أعمى ميلا فرشده كان له بكل ذراع من الميل عتق رقبة يا أبا هريرة أتريد أن يكون أجرك كأجر شهيد ببدر فانظر رجلا مسلما ليس له ثوب يجمع فيه الجمعة فأعره ثوبا أو هبه له وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم احينى مسكينا وأمتنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين فقالت عائشة رضى الله عنها لم يا رسول الله قال انهم يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفا يا عائشة لا تردى المسكين ولو بشق تمرة يا عائشة احبى المساكين وقربيهم فان الله يقربك يوم القيامة وروى الحسن البصرى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال أكثروا من معرفة الفقراء واتخذوا عندهم الايادى فان لهم دولة قالوا يا رسول الله وما دولتهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة قيل لهم انظروا الى من أطعمكم كسرة وكساكم ثوبا أو سقاكم شربة فى الدنيا فخذوا بيده ثم أفيضوا به الى الجنة قال أبو الدرداء رضى الله عنه أوصانى رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبع خصال أوصانى أن أنظر الى من دونى وأوصانى بحب المساكين والتقرب منهم وأوصانى أن أصل رحمى وان أبعدت وان أقول الحق وان كان مرا وأن لا أخاف فى الله لومة لائم وأن لا أسأل شيئا وأن أستكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله فانها من كنوز الجنة وقال عليه السلام ارحموا ثلاثة عالما بين الجهال وعزيز قوم ذل وغنى قوم افتقر وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان فى نفر من أصحابه فى بيته يأكلون فقام سائل على الباب وبه زمانة يتكره منها فأذن له فلما دخل أجلسه رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذه ثم قال له اطعم فكأن رجلا من قريش اشمأز وتكرهه فما مات ذلك حتى كانت به زمانة مثلها وروى أنه كان عليه الصلاة والسلام يطعم فجاءه رجل أسود به جدرى قد تقشر فجعل لا يجلس الى أحد الا قام من جنبه فاجلسه النبى صلى الله عليه وسلم الى جنبه وقال الفضيل بن عياض رحمه الله

الخلوة والصمت والجوع والسهر فالجوع مراد لتقليل دم القلب فقيه بياضه ونوره والذوبان شحم الفؤاد وفيه رقته وهى مفتاح المكاشفة كما أن القسوة التى هى ضد الرقة سبب الحجاب واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضى الله عنها ضيقى مجارى الشيطان بالجوع وقال عيسى عليه السلام للحواريين جوعوا بطونكم لعل قلوبكم ترى ربكم وقال سهل رضى الله عنه ما صار الابدال ابدالا الا بأربع خصال اخماص البطون والسهر والصمت والاعتزال عن الناس أما السهر فانه أيضا يجلو القلب فينوره والجوع يعين على السهر ويتعاضدان فى تنوير القلب والنوم يقسى القلب ويميته الا اذا كان بقدر الضرورة فقيل فى حق الابدال ان نومهم غلبة وأكلهم فاقة وكلامهم ضرورة وقال ابراهيم الخواص اجتمع رأى سبعين صديقا على أن كثرة النوم من كثرة شرب الماء وأما الصمت فيتيسر بالعزلة والخلوة وشره الكلام الى القلوب خصوصا لمن ذاق شيئا من العلم عظيم والفطام عنه شديد لكنه كثير الفائدة وغزير الجدوى فبه يتوجه الباطن الى الغيب ويعرض عن هذه الحياة الدنيا وأما الخلوة ففائدتها دفع الشواغل ليتفرغ للمقصود اذ لابد من ركود حواسه حتى يتحرك قلبه وذلك بالخلوة فقط ثم الاولى أن يكون فى بيت مظلم حتى لا يقع بصره على شئ يشغله

بلغني أن نبيا من الانبياء قال يا رب كيف لي أن أعلم رضاك عني قال الله انظر كيف رضا المساكين عنك
ويروى أن موسى عليه السلام قال الهي أين أبغيك قال عند المنكسرة قلوبهم وذكر أبو محمد رحمه الله في
معالم التنزيل ان عبد الله بن أم مكتوم أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يناجي عتبة بن ربيعة وأبا جهل
والعباس وأبي بن خلف وأخاه أمية يدعوهم الى الله يرجو اسلامهم فقال ابن أم مكتوم يا رسول الله أقرئني
وعلمني مما علمك الله فجعل يناديه ويكرر النداء ولا يدري أنه مقبل على غيره حتى ظهرت الكراهية في وجه
رسول الله صلى الله عليه وسلم لقطعه كلامه وقال في نفسه يقول هؤلاء الصناديد انما اتباعه العميان والعبيد
والسفلة فعبس وجهه وأعرض عنه وأقبل على القوم الذين يكلمهم فانزل الله عبس وتولى الآية فكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يكرمه واذا رآه قال مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ويقول له هل لك من حاجة
واستخلفه على المدينة مرتين في غزوتين غزاهما قوله تعالى عبس كلح وتولى أعرض أن جاءه الاعمى هو ابن
أم مكتوم وما يدريك لعله يزكى يتطهر من الذنوب بالعمل الصالح وما يتعلمه منك أو يذكر يتعظ فتنفعه
الذكرى الموعظة أما من استغنى قال ابن عباس رضي الله عنهما عن الله وعن الايمان بما له من المال فأنت له
تصدى تتعرض له وتقبل عليه وتصغي الى كلامه وما عليك أن لا يزكى لا يؤمن ولا يهتدي ان عليك الا البلاغ
وأما من جاءك يسعى يعني ابن أم مكتوم وهو يخشى الله عز وجل فأنت عنه تلهى تتشاغل وتعرض عنه
كلا زجر أي لا تفعل بعدها مثلها انها يعني هذه الموعظة تذكرة موعظة وتذكير للخلق وروى أن النبي صلى
الله عليه وسلم ما عبس بعدها في وجه فقير ولا تصدى لغني

(الباب العاشر في السلام ونحوه وفيه خمسة فصول)

(الفصل الاول في السلام) قال الله تعالى فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة
طيبة وقال تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي
الله عنهما ان رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الاسلام خير قال تطعم الطعام وتقرئ
السلام على من عرفت ومن لم تعرف رواه البخاري ومسلم وقال صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس أفشوا
السلام وأطعموا الطعام وصلوا الارحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام صححه الترمذي
وعن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليكم
فرد عليه ثم جلس فقال النبي صلى الله عليه وسلم عشر ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله فرد عليه فجلس
فقال عشرون ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد عليه فجلس فقال ثلاثون حسنه الترمذي
وقال صلى الله عليه وسلم يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد والقليل على الكثير والصغير على
الكبير رواه البخاري وقال صلى الله عليه وسلم ان أولى الناس بالله من بدأهم بالسلام رواه أبو داود وقال
صلى الله عليه وسلم اذا لقي أحدكم أخاه المسلم فليسلم عليه فان حالت بينهما شجرة أو جدار أو حجر ثم لقيه فليسلم
عليه رواه أبو داود وعن أنس رضي الله عنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني اذا دخلت على
أهلك فسلم يكن بركة عليك وعلى أهل بيتك رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وعن أسماء بنت يزيد
رضي الله عنهما قالت مر علينا النبي صلى الله عليه وسلم في نسوة فسلم علينا رواه أبو داود وقال صلى الله
عليه وسلم لا تبدؤا اليهود والنصارى بالسلام فاذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه الى أضيقه رواه مسلم
وقال صلى الله عليه وسلم اذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم رواه البخاري ومسلم وعن أسامة رضي
الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم مر على مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين وعبدة الاوثان واليهود
فسلم عليهم النبي صلى الله عليه وسلم رواه البخاري ومسلم وقال صلى الله عليه وسلم اذا انتهى أحدكم الى
المجلس فليسلم فاذا أراد أن يقوم فليسلم فليست الاولى بأحق من الآخرة رواه أبو داود والترمذي وقال
حديث حسن وقال جابر رضي الله عنه وقتادة والضحاك في قوله تعالى فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم
هي في دخول الرجل بيت نفسه يسلم على أهله ومن في بيته وقال قتادة اذا دخلت بيتك فسلم على أهلك فهم

فان لم يكن مظاما فليلف رأسه
في ثوب أو يغمض عينيه فعند ذكر الحواس يسمع نداء الحق ويشاهد جمال الحضرة الربوبية الا
ترى انه نودى عليه السلام
فقيل يا أيها المزمل يا أيها المدثر
فاذا فعل ذلك من الجوع
والخلوة والسهر والصمت
فيلقن ذكرا من الاذكار
وهو أن يجلس في زاوية
بيت على الوضوء مستقبل
القبلة فيقول بلسانه الله
الله لا يزال يقول كذلك
ويحضر القلب والحواس
كلها لاستماع الكلمة من
اللسان ويواظب عليه الى
أن تسقط عنه حركة اللسان
بالتكلف فيصير بحيث
تجري على لسانه من غير
اختياره ثم يرجع من
اللسان الى القلب وهو كلما
سكت القلب عاد الى الذكر
باللسان فاذا أخذ القلب
في الذكر سكت اللسان ولا
يزال كذلك الى أن ينمحي
عن القلب الحروف ويبقى
ذكر صاف عري عن
الحروف ثم يرتفع عن
الذكر فيصير حاله مستدامة
ويتيقظ لما يجري عليه من
الوقائع فيذكرها لشيخه
وهو يرى في تلك الوقائع
ما يجري عليه من الصفاء
والكدورة وما يتجدد عليه
من الخيالات والوساوس
والاحوال الصحيحة لا يمكن
أن يعلمها بنفسه بل يلقيها
الى الشيخ فهو أعلم بذلك
وهو على جميع الاحوال
ما دام عالما بوجود نفسه
فعليه بالذكر قال الله تعالى
قل الله ثم ذرهم فاذا غلب
عليه موسوسة أو خاطر سوء فادام غائبا لا يدري ما يجري عليه فلا حرج عليه فاذا ثاب الى نفسه ورجع الى عمله يرجع

أحق من سلمت عليهم واذا دخلت بيتا لا أحد فيه فسلم فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين حدثنا أن
الملائكة ترد عليه السلام وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال ان لم يكن في البيت أحد فليقل السلام علينا
من ربنا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على أهل البيت ورحمة الله

(الفصل الثاني في الاستئذان) قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى
تستأنسوا وتسلموا على أهلها وفي الصحيحين عن أبي موسى رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الاستئذان ثلاث فان أذن لك والا فارجع وقال صلى الله عليه وسلم الاستئذان ثلاث فالاولى يستنصتون
والثانية يستصلحون والثالثة يأذنون أو يردون وقال صلى الله عليه وسلم لو ان امرأ اطلع عليك بغير اذن
فخذفته بحصاة ففقأت عينه ما عليك جناح

(الفصل الثالث في تشميت العاطس) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله
يحب العطاس ويكره التثاؤب فاذا عطس أحدكم وحمد الله تعالى كان حقا على كل مسلم سمعه أن يقول له
يرحمك الله وأما التثاؤب فانما هو من الشيطان فاذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع فان أحدكم اذا تثاءب
ضحك منه الشيطان رواه البخاري قال العلماء العطاس سببه محمود وهو خفة الجسم التي تكون لقلة الاخلاط
وتخفيف الغذاء وهو أمر مندوب اليه لانه يضعف الشهوة ويسهل الطاعة والتثاؤب بضد ذلك والله أعلم
وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله وليقل له أخوه أو صاحبه يرحمك الله فليقل
يهديكم الله ويصلح بالكم رواه البخاري وعن أبي موسى رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول اذا عطس أحدكم فحمد الله فشمتوه فان لم يحمد الله فلا تشمتوه رواه مسلم وقال أبو عاصم العبادي فان
لم يسمع حمده قال يرحمك الله ان حمدته وقال أبو عاصم أيضا ولو عطس ولم يكن عنده أحد قال الحمد لله يرحمني
الله قال النووي رحمه الله أجمعت الامة على أن التشميت مشروع ثم اختلفوا في ايجابه فاوجبه أهل الظاهر
وابن مريم من المالكية على كل من سمعه لظاهر قوله صلى الله عليه وسلم فحق على كل مسلم سمعه أن يشمته قال
القاضي والمشهور من مذهب مالك انه فرض كفاية قال وبه قال جماعة من العلماء كرد السلام ومذهب
الشافعي وأصحابه وآخرين أنه سنة وأدب وليس بواجب ويحملون الحديث على الندب والادب كقوله صلى الله
عليه وسلم حق على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام قال القاضي قال بعض شيوخنا وانما أمر العاطس
بالحمد لما حصل له من المنفعة بخروج ما اختنق في دماغه من الابخرة

(الفصل الرابع في المصافحة) عن البراء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلمين
يلتقيان فيتصافحان الا غفر لهما قبل أن يتفرقا رواه أبو داود

(الفصل الخامس في النهي عن التهاجر والتقاطع) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل لمسلم أن يهجر
أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام رواه البخاري ومسلم
وقال صلى الله عليه وسلم تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئا الا رجل
كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقال انظروا هذين حتى يصطلحا رواه مسلم قال النووي رحمه الله قال الباجي
معنى فتحها كثرة الصفح والغفران ورفع المنازل واعطاء الثواب الجزيل قال القاضي عياض ويحتمل
أن يكون على ظاهره وان فتح أبوابها علامة لذلك قال الغزالي رحمه الله الهجران فوق ثلاثة جائز في موضعين
أحدهما أن يرى استصلاحا للمهجور في الزيادة والثاني أن يرى لنفسه فيها سلامة

(الباب الحادي عشر في عيادة المريض)

في الصحيحين عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعيادة المريض
واتباع الجنائز وتشميت العاطس وابرار المقسم ونصر المظلوم واجابة الداعي وافشاء السلام وقال صلى
الله عليه وسلم من عاد مريضا أو زار أخا له في الله ناداه مناد بان طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا
وقال صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يعود مسلما غدوة الا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي وان عاده عشية

الى الذكر قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم
مبصرون واما ينزغنك من
الشيطان نزغ فاستعذ بالله
انه سميع عليم ويلازم الذكر
طول العمر فعساه يرزق
أن يكون من ملوك الدين
الذين تكشف لهم الحقائق
ويرى ما لا عين رأت ولا
أذن سمعت ولا خطر على
قلب بشر فان لم يكشف له
شئ فليداوم فانه عند ظهور
ناصية ملك الموت عليه
السلام ينكشف له ذلك
ويصل الى المقصود ان شاء
الله تعالى فافهم تغنم والله
أعلم

*(الباب الثالث والعشرون
في كسر الشهوتين شهوة
البطن والفرج وفيه
فصول)*

اعلم أن منشأ جميع الآفات
شهوة البطن ومنها تتشعب
شهوة الفرج ومنها أصيب
آدم عليه السلام فاخرج
من الجنة وهي التي تنتهي
بالرجل الى أن يطلب الدنيا
ويرغب فيها

*(بيان فضيلة الجوع وذم
الشبع)* قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم جاهدوا
أنفسكم بالجوع والعطش
فان الاجر في ذلك كأجر
المجاهد في سبيل الله وانه ليس
من عمل أحب الى الله تعالى
من جوع وعطش وقال ابن
عباس رضي الله عنه قال
النبي صلى الله عليه وسلم
لا يدخل ملكوت السماء
من ملأ بطنه وروى أبو سعيد
الخدري رضي الله عنه أنه
صلى الله عليه وسلم قال البسوا واشربوا وكلوا في أنصاف البطون فانه جزء من النبوة وقال الحسن رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

الاصلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح وكان له خريف فى الجنة حسنه الترمذى قال النووى رحمه الله الخريف التمر المخروف أى المجتنى وقال صلى الله عليه وسلم اذا دخلتم على مريض فنفسوا له فى أجله فان ذلك لا يرد شيأ ويطيب نفسه وقال أنس رضى الله عنه دخل النبى صلى الله عليه وسلم على رجل يعوده فقال هل تشتهى شيأ أتشتهى كعكا قال نعم فطلبه له وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكرهوا مرضاكم على الطعام فان الله يطعمهم ويسقيهم وعن عمر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخلت على مريض فمره فليدع لك فان دعاءه كدعاء الملائكة

(الباب الثانى عشر فى بر الوالدين وصلة الارحام)

قال الله تعالى وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما أى حسنا جميلا لينا قليلا لا تسميهما ولا تكنهما وقل يا أباه ويا أماه وقيل اذا بلغا عندك من الكبر ما يبولان فلا تتقذرهما ولا تقل لهما أف حتى تميط عنهما البول كما كانا يميطان عنك صغيرا واخفض لهما جناح الذل من الرحمة أى ألن جانبك لهما واخضع من الرحمة أى الشفقة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا أى اذا كانا مسلمين لقوله تعالى ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ربكم أعلم بما فى نفوسكم من بر الوالدين وعقوقهما ان تكونوا صالحين أبرارا مطيعين بعد تقصير كان منكم فى القيام بما لزمكم من حق الوالدين وغير ذلك فانه كان للأوابين بعد المعصية غفورا والأواب الرجاع الى الخير عن ابن مسعود رضى الله عنه قال سألت النبى صلى الله عليه وسلم أى الاعمال أحب الى الله تعالى قال الصلاة على وقتها قلت ثم أى قال بر الوالدين قلت ثم أى قال الجهاد فى سبيل الله رواه البخارى ومسلم وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتى قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال أبوك رواه البخارى ومسلم وفى رواية يا رسول الله من أحق بحسن الصحبة قال أمك ثم أمك ثم أمك ثم أباك ثم أدناك أدناك قال النووى رحمه الله الصحابة بمعنى الصحبة قال وقوله أباك هكذا هو منصوب بفعل محذوف أى ثم بر أباك وفى رواية ثم أبوك وهى أوضح قال صلى الله عليه وسلم من أحب أن يبسط له فى رزقه وينسأ له فى أثره فليصل رحمه رواه البخارى ومسلم قال النووى رحمه الله معنى ينسأ له فى أثره أى يؤخر له فى أجله وعمره قال أبو الليث السمرقندى رحمه الله اختلفوا فى زيادة العمر فقال بعضهم الخبر على ظاهره ان من يصل رحمه يزاد فى عمره وقال بعضهم لا يزاد فى الاجل الذى أجل الله تعالى لان الله تعالى قال فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ولكن معنى زيادة العمر أن يكتب ثوابه بعد موته فكأنه زيد فى عمره قال والصحيح ان هذه الزيادة بالبركة فى عمره والتوفيق للطاعات وعمارة أوقاته بما ينفعه فى الآخرة وصيانتها عن الضياع فى غير ذلك وقال صلى الله عليه وسلم ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل الذى اذا قطعت رحمه وصلها رواه البخارى قال النووى رحمه الله قطعت بفتح القاف والطاء ورحمه مرفوع وقال صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلنى وصله الله ومن قطعنى قطعه الله رواه البخارى ومسلم وعن أبى أيوب الانصارى رضى الله عنه أن رجلا قال يا رسول الله أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة فقال النبى صلى الله عليه وسلم تعبد الله ولا تشرك به شيأ وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصل الرحم رواه البخارى ومسلم قال ابن الملقن اختلفوا فى حد الرحم التى يجب صلتها فقيل فى كل رحم محرم بحيث لو كان أحدهما ذكرا والآخر أنثى حرمت مناكحتهما فعلى هذا لا يدخل أولاد الاعمام وأولاد الاخوال واحتج هذا القائل بتحريم الجمع بين المرأة وعمتها وخالتها فى النكاح ونحوه وجوز ذلك فى بنات الاعمام والاخوال وقيل هو عام فى كل رحم من الارحام فى الميراث يستوى فيه المحرم وغيره ويدل عليه قوله عليه السلام ثم أدناك أدناك قلت وروى اذا افتتحتم مصر فاستوصوا بأهلها خيرا فان لهم ذمة ورحما أخرجه مسلم وعن ابن عمر رضى الله عنه قال كانت تحتى امرأة وكنت أحبها وكان عمر يكرهها فقال لى طلقها فأبيت فأتى عمر رضى الله عنه النبى صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال النبى صلى الله عليه وسلم طلقها رواه أبو داود

والترمذى

أفضلكم منزلة عند الله تعالى أطولكم جوعا وتفكرا وأبغضكم الى الله تعالى كل نؤوم أكول شروب وقال عليه الصلاة والسلام ان الله تعالى يباهى الملائكة بمن قل طعامه فى الدنيا يقول انظروا الى عبدى ابتليته بالطعام والشراب فى الدنيا فتركهما لاجلى اشهدوا يا ملائكتى ما من أكلة يدعها الا أبدلته بها درجات فى الجنة وقال أبو سليمان لان أترك لقمة من عشائى أحب الى من قيام ليلة الى الصبح وقد بينا أنه يجلب الرقة والانكسار ويدفع الاشر والبطر ومن فوائده أن لا ينسى البلاء وأهله والعذاب وكسر سائر الشهوات وبه يستولى على النفس والشيطان فيقمعهما وبه يدوم السهر ويندفع النوم ولذلك كان بعض الشيوخ يقف على رأس السفرة ويقول معاشر المريدين لا تأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتتحسروا كثيرا فبالجوع تتيسر المواظبة على العبادة فمن شبع كسل عن الطاعات وكثرة الاكل تستدعى كثرة الاستعداد من الطلب والطبخ وغسل اليد والخلال والتردد الى بيت الماء للاستفراغ (حكى) السرى عن بعض الشيوخ انه كان يستف سويقا فقيل له فى ذلك فقال انى حسبت ما بين المضغ الى الاستفاف سبعين تسبيحة فما مضغت الخبز منذ أربعين سنة واعلم ان من تيقن أن كل نفس جوهر لا قيمة له حاسب على تضييعه * ومن فوائد الجوع صحة

والترمذى وقال حديث حسن صحيح وعن أبى الدرداء رضى الله عنه أن رجلا أتاه فقال ان لى امرأة وان أمى تأمرنى بطلاقها فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الوالد أوسط أبواب الجنة فان شئت فاضع ذلك الباب أو احفظه صححه الترمذى وقال صلى الله عليه وسلم الخالة بمنزلة الام صححه الترمذى وقال رجل يا رسول الله انى أصبت ذنبا عظيما فهل لى من توبة قال هل لك من أم قال لا قال وهل لك من خالة قال نعم قال فبرها وقال صلى الله عليه وسلم أبر البر أن يصل الرجل ود أبيه رواه مسلم وروى أبو داود أن رجلا من بنى سلمة قال يا رسول الله هل بقى من بر أبوى شئ أبرهما به بعد موتهما فقال نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما من بعدهما وصلة الرحم التى لا توصل الا بهما واكرام صديقهما وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس رواه البخارى وقال صلى الله عليه وسلم من الكبائر شتم الرجل والديه قالوا يا رسول الله وهل يشتم الرجل والديه قال نعم يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه رواه البخارى ومسلم وقال صلى الله عليه وسلم ان الله حرم عليكم عقوق الامهات ومنعا وهات ووأد البنات وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال رواه البخارى ومسلم قال النووى رحمه الله قوله منعا معناه منع ما وجب عليه وهات طلب ما ليس له ووأد البنات دفنهن فى الحياة وقيل وقال معناه الحديث بكل ما يسمعه فيقول قيل كذا وقال فلان كذا مما لا يعلم صحته ولا يظنها وكفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع واضاعة المال تبذيره وصرفه فى غير الوجوه المأذون فيها من مقاصد الآخرة والدنيا وترك حفظه مع امكان الحفظ وكثرة السؤال الالحاح فيه بلا حاجة اليه وقال صلى الله عليه وسلم لا تنزل الرحمة على قوم فيهم قاطع رحم وقال صلى الله عليه وسلم رضا الله فى رضا الوالد وسخط الله فى سخط الوالد وقال صلى الله عليه وسلم الجنة تحت أقدام الامهات وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة عاق ولا منان ولا مدمن خمر ولا مؤمن بسحر وذكر أبو الليث السمرقندى رحمه الله عن أنس رضى الله عنه أن شابا كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى علقمة فمرض واشتد مرضه فقيل له قل لا اله الا الله فلم ينطلق لسانه فاخبر بذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال هل له أبوان فقيل أما أبوه فقد مات وله أم كبيرة فارسل اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءت فسألها عن حاله فقالت يا رسول الله كان يصلى كذا وكذا وكان يصوم كذا وكذا وكان يتصدق بجملة دراهم ما ندرى ما وزنها ولا عددها قال فما حالك وحاله قالت يا رسول الله أنا عليه ساخطة واجدة قال لها ولم ذلك قالت كان يؤثر على امرأته ويطيعها فى الاشياء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سخط أمه حجب لسانه عن شهادة أن لا اله الا الله ثم قال لبلال انطلق واجمع حطبا كثيرا حتى أحرقه بالنار فقالت يا رسول الله ابنى وثمرة فؤادى تحرقه بالنار بين يدى وكيف يحتمل قلبى ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرك أن يغفر الله له فارضى عنه فوالذى نفسى بيده لا ينتفع بصلاته ولا بصدقته ولا بصومه ما دمت عليه ساخطة فرفعت يدها وقالت أشهد الله تعالى فى سمائه وأنت يا رسول الله ومن حضر أنى قد رضيت عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بلال انطلق فانظر هل يستطيع علقمة أن يقول لا اله الا الله فلعل أمه تكلمت بما ليس فى قلبها حياء من رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق بلال فلما انتهى الى الباب سمع علقمة يقول لا اله الا الله ومات من يومه وغسل وكفن وصلى عليه ثم قام على شفير القبر وقال يا معشر المهاجرين والانصار من فضل زوجته على أمه فعليه لعنة الله ولا يقبل منه صرف ولا عدل يعنى الفرائض والنوافل وعن العوام بن حوشب قال نزلت مرة حيا والى جانب ذلك الحى مقبرة فلما كان بعد العصر انشق منها قبر فخرج رجل رأسه رأس حمار وجسده جسد انسان فنهق ثلاث نهقات ثم انطبق عليه القبر فاذا عجوز تغزل شعرا أو صوفا فقالت امرأة ترى تلك العجوز قلت ما لها قالت تلك أم هذا قلت وما كانت قصته قالت كان يشرب الخمر فاذا راح تقول له أمه يا بنى اتق الله الى متى تشرب هذا الخمر فيقول لها انما أنت تنهقين كما ينهق الحمار قالت فمات بعد العصر فهو ينشق عنه القبر بعد العصر كل يوم فينهق ثلاث نهقات ثم ينطبق عليه القبر رواه الاصبهانى وعن وهب بن منبه أن الله تعالى قال يا موسى وقر والديك فانه من وقر والديه مددت فى عمره

النفس والبدن فان من قل أكله قل مرضه * ومن فوائده القدرة على الايثار ونيل الفضيلة (بيان طريق الرياضة فى كسر شهوة النفس والبطن) اعلم انه بعد أن يكون الطعام حلالا كما سبق ذكره فعليه ثلاث وظائف وهى تقدير قدر الطعام فى القلة والكثرة وتقدير وقته فى الابطاء والسرعة وتعيين جنس المأكول (الوظيفة الاولى) فى تقليل الطعام وسبيله التدريج فمن انتقل من الكثير الى القليل دفعة واحدة فسد مزاجه فليتدرج فيه بان يحسب على نفسه فان كان يأكل كل يوم ثلاثة أرغفة مثلا فينقص كل يوم نحوا من ثلث عشر رغيف وهو جزء من ثلاثين جزأ من رغيف ففى شهر ينقص رغيف وفى شهرين رغيفان ولا يشق عليه ويكون هذا التدريج بحيث يبقى ويعتمد عليه وله الآن فيما يرد اليه درجات واقتنع الصديقون فى ذلك بقدر ما يقيم الحياة والعقل واليه الاشارة بقوله عليه الصلاة والسلام حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه (والدرجة الثانية) أن يرد نفسه بالرياضة فى اليوم والليلة الى نصف مد وهو رغيف وشئ فهو مما يكون الاربعة منه منا ويقرب منه عادة عمر رضى الله عنه فانه كان يأكل سبع لقم أو تسعا (الدرجة الثالثة) أن يرد بالرياضة فى اليوم والليلة الى مقدار المد وهو رغيفان ونصف وهذا يزيد على ثلث البطن (والدرجة الرابعة) أن يزيد على المد الى المن وهذا هو النهاية وما وراءه اسراف يكاد يدخل تحت قوله تعالى كلوا

ووهبت له ولدا يبره ومن عق والديه قصرت عمره ووهبت له ولدا يعقه وقال سفيان بن عيينة في قوله تعالى أن اشكر لي ولوالديك من صلى الخمس فقد شكر الله ومن دعا لوالديه عقبها فقد شكرهما وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال حق كبير الاخوة على صغيرهم كحق الوالد على ولده

(قصة البقرة)

قال الله تعالى واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة وذلك أنه كان في بني اسرائيل رجل غني وله ابن عم فقير لا وارث له سواه فلما طال عليه موته قتله ليرثه وحمله الى قرية أخرى فالقاه بفنائهم ثم أصبح يطلب ثاره وجاء بناس الى موسى عليه السلام يدعى عليهم القتل فسألهم موسى فجحدوا فاشتبه أمر القتيل على موسى عليه السلام قال الكلبي وذلك قبل نزول القسامة في التوراة فسألوا موسى أن يدعو الله ليبين لهم فامرهم بذبح بقرة فقال لهم موسى ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا ونحن نسألك عن أمر القتيل وتأمرنا بذبح بقرة وانما قالوا ذلك لبعد ما بين الامرين في الظاهر ولم يدروا ما الحكمة فيه فقال موسى أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين أي من المستهزئين بالمؤمنين وقيل من الجاهلين بالجواب لا على وفق السؤال فلما علم القوم أن ذبح البقرة عزم من الله عز وجل استوصفوها ولو أنهم عمدوا الى أدنى بقرة فذبحوها لاجزأت عنهم ولكنهم شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم وكان تحته حكمة وذلك أنه كان في بني اسرائيل رجل صالح له ابن طفل وله عجلة أتى بها الى غيضة وقال اللهم اني استودعك هذه العجلة لابني حتى يكبر ومات الرجل وصارت العجلة في الغيضة عوانا وكانت تهرب من كل من رآها فلما كبر الابن كان بارا بوالدته فكان يقسم الليلة ثلاثة أثلاث يصلي ثلثا وينام ثلثا ويجلس عند رأس أمه ثلثا فاذا أصبح انطلق فاحتطب على ظهره فيأتي به السوق فيبيعه بما شاء الله ثم يتصدق بثلثه ويأكل ثلثه ويعطي والدته ثلثه فقالت له أمه يوما ان أباك ورثك عجلة استودعها الله في غيضة كذا فانطلق وادع اله ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب أن يردها عليك وعلامتها أنك اذا نظرت اليها تخيل اليك أن شعاع الشمس يخرج من جلدها وكانت تسمى المذهبة لحسنها وصفرتها فأتى الفتى الغيضة فرآها ترعى فصاح بها فقال أعزم عليك باله ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب فاقبلت تسعى حتى قامت بين يديه فقبض على عنقها يقودها فتكلمت باذن الله تعالى وقالت أيها الفتى البار بوالدته اركبني فان ذلك أهون عليك فقال الفتى ان أمي لم تأمرني بذلك ولكن قالت خذ بعنقها فقالت البقرة باله بني اسرائيل لو ركبتني ما تقدر علي أبدا فانطلق فانك لو أمرت الجبل أن يقتلع من أصله وينطلق معك لفعل لبرك فسار الفتى بها الى أمه فقالت له انك فقير لا مال لك ويشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق فبع هذه البقرة قال بكم أبيعها قالت بثلاثة دنانير ولا تبع بغير مشورتي وكان ثمن البقرة ثلاثة دنانير فانطلق بها الى السوق فبعث الله ملكا ليرى خلقه قدرته وليخبر الفتى كيف بره بوالدته وكان الله به خبيرا فقال له الملك بكم تبيع هذه البقرة قال بثلاثة دنانير وأشترط عليك رضا والدتي فقال الملك لك ستة دنانير ولا تستأمر والدتك فقال الفتى لو أعطيتني وزنها ذهبا لم آخذه الا برضا أمي فردها الى أمه فاخبرها بالثمن فقالت ارجع فبعها بستة دنانير على رضا مني فانطلق بها الى السوق وأتى الملك فقال استأمرت أمك قال الفتى انما أمرتني أن لا انقصها عن الستة على أن أستأمرها فقال الملك فاني أعطيك اثني عشر على أن لا تستأمرها فأبى الفتى ورجع الى أمه فاخبرها بذلك فقالت ان الذي يأتيك ملك في صورة آدمي ليجربك فاذا أتاك فقل له أتأمرنا أن نبيع هذه البقرة أم لا فقعل فقال له الملك اذهب الى أمك وقل لها امسكي هذه البقرة فان موسى بن عمران يشتريها منكم لقتيل يقتل في بني اسرائيل ولا تبيعوها الا بملء مسكها دنانير فامسكوها وقدر الله على بني اسرائيل ذبح تلك البقرة بعينها فما زالوا يتواصفون حتى وصف لهم تلك البقرة مكافأة له على بره بوالدته فضلا منه ورحمة ثم ان الله تعالى أمر موسى أن يأمر قومه أن يضربوا القتيل ببعضها واختلف المفسرون في ذلك البعض فقال ابن عباس رضي الله عنهما وأكثر المفسرين ضربوه بالعظم الذي يلي الغضروف وهو المقتل وقال سعيد بن جبير بعجب الذنب لانه أول ما يخلق وآخر ما يبلى

واشربوا ولا تسرفوا وله طريق آخر وهو أن يمد يده بعد الجوع ويمسك قبل الشبع ولا يتجاسر لكنه فيه خطر اذ لعله لا يطلع على صدق الجوع فيلتبس عليه الامر وقد قيل ان الجوع الصادق ان لا يطلب الادم وقيل أن لا يميز بين خبز وخبز واعلم أن ذلك يختلف باختلاف الاشخاص فلا يمكن تقديره بل على كل أحد أن ينظر في حق نفسه وقال سهل لو كانت الدنيا دما عبيطا لكان قوت المؤمن منها حلالا لان أكل المؤمن بقدر الضرورة وبقدر القوام (الوظيفة الثانية في وقت الاكل) ومن المريدين من رد الرياضة الى الطي لا الى المقدار فمنهم من طوى ثلاثة أيام ومنهم من زاد الى الثلاثين والاربعين وانتهى اليه جمع كثير منهم سليمان الخواص وسهل بن عبد الله وابراهيم الخواص * وروى أن بعض العلماء الصوفية قال من طوى أربعين يوما عن الطعام ظهرت له قدرة من الملكوت أي كوشف ببعض الاسرار الالهية وقد وقف بعض هذه الطائفة على راهب فذاكره بحاله وطمع في اسلامه فقال له الراهب ان المسيح كان يطوي أربعين يوما وانها معجزة لا تكون الا لنبي صادق فقال له الصوفي فان طويت خمسين يوما تترك ما أنت عليه وتدخل في دين الاسلام قال نعم فقعد لا يبرح الا حيث يراه حتى طوى خمسين يوما فقال أزيدك الى تمام الستين وفعل فتعجب الراهب

ويركب عليه الخلق وقال الضحاك بلسانها قال الحسن بن الفضل لانه آلة الكلام ففعلوا ذلك فقام القتيل حيا باذن الله تعالى وأوداجه تشخب دما وقال قتلني فلان ثم سقط ومات مكانه فحرم قاتله الميراث وفي الخبر ما ورث قاتل بعد صاحب البقرة واسم القتيل عاميل والله أعلم

(الباب الثالث عشر في حقوق الاولاد وحث الآباء على تأديبهم)

قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا قال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أي بالانتهاء عما نهاكم الله عنه والعمل بطاعته وأهليكم نارا يعني مروهم بالخير وانهوهم عن الشر وعلموهم وادبوهم تقوهم بذلك نارا وقودها الناس والحجارة يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ما نحل الوالد ولده من نحلة أفضل من أدب حسن وقال صلى الله عليه وسلم مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم على تركها وهم أبناء عشر سنين وفرقوا بينهم في المضاجع وقال صلى الله عليه وسلم كفى بالمرء اثما أن يضيع من يقوت وقال صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكل راع مسؤل عن رعيته رواه البخاري ومسلم قال العلماء الراعي هو الحافظ المؤتمن الملتزم صلاح ما قام عليه وهو ما تحت نظره وقال صلى الله عليه وسلم اتقوا واعدلوا بين أولادكم وقال صلى الله عليه وسلم الغلام يعق عنه يوم السابع ويسمى ويماط عنه الاذى فاذا بلغ ست سنين أدب فاذا بلغ تسع سنين عزل فراشه فاذا بلغ ثلاث عشرة سنة يضرب على الصلاة فاذا بلغ ست عشرة سنة زوجه أبوه ثم أخذ بيده وقال قد أدبتك وأنكحتك أعوذ بالله من فتنتك في الدنيا وعذابك في الآخرة وقال صلى الله عليه وسلم من حق الولد على الوالد أن يحسن أدبه ويحسن اسمه وقال صلى الله عليه وسلم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فاحسنوا أسماءكم وقال صلى الله عليه وسلم ان أحب أسمائكم الى الله عبد الله وعبد الرحمن وقال صلى الله عليه وسلم لا تسمين غلامك يسارا ولا رباحا ولا نجيحا ولا أفلح فانك تقول أثم هو فلا يكون فتقول لا (وحكى) الغزالي رحمه الله عن عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية أنه قال بلغني أن السقط يوم القيامة وراء أبيه فيقول أنت ضيعتني وأنت تركتني لا اسم لي فقال عمر بن عبد العزيز كيف ولا يدرى أنه غلام أو جارية فقال عبد الرحمن من الاسماء ما يجمعهما حمزة وعمارة وطلحة وعيينة وذكر أبو الليث السمرقندي رحمه الله عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال حق الولد على الوالد ثلاثة أشياء أن يحسن اسمه اذا ولد ويعلمه الكتاب اذا عقل ويزوجه اذا أدرك قال أبو الليث السمرقندي وجاء رجل بابنه الى عمر رضي الله عنه فقال ابني هذا يعقني فقال عمر رضي الله عنه للابن أما تخاف من عقوق والدك فان من حق الوالد كذا وكذا فقال الابن يا أمير المؤمنين أما للابن على والده حق قال نعم عليه أن ينتخب أمه ويحسن اسمه ويعلمه الكتاب قال فوالله ما انتخب أمي ما هي الا سندية اشتراها بأربعمائة درهم ولا أحسن اسمي سماني جعلا ولا علمني من كتاب الله آية واحدة فالتفت عمر الى الاب وقال تقول ابني يعقني وقد عققته قبل أن يعقك قم عني (وحكى) أبو الليث أن رجلا جاء الى بعض العلماء فقال ان ابني يضربني قال سبحان الله الابن يضرب أباه قال نعم ضربني فاوجعني فقال له هل علمته الادب والعلم قال لا قال وهل علمته القرآن قال لا قال وأي عمل يعلمه قال الزراعة قال هل علمت لاي شئ ضربك قال لا قال فلعله حين أصبح وتوجه الى الزراعة وهو راكب على الحمار والثيران بين يديه والكلب خلفه وهو لا يحسن القرآن فعرضت له في ذلك الوقت فظن انك بقرة فاحمد الله تعالى حيث لم يكسر رأسك

(الباب الرابع عشر في حقوق الجيران والوصية بهم والنهي عن ايذائهم)

قال الله تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وبالوالدين احسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه وعن أبي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا ذر اذا طبخت مرقة فاكثر ماءها وتعاهد جيرانك رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن قيل من يا رسول الله قال الذي لا يأمن جاره بوائقه رواه البخاري ومسلم وفي رواية مسلم لا يدخل الجنة من

وقال ما ظننت ان أحدا يزيد على المسيح وكان ذلك سبب اسلامه وهذه درجة عظيمة لا يبلغها الا مكاشف مجمول شغل بمشاهدة ما قطعه عن طبعه وعادته واستوفى نفسه في لذته وأنساه جوعه وحاجته فيأتيه القوت الروحاني من عالم الغيب واليه الاشارة بقوله عليه الصلاة والسلام أنا أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني (الدرجة الثانية) ان يطوي يومين الى ثلاث وذلك معتاد (الدرجة الثالثة) الاقتصار في اليوم والليلة على أكلة واحدة وهذا هو الاقل وقد روى أبو سعيد الخدري أنه عليه الصلاة والسلام كان اذا تغدى لم يتعش واذا تعشى لم يتغد وقال عليه الصلاة والسلام لعائشة اياك والاسراف فان أكلتين في يوم من الاسراف

(فصل) اعلم أن الجوع المحمود هو الذي لا يشغل عن ذكر الله تعالى واذا خرج عن الحد شغل الا في حق من غلبت عليه شهوة عظيمة فيفعل ذلك ليكسرها فان لم يكن كذلك فخير الامور أوسطها ثم لكسر هذه الشهوة آفتان يجب التحفظ عنهما احداهما أنه ربما يأكل في الخلوة حتى لا يأكل في الجماعة وهذا هو الشرك الخفي وربما انتهى بصاحبه الى النفاق (والآفة الثانية) أن يحب أنه يعرف بقلة الاكل والعفة فقد ترك آفة سهلة وارتكب أمرا فوق ذلك وهو الجاه والشهرة قال أبو سليمان اذا قدمت اليك شهوة وقد كنت تاركها فاصب منها شيئا يسيرا ولا تعط نفسك مناها فتكون قد أسقطت عن

لا يأمن جاره بوائقه البوائق الغوائل والشرور وقال النووي وفي معنى لا يدخل الجنة جوابان يجريان في كل ما أشبه هذا أحدهما أنه محمول على من يستحل الايذاء مع علمه بتحريمه فهذا كافر لا يدخلها أصلا والثاني معناه جزاؤه لا يدخلها وقت دخول الفائزين اذا فتحت أبوابها بل يؤخر ثم قد يجازى وقد يعفى عنه فيدخلها أولا وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمنع جار جاره أن يغرز خشبة في جداره ثم يقول أبو هريرة مالي أراكم عنها معرضين والله لأرمين بها بين أكتافكم رواه البخاري ومسلم قال النووي رحمه الله روي خشبه بالاضافة وخشبة بالتنوين على الافراد وقوله مالي أراكم عنها يعني عن هذه السنة وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت رواه البخاري ومسلم وعن عائشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله ان لي جارين فالى أيهما أهدي قال الى أقربهما منك بابا رواه البخاري وقال صلى الله عليه وسلم خير الاصحاب عند الله خيرهم لاصحابه وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره رواه الترمذي وقال حديث حسن وقيل يا رسول الله فلانة تصلي الليل وتصوم النهار وفي لسانها شيء يؤذي جيرانها سليطة قال لا خير فيها هي في النار وقال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم كيف لي ان أعلم اذا أحسنت أو اذا أسأت فقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا سمعت جيرانك يقولون قد أحسنت فقد أحسنت واذا سمعتهم يقولون قد أسأت فقد أسأت وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال استعيذوا بالله من جار السوء الذي ان رأى خيرا ستره وان رأى شرا أظهره وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال الجيران ثلاثة جار له حق واحد وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق فالجار الذي له ثلاثة حقوق الجار المسلم ذو الرحم فله حق الجوار وحق الاسلام وحق الرحم وأما الذي له حقان فالجار المسلم له حق الجوار وحق الاسلام وأما الذي له حق واحد فالجار المشرك له حق الجوار وذكر في الاخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أتدرون ما حق الجار قال ان استغاث بك أغثته وان استقرضك أقرضته وان افتقر عدت عليه وان مرض عدته وان مات اتبعت جنازته وان أصابه خير هنأته وان أصابته مصيبة عزيته ولا تستطيل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح الا باذنه وان اشتريت فاكهة فاهد له فان لم تفعل فادخلها سرا ولا تخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ولا تؤذه بقتار قدرك الا أن تغرف له منها أتدرون ما حق الجار والذي نفسي بيده لا يبلغ حق الجار الا من رحمه الله ويقال ان الجار الفقير يتعلق بجاره الغني يوم القيامة ويقول يارب سل هذا لم منعني معروفه وسد بابه دوني قال الغزالي رحمه الله شكا بعضهم كثرة الفار في داره فقيل له لو اقتنيت هرا فقال أخشى أن يسمع الفار صوت الهر فيهرب الى دور الجيران فأكون قد أحببت لهم ما لا أحب لنفسي وقال صلى الله عليه وسلم أربع من السعادة المرأة الصالحة والمسكن الواسع والجار الصالح والمركب الهني وأربع من الشقاوة الجار السوء والمرأة السوء والمركب السوء والمسكن الضيق رواه ابن حبان وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليمن والشؤم في المرأة والمسكن والفرس قال الغزالي رحمه الله يمن المرأة خفة مهرها ويسر نكاحها وحسن خلقها وشؤمها غلاء مهرها وعسر نكاحها وسوء خلقها ويمن المسكن سعته وحسن جوار أهله وشؤمه ضيقه وسوء جواره ويمن الفرس ذله وحسن خلقه وشؤمه صعوبته

(الباب الخامس عشر في حقوق المماليك وفضل الاحسان اليهم)

قال الله تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا الى قوله وما ملكت أيمانكم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمملوك طعامه وكسوته ولا يكلف من العمل الا ما يطيق رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم اذا أتى أحدكم خادمه بطعامه فان لم يجلسه معه فليناوله لقمة أو لقمتين أو أكلة أو أكلتين فانه ولي حره وعلاجه رواه البخاري الأكلة بضم الهمزة هي اللقمة وقال صلى الله عليه وسلم ما خففت عن خادمك من عمله كان لك أجرا في موازينك وقال صلى الله عليه وسلم اذا ابتاع أحدكم الخادم فليكن أول شيء يطعمه الحلو فانه أطيب لنفسه وفي الصحيحين عن المعرور بن سويد قال رأيت أبا ذر رضي الله عنه وعليه حلة وعلى

نفسك الشهوة وقد نقصت على نفسك اذ لم تعطها من شهوتها ما تشتهيه فذلك يكون اسقاطا للشهوة وعصيانا للنفس وقال جعفر بن محمد الصادق اذا قدمت الى شهوة نظرت الى نفسي فان أظهرت شهوتها لها أطعمتها منها وكان ذلك أفضل من منعها وان أخفت شهوتها وأظهرت العزوف عنها عاقبتها بالترك ولم أنلها منها شيئا وهذا طريق في عقوبة النفس على هذه الشهوة واعلم ان من ترك شهوة الطعام ووقع في الرياء كان كمن هرب من العقرب وفزع الى الحية (القسم الثاني) من هذا الباب في كسر شهوة الفرج اعلم أن لذة الوقاع سلطت على الانسان لفائدتين (احداهما) أن يدرك لذته فيقيس عليها لذة الآخرة اذ هي أقوى لذات الاجساد ان دامت كما أن النار وآلامها أعظم آلام الجسد (والفائدة الثانية) بقاء النسل ودوام الوجود ولكن فيها بعد هاتين الفائدتين من الآفات ما يهلك الدين والدنيا ان لم يضبط ولم يقهر ولم يرد الى حد الاعتدال وقد قيل في معنى قوله تعالى ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به معناه الغلمة وعن ابن عباس في قوله تعالى ومن شر غاسق اذا وقب هو قيام الذكر وقد أسنده بعض الرواة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عليه السلام يقول أعوذ بك من شر سمعي وبصري وقلبي ومنيي وقال النساء حبائل الشيطان ولولا هذه الشهوات لما

غلامه

غلامه مثلها فسألته عن ذلك فذكر أنه ساب رجلا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فعيره بأمه فقال النبي صلى الله عليه وسلم انك امرؤ فيك جاهلية هم اخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فان كلفتموهم فأعينوهم وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه رأى رجلا على دابته وغلامه يسعى خلفه فقال يا عبد الله احمله فانه أخوك روحه مثل روحك فحمله ثم قال لا يزال العبد يزداد من الله بعدا ما مشي خلفه وقالت جارية لأبي الدرداء اني سممتك منذ سنة وما عمل فيك شيئا قال لم فعلت ذلك قالت أردت الراحة منك قال اذهبي فأنت حرة لوجه الله تعالى وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من أعتق رقبة مسلمة أعتق الله بكل عضو منه عضوا منه من النار حتى فرجه بفرجه وقال صلى الله عليه وسلم لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأبيض على أسود ولا لأسود على أبيض الا بالتقوى وقال مجاهد رحمه الله كان لقمان عليه السلام عبدا حبشيا نجارا وقيل خياطا وقيل راعيا فروي أنه كان يتكلم بالحكمة فقال له رجل ألست فلانا الراعي قال نعم قال فبم بلغت ما بلغت قال بصدق الحديث وأداء الامانة وترك ما لا يعنيني وقيل من حكمته ان مولاه دفع اليه شاة وقال اذبحها وائتني بأطيب مضغتين منها فأتاه باللسان والقلب فدفع اليه شاة أخرى فقال اذبحها وائتني بأخبث مضغتين منها فأتاه باللسان والقلب فسأله مولاه فقال ليس شيء أطيب منهما اذا طابا ولا أخبث منهما اذا خبثا قال الامام أبو حامد رحمه الله تعالى في معالم التنزيل اتفق العلماء على أن لقمان كان حكيما ولم يكن نبيا الا عكرمة فانه قال كان نبيا وروي أنه خير بين النبوة والحكمة وروي أنه كان نائما نصف النهار فنودي يا لقمان هل لك في أن يجعلك الله خليفة في الارض تحكم بين الناس بالحق فقال ان خيرني ربي قبلت العافية ولم أقبل البلاء وان عزم علي فسمعا وطاعة فاني أعلم أنه ان فعل بي تلك أعانني وعصمني فقيل له لم ذلك قال لان الحاكم بأشد المنازل وأكدرها يغشاه الظلم من كل جانب ان أصاب فبالحري أن ينجو وان أخطأ أخطأ طريق الجنة ومن يكن في الدنيا ذليلا خير من أن يكون شريفا ومن خير الدنيا على الآخرة فتنته الدنيا ولا يصيب الآخرة ثم نام فاعطي الحكمة فانتبه وهو يتكلم بها وهو لقمان بن باعور بن ناحور بن تارخ وهو آزر وقيل كان ابن أخت أيوب وعاش ألف سنة وأدرك داود وأخذ عنه العلم وكان يفتي قبل بعث داود فلما بعث داود ترك الفتيا فقيل له في ذلك قال ألا أكتفي اذا كفيت قيل ان ابن لقمان واسمه أنعم وقيل مشكم قال لأبيه يا أبت اذا عملت خطيئة حيث لا يراني أحد كيف يعلمها الله فقال يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الارض يأت بها الله ان الله لطيف خبير قال ابن عباس في صخرة تحت الارضين السبع وهي التي يكتب فيها أعمال الفجار وخضرة السماء منها وقوله ان الله لطيف أي باستخراجها خبير عالم بمكانها وفي بعض الكتب أن هذه الكلمة آخر كلمة تكلم بها لقمان فانشقت مرارته من هيبتها فمات

(الباب السادس عشر في فضل المملوك الذي يؤدي حق الله وحق مولاه والتحذير من الاباق)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المملوك الذي يحسن عبادة ربه ويؤدي الى سيده الذي عليه من الحق والنصيحة والطاعة له أجران رواه البخاري وقال صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا نصح لسيده وأحسن عبادة الله فله أجره مرتين وقال صلى الله عليه وسلم ثلاثة لهم أجران رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد والعبد المملوك اذا أدى حق الله وحق مواليه ورجل كانت له أمة فأدبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها فتزوجها فله أجران رواهما البخاري ومسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أبق العبد لم تقبل له صلاة رواه مسلم قال صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يقبل الله لهم صلاة ولا تصعد لهم حسنة العبد الآبق حتى يرجع الى مواليه والمرأة الساخط عليها زوجها حتى يرضى والسكران حتى يصحو

(باب العزلة والتحذير من الفتن)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب العبد التقي الغني الخفي رواه مسلم المراد بالغنى غنى النفس وقال صلى الله عليه وسلم يوشك أن يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه

كانت كذلك وقد روي أن موسى عليه السلام كان جالسا في بعض مجالسه اذ أقبل ابليس وعليه برنس يتلون فيه ألوان فلما دنا منه خلع البرنس فوضعه ثم أتاه فقال السلام عليك فقال موسى عليه السلام من أنت فقال أنا ابليس قال فلا حياك الله ما جاء بك قال جئت لأسلم عليك لمنزلتك من الله تعالى ومكانك منه قال فما الذي رأيت عليك قال به أختطف قلوب بني آدم قال فما الذي اذا صنعه الانسان استحوذت عليه قال اذا أعجبته نفسه واستكثر عمله ونسي ذنوبه وأحذرك ثلاثا لا تخل بامرأة لا تحل لك فانه ما خلا رجل بامرأة لا تحل له الا كنت صاحبه دون أصحابي حتى أفتنه بها ولا تعاهد الله عهدا الا وفيت به ولا تخرجن صدقة الا أمضيتها فانه ما أخرج رجل صدقة فلم يمضها الا كنت صاحبه دون أصحابي حتى أحول بينه وبين الوفاء بها ثم ولى وهو يقول يا ويلتاه علم موسى ما أخدع به بني آدم وقد ينتهي الامر بصاحب الشهوة الى أن يعشق محلا مخصوصا فلا يريد قضاء الوطر الا منه وهو زيادة في البهيمية وهو مذموم فالاسراف أبدا مذموم وهو غلبة الشهوة الى حد لا يطيع العقل آثاره وعدمها بالكلية في حق العنين أيضا مذموم وخير الامور أوساطها ومهما زادت على الحد فاكسرها بالجوع أو بالنكاح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معاشر الشباب عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم فان الصوم

من الفتن رواه البخارى شعف أعلاها الجبال أوقيل يارسول الله أى الناس خير قال رجل يجاهد بنفسه
وماله ورجل فى شعب من الشعاب يعبد ربه و يدع الناس من شره وعن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال قلت
يارسول الله ما النجاة قال أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك وقال عليه الصلاة والسلام
ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذى
رأى برأيه فعليك بخاصة نفسك ودع العوام فان من ورائكم أيام الصبر فيهن مثل القبض على الجمر للعامل
فيهن أجر خمسين رجلا يعملون مثل عملكم رواه الترمذى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى على
الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر وقال صلى الله عليه وسلم يتقارب الزمان و يقبض العلم
وتظهر الفتن و يلقى الشح و يكثر الهرج قالوا يارسول الله وما الهرج قال القتل وقيل معنى تقارب الزمان
قصر الاعمار وقلة البركة فيها وقيل هو دنو زمان الساعة وقيل هو قصر مدة الايام على ماروى أن الزمان
يتقارب حتى تكون السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كالساعة والساعة كاحتراق
السعفة أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وقال حماد بن سلمة سألت أباسنان عن قوله يتقارب الزمان
حتى تكون السنة كالشهر قال وذلك من استلذاذ العيش قال الخطابى يريد والله أعلم زمان خروج المهدى
ووقوع الأمنة فى الأرض بما يبسطه من العدل فيها ولا يزال الناس يستقصرون مدة أيام الرخاء وان طالت
و يستطيلون مدة أيام المكروه وان قصرت قاله القرطبى رحمه الله فى التذكرة وقال صلى الله عليه وسلم والذى
نفسى بيده لاتذهب الدنيا حتى يأتى على الناس يوم لايدرى القاتل فيم قتل ولا المقتول فيم قتل فقيل كيف
يكون ذلك قال الهرج القاتل والمقتول فى النار وقال صلى الله عليه وسلم ان بين يدى الساعة فتنا كقطع
الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمنا و يمسى كافرا و يمسى مؤمنا و يصبح كافرا القاعد فيها خير من القائم
والماشى خير من الساعى فكسروا فيها سيوفكم وقطعوا أوتاركم واضربوا سيوفكم بالحجارة والزموا فيها
أجواف بيوتكم فان دخل على أحد منكم فليكن كخير ابنى آدم وقال صلى الله عليه وسلم اذا اتخذ الفىء
دولا والامانة مغنما والزكاة مغرما وتعلم لغير دين وأطاع الرجل امرأته وعق أمه وآذى صديقه وأقصى أباه
فظهرت الاصوات فى المساجد وساد القبيلة فاسقهم وكان زعيم القوم أرذلهم وأكرم الرجل مخافة شره
فظهرت القينات والمعازف وشربت الخمور ولعن آخر هذه الامة أولها فارتقبوا عند ذلك ريحا حمراء وزلزلة
وخسفا ومسخا وقذفا وآيات تتابع كنظام قطع سلكه فتتابع وقال صلى الله عليه وسلم اذا كان أمراؤكم
خياركم وأغنياؤكم أسخياءكم وأمركم شورى بينكم فظهر الأرض خير لكم من بطنها واذا كان
أمراؤكم شراركم وأغنياؤكم بخلاءكم وأموركم الى نسائكم فبطن الأرض خير لكم من ظهرها وفى
الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال والذى نفسى بيده لاتذهب الدنيا حتى يمر الرجل بالقبر فيتمرغ
عليه و يقول ياليتنى مكان صاحب هذا القبر وليس به الدين الا البلاء وعن حذيفة بن أسيد الغفارى قال
اطلع النبى صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر فقال ماتذكرون قلنا نذكر الساعة قال انها لن تقوم حتى
تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم
و يأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك
نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم وقال الفضيل بن عياض رحمه الله كفى بالله محبا وبالقرآن
مؤنسا وبالموت واعظا اتخذ الله صاحبا ودع الناس جانبا وقال الحسن رضى الله عنه كلمات أحفظهن
من التوراة قنع ابن آدم فاستغنى اعتزل الناس فسلم ترك الشهوات فصار حرا ترك الحسد فظهرت مروأته صبر
قليلا فتمتع طويلا ودخل بعض الامراء على حاتم الاصم فقال ألك حاجة قال نعم قال لاترانى ولا أراك قال
الغزالى رحمه الله كل من خالط الناس داراهم ومن داراهم راآهم ومن راآهم وقع فيما وقعوا وهلك كما هلكوا
كان الفضيل رحمه الله يوما جالسا فى المسجد الحرام فجاء اليه أخ له فقال له ماجاء بك فقال المؤانسة ياأباعلى فقال
والله هى بالمواحشة أشبه هل تريد الا أن تتزين لى وأتزين لك وتكذب لى وأكذب لك اما ان تقوم عنى واما

له وجاء (بيان ما على المريد فى ترك التزويج وفعله) اعلم أن المريد لا ينبغى أن يشغل نفسه فى ابتداء أمره بالتزويج فان
ذلك يمنعه من الاقبال بكنه
الهمة على الله تعالى كما سبق
ولذلك قال أبو سليمان
الدارانى من تزوج فقد ركن
الى الدنيا وقال مارأيت مريدا
تزوج فثبت على ما كان
واعلم أنك ان قست نفسك
برسول الله صلى الله عليه
وسلم فقد أخطأت الطريق
فانه عليه السلام كان لاتشغله
الدنيا والآخرة ومافيهما
والبها لاشارة بقوله تعالى
مازاغ البصر وما طغى
فانه كان لايشغله عن الله
شاغل فاذا مهما غلبت
عليك الشهوة فعليك بالصوم
والجوع والعطش والسهر
والغالب أن تندفع بذلك
فان كانت خارجة عن الحد
على خلاف المعتاد وليس
يقدر على حفظ العين فقد
وجب بحكم خصوص الحال
النكاح حتى يستريح والا
فمن لا يقدر على حفظ
العين لايقدر على حفظ القلب
واذا تفرق همه فلا فائدة
فى عزوبته بل يخاف عليه
ماقال عيسى عليه السلام
قال اياكم والنظرة فانها
تزرع فى القلب شهوة وكفى
بها فتنة وقال سعيد بن جبير
انما جاءت فتنة داود من
أجل النظر وقال داود لابنه
عليه السلام يابنى امش
خلف الاسد والاسود ولا
تمش خلف المرأة وقيل
ليحيى بن زكريا ما بدو الزنا
قال عليه السلام النظر
والتمنى نعم ان لم تطالبه نفسه مطالبة لايقدر على كسرها فله أن لا ينكح وقد روى أن محمد بن سليمان ملك غلة كل يوم ثمانين

ان

أن أقوم عنك قال سفيان بن عيينة قال لى سفيان الثورى فى اليقظة فى حال حياته وفى المنام بعد مماته أقل من
معرفة الناس فان التخلص منهم شديد ولا أحسب رأيت ما أكره الا ممن عرفت قال بعضهم أقلل المعارف
فانه أسلم لدينك وقلبك وأخف لسقوط الحقوق عنك لانه كلما كثرت الحقوق عسر القيام بالجميع وقال موسى
عليه السلام يارب احبس عنى ألسنة الناس فقال هذا شئ لم أصطفه لنفسى فكيف أفعله بك قال الشافعى
ليونس بن عبد الاعلى يايونس الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة والانبساط اليهم مجلبة للقرناء فكن بين
المنقبض والمنبسط وكان سفيان الثورى يقول هذا زمان سوء لايؤمن فيه على الخامل فكيف بالمشهورين
هذا زمان ينتقل فيه الرجل من قرية الى قرية يفر بدينه من الفتن ولابى سليمان الخطابى فى هذا المعنى

أنست بوحدتى ولزمت بيتى * فدام الانس لى ونمى السرور
وأدبنى الزمان فلا أبالى * هجرت فلا أزار ولا أزور
ولست بسائل مادمت حيا * أسار الجيش أم ركب الامير

(باب آداب السفر)

عن كعب بن مالك رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم خرج فى غزوة تبوك يوم الخميس رواه البخارى
ومسلم وقال صلى الله عليه وسلم اللهم بارك لأمتى فى بكورها وكان اذا بعث سرية أو جيشا بعثهم من أول النهار
حسنه الترمذى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو يعلمون من الوحدة ما أعلم ماسار راكب بليل وحده
رواه البخارى وقال صلى الله عليه وسلم الراكب شيطان والراكبان شيطانان والثلاثة ركب حسنه الترمذى
وقال صلى الله عليه وسلم اذا خرج ثلاث فى سفر فليؤمروا أحدهم رواه أبوداود باسناد حسن وقال صلى الله
عليه وسلم عليكم بالدلجة فان الارض تطوى بالليل رواه أبوداود باسناد حسن الدلجة السير بالليل وقال صلى الله
عليه وسلم لاتصحب الملائكة رفقة فيها كلب ولاجرس وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان اذا استوى على بعيره خارجا الى سفر كبر ثلاثا ثم قال سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له
مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون اللهم انا نسألك فى سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ماترضى اللهم هون
علينا سفرنا هذا واطو لنا بعده اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الأهل اللهم انى أعوذ بك من وعثاء
السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب فى المال والاهل واذا رجع قالهن وزاد فيهن آيبون تائبون عابدون
لربنا حامدون رواه مسلم قال النووى رحمه الله تعالى معنى مقرنين مطيقين والوعثاء بفتح الواو واسكان
العين وبالثاء المثلثة وبالمد وهى الشدة والكآبة بالمد وهى تغير النفس من حزن ونحوه والمنقلب المرجع
وقال صلى الله عليه وسلم السفر قطعة من العذاب يمنع أحدكم طعامه وشرابه ونومه فاذا قضى أحدكم نهمته
من السفر فليعجل الى أهله رواه البخارى ومسلم ونهمته مقصوده وعن كعب بن مالك رضى الله عنه أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين رواه البخارى ومسلم
وقال صلى الله عليه وسلم لايحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تسافر مسيرة يوم وليلة الامع ذى محرم عليها
رواه البخارى ومسلم قال النووى رحمه الله فى فتاويه يستحب للمسافر حمل هدية الى أهله وممن ذكره من
العلماء القاضى أبو الطيب فى تعليقه فى آخر كتاب الحج واحتج له بحديث عائشة رضى الله عنها ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اذا قدم أحدكم من سفره فليهد الى أهله وليطرفهم ولو كان حجارة رواه الدارقطنى
فى آخر كتاب الحج (حرز المسافر) من كتاب الغنية تصنيف الشيخ الامام العارف شيخ الطريقة عبد القادر
الجيلى رحمه الله اللهم احرسنا بعينك التى لاتنام واكنفنا بركنك الذى لايرام وارحمنا بقدرتك علينا لانهلك
وأنت رجاؤنا ان شاء الله وحده وعن عثمان رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
من قال حين يصبح باسم الله الذى لايضر مع اسمه شئ فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات
لم تصبه فجأة بلاء حتى يمسى ومن قالها حين يمسى لم تصبه فجأة بلاء حتى يصبح وعن أبى يوسف الخراسانى عن
سعيد أبى الورقاء قال ضللت بطريق مكة فى بعض الليل فسمعت حسا خلفى فاستوحشت منه فسمعته يقرأ

ألف درهم ثم كتب لاهل البصرة وعلمائهم فى امرأة يتزوجها فاجمعوا كلهم على رابعة العدوية فكتب
اليها بسم الله الرحمن الرحيم
أما بعد فان الله تعالى ملكنى
من غلة الدنيا فى كل يوم
ثمانين ألف درهم وليس يمضى
الايام والليالى حتى أتمها مائة
ألف وأنا أصير لك مثلها
ومثلها فاجيبينى فكتبت
اليه بسم الله الرحمن الرحيم
أما بعد فان الزهد فى الدنيا
راحة البدن والرغبة فيها
تورث الغم والحزن فاذا
أتاك كتابى هذا فهيئ زادك
وقدم لمعادك وكن وصى
نفسك ولاتجعل الرجال
أوصياءك فيقسموا تراثك
وصم الدهر واجعل فطرك
الموت وأما أنا فلو أن الله
عز وجل خولنى أمثال
ماخولك وأضعافه ماسرنى
ذلك أن أشتغل عن الله عز
وجل طرفة عين فتبين بهذا
أن مايشغل عن الله تعالى
لاسبيل اليه
*(فصل فى بيان فضيلة من
يخالف الشهوة) لعلم أن
من العصمة أن يقدر على
مخالفة الشهوة مع القدرة
فذلك افضل وهو درجة
الصديقين ولذلك قال
عليه الصلاة والسلام من
عشق نعف فكتم فمات فهو
شهيد وقال صلى الله عليه
وسلم سبعة يظلهم الله يوم
القيامة يوم لاظل الا ظله
وعد منهم رجلا دعته امرأة
ذات حسب وجمال الى نفسها
فقال انى أخاف الله رب
العالمين وروى أن سليمان
ابن يسار كان من أحسن الناس وجها فدخلت عليه امرأة فسألته نفسه فامتنع عنها وخرج هاربا عن منزله وتركها فيه قال سليمان فرأيت

القرآن فلحقني فقال أحسبك ضالا فقلت نعم فقال ألا أعلمك شيأ اذا قلته وأنت ضال اهتديت أو مستوحش استأنست أو أرقت نمت قال قلت نعم قال قل باسم الله ذي الشان العظيم البرهان الشديد السلطان كل يوم هو في شان أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ما شاء الله كان لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فقلتها فاذا أصحابي قريب مني فطلبت الرجل فلم أصبه الحمد لله الذي خلقني ولم أك شيأ مذكورا اللهم أعني على أهاويل الدنيا ونوائب الدهور ومصائب الليالي والايام واكفني شر ما يفعل الظالمون اللهم في سفري فاصحبني وفي أهلي فاخلفني وفيما رزقتني فبارك لي وفي نفسي فذللني وفي أعين الناس فعظمني وفي خلقي فعوضني واليك يا رب فحببني أعوذ بوجهك الكريم الذي أشرقت له السموات وكشفت به الظلمات وصلح عليه أمر الاولين والآخرين أن لا تحل علي غضبك وتنزل سخطك فيما استطعت ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ولا حول ولا قوة الا بك اللهم اني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب ومن الحور بعد الكور ودعوة المظلوم اللهم اطو لنا الارض وهون علينا الخير اللهم أسألك بلاغا يبلغ خيرا ومغفرة ورضوانا أسألك الخير انك على كل شئ قدير عن الحسن قال كان رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من الانصار يتجر بمال له ولغيره فلقيه لص فقال له ضع ما معك فاني قاتلك قال ما تريد من دمي خذ المال قال أما المال فلا وليس أريد الا دمك فقال دعني أصلي أربع ركعات فقال صل ما شئت فصلى وكان من دعائه في آخر سجدة يا ودود يا ذا العرش المجيد يا فعالا لما يريد يا مبدئ يا معيد أسألك بعزك الذي لا يرام وملكك الذي لا يضام وبنورك الذي ملأ أركان عرشك أن تكفيني شر هذا اللص يا مغيث أغثني ثلاث مرات فاذا هو بفارس قد أقبل بيده حربة فطعن بها اللص فقتله فقال الرجل من أنت فقد أغاثني الله بك اليوم قال انا ملك من أهل السماء الرابعة دعوت الله بدعائك الاول فسمعت لأبواب السماء قعقعة ثم دعوت بدعائك الثاني فسمعت لاهل السماء ضجة ثم دعوت بدعائك الثالث فقيل لي دعاء مكروب فسألت الله أن يوليني قتله قال الحسن رحمه الله فمن توضأ وصلى أربع ركعات ودعا بهذا الدعاء استجيب له مكروبا كان أو غير مكروب

(كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وفيه أبواب)

(الباب الاول في وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وبيان فضل ذلك)

قال الغزالي رحمه الله الامر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الاعظم في الدين وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين ولو طوي بساطه وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة واضمحلت الديانة وظهر الفساد وخربت البلاد قال الله تعالى ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون وفي هذه الآية دليل على أن ذلك واجب فان قوله ولتكن أمر وظاهره الايجاب وفيها بيان أنه فرض على الكفاية لا فرض عين لانه قال ولتكن منكم أمة ولم يقل كونوا كلكم آمرين بالمعروف فاذا قام به من يكفي سقط عن الباقين واختص الفلاح بالقائمين والمباشرين له وقال تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر الآية قال الغزالي رحمه الله فقد نعت المؤمنين بأنهم يأمرون بالمعروف فالذي هجر الامر بالمعروف خارج عن هؤلاء المؤمنين المنعوتين في هذه الآية وقال تعالى لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون قال الغزالي وهذا غاية التشديد اذ علق استحقاقهم اللعنة بتركهم النهي عن المنكر وفي صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اياكم والجلوس في الطرقات فقالوا يا رسول الله ما لنا من مجالسنا بد نتحدث فيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا أبيتم الا المجلس فأعطوا الطريق حقه قالوا يا رسول الله وما حق الطريق قال غض البصر وكف الاذى ورد السلام والامر بالمعروف والنهي عن المنكر رواه البخاري ومسلم قال النووي رحمه الله يدخل في كف الاذى

في المنام يوسف عليه السلام وكأني أقول له أنت يوسف قال نعم أنا يوسف الذي هممت وأنت سليمان الذي لم تهم والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

(الباب الرابع والعشرون في آفات اللسان)

اعلم أن خطر اللسان عظيم ولا نجاة من خطره الا بالصمت فلذلك مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم الصمت وحث عليه فقال من صمت نجا وقال الصمت حكم وقليل فاعله وقال صلى الله عليه وسلم من يتكفل لي ما بين لحييه ورجليه أتكفل له بالجنة وروي أن معاذ ابن جبل قال يا رسول الله أوصني قال اعبد الله كأنك تراه وعد نفسك في الموتى وان شئت أنبأتك بما هو أملك لك من هذا كله وأشار بيده الى لسانه صلى الله عليه وسلم وعن الصديق رضي الله عنه أنه كان يضع حجرا في فيه يمنع به نفسه عن الكلام وكان يشير الى لسانه ويقول هذا الذي أوردني الموارد وقال ابن مسعود والله الذي لا اله الا هو ما من شئ أحوج الى طول سجن من لسان ونحن الآن نبين آفات اللسان ونبدأ بأخف الآفات ثم نترقى (الآفة الاولى) الكلام فيما لا يعنيك اعلم أنك اذا تكلمت بما لا يعنيك فقد ضيعت زمانك وتعرضت به للحساب وقد استبدلت الذي هو أدنى بالذي هو خير فانك لو ذكرت الله بدله أو سكت أو اشتغلت بالفكر لكنت تنال به معالي الدرجات وقال عليه الصلاة والسلام من حسن اسلام المرء

اجتناب الغيبة وظن السوء واحتقار بعض المارين وتضييق الطريق وكذا اذا كان القاعدون ممن يهابهم المارون أو النساء ويمتنعون من المرور في أشغالهم بسببهم ولا يجدون طريقا آخر وكذا لو جلس بقرب دار انسان يتأذى بذلك أو حيث يكشف من أحوال الناس شيأ يكرهونه وقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر ولتأخذن على يدي المسيء ولتأطرنه على الحق أطرا أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم يلعنكم كما لعنهم يعني بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم عليه السلام قوله لتأطرنه أي لتعطفنه وقال صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا الله فلا يستجيب لكم وقبل أن تستغفروه فلا يغفر لكم ان الاحبار من اليهود والرهبان من النصارى لما تركوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لعنهم على لسان أنبيائهم ثم عمهم بالبلاء وقال صلى الله عليه وسلم أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر حسنه الترمذي قال الخطابي انما صار ذلك أفضل الجهاد لان من جاهد العدو كان مترددا بين رجاء وخوف لا يدري هل يغلب أو يغلب وصاحب السلطان مقهور في يده فهو اذا قال الحق وأمره بالمعروف فقد تعرض للتلف وعن أبي بكر رضي الله عنه قال يا أيها الناس انكم تقرؤن هذه الآية يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يده أوشك أن يعمهم الله بعقوبة منه رواه أبو داود والترمذي والنسائي بأسانيد صحيحة وفي رواية لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر أو ليستعملن الله عليكم شراركم فليسومونكم سوء العذاب ثم ليدعون الله خياركم فلا يستجاب لهم وقال مجاهد وسعيد ابن جبير الآية في اليهود والنصارى يعني عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل من أهل الكتاب فخذوا منهم الجزية واتركوهم وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال في هذه الآية مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ما قبل منكم فان رد عليكم فعليكم أنفسكم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا عملت الخطيئة في الارض من شهدها فكرهها كان كمن غاب عنها ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها وقال صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لامرئ شهد مقاما فيه حق الا تكلم به فانه لن يقدم أجله ولن يحرمه رزقا هو له وأوحى الله عز وجل الى يوشع بن نون اني مهلك من قومك أربعين ألفا من خيارهم وستين ألفا من شرارهم فقال يا رب هؤلاء الاشرار فما بال الاخيار قال انهم لم يغضبوا لغضبي وواكلوهم وشاربوهم وعن زينب بنت جحش رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها فزعا يقول لا اله الا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق بأصبعيه الابهام والتي تليها فقالت يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون قال نعم اذا كثر الخبث رواه البخاري ومسلم قال أبو عبد الله القرطبي رحمه الله وفي هذا دليل على أن البلاء قد يرفع عن غير الصالحين اذا كثر الصالحون فاما اذا كثر المفسدون وقل الصالحون هلك المفسدون والصالحون اذا لم يأمروا بالمعروف ويكرهوا المنكر وهو معنى قوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة أي بل يعم شؤمها من تعاطاها ومن رضيها هذا بفساده وهذا برضاه قال القرطبي فان قيل قال الله تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى كل نفس بما كسبت رهينة لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وهذا يوجب أن لا يؤاخذ أحد بذنب أحد وانما تتعلق العقوبة بصاحب الذنب فالجواب أن الناس اذا تظاهروا بالمنكر فيجب على من رآه أن يغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه كما جاء في الحديث وعن بعض الصحابة أنه قال ان الرجل اذا رأى منكرا لا يستطيع النكير عليه فليقل ثلاث مرات اللهم هذا منكر لا أرضاه وقد جعل الله الراضي بمنزلة العامل قال الله تعالى انكم اذا مثلهم فاما اذا كثر الصالحون وأخلصوا سلموا قال الله تعالى فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الارض الآية وقال الله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون قال ابن عباس رضي الله عنهما قد أخبرنا الله عن هذين ولم يخبرنا عن الذين قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم وقال مسعر رحمه الله بلغني أن ملكا أمر أن يخسف بقرية فقال يا رب ان فيها

تركه ما لا يعنيه وقال أنس استشهد غلام منا يوم أحد فوجد على بطنه حجر مربوط من الجوع فمسحت أمه التراب عن وجهه وقالت هنيأ لك الجنة يا بني فقال النبي صلى الله عليه وسلم فما يدريك لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه ويمنع ما لا يضره واعلم أن الكلام فيما لا يعني أن تجلس فتحكي من أحوالك التي لحقتك في أسفارك من الجبال والبراري التي رأيتها مما لا كذب فيه (الآفة الثانية) فضول الكلام وهو أن تكرر ما لا فائدة في تكراره وتقرر من زيادة الالفاظ المستغنى عنها قال عطاء بن أبي رباح ان من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام ومن هذا الجنس ان تقول اللهم اخز هذا الكلب مثلا قال مطرف ليعظم جلال الله في قلوبكم فلا تذكروه عند مثل قول أحدكم للكلب والحمار وما أشبهه اللهم اخزه وفضول الكلام لا تنحصر قال عليه السلام طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه وأنفق الفضل من ماله قال بلال بن الحرث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ به ما بلغت فيكتب الله تعالى له بها رضوانه الى يوم يلقاه وان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى ما يظن أن تبلغ به ما بلغت فيكتب الله تعالى عليه بها سخطه الى يوم القيامة قال وكان علقمة يقول كم من كلام وحديث قد منعنيه حديث بلال بن الحرث وقال عليه السلام ان الرجل ليتكلم بالكلمة

فلانا العابد فاوحى الله اليـه أن به فابدأ فانه لم يتمعر وجهه فى ساعة قط وروى أبو داود عن النبى صلى الله عليه وسلم وقال اذا عملت الخطيئة فى الارض كان من شهدها فكرهها وقال مرة فانكرها كمن غاب عنها ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها وقال مالك رحمه الله تعالى تهجر الارض التى يصنع فيها المنكر جهارا ولا يستقر فيها واحتج بصنيع أبى الدرداء فى خروجه عن أرض معاوية حين أعلن بالربا فاجاز بيع سقاية الذهب باكثر من وزنها خرجه أهل الصحيح قال القرطبى رحمه الله وروى أن مالكا أقام آخر عمره ثمان عشرة سنة لم يخرج الى المسجد فقيل له فى ذلك فقال ليس كل أحد يمكنه أن يخبر بعذره قال القرطبى رحمه الله واختلف الناس فى عذره على ثلاثة أقوال فقيل لئلا يرى المناكر وقيل لئلا يمشى الى السلطان وقيل كانت به أبردة فكان يرى تنزيه المسجد عنها ذكره القاضى أبو بكر بن العربى رحمه الله قال النووى رحمه الله اعلم أن باب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر قد ضيع أكثره فى أزمان متطاولة ولم يبق منه فى هذه الازمان الا رسوم قليلة جدا وهو باب عظيم به قوام الامر وملاكه واذا كثر الخبث عم العقاب الصالح والطالح فاذا لم يأخذوا على يد الظالم أوشك أن يعمهم الله بعقابه فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم فينبغى لطالب الآخرة والساعى فى تحصيل رضا الله عز وجل أن يعتنى بهذه الابواب فان نفعه عظيم لاسيما وقد ذهب معظمه ويخلص نيته ولا يهاب من ينكر عليه لارتفاع منزلته فان الله تعالى قال ولينصرن الله من ينصره وقال تعالى ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم وقال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال تعالى أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين واعلم أن الاجر على قدر النصب ولا يتاركه أيضا لصداقته ومودته ومداهنته وطلب الوجاهة عنده ودوام المنزلة لديه فان صداقته ومودته توجب له حرمة وحقا ومن حقه أن ينصحه ويهديه الى مصالح آخرته وينقذه من مضارها وصديق الانسان ومحبه هو من سعى فى عمارة آخرته وان أدى الى نقص فى دنياه وعدوه من سعى فى ذهاب ونقص آخرته وان حصل بسبب ذلك صورة نفع فى دنياه وانما كان ابليس عدوا لنا لهذا وكانت الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أولياء المؤمنين لسعيهم فى مصالح آخرتهم وهدايتهم اليها نسأل الكريم توفيقنا وأحباءنا وسائر المسلمين لمرضاته وأن يعمنا بجوده ورحمته والله أعلم وينبغى للآمر بالمعروف والناهى عن المنكر أن يرفق ليكون أقرب الى تحصيل المطلوب فقد قال الامام الشافعى رحمه الله من وعظ أخاه سرا فقد نصحه وزانه ومن وعظه جهرا فقد فضحه وشانه هذا آخر كلام الشيخ رحمه الله فى شرح مسلم قال الغزالى رحمه الله ويدل على وجوب الرفق ما استدل به المأمون رحمه الله اذ وعظه واعظ وعنف له فى القول فقال يا رجل ارفق فقد بعث الله من هو خير منك الى من هو شر منى وأمره بالرفق فقال تعالى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى قال الغزالى رحمه الله كان عمر رضى الله عنه يقول رحم الله امرأ أهدى الى عيوبى وكان يسأل سلمان عن عيوبه لما قدم عليه وقال ما الذى بلغك عنى مما كرهته فاستعفى فالح عليه فقال سمعت انك جمعت بين أدمين على مائدة وان لك حلتين حلة بالليل وحلة بالنهار فقال وهل بلغك غير هذا قال لا قال أما هذان فقد كفيتهما قال الغزالى رحمه الله لعل انتفاع الانسان بعدو مشاحن يذكره عيوب نفسه أكثر من انتفاعه بصديق مداهن يثنى عليه ويمدحه ويخفى عنه عيوبه الا أن الطبع مجبول على تكذيب العدو وحمل ما يقوله على الحسد ولكن البصير لا يخلو عن الانتفاع بقول أعدائه فان مساويه لا بد وان تنتشر على ألسنتهم وعن أنس رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ألا أخبركم بأقوام ليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء لمنازلهم من الله تعالى على منابر من نور يعرفون عليها قالوا من هم يا رسول الله قال قوم يحبون الله ويحببون الله الى عباده ويمشون على الارض نصحا قال فقلنا هذا يحبون الله فكيف يحببون الله الى عباده قال يأمرونهم بما يحب الله وينهونهم عما يكره فاذا أطاعوهم أحبهم الله ثم تلا ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا الآية وعن أبى هريرة رضى الله عنه انه قال كنا نسمع ان الرجل يتعلق بالرجل يوم القيامة وهو لا يعرفه فيقول

يتحلبهم اجاساه ويهوى بهم الأبعد من الثريا (الآفة الثالثة) الخوض فى الباطل والمعاصى كحكاية أحوال النساء ومجالس الخمر ومقامات الفساق واليه الاشارة بقوله تعالى وكنا نخوض مع الخائضين فقد ذكرنا حديث بلال بن حارث فى الآفة الثانية (الآفة الرابعة) المراء والمجادلة والجدال فى ذكر محظورات سبق وجودها أو يدبر فى التواصل اليها وذلك منهى عنه قال عليه السلام لا تمار أخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدا فتخلفه وقال عليه السلام من ترك المراء وهو محق بنى له بيت فى أعلى الجنة ومن ترك المراء وهو مبطل بنى له بيت فى ربض الجنة (الآفة الخامسة) الخصومة وهى أيضا مذمومة وهى ان تخاصم انسانا لتستوفى حقا أو مالا قالت عائشة رضى الله عنها قال عليه السلام أبغض الرجال الى الله الالد الخصم وقال أبو هريرة قال صلى الله عليه وسلم من جادل فى خصومة بغير علم لم يزل فى سخط الله حتى ينزع (الآفة السادسة) التشدق فى الكلام بتكلف السجع والتصنع فيه قال عليه السلام أنا وأتقياء أمتى برآء من التكلف وقالت فاطمة رضى الله عنها قال عليه السلام شرار أمتى الذين غذوا بالنعيم يأكلون أنواع الطعام ويلبسون ألوان الثياب ويتشدقون فى الكلام (الآفة السابعة) السب والفحش وبذاءة اللسان وهو مذموم قال عليه السلام اياكم والفحش فان الله لا يحب الفحش ولا التفحش وهى ان يسب فلى

مالك الى وما بينى وبينك معرفة فيقول كنت ترانى على الخطايا وعلى المنكر فلا تنهانى وقال صلى الله عليه وسلم خير الشهداء حمزة بن عبد المطلب ثم رجل قام الى امام فأمره ونهاه فى ذات الله فقتل على ذلك

(الباب الثانى فى مسائل تتعلق بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر)

(المسئلة الاولى) فى آداب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر الادب الاول أن يكون عالما بما يأمر به وينهى عنه الثانى أن يقصد به وجه الله تعالى فى اعزاز الدين الثالث الشفقة على الذى يأمره فيأمره باللين والتؤدة ولا يكون فظا غليظا لان الله تعالى قال لموسى وهرون حين بعثهما الى فرعون فقولا له قولا لينا الرابع أن يكون صبورا حليما لان الله تعالى قال فى قصة لقمان وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واستدلوا بقوله تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم قال الغزالى رحمه الله ولا حجة لهم فيها وانما المراد بالانكار عليهم من حيث تركهم المعروف لا من حيث أمرهم ولكن أمرهم دل على قوة علمهم وعقاب العالم أشد لانه لا عذر له مع قوة علمه وقال النووى رحمه الله فى الروضة ولا يشترط فى الآمر والناهى كونه ممتثلا لما يأمر به مجتنبا لما ينهى عنه بل عليه الامر والنهى فى حق نفسه وفى حق غيره فان أخل باحدهما لم يجز الاخلال بالآخر *(المسئلة الثانية)* جعل الغزالى رحمه الله للمنكر أربعة أحوال أحدها أن يعلم أن المنكر يزول بقوله أو فعله من غير مكروه يلحقه فيجب عليه الانكار الحالة الثانية أن يعلم أن كلامه لا ينفع وانه ان تكلم ضرب فيرتفع الوجوب عنه الثالثة أن يعلم أن انكاره لا يفيد لكنه لا يخاف مكروها فلا يجب عليه الامر لعدم الفائدة لكن يستحب لاظهار شعائر الاسلام والتذكير بالدين الرابعة أن يعلم أنه يصاب بمكروه بفعله مثل أن يكسر العود ويريق الخمر ويعلم أنه يضرب عقب ذلك فيرتفع الوجوب عنه ويبقى مستحبا لقوله فى الحديث أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر *(المسئلة الثالثة)* قال الغزالى رحمه الله لو كان الواعظ شابا متزينا للنساء فهذا منكر يجب المنع منه فان الفساد فيه أكثر من الصلاح بل ينبغى للواعظ أن يكون ظاهره الورع وهيئته السكينة والوقار وزيه زى الصالحين والا فلا يزداد الناس به الا تماديا فى الضلال *(المسئلة الرابعة)* من المنكرات موالاة اليهود والنصارى ومشاركتهم فى أعيادهم قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم قال الامام أبو محمد رحمه الله فى معالم التنزيل ومن يتولهم منكم يوافقهم ويعينهم فانه منهم وروى أحمد باسناد صحيح عن أبى موسى رضى الله عنه قال قلت لعمر ان لى كاتبا نصرانيا قال مالك قاتلك الله أما سمعت الله يقول يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ألا اتخذت حنيفا قال قلت يا أمير المؤمنين لى كتابته وله دينه قال لا أكرمهم اذ أهانهم الله ولا أعزهم اذ أذلهم الله ولا أدنيهم اذ أقصاهم الله وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم وقال صلى الله عليه وسلم ان اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون وقد أمرنا الله تعالى أن نقول فى صلاتنا اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين وروى البيهقى عن عمر رضى الله عنه أنه قال لا تعلموا رطانة الاعاجم ولا تدخلوا على المشركين فى كنائسهم يوم عيدهم فان السخط ينزل عليهم وقال ابن عمر رضى الله عنهما من صنع نيروزهم ومهرجانهم وتشبه بهم حتى يموت حشر معهم وقال مجاهد فى قوله تعالى والذين لا يشهدون الزور هو أعياد المشركين وقال عبد الملك ابن حبيب من أصحاب مالك لا يعاونون على شئ من عيدهم لان ذلك من تعظيم شركهم وعونهم على كفرهم

(الباب الثالث فى الحث على اقامة الحدود)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحد يقام فى الارض خير لاهل الارض من أن يمطروا ثلاثين صباحا رواه النسائى وقال صلى الله عليه وسلم أقيموا حدود الله فى القريب والبعيد ولا تأخذكم فى الله لومة لائم رواه ابن ماجه وفى الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم قال انما هلك الذين من قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وقال صلى الله عليه وسلم من حالت شفاعته دون حد من

بذر من المشركين وقال عليه السلام البذاء أى الكلام الفحش والبيان شعبتان من النفاق (الآفة الثامنة) اللعن اما لحيوان وجماد أو لانسان قال عليه السلام المؤمن ليس بلعان وقال حذيفة رضى الله عنه ما تلاعن قوم الا حق عليهم القول وعن عائشة رضى الله عنها قالت سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضى الله عنه وهو يلعن بعض رقيقه فالتفت اليه وقال يا أبا بكر صديقين ولعانين كلا ورب الكعبة واعاد مرتين أو ثلاثا فاعتق أبو بكر يومئذ بعض رقيقه وجاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال لا أعود واعلم ان من ثبت بالشرع انه ملعون كابى جهل وفرعون فلا بأس بلعنه وان تركه أيضا لا بأس به اما يهودى بعينه فلعنه فيه خطر لانه يمكن ان يكون ممن قدر الله تعالى عليه ان يرزق الاسلام فهو فيه خطر الا ان يقيد ويقول ان مات على ما هو عليه وعلى الجملة فترك اللعن على ابليس لا بأس به فضلا عن غيره فالاولى ترك اللعن وفطام اللسان عنه (الآفة التاسعة) الغناء والشعر أما الغناء فقد سبق فى باب السماع ذكره واما الشعر فكلام حسنه حسن وقبيحه قبيح الا ان التجرى له مذموم قال صلى الله عليه وسلم لان يمتلئ بطن احدكم قيحا خير له من أن يمتلئ شعرا والمحذور منه المداومة وقطع الزمان والا فقد ورد ما يدل على جوازه (الآفة العاشرة) المزاح وأصله منهى عنه مذموم الا قدر يسير قال عليه السلام لا تمار أخاك ولا تمازحه واعلم ان المنهى عنه من المزاح

حدود الله فقد ضاد الله عز وجل ومن خاصم فى باطل وهو يعلمه لم يزل فى سخط الله حتى ينزع ومن قال فى مؤمن ما ليس فيه أسكنه ردغة الخبال حتى يخرج مما قال رواه أبو داود الردغة بفتح الراء وسكون الدال المهملة وتحريكها أيضا وبالغين المعجمة هى الوحل وردغة الخبال عصارة أهل النار أو عرقهم كما جاء مفسرا فى صحيح مسلم

(الباب الرابع فى حكايات نختم بها الكتاب)

حكى ان هشام بن عبد الملك قدم حاجا الى مكة فلما دخلها قال ائتونى برجل من الصحابة فقيل يا أمير المؤمنين قد تفانوا قال من التابعين فاتوا بطاوس اليمانى فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية بساطه ولم يسلم بامرة المؤمنين ولكن قال السلام عليك ولم يكنه ولكن جلس بازائه وقال كيف أنت يا هشام فغضب هشام غضبا شديدا حتى هم بقتله فقيل له أنت فى حرم الله وحرم رسوله فلا يمكن ذلك فقيل له يا طاوس ما الذى حملك على ما صنعت قال وما الذى صنعت فازداد غضبا فقال خلعت نعليك بحاشية بساطى ولم تقبل يدى ولم تسلم بامرة المؤمنين ولم تكننى وجلست بازائى بغير اذن وقلت كيف أنت يا هشام فقال اما ما خلعت نعلى بحاشية بساطك فانى أخلعها بين يدى رب العزة كل يوم خمس مرات فلا يعاتبنى ولا يغضب على وأما قولك لم تقبل يدى فانى سمعت أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه يقول لا يحل لرجل أن يقبل يد أحد الا امرأته من شهوة أو ولده برحمة وأما قولك لم تسلم بامرة المؤمنين فليس كل الناس راضين بامارتك فكرهت أن أكذب وأما قولك جلست بازائى فانى سمعت أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه يقول اذا أردت أن تنظر الى رجل من أهل النار فانظر الى رجل جالس وحوله ناس قيام وأما قولك لم تكننى فان الله سمى أولياءه وقال يا داود يا يحيى يا عيسى وكنى أعداءه فقال تبت يدا أبى لهب فقال هشام عظنى فقال سمعت من أمير المؤمنين على كرم الله وجهه يقول ان فى جهنم حيات كامثال القلال وعقارب كالبغال تلدغ كل أمير لا يعدل فى رعيته ثم قام وهرب وعن سفيان الثورى قال دخلت على أبى جعفر بمنى فقال لى ارفع الينا حاجتك فقلت اتق الله قد ملأت الارض ظلما وجورا قال فطأطأ رأسه ثم رفعه فقال ارفع الينا حاجتك قلت انما أنزلت هذه المنزلة بسيوف المهاجرين والانصار وأبناؤهم يموتون جوعا فاتق الله عز وجل وأوصل اليهم حقوقهم قال فطأطأ رأسه ثم رفعه وقال ارفع الينا حاجتك قلت حج عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال لخازنه كيف أنفقت قال بضعة عشر درهما وأرى ههنا أمورا لا تطيقها الجبال ودخل سليمان بن عبد الملك المدينة فاقام بها ثلاثا فقال ما ههنا رجل ممن أدرك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا فقيل له ههنا رجل يقال له أبو حازم فبعث اليه فجاء فقال سليمان يا أبا حازم ما هذا الجفاء فقال له أبو حازم وأى جفاء رأيت منى فقال أتانى وجوه أهل المدينة كلهم ولم تأتنى أنت فقال ما جرى بينى وبينك معرفة آتيك عليها قال صدق الشيخ يا أبا حازم ما بالنا نكره الموت فقال لانكم عمرتم دنياكم وأخربتم آخرتكم فانتم تكرهون ان تنتقلوا من العمران الى الخراب فقال صدقت يا أبا حازم كيف القدوم على الله تعالى قال أما المحسن فكالغائب الذى يقدم على أهله وأما المسئ فكالآبق الذى يقدم على مولاه قال فبكى سليمان وقال ليت شعرى كيف ما لنا عند الله يا أبا حازم فقال أبو حازم اعرض نفسك على كتاب الله فانك تعلم ما لك عند الله قال يا أبا حازم وأين أصيب تلك المعرفة من كتاب الله قال عند قوله ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم قال يا أبا حازم فاين رحمة الله تعالى قال قريب من المحسنين قال يا أبا حازم من أعقل الناس قال من تعلم الحكمة وعلمها الناس قال فمن أحمق الناس قال من حط فى هوى رجل وهو ظالم فباع آخرته بدنيا غيره قال يا أبا حازم فما أسمع الدعاء قال دعاء المخبتين قال فما أزكى الصدقة قال جهد المقل قال يا أبا حازم ما تقول فيما نحن فيه قال اعفنى من هذا قال سليمان نصيحة تلقيها قال أبو حازم ان ناسا أخذوا هذا الامر عنوة من غير مشاورة للمسلمين ولا اجماع من رأيهم فسفكوا فيها الدماء على طلب الدنيا ثم ارتحلوا عنها فليت شعرى ما قالوا وما قيل لهم فقال بعض جلسائه بئس ما قلت يا شيخ قال أبو حازم كذبت ان الله أخذ ميثاق العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه قال سليمان يا أبا حازم اصحبنا تصب منا ونصب منك قال أعوذ بالله من ذلك قال ولم

الافراط اذ هو تورث كثرة الضحك وكثرة الضحك تميت القلب وقال عليه السلام انى لامزح ولا أقول الا حقا روى أنه عليه السلام قال لصهيب تأكل التمر وأنت رمد فقال آكل بالشق الآخر فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم (الآفة الحادية عشرة) السخرية والاستهزاء وهو محرم قال الله تعالى لا يسخر قوم من قوم ومعناه الاستحقار والاستهانة والتنبيه على العيوب وربما كان بالمحاكاة فى الافعال والاقوال وقال صلى الله عليه وسلم ان المستهزئين بالناس يفتح لاحدهم باب من الجنة فيقال هلم هلم فيجئ بكربه وغمه فاذا جاء أغلق دونه ثم يفتح له باب آخر فيقال هلم هلم فيجئ بكربه وغمه فاذا أتاه أغلق دونه فما زال كذلك حتى ان الرجل ليفتح له الباب فيقال هلم هلم فما يأتيه وقال معاذ بن جبل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عير أخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يعمله (الآفة الثانية عشرة) افشاء السر وهو منهى عنه لما فيه من الايذاء والتهاون بحق الاصدقاء وقال صلى الله عليه وسلم الحديث بينكم أمانة (الآفة الثالثة عشر) الوعد الكاذب وذلك منهى عنه وذلك من أمارات النفاق قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود وقال عليه السلام العدة عطية (الآفة الرابعة عشرة) الكذب فى القول واليمين وهو من قبائح الذنوب روى ان أبا بكر الصديق رضى الله عنه كان يخطب بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قام فينا رسول الله قال

قال أخاف أن أركن اليكم شيئا قليلا فيذيقنى ضعف الحياة وضعف الممات قال فاشر على قال اتق الله ان يراك حيث نهاك أو يفقدك حيث أمرك قال يا أبا حازم ادع لنا بخير فقال اللهم ان كان سليمان وليك فيسره للخير وان كان غير ذلك فخذ الى الخير بناصيته فقال يا غلام هات مائة دينار ثم قال خذ هذا يا أبا حازم قال لا حاجة لى به ولغيرى فى هذا المال اسوة فان آسيت بيننا والا فلا حاجة لى فيها انى أخاف أن يكون لما سمعت من كلامى وكان سليمان أعجب بابى حازم فقال الزهرى انه لجارى منذ ثلاثين سنة ما كلمته قط فقال أبو حازم انك نسيت الله فنسيتنى قال الزهرى أتشتمنى قال سليمان بل أنت شتمت نفسك أما علمت أن للجار على الجار حقا قال أبو حازم ان بنى اسرائيل لما كانوا على الصواب كانت الامراء تحتاج الى العلماء وكانت العلماء تفر بدينها منهم فلما رأى ذلك قوم من أذلة الناس تعلموا ذلك العلم وأتوا به الامراء واجتمع القوم على المعصية فسقطوا وتنكسوا فلما كان العلماء يصونون علمهم لم تزل الامراء تهابهم قال الزهرى كأنك اياى تريد وبى تعرض قال هو ما تسمع (وحكى) الشيخ محيى الدين النووى رحمه الله فى كتابه البستان عن مقاتل بن صالح الخراسانى قال دخلت على حماد بن سلمة رضى الله عنه فاذا ليس فى البيت الا حصير وهو جالس عليه ومصحف يقرأ فيه وجراب فيه علمه ومطهرة يتوضأ منها فبينا أنا عنده اذ دق داق الباب فقال يا صبية اخرجى وانظرى من هذا فقالت هذا رسول محمد بن سليمان قال قولى له يدخل وحده فدخل فسلم وناوله كتابه فقال اقرأه فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن سليمان الى حماد بن سلمة أما بعد فصبحك الله بما صبح به أولياءه وأهل طاعته وقعت مسئلة فائتنا نسألك عنها فقال يا صبية هلمى الدواة ثم قال لى اقلب الكتاب واكتب أما بعد وأنت صبحك الله بما صبح به أولياءه وأهل طاعته انا أدركنا العلماء وهم لا يأتون أحدا فان وقعت مسئلة فائتنا فسلنا عما بدا لك وان تأت فلا تأتنى الا وحدك ولا تأتنى بخيلك ورجلك فلا أنصحك ولا أنصح نفسى والسلام فبينا أنا جالس عنده اذ دق داق الباب فقال يا صبية اخرجى انظرى من هذا فاذا محمد بن سليمان قال قولى له يدخل وحده فدخل فسلم ثم جلس بين يديه فقال مالى اذا نظرت اليك امتلأت رعبا فقال حماد سمعت ثابتا يعنى البنانى يقول سمعت أنس بن مالك يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان العالم اذا أراد بعلمه وجه الله تعالى هابه كل شئ واذا أراد يكنز الكنوز هاب من كل شئ فقال ما تقول يرحمك الله فى رجل له ابنان وهو عن أحدهما أرضى فاراد أن يجعل له فى حياته ثلثى ماله فقال لا تفعل يرحمك الله فانى سمعت ثابتا البنانى يقول سمعت أنس بن مالك يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل اذا أراد أن لا يعذب عبدا بماله وفقه عند موته بوصية جائزة قال فحاجة اليك قال هات ما لم تكن رزية فى الدين قال له أربعين ألف درهم تأخذها فتستعين بها على ما أنت عليه قال ارددها على من ظلمته بها قال والله ما أعطيتك الا ما ورثته قال لا حاجة لى فيها ازوها عنى زوى الله عنك أوزارك قال فغيرها قال فهات ما لم تكن رزية فى الدين قال تأخذها فتقسمها قال لعلى ان عدلت فى قسمتها ان يقول بعض من لم يرزق منها انه لم يعدل فى قسمتها فيأثم ازوها عنى زوى الله عنك أوزارك (وحكى) أن هرون الرشيد خرج حاجا فمر بالبهلول فنادى باعلى صوته يا أمير المؤمنين يا أمير المؤمنين فكشف هرون السجاف بيده وقال لبيك يا بهلول لبيك يا بهلول فقال يا أمير المؤمنين حدثنا أيمن بن نائل عن قدامة بن عبد الله العامرى قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم بمنى على جمل وتحته رحل رث فلم يكن ثم طرد ولا ضرب ولا اليك اليك وتواضعك فى سفرك هذا خير لك من تكبرك وتجبرك فبكى هرون حتى سقطت دموعه على الارض ثم قال يا بهلول زدنا قال

هب انك قد ملكت الارض طرا * ودان لك العباد فكان ماذا
أليس غدا مصيرك جوف قبر * ويحثو الترب هذا ثم هذا

فبكى هرون ثم قال أحسنت يا بهلول هل غير هذا قال نعم رجل آتاه الله مالا وجمالا فانفق من ماله وعف فى جماله كتب فى خالص ديوان الله تعالى من الابرار فقال أحسنت يا بهلول مع الجائزة فقال اردد الجائزة على

صلى الله عليه وسلم مقامى هذا ثم بكى فقال اياكم والكذب فانه منبع الفجور وهما فى النار وقال صلى الله عليه وسلم ان الكذب باب من أبواب النفاق وقال بعض السلف ان فى المعاريض لمندوحة عن الكذب وقال ان فى المعاريض ما يكفى الرجل عن الكذب (الآفة الخامسة عشرة) الغيبة فنذكر أولا ما ورد من الشرع فى ذمها قال الله عز وجل ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا الآية وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تناجشوا ولا تدابروا ولا يغتب بعضكم بعضا وكونوا عباد الله اخوانا وقال صلى الله عليه وسلم اياكم والغيبة فان الغيبة أشد من الزنا لان الرجل اذا زنى وتاب فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه قال أنس رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة اسرى بى على قوم يخمشون وجوههم باظافيرهم فقلت يا جبريل من هؤلاء فقال هؤلاء الذين يغتابون الناس ويقعون فى أعراضهم فاوحى الله تعالى الى موسى صلى الله عليه وسلم فقال من مات تائبا من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة ومن مات مصرا عليها فهو أول من يدخل النار وحد الغيبة ان تذكر انسانا بما يكرهه لو بلغه سواء ذكرت نقصانا فى بدنه أو نسبه أو فعله أو قوله أو دينه أو دنياه حتى فى ثوبه وداره ودابته (واعلم) ان التعريض والتفهيم فيها

من أخذتها منه فلاحاجة لي فيها قال يابهلول ان يكن عليك دين قضيناه قال ياأمير المؤمنين لاتقض دينا بدين اردد الحق الى أهله واقض دين نفسك من نفسك قال يابهلول فنجري عليك مايكفيك فرفع البهلول رأسه الى السماء ثم قال ياأمير المؤمنين أنا وأنت من عيال الله فمحال أن يذكرك وينساني فاسبل هرون السجاف ومضى

(قصة أصحاب السبت) قال الله تعالى واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر أي سل يامحمد هؤلاء اليهود الذين هم جيرانك سؤال توبيخ وتقرير عن القرية التي كانت حاضرة البحر أي بقربه قال ابن عباس هي قرية يقال لها أيلة بين مدين والطور على شاطئ البحر وقال الزهري هي طبرية الشام اذ يعدون في السبت أي يظلمون فيه ويجاوزون أمر الله بصيد السمك وذلك أن الله كان قد حرم عليهم صيد السمك يوم السبت فكان اذا دخل يوم السبت لم يبق حوت في البحر الا اجتمع هناك حتى يخرجن خراطيمهن من الماء لامنها حتى لايرى الماء من كثرتها فاذا مضى السبت تفرقن ولزمن مقل البحر فلا يرى شيء منها فذلك قوله اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا أي ظاهرة على الماء كثيرة جمع شارع ويوم لايسبتون لاتأتيهم ثم ان الشيطان وسوس اليهم قال انما نهيتم عن أخذها يوم السبت فعمد رجال فحفروا الحياض حول البحر وشرعوا منه اليها الانهار فاذا كانت عشية الجمعة فتحوا تلك الانهار فاقبل الموج بالحيتان الى الحياض فلا يقدرون على الخروج لبعد عمقها وقلة مائها فاذا كان يوم الاحد أخذوها وقيل كانوا يسوقون الحيتان الى الحياض يوم السبت ولا يأخذونها ثم يأخذونها يوم الاحد ففعلوا ذلك زمانا ولم تنزل عليهم عقوبة فتجرؤا على الذنب وقالوا مانرى السبت الاقد أحل لنا فاخذوا وأكلوا وملحوا وباعوا وكثر مالهم فلما فعلوا ذلك صار أهل القرية أثلاثا وكانوا نحو سبعين ألفا ثلثا أمسكوا ونهوا وثلثا لم ينهوا وسكتوا وقالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم وثلثا هم أصحاب الخطيئة انتهكوا الحرمة فلما لم ينتهوا قال الناهون لانساكنكم في قرية واحدة فقسموا القرية بجدار للمسلمين باب وللمعتدين باب فلعنهم داود وغضب الله عليهم لاصرارهم على المعصية فخرج الناهون ذات يوم ولم يخرج من المجرمين أحد ولم يفتحوا بابهم فلما أبطؤا علوا على الجدار فاذا هم قردة لها أذناب يتعاوون ففتحوا الباب ودخلوا عليهم فعرفت القرود أنسابها من الانس ولم تعرف الانس أنسابها من القرود فجعلت القردة تأتي نسيبها من الانس فتشم ثيابه وتبكي فيقول لهم ألم ننهكم فتقول برأسها نعم فمكثوا ثلاثة أيام ثم هلكوا ولم يمكث ممسوخ فوق ثلاثة أيام ولم يتوالدوا قوله تعالى واذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم الآية هذا قول الفرقة الساكتة للناهية فقالت الفرقة الناهية معذرة الى ربكم ومعناه أن الامر بالمعروف واجب علينا فعلينا موعظة هؤلاء عذرا الى الله لعلهم يتقون أي يتقون الله ويتركون المعصية قوله تعالى فلما نسوا ماذكروا به أي تركوا ماوعظوا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا يعني الفرقة العاصية بعذاب بئيس أي شديد وجيع من البأس وهو الشدة بما كانوا يفسقون قال ابن عباس رضي الله عنهما اسمع الله يقول أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس فلا أدري مافعلت الفرقة الساكتة قال عكرمة قلت جعلني الله فداك ألا تراهم قد أنكروا وكرهوا ماهم عليه وقالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم وان لم يقل الله أنجيتهم لم يقل أهلكتهم فاعجبه قولي فرضيه وأمر لي ببردين فكسانيهما وقال نجت الفرقة الساكتة وقال ابن زيد نجت الفرقة الناهية وهلكت الفرقتان وهذه أشد آية في ترك النهي عن المنكر قوله تعالى فلما عتوا عما نهوا عنه أي أبوا أن يرجعوا عن المعصية قلنا لهم كونوا قردة خاسئين أمر تحويل وتكوين خاسئين مبعدين مطرودين تم الربع الثاني وهو ربع العادات ونبدأ الآن في الربع الثالث وهو ربع المهلكات

(كتاب الحث على الطاعات وترك المعاصي وبيان آفاتها والتحذير من الشيطان وفيه أربعة أبواب)

(الباب الاول في الحث على الطاعات وترك المعاصي)

قال الله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان أي بالانصاف والاحسان أداء الفرائض وايتاء ذي القربى صلة الرحم وينهى عن الفحشاء ماقبح من القول والفعل وقال ابن عباس الزنا والمنكر مالايعرف في شريعة

ولا

ولاسنة والبغي الكبر والظلم وقال ابن عيينة العدل استواء السر والعلانية والاحسان أن تكون سريرته أحسن من علانيته والفحشاء والمنكر أن تكون علانيته أحسن من سريرته يعظكم لعلكم تذكرون أي تتعظون وقال الله تعالى ياأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا قال عطاء عن ابن عباس أي بالانتهاء عما نهاكم الله عنه والعمل بطاعته وأهليكم نارا يعني مروهم بالخير وانهوهم عن الشر وعلموهم وأدبوهم تقوهم بذلك نارا وقودها الناس والحجارة في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يغار وغيرة الله ان يأتي المرء ماحرم الله عليه وروى الدارقطني عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدودا فلا تعتدوها وحرم أشياء فلا تنتهكوها وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها وعن أبي بكر رضي الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الناس خير قال من طال عمره وحسن عمله قيل فأي الناس شر قال من طال عمره وساء عمله وقال صلى الله عليه وسلم اذا رأيت الله يعطي العبد مايحب وهو مقيم على معصيته فانما ذلك استدراج ثم تلا قوله تعالى فلما نسوا ماذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من أطاع الله فقد ذكر الله تعالى وان قلت صلاته وصيامه وتلاوته القرآن ومن عصى الله فقد نسي الله وان كثرت صلاته وصيامه وتلاوته القرآن وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال واياكم ومحقرات الذنوب فانما محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا ببطن واد فجاء ذا بعود وجاء ذا بعود حتى أنضجوا خبزهم فان محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه وقال الفضيل بن عياض العجب كل العجب لمن عرف الله تعالى ثم عصاه بعد المعرفة وقال أبو سعيد الخدري انكم تعملون أعمالا هي أدق عندكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الموبقات وكان أحمد بن حرب يقول ياصاحب الذنوب قد آن لك أن تتوب ياصاحب الذنوب أنت غدا بالذنب مطلوب ياصاحب الذنوب أنت بها في النار مسحوب وقال عبد الله بن أبي نوح ياعجبا كل العجب لمن يعصي المحسن بعد معرفته باحسانه ويطيع اللعين بعد معرفته بطغيانه وقال بعض الحكماء اني لاستحي من الله ان أعبده رجاء ثواب الجنة فاكون كالاجير ان أعطي أجره عمل والالم يعمل ولكني أعبده لما هو أهله وقال بعض الحكماء ركب الله تعالى في الملائكة العقل بلا شهوة وركب في البهائم الشهوة بلا عقل وركب في بني آدم الشهوة والعقل فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة ومن غلبت شهوته عقله فهو شر من البهائم قال بعض العلماء ليس بيع يوسف اخوته باعجب من بيعك نفسك بأدنى شهوة بل بادنى من ذلك وهو الطمع في الشهوة وباع يوسف من يعاديه وأنت تبيع نفسك مع محبتك اياها فما أغفلك وأسوأ حالك وقال أبو الليث السمرقندي مكتوب في التوراة من يزرع البر يحصد السلامة وفي الانجيل من يزرع الشر يحصد الندامة وفي القرآن من يعمل سوأ يجز به وقال لقمان لما حضرته الوفاة يابني كثيرا ما كنت أوصيك الى هذه الغاية واني موصيك بست خصال فيها علم الاولين والآخرين أولها لاتشغل نفسك بالدنيا الا بقدر مابقي من عمرك الثاني اعبد ربك بقدر حوائجك اليه الثالث اعمل لآخرتك بقدر ماتريد المقام فيها الرابع أن يكون شغلك في فكاك رقبتك من النار مالم تظهر لك النجاة منها الخامس ليكون جراءتك على المعاصي بقدر صبرك على عذاب الله تعالى مالم يظهر النجاة منه السادس ان أردت أن تعصي الله تعالى فاطلب مكانا لايراك الله عز وجل وملائكته فيه وفي الحديث اذا بلغ العبد أربعين سنة ولم يغلب خيره على شره فليتجهز الى النار قال أبو الفرج ابن الجوزي رحمه الله في روضة المشتاق ورد في الاخبار أن العاصي اذا مات مصرا على زلته حشر يوم القيامة على صفته ومعصيته فينادي واسوأتاه واخجلتاه فيقول له الملك الموكل به أما هكذا كنت في دنياك تخلو بين يدي مولاك وهو مطلع عليك يشاهدك يراك أما الآن قلت في ذلك الوقت واسوأتاه واخجلتاه ثم ينادي عليه بين الاشهاد هذا جزاء من قابل مولاه بالاساءة والفساد ولم يستح من الملك الجواد

(الباب الثاني في تقسيم المعاصي)

كالتصريح لافرق بين الحركة المفهمة والقول الصريح والمسمع فيه شريك القائل والاصغاء والتعجب مما يذكره استخراج الغيبة وهو اعانة وشركة وقال أبو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رد عن عرض اخيه بالغيبة كان حقا على الله تعالى ان يرد عن عرضه يوم القيامة (بيان مايرخص في الغيبة) وذلك ان يكون له غرض صحيح في الشرع وذلك ستة أشياء (الاول) التظلم كمن تظلم من قاض ظلمه أو أخذ الرشوة منه أو غيره فهو جائز مندوب اليه (الثاني) الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي الى الصلاح (الثالث) الاستفتاء بان يقول ظلم أبي أو أخي في كذا فكيف السبيل الى الخلاص (والتعريض) في مثل هذا اسلم (الرابع) تحذير المسلمين من الشر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذكر الفاجر بما فيه من مساويه يحذره الناس (الخامس) ان يعرف باسم كالاعرج والاعمش فذلك لاحرج فيه (السادس) ان يجاهر بالفسق كالمخنث وصاحب الماخور والمجاهر بشرب الخمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ألقى جلباب الحياء عن وجهه فلاغيبة له (بيان كفارة الغيبة) اعلم ان الواجب على المغتاب ان يندم ويتوب ويتأسف على مافعله ليخرج من حق الله تعالى ثم يستحل من المغتاب لعله فيخرج من مظلمته ولكن ذلك باظهار حزن وتندم وقال الحسن يكفيه الاستغفار دون الاستحلال وروى انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كفارة من اغتبت ان تستغفر له وقال مجاهد كفارة اكلك لحم أخيك ان تثني عليه وتدعو له بخير والاولى الاستحلال باظهار التندم (الآفة السادسة عشرة) النميمة قال الله تعالى هماز مشاء بنميم قال عبد الله بن المبارك ولد الزنى لايكتم الحديث واشار به الى ان كل من لم يكتم الحديث ومشى بالنميمة دل على أنه ولد الزنى استنباطا من قوله تعالى عتل بعد ذلك زنيم والزنيم هو الدعي وقال تعالى ويل لكل همزة لمزة الهمزة هو النمام وقال حمالة الحطب قيل كانت نمامة حمالة للحديث وقال الله تعالى فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وفي حديث لايدخل الجنة قتات والقتات هو النمام وفيه أحاديث كثيرة وحد النميمة كشف مايكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه أو المنقول اليه أو ثالث وسواء كان الكشف بالقول أو بالكتابة أو بالرمز والاشارة فحقيقة النميمة افشاء السر وهتك الستر (الآفة السابعة عشر) كلام ذي اللسانين وذلك من يتردد بين المتعادين ويكلم كل واحد بما يوافقه وذلك عين النفاق قال عمار بن ياسر قال النبي صلى الله عليه وسلم من كان له وجهان في الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيامة وروى أبو هريرة انه عليه السلام قال تجدون من شر عباد الله يوم القيامة ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بحديث هؤلاء وهؤلاء بحديث هؤلاء وفي لفظ الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه (الآفة الثامنة

قال الشيخ عبد العزيز رحمه الله في طهارة القلوب المعاصي قسمان ترك فريضة أو فعل محرم وأولهما معصية آدم نهي عن أكل الشجرة فأكل ثم ينقسم الى ما هو حق الله والى ما هو حق الآدمي ثم ينقسم من أصولها الى أربعة ربوبية وشيطانية وبهيمية وسبعية فالربوبية التشبه باوصاف الرب سبحانه فان الرفعة والعظمة والكبرياء والعز والغنى والقهر والاستيلاء صفات الرب سبحانه فمن تشبه بها من الخلق فتكبر وتجبر وطلب الرفعة والعلو والبناء والاستيلاء على الخلق فقد نازع الربوبية حقها والشيطانية التشبه بالشيطان ومن صفاته الحسد والبغي والحيلة والخداع والغش والنفاق والدعوة الى المعاصي والبدع والضلال والبهيمية الشره والحرص على قضاء شهوة البطن والفرج ومنها يستشعب الزنا والسرقة وأكل مال الايتام وجمع الحرام لقضاء الاوطار والسبعية الغضب والحقد ومنها يتشعب القتل والضرب وايذاء الخلق وأول ما يستولي على الانسان البهيمية فاذا كبر وتزايد فهمه دخلت عليه السبعية فاذا قويت فكرته ولم يوفق استعمل عقله في المكر والخداع والصفات الشيطانية ثم يدخل عليه منازعة الربوبية قال الله تعالى الكبرياء ردائي ثم تنقسم الذنوب قسمين بالنظر الى ضررها واثمها فالكبائر تغفر بالتوبة والصغائر تغفر بالصلاة ونحوها كما ورد وقد اختلف الناس في حد الكبائر اختلافا كثيرا فذهب بعض العلماء الى أن كل محرم كبيرة ولكن بعضها أكبر من بعض فان الصغير والكبير أمر نسبي وهذا ضعيف فان ظاهر القرآن يدل على أن المعاصي منقسمة قال الله تعالى الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم وأكثر المفسرين على ان اللمم صغائر الذنوب وقال الله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيآتكم فالصحيح التقسيم ثم اختلف الصحابة والتابعون في عدد الكبائر فقال ابن مسعود أربع وقال ابن عمر سبع وقال عبد الله بن عمرو بن العاص تسع وقيل احدى عشرة كبيرة وقال أبو طالب المكي جمعتها من مجموع أقوال الصحابة فوجدتها سبعة عشر أربعة في القلب وهي الشرك بالله والاصرار على معصية الله والقنوط من رحمة الله والامن من مكر الله وأربعة في اللسان وهي شهادة الزور وقذف المحصن واليمين الغموس وهي التي يحلف بها الحالف متعمدا الكذب وقيل هي التي يقتطع بها مال مسلم ولو سواكا من أراك وسميت غموسا لانها تغمس صاحبها في النار والسحر وهو كلام أجرى الله العادة بانه اذا استعمل ظهر له أثر من الفساد وثلاث في البطن شرب الخمر وأكل مال اليتيم وأكل الربا وهو يعلم واثنان في الفرج وهما الزنا واللواط واثنان في اليدين وهما القتل والسرقة وواحدة في الرجلين وهو الفرار من الزحف وواحدة في جميع الجسد وهو عقوق الوالدين وعقوقهما أن يقسما عليه في حق فلا يبر قسمهما أو يسألاه حاجة فلا يقضيها او ان يسباه فيضربهما أو يجوعا فلا يطعمهما واختلف العلماء في حد الكبيرة فقيل كل ما نهى الله عنه في القرآن فهي كبيرة وما نهى عنه الرسول فهي صغيرة وقيل ما تواعد الله عليه بالنار فهو كبيرة وما لم يقترن به مع النهي عنه وعيد أو غضب فهي صغيرة وقيل كل ما شرع فيه حد وقيل حد أو كفارة فهو كبيرة وقيل كل ما اتفقت الشرائع على تحريمه فهو كبيرة وقيل ان حصرها مبهم ولم يرد بعددها نص وفائدة ذلك تعظيم سائر المعاصي خوفا من الوقوع في كبيرة وقيل أكبر الكبائر معلوم وأصغرها غير معلوم

(فصل) قال الشيخ عبد العزيز رحمه الله يقال ستة أشياء اذا قارنت الصغائر ألحقتها بالكبائر واذا كانت مع الكبائر عظم وزرها وتزايد أمرها (الاول) الاصرار وهو العزم على العود الى مثل الذنب ولذلك قيل لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار وليس المراد به استغفار الكذابين باللسان وانما المراد التوبة والندم والاقلاع والالتجاء الى الله بالقلب ويقال آفة الاصرار على الصغائر الوقوع في الكبائر وقل أن يقع العبد في كبيرة حتى يتقدمها صغائر كالزنا مثلا لا يتصور من غير تقدم نظر ولمس ونحوه (الثاني) أن يستصغر الذنب فانه يكبر على قدر استصغاره له فان في تصغير الذنب تصغير أمر الرب وفي تعظيم الذنب تعظيم الرب سبحانه وفي الحديث المؤمن يرى ذنبه كالجبل فوقه يخاف أن يقع عليه والمنافق يرى ذنبه كالذباب وقع على وجهه فاطاره وقال بعضهم أكبر الذنب قول الانسان ليت كل ذنب عملته يكون مثل هذا

عشر) المدح فهو منهي عنه في بعض المواضع واما الذم فهو الغيبة والوقيعة وقد سبق حكمها والمدح يدخله ستة آفات أربع في المادح واثنان في الممدوح اما المادح فهو ان يفرط فينتهي الى الكذب الثانية ان يدخله الرياء فانه بالمدح مظهر للحب الثالثة انه قد يقول ما لا يتحقق ولم يطلع عليه الرابعة ان يفرح الممدوح به وهو ظالم أو فاسق وذلك غير جائز قال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يغضب اذا مدح الفاسق واما الممدوح فيضره من وجهين احدهما ان يحدث فيه كبرا واعجابا الثانية اذا أثنى عليه بالخير رضي هو من نفسه بذلك فنسي نقصان نفسه فيقل تشمره للخير ولهذا قال صلى الله عليه وسلم قطعت عنق صاحبك ويحك لو سمعها ما افلح (الآفة التاسعة عشرة) في الغفلة عن دقائق الالطاف لفحوى الكلام لاسيما فيما يتعلق بالله وصفاته مثاله قال حذيفة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقل احدكم ما شاء الله وشئت ولكن ليقل ما شاء الله ثم شئت وذلك لان العطف المطلق يوهم التشريك وقال عليه السلام لا تقولوا للمنافق سيدنا فانه ان يكن سيدكم فقد اسخطتم ربكم (وقال) صلى الله عليه وسلم من قال انا بريء من الاسلام فان كان صادقا فهو كما قال وان كان كاذبا فليس يرجع الى الاسلام سالما (الآفة العشرون) سؤال العوام عن صفات الله تعالى وعن كلامه واسمائه

واوحى

وأوحى الله تعالى الى بعض الانبياء لا تنظر الى قلة الهدية وانظر الى عظم مهديها ولا تنظر الى صغر الخطيئة ولكن انظر الى كبرياء من واجهت بها وقال أبو سعيد الخدري انكم لتعملون أشياء هي أدق عندكم من الشعر كنا نعدها في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الموبقات وهذا لانهم كانوا أكثر تعظيما لجلال الله تعالى (الثالث) السرور بالذنب فان القلب يسود بقدر الفرح بالذنب وروى أن رجلا كان في بني اسرائيل تاب من ذنب وصام سنتين ثم سأل بعض الانبياء يدعو له بالقبول فدعا له فأوحى الله عز وجل اليه لو تشفع باهل السموات والارض ما قبلته وحلاوة الذنب في قلبه ومثال المعاصي كمثل من غلبه عدوه فأوقعه في نار أو ما يخاف الهلاك فيه فينبغي أن يغلب عليه الحزن والاسف ففرحه من غاية الجهل ويقال من فرح بالذنب فهو كالمريض الذي يفرح أن ينكسر اناؤه الذي فيه دواؤه كراهية أن يستعمله لا يرجى شفاؤه (الرابع) أن يتهاون بمنة الله تعالى عليه من ستره عليه وحلمه عنه وامهاله حيث لا يعاجله بالعقوبة ويخاف أن يكون ذلك الستر مقتا من الله وامهالا ليزداد ذنوبا فيأخذه على غرة (الخامس) اظهار الذنب بان يفعله مجاهرا او يتحدث به ويفتخر به ويتمدح وفي ذلك زيادة جراءة وعدم حرمة وابطال نعمة فان من نعم الله تعالى اظهار الجميل وستر القبيح وفيه تحريك داعية من علم بذنبه الى الوقوع في مثله وفي الخبر كل الناس معافى الا المجاهرون وقال بعضهم لا تذنب فان أذنبت فلا ترغب غيرك فتكسب ذنبين قال الله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف وقال بعض السلف ما انتهك المؤمن من أخيه حرمة أعظم من أن يساعده على معصية (السادس) أن يكون المذنب عالما يقتدى به كما ورد في الحديث من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها لا ينقص من أوزارهم شيء قال الله تعالى ونكتب ما قدموا وآثارهم وآثار العمل ما يبقى بعد العمل وقال ابن عباس رضي الله عنه ويل للعالم من الاتباع يزل زلة فيرجع عنها ويحملها الناس فيذهبون بها في الآفاق ويقال العالم كالسفينة اذا غرقت غرق أهلها وروى أن عالما من بني اسرائيل كان على بدعة ثم رجع عنها وعمل في الاصلاح دهرا فأوحى الله الى نبي من أنبيائهم قل لفلان ان ذنبك لو كان فيما بيني وبينك لغفرته ولكن كيف من أضللت من عبادي وأدخلتهم النار وكما يعظم وزر العالم في السيئات كذلك يعظم أجره في الطاعات قال الشيخ عبد العزيز رحمه الله وقد روينا في حديث مسند عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال الفقهاء أمناء الرسل ما لم يطلبوا الدنيا ويتبعوا السلطان فاذا فعلوا ذلك فاحذروهم

(الباب الثالث في آفات المعاصي)

وهي كثيرة لا تحصى ونحن نذكر ان شاء الله تعالى ما تيسر منها فمنها ظلمة يجدها العاصي في قلبه حقيقة فان الطاعة نور والمعصية ظلمة قال ابن عباس رضي الله عنه ان للحسنة ضياء في الوجه ونورا في القلب وسعة في الرزق وقوة في البدن ومحبة في قلوب الخلق وان للسيئة سوادا في الوجه وظلمة في القلب ووهنا في البدن ونقصا في الرزق وبغضا في قلوب الخلق وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه فاذا تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منها وان زاد زادت حتى تعلو قلبه فذلكم الران الذي ذكر الله تعالى في كتابه كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وأصل الرين الغلبة يقال رانت الخمر على عقله ترين رينا اذا غلبت عليه فسكر ومعنى الآية غلبت على قلوبهم المعاصي وأحاطت بها قال الحسن هو الذنب على الذنب حتى يموت القلب وقال ابن عباس رضي الله عنهما ران على قلوبهم طبع عليها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله أواني ألا وهي القلب فاقربها الى الله ما رق وصفا وصلب قال أبو عبد الله الترمذي الرقة من خشية الله والصفاء للاخوان في حق الله والصلابة في دين الله تعالى قال الشيخ عبد العزيز رحمه الله تعالى يقال شبه القلوب بالآنية فقلب الكافر اناء منكوس مقلوب لا يدخله شيء من الخير وقلب المنافق اناء مكسور اذا ألقي من أعلاه نزل من أسفله وقلب المؤمن اناء صحيح معتدل يلقى فيه الخير فيصل لكن قلوب قوم طاهرة من دنس الزلات والغفلات فما ألقي فيها بقي طاهرا وقلوب قوم فيها دنس قليل يغلب عليه ما يلقى فيها من الطهور وقلوب قوم كثيرة الادناس يغلب دنسها على ما يلقى فيها وربما امتلأت من الادناس

قديمة أو حادثة وهو منهم فضول بل حقهم الاشتغال بالعمل دون العلم لان العوام اذا خاضوا فيه ربما تكلموا بما هو كفر ولا يشعرون بذلك وسؤالهم عن ذلك كسؤال الساسة عن أسرار الملوك (في الحديث) نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القيل والقال وكثرة السؤال واضاعة المال وعلى الجملة اشتغال الناس ان الحروف قديمة أو حادثة كمن كتب اليه الملك بكتاب رسم له فيه امورا فلا يشتغل بشيء منه وضيع زمانه في ان قرطاس الكتاب قديم أو حادث فيستحق العقوبة منه لا محالة وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

(الباب الخامس والعشرون) في آفة الغضب والحقد والحسد اعلم ان الغضب نار مستكنة في القلب استكنان الجمر تحت الرماد تستخرجها الكبر من الدفين واعله من النار التي خلق منها الشيطان (بيان) ذم الغضب روى أبو هريرة ان رجلا قال يا رسول الله مرني بعمل واقلل قال لا تغضب ثم أعاد عليه فقال لا تغضب وعن بن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم ما تعدون الصرعة فيكم قلنا الذي لا يصرعه الرجال قال ليس ذلك ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب وقال عليه السلام ما غضب احد الا اشفى على جهنم (بيان حقيقة الغضب) اعلم ان الآدمي لما كان معرضا لان يقصد بالاهلاك وكان بقاؤه مقصودا اعطى الغضب وهو قوة حمية تثور من باطنه فخلق الله الغضب من النار وغرزها في باطن

فلم تسمع شيأ قال الله تعالى فى حق المتطهرين وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين ذكر العاصين عقوبتى ليرجعوا عن مخالفتى وذكر المطيعين ثواب طاعتى ليزدادوا من خدمتى وذكر عبادى ما صرفت عنهم من بلائى ومحنتهم من عطائى وأعددت لهم من لقائى ليستوفوا أوقاتهم من ثنائى ويقال قسوة القلب انما تكون لانحرافه عن مراقبة الرب ويقال انما تحصل القسوة من متابعة دواعى الشهوة فان الشهوة والصفوة لا يجتمعان واول ما يقع فى القلب غفلة فان أيقظه الله تعالى والا صارت عزيمة فان صرفه الله تعالى والا وقعت معصية فان أنقذه الله تعالى بالتوبة والا وقعت قسوة فان ألانه الله تعالى والا صارت طبعا ورينا قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقال ابراهيم بن أدهم قلب المؤمن نقى كالمرآة فلا يأتيه الشيطان بشئ الا أبصره فاذا أذنب ذنبا ألقى الله فى قلبه نكتة سوداء فان تاب محيت وان عاد الى المعصية ولم يتب تتابعت النكتة حتى يسود القلب فما أقل ما ينفع فيه الموعظة وقال الحسن الذنب على الذنب يظلم على القلب حتى يسود ويقال القلب كالكف لا يزال يقبض منه أصبعا بعد أصبع حتى تطبع وقال الترمذى حياة القلوب الايمان وموتها الكفر وصحتها الطاعة ومرضها الاصرار على المعصية ويقظتها الذكر ونومها الغفلة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فان كثرة الكلام قسوة القلب وان أبعد الناس من الله القلب القاسى وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فتقسو قلوبكم وان القلب القاسى بعيد من الله ولكن لا تعلمون وانظروا فى ذنوبكم كأنكم عبيد ولا تنظروا الى ذنوب الناس كأنكم أرباب فانما الناس معافى ومبتلى فارحموا أهل البلاء واحمدوا الله على العافية وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه قلنا يا رسول الله كيف انشراح صدره للاسلام قال اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح قلنا يا رسول الله وما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزول الموت وقال مالك بن دينار وما ضرب الله عبدا بعقوبة أعظم من قسوة القلب وما غضب الله عز وجل على قوم الا نزع منهم الرحمة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أكل الحلال أربعين يوما نور الله تعالى قلبه وأجرى ينابيع الحكمة من قلبه وقال بعضهم من أكل الشبهة أربعين يوما أظلم قلبه وهو تأويل قوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ومن آفات المعاصى حرمان العلم فان العلم نور يقذف فى القلب والمعصية تطفئه ولما جلس الشافعى بين يدى مالك رحمهما الله تعالى وقرأ عليه أعجبه ما رأى من فطنته وذكائه فقال انى أرى الله قد ألقى على قلبك نورا فلا تطفئه بظلمة المعصية ومنها حرمان الرزق بالذنب يصيبه وفى المسند عن ثوبان رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ان العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه وكما أن تقوى الله مجلبة للرزق قال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فترك التقوى مجلبة للفقر ومنها وحشة يجدها العاصى فى قلبه بينه وبين الله تعالى ومنها وحشة تحصل بينه وبين الناس قال بعض السلف انى لأعصى الله تعالى فأرى ذلك فى خلق دابتى وامرأتى ومنها تعسير أمره عليه فكما أن من اتقى الله جعل له من أمره يسرا فمن عطل التقوى جعل له من أمره عسرا ومنها أنها تنقص العمر وتمحق بركته قال صلى الله عليه وسلم لا يرد القدر الا الدعاء ولا يزيد فى العمر الا البر وان الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه فكما أن البر يزيد فى العمر فالفجور يقصر العمر وقد اختلف فى هذا فقيل النقصان ذهاب بركة العمر وقيل تنقصه حقيقة كنقص الرزق ومنها أنها تزرع أمثالها قال بعض السلف ان من عقوبة السيئة السيئة بعدها وان من ثواب الحسنة الحسنة بعدها قال الشيخ الامام عبد العزيز رحمه الله أول عقوبة الذنب ظلمة تقع فى القلب وغفلة تستولى عليه حتى تسقط عنه حرمة أمر الله ونهيه فينجر الى ذنب أعظم منه ومثاله مثال الذى يخوض فى الطين وعليه ثياب نظاف فهو يجمع ثيابه ويحفظها فاذا وقع فى الطين مرة فأصاب أطراف ثيابه أهملها بعد ذلك وخاض فيها ولم يحفظها ولهذا قيل الطاعة أول ثواب الطاعة والذنب أول عقوبة الذنب ومنها أن شؤمها يعود على غير مرتكبها قال أبو هريرة رضى الله عنه ان الحبارى لتموت فى وكرها من ظلم الظالم وقال مجاهد

ان

الانسان فاذا قصد اشتعل نار الغضب وثار ثورانا يغلى بهادم القلب وينتشر فى العروق وترتفع الى أعلى البدن كما ترتفع النار أو الماء الذى يغلى وكذلك ينصب الى البشرة فيحمر فاذا كان الغضب على من دونه واستشعر القدرة عليه احمر وان كان على من فوقه واستشعر الخوف واليأس تولد منه انقباض الدم وصار حزنا واصفر لونه وان كان على نظيره تردد الدم بين انقباض وانبساط فيصفر تارة ويحمر اخرى ويضطرب وعلى الجملة فمحل الغضب القلب ومعناه غليان دم القلب لطلب الانتقام (وللناس) فيه ثلاث درجات أولها التفريط وهو فقد هذه القوة أو ضعفها وذلك عدم الحمية وهو مذموم وهو المراد بقول الشافعى من استغضب ولم يغضب فهو حمار والمطلوب منه الاعتدال وهو الذى وصف الله تعالى به الصحابة رضى الله عنهم اشداء على الكفار رحماء بينهم والثالث هو الافراط وهو ان يخرج من الحد فيغلب صاحبه بحيث لا يدخل تحت سياسة العقل واشارة الشرع فيصير المرء معه كالمضطر وهذا مذموم ويرى ظاهره يتغير ويقبح وصورة باطنه اقبح وروى ان عائشة رضى الله عنها اغضبت مرة فقال صلى الله عليه وسلم جاء شيطانك فقالت ومالك شيطان قال بلى ولكن دعوت الله فأعاننى عليه فاسلم فلا يأمر الا بالخير وقال على رضى الله عنه كان صلى الله عليه وسلم لا يغضب للدنيا فاذا أغضبه الحق لم يعرفه

ان البهائم تلعن عصاة بنى آدم اذا اشتدت السنة وأمسك المطر وتقول هذا بشؤم معصية ابن آدم وقال عكرمة دواب الارض وهوامها حتى الخنافس والعقارب يقولون منعنا المطر بذنوب بنى آدم وعن ابن مسعود يرفعه ليس سنة بأمطر من أخرى وكأن الله قسم هذه الارزاق فجعلها فى السماء الدنيا فى هذا القطر ينزل منه كل سنة كيل معلوم فاذا عمل قوم بالمعاصى حول الله ذلك الى غيرهم واذا عصوا جميعا صرفه الله عنهم الى الفيافى قال ابن عباس رضى الله عنهما ما عام بأمطر من عام ولكن الله يصرفه فى الارض وقرأ ولقد صرفناه بينهم ليذكروا الآية وروى مرفوعا ما من ساعة من ليل ولا نهار الا السماء تمطر فيها يصرفه الله حيث يشاء ومنها أنها تذل فاعلها فان العز فى طاعة الله تعالى قال الله تعالى من كان يريد العزة فلله العزة جميعا أى فليطلبها بطاعة الله وكان من دعاء بعض السلف اللهم أعزنى بطاعتك ولا تذلنى بمعصيتك وقال على رضى الله عنه من أراد الغنى بغير مال والكثرة بغير العشيرة فليتحول من ذل المعصية الى عز طاعته أبى الله الا أن يذل من عصاه ومنها أنها تدخل العبد تحت لعنة الله ورسوله فان الله تعالى لعن من أفسد فى الارض وقطع رحمه وآذاه وآذى رسوله ولعن من كتم ما أنزل سبحانه من البينات والهدى ولعن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات بالفاحشة ولعن رسول الله صلى الله عليه وسلم على معاص وغيرها أكبر منها فهى أولى بالدخول للدخول فلعن الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة ولعن آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه ولعن شارب الخمر وساقيها وعاصرها ومعتصرها وبائعها ومشتريها وآكل ثمنها وحاملها والمحمولة اليه ولعن المتخنثين من الرجال والمترجلات من النساء ولعن المصورين ولعن من عمل عمل قوم لوط ولعن من سب أباه وسب أمه ولعن من أتى بهيمة ولعن من أفسد امرأة على زوجها أو مملوكا على سيده ولعن من أتى امرأة فى دبرها ولعن من سب أصحابه ولعن الرجل الذى يلبس لبسة المرأة والمرأة التى تلبس لبسة الرجل ولعن الراشى والمرتشى والرائش هو الواسطة فى الرشوة ومنها حرمان دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوة الملائكة فان الله سبحانه وتعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يستغفر للمؤمنين والمؤمنات وقال تعالى الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم الى قوله وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته فهذا دعاء الملائكة للمؤمنين التائبين المتبعين لكتابه وسنة رسول الله الذين لا سبيل لهم غيرهما فلا يطمع غير هؤلاء باجابة هذه الدعوة ان لم يتصف بصفات المدعو له ومنها أنها تحدث فى الارض أنواعا من الفساد فى المياه والهواء والزرع والثمار والمساكن قال مجاهد اذا ولى الظالم وسعى بالظلم والفساد فيحبس الله بذلك القطر فيهلك الحرث والنسل ثم قرأ ظهر الفساد فى البر والبحر الآية ثم قال أما والله ما هو بحركم هذا ولكن كل قرية على ماء جار فهو بحر قال قتادة أما البر فأهل العمود وأما البحر فأهل القرى والريف ومنها أنه يحصل بسببها الزلازل وغيرها من أنواع العذاب ففى مسند أحمد عن أم سلمة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا ظهرت المعاصى فى أمتى عمهم الله بعذاب من عنده فقلت يا رسول الله أما فيهم يومئذ أناس صالحون قال بلى قالت فكيف يصنع باولئك قال يصيبهم ما أصاب الناس ثم يصيرون الى مغفرة من الله ورضوان وذكر ابن أبى الدنيا حديثا مرسلا ان الارض تزلزلت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليها ثم قال أسكنى فانه لم يأن لك بعد ثم التفت الى أصحابه فقال ان ربكم يستعتبكم فاعتبوه ثم تزلزلت بالناس على عهد عمر بن الخطاب فقال أيها الناس ما كانت هذه الزلزلة الا عن شئ أحدثتموه والذى نفسى بيده ان عادت لا أساكنكم فيها أبدا وذكر ابن أبى الدنيا أيضا عن أنس رضى الله عنه أنه دخل على عائشة هو ورجل فقال يا أم المؤمنين حدثينا عن الزلزلة فقالت اذا استباحوا الزنا وشربوا الخمور وضربوا بالمعازف غار الله عز وجل فى سمائه فقال للارض تزلزلى بهم فان تابوا ونزعوا والا هدمها عليهم قال يا أم المؤمنين أعذابا لهم قالت بل موعظة ورحمة للمؤمنين ونكالا وعذابا وسخطا على الكافرين فقال أنس ما سمعت حديثا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أشد فرحا منى بهذا الحديث ومنها تسلط الظلمة عن أبى الدرداء رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يقول أنا الله لا اله

أحد لم يقم لغضبه شئ حتى ينتصر له (واعلم) ان الغضب وان لم يمكن ازالته بالكلية فيمكن ان يقلل ويجاهد خصوصا اذا لم يكن فى ضروريات المعيشة وذلك بان يعرف نفسه وخستها ويعلم انه لا ينبغى لها الاستعلاء مع تلك الخسة والدناءة ونحن نبين ذلك (بيان) علاج الغضب عند هيجانه وذلك بامور (منها) ان يعلم ثواب كظم الغيظ كما سبق ثم يخوف نفسه بعقاب الله ويعلم انه تعالى اقدر عليه منه على غيره وان يحذر نفسه عاقبة الانتقام فان العدو أيضا يتشمر لايذائه ويصير ذلك عداوة طويلة وان يتفكر فى قبح صورة غيره عند الغضب وتعبيس نفسه عليه ويعلم انه يشبه السبع الضارى ان استعمله وان استعمل الحلم فلا يشبه الا بالانبياء والاولياء (واذا تأمل) علم ان غضبه لجريان الامر على وفق مشيئة الله تعالى لا على وفق مراده ولذلك ورد فى الخبر انه سبب غضب الله تعالى فاذا علمت هذه الامور فعليك ان تقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقال عند الغضب وكان عليه السلام اذا غضبت عائشة أخذ بأنفها وقال يا عويش قولى اللهم رب النبى محمد اغفر لى ذنبى واذهب غيظ قلبى وأجرنى من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن فليقل ذلك وليجلس ان كان قائما وليضطجع ان كان جالسا وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الغضب جمرة توقد فى القلب الم تروا

الأنام لك الملوك قلوب الملوك بيدى وان العباد اذا أطاعونى حولت قلوب ملوكهم عليهم بالرأفة والرحمة وان العباد اذا عصونى حولت قلوب ملوكهم عليهم بالسخط والنقمة فساموهم سوء العذاب فلا تشغلوا أنفسكم بالدعاء على الملوك ولكن اشغلوا أنفسكم بالدعاء والتضرع الى أكفكم ملوككم وعن الحسن رحمه الله عن النبى صلى الله عليه وسلم لا تزال هذه الامة تحت يد الله تعالى وفى كنفه مالم يمال قراؤها أمراءها ومالم يزك صلحاؤها فجارها ومالم يهن خيارها شرارها فاذا هم فعلوا ذلك رفع الله يده عنهم ثم سلط عليهم جبابرتهم فساموهم سوء العذاب ثم ضربهم الله بالفاقة والفقر قال ابن عباس رضى الله عنه اذا رضى الله عن قوم ولى أمرهم خيارهم واذا سخط على قوم ولى أمرهم شرارهم وفى بعض الكتب المنزلة ان الله عز وجل يقول اذا عصانى من يعرفنى سلطت عليه من لا يعرفنى ومنها أنها تمنع اجابة الدعاء روى أن ابراهيم بن أدهم مر بسوق البصرة فاجتمع الناس اليه فقالوا يا أبا اسحق ما لنا ندعو فلا يستجاب لنا قال لان قلوبكم ميتة بعشرة أشياء الاول عرفتم الله فلا تؤدوا حقه الثانى زعمتم أنكم تحبون الله ورسوله فتركتم سنته الثالث قرأتم القرآن فلم تعملوا به الرابع أكلتم نعم الله عز وجل فلم تؤدوا شكرها الخامس قلتم ان الشيطان عدوكم ووافقتموه السادس قلتم ان الجنة حق ولم تعملوا لها السابع قلتم ان النار حق ولم تهربوا منها الثامن قلتم ان الموت حق ولم تستعدوا له التاسع انتبهتم من النوم فاشتغلتم بعيوب الناس ونسيتم عيوبكم العاشر دفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم ومنها أنها تزيل النعم وتحل النقم قال على رضى الله عنه ما نزل بلاء الا بذنب ولا رفع بلاء الا بتوبة وقد قال الله تعالى ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم أى يغيروا طاعة الله بمعصيته وشكره بكفره وأسباب رضاه باسباب سخطه فاذا غيروا غير بهم جزاء وفاقا وما ربك بظلام للعبيد فان غير المعصية بالطاعة غير الله عليه العقوبة بالعافية والذل بالعز وقد قال الله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وفى بعض الآثار الالهية عن الرب تبارك وتعالى أنه قال وعزتى وجلالى لا يكون عبد من عبيدى على ما أحب ثم ينتقل عنه الى ما أكره الا انتقلت له مما يحب الى ما يكره ولا يكون عبد من عبيدى على ما أكره ثم ينتقل عنه الى ما أحب الا انتقلت له مما يكره الى ما يحب وقد أحسن القائل

اذا كنت فى نعمة فارعها * فان الذنوب تزيل النعم * وحطها بطاعة رب العباد
فرب العباد سريع النقم * واياك والظلم مهما استطعت * فظلم العباد شديد الوخم
وسافر بقلبك بين الورى * لتبصر آثار من قد ظلم * فتلك مساكنهم بعدهم
شهود عليهم ولا تتهم * وما كان شئ عليهم أضر * من الظلم فهو الذى قد قصم
فكم تركوا من جنان ومن قصور * وأخرى عليهم أطم
صلوا بالجحيم وفات النعيم * وكان الذى نالهم كالحلم

(قصة اهلاك قوم نوح بالغرق لما عصوا ربهم وكفروا به وكذبوا نبيهم)

قال الله تعالى ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون فانجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين قيل ان نوحا عليه السلام اسمه عبد الغفار قال ابن عباس وسمى نوحا لكثرة ما ناح على نفسه واختلفوا فى سبب نوحه فقيل لدعوته على قومه بالهلاك وقيل لمراجعته ربه فى شأن ابنه كنعان وقيل لانه مر بكلب مجذوم فقال يا قبيح فاوحى الله اليه أعبتنى أم عبت الكلب قال ابن عباس بعث نوح وهو ابن أربعين سنة وبقى فى قومه يدعوهم ألف سنة الا خمسين عاما وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس وكان عمره ألفا وخمسين سنة قيل وهو أول نبى من أنبياء الشريعة وأول نذير على الشرك وأول من عذب أمته لردهم دعوته وأهلك أهل الارض بدعائه وكان أطول الانبياء عمرا وجعلت معجزاته فى نفسه لانه عمر ألف سنة فلم ينقص له سن ولم يشب له شعرة ولم تنقص له قوة وقال أبو الليث السمرقندى وكان أول من أمر بنسخ الاحكام وأمر بالشرائع وكان قبله نكاح الاخت مباحا فحرم ذلك على عهده فكذبه قومه فارسل الله تعالى عليهم الطوفان وروى الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما أن

الى انتفاخ أوداجه وحمرة عينيه فاذا وجد أحدكم من ذلك شيأ فان كان قائما فليجلس وان كان جالسا فلينم فان لم يزل ذلك فليتوضأ بالماء البارد أو يغتسل فان النار لا يطفئها الا الماء (بيان) فضيلة الحلم اعلم ان الحلم أفضل من الكظم لان الكظم هو التحلم وتكلف الحلم والحلم الطبيعى دلالة كمال العقل وانكسار قوة الغضب تحت سياسة العقل ولعل ابتداءه التحلم ثم به يرد بدنا وعادة قال النبى عليه السلام انما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ومن يتحرى الخير يعطه ومن يتوق الشر يوقه وقال صلى الله عليه وسلم اطلبوا العلم واطلبوا مع العلم السكينة والحلم لينوا لمن تعلمون منه ولمن تتعلمون منكم ولا تكونوا من جبابرة العلماء فيغلب جهلكم علمكم وقال فى دعائه اللهم اغننى بالعلم وزينى بالحلم واكرمنى بالتقوى وجملنى بالعافية وقال صلى الله عليه وسلم ابتغوا الرفعة عند الله قالوا وما هى يا رسول الله قال تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتحلم عمن جهل عليك وقال الله تعالى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما قال العلماء ان جهل عليهم لا يجهلون واذا سبك انسان أو اغتابك أو عيرك فعليك بالحلم ففيه النجاة فى الدارين اما فى الحال فلانه يزاد فى احترامه وهو يزيد فى الآخرة جزيل الثواب وقد قال عليه السلام ان امرؤ عيرك بما فيك فلا تعيره بما فيه (بيان) فضيلة العفو وهو ان يستحق حقا فيسقطه كالعفو

قوم

قوم نوح كانوا يضربونه حتى يسقط ويظنون أنه قد مات فيخرج فى اليوم الثانى ويدعوهم الى الله سبحانه روى ان شيخا منهم جاء يتوكأ على عصا ومعه ابنه فقال يا بنى لا يغرنك هذا الشيخ المجنون فقال يا أبت مكنى من العصا فأخذها من أبيه فضرب نوحا فشجه شجة منكرة فأوحى الله اليه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس أى فلا تحزن بما كانوا يفعلون فانى مهلكهم ومنقذك منهم فحينئذ دعا نوح عليهم فقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وحكى محمد بن اسحق عن عبيد بن عمير الليثى أنه بلغه أنهم كانوا يبطشون به ويخنقونه حتى يغشى عليه فاذا أفاق قال رب اغفر لى ولقومى فانهم لا يعلمون حتى اذا تمادوا فى المعصية واشتد عليه منهم البلاء وانتظر الجيل بعد الجيل فلا يأتى قرن الا كان أخبث ممن قبله حتى اذا كان الآخر منهم ليقول قد كان هذا مع آبائنا وأجدادنا هكذا مجنونا لا يقبلون منه شيأ فشكا الى الله عز وجل فقال رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا حتى قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فأوحى الله اليه أن اصنع الفلك قال ابن عباس رضى الله عنهما اتخذ نوح السفينة فى سنتين وكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسون وطولها فى السماء ثلاثون وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلاثة بطون فحمل فى الاول الوحوش والسباع والهوام وفى الاوسط الدواب والانعام وركب هو ومن معه فى البطن الاعلى مع ما يحتاج اليه من الزاد عن كعب الاحبار أنه عمل السفينة فى ثلاثين سنة وفى القصة أن الله تعالى لما أمره أن يحمل من كل زوجين اثنين قال يا رب كيف أحمل من كل زوجين فحشر الله اليه السباع والطير فجعل يضرب بيده فى كل جنس فيقع الذكر فى يده اليمنى والانثى فى يده اليسرى فحملهما فى السفينة وروى أنه لما كثرت أرواث الدواب أوحى الله الى نوح أن اغمز ذنب الفيل فغمزه فوقع منه خنزير وخنزيرة فأقبلا على الروث فلما وقع الفأر فى جوف السفينة يقرضها وحبالها فأوحى الله اليه أن اضرب بين عينى الاسد فخرج من منخره سنور وسنورة فأقبلا على الفأر (وحكى) أن نوحا عليه السلام قال للسباع لا يجامع أحدكم صاحبته حتى يخرج من السفينة لئلا تتوالد وتضيق عليكم السفينة فامتنعت الا الكلب فجاءت الهرة فاخبرت نوحا بذلك فانكر الكلب فقالت الهرة لنوح ادع الله أن يظهر حاله فدعا نوح ربه بذلك ثم ان الكلب جامع مرة أخرى فعلق فى صاحبته فجاءت الهرة فاخبرت نوحا بذلك فرآهما فقال الكلب الهى افضح الهرة عند الجماع على رؤس الخلائق كما فضحتنا فمن ثم ان السنانير اذا جامعت اناثها أخذها الصياح قال قتادة وابن جريج والقرطبى ومحمد بن كعب القرظى لم يكن فى السفينة الا ثمانية نفر نوح وامرأته وثلاثة بنين له سام وحام ويافث ونساؤهم وقال مقاتل كانوا اثنين وسبعين نصفهم نساء قال ابن عباس رضى الله عنهما أول ما حمل نوح الذرة وآخر ما حمل الحمار ولما دخل صدره تعلق ابليس بذنبه فلم تستقل رجلاه فجعل نوح يقول ويحك ادخل فينهض فلا يستطيع حتى قال نوح ويلك أدخل وان كان الشيطان معك كلمة زلت عن لسانه فلما قالها نوح خلى الشيطان سبيله فدخل ودخل الشيطان معه فقال نوح ما أدخلك على يا عدو الله قال ألم تقل ادخل وان كان الشيطان معك قال أخرج عنى يا عدو الله قال ما لك بد من أن تحملنى معك فكان فيما يزعمون فى ظهر الفلك قال الحسن لم يحمل نوح فى السفينة الا ما يلد ويبيض فاما ما يتولد من الطين من حشرات الارض والبق والبعوض فلم يحمل منها شيأ (وحكى) القرطبى فى تفسيره عن زيد بن ثابت أنه قال استعصت على نوح الماعزة أن تدخل السفينة فدفعها فى ذنبها فمن ثم انكسر ذنبها فصار معقوفا وبدا حياها ومضت النعجة حتى دخلت فمسح على ذنبها فستر على حياها وروى عن بعضهم ان الحية والعقرب أتيا نوحا فقالا احملنا فقال انكما سبب الضرر والبلاء فلا أحملكما قالتا احملنا فنحن نضمن لك أن لا نضر أحدا ذكرك فمن قال حين خاف مضرتهما سلام على نوح فى العالمين لم تضراه روى ان الماء علا على رؤس الجبال مقدار أربعين ذراعا وروى أنه لما كثر الماء فى السكك خشيت أم صبى وكانت تحبه حبا شديدا فخرجت الى الجبل حتى بلغت ثلثه فلما بلغ الماء رقبتها رفعت الصبى بيدها حتى ذهب بهما الماء فلو رحم الله منهم أحدا لرحم أم الصبى ويروى أنه لما استقرت السفينة على الجودى وهو جبل بارض الجزيرة قرب الموصل بعث نوح الغراب

عن القصاص أو المال والغرامة قال الله تعالى خذ العفو الآية وقال وأن تعفوا أقرب للتقوى وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث والذى نفسى بيده ان كنت حالفا عليهن ما نقصت صدقة من مال فتصدقوا ولا عفا أحد عن مظلمة يبتغى بها وجه الله الا زاده الله عزا يوم القيامة ولا فتح رجل باب مسئلة الا فتح الله عليه باب فقر وقال صلى الله عليه وسلم التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله والعفو لا يزيد العبد الا عزا فاعفوا يعزكم الله والصدقة لا تزيد المال الا كثرة فتصدقوا يرحمكم الله وقال صلى الله عليه وسلم من دعا على من ظلمه فقد انتصر

(بيان فضيلة الرفق)

اعلم أن الرفق محمود وهو ثمرة حسن الخلق ويضاده العنف والحدة قال صلى الله عليه وسلم لعائشة انه من أعطى حظه من الرفق أعطى حظه من خير الدنيا والآخرة ومن حرم حظه من الرفق حرم حظه من خير الدنيا والآخرة وقال صلى الله عليه وسلم اذا أحب الله أهل بيت أدخل عليهم الرفق

(بيان ذم الحسد)

وهو من نتائج الحقد والحقد من نتائج الغضب قال عليه السلام الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وحقيقته انه يكره نعمة الله على أخيه فيحب زوالها عنه فان كان لا يكره ذلك لاخيه ولا يريد زواله ولكن يريد لنفسه مثل ذلك فيسمى هذا غبطة قال صلى الله عليه وسلم المؤمن

ليأتيه بخبر الارض فوقف على جيفة فلم يرجع فبعث حمامة فجاءت بورقة زيتون في منقارها ولطخت رجليها بالطين فعلم نوح أن الماء قد نضب فقيل انه دعا على الغراب بالخوف فلذلك لا يألف البيوت فطوق الحمامة بالخضرة التي في عنقها ودعا لها بالأمان فمن ثم تألف البيوت وروى ان نوحا ركب السفينة لعشر مضت من رجب وجرت بهم السفينة ستة أشهر ومرت بالبيت فطافت به سبعا وقد رفعه الله من الغرق وبقي موضعه وهبطوا يوم عاشوراء فصام نوح وأمر جميع من معه بالصوم شكرا لله تعالى وقيل ما نجا من الكفار من الغرق غير عوج ابن عنق كان الماء الى حجزته وكان سبب نجاته أن نوحا احتاج الى خشب ساج للسفينة فلم يمكنه نقلها فحملها عوج اليه من الشام فنجاه الله من الغرق لذلك قيل كان طوله ثلاثة آلاف وثلاثمائة وثلاثة وثلاثين ذراعا وثلث ذراع وكان يحتجز بالسحاب ويشرب منه ويتناول الحوت من قرار البحر فيشويه بعين الشمس ثم يأكله وعاش ثلاثة آلاف سنة حتى أهلكه الله تعالى على يد موسى عليه الصلاة والسلام وذلك انه قور صخرة من الجبل على قدر عسكر موسى وكان فرسخا في فرسخ وحملها ليطبقها عليهم فبعث الله عز وجل الهدهد فقور الصخرة بمنقاره فوقعت في عنقه فصرعته فاقبل موسى وهو مصروع فقتله وكانت أمه عنق أحدى بنات آدم وكان مجلسها جريبا من الارض والله أعلم وروى أبو الفرج بن الجوزي رحمه الله تعالى بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ولد لنوح عليه السلام ثلاثة سام وحام ويافث فاما سام فأبو العرب وفارس والروم وأما يافث فأبو ياجوج وماجوج وأما حام فأبو هذه الجلدة السوداء قال أبو الفرج الظاهر في الالوان أنها خلقت على ما هي عليه من غير سبب ظاهر الا أنه قد روينا أن أولاد نوح اقتسموا الارض بعد موت نوح فكان الذي قسم بينهم الارض فالغ بن عابر فنزل بنو سام سرة الارض فكان فيهم الادمة والبياض ونزل بنو يافث مجرى الشمال والصبا فكانت فيهم الحمرة والشقرة ونزل بنو حام مجرى الجنوب والدبور فتغيرت ألوانهم وما روى أن نوحا انكشفت عورته فلم يغطها حام فدعا عليه فاسود فشيء لا يثبت ولا يصح وروى الاصمعي عن النمر بن هلال ان الارض أربعة وعشرون ألف فرسخ فاثنا عشر ألفا للسودان وثمانية للروم وثلاثة للفرس وألف للعرب

(الباب الرابع في التحذير من عدو الله ابليس اللعين)

قال الله تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء وقد أخبرنا الله عنه بانه قال فبما أغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم أي لأجلسن لبني آدم على طريقك القويم وهو الاسلام ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين قال ابن عباس من بين أيديهم أي من قبل الآخرة فاشككهم فيها ومن خلفهم أرغبهم في دنياهم وعن أيمانهم أشبه عليهم أمر دينهم وعن شمائلهم أشهي لهم المعاصي قال قتادة أتاك يا ابن آدم من كل وجه غير أنه لم يأتك من فوقك لم يستطع أن يحول بينك وبين رحمة الله وقوله ولا تجد أكثرهم شاكرين أي مؤمنين فان قيل كيف علم الخبيث ذلك قيل قاله ظنا فاصاب قال الله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه وقال تعالى يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم قال ابن عباس قبيله ولده وقال مالك بن دينار ان عدوا تراه ولا يراك لشديد المؤنة الا من عصمه الله وقال مجاهد في قوله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ما من عبد الا وملك موكل به يحفظه في نومه ويقظته من الجن والانس والهوام فما منهم شيء يأتيه يريده الا قال وراءك الا شيء يأذن الله فيه فيصيبه وقال كعب الاحبار لولا أن الله تعالى وكل بكم ملائكة يذبون عنكم في مطعمكم ومشربكم وعوراتكم لتخطفتكم الجن عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه ما لم يقدر عليه من ذلك للبصر سبعة أملاك يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب ولو وكل الانسان الى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين وقال مطرف أنصح عباد الله تعالى للمؤمنين الملائكة وأغش الخلق للمؤمنين هم الشياطين عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

يغبط والمنافق يحسد وقال الله تعالى ودّ كثير من أهل الكتاب لو يردّونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا فأخبر أن حبهم زوال نعمة الايمان حسدا منهم وقد قال الله تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض والمراد به النهي عن تمني انتقال تلك النعمة اليه بعينها اما أن يتمنى أن ينعم الله تعالى عليه بمثله فذلك غير مذموم وان كان في دين فهو محمود واعلم أن للحسد أسبابا كثيرة وهي العداوة والتعزز والبغض والكبر والعجب والخوف من فوات المقاصد المحبوبة وحب الرياسة وخبث النفس وبخلها وكلها مذموم وعلاجه أنك تعلم أن الحسد ضرر عليك في الدنيا والآخرة اما في الدنيا فلانك تتأذى بذلك وهو ضجيعك لا يفارقك ليلا ونهارا وأما في الدين فهو تسخط لنعمة الله تعالى وهو ثواب له وذنب مكتوب عليك فاذا علمت ذلك ولم تكن صديقا لعدوك فلابد أن تتكلف الاقلاع عن الحسد وقد روي الحسن مرفوعا وموقوفا انه قال ثلاثة في المؤمن له منهن مخرج ومخرجه من الحسد أن لا يبغي والحمد لله وحده

(الباب السادس والعشرون في ذم الدنيا)

اعلم أن الدنيا عدوة الله تعالى وعدوة لاوليائه وعدوة لاعدائه فعداوتها لله تعالى بانها قطعت الطريق على أولياته ولذلك لم ينظر الله اليها منذ خلقها وأما عداوتها لاولياء الله تعالى لانها تزينت لهم بزينتها وغرتهم بزهرتها ونضارتها حتى تجرعوا مرارة الصبر

وسلم قال ان الرجل اذا أوى الى فراشه ابتدره ملك وشيطان فيقول الملك اللهم اختم بخير ويقول الشيطان اللهم اختم بشر فاذا ذكر الله تعالى ثم نام بات الملك يكلؤه وقال قتادة الخناس له خرطوم كخرطوم الكلب في صدر الانسان فاذا ذكر العبد ربه خنس ويقال رأسه كرأس الحية واضع رأسه على ثمرة القلب يمنيه ويحدثه فاذا ذكر العبد ربه خنس واذا لم يذكر رجع ووضع رأسه فذلك قوله الذي يوسوس في صدور الناس بالكلام الخفي الذي يصل مفهومه الى القلب من غير سماع وروى عمر بن عبد العزيز أن رجلا سأل ربه أن يريه موضع الشيطان من قلب ابن آدم فرأى في النوم جسد رجل شبه البلور يرى داخله من خارجه ورأى الشيطان على صورة ضفدع قاعد على منكبه الايسر بين منكبه وأذنه له خرطوم طويل دقيق قد أدخله من منكبه الايسر الى قلبه يوسوس اليه فاذا ذكر الله خنس قال عبد الله بن مسعود قعد قوم يذكرون الله تعالى فأتاهم الشيطان ليقيمهم من مجلسهم فيطرق بينهم فلم يستطع فاتى رفقة يتحدثون بحديث الدنيا فأفسد بينهم فقاموا وليس اياهم يريد فقام الذين يذكرون الله تعالى واشتغلوا بهم يفصلون بينهم فتفرقوا عن مجلسهم وذلك مراد الشيطان قال الغزالي رحمه الله مثال الشيطان مثال كلب جائع يقرب منك فان لم يكن بين يديك لحم وخبز ينزجر بان تقول له اخسأ فمجرد الصوت يدفعه وان كان بين يديك لحم وهو جائع يهجم على اللحم ولم يندفع بالكلام فالقلب الخالي عن قوت الشيطان ينزجر عنه بمجرد الذكر فاما الشهوات اذا غلبت على القلب دفعت حقيقة الذكر الى حواشي القلب فلم يتمكن من سويدائه فيستقر الشيطان في سويداء القلب وأما قلوب المتقين الخالية من الهوى والصفات المذمومة يطرقها الشيطان لا بالشهوات بل بالغفلة يخلوها عن الذكر فاذا ذكر خنس الشيطان ودليل ذلك قوله تعالى فاستعذ بالله وسائر الآيات والاخبار الواردة في الذكر وروى عن أبي أمامة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ابليس لما نزل الى الارض قال يا رب أنزلتني الى الارض وجعلتني رجيما فاجعل لي بيتا قال الحمام قال فاجعل لي مجلسا قال الاسواق ومجامع الطرق قال فاجعل لي طعاما قال ما لا يذكر اسم الله عليه قال اجعل لي شرابا قال كل مسكر قال اجعل لي مؤذنا قال المزامير قال اجعل لي قرآنا قال الشعر قال اجعل لي كتابا قال الوشم قال اجعل لي حديثا قال الكذب قال اجعل لي مصائد قال النساء قال جابر رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابليس يضع عرشه على الماء يبعث سراياه فادناهم منه منزلة أعظمهم فتنة يجيء أحدهم فيقول فعلت كذا وكذا فيقول ما صنعت شيأ قال ثم يجيء أحدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته قال فيدنيه منه فيقول نعم أنت قال الاعمش أراه قال فيلتزمه وقال وهب بن منبه قال ابليس يا رب أما ترى حب عبادك لك وكثرة عصيانهم لك وبغضهم لي وكثرة طاعتهم لي فاوحى الله الى الملائكة اني قد غفرت لهم كثرة عصيانهم لي بحبهم لي وتجاوزت عن كثرة طاعتهم له ببغضهم له وروى ان ابليس ظهر ليحيى بن زكريا وعليه معاليق فقال ما هذه قال الشهوات التي أصطاد بها بني آدم فقال هل تجد لي فيها شيأ قال لا غير أنك شبعت ليلة فثقلت عن الصلاة والذكر فقال يحيى لا جرم اني لا أشبع أبدا فقال ابليس لا جرم اني لا أنصح أحدا أبدا وقال وهب بن منبه ان ابليس لقي يحيى عليه السلام فقال له أخبرني عن طبائع بني آدم عندكم فقال صنف منهم مثلك معصوم لا نقدر على شيء منهم وصنف ثان هم في الدنيا كالكرة في أيدي الصبيان وقد كفونا أنفسهم وصنف ثالث هم أشد الاصناف علينا نقبل على أحدهم حتى ندرك منه حاجتنا ثم يفزع الى الاستغفار فيفسد علينا عملنا وما أدركنا منه فلا نحن نيأس منه ولا نحن ندرك منه ما نريد وقال كعب الاحبار ذكر الله تعالى في جنب الشيطان كالآكلة في جنب بني آدم وقال أيضا يحصن المؤمن من الشيطان ثلاثة ذكر الله وقراءة القرآن والمسجد وكان يحيى بن معاذ يقول اللهم ان ابليس لك عدو ولنا عدو وانك لا تغيظه بشيء أنكى له من عفوك عنا فاعف عنا يا أرحم الراحمين وكان محمد بن واسع يقول كل يوم بعد صلاة الصبح اللهم انك سلطت علينا عدوا بصيرا بعيوبنا مطلعا على عوراتنا يرانا هو وقبيله من حيث لا نراهم فآيسه منا كما آيسته من رحمتك وقنطه منا كما قنطته من رحمتك وباعد بيننا وبينه كما أبعدت بينه وبين جنتك انك على كل شيء

في مقاطعتها وأما أعداؤه من الأعداء الله فلاستدراجها لهم بمكرها وبكيدها واقتنصتهم بشبكتها حتى وثقوا بها وعولوا عليها فخذلتهم أحوج ما كانوا اليها

(بيان ذم الدنيا)

اعلم أن الانبياء بعثوا لدعوة الناس من الدنيا الى الآخرة وفيه أنزلت الكتب فاكثر الآيات دالة عليه وقد روى أنه صلى الله عليه وسلم لما مر على شاة ميتة قال أترون هذه الشاة هينة على صاحبها قالوا نعم قال والذي نفسي بيده ان الدنيا أهون على الله عز وجل من هذه على صاحبها ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة من ماء وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ما كان لله منها وقال أبو موسى الاشعري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى وقال صلى الله عليه وسلم حب الدنيا رأس كل خطيئة وقال زيد بن أرقم كنا مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه فدعا بشراب فأتي بماء وعسل فلما أدناه من فيه بكى حتى أبكى أصحابه فسكتوا وما سكت ثم عاد وبكى حتى ظنوا انهم لم يقدروا على مسئلته قال ثم مسح عينيه فقالوا يا خليفة رسول الله ما أبكاك قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيته يدفع عن نفسه شيأ ولم أر معه أحدا فقلت يا رسول الله ما الذي تدفع عن نفسك فقال هذه

قد يوقال فتمثل له اللعين يوما في طريق المسجد فقال له يا ابن واسع هل تعرفني قال له ومن أنت قال هو اللعين قال وما تريد قال أريد أن لا تعلم أحدا الاستعاذة ولا أتعرض لك أبدا فقال ابن واسع والله لا أمنعها من أراد فاصنع الآن ماشئت ومن دعاء بعضهم اللهم انك خلقتني وخلقته وسلطته علي فلا يقدر على الا بقدرتك ولا أقدر عليه الا باعانتك فأعني عليه يا عزيز يا جبار بعزتك وجبروتك وقال قتادة ومجاهد والحسن في قوله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن ان من الانس شياطين كما أن من الجن شياطين والشيطان العاتي المتمرد من كل شيء قالوا ان الشيطان اذا أعياه المؤمن وعجز عن اغوائه ذهب الى متمرد من الانس وهو شيطان الانس فأغواه بالمؤمن ليفتنه يدل عليه ماروى عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تعوذت بالله من شيطان الانس والجن فقلت يا رسول الله وهل للانس من شياطين قال نعم هم شر من شياطين الجن وقال مالك بن دينار شياطين الانس أشد من شياطين الجن وذلك اني اذا تعوذت بالله ذهب عني شياطين الجن وشيطان الانس يجيء ويجرني الى المعاصي

(فصل في بيان أصل ابليس وزوجته وذريته وأصناف الجن) قال الله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن قال ابن عباس من حي من الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم وقال الحسن كان من الجن ولم يكن من الملائكة فهو أصل الجن كما ان آدم أصل الانس ففسق أي خرج عن أمر ربه عن طاعته أفتتخذونه وذريته يعني يا بني آدم أولياء من دوني وهم لكم عدو أي أعداء وروى مجالد عن الشعبي قال اني لقاعد يوما اذ أقبل جمال فقال أخبروني هل لابليس زوجة قلت ان ذلك لعرس ماشهدته ثم ذكرت قوله تعالى أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني فعلمت أنه لا يكون ذرية الا من زوجة فقلت نعم وقال قتادة يتوالدون كما تتوالد بنو آدم وقيل انه يدخل ذنبه في دبره فيبيض فتنفلق البيضة عن جماعة من الشياطين وقال ابن اسحق بلغني أن ابليس تزوج الحية التي دخل في جوفها حتى كاد آدم عليه السلام بعدما أخرج من الجنة ومنها ذريته وقال مجاهد من ذرية ابليس لاقيس وولهان وهو صاحب الطهارة والصلاة والهفاف ومرة وبه يكنى وزلنبور وهو صاحب الاسواق يزين اللغو والحلف الكاذبة ومدح السلعة وثبر وهو صاحب المصائب يزين خمش الوجوه ولطم الخدود وشق الجيوب والأعور وهو صاحب الزنا ينفخ في احليل الرجل وعجز المرأة ومطوش وهو صاحب الاخبار الكاذبة يلقيها في أفواه الناس لا يجدون لها أصلا وداسم وهو الذي اذا دخل الرجل بيته ولم يسم ولم يذكر اسم الله بصره من المتاع مالم يرفع أو يحسن موضعه فاذا أكل ولم يذكر اسم الله أكل معه قال الاعمش ربما دخلت البيت ولم أذكر اسم الله فرأيت مطهرة فقلت ارفعوا وخاصمتهم ثم اذكر داسم داسم وروى عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال للوضوء شيطان يقال له الولهان فاتقوا وسواس الماء وروى مسلم أن عثمان بن أبي العاص أتى النبي صلى الله عليه وسلم قال يا رسول الله ان الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبسها علي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك الشيطان يقال له خنزب فاذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثا ففعلت ذلك فاذهبه الله عني وقال يونس بن يزيد بلغنا أنه يولد مع أبناء الانس من أبناء الجن ثم ينشؤن معهم وقال جابر بن عبد الله ان آدم عليه السلام لما هبط قال يارب هذا العبد الذي جعلت بيني وبينه عداوة ألا تعينني عليه لا أقوى عليه قال لا يولد لك ولد الا وكل به ملك قال رب زدني قال أجزي بالسيئة سيئة وبالحسنة عشر الامثال أزيد قال رب زدني قال باب التوبة مفتوح مادام في الجسد الروح قال ابليس يارب هذا العبد كرمته علي ألا تعينني عليه لا أقوى عليه قال لا يولد له ولد الا ولد لك ولد قال رب زدني قال تجري منهم مجرى الدم وتتخذون صدورهم بيوتا قال رب زدني قال اجلب عليهم بخيلك ورجلك الى قوله غرورا وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق الله تعالى الجن ثلاثة أصناف صنف حيات وعقارب وخشاش الارض وصنف كالريح في الهواء وصنف عليهم الحساب والعقاب وخلق الله الانس ثلاثة أصناف صنف كالبهائم قال الله تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها الآية وصنف

الدنيا تمثلت لي فقلت لها اليك عني ثم رجعت فقالت انك ان خاصت وأفلت عني لم يفلت عني من بعدك وقال صلى الله عليه وسلم يا عجبا كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور وقال صلى الله عليه وسلم ان الدنيا حلوة خضرة وان الله تعالى مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ان بني اسرائيل لما بسطت لهم الدنيا ومهدت تاهوا في الحلية والنساء والطيب والثياب وقال عيسى عليه السلام لا تتخذوا الدنيا ربا فتتخذكم الدنيا عبيدا اكنزوا كنزكم عند من لا يضيعه وان صاحب الدنيا يخاف عليها الآفة وصاحب كنز الله لا يخاف عليه الآفة وقال صلى الله عليه وسلم في بعض خطبته المؤمن بين مخافتين بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فليتزود العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن حياته لموته ومن شبابه لهرمه فان الدنيا خلقت لكم وأنتم خلقتم للآخرة والذي نفسي بيده مابعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا دار الا الجنة أو النار وقال عليه السلام ان حقا على الله أن لا يرفع شيأ من الدنيا الا وضعه وقال عيسى عليه السلام من ذا الذي يبني على موج البحر دارا تلكم الدنيا فلا تتخذوها قرارا وقال أيضا يامعشر الحواريين ارضوا بدني الدنيا مع سلامة الدين كما رضي أهل الدنيا بدني الدين مع سلامة الدنيا وقال ابن عباس ان الله تعالى

أجسادهم

أجسادهم أجساد بني آدم وأرواحهم أرواح الشياطين وصنف في ظل الله يوم لا ظل الا ظله

(قصة برصيصا)

روى عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر الآيتين انه كان راهب في الفترة يقال له برصيصا تعبد في صومعة له سبعين سنة لم يعص الله فيها طرفة عين وان ابليس أعياه في أمره الحيل فجمع ذات يوم مردة الشياطين فقال ألا أحد منكم يكفيني برصيصا فقال له الابيض وهو صاحب الانبياء عليهم السلام وهو الذي قصد النبي صلى الله عليه وسلم وجاء في صورة جبرائيل عليه السلام ليوسوس اليه على وجه الوحي فدفعه جبرائيل عليه السلام الى أقصى أرض الهند فقال الابيض لابليس أنا أكفيك أمره فانطلق فتزين بزينة الرهبان وحلق وسط رأسه وأتى صومعة برصيصا فناداه فلم يجبه وكان لا ينفتل من صلاته الا في كل عشرة أيام ولا يفطر في عشرة أيام الا مرة فلما رأى الابيض أنه لا يجيبه أقبل على العبادة في أصل صومعته فلما انفتل برصيصا اطلع من صومعته فرأى الابيض قائما يصلي في هيئة حسنة من هيئة الرهابين فلما رأى ذلك من حاله تدبر في نفسه حين لم يجبه فقال له اني كنت مشتغلا عنك فما حاجتك فقال حاجتي التي أحب أن أكون معك فأتأدب بك وأقتبس من علمك ونجتمع على العبادة فتدعو لي وأدعو لك قال برصيصا اني لفي شغل عنك فان كنت مؤمنا فان الله تعالى سيجعل لك فيما أدعو للمؤمنين نصيبا ان استجاب لي ثم أقبل على صلاته وترك الابيض وأقبل الابيض يصلي فلم يلتفت اليه برصيصا أربعين يوما فلما انفتل رآه قائما يصلي فلما رأى برصيصا شدة اجتهاده قال له ما حاجتك قال حاجتي أن تأذن لي فارتفع اليك فاذن له فارتفع اليه في صومعته فأقام معه حولا يتعبد لا يفطر الا في كل أربعين يوما ولا ينفصل عن صلاته الا في كل أربعين يوما مرة وربما مد الى الثمانين فلما رأى برصيصا اجتهاده تقاصرت اليه نفسه وأعجبه شأن الابيض فلما حال الحول قال الابيض لبرصيصا اني منطلق فان لي صاحبا غيرك ظننت أنك أشد اجتهادا مما أرى وكان يبلغنا عنك غير الذي رأيت فدخل من ذلك على برصيصا أمر شديد وكره مفارقته للذي رأى من شدة اجتهاده فلما ودعه قال له الابيض ان عندي دعوات أعلمها تدعو بهن فهن خير مما أنت فيه يشفي الله تعالى بها السقيم ويعافي بها المبتلى والمجنون قال برصيصا اني أكره هذه المنزلة لان لي في نفسي شغلا فاني أخاف ان علم به الناس يشغلوني عن عبادة الله تعالى فلم يزل به الابيض حتى علمه ثم انطلق حتى أتى ابليس فقال قد والله أهلكت الرجل قال وانطلق الابيض فتعرض لرجل حتى خنقه ثم جاء في صورة رجل متطبب فقال لاهله أبصاحبكم جنون فأعالجه قالوا نعم فقال لهم اني لا أقوى على جنيته ولكن سأرشدكم الى من يدعو الله لكم فيعافيه انطلقوا الى برصيصا فان عنده الاسم الذي اذا دعا الله به أجاب فانطلقوا اليه فسألوه عن ذلك فدعا بتلك الكلمات فذهب عنه الشيطان وكان الابيض يفعل ذلك بالناس ويرشدهم الى برصيصا فيدعو فيعافون فانطلق الابيض فتعرض لجارية من بنات ملوك بني اسرائيل بين ثلاث أخوات وكان أبوهم ملكهم فمات واستخلف أخاه فكان عمها ملك بني اسرائيل فعذبها وخنقها ثم جاء اليهم في صورة رجل متطبب فقال لهم فأعالجها قالوا نعم قال ان الذي عرض عليها مارد لا يطاق ولكن سأرشدكم الى رجل تثقون به تدعونها عنده فاذا جاء شيطانها دعا لها حتى تعلموا أنها قد عوفيت فتردونها صحيحة قالوا ومن هو قال برصيصا قالوا كيف لنا أن يجيبنا الى هذا وهو أعظم شأنا من ذلك قال ابنوا لها صومعة الى جانب صومعته حتى تشرفوا عليه فان قبلها والا فضعوها في صومعته ثم قولوا له هي أمانة عندك فاحتسب فيها قال فانطلقوا اليه فسألوه ذلك فأبى عليهم فبنوا صومعة على ما أمرهم الابيض ووضعوا الجارية في صومعته وقالوا له هذه أختنا فاحتسب الله تعالى فيها ثم انصرفوا فلما انفتل برصيصا عن صلاته عاين الجارية وما بها من الجمال فسقط في يده ودخل عليه أمر عظيم فجاءها الشيطان فخنقها فدعا برصيصا بتلك الدعوات فذهب عنها الشيطان ثم أقبل على صلاته ثم جاءها الشيطان فخنقها وكانت تكشف عن نفسها فجاءه الشيطان وقال واقعها وتتوب بعد ذلك ويتم لك ماتريد من الامر فلم يزل به حتى واقعها فلم يزل على ذلك يأتيها حتى حملت وظهر حملها فقال له الشيطان ويحك

جعل الدنيا ثلاثة أجزاء جزء للمؤمن وجزء للمنافق وجزء للكافر فالمؤمن يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع وقيل ياخاطب الدنيا الى نفسه تنح عن خطبتها تسلم ان التي تخطب غدارة قريبة العرس من المأتم وقيل اذا امتحن الدنيا لبيب تكشف له عن عدو في ثياب صديق وقيل يا راقد الليل مسرورا بأوله * ان الحوادث قد يطرقن أسحارا أفنى القرون التي كانت منعمة * كر الليالي اقبالا وادبارا وقال بعض الحكماء الايام سهام والناس أغراض والدهر يرميك كل يوم بسهامه ويتخرمك بلياليه وأيامه حتى يستغرق جميع أجزائك فكيف تكون بقاء سلامتك مع وقوع الايام بك وسرعة الليالي في بدنك لو كشف لك عما أحدث فيك من النقص لاستوحشت من كل يوم يأتي عليك واستثقلت ممر الساعات بك ولكن تدبير الله فوق تدبير الاعتبار وبالسلو عن غوائل الدنيا وجد طعم لذاتها وانها لأمر من العلقم اذا عجنها الحكيم وقد أغنت الواصف لعيوبها بظاهر أفعالها وقال آخر الدنيا من حيث الاغترار بخيالاتها تم الافلاس منها بعد افلاتها تشبه خيالات المنام وأضغاث الاحلام وقال عليه السلام الدنيا حلم وأهلها عليها مجازون ومعاقبون وهالكون وكتب علي ابن أبي طالب رضي الله عنه الى سلمان الفارسي يمثلها فقال مثل الدنيا مثل الحية يلين مسها ويقتل سمها فاعرض عما يعجبك منها لقلة ما يصحبك منها وضع عنك

يا برصيصا قد افتضحت فهل لك أن تقتلها وتتوب فان سألوك فقل ذهب بها شيطانها ولم أقو عليه فدخل
فقتلها ودفنها فى جانب الجبل فجاء الشيطان وهو يدفنها ليلا فأخذ بطرف ازارها خارجا من التراب ثم رجع
برصيصا الى صومعته فأقبل على صلاته اذ جاء اخوتها يتعهدون أختهم وكانوا يجيئون فارط الايام يسألونه عنها
ويوصونه بها فقالوا يا برصيصا ما فعلت بأختنا قال قد جاء شيطانها فذهب بها ولم أطقه فصدقوه وانصرفوا فلما
أمسوا وهم مكروبون جاء الشيطان الى أكبرهم فى منامه فقال ويحك ان برصيصا فعل بأختك كذا وكذا
وانه دفنها فى موضع كذا وكذا فقال الاخ هذا حلم من عمل الشيطان وبرصيصا خير من ذلك قال فتتابع عليه
ثلاث ليال فلم يكترث فانطلق الى الاوسط بمثل ذلك فقال الاوسط له مثل ما قال الاكبر ولم يخبر به أحدا فانطلق
الى أصغرهم بمثل ذلك فقال أصغرهم لاخوته والله لقد رأيت كذا وكذا فقال الاوسط وأنا والله لقد رأيت
مثله وقال الاكبر وأنا والله رأيت مثله فانطلقوا الى برصيصا وقالوا يا برصيصا ما فعلت بأختنا فقال أليس قد
أعلمتكم بحالها فكأنكم تتهموننى قالوا والله لا نتهمك واستحيوا منه وانصرفوا فجاءهم الشيطان وقال
ويحكم انها المدفونة فى موضع كذا وكذا وان طرف ازارها خارج من التراب فانطلقوا فرأوا أختهم على ما رأوا
فى النوم فمشوا الى مواليهم وغلمانهم ومعهم الفؤوس والمساحى فهدموا صومعته وأنزلوه ثم كتفوه وانطلقوا
به الى الملك فأقر على نفسه وذلك أن الشيطان أتاه فقال له تقتلها ثم تكابر يجتمع عليك أمران قتل ومكابرة
اعترف فلما اعترف أمر الملك بقتله وصلبه على خشبة فلما صلب أتاه الابيض فقال يا برصيصا أتعرفنى قال لا
قال أنا صاحبك الذى علمتك الدعوات فاستجيب لك ويلك أما اتقيت الله فى الامانة خنت أهلها وانك زعمت
أنك أعبد بنى اسرائيل ما استحييت فلم يزل يعيره ثم قال فى آخر ذلك ألم يكفك ما صنعت حتى أقررت على نفسك
وفضحت نفسك وفضحت أشباهك من الناس فان مت على هذه الحالة لم يفلح أحد من نظرائك قال فكيف
أصنع قال تطيعنى فى خصلة واحدة حتى أنجيك مما أنت فيه وآخذ بأعينهم وأخرجك من مكانك قال وما هى
قال تسجد لى قال أفعل فسجد له قال يا برصيصا هذا الذى أردت منك صارت عاقبة أمرك الى أن كفرت بربك
انى برىء منك انى أخاف الله رب العالمين يقول الله فكان عاقبتهما أنهما فى النار خالدين فيها وذلك جزاء
الظالمين

(باب النهى عن السحر)

قال الله تعالى ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وفى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم
اجتنبوا السبع الموبقات فذكر منها السحر وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ثلاثة لا يدخلون الجنة
مدمن خمر وقاطع رحم ومصدق بالسحر رواه أحمد وعن ابن مسعود مرفوعا الرقى والتمائم والتولة شرك
رواه أحمد وأبو داود والتولة نوع من السحر وهو تحبب المرأة الى زوجها والتميمة خرزة ترد العين وقال
بجالة بن عبدة أتانا كتاب عمر رضى الله عنه قبل موته بسنة أن اقتلوا كل ساحر وساحرة وقال مالك السحر
زندقة واذا قال الرجل أحسنه يقتل ولا تقبل توبته وعن أبى حنيفة مثله وقال أحمد يقتل الساحر ولم يرو
عنه فى كفره شئ قاله ابن الملقن فى شرح المنهاج

(باب النهى عن اتيان الكهان والمنجمين والعراف)

وعن عائشة رضى الله عنها سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكهان فقال ليسوا بشئ فقالوا يا رسول الله
انهم يحدثون أحيانا بشئ فيكون حقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الكلمة من الحق يخطفها الجنى
فيقرها فى أذن وليه فيخلطون معها مائة كذبة رواه البخارى ومسلم وفى رواية ينزل فى العنان وهو السحاب
فيذكر الامر قضى فى السماء فيسترق الشيطان السمع فيسمعه فيوحيه الى الكهان فيكذبون معها مائة
كذبة من عند أنفسهم قال النووى رحمه الله قوله فيقرها هذا بفتح الياء وضم القاف والراء والعنان
بفتح العين وقال صلى الله عليه وسلم من أتى عرافا فسأله عن شئ فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يوما رواه مسلم
وقال صلى الله عليه وسلم من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد رواه أبو داود قال
قتادة انما خلق الله النجوم لثلاثة أشياء لتكون زينة السماء ومعالم الطرق ورجوما للشياطين فمن قال غير

فعمروها بما أيقنت من فراقها وكن أسر ما تكون فيها أحذر ما تكون لها فان صاحبها كلما اطمأن منها الى سرور أشخصه عنه
بمكروه والسلام وقال صلى
الله عليه وسلم انما مثل
صاحب الدنيا كمثل
الماشى فى الماء هل يستطيع
الذى يمشى فى الماء أن
لا تبتل قدماه وقال ما الدنيا
فى الآخرة الا كمثل ما
يجعل أحدكم أصبعه فى اليم
فلينظر بما يرجع اليه (بيان
حقيقة الدنيا وماهيتها)
اعلم ان الدنيا والآخرة
عبارتان عن حالتين لك
والقريب الدانى دنياك
وهو كل ما قبل الموت
والمتراخى المتأخر يسمى
آخرة وهى كل ما بعد الموت
فأما الذى يصحبك من الدنيا
بعد الموت من العلم والعمل
فذلك معدود من الآخرة
وان كان من حيث الصورة
فى هذا العالم كما قال عليه السلام
حبب الى من دنياكم
ثلاث الطيب والنساء وقرة
عينى فى الصلاة عد الصلاة
من الدنيا وملاذها لدخول
حركاتها فى الحس
والمشاهدة الظاهرة
والقسم الذى يقابل هذا
القسم كل ما فيه لذة عاجلة
لا ثمرة لها بعد الموت كالمعاصى
والمباحات الزائدة على
الحاجات * القسم الثالث
متوسط بينهما وهو كل
حظ فى العاجل يعين على
أعمال الآخرة كقدر
الحاجة من المطعم والمشرب
والملبس والمنكح وذلك
ليس من الدنيا كالقسم
الاول ويجمع هذه الاقسام قول بعضهم دنياك ما شغلك عن الله تعالى وقد جمع الله مجامع الهوى فى خمسة أمور فى

هذا

هذا فقد تكلف ما لا علم له به وعن أبى مسعود البدرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى
عن ثمن الكلب ومهر البغى وحلوان الكاهن رواه البخارى ومسلم

(باب النهى عن تصوير الحيوان)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة يقال لهم أحيوا ما خلقتم
وقال صلى الله عليه وسلم ان أشد الناس عذابا يوم القيامة عند الله المصورون رواهما البخارى ومسلم

(باب النهى عن شرب الخمر)

قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان الى قوله تعالى
والله يحب المحسنين ذهب أكثر أهل العلم الى أن كل شراب مسكر كثيره فهو خمر وقليله حرام يحد شاربه لقوله
صلى الله عليه وسلم كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ومن شرب الخمر فى الدنيا فمات وهو يدمنها لم يتب منها
لم يشربها فى الآخرة وقال صلى الله عليه وسلم ان من العنب خمرا وان من التمر خمرا وان من العسل خمرا وان
من البر خمرا وان من الشعير خمرا وعن ابن عمر رضى الله عنه قال خطب عمر رضى الله عنه على منبر رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال انه نزل تحريم الخمر وهى من خمسة أشياء العنب والتمر والحنطة والشعير والعسل
والخمر ما خامر العقل وأما الميسر فهو القمار وقال طاوس وعطاء ومجاهد كل شئ فيه قمار فهو من الميسر
حتى لعب الصبيان بالجوز والكعاب وأما الانصاب فهى الاوثان سميت بذلك لانهم كانوا ينصبونها واحدها
نصب والازلام يعنى القداح التى كانوا يستقسمون بها واحدها زلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
تكهن أو استقسم أو تطير طيرة ترده عن سفره لم ينظر الى الدرجات العلى من الجنة يوم القيامة رجس خبث
من عمل الشيطان من تزيينه فاجتنبوه أى الرجس لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة
والبغضاء فى الخمر والميسر قال قتادة كان الرجل يقامر على الاهل والمال ثم يبقى حزينا مسلوب الاهل والمال
مغتاظا على حرفائه ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون أى انتهوا لفظه استفهام ومعناه
الامر تقديره انتهوا وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا مخالفة أمره وارتكاب منهيه فانما على رسولنا
البلاغ المبين وعلينا الانتقام قوله تعالى ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الآية
سبب نزولها أن الصحابة قالوا لما نزل تحريم الخمر يا رسول الله كيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر
وأكلوا من مال الميسر فأنزل الله تعالى ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا أى شربوا
من الخمر وأكلوا من مال الميسر وروى أبو الليث السمرقندى رحمه الله عن عطاء بن السائب عن عبد الرحمن
السلمى قال شرب نفر من أهل الشام الخمر وعليهم يومئذ يزيد بن أبى سفيان وقالوا هى لنا حلال لان الله تعالى
قال ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا فكتب فيهم الى أمير المؤمنين
عمر بذلك فكتب عمر أن ابعث بهم الى فلما قدموا على عمر جمع لهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فشاورهم فى ذلك فقالوا يا أمير المؤمنين افتروا على الله وشرعوا فى دينه ما لم يأذن فاضرب أعناقهم فان تابوا
فاضربهم ثمانين فاستتابهم فضربهم ثمانين جلدة وقوله تعالى اذا ما اتقوا الشرك وآمنوا صدقوا وعملوا
الصالحات ثم اتقوا الخمر والميسر بعد تحريمها ثم اتقوا ما حرم عليهم أكله وأحسنوا والله يحب المحسنين عن
أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال بعثنى الله تعالى هدى ورحمة للعالمين وبعثنى لأمحق
المعازف والمزامير وأمر الجاهلية والاوثان وحلف ربى بعزته لا يشرب عبد من عبيدى الخمر فى الدنيا
الا حرمها الله عليه فى الآخرة ولا يتركها عبد من عبيده الا سقاه الله يوم القيامة اياها فى حظيرة القدس وعن
ابن المنكدر انه قال يقول الله تعالى يوم القيامة أين الذين كانوا ينزهون أنفسهم وأسماعهم فى الدنيا عن
اللهو ومزامير الشيطان اجعلوهم فى رياض المسك ثم يقول للملائكة أسمعوهم حمدى وثنائى وأخبروهم
أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقال الله تعالى قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم وقال
الحسن رحمه الله الاثم هو الخمر قال لبيد

قوله انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الاموال والاولاد والاعيان التى تحصل هذه الخمسة يجمعها
قوله تعالى زين للناس
حب الشهوات من النساء
والبنين والقناطير المقنطرة
من الذهب والفضة والخيل
المسومة والانعام والحرث
ذلك متاع الحياة الدنيا واعلم
ان مثال العبد فى نسيان
نفسه وما به منازل الحاج
الذى يقف فى منازل الطريق
ولا يزال يعلف الناقة
ويتعهدها وينظفها
ويكسوها ألوان الثياب
ويحمل اليها أنواع الحشيش
ويبردها الماء بالثلج حتى
تفوته له القافلة وهو غافل
عن الحج ومرور القافلة
وبقائه فى البادية وحده
فريسة السباع والعاقل لا يهمه
أمر الجمل الا بقدر الحاجة
فكذلك البصير بالآخرة
لا يهمه أمر نفسه ودنياه
الا بقدر ما يتقوى به على
سلوك طريق الآخرة
وطائفة غلبت عليهم
الشهوة والغفلة فيكتسبون
حتى يأكلون ويلبسون
ويأكلون ويلبسون
ليكتسبوا وطائفة عرفوا
ما خلقوا له فاستعدوا له
وعدوا ما سواه من الحاجات
والضرورات فلم يقدموا
عليها الا للحاجة والضرورة

(الباب السابع والعشرون)

فى ذم حب المال وذم
البخل أما ذم حب المال
فيعرف من قوله تعالى
يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم
أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون وقال الله تعالى انما أموالكم وأولادكم فتنة ومن قوله صلى الله عليه

شربت الاثم حتى ضل عقلي * كذاك الاثم يذهب بالعقول

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مسكر حرام وكل خمر حرام ومن شرب الخمر في الدنيا فمات وهو مدمنها لم يشربها في الآخرة رواه مسلم وعن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان على الله عهدا لمن شرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال قيل وما طينة الخبال قال عرق أهل النار أو قال عصارة أهل النار رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم مدمن الخمر كعابد وثن ان مات لقي الله كعابد وثن رواه أحمد وقال أنس لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخمر عشرة عاصرها ومعتصرها وشاربها وحاملها والمحمولة اليه وساقيها وبائعها وآكل ثمنها والمشتري له وسأل طارق بن سويد النبي صلى الله عليه وسلم عن الخمر فنهاه فقال انما أصنعها للدواء فقال انه ليس بدواء ولكنه داء وعن عمار بن ياسر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة لا يدخلون الجنة أبدا الديوث من الرجال والرجلة من النساء ومدمن الخمر قالوا يا رسول الله أما مدمن الخمر فقد عرفناه فما الديوث قال الذي لا يبالي من دخل على أهله قلنا فما الرجلة من النساء قال التي تشبه بالرجال رواه الطبراني وعن أم أيمن قالت أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أهله لا تشرك بالله شيأ وان عذبت أو خوفت أطع والديك وان أمراك أن تخرج من كل شئ هو لك فاخرج منه لا تترك الصلاة قد برئت منه ذمة الله اياك والخمر فانها مفتاح كل شر اياك والمعصية فانها تسخط الله ولا تفر من الزحف وان أصاب الناس الموتان وأنت فيهم فاثبت فيهم انفق من طولك على أهل بيتك ولا ترفع عصاك عنهم أخفهم في الله

(فصل في آفات شرب الخمر) قال الفقيه أبو الليث رحمه الله اياك وشرب الخمر فان في شربها عشر خصال مذمومة * أولها اذا شرب الخمر يصير بمنزلة المجنون فيصير مضحكة الصبيان ومذموما عند العقلاء كما ذكر عن ابن أبي الدنيا أنه قال رأيت سكران في بعض سكك بغداد يبول ويتمسح بثوبه ويقول اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين وذكر أن سكرانا قاء في بعض الطريق وجاء كلب يلحس فمه وهو يقول يا سيدي يا سيدي * الثاني أنها مذهبة للعقل متلفة للمال كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اللهم أرنا رأيك في الخمر فانها متلفة للمال ومذهبة للعقل وقد ورد في فضل العقل أحاديث منها أنه صلى الله عليه وسلم قال أول ما خلق الله تعالى العقل ثم قال له اقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر ثم قال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا أكرم علي منك بك آخذ وبك أعطي وبك أثيب وبك أعاقب وقال عليه الصلاة والسلام ان الاحمق ليصيب بحمقه أعظم من فجور الفاجر بفجوره وانما يرتفع العباد غدا في الدرجات الزلفى من ربهم على قدر عقولهم وعن عمر رضي الله عنه قال ما اكتسب رجل مثل فضل علم يهدي به صاحبه الى الهدى ويرده عن الردى وما تم ايمان عبد ولا استقام دينه حتى يكمل عقله وقال عليه الصلاة والسلام ان الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم ولا يتم لرجل حسن خلقه حتى يتم عقله فعند ذلك تم ايمانه وأطاع ربه وعصى عدوه ابليس والثالث أن شربها سبب للعداوة بين الاخوان والاصدقاء كما قال الله تعالى انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر وهو القمار والرابع أن شربها يمنعه عن ذكر الله وعن الصلاة كما قال الله تعالى ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون يعني انتهوا عنها فلما نزلت هذه الآية قال عمر رضي الله عنه قد انتهينا يا رب والخامس ان شربها يحمله على الزنا لانه اذا شربها ربما طلق امرأته ولا يشعر وروي عن بعض الصحابة أنه قال من زوج كريمته من شارب الخمر فكأنما ساقها الى الزنا ومعناه أن شارب الخمر اذا سكر كثر كلامه فربما يجري الطلاق على لسانه فيطلق امرأته فتحرم وهو لا يشعر والسادس أنها مفتاح كل شر لانه اذا شرب الخمر يسهل عليه جميع المعاصي والسابع أنه يؤذي الحفظة بادخالهم في مجلس الفسق وبوجود الرائحة المنتنة منه فلا ينبغي أن يؤذي من لا يؤذيه والثامن أنه أوجب على نفسه الجلد ثمانين جلدة فان لم يضرب في الدنيا فانه يضرب في الآخرة بسياط من نار على رؤس الناس ينظر اليه الآباء والاصدقاء والتاسع أنه رد باب السماء على نفسه لا ترفع حسناته ولا دعاؤه أربعين يوما والعاشر أنه مخاطر بنفسه لانه يخاف عليه أن ينزع منه الايمان عند

وسلم حب المال والشرف ينبتان النفاق كما ينبت الماء البقل وقال صلى الله عليه وسلم ما ذئبان ضاريان أرسلا في زريبة غنم باكثر افسادا من حب المال والجاه في دين الرجل المسلم وقال صلى الله عليه وسلم هلك الاكثرون الا من قال به من عباد الله هكذا وهكذا وقليل ماهم وقال صلى الله عليه وسلم سيأتي بعدي قوم يأكلون أطايب الدنيا وألوانها وينكحون أجل النساء وألوانها ويلبسون ألين الثياب وألوانها ويركبون فره الخيل وألوانها لهم بطون من القليل لا تشبع وأنفس بالكثير لا تقنع عاكفين على الدنيا يغدون ويروحون اليها اتخذوها آلهة من دون الههم وربا دون ربهم الى أمرها ينتهون ولهواهم يتبعون فعزيمة من محمد بن عبد الله لمن أدركه ذلك الزمان من عقب عقبكم وخلف خلفكم أن لا يسلم عليهم ولا يعود مرضاهم ولا يتبع جنائزهم ولا يوقر كبيرهم فمن فعل ذلك فقد أعان على هدم الاسلام وقال عليه الصلاة والسلام يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما تصدقت فابقيت أو أكلت فافنيت أو لبست فابليت وقال رجل يا رسول الله مالي لا أحب الموت فقال صلى الله عليه وسلم ألك مال فقال نعم فقال قدم مالك أمامك فان قلب المؤمن مع ماله ان قدمه أحب أن يلحقه وان خلفه أحب أن يتخلف معه وقال عليه الصلاة والسلام أخلاء ابن آدم ثلاث واحد يتبعه الى قبض روحه والثاني الى قبره والثالث الى محشره فالذي

يتبعه الى قبض روحه ماله والذي يتبعه الى قبره أهله والذي يتبعه الى محشره عمله

موته فهذه العقوبات في الدنيا قبل أن ينتهي الى عقوبات الآخرة وأما العقوبات التي هي في الآخرة فانها لا تحصى من شرب الحميم والزقوم وفوت الثواب فلا ينبغي للعاقل أن يختار لذة قليلة ويترك لذة طويلة كثيرة

(فصل) ما يزيل العقل من غير الاشربة كالبنج حرام لكن لا حد في تناوله قال الماوردي كما نقله الرافعي عنه في كتاب الاطعمة والنبات الذي يسكر وليس فيه شدة مطربة يحرم أكله ولا حد في أكله ويجوز استعماله في الدواء وان أفضى الى السكر اذا لم يكن عنه بد وعن القرافي المالكي أنه قال في كتاب الذخيرة يجب على آكل الحشيشة الحد والتعزير أما الحد فبالقياس على الخمر وأما التعزير فلما ارتكب من الامور القبيحة قال بعض المتأخرين وهذه التعيسة أول ما بلغنا انها ظهرت في أواخر المائة السادسة وأوائل السابعة أي أول ما ظهرت الحشيشة في بلاد الشام في أيام التتار حين ظهرت دولة التتار فكان ظهورها مع ظهور سيف جنكزخان وهي من أعظم المنكرات وشر من الشراب من بعض الوجوه فتورث التخنث والدنية وتفسد المزاج فتجعل الكبد كالسفنجة وتوجب كثرة الاكل والجنون وهي تورث نشوة ولذة وطربا كالخمر والاعتياد لها يصعب عليه الفطام عنها أكثر من الخمر نسأل الله تعالى المعافاة من كل بلاء ذكر هذا الفصل جميعه ابن الملقن رحمه الله في شرح المنهاج

(كتاب آفات الفرج وفيه أربعة أبواب)

(الباب الاول في الزنا)

قال تعالى ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن قال النووي رحمه الله القول الصحيح في معناه لا يفعل هذه المعاصي وهو كامل الايمان وقال صلى الله عليه وسلم اذا زنى العبد خرج منه الايمان فكان كالظلة فاذا انقلع منها رجع اليه الايمان وقال صلى الله عليه وسلم من زنى أو شرب الخمر نزع الله منه الايمان كما يخلع الانسان القميص من رأسه وقال صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر اليهم ولهم عذاب أليم شيخ زان وملك كذاب وعائل متكبر وقال صلى الله عليه وسلم أربعة يبغضهم الله البياع الحلاف والفقير المختال والشيخ الزاني والامام الجائر وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال يا رسول الله أي الذنب أعظم قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك قال ثم أي قال ان تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك قال قلت ثم أي قال ان تزاني حليلة جارك فانزل الله تصديقها والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون قال ابن القيم رحمه الله ذكر عليه السلام من كل نوع أعلاه فاعظم الشرك أن تجعل لله ندا وأعظم أنواع القتل أن يقتل ولده خشية أن يشاركه في طعامه وشرابه وأعظم أنواع الزنا أن تزني بحليلة جارك فان مفسدة الزنا تتضاعف بتضاعف ما انتهكه من الحق فالزنا بالمرأة التي لها زوج أعظم اثما وعقوبة من التي لا زوج لها اذ فيه انتهاك حرمة الزوج وافساد فراشه والحاق نسب به لم يكن منه وغير ذلك فان كان جاره انضاف الى ذلك سوء الجوار وقد ثبت عنه عليه السلام انه قال لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه وأي بائقة أعظم من الزنا بامرأته فان كان الجار أخاه أو قريبا من أقاربه انضم الى ذلك قطيعة الرحم فيتضاعف الاثم فان كان الجار غائبا في طاعة الله كالصلاة وطلب العلم والجهاد تضاعف الاثم فان كانت المرأة رحما منه انضاف الى ذلك قطيعة رحمها فان كان الزاني محصنا كان الاثم أعظم فان كان شيخا كان أعظم اثما وهو أحد الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم فان اقترن بذلك أن يكون في شهر حرام أو بلد حرام أو وقت معظم عند الله كأوقات الصلاة وأوقات الاجابة تضاعف الاثم وخص الله تعالى حد الزنا من بين الحدود بثلاث خصائص (أحدها) القتل فيه أشنع القتلات حيث جمع فيه بين العقوبة على البدن بالجلد وعلى القلب بتغريبه عن وطنه سنة (الثاني) نهى عباده أن تأخذهم بالزناة رأفة في دينه (الثالثة) أمر الله سبحانه أن يكون حدهما بمشهد من المؤمنين

(الباب الثاني في اللواط)

قال الله تعالى أتأتون الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون

(بيان أن المال محمود من وجه ومذموم من وجه) وذلك ان الله تعالى سماه خيرا في بعض المواضع وقال ان ترك خيرا الوصية الآية وقال عليه الصلاة والسلام نعم المال الصالح للرجل الصالح وكل ما جاء في ثواب الصدقة والحج فهو ثناء على المال واعلم أن مقصد الاكياس والكرام سعادة الابد والمال وسيلة اليها تارة للتزود منه ليقوى على التقوى والعبادة وتارة بانفاقه في طريق الآخرة ومن أخذه للترفه أو توسل به الى المعاصي والشهوات فهو مذموم في حقه واعلم ان مثاله مثال حية فيها سم وترياق ففوائده ترياقها وغوائلها سمها فمن علمها وقدر على الاحتراز من سمها والانتفاع بترياقها فهو محمود في حقه

(فصل) في ذم الحرص والطمع ومدح القناعة والاياس مما في أيدي الناس اعلم أن الفقر محمود ولكنه ينبغي أن يكون الفقير قطع الطمع مما في أيدي الناس ولا يتأتى ذلك الا بالقناعة بقدر الضرورة من المطعم والمشرب والملبس فيقتصر على أقله في القدر وأخسه نوعا ويرد أمله الى يوم أو الى شهر لئلا يكثر في نفسه الصبر على الفاقة فيؤدي ذلك الى الطمع والطلب والتذلل للاغنياء قال صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب وقال

روى ابن ماجه عن جابر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان أخوف ما أخاف على أمتى عمل قوم لوط وقال صلى الله عليه وسلم لعن الله من عمل عمل قوم لوط وقال صلى الله عليه وسلم من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوه الفاعل والمفعول به وقال صلى الله عليه وسلم ملعون من أتى امرأة فى دبرها وقال صلى الله عليه وسلم من أتى حائضا أو امرأة فى دبرها أو كاهنا فصدقه فقد كفر أو قال برئ مما أنزل على محمد وقال ابن القيم ثبت عن خالد بن الوليد انه وجد فى بعض ضواحى العرب رجلا ينكح المرأة فى دبرها فكتب الى أبى بكر رضى الله عنه بذلك فاستشار أبو بكر الصحابة رضى الله عنهم فكان على رضى الله عنه أشدهم قولا فيه فقال ما فعل هذا الا أمة من الامم وقد علمتم ما فعل الله بها أرى أن يحرق بالنار فكتب أبو بكر الى خالد فحرقه قال ابن عباس ينظر أعلى بناء بالقرية فيلقى منه ثم يتبع بالحجارة وقال القرطبى فى تفسيره اختلفوا فيما يجب على من عمل عمل قوم لوط قال مالك يرجم أحصن أو لم يحصن وكذلك يرجم المفعول به ان كان محتلما وقال أبو حنيفة يعزر المحصن وغيره وقال الشافعى رحمه الله يحد حد الزنا وقال بعض السلف اذا ركب الذكر الذكر عجت الارض الى الله وهربت الملائكة الى ربها وشكت اليه عظيم ما رأت وقال بعض التابعين ما أنا بأخوف على الشاب الناسك من سبع ضار أشد من غلام أمرد يجلس اليه وقال صلى الله عليه وسلم سحاق النساء زنا بينهن (وروى) أن سليمان عليه السلام قال لابليس أى الاعمال أحب اليك وأبغض الى الله قال لولا منزلتك عند الله تعالى ما أخبرتك انى لست أعلم شيأ أحب الى وأبغض الى الله من استغناء الرجل بالرجل والمرأة بالمرأة وقال الثعلبى قيل لما استغنى الرجال بالرجال جاءت شيطانة فى صورة امرأة وهى الدلهاث بنت ابليس فشهت الى النساء ركوب بعضهن على بعض وعلمتهن كيف يصنعن قال المتولى اذا كانت المرأة تميل الى النساء وخافت من النظر الى الوجه والكفين الفتنة لم يجز لها النظر اليهن كما ذكرنا فى الرجل مع الرجل قال الشيخ شهاب الدين الاذرعى هذا مما يبتلى به ذات السحق وفى الترغيب فى المذهب لابى المفاخر سعد بن أسعد من متأخرينا فى المائة السادسة فى كلامه فى نظر المرأة الى المرأة ان كانت سحاقة فكالرجل

(قصة اهلاك قوم لوط وبيان سبب اتيانهم هذه الفاحشة)

قال الله تعالى ولوطا اذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين قال عمرو بن دينار ما نزا ذكر على ذكر فى الدنيا حتى كان قوم لوط قال محمد بن اسحق كانت لهم ثمار وقرى لم يكن فى الارض مثلها فقصدهم الناس فآذوهم فعرض لهم ابليس فى صورة شيخ فقال ان فعلتم بهم كذا نجوتم فأبوا فلما ألح عليهم قصدوهم فأصابوا غلمانا صباحا فأخبثوا فاستحكم ذلك فيهم قال الحسن كانوا لا ينكحون الا الغرباء قال الكلبى ان أول من عمل عمل قوم لوط ابليس لان بلادهم أخصبت فانتجعها أهل البلدان فتمثل لهم ابليس فى صورة ثم دعا الى دبره فأمر الله تعالى السماء أن تحصبهم وأمر الارض أن تخسف بهم قال ابن سيرين ليس شئ من الدواب يعمل عمل قوم لوط الا الحمار والخنزير وعن أم هانئ رضى الله عنها قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله وتأتون فى ناديكم المنكر قلت ما المنكر الذى كانوا يأتون قال كانوا يحذفون أهل الطريق ويسخرون بهم ويروى أنهم كانوا يجلسون فى مجالسهم وعند كل رجل منهم قصعة فيها حصى فاذا مر عابر سبيل حذفوه فأيهم أصابه كان أولى به وقيل انه كان يأخذ ما معه وينكحه ويغرمه ثلاثة دراهم ولهم قاض بذلك وقال أبو القاسم بن محمد يتضارطون فى مجالسهم وقال مجاهد كان يجامع بعضهم بعضا فى مجالسهم وعن عبد الله بن سلام كان يبصق بعضهم على بعض وعن مكحول قال من أخلاق قوم لوط مضغ العلك وتطريف الاصابع بالحناء وحل الازار والصفير والحذف واللوطية قال الله تعالى فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وذلك ان جبريل عليه السلام أدخل جناحه تحت قرى قوم لوط المؤتفكات وهى خمس مدائن وفيها أربعمائة ألف وقيل أربعة آلاف فرفع المدائن كلها حتى سمع أهل السماء صياح الديكة ونباح الكلاب لم يكفأ لهم اناء ولم ينتبه نائم ثم قلبها فجعل عاليها سافلها وأمطرنا عليها أى على شذاذها ومسافريها وقيل بعد ما قلبها أمطرنا عليهم حجارة من سجيل روى أن الحجر اتبع شذاذهم ومسافريهم الذين كانوا فى

أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما يا أبا هريرة اذا اشتد بك الجوع فعليك برغيف وكوز من ماء وعلى الدنيا الدمار (بيان علاج الحرص والطمع والدواء الذى يكتسب به صفة القناعة) اعلم أن هذا الدواء مركب من ثلاثة أركان الصبر والعلم والعمل الاول هو العمل وهو الاقتصاد فى المعيشة والرفق فى الانفاق فمن أراد عز القناعة فليقلل الخارج والنفقة ففى الخبر التدبير نصف المعيشة الثانى قصر الامل حتى لا يضطرب بسبب الحاجة فى ثانى الحال الثالث أن يعلم ما فى القناعة من العز والاستراحة عن السؤال وذل الطمع فبذلك يتخلص

(فصل) فى فضيلة السخاء اعلم أن المال ان كان مفقودا فينبغى أن يكون حال العبد القناعة وان كان موجودا فالايثار والسخاء والتباعد عن البخل قال عليه الصلاة والسلام السخاء شجرة من شجر الجنة أغصانها متدلية الى الارض فمن أخذ منها غصنا قاده ذلك الغصن الى الجنة والشح شجرة فى النار فمن كان شحيحا أخذ بغصن من أغصانها فلم يتركه ذلك الغصن حتى يدخله النار وقال عليه الصلاة والسلام قال جبرائيل عليه السلام قال الله ان هذا دين ارتضيته لنفسى ولن يصلحه الا السخاء وحسن الخلق فاكرموه بهما ما استطعتم وفى رواية فاكرموه بهما ما صحبتموه وقال عليه السلام ما جبل الله وليا الا على السخاء وحسن الخلق وعن جابر قال قيل

يا رسول الله أى الايمان أفضل قال الصبر والسماحة وعن عائشة رضى الله عنها أن ابن الزبير بعث اليها مالا فى غرارتين ثمانين ألفا ومائة ألف فدعت بطبق فجعلت تقسمه بين الناس فلما أمست قالت يا جارية هلمى فطورى فجاءتها بخبز وزيت فقالت لها أم درة ما استطعت فيما قسمت اليوم أن تشترى لنا بدرهم لحما نفطر عليه فقالت لو كنت ذكرتينى لفعلت

البلاد ودخل رجل منهم الحرم وكان الحجر معلقا فى السماء أربعين يوما حتى خرج فأصابه فأهلكه وقوله تعالى من سجيل أى صلبة وقيل طين مطبوخ منضود متتابع مسومة عند ربك وما هى من الظالمين أى المشركين وقيل العاملين بعملهم ببعيد قال عليه السلام لا تذهب الايام والليالى حتى تستحل هذه الامة أدبار الرجال كما استحلوا أدبار النساء فتصيب طوائف منهم حجارة من عند ربك

(الباب الثالث فى اتيان البهائم)

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أتى بهيمة فاقتلوه واقتلوها معه رواه الترمذى والنسائى وأبو داود وابن ماجه والحاكم وقال صحيح الاسناد وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال سبعة لا ينظر الله تعالى اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ويقول لهم ادخلوا النار مع الداخلين الفاعل والمفعول به والناكح يده وناكح البهيمة وناكح المرأة فى دبرها والجامع بين المرأة وابنتها والزانى بحليلة جاره والمؤذى جاره حتى يلعنه الناس قال ابن قيم الجوزية رحمه الله فى كتاب الداء والدواء اختلف فيمن أتى بهيمة قيل يعزر وهو قول مالك وأبى حنيفة والشافعى فى أحد قوليه وقيل حكمه حكم الزانى وهو قول الحسن وقيل حكمه حكم اللوطى نص عليه أحمد فيخرج على الروايتين عنه فى حده هل هو القتل حتما أو هو كالزنا

(الباب الرابع فى الاستمناء باليد)

قال الله تعالى والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون أى الظالمون المتجاوزون الحلال الى الحرام قال الامام أبو محمد رحمه الله فى معالم التنزيل فيه دليل على أن الاستمناء باليد حرام وهو قول العلماء قال ابن جريج سألت عطاء عنه فقال مكروه سمعت ان قوما يحشرون وأيديهم حبالى وأظنهم هؤلاء وعن سعيد بن جبير عذب الله تعالى أمة كانوا يعبثون بمذاكيرهم قال ابن الملقن رحمه الله فى شرح المنهاج الاستمناء حرام وفيه التعزير فان خاف العنت رخص فيه أحمد وأبو حنيفة كما نقله الروياني عنهما فى الحلية ثم قال وله وجه عندى ولو مكن جاريته أو امرأته باللعب بذكره فانزل قال القاضى حسين فى أول فتاويه يكره لانه فى معنى العزل

(باب الحث على غض البصر)

قال الله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم وقال تعالى ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة العينان زناهما النظر والاذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليدان زناهما البطش والرجلان زناهما الخطا والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه لفظ مسلم وقال صلى الله عليه وسلم اضمنوا لى ستا من أنفسكم أضمن لكم الجنة اصدقوا اذا حدثتم وأوفوا اذا وعدتم وأدوا اذا ائتمنتم واحفظوا فروجكم وغضوا أبصاركم وكفوا أيديكم رواه أحمد وابن حبان والحاكم وقال صلى الله عليه وسلم لا تتبع النظرة النظرة فانما لك الاولى وليست لك الآخرة وقال صلى الله عليه وسلم النظرة سهم مسموم من سهام ابليس فمن غض بصره عن محاسن امرأة لله أورث الله قلبه حلاوة الى يوم القيامة وقال عيسى عليه السلام اياكم والنظرة فانها تزرع فى القلب شهوة وكفى بها فتنة وقد قيل حبس اللحظات أيسر من دوام الحسرات وقال داود لابنه عليهما السلام يا بنى امش خلف الاسد والاسود ولا تمش خلف المرأة وقال الفضيل بن عياض رحمه الله يقول ابليس هى قوسى القديمة التى أرمى بها وسهمى الذى لا أخطئ به يعنى النظرة وقال يحيى لعيسى عليهما السلام لا تكن حديد النظر الى ما ليس لك فانه لن يزنى فرجك ما حفظت نظرك فان استطعت أن لا تنظر الى ثوب المرأة التى لا تحل لك فافعل ولن تستطيع ذلك الا باذن الله تعالى ورؤى بعضهم فى المنام بعد موته فقيل له ما فعل الله بك قال غفر لى كل ذنب الا ذنبا واحدا فانه أوقفنى فيه حتى سقط لحم وجهى من الحياء قيل له ما هو قال نظرت الى غلام بشهوة قال أبو عبد الله الجيلى كنت أمشى يوما مع أستاذى فرأيت حدثا جميلا فقلت يا أستاذى ترى يعذب الله هذه الصورة قال فنظر الى وقال سترى عقوبته

(فصل فى ذم البخل) قال تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وقال تعالى ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم اياكم والشح فانه أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم وقال عيسى عليه السلام لا يدخل الجنة بخيل ولا خب ولا خائن ولا سيئ الملكة (بيان الايثار وفضيلته) اعلم أن أرفع درجات فى السخاء الايثار وهو أن يجود بالمال مع الحاجة اليه والسخاء هو الجود بما فضل عنك وقد أثنى الرب سبحانه وتعالى على الصحابة فقال ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة وقال عليه السلام أيما رجل اشتهى شهوة فرد شهوته وآثر على نفسه غفر له (وحكى) انه نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد عند أهله شيأ فدخل عليه رجل من الانصار وجاء له الى أهله فوضع بين يديه الطعام وأمر امرأته باطفاء السراج وجعل

قال فنسيت القرآن بعد ذلك بعشرين سنة وذكر بعض العلماء لغض البصر فوائد امتثال أمر الله الذي هو غاية سعادة العبد والامتناع من أثر السهم المسموم الذي لعل فيه هلاكه الى قلبه ويورث القلب انسا بالله ويقوى القلب أو يفرحه كما ان اطلاق البصر يضعفه ويحزنه ويكسب القلب نورا كما أن اطلاقه يكسبه ظلمة ويورثه فراسة صادقة قال شجاع الكرماني من عمر ظاهره باتباع السنة وباطنه بدوام المراقبة وغض بصره عن المحارم وكف نفسه عن الشهوات واغتذى بالحلال لم تخط فراسته وكان شجاع هذا لم تخطئ فراسته

(فصل) قال ابن القيم في كتاب الداء والدواء العشق ثلاثة أقسام عشق الرجل امرأته وجاريته وهو نافع فانه أدعى الى المقاصد التي شرع الله لها النكاح وأكف للبصر والقلب عن التطلع الى غير أهله وعشق هو مقت من الله وبعد من رحمته وهو أضر شيء على العبد في دينه ودنياه وهو عشق المردان وهو من أعظم الحجب القاطعة عن الله كما قال بعض السلف اذا سقط العبد من عين الله ابتلاه بمحبة المردان وهذه المحبة التي جلبت على قوم لوط ما جلبت ودواء هذا الداء الاستغاثة بمقلب القلوب وصدق اللجأ اليه والاشتغال بذكره والتفكر في الآلام التي تعقب هذا العشق واللذة التي تفوته وعشق مباح لا يملك كعشق من رآها فجأة من غير قصد فأورثه ذلك عشقا لها ولم يحدث له ذلك العشق معصية فهذا لا يعاقب عليه والواجب على هذا أن يكتم ويعف ويصبر على بلواه فيثيبه الله على ذلك ويعوضه على صبره وعفته وتركه طاعة هواه وايثار مرضاة الله وما عنده وعن ابن عباس رضي الله عنهما يرفعه من عشق وكتم وعف وصبر غفر الله له وأدخله الجنة وعنه أيضا يرفعه من عشق وعف وكتم فمات فهو شهيد (حكايات) ثلاث الاولى قال ابن القيم حكي أن عمر بن عبد العزيز عشق جارية امرأته فاطمة بنت عبد الملك وكانت جارية شديدة الجمال وكان يطلبها من امرأته ويحرص أن تهبها له فتأبى ذلك ولم تزل الجارية في نفسه فلما استخلف أمرت فاطمة بالجارية فأصلحت وكانت مثلا في حسنها وجمالها ثم دخلت على عمر وقالت يا أمير المؤمنين انك كنت سألتني جاريتي فلانة فأبيت عليك والآن قد طابت نفسي لك بها فلما قالت له ذلك بان الفرح في وجهه وقال عجلي علي بها فلما أدخلتها عليه ازداد بها عجبا وقال لها ألقي ثيابك ففعلت ثم قال لها على رسلك أخبريني لمن كنت ومن أين صرت لفاطمة قالت أغرم الحجاج عاملا له بالكوفة مالا وكنت في رقيق ذلك العامل قالت فأخذني وبعث بي الى عبد الملك فوهبني لفاطمة فقال وما فعل ذلك العامل قالت هلك قال وهل ترك ولدا قالت نعم قال فما حالهم قالت سيئة فقال شدي عليك ثيابك واذهبي الى مكانك ثم كتب الى عامله على العراق أن ابعث لي فلان بن فلان على البريد فلما قدم قال له ارفع جميع ما غرمه الحجاج لأبيك فلم يرفع اليه شيأ الا دفعه اليه ثم أمر بالجارية فدفعت اليه ثم قال له اياك واياها فلعل أباك كان ألم بها فقال الغلام هي لك يا أمير المؤمنين قال لا حاجة لي بها قال فابتعها مني قال لست اذا ممن نهى النفس عن الهوى فلما عزم الفتى على الانصراف بها قالت أين وجدك بي يا أمير المؤمنين قال على حاله ولقد زاد ولم تزل الجارية في نفس عمر حتى مات رحمه الله (الحكاية الثانية) قال الشيخ سراج الدين بن الملقن رحمه الله في كتاب حدائق الاولياء ورياض السادة الاصفياء (حكي) أنه كان بالكوفة فتى جميل الوجه شديد التعبد فنظر الى جارية جميلة فهويها وهام بها عقله ونزل بها ما نزل به فأرسل يخطبها فقال أبوها هي مسماة على ابن عمها فاشتد عليهما ألم الهوى فأرسلت اليه قد بلغني شدة محبتك لي وقد اشتد بلائي بك فان شئت زرتك أو تأتيني الى منزلي فقال للرسول لا واحدة من هاتين الخصلتين اني أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم أخاف نارا لا يخبو سعيرها ولا يخمد لهيبها فلما أخبرها الرسول بما قال قالت وأراه مع ذلك زاهدا يخاف الله والله ما أحد أحق بهذا الامر مني أحدا ثم انخلعت من الدنيا ولبست المسوح وجعلت تتعبد وهي مع ذلك تذوب وتنحل وتزداد حبا للفتى حتى ماتت وكان الفتى يأتي قبرها فرآها في منامه وكأنها في أحسن منظر فقال كيف أنت قالت نعم المحبة محبتك حبا يقود الى خير قال لها الام صرت قالت الى نعيم وعيش لا نفاد له في جنة الخلد فقال لها اذكريني هناك فاني لست أنساك فقالت وأنا والله لا أنساك وقد سألت ربي مولاي ومولاك فأعني على ذلك بالاجتهاد ثم ولت مدبرة فقلت لها متى أراك قالت عن قريب فلم يعش الفتى بعد الرؤيا

يديه في الطعام كأنه يأكل ولا يأكل حتى أكل الضيف الطعام فلما أصبح قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد عجب الله من صنيعكم الى ضيفكم فنزلت هذه الآية ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة (بيان علاج البخل) اعلم أن البخل سببه حب المال ولحب المال سببان أحدهما حب الشهوات ولا وصول اليها الا بالمال مع طول الامل فانه لو قدر بقاء نفسه يوما أو شهرا فلربما سمحت نفسه باخراج المال ولعل ولده يقوم مقام طول الامل فيمسك ماله لاجلهم ولذلك قال عليه السلام الولد مبخلة مجبنة مجهلة واذا أضيف الى ذلك خوف الفقر وقلة الثقة بمجيء الرزق قوي البخل لا محالة والسبب الثاني أن يحب عين المال فيعلم انه قط لا يحتاج اليه وهو شيخ ولا ولد له ولكنه يحب المال لعينه وهذا مرض في القلب مزمن والعياذ بالله وهو كمن عشق شخصا ثم أحب رسوله ونسيه اذ المقصود من الدنانير والدراهم الوصول الى الاغراض وهذا قد نسي المقصود وعشق الوسيلة والواسطة فمن رأى بينه وبين الحجر فرقا الا من حيث كونه وسيلة الى الحاجات فقد جهل واعلم أن علاج البخل بتقليل الشهوة وكثرة ذكر الموت والتأمل في موت الاقران وزيارة القبور وتأمل ما فيها من الديدان والتفكر في تلك الاحوال ويعالج التفات القلب الى الولد بان خالقه خلق معه الرزق فكم من ولد ورث ولم يكن ذلك رزقه وكم من ولد لم يرث ورزقه الله تعالى أموالا

الا

الاسبوع ليال (الحكاية الثالثة) قال الغزالي رحمه الله في الاحياء روي عن سليمان بن يسار أنه خرج حاجا من المدينة مع رفيق له حتى نزلوا بالابواء فقام رفيقه وأخذ السفرة وانطلق الى السوق يبتاع شيأ وقعد سليمان في الخيمة وكان من أجمل الناس وجها وأورع الناس فبصرت به اعرابية عن قلة الجبل فلما رأت جماله وحسنه انحدرت وعليها البرقع والقفازان فجاءت ووقفت بين يديه وأسفرت عن وجهها كأنها فلقة قمر فقالت أهبني فظن انها تريد طعاما فقام الى فضل السفرة ليعطيها فقالت لست أريد هذا انما اريد ما يكون من الرجل الى أهله فقال جهزك الى ابليس ثم وضع رأسه بين كميه وأخذ في النحيب فلم يزل يبكي فلما رأت ذلك سدلت البرقع على وجهها ورفعت رجلها حتى رجعت الى خيمتها فجاء رفيقه ورآه وقد انتفخت عيناه من البكاء وانقطع حلقه فقال ما يبكيك فقال خير ذكرت صبيتي فقال لا الا أن لك قصة انما عهدك بصبيتك منذ ثلاث ونحوها فلم يزل رفيقه به حتى أخبره بشأن الاعرابية فوضع السفرة وجعل يبكي بكاء شديدا فقال له سليمان وأنت ما يبكيك فقال أنا أحق بالبكاء منك لأني أخشى أني لو كنت مكانك لما صبرت عنها فلم يزالا يبكيان فلما انتهى سليمان الى مكة وطاف وسعى أتى الحجر واحتبى بثوبه فنعس فاذا رجل وسيم جميل طوال له شارة حسنة ورائحة طيبة فقال له سليمان من أنت يرحمك الله قال أنا يوسف قال يوسف الصديق قال نعم قال ان في شأنك وشأن امرأة العزيز لشأنا عجيبا قال له يوسف وشأنك وشأن صاحبة الابواء أعجب

(كتاب آفات اللسان وفيه أحد عشر بابا)

(الباب الاول في الحفظة)

قال الله تعالى اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد قوله يتلقى أي يتلقن ويأخذ الملكان الموكلان بالانسان عمله ومنطقه يحفظانه ويكتبانه عن اليمين وعن الشمال أي أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله فالذي عن اليمين يكتب الحسنات والذي عن الشمال يكتب السيئات قعيدا اكتفى بأحدهما عن الآخر هذا قول أهل البصرة ما يلفظ من قول ما يتكلم من كلام فيلفظه أي يرميه من فيه الا لديه رقيب حافظ عتيد حاضر أينما كان قال الحسن ان الملائكة عليهم السلام يجتنبون الانسان على حالين عند غائطه وعند جماعه وقال مجاهد يكتبان عليه حتى أنينه في مرضه وقال عكرمة لا يكتبان الا ما يؤجر عليه أو يوزر فيه وقال الضحاك مجلسهما تحت الشعر على الحنك ومثله عن الحسن وكان الحسن يعجبه أن ينظف عنفقته عن أبي أمامة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على يسار الرجل وكاتب الحسنات أمين على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشرا وان عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر قال سفيان بن عيينة بلغني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال قال الله تعالى للملائكة اذا هم عبدي بحسنة فاكتبوها واحدة فان عملها فاكتبوها عشرا واذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها فان عملها فاكتبوها واحدة فقام رجل فقال يا أبا محمد الملكان يعلمان الغيب فضج الناس وجعل سفيان يسكتهم بيده فلما سكتوا قال الملكان لا يعلمان الغيب ولكن اذا هم العبد بحسنة فاح منه رائحة المسك فيعلمان انه قد هم بالحسنة واذا هم بالسيئة فاحت منه رائحة النتن فيعلمان أنه قد هم بالسيئة قال أبو الليث السمرقندي رحمه الله اختلف الناس في الكفار هل عليهم حفظة أم لا قال بعضهم لا يكون عليهم حفظة لان أمرهم ظاهر وعملهم واحد لقوله تعالى يعرف المجرمون بسيماهم قال أبو الليث السمرقندي لا نأخذ بهذا القول بل عليهم حفظة والآية نزلت بذكر الحفظة في شأن الكفرة ألا ترى الى قوله تعالى كلا بل تكذبون بالدين وان عليكم لحافظين كراما كاتبين وقال في آية أخرى وأما من أوتي كتابه بشماله وقال تعالى وأما من أوتي كتابه وراء ظهره فأخبر أن الكفار يكون لهم كتاب ويكون عليهم حفظة فان قيل الذي يكون على يمينه أي شيء يكتب ولا حسنة له قيل له الذي يكون عن شماله يكتب باذن صاحبه ويكون شاهدا على ذلك وان لم يكتب قال النووي رحمه الله في قوله عليه السلام لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة هؤلاء الملائكة يطوفون

وان ولده ان كان صالحا فالله تعالى يتولى الصالحين وان كان فاسقا فلا كثر الله في المسلمين أمثاله فانه يستعين بماله على المعاصي ومن النافع التأمل في ذم الناس للبخلاء ونفرة الطباع عنهم ومدحهم للاسخياء ورغبتهم فيهم وقال تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء فلعله ينفعه ذلك (بيان ذم الغنى ومدح الفقر) بلغنا أن عيسى عليه السلام قال يا علماء السوء الناس بأمركم يصومون ويصلون ويتصدقون ولا تفعلون ما تؤمرون وتدرسون ما لا تعلمون فيا سوء ما تحكمون تتوبون بالقول وتعملون بالهوى وما يغني عنكم أن تنقوا جلودكم وقلوبكم دنسة بحق أقول لكم لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب ويبقى فيه النخالة كذلك أنتم تخرجون الحكمة من أفواهكم ويبقى الغل في قلوبكم يا عبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لا تنقضي من الدنيا شهوته ولا تنقطع منها رغبته بحق أقول لكم ان قلوبكم تبكي من أعمالكم جعلتم الدنيا تحت ألسنتكم والعمل تحت أقدامكم بحق أقول أفسدتم آخرتكم فصلاح الدنيا عندكم أحب اليكم من صلاح الآخرة فأي الناس أخسر منكم لو تعلمون ويلكم حتى متى تصفون الطريق للمدلجين وتقيمون في محل المتحيرين كأنكم تدعون أهل الدنيا ليتركوها لكم مهلا مهلا ويلكم ماذا يغني عن البيت المظلم أن يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم كذلك لا يغني عنكم أن يكون

بالرحمة والتبرك والاستغفار وأما الحفظة فيدخلون فى كل بيت ولا يفارقون بنى آدم فى حال لانهم مأمورون باحصاء أعمالهم وكتبها قال وهب بلغنا أنه ما من ميت يموت حتى يترا أى له ملكاه الكاتبان عمله فان كان مطيعا قالا له جزاك الله عنا خيرا فرب مجلس صدق قد أجلستنا وعمل صالح أحضرتنا وان كان فاجرا قالا لا جزاك الله عنا خيرا فرب مجلس سوء قد أجلستنا وعمل غير صالح أحضرتنا وكلام قبيح قد أسمعتنا فلا جزاك الله عنا خيرا فذلك شخوص بصر الميت اليهما ولا يرجع الى الدنيا أبدا وعن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل وكل بعبده المؤمن ملكين يكتبان عمله فاذا مات قالا قد مات ائذن لنا أن نصعد الى السماء قال فيقول الله تعالى ان سمائى مملوأة من ملائكتى يسبحونى فيقولان فتأذن أن نقيم فى الارض فيقول الله عز وجل ان أرضى مملوأة من خلقى يسبحونى فيقول قوما على قبر عبدى فسبحانى واحمدانى وكبرانى وهللانى واكتبا ذلك لعبدى الى يوم القيامة

(الباب الثانى فى النهى عن الغيبة والامر بحفظ اللسان)

قال الله تعالى ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم قال النووى رحمه الله اعلم أنه ينبغى لكل مكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام الا كلاما ظهرت فيه المصلحة ومتى استوى الكلام وتركه فى المصلحة فالسنة الامساك عنه لانه قد ينجر الكلام المباح الى حرام أو مكروه وذلك كثير فى العادة والسلامة لا يعدلها شئ وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت رواه البخارى ومسلم قال النووى رحمه الله تعالى وهذا صريح فى أنه ينبغى أن لا يتكلم الا اذا كان الكلام خيرا وهو الذى ظهرت مصلحته ومتى شك فى ظهور المصلحة فلا يتكلم وعن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله أى المسلمين أفضل قال من سلم المسلمون من لسانه ويده رواه البخارى ومسلم وقال صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما كان يظن ان تبلغ ما بلغت يكتب الله تعالى له بها رضوانه الى يوم يلقاه وان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله تعالى له بها سخطه الى يوم يلقاه رواه مالك فى الموطا والترمذى وقال حديث حسن صحيح وقال صلى الله عليه وسلم لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فان كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة القلب وان أبعد الناس من الله القلب القاسى رواه الترمذى وعن معاذ قال قلت يا رسول الله أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ويباعدنى من النار قال لقد سألت عن عظيم وانه ليسير على من يسره الله عليه تعبد الله ولا تشرك به شيأ وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان ثم قال ألا أدلك على أبواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار وصلاة الرجل فى جوف الليل ثم تلا تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا حتى بلغ يعملون ثم قال ألا أخبرك برأس الامر وعموده وذروة سنامه الجهاد ثم قال ألا أخبرك بملاك ذلك كله قلت بلى يا رسول الله فأخذ بلسانه ثم قال كف عليك هذا قلت يا رسول الله وانا لمؤاخذون بما نتكلم به فقال ثكلتك أمك وهل يكب الناس فى النار على وجوههم أو على مناخرهم الا حصائد ألسنتهم رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال لمن حوله من أمته اكفلوا لى بست أكفل لكم بالجنة قلت ما هى يا رسول الله قال الصلاة والزكاة والامانة والفرج والبطن واللسان رواه الطبرانى فى الاوسط باسناد لا بأس به وعن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكره قيل أفرأيت ان كان فى أخى ما أقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه ما تقول فقد بهته رواه مسلم وعن عائشة رضى الله عنها قالت قلت للنبى صلى الله عليه وسلم حسبك من صفية كذا وكذا قال بعض الرواة تعنى قصيرة فقال لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته قال وحكيت له انسانا فقال ما أحب انى حكيت انسانا وان لى كذا وكذا رواه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن صحيح ومعنى مزجته أى خالطته مخالطة يتغير طعمه بها أو ريحه

موحشة معطلة يا عبيد الدنيا لا كعبيد أتقياء ولا كأحرار كرام توشك الدنيا أن تقلعكم نور العلم بأفواهكم وأجوافكم منه من أصولكم فتلقيكم على وجوهكم ثم تكبكم على مناخركم ثم تأخذ خطاياكم بنواصيكم ثم تدفعكم من خلفكم حتى تسلمكم الى الملك الديان عراة فرادى فيوقفكم على سوآتكم ثم يجزيكم بسوء أعمالكم فلقد بان لك أن الفقر أولى وأفضل ومن ذهب الى أن الغنى أفضل فقد ازدرى بمحمد صلى الله عليه وسلم وبجميع الانبياء والسلف الصالحين فنعوذ بالله من ذلك وانما احتج بعض من سولت له نفسه وغلبت عليه شقوته بما لعبد الرحمن بن عوف فنحن نورد حكاية يتبين بها فساد غرضه ونقول قال أناس نحن نخاف على عبد الرحمن فيما ترك فقال كعب سبحان الله وما تخافون على عبد الرحمن كسب طيبا وأنفق طيبا وترك طيبا فبلغ ذلك أبا ذر فخرج مغضبا يريد كعبا فمر بلحى عظم بعير فأخذه بيده ثم انطلق يطلب كعبا فقيل لكعب ان أبا ذر يطلبك فخرج هاربا حتى دخل على عثمان رضى الله عنه يستغيث به وأخبره الخبر وأقبل أبو ذر يقص الاثر فى طلب كعب حتى انتهى الى دار عثمان فلما دخل قام كعب فجلس خلف عثمان هاربا من أبى ذر فقال له أبو ذر هيه يا ابن اليهودية تزعم ان لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف لقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما عوا أحدوا نامعه فقال يا أبا ذر قلت لبيك يا رسول الله

لشدة نتنها وقبحها وقال صلى الله عليه وسلم لما عرج بى مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى أعراضهم رواه أبو داود وقال صلى الله عليه وسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الايمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من يتبع عورة أخيه يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه فى جوف بيته وقال أبو هريرة رضى الله عنه من أكل لحم أخيه فى الدنيا قرب الله اليه لحمه فى الآخرة وقيل له كله ميتا كما أكلته حيا فيأكله ويضج ويكلح وقال مجاهد فى قوله تعالى ويل لكل همزة لمزة الهمزة الطعان فى الناس واللمزة الذى يأكل لحوم الناس وقال ابن عباس رضى الله عنهما اذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك وقال صلى الله عليه وسلم ما النار فى اليابس بأسرع من الغيبة فى حسنات العبد وروى أن رجلا قال للحسن بلغنى انك تغتابنى فقال ما بلغ من قدرك عندى أن أحكمك فى حسناتى وقال ابن المبارك لو كنت مغتابا أحدا لاغتبت والدى فانهما أحق بحسناتى وقال ابن مسعود رضى الله عنه ما من شئ أحق بطول السجن من اللسان وقال غيره مثل اللسان مثل السبع ان لم توثقه عدا عليك وعن يحيى بن مسعود أن عيسى بن مريم عليهما السلام لقى خنزيرا على الطريق فقال له اذهب بسلام فقيل له تقول هذا للخنزير فقال عيسى انى أكره أن أعود لسانى النطق بسوء

(فصل) روى الترمذى عن أبى الدرداء رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم من اغتيب عنده أخوه المسلم وهو يقدر على نصره فنصره نصره الله فى الدنيا والآخرة فان لم ينصره وهو يقدر على نصره أذله الله بها فى الدنيا والآخرة وقال ميمون بن يسار بينا أنا نائم اذا أنا بجيفة زنجى وقائل يقول كل قلت يا عبد الله ولم آكل قال بما اغتبت عبد كذا فلان قلت والله ما ذكرت فيه خيرا ولا شرا قال لكنك سمعت ورضيت فكان ميمون لا يغتاب أحدا ولا يدع أحدا أن يغتاب عنده أحدا وقال صلى الله عليه وسلم المستمع أحد المغتابين

(فصل) قال النووى رحمه الله تباح الغيبة بستة أسباب أحدها التظلم فيجوز للمظلوم أن يتظلم الى السلطان والقاضى وغيرهما ممن له ولاية أو قدرة على انصافه من ظالمه فيقول ظلمنى فلان أو فعل بى كذا الثانى الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصى الى الصواب فيقول لمن يرجو قدرته على ازالة المنكر فلان يعمل كذا فازجره عنه ونحو ذلك الثالث الاستفتاء بأن يقول للمفتى ظلمنى أبى أو أخى بكذا فهل له ذلك أم لا وما طريقى فى الخلاص منه ودفع ظلمه عنى ونحو ذلك وكذا قوله زوجتى تفعل معى كذا وزوجى يضربنى ويقول لى كذا فهذا جائز للحاجة والاحوط أن يقول ما تقول فى رجل أو زوج أو والد كان من أمره كذا وكذا ومع ذلك فالتعيين جائز لحديث هند فى الصحيحين ان أبا سفيان شحيح الحديث الرابع تحذير المسلمين من الشر وذلك من وجوه منها جرح المجروحين من الرواة والشهود والمصنفين وذلك جائز بالاجماع بل واجب صونا للشريعة ومنها الاخبار بعيبه عند المشاورة فى مواصلته ومنها اذا رأيت من يشترى شيأ معيبا أو عبدا سارقا أو شاربا أو زانيا أو نحو ذلك تذكره للمشترى اذا لم يعلمه نصيحة لا بقصد الايذاء والافساد ومنها اذا رأيت متفقها يتردد الى فاسق أو مبتدع يأخذ عنه علما وخفت عليه ضرره فعليك نصيحته ببيان حاله قاصدا النصيحة ومنها أن تكون له ولاية لا يقوم بها على وجهها لعدم أهليته أو فسقه فيذكره لمن له عليه ولاية ليستبدل به أو يعرف حاله فلا يغتر به أو يلزمه الاستقامة الخامس أن يكون مجاهرا بفسقه أو بدعته كالخمر ومصادرة الناس وجباية المكوس وتولى الامور الباطلة فيجوز ذكره بما يجاهر به ولا يجوز بغيره الا بسبب آخر السادس التعريف فاذا كان معروفا بلقب كالاعمش والاعرج والازرق والقصير ونحوها جاز تعريفه وقال أبو الليث السمرقندى رحمه الله الغيبة على أربعة أوجه ففى الوجه الاول هى كفر وهو اذا اغتاب المسلم فقيل له لا تغتب فيقول ليس هذا غيبة وأنا صادق فى ذلك فقد استحل ما حرم الله تعالى ومن استحل ما حرم الله

فقال الاكثرون هم الاقلون يوم القيامة الا من قال هكذا وهكذا عن يمينه وعن شماله وقدامه وخلفه وقليل ما هم ثم قال يا أبا ذر قلت نعم يا رسول الله بأبى أنت وأمى قال ما يسرنى ان لى مثل أحد ذهبا أنفقه فى سبيل الله أموت يوم أموت وأبقى منه قيراطين قلت أو قنطارين يا رسول الله قال بل قيراطين ثم قال يا أبا ذر أنت تريد الاكثر وأنا أريد الاقل ورسول الله صلى الله عليه وسلم يريد هذا وأنت تقول يا ابن اليهودية لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف كذبت وكذب من قال فلم يرد عليه أحد حرفا حتى خرج وبلغنا أن عبد الرحمن قدمت عليه عير من اليمن فضجت المدينة ضجة واحدة فقالت عائشة رضى الله عنها ما هذا فقيل عير قدمت لعبد الرحمن بن عوف قالت صدق رسول الله فبلغ ذلك عبد الرحمن فسألها فقالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انى رأيت الجنة فرأيت فقراء المهاجرين والمسلمين يدخلون سعيا فلم أر أحدا من الاغنياء يدخلها معهم غير عبد الرحمن بن عوف رأيته يدخلها معهم حبوا فقال عبد الرحمن ان العير وما عليها فى سبيل الله تعالى وان أرقاءها أحرار لعلى أدخلها معهم سعيا وروى عن عمران بن الحصين أنه قال كانت لى من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة وجاه فقال يا عمران لك عندنا منزلة وجاه فهل لك فى عيادة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت نعم بأبى وأمى أنت يا رسول الله فقام وقمت معه حتى وقفت بباب فاطمة فقرع الباب

كان كافرا وفى الوجه الثانى هى نفاق وهو أن يغتاب انسانا ولا يسميه عند من يعرفه أنه يريد به فلانا فهو يغتابه ويرى من نفسه أنه متورع وفى وجه هى معصية وهو أن يغتاب انسانا ويسميه ويعلم أنها معصية وهو عاص وعليه التوبة وفى الوجه الرابع مباحة وهو أن يغتاب فاسقا معلنا بفسقه أو صاحب بدعة فهو مأجور لانهم يحذرون منه اذا عرفوا حاله وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال اذكروا الفاجر بما فيه كى يحذره الناس قال الامام أبو حامد الغزالى رحمه الله كانوا يقولون ثلاثة لا غيبة لهم الامام الجائر والمبتدع والمجاهر بفسقه وقال صلى الله عليه وسلم من ألقى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له وقال عمر ابن الخطاب رضى الله عنه ليس لفاجر حرمة وأراد به المجاهر بفسقه دون المستتر اذ المستتر لا بد من مراعاة حرمته

(الباب الثالث فى النميمة وهى نقل الكلام بين الناس على جهة الافساد)

قال الله تعالى همّاز مشاء بنميم فى الصحيحين عن حذيفة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة نمام وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بقبرين فقال انهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير بلى انه كبير أما أحدهما فكان يمشى بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستنزه من بوله رواه البخارى قال العلماء معنى وما يعذبان فى كبير أى كبير فى زعمهما وقيل كبير تركه عليهما وقال يحيى ابن كثير يفسد النمام فى ساعة ما لا يفسد الساحر فى شهر وقال صلى الله عليه وسلم شر عباد الله المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاحبة وقال الحسن من نم اليك نم عليك وقيل لمحمد بن كعب القرظى أى خصال المؤمن أوضع له قال كثرة الكلام وافشاء السر وقبول قول كل أحد وقال الغزالى رحمه الله وكل من حملت اليه نميمة وقيل له قال فيك فلان كذا لزمه ستة أمور الاول أن لا يصدقه لان النمام فاسق وهو مردود الخبر الثانى أن ينهاه عن ذلك وينصحه ويقبح فعله الثالث أن يبغضه فى الله تعالى فانه بغيض عند الله تعالى والبغض فى الله تعالى واجب الرابع أن لا يظن بالمنقول عنه السوء لقوله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم الخامس أن لا يحملك ما حكى لك على التجسس والبحث عن تحقيق ذلك قال الله تعالى ولا تجسسوا السادس أن لا يرضى لنفسه ما نهى النمام عنه فلا يحكى نميمته وقد جاء أن رجلا ذكر لعمر بن عبد العزيز رجلا بشئ فقال عمر رضى الله عنه ان شئت نظرنا فى أمرك فان تكن كاذبا فانت من أهل هذه الآية ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا وان كنت كاذبا فأنت من أهل هذه الآية همّاز مشاء بنميم وان شئت عفونا عنك قال العفو يا أمير المؤمنين ولا أعود ورفع انسان رقعة الى الصاحب بن عباد يحثه فيها على أخذ مال يتيم وكان مالا كثيرا فكتب على ظهرها النميمة قبيحة وان كانت صحيحة والميت رحمه الله واليتيم جبره الله والمال أثمره الله والساعى لعنه الله (وحكى) أن رجلا أراد شراء عبد فقال له مولاه انى أبرأ اليك من النميمة والكذب فقال نعم أنت برئ منهما فاشتراه فجعل يقول لمولاه ان امرأتك تبغى وتفعل وانها تريد أن تقتلك ويقول للمرأة ان زوجك يريد أن يتزوج عليك ويتسرى فان أردت أن أعطفه عليك فلا يتزوج ولا يتسرى فخذى الموسى واحلقى شعرة من حلقه اذا نام وقال للزوج انها تريد أن تقتلك اذا نمت قال فذهب فتناوم لها فجاءت بالموسى لتحلق شعرة من حلقه فأخذ بيدها فقتلها فجاء أهلها فاستعدوا عليه فقتلوه

(الباب الرابع فى الكذب)

قال الله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم قال قتادة أى لا تقل رأيت وأنت لم تره وسمعت ولم تسمعه وعلمت ولم تعلمه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الصدق يهدى الى البر وان البر يهدى الى الجنة وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا وان الكذب يهدى الى الفجور وان الفجور يهدى الى النار وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا وقال صلى الله عليه وسلم أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من نفاق حتى يدعها اذا ائتمن خان واذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر رواهما البخارى ومسلم وقال صلى الله عليه وسلم من تحلم حلما لم يره كلف أن يعقد بين شعيرتين ولن يفعل ومن استمع الى حديث قوم وهم له كارهون صب فى أذنيه الآنك يوم القيامة ومن صور صورة عذب وكلف أن ينفخ فيها

وقال السلام عليكم أأدخل قالت بابى أنت وأمى يا رسول الله أدخل قال أنا ومن معى قالت ومن معك يا رسول الله قال عمران بن حصين فقالت والذى بعثك بالحق نبيا ما على الا عباءة قال اصنعى بها هكذا وهكذا وأشار بيده قالت هذا جسدى قد واريته فكيف برأسى فألقى اليها ملاءة كانت عليه خلقة فقال شدى بها على رأسك ثم أذنت له فدخل فقال السلام عليك يا بنتاه كيف أصبحت فقالت أصبحت والله وجعة وزادنى وجعا على ما بى انى لست أقدر على طعام آكله فقد أضر بى الجوع فبكى النبى صلى الله عليه وسلم وقال لا تجزعى يا بنتاه فوالله ماذقت طعاما منذ ثلاث وانى لأكرم على الله منك ولو سألت ربى لأطعمنى ولكن آثرت الآخرة على الدنيا ثم ضرب بيده على منكبها فقال لها أبشرى فوالله انك لسيدة نساء أهل الجنة فقالت وأين آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران فقال صلى الله عليه وسلم آسية سيدة نساء عالمها ومريم سيدة نساء عالمها وخديجة سيدة نساء عالمها وأنت سيدة نساء عالمك انكن فى بيوت من قصب لا أذى فيها ولا صخب ثم قال اقنعى بابن عمك فوالله لقد زوجتك سيدا فى الدنيا سيدا فى الآخرة فافهم تغنم والله أعلم بالصواب

(الباب الثامن والعشرون فى ذم الجاه والرياء) اعلم ان الجاه محبوب القلوب فلا يسمح بتركه الا الصديقون ولذلك قيل آخر ما يخرج من رؤس الصديقين حب الرياسة وتبين الغرض من ذلك بفصول

الروح وليس بنافخ رواه البخارى تحلم أى قال انه حلم فى نومه ورأى كذا وكذا وهو كاذب الآنك بضم النون والمد وتخفيف الكاف هو الرصاص المذاب قاله النووى وقال صلى الله عليه وسلم يطبع المؤمن على كل شئ الا الخيانة والكذب وقال صلى الله عليه وسلم كفى بالمرء اثما أن يحدث بكل ما سمع وقال صلى الله عليه وسلم يكون فى آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الاحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فاياكم واياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم وعن عبد الله بن جراد قال قلت يا رسول الله المؤمن يزنى قال قد يكون ذلك قلت المؤمن يسرق قال قد يكون ذلك قلت المؤمن يكذب قال لا قال الله انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وقال صلى الله عليه وسلم ويل لمن يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له وقال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليقول الكلمة لا يقولها الا ليضحك به الناس يهوى بها العبد ما بين السماء والارض وانه ليزل عن لسانه أشد مما يزل عن قدمه وقال صلى الله عليه وسلم من قال لصبى تعال هاك ثم لم يعطه فهى كذبة رواه أحمد وعن عبد الله بن عامر رضى الله عنه قال دعتنى أمى يوما ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد فى بيتنا فقالت ها تعال أعطيك فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أما انك لو لم تعطه شيئا كتبت عليك كذبة رواه أبو داود والبيهقى وقال عبد الله بن مبارك من عقوبة الكذاب أنه يرد عليه صدقه

(فصل فى تغليظ الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كذبا علىّ ليس ككذب على غيرى من كذب علىّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار وقال صلى الله عليه وسلم من روى عنى حديثا وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين قال النووى رحمه الله من كذب على النبى صلى الله عليه وسلم لم يكفر الا أن يستحله هذا هو المشهور من مذاهب العلماء وقال الشيخ أبو محمد الجوينى يكفر بتعمد الكذب عليه ثم ان من كذب عليه عمدا فى حديث واحد فسق وردت رواياته كلها وبطل الاحتجاج بجميعها فلو تاب وحسنت توبته فقد قال جماعة من العلماء منهم أحمد بن حنبل وأبو بكر الحميدى شيخ البخارى وصاحب الشافعى وأبو بكر العراقى من أصحابنا لا تؤثر توبته فى ذلك ولا تقبل رواياته أبدا والمختار القطع بصحة توبته فى هذا وقبول رواياته بعدها اذا صحت توبته بشروطها وقد أجمعوا على صحة رواية من كان كافرا فأسلم وأجمعوا على قبول شهادته ولا فرق بين الشهادة والرواية فى هذا انتهى كلام النووى رحمه الله وروى ابن الصلاح بسنده عن الاصمعى انه قال ان أخوف ما أخاف على طالب العلم اذا لم يعرف النحو أن يدخل فى جملة قول النبى صلى الله عليه وسلم من كذب علىّ فليتبوأ مقعده من النار لانه لم يكن يلحن فمهما رويت عنه كذا ولحنت فيه كذبت عليه

(فصل) فى المعاريض قال صلى الله عليه وسلم ان فى المعاريض لمندوحة عن الكذب وعن عمر رضى الله عنه قال عجبت لمن يعرف المعاريض كيف يكذب وقال عقبة بن المغيرة كنا نأتى ابراهيم وهو خائف من الحجاج فكنا اذا خرجنا من عنده يقول ان سئلتم عنى وحلفتم فاحلفوا بالله ما تدرون أين أنا ولا لنا به علم ولا فى أى موضع هو واعنوا أنكم لا تدرون فى أى موضع أنا فيه قائم أو قاعد وقد صدقتم (وحكى عن عبد الرحمن بن أبى ليلى انه كان له جارية يطؤها سرا فى أهله فوطئها ليلة وأراد أن يغتسل فكره أن يعلم أهله فقال ان مريم بنت عمران كانت تغتسل فى مثل هذه الليلة فلم يبق فى منزله أحد الا اغتسل واغتسل هو معهم وكانت مريم تغتسل كل ليلة وكان النخعى قد خط فى داره مسجدا فاذا جاءه من لا يريد دخوله عليه قال للجارية قولى هو فى المسجد وقال سلمان الفارسى رضى الله عنه أصبحت صائما وكان مفطرا وأراد أنه أصبح صائما فيما سلف يوما قبل ذلك اليوم وأحضر سفيان الثورى مجلس المهدى وحلف له أنه يعود اليه ثم نهض وترك نعله كالناسى له ثم عاد من ساعته فأخذه وخرج فلم يره بعد ذلك فقال المهدى أترى سفيان حلف كاذبا فذكره بعض أصحابه أمر النعل فعرف أنه صادق وأنه عارضه ودخل بعض الزهاد على جبار وعنده مغن يتغنى فجعل الزاهد يقول للمغنى كما غنى وسكت أحسنت ليدفع عن نفسه شر الجبار فلما خرج قيل له فى ذلك فقال انما كنت أقول أحسنت اذا سكت والله أعلم

(فصل) اعلم أن أصل الجاه هو انتشار الصيت وهو مذموم الا لمن شهره الله تعالى لنشر دينه قال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسب امرئ من الشر الا من عصمه الله تعالى أن يشير الناس اليه بالاصابع فى دينه ودنياه وقال على رضى الله عنه تبذل ولا تشتهر ولا ترفع شخصك لتذكر وتعلم واكتم واصمت تسلم وتسر الابرار وتغيظ الفجار وقال ابراهيم بن أدهم ما صدق الله من أحب الشهرة ورأى طلحة قوما يمشون معه فقال ذباب طمع وفراش نار وقال سليمان بن حنظلة بينما نحن حول أبى بن كعب نمشى خلفه اذ رآه عمر فعلاه بالدرة فقال انظر يا أمير المؤمنين ما تصنع فقال ان هذه ذلة للتابع وفتنة للمتبوع وعن الحسن قال خرج ابن مسعود يوما من منزله فاتبعه الناس فالتفت اليهم فقال علام تتبعونى فوالله لو تعلمون ما أغلق عليه بابى ما اتبعنى أحد منكم وقال الحسن ان خفق النعال خلف الرجال قلما تثبت معه قلوب الحمقى (فضيلة الخمول) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رب أشعث أغبر ذى طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك وقال ابن مسعود قال عليه الصلاة والسلام رب ذى طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره لو قال اللهم انى أسألك الجنة لأعطاه الجنة ولم يعطه من الدنيا شيئا وقال أبو هريرة رضى الله عنه قال النبى صلى الله عليه

(الباب الخامس فى شهادة الزور وكتم الشهادة)

قال الله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور وفى الصحيحين عن أبى بكر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أنبئكم بأكبر الكبائر قلنا بلى يا رسول الله قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين وكان متكئا فجلس فقال ألا وقول الزور وشهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت وفى الحديث لا تزول قدما شاهد الزور يوم القيامة حتى تجب له النار وفى الاثر عدلت شهادة الزور الاشراك بالله قال الله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور وكما تحرم شهادة الزور يحرم كتمان الشهادة قال الله تعالى ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه وقال صلى الله عليه وسلم من كتم شهادة اذا دعى اليها كان كمن شهد بالزور

(الباب السادس فى اليمين الغموس والنهى عن الحلف بغير الله تعالى)

عن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال من حلف على مال امرئ مسلم بغير حق لقى الله وهو عليه غضبان قال عبد الله ثم قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مصداقه فى كتاب الله عز وجل ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا الى آخر الآية رواه البخارى ومسلم وقال صلى الله عليه وسلم من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة قالوا وان كان شيأ يسيرا يا رسول الله فقال وان كان قضيبا من أراك رواه مسلم وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أكبر الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين واليمين الغموس رواه البخارى وسميت غموسا لانها تغمس صاحبها فى الاثم أو فى النار وعن جبير بن مطعم رضى الله عنه أنه افتدى يمينه بعشرة آلاف درهم ثم قال ورب الكعبة لو حلفت حلفت صادقا وانما هو شئ افتديت به يمينى رواه الطبرانى فى الاوسط باسناد جيد وروى أيضا عن الاشعث بن قيس رضى الله عنه قال اشتريت يمينى مرة بسبعين ألفا وفى الصحيحين عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أدرك عمر بن الخطاب وهو يسير فى ركب يحلف بابيه فقال ألا ان الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت قال النووى قال العلماء الحكمة فى النهى عن الحلف بغير الله تعالى أن الحلف يقتضى تعظيم المحلوف به وحقيقة العظمة مختصة بالله تعالى ولا يضاهى به غيره وقد جاء عن ابن عباس لأن أحلف بالله تعالى مائة مرة فآثم خير من أن أحلف بغيره فابر فان قيل هذا الحديث مخالف لقوله صلى الله عليه وسلم أفلح وأبيه فجوابه أن هذه كلمة تجرى على اللسان لا يقصد بها اليمين فان قيل فقد أقسم الله تعالى بمخلوقاته فقال تعالى والصافات والذاريات والطور والنجم فالجواب أن الله تعالى أن يقسم بما شاء من مخلوقاته تنبيها على شرفه وعن ابن عمر أيضا أنه سمع رجلا يقول لا والكعبة فقال ابن عمر لا تحلف بغير الله فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك رواه الترمذى وحسنه ابن حبان وعن بريدة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حلف بالامانة فليس منا رواه أبو داود وقال صلى الله عليه وسلم من حلف على ملة غير الاسلام فهو كما قال رواه البخارى قوله على ملة غير الاسلام كقوله ان فعل كذا فهو يهودى أو نصرانى فقد برئ من الاسلام

(الباب السابع فى اللعن)

فى الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعن المؤمن كقتله قال النووى والظاهر أن المراد أنهما سواء فى أصل التحريم وان كان القتل أغلظ وقال صلى الله عليه وسلم لا ينبغى لصديق أن يكون لعانا رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذى رواه الترمذى وقال حديث حسن وقال صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا لعن شيأ صعدت اللعنة الى السماء فتغلق أبواب السماء دونها ثم تهبط الى الارض فتغلق أبوابها دونها ثم تأخذ يمينا وشمالا فاذا لم تجد مساغا رجعت الى الذى لعن ان كان أهلا لذلك والا رجعت الى قائلها رواه أبو داود وقال النووى رحمه الله لعن المسلم المصون حرام بالاجماع ويجوز لعن أصحاب

وسلم أهل الجنة كل أشعث أغبر ذى طمرين لا يؤبه له الذين اذا استأذنوا على الامراء لم يؤذن لهم واذا خطبوا النساء لم ينكحوا واذا قالوا لم ينصت لهم حوائج أحدهم تتلجلج فى صدره لو قسم نوره يوم القيامة بين الناس لوسعهم وروى أن عمر دخل المسجد فاذا هو بمعاذ بن جبل يبكى عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما يبكيك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اليسير من الرياء شرك وان الله تعالى يحب الاتقياء الاخفياء الذين ان غابوا لم يفتقدوا وان حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى ينجون من كل غبراء مظلمة وقال ابن مسعود كونوا ينابيع العلم مصابيح الهدى أحلاس البيوت سرج الليل جدد القلوب خلقان الثياب تعرفون فى أهل السماء وتخفون فى أهل الارض

(فصل) فى ذم حب الجاه قال الله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا واعلم ان حقيقة الجاه هو ملك القلوب كما ان معنى المال ملك الاعيان وكما أن مالك المال يتوصل به الى المقاصد فمالك القلوب يتوصل بها الى المقاصد فالجاه أحد المقاصد وكما أن المال يكتسب بالحرف والصناعات فالقلوب تكتسب بانواع المعاملات ولا تصير القلوب مسخرات الا بالاعتقادات فكل من يعتقد الانسان فيه وصفا من أوصاف الكمال انقاد له قلبه بل ملك

الاوصاف المذمومة كقولك لعن الله الظالمين لعن الله اليهود والنصارى لعن الله المصورين ونحو ذلك كما جاء فى الاحاديث وأما لعن الانسان بعينه ممن اتصف بشئ من المعاصى كيهودى أو نصرانى فمقتضى الاحاديث أنه ليس بحرام وأشار الغزالى الى تحريمه الا فى حق من علمنا أنه مات على الكفر كأبى لهب قال لان اللعن هو الابعاد عن رحمة الله تعالى وما ندرى ما يختم به لهذا الفاسق أو الكافر قال وأما الذين لعنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم باعيانهم فيجوز أنه علم أنهم يموتون على الكفر قال ويقرب من اللعن الدعاء على الانسان بالشر حتى الدعاء على الظالم

(الباب الثامن فى السب)

قال الله تعالى والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر رواه البخارى ومسلم قال النووى فى تأويله أقوال أحدها أنه فى المستحل والثانى أن المراد كفر الاحسان والنعمة وأخوة الاسلام لا كفر الجحود والثالث أن يؤول الى الكفر بشؤمه والرابع أنه كفعل الكفار وقال صلى الله عليه وسلم لا يرمى رجل رجلا بالفسق أو الكفر الا ارتدت عليه ان لم يكن صاحبه كذلك رواه البخارى وقال صلى الله عليه وسلم ما كفر رجل رجلا الا باء أحدهما بها فان كان كافرا والا كفر بتكفيره رواه ابن حبان وقال صلى الله عليه وسلم من قذف مملوكه بالزنا يقام عليه الحد يوم القيامة الا أن يكون كما قال رواه البخارى ومسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الاموات فانهم قد أفضوا الى ما قدموا رواه البخارى وقال صلى الله عليه وسلم من أكبر الكبائر شتم الرجل والديه قالوا يا رسول الله وهل يشتم الرجل والديه قال نعم يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه رواه البخارى ومسلم

(فصل فى قوله ولا تلمزوا أنفسكم الآية) قوله ولا تلمزوا أنفسكم أى لا يعب بعضكم بعضا ولا يطعن بعضكم على بعض ولا تنابزوا بالالقاب التنابز التفاعل من النبز وهو اللقب وهو أن يدعى الانسان بغير ما يدعى به قال عكرمة هو قول الرجل للرجل يا فاسق يا منافق يا كافر وقال الحسن كان اليهودى والنصرانى يسلم فيقال له بعد اسلامه يا يهودى يا نصرانى فنهوا عن ذلك قال عطاء هو أن تقول لاخيك يا كلب يا حمار يا خنزير قال النخعى اذا قال الرجل للرجل يا حمار يا خنزير قيل له يوم القيامة أرأيتنى خلقته حمارا أو رأيتنى خلقته خنزيرا وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال التنابز بالالقاب أن يكون الرجل عمل السيئات ثم تاب عنها فنهى أن يعير بما سلف من عمله بئس الاسم الفسوق بعد الايمان أى بئس الاسم أن تقول له يا يهودى أو يا فاسق بعدما آمن ومن لم يتب من ذلك فأولئك هم الظالمون

(الباب التاسع فى الغناء)

قال الله تعالى ومن الناس من يشترى لهو الحديث الآية قال مجاهد يعنى شراء القينات والمغنيات فعلى هذا المعنى من يشترى ذات لهو الحديث وعن أبى أمامة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل تعليم المغنيات ولا بيعهن وأثمانهن حرام وفى مثل هذا نزلت الآية ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله وما من رجل يرفع صوته بالغناء الا بعث الله اليه شيطانين أحدهما على هذا المنكب والآخر على هذا المنكب ولا يزالان يضربانه بارجلهما حتى يكون هو الذى يسكت وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن ثمن الكلب وكسب الزمارة وعن عبد الله بن مسعود وابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير رضى الله عنهم قالوا لهو الحديث هو الغناء والآية نزلت فيه ومعنى قوله يشترى لهو الحديث يعنى يستبدل ويختار الغناء والمزامير والمعازف على القرآن وقال ابراهيم النخعى الغناء ينبت النفاق فى القلب وكان أصحابنا يأخذون بافواه السكك يخرقون الدفوف وقيل الغناء رقية الزنا قال قتادة حسب المرء من الضلالة أن يختار حديث الباطل على حديث الحق واختلف العلماء فى الغناء فاباحه جماعة من أهل الحجاز وهى رواية عن مالك وحرمه أبو حنيفة وأهل العراق ومذهب الشافعى كراهته وهو المشهور من مذهب مالك

القلوب استعباد للناس واسترقاق لهم واذا كان المال محبوبا فالجاه أولى واعلم ان الجاه قوت الروح الطالبة للاستعلاء والربوبية اذ الروح من عالم أمر الله وهو يطلب الربوبية والعلو والاستعباد للناس ويحب الكمال ويطلبه ولذلك لا ترى أحدا ينفك عن هذه الارادة

(فصل) اعلم أن النفس انما ترتاح للمدح وتهتز له لان فيه شعورا بالكمال والنفس محبة للكمال وعلى العكس تكره الذم لان فيه شعورا بالنقصان وهى تكره النقصان (بيان علاج حب الجاه) اعلم أن من ابتلى بحب الجاه صار همه مقصورا على حب الجاه وطلب الزيادة فيه واصطياد قلوب الخلق وذلك يضطره الى الرياء والنفاق ولذلك شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك أعنى حب المال والجاه بذئبين ضاريين فى زريبة غنم وقال انه ينبت النفاق كما ينبت الماء البقل وعلاجه مركب من العلم والعمل أما العلم فهو أن يعلم أن مقصوده ملك القلوب وقد بينا أن ذلك ان صفا وسلم فآخره الموت فليس ذلك من الباقيات الصالحات بل لو سجد لك كل من على بسيط الارض من المشرق الى المغرب مقدار خمسين سنة لا يبقى الساجد ولا المسجود له وتكون حالك كحال من مات من قبلك من ذوى الجاه وقد ماتوا فذلك كمال وهمى لا حقيقة له لانه يزول بالموت وهذا كما كتب الحسن البصرى حيث كتب الى عمر بن عبد العزيز أما بعد فكأنك بآخر من كتب عليه الموت وقد مات

(الباب العاشر فى انشاد الشعر)

قال الله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون أى أهل الغى وهم الشياطين فقيل رواتهم وقيل السفلة والبطالة ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون قال ابن عباس فى كل لغو يخوضون و يهيمون بالباطل وأنهم يقولون مالا يفعلون أى يكذبون فى شعرهم يقولون فعلنا وفعلنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا خير من أن يمتلئ شعرا وقال عليه السلام ان من الشعر لحكمة وقالت عائشة رضى الله عنها الشعر كلام منه حسن ومنه قبيح نخذ الحسن ودع القبيح وقال الشعبى كان أبو بكر يقول الشعر وكان عمر يقول الشعر وكان على أشعر الثلاثة رضى الله عنهم وقال البيهقى وابن خزيمة المراد من قوله عليه السلام لان يمتلئ جوف أحدكم قيحا خير من أن يمتلئ شعرا أى يمتلئ منه حتى لا يشتغل بعلم سواه ولا بذكر غيره وروى على بن زيد عن الحسن أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يتمثل بهذا البيت *كفى بالاسلام والشيب للمرء ناهيا* فقال أبو بكر رضى الله عنه يا نبى الله انما قال الشاعر *كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا* قال أبو بكر وعمر رضى الله عنهما أشهد أنك رسول الله يقول الله عز وجل وما علمناه الشعر وما ينبغى له قوله تعالى الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات أى من شعراء النبى صلى الله عليه وسلم كحسان وكعب بن مالك وكعب بن زهير رضى الله عنهم وذكروا الله كثيرا أى فى شعرهم وكلامهم وانتصروا من بعد ما ظلموا وقال مقاتل انتصروا من المشركين لانهم بدؤا بالهجاء ثم أوعد شعراء المشركين فقال وسيعلم الذين ظلموا أشركوا وهجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أى منقلب ينقلبون أى مرجع يرجعون بعد الموت قال ابن عباس رضى الله عنهما الى جهنم والسعير

(الباب الحادى عشر فى ذكر أشياء ورد النهى عنها)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقولن أحدكم اللهم اغفر لى ان شئت اللهم ارحمنى ان شئت ولكن ليعزم المسئلة وليعظم الرغبة فان الله لا يتعاظمه شئ أعطاه وقال صلى الله عليه وسلم كل أمتى معافى الا المجاهرين وان من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملا ثم يصبح وقد ستره الله عليه فيقول يا فلان عملت البارحة كذا وكذا وقد بات يستره ربه و يصبح يكشف ستر الله عليه وقال صلى الله عليه وسلم من خبب زوجة امرئ أو مملوكه فليس منا ولا معنا خبب أفسد وخدع وقال صلى الله عليه وسلم لا يسئل بوجه الله الا الجنة وفى الحديث ان الله يغضب اذا مدح الفاسق وقال الحسن من دعا الظالم بطول البقاء فقد أحب أن يعصى الله فى أرضه وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يمدح رجلا فقال له ويلك قطعت عنق صاحبك وقال على رضى الله عنه لما أثنى عليه اللهم اغفر لى مالا يعلمون ولا تؤاخذنى بما يقولون واجعلنى خيرا مما يظنون وأثنى عليه أيضا رجل فى وجهه وكان بلغه أنه يقع فيه فقال على أنا دون ما قلت وفوق ما فى نفسك وقال صلى الله عليه وسلم من قال أنا برئ من الاسلام فان كان صادقا فهو كما قال وان كان كاذبا فلن يرجع الى الاسلام سالما وقال صلى الله عليه وسلم ان المستهزئين بالناس يفتح لاحدهم باب من الجنة فيقال له هلم هلم فيجئ بكربه وغمه فاذا أتاه أغلق دونه فما زال كذلك حتى ان الرجل ليفتح له الباب فيقال هلم هلم فلا يأتيه وقال صلى الله عليه وسلم من عير أخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يعمله

(باب النهى عن التجسس وغيره مما ورد النهى عن استماعه)

قال الله تعالى ولا تجسسوا وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اياكم والظن فان الظن أكذب الحديث ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله اخوانا كما أمركم المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى ههنا التقوى ههنا ويشير الى صدره بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله ان الله لا ينظر الى أجسادكم ولا الى صوركم وأعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم رواه مسلم قيل التحسس بالحاء الاستماع لحديث القوم وبالجيم البحث عن العورات وقيل هما بمعنى وهو طلب معرفة الاخبار الغائبة والاحوال

فكتب فى جوابه أما بعد فكأنك بالدنيا لم تكن وكأنك بالآخرة لم تزل فهؤلاء نظروا الى العواقب وعلموا أن ما هو آت قريب وأما العمل فلهم فيه طرق منهم من شرب شرابا حلالا يشبه الخمرة فهجره الناس وظنوا انه شارب خمر ومنهم من عرف بالزهد فدخل الحمام ثم خرج ولبس ثياب غيره ووقف فى الطريق حتى عرفوه وأخذوه وخلعوا عنه الثياب وضربوه وقالوا انه طرار فهجروه وأقرب الطرق فيه الغربة والهجرة الى موضع الخمول فانه لو اعتزل فى بلده فلا يخلو عن نوع من الرياء بمعرفة الناس باعتزاله وانزوائه (بيان العلاج فى الخلاص من حب المدح وكراهة الذم) وقد بينا أن سببه الكمال الوهمى فاذا عرفت أنه لا أصل له ولا فائدة له الا فى العاجل فاما فى الآخرة فلا فائدة وان كان المدح بأمر دينى فذلك هوس اذ تمام ذلك بحسن الخاتمة و بعد ما جاوزت هذا الخطر (بيان القسم الثانى من هذا الباب وهو الرياء) اعلم أن الرياء حرام وصاحبه ممقوت عند الله تعالى ويدل عليه قوله تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤن وقال الله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا وقيل يا رسول الله فيم النجاة فقال أن لا يعمل العبد بطاعة الله تعالى يريد بها الناس وقال عليه الصلاة والسلام ان أخوف ما يخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا

وقال

وقال صلى الله عليه وسلم من استمع الى حديث قوم وهم له كارهون صب الله فى أذنه الآنك يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم يا معشر المسلمين من أسلم بلسانه ولم يفض الايمان الى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم فانه من يتبع عورة أخيه المسلم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو فى جوف رحله وقال صلى الله عليه وسلم من جلس الى قينة يستمع منها صب فى أذنيه الآنك وسئل أبو على الروذبارى عمن يسمع الملاهى ويقول هى لى حلال لانى قد وصلت الى درجة لا يؤثر فى اختلاف الاحوال فقال نعم قد وصل لكن الى سقر وقال صلى الله عليه وسلم ليشربن ناس من أمتى الخمر يسمونها بغير اسمها يعزف على رؤسهم بالمعازف والمغنيات يخسف الله بهم الارض ويجعل منهم القردة والخنازير رواه ابن ماجه ونقل صاحب عوارف المعارف اتفاق أصحاب الشافعى على تحريم سماع الغناء من المرأة الاجنبية وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم لاصحابه استحيوا من الله حق الحياء قالوا انا نستحى من الله يا نبى الله قال ليس ذلك ولكن من استحيا من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى وليحفظ البطن وما حوى وليذكر الموت والبلى ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء قوله فليحفظ الرأس وما وعى الوعى الحفظ يريد ما يحفظ الرأس من السمع والبصر واللسان حتى لا يستعملها الا فيما يحل وقوله والبطن وما حوى أى وما جمع يريد لا يجمع فيه الا الحلال ولا يأكل الا الطيب وقيل يحتمل أن يكون المراد بما حوى الفرج والقلب والرجل

(كتاب النهى عن الغضب والامر بكظم الغيظ والحلم والعفو والرفق وفيه خمسة أبواب)

(الباب الاول فى النهى عن الغضب)

روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم أوصنى قال لا تغضب فردد مرارا قال لا تغضب وقال صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب رواه البخارى ومسلم وقال صلى الله عليه وسلم ان الغضب من الشيطان وان الشيطان خلق من النار وانما تطفأ النار بالماء فاذا غضب أحدكم فليتوضأ وقال صلى الله عليه وسلم اذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فان ذهب عنه الغضب والا فليضطجع وقال صلى الله عليه وسلم من كف غضبه ستر الله عورته وقال عكرمة فى قوله تعالى وسيدا وحصورا السيد الذى لا يغلبه الغضب وقال جعفر بن محمد الغضب مفتاح كل شر

(الباب الثانى فى كظم الغيظ)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله على رؤس الخلائق حتى يخيره فى أى الحور شاء وقال صلى الله عليه وسلم من كف غيظه كف الله عنه عذابه ومن اعتذر الى ربه قبل الله عذره ومن خزن لسانه ستر الله عورته وقال صلى الله عليه وسلم أشدكم من غلب نفسه عند الغضب وأحلمكم من عفا بعد القدرة وقال عمر رضى الله عنه من اتقى الله لم يشف غيظه ومن خاف الله لم يفعل ما يريد ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون وقال رجل لعمر رضى الله عنه والله ما تقضى بالعدل ولا تعطى الجزل فغضب عمر حتى عرف فى وجهه الغضب فقال له رجل يا أمير المؤمنين ألم تسمع قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وهذا من الجاهلين فقال عمر صدقت فكأنما كانت نارا فأطفئت

(الباب الثالث فى الحلم)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم واطلبوا العلم واطلبوا مع العلم السكينة والحلم لينوا لمن تعلمون ولمن تتعلمون منه ولا تكونوا من جبابرة العلماء فيغلب جهلكم عليكم وكان من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم أغننى بالعلم وزينى بالحلم وأكرمنى بالتقوى وجملنى بالعافية وقال صلى الله عليه وسلم ان الرجل المسلم ليدرك بالحلم درجة القائم الصائم وانه ليكتب جبارا وما يملك الا أهل بيته وشتم رجل ابن عباس رضى الله عنهما فلما قضى مقالته قال يا عكرمة انظر هل للرجل حاجة نقضيها فنكس الرجل رأسه واستحى وجاء غلام لابى ذر وقد كسر رجل شاة له فقال له من كسر رجل هذه قال انا فعلته عمدا

وما الشرك الأصغر يا رسول الله قال الرياء يقول الله تعالى يوم القيامة اذا جازى العبد بأعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن فى الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء وقال صلى الله عليه وسلم استعيذوا بالله من جب الحزن قيل وما هو يا رسول الله قال واد فى جهنم أعد للقراء المرائين وروى عبد الله بن المبارك باسناده عن رجل أنه قال لمعاذ بن جبل حدثنى حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبكى معاذ حتى ظننت أنه لا يسكت ثم سكت ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لى يا معاذ قلت له لبيك يا رسول الله بأبى أنت وأمى يا رسول الله قال انى محدثك حديثا ان أنت حفظته نفعك وان أنت ضيعته ولم تحفظه انقطعت حجتك عند الله تعالى يوم القيامة يا معاذ ان الله تعالى خلق سبعة أملاك قبل أن يخلق السموات والارض ثم خلق السموات فجعل لكل سماء من السبعة ملكا بوابا عليها قد جللها عظما فتصعد الحفظة بعمل العبد من حين أصبح الى حين أمسى له نور كنور الشمس حتى اذا طلعت الملائكة به الى سماء الدنيا زكته فكثرته فيقول الملك الموكل للحفظة اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا صاحب الغيبة أمرنى ربى أن لا أدع عمل من اغتاب الناس يجاوزنى الى غيرى قال ثم تأتى الحفظة بعمل صالح من أعمال العبد فيرفعه وتكثره حتى تبلغ به الى السماء الثانية فيقول لهم الملك الموكل بالسماء الثانية قفوا واضربوا بهذا

لاغيظك فتضرر بني فتأثم فقال لأغيظن من حرضك على غيظي فأعتقه ودخل عمر بن عبد العزيز المسجد ليلة في الظلمة فمر برجل نائم فعثر به فرفع رأسه وقال أمجنون أنت فقال عمر لا فهم به الحارس فقال عمر مه انما سألني أمجنون أنت فقلت له لا وسب رجل علي بن الحسين رضي الله عنهما فثارت اليه العبيد فقال مهلا ثم أقبل على الرجل فقال ما ستر عنك من أمرنا أكثر ألك حاجة نعينك عليها فاستحى الرجل فألقى عليه خميصة كانت عليه وأمر له بألف درهم فكان الرجل بعد ذلك يقول أشهد أنك من أولاد الرسل وقال رجل لوهب بن منبه ان فلانا شتمك فقال وما وجد الشيطان بريدا غيرك وقال لقمان ثلاثة لا يعرفون الا عند ثلاث لا يعرف الحليم الا عند الغضب ولا الشجاع الا عند الحرب ولا أخوك الا عند الحاجة اليه

(الباب الرابع في العفو)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع أحد لله الا رفعه الله عن عقبة بن عامر قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عقبة ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وجلس ابن مسعود في السوق يبتاع متاعا فابتاع ثم طلب الدراهم وكانت في عمامته فوجدها قد حلت فقال لقد جلست وانها لمعي فجعلوا يدعون عليه اللهم اقطع يد السارق الذي أخذها فقال عبد الله اللهم ان كان حمله على أخذها حاجة فبارك له فيها وان كان حمله جراءة على الذنوب فاجعله آخر ذنوبه

(الباب الخامس في الرفق)

في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله عز وجل رفيق يحب الرفق في الامر كله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يحرم الرفق يحرم الخير كله وقال صلى الله عليه وسلم ان الرفق لا يكون في شئ الا زانه ولا ينزع من شئ الا شانه رواهما مسلم

(باب في ذم الحقد والحسد)

قال الله تعالى أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله الحسد ان يتمنى زوال النعمة عن صاحبه ويتمناها لنفسه وهو حرام والغبطة أن يتمنى لنفسه مثل ما لصاحبه وهو جائز قال الكلبي ولا يتمنى الرجل مال أخيه ولا امرأته ولا خادمه ولكن ليقل اللهم ارزقني مثله وهو كذلك في التوراة وفي القرآن قوله تعالى واسألوا الله من فضله وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بعض وكونوا عباد الله اخوانا المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى ههنا ويشير الى صدره ثلاث مرار بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دب اليكم داء الامم قبلكم الحسد والبغضاء وقال صلى الله عليه وسلم ان الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال يطلع عليكم من هذا الفج رجل من أهل الجنة فاطلع رجل فسئل عن عمله فقال اني لا أجد لأحد من المسلمين في قلبي غشا ولا حسدا على خير أعطاه الله اياه وقال صلى الله عليه وسلم لا تظهر الشماتة لأخيك فيرحمه الله ويبتليك وقال صلى الله عليه وسلم أخوف ما أخاف على أمتي ان يكثر لهم المال فيتحاسدون ويقتتلون وقال صلى الله عليه وسلم استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود وقال صلى الله عليه وسلم ان لنعم الله أعداء فقيل ومن ذلك قال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وقال صلى الله عليه وسلم ستة يدخلون النار قبل الحساب بستة قيل يا رسول الله من هم قال الامراء بالجور والعرب بالعصبية والدهاقون بالكبر والتجار بالخيانة وأهل الرستاق بالجهالة والعلماء بالحسد ويروى ان الله تعالى قال الحاسد عدو نعمتي متسخط لقضائي غير راض بقسمتي التي قسمت بين عبادي وقال ابن سيرين رحمه الله ما حسدت أحدا على شئ من أمر الدنيا لانه ان كان من أهل الجنة فكيف أحسده على شئ من أمر الدنيا وهو يصير الى الجنة وان كان من أهل النار فكيف أحسده على شئ من أمر الدنيا وهو يصير

الى

العمل وجه صاحبه أنا ملك الفخر انه أراد بعمله هذا عرض الدنيا أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني الى غيري انه كان يفتخر على الناس في مجالسهم قال وتصعد الحفظة بعمل العبد يبتهج نورا من صدقة وصيام وصلاة قد أعجب الحفظة فيجاوزون به الى السماء الثالثة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا ملك الكبر أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني انه كان يتكبر على الناس في مجالسهم قال وتصعد الحفظة بعمل العبد يزهر كما يزهر الكوكب الدري له دوي كدوي النحل من تسبيح وصلاة وحج وعمرة حتى يجاوزون به الى السماء الرابعة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واضربوا به ظهره وبطنه أنا صاحب العجب أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني الى غيري انه كان اذا عمل عملا أدخل العجب في عمله قال وتصعد الحفظة بعمل العبد حتى يجاوزون به الى السماء الخامسة كأنه العروس المزفوفة الى أهلها فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واحملوه على عاتقه أنا ملك الحسد انه كان يحسد الناس من يتعلم ويعمل بمثل عمله وكل من كان يأخذ فضلا من العبادة يحسدهم ويقع فيهم أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني الى غيري قال وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وحج وعمرة وصيام فيجاوزون

الى النار وقال ابليس اللعين لنوح عليه السلام اياك والحسد فانه صيرني الى هذا الحال وقال بعض السلف ان أول خطيئة كانت هي الحسد حسد ابليس آدم فأبى أن يسجد له فحمله الحسد على المعصية وقال أبو الدرداء ما أكثر عبد ذكر الموت الا قل فرحه وقل حسده وقال الحسن يا ابن آدم لم تحسد أخاك فان كان الذي أعطاه الله لكرامته عليه فلم تحسد من أكرمه الله وان كان غير ذلك فلم تحسد من مصيره الى النار وقال بعضهم الحاسد لا ينال من المجالس الا مذمة وذلا ولا ينال من الملائكة الا لعنة وبغضا ولا ينال من الخلق الا جزعا وغما ولا ينال عند النزع الا شدة وهولا ولا ينال عند الموقف الا فضيحة ونكالا (حكاية) قال الغزالي رحمه الله في الاحياء قيل كان رجل يغشى بعض الملوك فيقوم بحذاء الملك فيقول أحسن الى المحسن باحسانه والمسئ سيكفيك مساويه فحسده رجل على ذلك المقام والكلام فسعى به الى الملك فقال ان هذا الذي يقوم بحذائك ويقول ما يقول زعم أن الملك أبخر فقال الملك وكيف يصح ذلك عندي قال تدعو به اليك فاذا دنا منك وضع يده على أنفه لئلا يشم ريح البخر قال له انصرف حتى أنظر فخرج من عند الملك فدعا الرجل الى منزله فأطعمه طعاما فيه ثوم فخرج الرجل من عنده وقام بحذاء الملك فقال أحسن الى المحسن باحسانه والمسئ سيكفيك مساويه فقال له الملك ادن مني فدنا منه فوضع يده على فيه مخافة أن يشم الملك ريح الثوم فقال الملك في نفسه ما أرى فلانا الا وقد صدق قال وكان الملك لا يكتب بخطه الا بجائزة أو صلة فكتب له كتابا بخطه الى عامل من عماله اذا أتاك صاحب كتابي فاذبحه واسلخه واحش جلده تبنا وابعث به الي فأخذ الكتاب وخرج فلقيه الرجل الذي سعى به فقال ما هذا الكتاب فقال خط الملك لي بصلة فقال هبه لي فقال هو لك فأخذه ومضى الى العامل فقال ان في كتابك أن أذبحك وأسلخك قال ان الكتاب ليس هو لي الله الله في أمري حتى أراجع الملك فقال ليس لكتاب الملك مراجعة فذبحه وسلخه وحشا جلده تبنا وبعث به ثم عاد الرجل الى الملك كعادته وقال مثل قوله فتعجب الملك وقال ما فعلت بالكتاب قال لقيني فلان فاستوهبه مني فوهبته قال الملك انه ذكر لي أنك تزعم اني أبخر قال ما فعلت قال فلم وضعت يدك على أنفك قال كان أطعمني طعاما فيه ثوم كرهت أن تشمه قال صدقت ارجع الى مكانك فقد كفاك المسئ مساويه

(قصة آدم عليه السلام حين حسده ابليس اللعين)

قال الله تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم قال مجاهد خلقنا أباكم آدم ثم صورناكم في ظهره قوله تعالى ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم الآية في هذا السجود قولان أصحهما أنه كان لآدم على الحقيقة وتضمن معنى الطاعة لله عز وجل بامتثال أمره وكان ذلك سجود تعظيم وتحية لا سجود عبادة كسجود اخوة يوسف له ولم يكن فيه وضع الوجه على الارض انما كان انحناء فلما جاء الاسلام بطل ذلك بالسلام وقيل معنى اسجدوا لآدم أي الى آدم فكان آدم قبلة والسجود لله كما جعلت الكعبة قبلة للصلاة قال الله تعالى ما منعك أي يا ابليس أن لا تسجد أي أن تسجد ولا صلة اذ أمرتك قال ابليس مجيبا له أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين والنار خير وأنور من الطين قال محمد بن جرير ظن الخبيث أن النار خير من الطين ولم يعلم أن الفضل لمن جعل الله له الفضل وقد فضل الله الطين على النار وقالت الحكماء للطين فضل على النار من وجوه منها أن من جوهر الطين الرزانة والوقار والحلم والصبر وهو الداعي لآدم بعد السعادة التي سبقت له الى التوبة والتواضع والتضرع فأورثته الاجتباء والتوبة والهداية ومن جوهر النار الخفة والطيش والحدة والارتفاع وهي الداعية لابليس بعد الشقاوة التي سبقت له الى الاستكبار والاصرار فأورثته اللعنة والشقاوة ولان الطين سبب جمع الاشياء والنار سبب تفرقها ولان الطين سبب الحياة فان حياة النبات والاشجار به والنار سبب للهلاك قال الله تعالى فاهبط منها أي من الجنة فما يكون لك أن تتكبر فيها بمخالفة الامر ولا ينبغي أن يسكن الجنة متكبر مخالف لامر الله فاخرج انك من الصاغرين من الاذلاء قال ابليس عند ذلك أنظرني أمهلني فلا تمتني الى يوم يبعثون من قبورهم وهو النفخة الاخيرة عند قيام الساعة أراد الخبيث أن لا يذوق الموت قال الله تعالى انك من المنظرين وبين مدة النظرة في موضع آخر بقوله تعالى الى يوم الوقت المعلوم

به الى السماء السادسة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه كان لا يرحم انسانا قط من عباد الله أصابه بلاء أو ضر بل كان يشمت به أنا ملك الرحمة أمرني أن لا أدع عمله يجاوزني الى غيري قال وتصعد الحفظة بعمل العبد الى السماء السابعة من صوم وصلاة ونفقة واجتهاد وورع لها دوي كدوي الرعد وضوء كضوء الشمس معها ثلاثة آلاف ملك فيجاوزون به الى السماء السابعة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واضربوا به جوارحه اقفلوا به على قلبه اني أمرني ربي أحجب عنه كل عمل لم يرد به وجه ربي انه أراد بعمله غير الله تعالى انه أراد رفعة عند الفقهاء وذكرا عند العلماء وصيتا في المدائن أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني الى غيري وكل عمل لم يكن خالصا لله تعالى فهو رياء ولا يقبل الله عمل المرائي قال وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وصيام وحج وعمرة وخلق حسن وصمت وذكر لله تعالى وتشيعه ملائكة السموات السبع حتى يقطع الحجب كلها الى الله تعالى فيقفون بين يديه ويشهدون له بالعمل الصالح المخلص لله قال فيقول الله تعالى لهم أنتم الحفظة على عمل عبدي وأنا الرقيب على نفسه انه لم يردني بهذا العمل وأراد به غيري فعليه لعنتي فتقول الملائكة كلها عليه لعنتك وعلينا لعنتنا وتلعنه السموات السبع ومن فيهن قال معاذ قلت يا رسول الله

وهو النفخة الاولى حين يموت الخلق كلهم قال فبما أغويتني أي لاجل أنك أغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم أي لاجلسن لبني آدم على طريقك القويم وهو الاسلام ثم لآتينهم من بين أيديهم قال ابن عباس من بين أيديهم أي من قبل الآخرة فأشككهم فيها ومن خلفهم أرغبهم في دنياهم وعن أيمانهم أشبه عليهم أمر دينهم وعن شمائلهم أشهي لهم المعاصي ولا تجد أكثرهم شاكرين أي مؤمنين قيل انه قال هذا ظنا فأصاب قال الله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه قال الله تعالى لابليس أخرج منها مذؤما مدحورا أي لعينا منفيا لمن تبعك منهم من بني آدم لأملأن جهنم منكم أجمعين ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين قال ابن عباس هي السنبلة وقيل شجرة العنب وقيل التين قوله تعالى فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما أي ليظهر لهما ما غطي وستر عنهما من عوراتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أي كراهة أن تكونا ملكين من الملائكة تعلمان الخير والشر أو تكونا من الخالدين أي من الباقين الذين لا يموتون وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين قيل لما أراد ابليس أن يدخل الجنة ليوسوس لآدم وحواء منعته الخزنة فأتى الحية وكانت صديقته وكانت من أحسن الدواب لها أربع قوائم كقوائم البعير وكانت من خزان الجنة فسألها ابليس أن تدخله في فمها فأدخلته ومرت به على الخزنة وهم لا يعلمون فادخلته الجنة فلما دخلها وقف بين يدي آدم وحواء وهما لا يعلمان أنه ابليس فبكى وناح نياحة أحزنتهما وهو أول من ناح فقالا ما يبكيك فقال أبكي عليكما تموتان فتفارقان ما أنتما فيه من النعمة فوقع ذلك في أنفسهما واغتما ومضى ابليس ثم أتاهما بعد ذلك وغرهما بأكل الشجرة فأبيا أن يقبلا منه فقاسمهما بالله أنه لهما من الناصحين فاغترا وما ظنا أن أحدا يحلف بالله كاذبا فبادرت حواء الى أكل الشجرة ثم ناولت آدم حتى أكلها قال ابن عباس وقتادة قال الله عز وجل لآدم ألم يكن فيما أبحت لك من الجنة مندوحة عن الشجرة قال بلى يارب وعزتك ولكن ما ظننت أن أحدا يحلف بك كاذبا قال فبعزتي لأهبطنك الى الارض ثم لا تنال العيش الا كدا فاهبطا من الجنة وكانا يأكلان فيها رغدا فعلم صنعة الحديد وأمر بالحرث فحرث وزرع ثم سقى حتى اذا بلغ حصده ثم داسه ثم ذراه ثم طحنه ثم عجنه ثم خبزه ثم أكله قال ابن عباس لما أكل آدم من الشجرة قال الله عز وجل يا آدم ما حملك على ما صنعت قال يارب زينته لي حواء قال فاني أعقبتها أن لا تحمل الا كرها ولا تضع الا كرها ودميتها في الشهر مرتين فرنت حواء عند ذلك فقيل عليك الرنة وعلى بناتك قال الله تعالى فدلاهما بغرور أي خدعهما وقيل حطهما من منزلة الطاعة الى حالة المعصية ولا يكون التدلي الا من علو الى سفل والغرور اظهار النصح مع ابطان الغش فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما ظهرت لهما عوراتهما وتهافت عنهما لباسهما حتى أبصر كل واحد منهما ما ووري عنه من عورة صاحبه قال وهب كان لباسهما من النور وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وهو ورق التين حتى صار كهيئة القميص وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين قالا ربنا ظلمنا أنفسنا أي بالمعصية وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين قال الله تعالى اهبطوا أي انزلوا الى الارض يعني آدم وحواء وابليس والحية فهبط آدم بسرنديب من أرض الهند على جبل يقال له نود وحواء بجدة وابليس بالابلة والحية باصفهان بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين أي الى انقضاء آجالكم قال الله تعالى فيها أي في الارض تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون أي من الارض تخرجون للبعث

(قصة هابيل وقابيل)

قال الله تعالى واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق وهما هابيل وقابيل اذ قربا قربانا وكان سبب قربانهما ان حواء كانت تلد لآدم في كل بطن غلاما وجارية وكان جميع ما ولدت أربعين ولدا في عشرين بطنا أولهم قابيل وتوأمته اقليمى وآخرهم عبد المغيث وتوأمته أمة المغيث ثم بارك الله في نسل آدم قال ابن عباس لم يمت آدم حتى بلغ ولده وولد ولده أربعين ألفا وكان آدم يزوج غلام هذا البطن جارية بطن آخر فكان الرجل منهم يتزوج

انت رسول الله وأنا معاذ كيف النجاة قال اقتد بنبيك وحافظ على لسانك الوقيعة في اخوانك من حملة القرآن وغيرهم واحمل ذنوبك عليك ولا تحملها عليهم ولا تزك نفسك بذمهم ولا ترفع نفسك عليهم ولا تدخل عمل الدنيا في عمل الآخرة ولا تتكبر في مجلسك لكي يحذر الناس من سوء خلقك ولا تناج رجلا وعندك آخر ولا تتعظم على الناس فينقطع عنك خير الدنيا ولا تمزق الناس فتمزقك كلاب النار يوم القيامة في النار قال الله تعالى والناشطات نشطا أتدري ما هن يا معاذ قلت ما هن بأبي أنت وأمي يا رسول الله قال كلاب النار تنشط اللحم والعظم قلت بأبي أنت وأمي يا رسول الله فمن يطيق هذه الخصال ومن ينجو منها قال يا معاذ انه ليسير على من يسره الله تعالى عليه انما يكفيك من ذلك أن تحب للناس ما تحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لها قال فما رأيت أكثر تلاوة للقرآن من معاذ للحذر مما في هذا الحديث وقال عكرمة ان الله تعالى يعطي العبد على نيته ما لا يعطيه على عمله لان النية أبلغ ولا رياء فيها (بيان حقيقة الرياء) والرياء مشتق من الرؤية والسمعة مشتقة من السماع والرياء أصله طلب رؤية الناس للمنزلة عندهم وطلب المنزلة عند الناس تارة تكون عند الناس بعمل غير العبادة وتارة تكون بالعبادة فالرياء في غير العبادة المراآة بالثياب الخشنة وتشميرها واصفرار اللون واغارة العين وتشعيث الشعر وخفض الصوت

أية

أية أخواته شاء الا توأمته لانه لم يكن يومئذ نساء الا أخواتهم ثم ان الله تعالى أمر آدم أن ينكح قابيل ليوذى أخت هابيل وينكح هابيل اقليمى أخت قابيل وكانت أحسن من أخت هابيل فذكر ذلك آدم لولديه فرضي هابيل وسخط قابيل وقال هي أختي وأنا أحق بها فقال له أبوه انها لا تحل لك فأبى أن يقبل ذلك وقال ان الله لم يأمره بهذا وانما هو من رأيه فقال لهما آدم قربا قربانا فأيكما تقبل قربانه فهو أحق بها وكانت القرابين اذا قبلت نزلت نار من السماء بيضاء فأكلتها واذا لم تكن مقبولة لم تنزل نار وأكلته الطيور والسباع وكان قابيل صاحب زرع فقرب صبرة من طعام من أردأ زرعه وأضمر في نفسه ما أبالي تقبل مني أم لا لا يتزوج أختي أبدا وكان هابيل صاحب غنم فعمد الى أحسن كبش في غنمه فقرب به وأضمر في نفسه رضا الله عز وجل فوضعا قربانهما على الجبل ثم دعا آدم فنزلت نار من السماء وأكلت قربان هابيل ولم تأكل قربان قابيل فذلك قوله تعالى فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر وكان قابيل أضمر الحسد في نفسه الى أن ذهب آدم الى مكة لزيارة البيت فأتى قابيل هابيل قال لاقتلنك قال ولم قال لان الله قبل قربانك ورد قرباني وتنكح أختي الحسناء وأنكح أختك الذميمة فقال هابيل ما ذنبي انما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت الى يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي اليك لأقتلك اني أخاف الله رب العالمين قال عبد الله بن عمرو وأيم الله ان المقتول لأشد الرجلين ولكن منعه التحرج أن يبسط الى أخيه يده وهذا في الشرع جائز أن من أريد قتله أن ينقاد ويستسلم طلبا للاجر كما فعل عثمان رضي الله عنه اني أريد أن تبوأ ترجع باثمي واثمك أي باثم قتلي الى اثمك أي اثم معاصيك الذي عملت من قبل فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين فطوعت أي زينت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين فلما قتله لم يدر ما يصنع به لانه كان أول ميت على وجه الارض من بني آدم وقصده السباع فحمله في جراب على ظهره أربعين يوما وقيل سنة حتى أروح فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل أحدهما صاحبه ثم حفر له بمنقاره وبرجليه حتى مكن له ثم ألقاه في الحفرة وواراه وقابيل ينظر اليه فذلك قوله عز وجل فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوأة أخيه فلما رأى قابيل ذلك قال ياويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي أي جيفته فأصبح من النادمين على حمله لا على قتله ثم ان قابيل أخذ بيد أخته اقليمى وهرب بها الى عدن من أرض اليمن فأتاه ابليس فقال انما أكلت النار قربان هابيل لانه كان يعبد النار فانصب لك نارا تكن لك ولعقبك فبنى بيت النار وهو أول من عبد النار قالوا واتخذ أولاد قابيل آلات اللهو من اليراع والمزامير والطنابير وانهمكوا في اللهو وشرب الخمر وعبادة النار والزنا والفواحش حتى أغرقهم الله بالطوفان أيام نوح وبقي نسل شيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقتل نفس ظلما الا كان على ابن آدم الاول كفل من دمها لانه أول من سن القتل

(باب ذم الدنيا)

قال الله تعالى اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو الى قوله وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور وقيل ان عيسى عليه السلام رأى الدنيا في صورة عجوزة هتماء عليها من كل زينة فقال لها كم تزوجت قالت لا أحصيهم قال فكلهم مات عنك أو كلهم طلقك قالت بل كلهم قتلتهم قال عيسى بؤسا لازواجك الباقين كيف لا يعتبرون بازواجك الماضين كيف تهلكينهم واحدا بعد واحد ولا يكونون منك على حذر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم وقال صلى الله عليه وسلم يتبع الميت ثلاث أهله وماله وعمله فيرجع اثنان ويبقى واحد يرجع أهله وماله ويبقى عمله رواهما البخاري ومسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في النار صبغة ثم يقال يا ابن آدم هل رأيت خيرا قط هل مر بك نعيم قط فيقول لا والله يارب ويؤتى بأشد الناس بؤسا في الدنيا من أهل الجنة فيقال له يا ابن آدم هل رأيت بؤسا قط هل مر بك شدة قط فيقول لا والله ما مر بي بؤس قط ولا رأيت شدة قط وقال صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الآخرة الا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر بم ترجع واهما

والمشي بالتكاف على سكينة وهدو والتطاليس كل هذه منهمات للرياء بالعبادة وكل ذلك حرام اذا كان القصد منها المراآة وكذلك مراآة العلماء بالالفاظ المسجعة في المواعظ لاجل غزارة العلم الا أن يقصد بذلك أن يكون أقرب الى قبول الدين منه ويكون قد صحت نيته في أصل الوعظ فان ذلك مما يجوز والمراآة بأصل العبادة هو أن يطول الركوع والسجود بين يدي الناس ليظنوا به الزهد والورع وربما تكاف ذلك في الخلوة لئلا يحتاج الى التكاف بين يدي الناس ويظن أن يخلص من الرياء بأن يطول الركوع والسجود في البيت واذا كان عزمه ذلك فقد زاد في ريائه لانه يخلص منه والقول الحق فيه أن يقال الرياء هو طلب الجاه فلا يخلو اما أن يكون بالعبادات أو بغيرها فان كان بغير العبادات فهو كطلب الحلال من المال فلا يحرم الا أن يكون بتلبيس فذلك في المال والجاه محرم على السواء ولا ينبغي أن يظن أن طلب الجاه محرم بالكلية فان القدر الذي يحتاج اليه من الجاه لضرورة المعيشة كالقليل من المال يجوز طلبه للحاجة وهو المراد بقول يوسف عليه السلام اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم فاذا في الجاه سم وترياق كما سبق في المال وكما أن كثير المال يطغي ويلهي عن ذكر الله تعالى فكذا كثير الجاه فان حصل سعة الجاه من غير حرص منك ولم يشغلك

عن الله تعالى وكان استعماله كاستعمال المال الكثير بالسخاء والايثار وايصال النفع الى الخلق فحكمه حكم المال

مسلم وقال صلى الله عليه وسلم لو كان لى مثل أحد ذهبا لسرنى أن لا يمر على ثلاث ليال وليس عندى منه شئ الا شئ أرصده لدين رواه البخارى وقال صلى الله عليه وسلم أنظروا الى من هو أسفل منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم لفظ مسلم وقال صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة ان أعطى منها رضى وان لم يعط لم يرض رواه البخارى وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر رواه مسلم وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبى فقال كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وكان ابن عمر يقول اذا أمسيت فلا تنتظر الصباح واذا أصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك رواه البخارى وعن سهل ابن سعد الساعدى رضى الله عنه قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله دلنى على عمل اذا عملته أحبنى الله وأحبنى الناس فقال ازهد فى الدنيا يحبك الله وازهد فيما عند الناس يحبك الناس رواه ابن ماجه وغيره بأسانيد حسنة وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء صححه الترمذى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا ان الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه أو عالما أو متعلما حسنه الترمذى وقال صلى الله عليه وسلم ألا ان لكل امة فتنة وفتنة أمتى المال رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وقال صلى الله عليه وسلم يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك يا ابن آدم من مالك الا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم ما ذئبان جائعان أرسلا فى زريبة غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال نام رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصير فقام وقد أثر فى جنبه قلنا يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاء فقال مالى وللدنيا ما أنا فى الدنيا الا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى وعن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بجدى أسك ميت فقال أيكم يحب أن يكون هذا له بدرهم فقالوا ما نحب أنه لنا بشئ فقال والله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم وقال صلى الله عليه وسلم قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه وقال صلى الله عليه وسلم حب الدنيا رأس كل خطيئة وقال صلى الله عليه وسلم ان الله جل ثناؤه لم يخلق خلقا أبغض اليه من الدنيا وانه منذ خلقها لم ينظر اليها وروى أن سليمان بن داود عليهما السلام مر فى موكبه والطير تظله والانس والجن عن يمينه ويساره قال فمر بعابد من عباد بنى اسرائيل فقال والله يا ابن داود لقد آتاك الله ملكا عظيما قال فسمعه سليمان عليه السلام فقال لتسبيحة فى صحيفة مؤمن خير مما أعطى ابن داود فما أعطى ابن داود يذهب والتسبيحة تبقى وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له وعليها يعادى من لا علم عنده وعليها يحسد من لا فقه له ولها يسعى من لا يقين له وقال صلى الله عليه وسلم من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله فى شئ وألزم الله قلبه أربع خصال هما لا ينقطع عنه أبدا وشغلا لا يتفرغ منه أبدا وفقرا لا يبلغ غناه أبدا وأملا لا يبلغ منتهاه أبدا وقال أبو هريرة رضى الله عنه قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة الا أريك الدنيا جميعا بما فيها قلت بلى يا رسول الله فأخذ بيدى حتى أتى بى واديا من أودية المدينة فاذا مزبلة فيها رؤس ناس وعذرات وخرق وعظام ثم قال يا أبا هريرة هذه الرؤس كانت تحرص كحرصكم وتؤمل آمالكم ثم هى اليوم عظام بلا جلد ثم هى صائرة رمادا وهذه العذرات ألوان أطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبوها ثم قذفوها من بطونهم فأصبحت والناس يتحامونها وهذه الخرق البالية كانت رياشهم ولباسهم فأصبحت والرياح تصفقها وهذه العظام عظام دوابهم التى كانوا ينتجعون عليها أطراف البلاد فمن كان باكيا على الدنيا فليبك قال فما برحنا حتى اشتد بكاؤنا ويروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال فى بعض خطبه المؤمن بين مخافتين بين أجل قد مضى لا يدرى ما الله صانع فيه وبين أجل قد بقى لا يدرى ما الله قاض فيه

الكثير كما سبق اذ لا يمكن أن يكون جاه أوسع من جاه الانبياء عليهم السلام ومن جاه الائمة والخلفاء الراشدين ولكن ينبغى أن لا يلهيه عن الله تعالى ولا يحزن بزواله فعلى هذا الخروج الى الناس بالثياب الحسنة رياء ولكن ليس بحرام اذ ليس فيه رياء بالعبادة ويدل عليه ما روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد الخروج الى صحابه كان ينظر فى حب الماء ويسوى عمامته وشعره قالت قلت أوتفعل ذلك يا رسول الله قال نعم ان الله تعالى يحب العبد أن يتزين لاخوانه اذا خرج اليهم نعم هذا كان من رسول الله عبادة لانه كان مأمورا بدعوة الخلق ولو سقط من أعينهم لفسد ذلك واعلم أن الرياء درجات فان كان كل مقصوده من الفعل الرياء فهو مبطل للعبادة قطعا ويقرب من هذا أن يكون الرياء غالبا على نية العبادة وان كان قصد العبادة والرياء سواء بأن يستقل كل واحد بنفسه فهذان تجارا سا برأس لا له ولا عليه فقدر بح وان كان الاصل قصد العبادة والرياء مرجح ولو لم يكن الرياء لأقدم على العبادة ولو كان محض الرياء من غير قصد العبادة لما استقل الرياء فلعله لا يحبط أصل العمل ولكنه ينقص من الثواب أو يعاقب على مقدار ما آتى به محل

قوله تعالى أنا أغنى الأغنياء عن الشرك المساواة بين القصدين ليخرج عن هذا القسم الأخير واعلم أنه ان كان الرياء بأصل

فليتزود العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن حياته لموته ومن شبابه لهرمه فان الدنيا خلقت لكم وأنتم خلقتم للآخرة والذى نفسى بيده ما بعد الموت مستعتب ولا بعد الدنيا دار الا الجنة أو النار وروى أن جبريل عليه السلام قال لنوح يا أطول الانبياء عمرا كيف وجدت الدنيا قال كدار لها بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان الله تعالى يقول لك عش ما شئت فانك ميت وأحبب من شئت فانك مفارقه واعمل ما شئت فانك مجزى به وقال عمر ابن عبد العزيز الدنيا عدوة أولياء الله تعالى وعدوة أعداء الله أما أولياء الله فغمتهم وأما أعداء الله فغرتهم وقال لقمان لابنه يا بنى بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعا ولا تبع آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعا وقال مطرف لا تنظر الى خفض عيش الملوك ولين رياشهم ولكن انظر الى سرعة ظعنهم وشر منقلبهم وقال بعضهم الدنيا جيفة وطلابها كلاب فمن أراد منها فليصبر على معاشرة الكلاب وقال أبو الدرداء من هوان الدنيا على الله أنه لا يعصى الا فيها ولا ينال ما عنده الا بتركها وقال رجل لعلى رضى الله عنه صف لنا الدنيا قال وما أصف لكم من دار من صح فيها ما أمن ومن سقم فيها ندم ومن افتقر فيها حزن ومن استغنى فيها فتن فى حلالها حساب وفى حرامها عذاب وقال بعضهم عجبا ممن يعرف بان الموت حق كيف يفرح وعجبا ممن يعلم أن النار حق كيف يضحك وعجبا ممن يرى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن اليها وعجبا ممن يعلم أن القدر حق كيف ينصب وقال بشر من سأل الله تعالى الدنيا فانما يسأله طول الوقوف بين يديه وقال الحسن لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا الا بحسرات ثلاثة انه لم يشبع مما جمع ولم يدرك ما أمل ولم يحسن الزاد لما قدم عليه وقال الحسن أهينوا الدنيا فوالله ما هى لأحد بأهنأ منها لمن أهانها (وحكى) ابن الجوزى رحمه الله فى روضة المشتاق عن بعض السادة انه قال قسم المولى جلت قدرته الاحوال بين عباده فعبد نصيبه من الخلق وعبد نصيبه من الحق وعبد نصيبه من العطاء العاجل وعبد نصيبه من الغطاء الآجل وعبد نصيبه من الثياب الفاخرة وعبد يعطى العز فى الآخرة قال عبد الله بن المبارك رضى الله عنه ليس للمؤمن فى الدنيا دولة لانها دار سجنه وبلائه وانما حظه فيها الصبر والكظم للغيظ والاخذ بالفضل واذا جاءت الآخرة ظهرت دولته وعلت كلمته وروى عنه عليه السلام انه قال المؤمن بين خمس شدائد مؤمن يحسده ومنافق يبغضه وكافر يقاتله وشيطان يضله ونفس تنازعه ونقل أبو الليث عن بعض الحكماء أنه قال المنازع أربع عمرنا فى الدنيا ومكثنا فى القبر ومقامنا فى المحشر ومصيرنا الى الابد الذى خلقنا له فمثل عمرنا فى الدنيا كالمتعشى للحاج لا يطمئنون فيه ولا يحلون الدواب والاثقال لسرعة الارتحال والانتقال ومثل مكثنا فى القبور كمثل النزول فى بعض المنازل يضعون الاثقال فيستريحون يوما أو ليلة ثم يرتحلون ومثل مقامنا فى المحشر كنزولهم بمكة وهى غاية الاجتماع لكل فريق من كل فج عميق يقضون النسك ثم يفترقون يمينا وشمالا كذلك يوم القيامة اذا فرغوا من المحاسبة افترقوا فريقا الى الجنة وفريقا الى السعير وقال على رضى الله عنه انما الدنيا ستة أشياء مطعوم ومشروب وملبوس ومركوب ومنكوح ومشموم فأشرف المطعومات العسل وهو مذقة ذباب وأشرف المشروبات الماء استوى فيه البر والفاجر وأشرف الملبوسات الحرير وهو نسج دودة وأشرف المركوبات الفرس وعليه تقتل الرجال وأشرف المشمومات المسك وهو دم حيوان وأشرف المنكوحات المرأة وهو مبال فى مبال (حكايات ثلاثة) الاولى روى أن عيسى عليه السلام صحبه رجل وقال يا نبى الله أكون معك فانطلق فانتهى الى شاطئ نهر فجلس يتغدى ومعهما ثلاثة أرغفة فأكلا رغيفين وبقى رغيف فقام عيسى عليه السلام الى النهر فشرب ثم رجع فلم يجد الرغيف فقال أين الرغيف قال لا أدرى فانطلق ومعه الرجل فرأى ظبية معها ولدان لها فدعا واحدا فأتاه فذبحه وشوى منه وأكل منه هو وذلك الرجل ثم قال له قم باذن الله عز وجل فقام فقال للرجل أسألك بالذى أراك هذه الآية من أخذ الرغيف قال لا أدرى فانطلق حتى انتهى الى مغارة فجمع عيسى عليه السلام ترابا ثم قال له كن ذهبا باذن الله عز وجل فصار ذهبا فقسمه ثلاثة أثلاث وقال ثلث لك وثلث لى وثلث للذى أخذ الرغيف فقال أنا الذى أخذته فقال فكله لك وفارقه عيسى عليه السلام فجاء

الايمان فهو النفاق وهو مخلد فى الدرك الاسفل من النار وان كان بأصول الفرائض لا بأصل الايمان فهو أخف وان كان بالنوافل وبأوصاف العبادات فقد سبق ذكره (بيان الرياء الخفى) الذى هو أخفى من دبيب النمل وذلك ما لا يستقل بحمله على العبادة ولا يؤثر فى تخفيف العبادة عليه بسبب رؤية الخلق ولكن يحب أن يعرف أو يطلع على عبادته ويسر بذلك فهذا هو الرياء الخفى وطريق دفع الرياء وعلاجه أن يعلم أن منشأه حب المال والجاه وحب المدح وقد سبق ذكره والذى يتجدد بعده انه ينبغى أن يتأمل ان الله تعالى مطلع على سره وسيقول له كنت أهون الناظرين اليك فاذا تأمل فيما يرجع اليه حاصله وانه يزول ذلك بالموت علم أن الاقلاع منه أولى (بيان الرخصة فى كتمان الذنوب) اعلم أن الاصل فى الاخلاص استواء السريرة والعلانية قال عمر عليكم بعمل العلانية قالوا وما عمل العلانية يا أمير المؤمنين قال ما اذا اطلع عليه أحدكم لم يستحى منه وقد قال عليه السلام من ارتكب شيأ من هذه القاذورات فليستتر بستر الله تعالى وينبغى أن يكره ظهور الذنب من غيره أيضا كما يكره من نفسه (بيان أنه لا يجوز ترك العبادات خوفا من الرياء) فنقول اذا لم يكن الباعث أصل الرياء ولكنه يخاف أن يعترض له فى

اثنائه رياء فينبغي أن لا يترك العبادة فان غرض الشيطان يحصل بترك العبادة بل يقدم على العبادة وليدفع الرياء بعد واثنه

ولهذا قال بعضهم الرياء أن يترك العبادة لرؤية الخلق وأما الاقدام عليها لاجل الخلق فهو نفاق محض *(فصل)* اعلم أن من العبادات ما يتعلق بالخلق كالخلافة والامامة والسلطنة والتدريس والوعظ وقد قال عليه الصلاة والسلام ليوم من امام عادل خير من عبادة الرجل وحده ستين عاما واعلم أن المتقين كانوا يهربون منها لان فيها اخطارا عظيمة اذ يتحرك فيها صفات الباطن بحب المال والجاه وسائر الآفات ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ما من والي عشرة الا جاء يوم القيامة مغلولة يده الى عنقه أطلقه عدله أو أوبقه جوره فالعاقل اذن حقيق به أن يهرب عن محل الخطر فلينظر الى نفسه فان كان الغالب عليه طلب الثواب فليفعل وعلامة ذلك أنه اذا ظهر من ينوب عنه ويكفيه ذلك يغتنمه ولا يغتاظ منه فافهم تغنم والله أعلم بالصواب

(الباب التاسع والعشرون في ذم الكبر والعجب وفيه فصول)

اعلم أن الكبر مذموم قال الله تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وقال تعالى كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار وقال تعالى واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد وقال عليه الصلاة والسلام لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من

اليه رجلان وأرادا أن يأخذا الذهب ويقتلاه فقال هو بيننا أثلاثا فقبلا ذلك فقال يذهب واحد الى القرية يشتري لنا طعاما فذهب واحد واشترى طعاما وقال في نفسه أجعل في هذا الطعام سما فاقتلهما وآخذ المال جميعه وجعل فيه السم وقالا فيما بينهما لأي شيء نجعل له الثلث اذا رجع قتلناه واقتسمنا المال نصفين فلما رجع اليهما قتلاه ثم أكلا من الطعام فماتا فبقي المال في المغارة والثلاثة قتلى عنده فمر عيسى عليه السلام فرآهم على تلك الحالة فقال لاصحابه هذه الدنيا فاحذروها (الحكاية الثانية) حكي عن بعض الامراء أنه وقعت عليه ذبابة فألحت عليه فطردها فلم تنطرد فقال في نفسه لو أن لي ملكا لم ينل مني هذا الخلق الضعيف هذا المنال ولا كابدت منه صعوبة الحال فنزع عن نفسه ثياب الوزارة وخلع عن منكبه رداء الامارة ولم يره أحد بعدها راكبا جوادا ولا متوشحا بالسيوف الحداد (الحكاية الثالثة) قال ابن خلكان من أعجب ما يؤرخ من تقلبات الدنيا باهلها ما حكاه محمد بن غسان عن ابن عبد الرحمن الهاشمي قال دخلت على والدتي في يوم نحر فوجدت عندها امرأة برزة في ثياب رثة فقالت لي والدتي أتعرف هذه قلت لا قالت هذه أم جعفر البرمكي فاقبلت عليها بوجهي وأكرمتها وتحادثنا زمانا ثم قلت يا أمي ما أعجب ما رأيت قالت لقد أتى علي يا بني عيد مثل هذا وعلى رأسي أربعمائة وصيفة واني لأعد ابني عاقا لي ولقد أتى علي هذا العيد ومامناي الا جلد شاتين أفترش أحدهما والتحف بالآخر قال فدفعت لها خمسمائة درهم فكادت تموت فرحا بها ولم تزل تختلف الينا حتى فرق الموت بيننا

(باب ذم المال)

قال الله تعالى فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون قيل التعذيب في الدنيا المصائب الواقعة في المال والولد وقيل تعذيبهم بالتعب في جمعه والوجل في حفظه والكره في انفاقه والحسرة على تخليفه عند من لا يحمده ثم يقدم على ملك لا يعذره وقال تعالى انما أموالكم وأولادكم فتنة أي بلاء واختبار وشغل عن الآخرة يقع بسببها الانسان في العظائم ومنع الحق وتناول الحرام وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أوحي الي أن اجمع المال وكن من التاجرين ولكن أوحي الي أن سبح بحمد ربك وكن من الساجدين وقال صلى الله عليه وسلم هلك الاكثرون الا من قال به من عباد الله هكذا وهكذا وقليل ما هم وقيل يا رسول الله أي أمتك أشر قال الاغنياء وقال صلى الله عليه وسلم سيأتي بعدكم قوم يأكلون أطايب الدنيا وألوانها وينكحون أجمل النساء وألوانها ويلبسون ألين الثياب وألوانها ويركبون فره الخيل وألوانها لهم بطون من القليل لا تشبع وأنفس بالكثير لا تقنع عاكفون على الدنيا يغدون ويروحون اليها اتخذوها آلهة دون الههم وربا دون ربهم الى أمرهم ينتهون وهواهم يتبعون فعزيمة من محمد بن عبد الله لمن أدركه ذلك الزمان من عقب عقبكم وخلف خلفكم أن لا يسلم عليهم ولا يعود مرضاهم ولا يتبع جنائزهم ولا يوقر كبيرهم فمن فعل ذلك فقد أعان على هدم الاسلام ذكر هذا الحديث أبو حامد الغزالي رحمه الله في الاحياء وقال رجل يا رسول الله مالي لا أحب الموت فقال هل معك من مال قال نعم يا رسول الله قال فقدم مالك فان قلب المؤمن مع ماله ان قدمه أحب أن يلحقه وان خلفه أحب أن يتخلف معه وروي أن عليا رضي الله عنه وضع درهما على كفه وقال أما انك ما لم تخرج عني لا تنفعني وقال الحواريون لعيسى بن مريم عليه السلام مالك تمشي على الماء ولا نقدر على ذلك فقال لهم ما منزلة الدينار والدرهم عندكم قالوا حسنة قال لكنهما عندي والمدر سواء وقال يحيى بن معاذ الدرهم عقرب فان لم تحسن رقيته فلا تأخذه فانه ان لدغك قتلك سمه فقيل ما رقيته قال أخذه من حله ووضعه في حقه وقال يحيى أيضا مصيبتان لم يسمع الاولون والآخرون بمثلهما للعبد في ماله عند موته قيل وما هما قال يؤخذ ماله منه كله ويسئل عنه كله وروي أن محمد بن كعب القرظي أصاب مالا كثيرا فقيل له لو ادخرت لولدك من بعدك قال ويلك أدخره عند ربي لنفسي وأدخر ربي لولدي

(باب ذم الحرص والامل)

في صحيح مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قد أفلح من أسلم ورزق كفافا

وقنعه

الكبر وقال النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما ألقيته

في جهنم ومعنى الكبر صفة في النفس تنشأ من رؤية النفس وما يظهر من التكبر في الظاهر فهو كالاثر لتلك الصفة قال صلى الله عليه وسلم أعوذ بك من نفخة الكبرياء فالكبر ان كان على الله بان لا يذعن لامره فذلك هو الكفر التام وان كان على الرسل بان لا يذعن لبشر مثله فهو أيضا كفر تام والثالث أن يتكبر على الخلق ويدعوهم الى خدمة نفسه والتواضع له وذلك أيضا منازعة لله تعالى في كبريائه فانه لا ينبغي لغيره أن يكون مطاعا البتة والكبر ان كان بالمال والجاه فذلك قد سبق علاجه وان كان برؤية الصلاح فذلك يناقض نفس الصلاح وان كان بفعل الخيرات والعلم والعمل فذلك حقيق بان يكون لله فاذا تكبر به على الناس فقد أخذ الاجر عليه كما ورد في الاخبار فيكاد يحبط أجر ذلك فهذا هو الطريق في معالجته وبالمقابلة لما يجده فيها من الخواطر يستريح فاذا مالت نفسه الى الترفع على الناس يعمل التواضع ويداوم عليه فلعل الله يخلصه عن هذه الرذيلة ومهما ادعت نفسه بالخلاص عن الكبر فعليه أن يمتحن نفسه باربعة أمور أولها أن يجرب نفسه في المناظرة مع خصمه حتى يظهر انه هل يغضب لظهور الحق على يد غيره وهل يشتهي الاستعلاء أم لا الثاني أن يقدم الاقران على نفسه في المحافل الثالث ان يحمل

وقنعه الله بما آتاه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب قوله ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب أي لا يزال حريصا على الدنيا حتى يموت ويمتلئ جوفه من تراب قبره وقال صلى الله عليه وسلم منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم الدنيا والمال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يهرم ابن آدم ويشب معه اثنتان الحرص على المال والحرص على العمر وقال صلى الله عليه وسلم لا يزال قلب المؤمن شابا في اثنتين في حب الدنيا وطول الامل وقال صلى الله عليه وسلم أعذر الله الى امرئ أخر أجله حتى بلغه ستين سنة وعن عبد الله ابن عمر قال مر بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا وأمي نطين شيأ فقال ما هذا يا عبد الله قلت شيء نصلحه قال الامر أسرع من ذلك وقال صلى الله عليه وسلم أعمار أمتي ما بين الستين الى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أيها الناس اجملوا في الطلب فانه ليس للعبد الا ما كتب الله له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له في الدنيا وهي راغمة وقال صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي ان نفسا لن تموت حتى تستوفي رزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب وكان محمد بن واسع رحمه الله يبل الخبز اليابس ويأكله ويقول من قنع بهذا لم يحتج الى أحد ويروى أن الله تعالى قال يا ابن آدم لو كانت الدنيا لك لم يكن لك منها الا القوت فاذا أنا أعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فأنا اليك محسن قال بعض الحكماء في قوله تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والارض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون يعني كما أن كل انسان ينطق بلسان نفسه ولا يمكنه أن ينطق بلسان غيره فكذلك كل انسان يأكل رزق نفسه الذي قسم له ولا يقدر أن يأكل رزق غيره ويروى أن امرأة العزيز قالت ليوسف عليه السلام بعد ما ملك خزائن الارض يا يوسف ان الحرص والشهوة صيرا الملوك عبيدا وان الصبر والتقوى صيرا العبيد ملوكا فقال لها يوسف قال الله تعالى انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين قال أبو الليث السمرقندي رحمه الله من قصر أمله أكرمه الله تعالى باربع كرامات يقوى على الطاعة ويقل همه اذا علم أنه يموت عن قريب ويجعله راضيا بالقليل فانه اذا علم أنه يموت عن قريب يكون أكثر همه هم الآخرة وينور قلبه ويقال نور القلب من أربعة أشياء بطن جائع وصاحب صالح وحفظ الذنب القديم وقصر الامل ومن طال أمله عاقبه الله باربعة أشياء التكاسل عن الطاعة وتكثر همومه ويصر على جمع المال ويقسو قلبه لانه يقال قسوة القلب من أربعة أشياء بطن ممتلئ وصحبة صاحب السوء ونسيان الذنب الماضي وطول الامل قال ذو النون المصري انما دخل الفساد على الناس من ستة أمور الاول ضعف النية لعمل الآخرة والثاني صارت أبدانهم رهينة لشهواتهم والثالث غلب عليهم طول الامل مع قرب الاجل والرابع آثروا رضا المخلوق على رضا الخالق والخامس اتبعوا أهواءهم ونبذوا سنة نبيهم وراء ظهورهم والسادس جعلوا زلات السلف حجة لانفسهم ودفنوا أكثر مناقبهم

(قصة قارون)

قال الله تعالى ان قارون كان من قوم موسى وكان ابن عمه وقيل كان عمه ولكن نافق كما نافق السامري فبغى عليهم قال قتادة بغى عليهم بكثرة المال وقيل بالكبر وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه جمع مفتح وهو الذي يفتح به الباب لتنوء بالعصبة أولي القوة أي لتثقلهم وتميل بهم اذا حملوها قال ابن عباس كان يحملها أربعون رجلا أقوى ما يكون من الرجال وقال خيثمة وجدت في الانجيل أن مفاتيح خزائن قارون وقر ستين بغلا ما يزيد منها مفتاح على أصبع لكل مفتاح كنز اذ قال له قومه لا تفرح لا تبطر ولا تأشر ان الله لا يحب الفرحين الأشرين البطرين الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة اطلب فيما أعطاك الله من الاموال والنعمة الجنة وهو أن تقوم بشكر ما أنعم الله عليك وتنفقه في رضا الله تعالى ولا تنس نصيبك من الدنيا قال علي رضي الله عنه لا تنس صحتك وقوتك وشبابك وغناك أن تطلب بها الآخرة ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لرجل اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل

سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض كل من عصى الله فقد طلب الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين قال يعني قارون انما أوتيته على علم عندي أي على فضل وخير علمه الله عندي فرآني أهلا لذلك وفضلني بهذا المال عليكم كما فضلني بغيره وقيل هو علم الكيمياء قال سعيد بن المسيب كان موسى عليه السلام يعلم الكيمياء فعلم يوشع بن نون ثلث ذلك العلم وعلم كالبا ثلثه وعلم قارون ثلثه فاحتال عليهما قارون حتى أضاف علمهما الى علمه فكان ذلك سبب أمواله قال الله تعالى أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون أي الكافرة من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا أي من الاموال ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون قال قتادة رضي الله عنه يدخلون النار بغير حساب ولا سؤال وقال مجاهد لا تسأل الملائكة عنهم لانهم يعرفون بسيماهم وقال الحسن لا يسئلون سؤال استعلام وانما يسئلون سؤال تقريع وتوبيخ فخرج على قومه في زينته قال مقاتل خرج على بغلة شهباء عليها سرج من ذهب وعليها الارجوان ومعه أربعة آلاف فارس عليهم وعلى دوابهم الارجوان ومعه ثلثمائة جارية بيض وعليهن الحلي والثياب الحمر على البغال الشهب قال الذين يريدون الحياة الدنيا ياليت لنا مثل ما أوتي قارون انه لذو حظ عظيم وقال الذين أوتوا العلم قال ابن عباس يعني الاحبار من بني اسرائيل وقال مقاتل أوتوا العلم بما وعد الله في الآخرة ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا مما أوتي قارون في الدنيا ولا يلقاها أي الاعمال الصالحة الا الصابرون على طاعة الله وعن زينة الدنيا قال الله تعالى فخسفنا به وبداره الارض وذلك أن قارون طغى وعتا وتكبر وآذى موسى بانواع من الاذى وكان موسى يداريه للقرابة التي بينهما ولا يزيده ذلك الا عتوا وتجبرا قال ابن عباس فلما نزلت الزكاة على موسى صالح قارون على كل ألف دينار دينار وعلى كل ألف درهم درهم وعلى كل ألف شاة شاة وعلى كل ألف شيء شيء فحسب ذلك قارون فوجده كثيرا فلم تسمح به نفسه فجمع بني اسرائيل وقال لهم ان موسى قد أمركم بكل شيء فاطعتموه وهو الآن يريد أن يأخذ أموالكم فقالوا أنت كبيرنا فمرنا بما شئت فقال ادعوا فلانة البغية فنجعل لها جعلا حتى تقذف موسى بنفسها فاذا فعلت ذلك رفضته بنو اسرائيل فدعوها فجعل لها ألف درهم وقيل ألف دينار على أن تقذف موسى بنفسها غدا اذا حضر بنو اسرائيل فلما كان الغد جمع قارون بني اسرائيل ثم أتى موسى فقال ان بني اسرائيل ينتظر ونك فتأمرهم وتنهاهم فخرج اليهم موسى فقام فيهم فقال يابني اسرائيل من سرق قطعناه ومن افترى جلدناه ثمانين ومن زنى وليست له امرأة جلدناه مائة ومن زنى وله امرأة رجمناه حتى يموت فقال له قارون وان كنت أنت قال وان كنت أنا قال فان بني اسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة قال ادعوها فان قالت فهو كما قالت فلما جاءت قال لها موسى يافلانة أنا فعلت بك ما يقول هؤلاء وعظم عليها فسألها بالذي فلق البحر لبني اسرائيل وأنزل التوراة الا صدقت فتداركها الله بالتوفيق وقالت في نفسها أحدث اليوم توبة أفضل من أن أوذي موسى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا كذبوا ولكن جعل لي قارون جعلا على أن أقذفك بنفسي فخر موسى ساجدا يبكي ويقول اللهم ان كنت رسولك فاغضب لي فاوحى الله اليه اني أمرت الارض أن تطيعك فمرها بما شئت فقال موسى ان الله بعثني الى قارون كما بعثني الى فرعون فمن كان معه فليثبت مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا فلم يبق مع قارون الا رجلان ثم قال موسى يا أرض خذيهم فأخذت الارض باقدامهم ثم قال يا أرض خذيهم فاخذتهم الى الركب ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاوساط ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاعناق وقارون وأصحابه يتضرعون في ذلك الى موسى ويناشده قارون الله والرحم حتى روى أنه ناشده سبعين مرة وموسى لا يلتفت اليه لشدة غضبه ثم قال يا أرض خذيهم فانطبقت عليهم الارض فاوحى الله عز وجل الى موسى ما أغلظ قلبك استغاث بك سبعين مرة فلم تغثه أما وعزتي وجلالي لو استغاث بي مرة واحدة لاغثته وفي بعض الآثار لا أجعل الارض بعدك طوعا لاحد قال قتادة خسف به فهو يتجلجل في الارض كل يوم قامة لا يبلغ قعرها الى يوم القيامة قال وأصبحت بنو اسرائيل يتناجون فيما بينهم أن موسى انما دعا على قارون ليستبد بداره وكنوزه وأمواله فدعا الله تعالى موسى حتى خسف بداره

حاجته الى بيته من طعام وغيره فهو من السنة ويتعاطى الاعمال في بيته مع غلامه ويأكل معه فذلك كله من السنة ومن جملة ذلك اجابة دعوة الفقراء والخروج معهم الى الاسواق وحمل حاجاتهم معهم الرابع لبس ثياب بذلة في الملأ قال عليه الصلاة والسلام البذاذة من الايمان وقال من اعتقل البعير ولبس الصوف فقد برئ من الكبر وقال من حمل حاجته الى بيته فقد برئ من الكبر فاذا عرفت هذا فاعلم أن خير الامور أوساطها فالتواضع المحمود أن يتواضع للاقران من غير ذلة

(فصل في العجب) اعلم ان العجب مذموم قال تعالى ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيأ وقال وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا وقال تعالى وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون وقال عليه الصلاة والسلام ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وحقيقة العجب تكبر يحصل في الباطن بتخيل كمال من علم أو عمل فان كان خائفا على زواله فهو غير معجب وان كان يفرح بكونه نعمة من الله فهو ليس أيضا بمعجب بل هو مسرور بفضل الله تعالى وان كان ناظرا اليه من حيث هو صفته غير ملتفت الى امكان الزوال ولا الى المنعم به بل الى صفة نفسه فهذا هو العجب وهو من المهلكات وعلاجه أن يتأمل في العاقبة وأن يتأمل في بلعام كيف ختم له بالكفر وكذلك ابليس فمن تأمل في امكان سوء الخاتمة وانه ممكن

وكنوزه

وكنوزه وأمواله فذلك قوله تعالى فخسفنا به وبداره الارض فما كان له من فئة جماعة ينصرونه من دون الله يمنعونه من الله وما كان من المنتصرين وأصبح الذين تمنوا مكانه بالامس يقولون ويكأن الله قال مجاهد ألم تعلم أن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر أي يوسع ويضيق لولا أن من الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون ومعنى الآية أنهم ندموا على ذلك التمني قال الله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض قال عطاء استطالة على الناس وتهاونا بهم ولا فسادا قال عكرمة أخذ أموال الناس بغير حق والعاقبة للمتقين أي العاقبة المحمودة لمن اتقى عقاب الله باداء أوامره واجتناب معاصيه

(كتاب مدح السخاء والايثار وذم البخل وفيه ثلاثة أبواب)

(الباب الاول في مدح السخاء)

قال الله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء أول ما ذكر من اخلاقهم الموجبة للجنة السخاء وقال الله تعالى ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم طعام الواحد يكفي الاثنين وطعام الاثنين يكفي الاربعة وطعام الاربعة يكفي الثمانية رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل يا ابن آدم أنفق أنفق عليك وقال صلى الله عليه وسلم قال جبريل قال الله عز وجل ان هذا دين ارتضيته لنفسي ولا يصلحه الا السخاء وحسن الخلق فاكرموه بهما ما استطعتم وقال صلى الله عليه وسلم ما جبل الله عز وجل وليا له الا على السخاء وحسن الخلق وقيل يارسول الله أي الايمان أفضل قال الصبر والسماحة وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اطلبوا الفضل من الرحماء من عبادي لتعيشوا في أكنافهم فاني جعلت فيهم رحمتي ولا تطلبوها من القاسية قلوبهم فاني جعلت فيهم سخطي وقال صلى الله عليه وسلم ان الله جواد يحب الجواد ويحب معالي الاخلاق ويكره سفسافها وقال صلى الله عليه وسلم طعام الجواد دواء وطعام البخيل داء وقال صلى الله عليه وسلم ان السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار وان البخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار وقال صلى الله عليه وسلم ان بدلاء أمتي لم يدخلوا الجنة بصلاة ولا صيام ولكن دخلوها بسخاء الانفس وسلامة الصدر والنصح للمسلمين وقال صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وكل ما أنفق الرجل على نفسه وأهله كتب له به صدقة وما وقى الرجل به عرضه فهو له صدقة وما أنفق الرجل نفقة فعلى الله تعالى خلفها وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للزبير يا زبير اعلم أن مفاتيح أرزاق العباد بازاء العرش يبعث الله تعالى الى كل عبد بقدر نفقته فمن كثر كثر له ومن قلل قلل له

(حكاية الاسخياء من كتاب الاحياء)

اجتمع قراء البصرة الى ابن عباس رضي الله عنهما وهو عامل بالبصرة فقالوا لنا جار صوام قوام يتمنى كل واحد منا أن يكون مثله وقد زوج بنته من ابن أخيه وهو فقير وليس عنده ما يجهزها به فقام ابن عباس فاخذ بأيديهم وأدخلهم داره وفتح صندوقا فاخرج منه ست بدر فقال احملوها ثم قال ما أنصفناه أعطيناه ما يشغله عن قيامه وصيامه ارجعوا بنا نكن أعوانه على تجهيزها فليس للدنيا من القدر ما يشغل مؤمنا عن عبادة ربه وما بنا من الكبر ما لا نخدم أولياء الله تعالى ففعل وفعلوا وكان أبو مرثد أحد الكرماء فمدحه بعض الشعراء فقال للشاعر والله ما عندي ما أعطيك ولكن قدمني الى القاضي وادع علي بعشرة آلاف درهم حتى أقر لك بها ثم احبسني فان أهلي لا يتركوني محبوسا ففعل ذلك فلم يمس حتى دفع اليه عشرة آلاف درهم وأخرج أبو مرثد من الحبس وقال أبو الحسن المدائني خرج الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر حجاجا ففاتهم أثقالهم فجاعوا وعطشوا فمروا بعجوز في خباء لها فقالوا هل من شراب فقالت نعم فأناخوا اليها وليس لها الا شويهة فقالت احلبوها وامتذقوا لبنها ففعلوا ذلك ثم قالوا لها هل من طعام فقالت لا الا هذه الشاة فليذبحها أحدكم حتى أهيئ لكم ما تأكلون فقام اليها أحدهم وذبحها ثم هيأت لهم فأكلوا فلما ارتحلوا

لا يعجب بشيء من صفاته والله أعلم *(الباب الثلاثون في ذم الغرور)* اعلم أن الغرور أظهر أسباب الهلاك وأصناف المغترين كثيرة ونحن نورد منها أربعة أصناف الاول من العلماء الثاني من العباد الثالث من المتصوفة والرابع من أرباب الدنيا وأصحاب الاموال ونبدأ بما ورد في ذم الغرور قال الله تعالى فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وقال تعالى وغرتكم الاماني حتى جاء أمر الله الآية وقال عليه السلام حبذا نوم الاكياس وفطرهم كيف يغبنون سهر الحمقى واجتهادهم ولمثقال ذرة من صاحب تقوى ويقين أفضل من ملء الارض من المغترين والغرور أن يعتقد الشيء على خلاف ما هو به فهو نوع من الجهل وسكون النفس الى ما يوافق الهوى من الخيال والشبهة فمن المغترين من غره ظنه الفاسد بان الحياة الدنيا نقد ويقين والآخرة نسيئة وشك والنقد واليقين لا يترك بالنسيئة والشك واليه الاشارة بقوله تعالى أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب الآية وهؤلاء هم الكفار فايمانهم تارة يحصل بعلة وتارة ببرهان ودليل وتارة بتقليد ولا شك أن المريض يشرب الدواء بقول الطبيب رجاء للصحة فلو قال لا أشرب الدواء الا ان تيقن كونه نافعا فذلك دليل هلاكه كيف والعقل يقتضي سوء الظن والاحتراز بمجرد الاحتمال فهذا المدبر ان كان قول الانبياء

قالوا لها نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه فاذا رجعنا سالمين فألمي بنا فانا صانعون بك معروفا ثم ارتحلوا وأقبل زوجها فاخبرته بخبر القوم والشاة فغضب الرجل وقال ويلك تذبحين شاتي لقوم لا تعرفيهم ثم تقولين نفر من قريش ثم بعد مدة ألجأتها الحاجة الى دخول المدينة فدخلاها وجعلا ينقلان البعر اليها ويبيعانه ويعيشان بثمنه فمرت العجوز في بعض السكك فاذا الحسن جالس على باب داره فعرفها وهي لا تعرفه فبعث غلامه وقال لها يا أمة الله هل تعرفيني قالت لا قال أنا ضيفك يوم كذا وكذا فقالت العجوز أنت هو قال نعم ثم أمر الحسن فاشتروا لها من الصدقة ألف شاة وأمر لها معها بألف دينار وبعث بها مع غلام الى الحسين فقال بكم وصلك أخي قالت بألف شاة وألف دينار فأمر لها الحسين أيضا بمثل ذلك ثم بعث بها مع غلامه الى عبد الله بن جعفر فقال بكم وصلك الحسن والحسين قالت بألفي شاة وألفي دينار فأمر لها عبد الله بألفي شاة وألفي دينار وقال لها لو بدأت بي لأتعبتهما فرجعت الى زوجها بأربعة آلاف شاة وأربعة آلاف دينار وبعث هرون الرشيد الى مالك بن أنس خمسمائة دينار فبلغ ذلك الليث بن سعد فأنفذ اليه ألف دينار فغضب هرون قال أعطيه خمسمائة دينار وتعطيه ألف دينار وأنت من رعيتي فقال يا أمير المؤمنين ان لي من غلتي كل يوم ألف دينار واستحييت أن أعطيه أقل من دخل يوم (وحكى) أنه لم تجب الزكاة عليه مع أن دخله كل يوم ألف دينار وروى أن امرأة سألت الليث بن سعد شيأ من عسل فأمر لها بزق من عسل فقيل له انها كانت تقنع بدون هذا فقال انها سألت على قدرها ونحن نعطيها على قدر النعمة علينا وكان الليث بن سعد لا يتكلم كل يوم حتى يتصدق على ثلثمائة وستين مسكينا

(الباب الثاني في ذم البخل والشح)

قال الله تعالى ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون وروى مسلم عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فان الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال صلى الله عليه وسلم خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمع غبار في سبيل الله عز وجل ودخان جهنم في جوف عبد أبدا ولا يجتمع الشح والايمان في قلب عبد أبدا وقال صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله بقوم خيرا ولى أمرهم الحكماء وجعل المال عند السمحاء واذا أراد الله بقوم شرا ولى أمرهم السفهاء وجعل المال عند البخلاء رواه أبو داود في مراسيله وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة بخيل ولا جبار ولا منان ولا سيئ الملكة وقال صلى الله عليه وسلم اللهم اني أعوذ بك من البخل وقال بشر النظر الى البخيل يقسي القلب ولقاء البخلاء كرب على قلوب المؤمنين وقال ابن المعتز أبخل الناس بماله أجودهم لعرضه

(حكاية البخلاء من كتاب الاحياء)

قيل كان بالبصرة رجل موسر بخيل فدعاه بعض جيرانه وقدم اليه طباهجة ببيض فأكل منه فأكثر وجعل يشرب الماء فانتفخ بطنه ونزل به الكرب والموت فجعل يتلوى فلما أجهده الأمر وصف حاله للطبيب فقال لا بأس عليك تقيأ ما أكلت فقال أتقيأ طباهجة البيض الموت ولا ذلك وقيل كان مروان بن أبي حفصة لا يأكل اللحم حتى يشتهيه فاذا اشتهاه أرسل غلامه فاشترى له رأسا فأكله فقيل له نراك لا تأكل الا الرؤس في الصيف والشتاء فلم تختار ذلك قال نعم الرأس أعرف سعره فآمن خيانة الغلام ولا يستطيع أن يغبنني فيه وليس بلحم يطبخه الغلام فيقدر أن يأكل منه ان مس عينا أو اذنا أو خدا عرفت ذلك وآكل منه ألوانا عينه لون وأذنه لون ولسانه لون وغلصمته لون ودماغه لون وأكفى مؤنة طبخه فقد اجتمعت لي فيه مرافق واشترى مرة لحما بدرهم فدعاه صديق له فرد اللحم الى القصاب بنقصان دانق وقال أكره الاسراف وكان للاعمش جار وكان لا يزال يقول له لو دخلت منزلي فتناولت كسرة وملحا فيأبى عليه الاعمش فعرض عليه يوما فوافقه جوع الاعمش فدخل منزله فقرب اليه كسرة وملحا فجاء سائل فقال له رب البيت بورك فيك فأعاد عليه المسألة فقال له

ومعجز انهم لا نورثه يقينا فلا أقل من أن يورث ظننا غالبا أو احتمالا والعاقل بمجرد الاحتمال يحترز وكذلك قال علي رضي الله عنه لبعض الملحدين بعد أن أورد الحجج على الملحد ان كان الامر على ما نزعمه فقد تخلصت أنا وتخلصت أنت وان كان على ما أزعمه فتخلصت وهلكت ومن الناس من غرهم قولهم ان الله كريم رحيم ومن الناس من يدلي بتقوى الآباء وورعهم وذلك كله محال أما قوله ان الله كريم رحيم فقد صدق ولكن جميع آي القرآن دالة على أن كرمه ورحمته بان يوفق في الدنيا للخيرات وقال تعالى وأن ليس للانسان الا ما سعى وقال تعالى فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ثم هلا اعتمد على كرمه في الرزق وقد قال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال تعالى ويرزقه من حيث لا يحتسب فأمر بالتوكل على الله في الرزق والتعويل على كرمه فلا يفعل وأمر بالعمل للآخرة فيتوكل وهذا غاية الانعكاس وأما من يدلي بورع الآباء وتقوى النسب فلينظر الى قوله تعالى لنوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح والى قوله عليه السلام لما استأذن من الله تعالى أن يزور قبر أمه ويستغفر لها فأذن له في الزيارة ولم يؤذن له في الاستغفار فبكى لذلك وقد قال عليه السلام الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني واعلم أن العاقل البصير المشتغل طول الليل والنهار

بورك فيك فلما سأل الثالثة قال له اذهب والا والله خرجت اليك بالعصا فناداه الاعمش فقال اذهب ويحك فلا والله ما رأيت أحدا أصدق مواعيد منه يدعوني الى كسرة وملح فوالله ما زادني عليهما ودعا بعضهم أخا له ولم يطعمه شيأ الى العصر حتى اشتد جوعه وأخذه مثل الجنون فأخذ صاحب البيت العود وقال له أي صوت تشتهي أسمعك قال صوت المقلى

(الباب الثالث في مدح الايثار)

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فبعث الى نسائه هل عندكن من شئ فقالت ما عندنا الا الماء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يضم أو يضيف هذا فقال رجل من الانصار أنا فانطلق به الى امرأته فقال أكرمي ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ما عندنا الا قوت الصبيان فقال هيئي طعامك وأصبحي سراجك ونومي صبيانك اذا أرادوا عشاء فهيأت طعامها وأصبحت سراجها ونومت صبيانها ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته فجعلا يريانه أنهما يأكلان فباتا طاويين فلما أصبح غدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ضحك الله تعالى الليلة أو عجب من فعلكما فأنزل الله عز وجل ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة الآية وقال صلى الله عليه وسلم أيما امرئ اشتهى شهوة فرد شهوته وآثر على نفسه غفر له وقالت عائشة رضي الله عنها ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام متوالية حتى فارق الدنيا ولو شئنا لشبعنا ولكن كانوا يؤثرون على أنفسهم وروى أن عليا رضي الله عنه بات على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فأوحى الله الى جبريل وميكائيل اني آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة فاختار كل منهما الحياة وأحبها فأوحى الله عز وجل اليهما أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب رضي الله عنه آخيت بينه وبين نبيي محمد صلى الله عليه وسلم فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة اهبطا الى الارض فاحفظاه من عدوه فكان جبريل عند رأسه وميكائيل عند رجليه وجبريل عليه السلام يقول بخ بخ من مثلك يا ابن أبي طالب والله تعالى يباهي بك الملائكة فأنزل الله تعالى ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله (حكى) ابن خلكان عن المسعودي في كتاب مروج الذهب أن الواقدي قال كان لي صديقان أحدهما هاشمي وكنا كنفس واحدة فنالتني ضيقة شديدة وحضر العيد فقالت امرأتي أما نحن في أنفسنا فنصبر على البؤس والشدة وأما صبياننا هؤلاء فقد قطعوا قلبي رحمة لهم لانهم يرون صبيان الجيران قد تزينوا في عيدهم وأصلحوا ثيابهم وهم على هذه الحالة من الثياب الرثة فلو احتلت في شئ نصرفه في كسوتهم قال فكتبت الى صديقي الهاشمي أسأله التوسعة على أن حضر شئ فوجه كيسا مختوما ذكر أن فيه ألف درهم فما استقر قراري حتى كتب الى الصديق الآخر يشكو مثل ما شكوت الى صاحبي الهاشمي فوجهت اليه الكيس بحاله وخرجت الى المسجد وأقمت ليلتي مستحيا من امرأتي فلما دخلت عليها استحسنت ما كان مني ولم تعنفني عليه فبينا أنا كذلك اذ وافى صديقي الهاشمي ومعه الكيس كهيئته فقال لي اصدقني عما فعلته فيما وجهت به اليك فعرفته الخبر فقال انك وجهت الي وما أملك على الارض الا ما بعثت به اليك وكتبت الى صديقنا أسأله المواساة فوجه كيسي بخاتمي قال الواقدي فتواسينا الالف درهم فيما بيننا ثم انا أخرجنا للمرأة مائة درهم قبل ذلك ونمى الخبر الى المأمون فدعاني فشرحت له الخبر فأمر لنا بسبعة آلاف دينار لكل واحد منا ألفا دينار وللمرأة ألف دينار

(باب ذم الرياء)

قال الله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه رواه مسلم وعنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أول الناس يقضى عليه يوم القيامة رجل استشهد فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال قاتلت فيك حتى استشهدت قال كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال جرئ فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي

بالطاعات مع اجتناب المعاصي أبدا يكون خائفا من سوء الخاتمة ويسأل الله تعالى أن يثبته بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويخاف صواعق القدر فان قلت فاين موضع الرجاء قلنا ان الرجاء والخوف شرطان لكل واحد منهما موضع فوضع الرجاء اثنان أحدهما أن يرجي نفسه الغفران بالتوبة حين استبعد ذلك بسبب كثرة الذنوب ودلالة الشيطان بحبل غروره وتقنيطه والآخر موضعه أن يرجي نفسه نعيم الفردوس ومعالي الدرجات كما ورد في الاخبار لئلا يقتصر على الفرائض ونحن الآن نبين أصناف المغترين الصنف الأول العلماء وقد سبق ذكر غرورهم في كتاب العلم وان العلماء بالله من زاد علمه من خشيته قال عليه السلام أنا أعلمكم بالله وأخشاكم لله فمن لا يعلم عيوب باطنه أو يعلم ولا يجتهد في ازالتها فهو مغرور لا ينفعه علمه البتة الصنف الثاني في أرباب العبادة والمشغول بكل صنف منها أعني أنواع العبادة لا يخلو عن نوع من الغرور الا الأكياس الذين وفقهم الله تعالى وقليل ماهم فمنهم من أهمل الفرائض وضيعها باحكام السنن والشروط كمن تشغله الوسوسة في الوضوء وتنظيف الثياب حتى يفوت وقت الفرض أو يضيق ومنهم من لا تستقيم له النية فتغلبه الوسوسة فيها حتى تفوته الجماعة ومنهم من تحمله الوساوس على أنه

في النار ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فاتي به فعرفه نعمه فعرفها قال ماعملت فيها قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن قال كذبت ولكنك تعلمت ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارئ فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال فاتي به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال ماتركت من سبيل يجب أن ينفق فيها الا أنفقت فيها لك قال كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار رواه مسلم جرىء بفتح الجيم وكسر الراء والمد أي شجاع صادق وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن ناسا قالوا له انا ندخل على امرائنا فنقول لهم بخلاف مانتكلم اذا خرجنا من عندهم قال ابن عمر كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه البخاري ومسلم وقال صلى الله عليه وسلم من سمع سمع الله به ومن راءى راءى الله به رواه البخاري ومسلم سمع بتشديد الميم ومعناه أظهر عمله للناس رياء سمع الله به أي فضحه يوم القيامة ومعنى من راءى راءى الله به أي من أظهر للناس العمل الصالح ليعظم عندهم وليس هو كذلك راءى الله به أي أظهر سريرته على رؤس الخلائق وقال صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله الناس ليوم لاريب فيه نادى مناد من كان أشرك في عمل الله أحدا فليطلب ثوابه من عند غير الله تعالى فانا أغنى الشركاء عن الشرك وقال صلى الله عليه وسلم يخرج في آخر الزمان دجالون يختلون الدنيا بالدين يلبسون للناس جلود الضأن من اللين ألسنتهم أحلى من السكر وقلوبهم قلوب الذئاب يقول الله تعالى أبي تغترون أم على تجترؤن فبي حلفت لأبعثن على أولئك منهم فتنة تدع الحليم فيهم حيران وقال صلى الله عليه وسلم بحسب امرئ من الشر أن يشار اليه بالاصابع في دين أو دنيا الا من عصمه الله وقال صلى الله عليه وسلم من كانت نيته طلب الآخرة جعل الله غناه في قلبه وجمع الله شمله وأتته الدنيا وهي راغمة ومن كانت نيته طلب الدنيا جعل الله الفقر بين عينيه وشتت عليه أمره ولا يأتيه الا ما كتب له وقال صلى الله عليه وسلم ان أخوف ما أخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر يارسول الله قال الرياء يقول الله تعالى يوم القيامة اذا جازى العباد باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء وقال صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله عملا فيه مثقال ذرة من رياء وقال صلى الله عليه وسلم ان المرائي ينادى عليه يوم القيامة يافاجر ياغادر يامرائي ضل عملك وحبط أجرك اذهب فخذ أجرك ممن كنت تعمل لهم روي أن عمر رضي الله عنه رأى رجلا يطأطئ رقبته فقال ياصاحب الرقبة ارفع رقبتك ليس الخشوع في الرقاب وانما الخشوع في القلب ورأى أبو أمامة رجلا في المسجد يبكي في سجوده فقال انت أنت لو كان هذا في بيتك وقال الفضيل كانوا يراؤن بما يعملون وصاروا اليوم بما لا يعملون وقال صلى الله عليه وسلم من أحسن الصلاة حيث يراه الناس وأساءها حيث يخلو فتلك استهانة استهان بها ربه تبارك وتعالى وقال قتادة اذا راءى العبد يقول الله تعالى أنظروا الى عبدي يستهزئ بي قال ابراهيم بن أدهم ماصدق الله من أحب الشهرة وقال أيوب والله ماصدق الله عبد الا سره أن لا يشعر بمكانه وعن خالد بن معدان أنه كان اذا كبرت حلقته قام مخافة الشهرة وقال الحسن ان خفق النعال حول الرجال قل ما تثبت معه قلوب الحمقى وخرج الحسن ذات يوم فاتبعه قوم فقال هل لكم من حاجة والا فما عسى أن يبقي هذا من قلب المؤمن وقال معمر عاتبت أيوب على طول قميصه فقال ان الشهرة فيما مضى كانت في طوله وهي اليوم في تشميره وقال بعضهم كنت مع أبي قلابة اذ دخل عليه رجل عليه أكسية فقال اياكم وهذا الحمار النهاق يشير به الى طلب الشهرة وقال الثوري كانوا يكرهون الشهرتين الثياب الجيدة والثياب الرديئة اذ الابصار تمتد اليهما جميعا وقال رجل لبشر بن الحرث أوصني فقال اخمل ذكرك وطيب مطعمك وقال بشر ما أعرف رجلا أحب أن يعرف الا ذهب دينه وافتضح وقال أيضا لا يجد حلاوة الآخرة رجل يحب أن يعرفه الناس

(فصل) قال أبو الليث رحمه الله تكلم الناس في الفرائض فقال بعضهم لا يدخل فيها الرياء لانها فريضة على جميع الخلق فاذا أدى ما هو فرض عليه لا يدخل فيه الرياء وقال بعضهم يدخل الرياء في الفرائض

يعود في قراءة الفاتحة ويقول انى أخرج الحروف من مخارجها ولا يهمه غيره ومثال هؤلاء كرسول بعث برسالة الى ملك فاخذ يتأنق في ايراد الحروف ولا يزال يرددها ويعيدها وهو غافل عن احترامه المجلس فهو جدير بان يرد الى دار المرضى عند المجانين أو تقام عليه السياسة وهكذا من اشتغل بالحج والصوم وأقبل على شئ من هذه العبادات ولم يقدم شروطها من التوبة ورد المظالم ولم يتعلم علم آفات الاعمال وما يحتاج اليه من تنقية الظاهر والباطن فلا بد وأن يكون مغرورا بعمله (الصنف الثالث الصوفية والمتصوفة وهم فرق) فمنهم من رضي بمجرد زيهم وآدابهم الظاهرة وظنوا أن الامر الى هذا الحد ومنهم من زاد فلبس المرقعات الرفيعة التي تزيد في القيمة على الابريسم ومثالهم كعجوز سمعت أن رجال الحرب أثبتت أساميهم في ديوان السلطان فلبست الدروع وحملت الاسلحة ونهضت الى بين يدي السلطان فامر بتعريتها عن السلاح وتجربتها في القتال والمبارزة فلما رفع المغفر عن رأسها وخلع الدروع عن بدنها انكشفت عن عجوز فقيل لها هذا استهانة بالملك فتؤخذ وتطرح بين يدي الفيل ويقام عليها السياسة وفرقة تلقفت ألفاظ القوم في علوم المعرفة فادعت المعرفة وذلك والعياذ بالله هو الهلاك ومنهم من وقع في الانخلاع زاعما أنه لا حاجة الى أعمال ولا يدرون أن الحاجة لهم الى

وغيرها

وغيرها قال أبو الليث وهذا عندي على وجهين أما أن كان يؤدي الفرائض رياء الناس ولو لم يكن رياء الناس لكان لا يؤديها فهذا منافق تام وهو من الذين قال الله تعالى فيهم ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار يعني في الهاوية مع آل فرعون لانه لو كان توحيده صحيحا خالصا لكان لا يمنعه عن اداء الفرائض وان كان يؤدي الفرائض الا أنه يؤديها عند الناس أحسن وأتم وان لم يره أحد يؤديها ناقصة فله ثواب الناقص ولا ثواب لتلك الزيادة وهو مسؤل عنها محاسب عليها وقال صلاح الدين العلائي رحمه الله في قواعده لو أشرك في العبادة غير قصدها من أمر دنيوي أو رياء فالذي اختاره الغزالي اعتبار الباعث على العمل فان كان القصد الدنيوي هو الاغلب لم يكن فيه أجر وان كان القصد الديني هو الاغلب كان له أجر بقدره وان تساويا تساقطا والذي اختاره ابن عبد السلام أنه لا أجر فيه مطلقا سواء تساوى القصدان أو اختلفا

(كتاب ذم الكبر والعجب ومدح التواضع وفيه ثلاثة أبواب)

(الباب الاول في ذم الكبر)

قال الله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر فقال الرجل ان الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا قال ان الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمص الناس رواه مسلم قال النووي رحمه الله بطر الحق دفعه ورده على قائله وغمص الناس احتقارهم وقال صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم باهل النار كل عتل جواظ متكبر رواه البخاري ومسلم وقال صلى الله عليه وسلم احتجت الجنة والنار فقالت النار في الجبارون والمتكبرون وقالت الجنة في ضعفاء الناس ومساكينهم فقضى الله بينهما انك الجنة رحمتي أرحم بك من أشاء وانك النار عذابي أعذب بك من أشاء ولكليكما علي ملؤها رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله يوم القيامة الى من جر ازاره بطرا رواه البخاري ومسلم وقال صلى الله عليه وسلم بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه مرجل رأسه يختال في مشيته اذ خسف الله به فهو يتجلجل في الارض الى يوم القيامة رواه البخاري ومسلم قال النووي رحمه الله مرجل رأسه أي مشطه يتجلجل بالجيمين أي يغوص وينزل وقال صلى الله عليه وسلم لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين فيصيبه ما أصابهم رواه الترمذي وقال حديث حسن وقال صلى الله عليه وسلم يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيامة أمثال الذر يطؤهم الناس وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما ألقيته في النار ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم بئس العبد عبد تخيل واختال ونسي الكبير المتعال بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسي الجبار الاعلى بئس العبد عبد سها ولها ونسي المقابر والبلى بئس العبد عبد عتى وطغى ونسي المبتدى والمنتهى بئس العبد عبد يختل الدنيا بالدين بئس العبد عبد يختل الدين بالشبهات بئس العبد عبد طمع يقوده بئس العبد عبد هوى يضله بئس العبد عبد رغب يذله قوله تخيل أي تخيل أنه خير من غيره واختال تكبر واعتدى أي جاوز قدره وظلم وسها أي غفل عن الله والطاعة ولها من اللهو وعتا وطغى وتجاوز الحد ونسي المبتدى والمنتهى أي ابتداء خلقه وهو النطفة وانتهاء حاله الذي يؤل اليه وهو التراب يختل الدنيا بالدين أي يطلب الدنيا بعمل الآخرة يختل الدين بالشبهات أي جعل اتيان الشبهات أساس دينه حتى كأنه يصطاده بها ويقع في الحرام بالتأويلات طمع صفة للعبد وصفه بالمصدر مبالغة وقيل هو على حذف مضاف أي ذو طمع وذو هوى وقوله رغب بضم الراء وسكون الغين الشره والحرص على الدنيا ويروى بفتحها بمعنى الرغبة وقال ثابت بلغنا أنه قيل يارسول الله ما أعظم كبر فلان قال أليس بعده الموت وقال بعض السلف أول ذنب عصي الله به الكبر قال الله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر وقال سفيان بن عيينة من كانت معصيته في شهوة فارجو له التوبة فان آدم عليه السلام عصى مشتهيا فغفر له وان كانت معصيته في كبر فاخشى عليه اللعنة فان ابليس عصى متكبرا فلعن وقال أبو بكر رضي الله عنه لا يحقرن أحد أحدا من المسلمين فان صغير المسلمين عند الله كبير

أعمال أنفسهم لا لغيرهم ومنهم من انبسط في جميع أنواع النعم لا يفرق ولا يميز ولا يدري أن التكثير من الحلال يخالف شأنه فكيف من الحرام ومنهم من فتح له الطريق فلما أحس بنسيم المعرفة وقف عنده وظن أنه قد وصل وعجائب هذا الطريق لا تنقضي فمن وقف عند كل واحد من هذه العجائب طال مقامه وفرقة أخرى جاوزوا هؤلاء ولم يلتفتوا الى ما يفيض عليهم من الانوار في الطريق ولا الى ما يتيسر لهم من العطايا الجزيلة ولم يعرجوا على الفرح بها بل جادين في المسير حتى قاربوا فوصلوا الى حد القربة الى الله عز وجل فظنوا انهم وصلوا الى الله عز وجل فغلطوا فان لله عز وجل سبعين حجابا من نور فلا يصل السالك الى واحد من تلك الحجب الا ظن انه قد وصل واليه الاشارة بقول ابراهيم عليه السلام بما أخبر الله تعالى عنه قال فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي وليس المعني به هذه الاجسام المضيئة فانه كان يراها في الصغر وكان يعلمها ويعلم انها ليست آلهة وهي كثيرة وليست بواحدة وكيف يغتر مثل الخليل بما لا يغتر به أحد العوام والجهال ولكن المراد به نور من أنوار الله تعالى وهي أول الحجب وهي على طريق السالك ولا يتصور الوصول اليه الا بعبور هذه الحجب وهي حجب من نور بعضها أصغر وبعضها أكبر بقدر القرب والبعد وأصغر الانوار السماوية الكواكب فاستعير لفظه لاول تلك الانوار لانها أصغر تلك الانوار

وكان الاحنف يجلس مع مصعب بن الزبير على سريره فجاءه يوما ومصعب ماد رجليه فلم يقبضهما وقعد الاحنف فزحمه بعض الزحمة فرأى أثر ذلك فيه فقال عجبا لابن آدم يتكبر وقد خرج من مجرى البول مرتين وقال الحسن عجبا لابن آدم يغسل الخرء بيده كل يوم مرتين ثم يتكبر يعارض جبار السموات وقد قيل وفى أنفسكم أفلا تبصرون هو سبيل الغائط والبول وقال ابن مسعود رضى الله عنه كفى بالرجل اثما اذا قيل له اتق الله قال عليك بنفسك

(قصة اغراق فرعون حين تكبر وتجبر)

قال تعالى ان فرعون علا فى الارض أى استكبر وتعظم فى الارض أى أرض مصر قيل كان فرعون اذا قعد على سريره وضع بين يديه ثلثمائة كرسى من ذهب يجلس عليها الاشراف عليهم الاقبية من الديباج مخوصة بالذهب وقيل كان له ثمانمائة ألف غلام كل غلام على فرس عتيق على كل فرس طوق من ذهب قال سعيد بن جبير ومحمد بن المنكدر كان ملك فرعون أربعمائة سنة وعاش ستمائة وعشرين سنة لا يرى مكروها ولو كان له فى تلك المدة جوع يوم أوحمى ليلة أووجع ساعة لما ادعى الربوبية قط وروى أن الله عز وجل لما أراد اهلاك فرعون وقومه أمر موسى عليه السلام أن يسرى ببنى اسرائيل من مصر ليلا فخرج موسى فى ستمائة ألف وعشرين ألف مقاتل لا يعدون ابن العشرين لصغره ولا ابن الستين لكبره وكانوا يوم دخلوا مصر مع يعقوب اثنين وسبعين انسانا ما بين رجل وامرأة فلما علم فرعون بهم خرج فى ألف ألف وسبعمائة ألف وكان فيهم سبعون ألفا من دهم الخيل فسارت بنو اسرائيل حتى وصلوا الى البحر والماء فى غاية الزيادة ونظروا فاذاهم بفرعون حين أشرقت الشمس فقالوا ياموسى أين ما وعدتنا هذا فرعون ان أدركنا قتلنا والبحر امامنا ان دخلناه غرقنا فاوحى الله اليه أن اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وظهر فيه اثنا عشرة طريقا لكل سبط طريق وأرسل الله الريح والشمس على قعر البحر حتى صار يبسا فخاضت بنو اسرائيل كل سبط فى طريق وعن جانبيهم الماء كالجبل الضخم ولا يرى بعضهم بعضا فخافوا وقال كل سبط قد قتل اخواننا فاوحى الله الى جبال الماء أن تشبكى فصار الماء كالطاقات يرى بعضهم بعضا ويسمع بعضهم كلام بعض حتى عبروا البحر سالمين ثم ان فرعون لما وصل الى البحر فرآه منفلقا قال لقومه انظروا الى البحر انفلق من هيبتى حتى أدرك عبيدى الذين أبقوا ادخلوا البحر فهاب قومه أن يدخلوه وقيل قالوا له ان كنت ربا فادخله كما دخل موسى وكان فرعون على حصان أدهم ولم يكن فى خيله أنثى فجاء جبريل على فرس أنثى وديق فتقدمهم وخاض البحر فلما شم أدهم فرعون ريحها اقتحم البحر فى أثرها ولم يملك فرعون من أمره شيأ وهو لا يرى فرس جبريل واقتحمت الخيول خلفه فى البحر فجاء ميكائيل على فرس خلف القوم يسوقهم حتى خاضوا كلهم البحر وخرج جبريل من البحر أمر الله البحر أن يأخذهم فانضم عليهم فاغرقهم أجمعين وكان بين طرفى البحر أربعة فراسخ وهو بحر قلزم وبنو اسرائيل ينظرون اليهم روى عن ابن عباس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لما أغرق الله فرعون قال آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل فقال جبريل يا محمد فلو رأيتنى وأنا آخذ من حال البحر فأدسه فى فيه مخافة أن تدركه الرحمة فلما أخبر موسى قومه بهلاك فرعون وقومه قالت بنو اسرائيل ما مات فرعون فأمر الله البحر فالقى فرعون على الساحل أحمر قصيرا كأنه ثور فرآه بنو اسرائيل فمن ذلك الوقت لا يقبل الماء ميتا أبدا فذلك قوله تعالى فاليوم ننجيك أى نلقيك على نجوة من الارض وهى المكان المرتفع ببدنك بجسدك لا روح فيه وقيل ببدنك بدرعك وكان له درع مشهور مرصع بالجواهر فرأوه فى درعه فصدقوا

(الباب الثانى فى ذم العجب)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال صلى الله عليه وسلم اذا قال الرجل هلك الناس فانه أهلكهم قال الشيخ محيى الدين النووى رحمه الله الروايات المشهورة برفع الكاف وروى بنصبها قال وهذا النهى لمن قال ذلك عجبا بنفسه وتصاغرا للناس وارتفاعا عليهم فهذا

وأعظمها الشمس وبينهما القمر فلم يزل ابراهيم لما رأى ملكوت السماء حيث قال تعالى وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات الآية يتصل الى نور بعد نور وحجاب بعد حجاب وكلما ظهر ما ظهر من الانوار الالهية وقد شاهد من عظمتها ونورها ظن أنه وصل فيقول هذا ربى فينكشف له بنور النبوة والتوفيق الالهى أن وراءه نورا فكلما ينكشف له ما بعد ذلك ظهر للاول درجة الانحطاط عن ذروة الكمال ويطلع على أنه له نهاية فيقول لا أحب الآفلين ولا يزال كذلك الى أن يتجاوز عن كل ما يتناهى فلما انتهى الى جناب لا نهاية له وانقطع طمعه عما دون ذلك قال انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض والسالك لا يصل الى هذه الانوار والحجب ما لم يخرج عن حجاب نفسه وهو أيضا أمر ربانى بل هو نور من أنوار الله تعالى أعنى سر القلب والروح الذى فيه يتجلى حقيقة الحق حتى انه ليتسع بجملة العالم ويحيطه وتتجلى فيه صورة الكل حتى قيل انه اللوح المحفوظ فاذا انتهى اليه السالك فيشرق نوره اشراقا عظيما اذ يظهر فيه الوجود كله على ما هو عليه وهو فى أول الامر محجوب بمشكاة هى كالساتر له كما دل عليه القرآن فاذا انجلى نوره وانكشف جمال القلب بعد اشراق نور الله تعالى ربما التفت صاحب القلب الى القلب ويرى من جماله الفائق ما يدهشه فربما يسبق فى تلك الدهشة لسانه

هو

هو الحرام وأما من قاله لما يرى فى الناس من نقص فى أمر دينهم وقاله تحزنا عليهم وعلى الدين فلا باس به هكذا فسره العلماء وقيل لعائشة رضى الله عنها متى يكون الرجل مسيئا قالت اذا ظن أنه محسن وقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه ما منكم من أحد ينجيه عمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدنى الله برحمته وقال صلى الله عليه وسلم ان الله أذهب عنكم عيبة الجاهلية أى كبرها وفخرها بالآباء كلكم بنو آدم وآدم من التراب وروى أن رجلا من بنى اسرائيل يقال له خليع بنى اسرائيل لكثرة فساده مر برجل آخر يقال له عابد بنى اسرائيل وكانت على رأس العابد غمامة تظله فلما مر الخليع قال فى نفسه أنا خليع بنى اسرائيل وهذا عابد بنى اسرائيل فلو جلست اليه لعل الله يرحمنى فجلس اليه فقال العابد أنا عابد بنى اسرائيل وهذا خليع بنى اسرائيل كيف يجلس الى فأنف وقال له قم عنى فاوحى الله الى نبى ذلك الزمان مرهما فليستأنفا العمل فقد غفرت للخليع وأحبطت عمل العابد وروى أن رجلا من بنى اسرائيل أتى عابدا من بنى اسرائيل فوطئ على رقبته وهو ساجد فقال ارفع فوالله لا يغفر الله لك فاوحى الله تعالى أيها المتألى على بل أنت لا يغفر لك قال ابن الجوزى رحمه الله فى روضة المشتاق ورد فى الخبر أن الله سبحانه وتعالى يقول فى بعض كتبه المنزلة على بعض أنبيائه قل للعالم لا يعجبنك علمك فان أعجبك فاخبرنا عن أجلك متى هو وقل للغنى لا يعجبنك غناك فان أعجبك فارزق عبادى رزق يوم واحد وقل للقوى لا تعجبك قوتك فان أعجبتك فلم غلبتك شهوتك وقل للفطن المعول على تدبيره لا يعجبك تدبيرك وفطنتك فان أعجبك فبالك عمرت الدار الفانية وأخربت الدار الباقية وروى أن ابليس قال اذا ظفرت من ابن آدم بثلاث أطالبه بغيرهن اذا أعجب بنفسه واستكثر عمله ونسى ذنوبه قال ابو الليث من أراد أن يكسر العجب فعليه باربعة أشياء (أولها) أن يرى التوفيق من الله تعالى فاذا رأى التوفيق منه فانه يشتغل بالشكر ولا يعجب بنفسه (الثانى) ينظر الى نعم الله تعالى التى أنعم الله عليه بها فاذا نظر الى نعمه استقل عمله واشتغل بالشكر عليها ولا يعجب به (الثالث) أن يخاف أن لا يقبل منه فاذا اشتغل بخوف عدم القبول لم يعجب بنفسه (الرابع) أن ينظر فى ذنوبه التى أذنب قبل ذلك فاذا خاف أن ترجح سيآته على حسناته فقد كسر عجبه فكيف يعجب المرء بعمله ولا يرى ما يخرج له يوم القيامة وانما يتبين عجبه وسروره بعد قراءته كتابه

(الباب الثالث فى التواضع)

قال الله تعالى واخفض جناحك للمؤمنين وقال تعالى يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله أوحى الى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغى أحد على أحد رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع أحد لله الا رفعه الله رواه مسلم وفى الصحيحين عن أنس رضى الله عنه أنه مر على صبيان فسلم عليهم وقال كان النبى صلى الله عليه وسلم يفعله وقال صلى الله عليه وسلم ما بعث الله نبيا الا رعى الغنم قال أصحابه وأنت قال نعم كنت أرعاها على قراريط لاهل مكة رواه البخارى قال أبو الليث رحمه الله الحكمة فى رعى الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أن الله تعالى ابتلاهم على البهائم حتى ينظر شفقتهم على خلقه وهو أعلم بهم فاذا وجدهم مشفقين على البهائم جعلهم الله أنبياء وجعلهم مسلطين على بنى آدم فى أمر دينهم وقال صلى الله عليه وسلم لو دعيت الى كراع أو ذراع لأجبت ولو أهدى الى كراع أو ذراع لقبلته رواه البخارى وقال صلى الله عليه وسلم الكرم التقوى والشرف التواضع واليقين الغنى وقال صلى الله عليه وسلم أربع لا يعطيهن الله الا من يحب الصمت وهو أول العبادة والتوكل على الله والتواضع والزهد فى الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم انه ليعجبنى أن يحمل الرجل الشئ فى يده يكون مهنأة لاهله يرفع به الكبر عن نفسه وقال صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم المتواضعين من أمتى فتواضعوا لهم واذا رأيتم المتكبرين فتكبروا عليهم فان ذلك مذلة لهم وصغار وقال ابن المبارك رحمه الله رأس التواضع أن تضع نفسك عند من دونك فى نعمة الدنيا حتى تعلمه أن ليس لك عليه بدنياك فضل وان ترفع نفسك عمن هو

فيقول أنا الحق فان أخذ التوفيق بيده ومد به الالطاف الالهية سار منه ولم يقف عنده فهو يعرف بعد منازل الانوار الالهية والا هلك فهذا محل الغرور اذ ربما يلبس عليه المتجلى والمتجلى فيه كما يلتبس لون ما يتراآى فى المرآة فيظن انه لونها أو كما يلتبس لون ما فى الزجاج بالزجاج كما قيل رق الزجاج وراقت الخمر فتشابها فتشاكل الامر فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر وبهذه العين نظرت النصارى الى المسيح فرأوا اشراق نور الله قد تلألأ فيه فغلطوا فيه كمن يتراءى له كوكب فى مرآة أو ماء فيظن أن الكوكب فى المرآة أو فى الماء فيمد اليد اليه ليأخذه وهو مغرور وأنواع الغرور فى هذا الباب لا تحصى فى مجلدات ولعل هذا القدر أيضا الاولى تركه اذ السالك لا يحتاج الى السماع من غيره والذى لم يذقه لا ينتفع به وبسماعه بل ربما يستضر به اذ يورثه ذلك دهشة من حيث يسمع ما لا يفهم ولكن لا يخلو السامع من فائدة ما وهو أن يسمع فاعله بمدد التوفيق فيعلم أن الامر فوق ما يظنه ويقدره فى ذهنه المختصر وخياله القاصر وجدله المزخرف ويصدق أيضا بما يسمع من الحكايات والمكاشفات التى أخبر عنها الاولياء لله تعالى ومن غلبت عليه شقوته وأحاطت به خطيئته كذب بهذا كما كذب بما سمع من قبل وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون (الصنف الرابع) أرباب الاموال فمنهم من يبنى المساجد والرباطات والقناطر ويأمر

فوقك في الدنيا حتى تعلمه أنه ليس له بدنياه عليك فضل وروى أن قريشا تفاخروا عند سلمان رضي الله عنه يوما فقال سلمان رضي الله عنه لكن خلقت من نطفة قذرة ثم أعود جيفة منتنة ثم الى الميزان فان ثقل ميزاني فأنا كريم وان خف فأنا لئيم وقال أنس رضي الله عنه لم يكن شخص أحب الينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنا اذا رأيناه لم نقم له لما نعلم من كراهته لذلك وقال علي رضي الله عنه من أراد أن ينظر الى رجل من أهل النار فلينظر الى رجل قاعد وبين يديه قوم قيام وقال أبو الدرداء رضي الله عنه لا يزال العبد يزداد من الله بعدا ما مشي خلفه وقال ثابت بن أبي مالك رضي الله عنه رأيت أبا هريرة رضي الله عنه أقبل من السوق وعلى رأسه حزمة من حطب وهو يومئذ خليفة لمروان فقال وسع الطريق للأمير يا ثابت بن أبي مالك وقال بعضهم رأيت عليا رضي الله عنه اشترى لحما بدرهم فحمله في ملحفة فقلت له أحمل عنك يا أمير المؤمنين فقال لا أبو العيال أحق أن يحمله وقال زيد بن وهب رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج من السوق وبيده الدرة وعليه كساء فيه أربع عشرة رقعة بعضها من أدم وعوتب في ازار مرقع فقال يقتدي به المؤمن ويخشع به القلب وروى عن قيس بن أبي حازم أنه قال لما قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الشام تلقاه عظماؤها فقلت له اركب هذا البرذون يراك الناس فقال انكم ترون الأمر من ههنا وان الأمر من ههنا وأشار بيده الى السماء خلوا سبيلي وروى أنه جعل بينه وبين غلامه مناوبة فكان عمر يركب الناقة ويأخذ الغلام بزمامها ويسير مقدار فرسخ ثم ينزل ويركب الغلام فيأخذ عمر بزمامها ويسير فرسخا فلما قرب من الشام كانت نوبة الغلام فركب الغلام وأخذ عمر بالزمام فاستقبله الماء في الطريق فجعل يخوض في الماء وهو آخذ بزمام الناقة فخرج أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه وكان أميرا على الشام فقال يا أمير المؤمنين ان عظماء الشام يخرجون اليك فلا نختار أن يروك على هذه الحالة فقال عمر انما أعزنا الله بالاسلام فلا أبالي بمقالة الناس (وحكى) أنه لما أهم قيصر ملك الروم أمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أرسل رسولا لينظر أحواله ويشاهد أفعاله فلما دخل المدينة سأل أهلها وقال أين ملككم فقالوا ما لنا ملك لنا أمير خرج الى ظاهر المدينة فخرج الرسول في طلبه فرآه نائما في الشمس فوق الرمل الحار وقد وضع درته كالوسادة تحت رأسه فلما رآه على تلك الهيئة وقع الخشوع في قلبه وقال رجل تكون ملوك الأرض تهابه لا يقر لهم قرار من عظيم هيبته تكون هذه حالته لكنك يا عمر عدلت فأمنت فنمت وملكنا جار لا جرم انه لا يزال ساهرا خائفا أشهد أن دينكم لدين حق ولولا أني أتيت رسولا لأسلمت ولكن سأعود بعد هذا وأسلم وروى أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أتاه ليلة ضيف وكان يكتب فكاد السراج يطفأ فقال الضيف أقوم الى المصباح فأصلحه فقال عمر ليس من كرم الرجل أن يستعمل ضيفه قال أفأنبه الغلام قال هي أول نومة نامها فقام عمر وأخذ البطة وملأ المصباح زيتا فقال الضيف قمت أنت بنفسك يا أمير المؤمنين فقال ذهبت وأنا عمر ورجعت وأنا عمر وخير الناس من كان عند الله متواضعا وروى عنه أنه كان قبل أن يستخلف كان تشترى له الحلة بألف دينار فيقول ما أجودها لولا خشونة فيها فلما استخلف كان يشترى له الثوب بخمسة دراهم فيقول ما أجوده لولا لينه فقيل له أين لباسك ومركبك وعطرك فقال ان لي نفسا ذواقة تواقة وانها لم تذق من الدنيا طبقة الا تاقت الى الطبقة التي فوقها حتى اذا ذاقت الخلافة وهي أرفع الطبقات تاقت الى ما عند الله وقال ابراهيم بن أدهم لم أفرح في عمري الا ثلاث مرار المرة الأولى كان علي لباس شعر فقعدت في الشمس ونشرته لأفليه فلم أره لشدة القمل والمرة الثانية كنت في مركب فكان فيها رجل افرنجي فجعل يأخذ بلحيتي ويهزها ثم يقول هكذا نفعل بالتيوس في بلادنا ففرحت اذ لم ير أحقر مني والمرة الثالثة كنت في بعض الطرق واذا بجندي قد وقف بي وقال لي أين العمران فأشرت الى المقابر فأخذ الجندي يضرب برأسي ضربا شديدا فطأطأت رأسي وجعلت أقول اضرب رأسا طالما عصى الله تم الربع الثالث وهو ربع المهلكات والحمد لله وحده ونبدأ ان شاء الله بالربع الرابع وهو ربع المنجيات نجانا الله من النار بفضله وكرمه آمين

(كتاب التوبة وفيه أربعة أبواب)

يكتب اسمه عليها وهو يريد بذلك الصيت والذكر المخلد في الناس ويطمع بعد ذلك في المغفرة وهو مخطئ وغرور من وجهين أحدهما انه من الأموال المكتسبة بالظلم والغصب والنهب وردها الى ملاكها والامساك عن أمثالها أولى بهم من ذلك والوجه الثاني أنهم يريدون به الرياء والسمعة حتى لو كلفوا أن ينفقوا دينارا على موضع لا يكتبون عليه أساميهم لا تسمح به نفوسهم والله تعالى مطلع عليه سواء كتب اسمه أو لم يكتب فيعلم بذلك ان قصده الرياء والسمعة لا غير وفرقة أخرى أموالهم من الحلال بنوا بها المساجد فزخرفوها وهو مغرور من وجهين أحدهما انه لعله ترك فقيرا جائعا في جواره وهو أولى بذلك والآخر أنه يشغل المصلين عن الصلاة بتلك النقوش والزخارف فغروره من حيث أنه رأى المنكر معروفا ويدل عليه ما قاله الحسن رضي الله عنه قال لما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبني مسجد المدينة أتاه جبريل عليه السلام فقال ابنه سبعة أذرع طولا في السماء لا تزخرفه ولا تنقشه وعلى الجملة فكل من أنفق مالا على مسكين أو فقير أو موضع فيه خير فليطالب نفسه هل تسمح بالاخفاء فان لم تسمح فلعل فيه رياء وارادة سمعة فان قلت فما الحيلة بعد هذا التعظيم فالمذكرت أن جميع هذه الفرق لا تخلو عن أنواع الغرور فالجواب أنه لو صح منك الهوى أرشدت الحيل وانه يسير

(الباب

(الباب الأول في الحث على التوبة والاستغفار)

قال الله تعالى وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون وقال تعالى وأن استغفروا ربكم ثم توبوا اليه وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا اختلفوا في معناها قال عمر وأبي ومعاذ رضي الله عنهم هي أن تتوب ثم لا تعود الى الذنب كما لا يعود اللبن في الضرع وقال محمد بن كعب القرظي رحمه الله يجمعها أربعة أشياء الاستغفار باللسان والاقلاع بالأبدان واضمار ترك العود بالجنان ومهاجرة سيء الاخوان وعن أبي هريرة رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والله اني لأستغفر الله وأتوب اليه في اليوم أكثر من سبعين مرة رواه البخاري وقال صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس توبوا الى الله فاني أتوب في اليوم مائة مرة رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب اليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها وقد أيس من راحلته فبينما هو كذلك اذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر رواه الترمذي وقال حديث حسن وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال كنا نعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد مائة مرة رب اغفر لي وتب علي انك أنت التواب الرحيم رواه أبو داود والترمذي وقال حديث صحيح وقال صلى الله عليه وسلم من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجا ومن كل هم فرجا ورزقه من حيث لا يحتسب رواه أبو داود وقال صلى الله عليه وسلم من قال أستغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم وأتوب اليه غفرت ذنوبه وان كان قد فر من الزحف صححه الحاكم وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول قبل موته سبحان الله وبحمده أستغفره وأتوب اليه وقال صلى الله عليه وسلم سيد الاستغفار أن يقول العبد اللهم أنت ربي لا اله الا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا أنت من قالها في النهار موقنا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة رواه البخاري ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الشيطان قال وعزتك يا رب لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم فقال الرب وعزتي وجلالي وارتفاع مكاني لا أزال أغفر لهم ما استغفروني وقال خالد بن معدان قال الله تعالى أحب عبادي الي المتحابون بحبي المتعلقة قلوبهم بالمساجد المستغفرون بالأسحار أولئك الذين اذا أردت أهل الأرض بعقوبة فذكرتهم تركتهم وصرفت العقوبة عنهم وقال ابن الجوزي رحمه الله ورد في الخبر أن الملائكة تعرج الى السماء بكتاب عبد وهو مملوء بالسيئات فاذا وقفوا للعرضة على اللوح المحفوظ وجدوا مكانه من اللوح المحفوظ مملوءا من الحسنات فيخرون من شدة الخوف على وجوههم لله سجدا ويقولون سبحانك سبحانك وعزتك ما كتبنا عليه الا ما عمل فيقول لهم جلت قدرته صدقتم يا ملائكتي لكن عبدي أشفق من زلته وخاف من معصيته فتشفع الي بدمعته فناداني بذلته وأقبل بالبكاء والنداء فجدت عليه بالفضل والكرم وقال الفضيل استغفار بلا اقلاع توبة الكذابين وقالت رابعة استغفارنا يحتاج الى استغفار كثير وقال بعض الحكماء من قدم الاستغفار على الندم كان مستهزئا ولا يعلم وسمع أعرابي وهو متعلق بأستار الكعبة يقول اللهم ان استغفاري مع اصراري للؤم وان تركي استغفارك مع علمي بسعة عفوك لعجز فكم تتحبب الي بالنعم مع غناك عني وأتبغض اليك بالمعاصي مع فقري اليك يا من اذا وعد وفى واذا توعد عفا أدخل عظيم جرمي في عظيم عفوك يا أرحم الراحمين وقال أبو الفرج بن الجوزي رحمه الله في روضة المشتاق الى الملك الخلاق خرج زمان داود عليه السلام ثلاثة نفر يستسقون فقال

على ما يسره الله عليه فمن يقدر على استخراج الذهب والفضة من المعادن واستصعاد الحوت من أعماق البحور واستنزال الطير من الهواء لا يعجز عما هو أهون منه فاذا عرف غوائل الاعمال وعلم أن ما سبق ذكره من الرياء والجاه والصيت في الناس لا يبقى بل الموت يطوى كل ذلك وعلم نفسه وذلها وعرف ربه وعزته وجلاله والدنيا وأنها دار الغرور والآخرة وأنها دار الحيوان فماله لا يعمل بعمل لله ويحترز من آفاته فان قلت فما الذي يخاف عليه بعد ذلك فأقول يخاف عليه أن يتسلط عليه الشيطان فيقول أنت رجل سلمت من هذه الآفات فيجب عليك أن تدعو الخلق الى ذلك وتنصحهم وهذا دأب الشيطان فان من استعصى عليه في الدنيا جاءه من قبل الدين وقد ذكرنا شرائط الوعظ والنصح فان وجد نفسه أهلا بعد استعمال تلك الشرائط فعل ذلك موفقا ان شاء الله تعالى تم ربع المهلكات

(الباب الحادي والثلاثون في التوبة وفيه فصول وهو الأول من ربع المنجيات)

اعلم أن التوبة عبارة عن معنى ينتظم من ثلاثة أمور علم وحال وفعل فأما العلم فهو معرفة ضرر الذنوب وكونها حجابا بين العبد وبين كل محبوب فاذا وجدت هذه المعرفة ثار منها حال في القلب وهي التألم بخوف فوات المحبوب وهو الندم وباستيلائه يثور ارادة التوبة وتلافي ما مضى فالتوبة ترك الذنب في الحال والعزم على أن لا يعود وتلافي ما مضى وقد

اذ الندم يكون بعد العلم كما ذكرنا (بيان وجوب التوبة) دل عليها العقل على ما بيناه وفضلها العلم ان

أحدهم اللهم انك أمرتنا بعتق عبيدنا اذا شابوا في خدمتنا وقد شبنا في خدمتك فتفضل علينا بعتقنا وقال الثاني اللهم انك أمرتنا أن نعفو عمن ظلمنا وقد ظلمنا أنفسنا فاغفر لنا وقال الثالث اللهم انك أمرتنا أن لا نرد المساكين اذا وقفوا بابوابنا ونحن مساكينك وقد وقفنا ببابك فجد علينا بفضلك واحسانك قال مكحول الشامي من أوى الى فراشه ثم تفكر فيما صنع في يومه فان عمل خيرا حمد الله تعالى وان كان أذنب استغفر الله تعالى فان لم يفعل كان كمثل التاجر الذي ينفق ولا يحسب يفلس ولا يشعر قال بعضهم ان العبد ليذنب الذنب فلا يزال تائبا نادما حتى يدخل الجنة فيقول ابليس ليتني لم أوقعه في الذنب وروى أن رجلا سأل ابن مسعود رضي الله عنه عن ذنب ألم به هل له من توبة فأعرض عنه ثم التفت اليه فرأى عينيه تذرفان فقال له ان للجنة ثمانية أبواب كلها تفتح وتغلق الا باب التوبة فان عليه ملكا موكلا لا يغلق فاعمل ولا تيأس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استبطأت الرزق فأكثر من الاستغفار واذا أنعم الله عليك فأكثر من الحمد واذا ورد عليك أمر تكرهه فأكثر من لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فهي دواء من لا دواء له وعن أبي بكر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من رجل يذنب ذنبا ثم يقوم فيتطهر ثم يصلي ثم يستغفر الله الا غفر الله له ثم قرأ والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم الآية وقال أبو عبد الله الوراق لو كان عليك مثل عدد القطر وزبد البحر ذنوب لمحيت عنك اذا دعوت ربك بهذا الدعاء مخلصا ان شاء الله تعالى اللهم اني أستغفرك من كل ذنب تبت اليك منه ثم عدت فيه وأستغفرك من كل ما وعدتك به في نفسي ثم لم أوف لك به وأستغفرك من كل عمل أردت به وجهك فخالطه غيرك وأستغفرك من كل نعمة أنعمت بها علي فاستعنت بها على معصيتك وأستغفرك يا عالم الغيب والشهادة من كل ذنب أتيته في ضياء النهار وسواد الليل في ملأ وخلا وسر وعلانية يا حليم قال الغزالي رحمه الله ويقال انه استغفار الخضر عليه السلام

(الباب الثاني في الحث على المبادرة الى التوبة)

قال الله تعالى انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما قوله تعالى انما التوبة أي قبولها على الله بايجابه على نفسه تفضلا للذين يعملون السوء بجهالة قال قتادة أجمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن كل ما عصي به الله فهو جهالة عمدا كان أو لم يكن وكل من عصى الله فهو جاهل وقيل معنى الجهالة اختيارهم اللذة الفانية على اللذة الباقية ثم يتوبون من قريب قال الضحاك قبل معاينة ملك الموت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر وقوله وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت ووقع في النزع قال اني تبت الآن وهي في حالة السوق حين تساق روحه لا يقبل من كافر ايمان ولا من عاص توبة قال الله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا ولذلك لم ينفع ايمان فرعون حين أدركه الغرق قال بعض العارفين ملك الموت اذا ظهر للعبد أعلمه انه قد بقي من عمرك ساعة وانك لا تستأخر عنها طرفة عين فيبدو للعبد من الأسف والحسرة ما لو كانت له الدنيا بحذافيرها يخرج منها على أن يضم الى تلك الساعة ساعة أخرى ليستعتب فيها ويتدارك تفريطه فلا يجد اليه سبيلا وهو أول ما يظهر منه من معاني قوله تعالى وحيل بينهم وبين ما يشتهون واليه الاشارة بقوله تعالى من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني الى أجل قريب الى آخر السورة قال لقمان لابنه يا بني لا تؤخر التوبة فان الموت يأتي بغتة قال الغزالي رحمه الله من ترك المبادرة الى التوبة بالتسويف كان بين خطرين عظيمين أحدهما أن تتراكم الظلمة على قلبه من المعاصي حتى تصير رينا وطبعا فلا يقبل المحو الثاني أن يعاجله المرض أو الموت فلا يجد مهلة للاشتغال بالمحو ولذلك ورد في الخبر أن أكثر صياح أهل النار من التسويف وان أكثر صراخهم يا أسف لسوف فما هلك من هلك الا بالتسويف فيكون تسويد القلب نقدا وجلاؤه بالطاعة نسيئة

قال عليه السلام الندم توبة الآيات والأخبار دلت على وجوب التوبة كما قال الله تعالى وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا الآية وقال ان الله يحب التوابين وقال النبي عليه السلام التائب حبيب الله والتائب من الذنب كمن لا ذنب له وقال عليه السلام لله أفرح بتوبة العبد المؤمن من رجل نزل في أرض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى اذا اشتد عليه الحر والعطش ما شاء الله قال أرجع الى مكاني الذي كنت فيه فأنام حتى أموت فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ فاذا راحلته عنده عليها طعامه وشرابه فالله أشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وقد أجمعت الائمة على وجوب التوبة فان قلت فكيف تجب التوبة وهي ثمرة الندم الحاصل في القلب وذلك لا يدخل تحت الاختيار قلنا انه يدخل سببه تحت الاختيار وهو طلب علمه ولذلك قلنا وجب العلم لانه داخل في التوبة الواجبة لا ان العبد يحدثه بل العلم والندم والفعل والارادة والقدرة من القادر فالله تعالى خلقكم وما تعملون فهذا هو الحق عند ذوي البصائر وما عداه فهو ضلال فان قلت أليس للعبد الى

الاختيار في الفعل والترك قلنا نعم وهذا لا يناقض قولنا ان الكل من عند الله بل الاختيار

الى أن يختطفه الاجل فيأتي الله بقلب غير سليم ولا ينجو الا من أتى الله بقلب سليم قال أبو الفرج بن الجوزي رحمه الله في روضة المشتاق الى الملك الخلاق ورد في الخبر أن بعض الانبياء قال لملك الموت عليه السلام أما لك رسول تقدمه بين يديك ليكون الناس على حذر منك قال نعم والله لي رسل كثيرة من الاعلال والامراض والشيب والهرم وتغير السمع والبصر فاذا لم يتذكر من نزل به ذلك ولم يتب فاذا قبضته ناديته ألم أقدم اليك رسولا بعد رسول ونذيرا بعد نذير فأنا الرسول الذي ليس بعدي رسول وأنا النذير الذي ليس بعدي نذير فما من يوم تطلع فيه شمسه الا وملك الموت ينادي يا أبناء الاربعين هذا وقت أخذ الزاد أذهانكم حاضرة وأعضاؤكم قوية شداد يا أبناء الخمسين قد دنا الاخذ والحصاد يا أبناء الستين أنسيتم العقاب وغفلتم عن رد الجواب فما لكم من نصير أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير وحكى أبو الفرج عن بعض السادة أنه قال رأيت غلاما قد لبس الشعر ولزم العبادة والسهر فقلت يا فتى لقد أسرعت فقال لي يا شيخ سمعت المولى جلت قدرته يقول ففروا الى الله اني لكم منه نذير مبين كأنه جلت قدرته يقول فروا الى الله قبل أن يوقفكم بين يديه في اليوم الشديد العسير والهول العظيم الخطير فيقول أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير وقال أبو الفرج ورد في الخبر أن العبد اذا حضر وقت وفاته وقبضه وحجب عن ولده وأهله يقول من شدة فجعته وعظيم حسرته يا ملك الموت أخرني عاما أتوب فيه الى ربي وأعمل فيه صالحا وأنقل فيه مالي الى قبري فقد أتلفت في طلب الدنيا عمري وأتعبت نفسي فيما جمعته لغيري فأخرني عاما وأنظرني فيقول له ملك الموت هيهات قد أفنيت الاعوام فلا عام فيقول أخرني شهرا فيقول هيهات قد أفنيت الشهور فلا شهر فيقول أخرني يوما فيقول هيهات قد أفنيت الايام فلا يوم فيقول له فأخرني ساعة فيقول هيهات قد أفنيت الساعات فلا ساعة فاذا فرغ من هذا الكلام بلغت روحه الى صدره وأغلق باب التوبة في وجهه فاذا قبض أوقفه المولى جلت قدرته بين يديه فكلما أراد أن يعتذر بأمر من الامور اليه قال أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير (وحكى) أبو الفرج عن بعض السادة أنه قال وعظ الفضيل يوما أصحابه وعظا جمع فيه الشيوخ والشبان وكانوا سادة يؤثر فيهم اليسير من الخطاب والبيان فقال يا معشر الشبان كم زرع أدركته الآفة قبل بلوغه وكماله ويا معشر الشيوخ هل يحصد الزرع الا عند نضجه وتمامه فما الذي تنتظرون وبأي عذر تعتذرون وما الذي يقول منكم الصغير والكبير اذا قال لكم اللطيف الخبير أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير

(الباب الثالث في بيان حقيقة التوبة ومقدماتها وعلاماتها وثمراتها وحدها وشروطها)

اعلم أن التوبة في لسان العرب الرجوع ويقال تاب أي رجع وهي رجوع عما كان مذموما في الشرع الى ما هو محمود فيه قال الاستاذ أبو علي الدقاق رضي الله عنه التوبة على ثلاثة أقسام أولها التوبة وأوسطها الانابة وآخرها الاوبة قال الاستاذ أبو القاسم القشيري رحمه الله فكل من تاب لخوف العقوبة فهو صاحب توبة ومن تاب طمعا في الثواب فهو صاحب انابة ومن تاب مراعاة للامر لا لرغبة ولا لرهبة فهو صاحب أوبة ويقال أيضا التوبة صفة المؤمنين قال الله تعالى وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون والانابة صفة الاولياء والمقربين قال الله تعالى وجاء بقلب منيب والاوبة صفة الانبياء والمرسلين قال الله عز وجل نعم العبد انه أواب وقال ذو النون رحمه الله توبة العوام من الذنوب وتوبة الخواص من الغفلة (وأما مقدماتها) فانتباه القلب عن رقدة الغفلة ورؤية العبد ما هو عليه من سوء الحال والتعرض لسخط الله تعالى وأليم عقابه وذكره ضعف صبره عن احتمال شديد عذابه فيحمله ذلك على التوبة (وأما علاماتها) فهجران قرناء السوء والتوحش عنهم وحب العزلة وقلة الكلام والخوض ومجانبة الفضول وسكون الجوارح عن الحركات المذمومات من العبادة وملازمة الذكر والاستكثار من العبادة واطراق الرأس وحفظه ونحول الجسم ودمع العين وحزن القلب وكثرة الاسف على ما أساء وفرط وتخلف وضيع من جواهر عمره النفيسة من المخالفات والشهوات الخسيسة وادامة البكاء والتضرع والجؤار في طلب الاقالة آناء الليل وأطراف النهار

ايضا من خلق الله تعالى والعبد مضطر في اختياره فان الله تعالى اذا خلق اليد الصحيحة وخلق الطعام اللذيذ وخلق الشهوة للطعام في المعدة وخلق العلم في القلب بان هذا الطعام مسكن للشهوة وخلق الخواطر المتعارضة في ان هذا الطعام هل فيه مضرة مع أنه يسكن الشهوة وهل دون أن يتناوله مانع يتعذر معه تناوله أولا ثم خلق العلم بانه لا مانع فعند اجتماع هذه الاسباب تنجزم الارادة الباعثة على التناول فهذه الامور مترتبة في سنة الله تعالى فلا يخلق مثلا حركة اليد بكتابة منظومة ما لم يخلق فيها صفة تسمى قدرة وما لم يخلق فيها حياة وما لم يخلق ارادة ولا يخلق الارادة المجزومة ما لم يخلق شهوة وميلا في النفس ولا ينبعث هذا الميل ما لم يخلق علما بانه موافق للنفس في الحال أو المآل ولا يخلق العلم أيضا الا بأسباب أخر ترجع الى قدرة وارادة وعلم فالعلم والميل الطبيعي أبدا يتبع الارادة الجازمة والارادة والقدرة أبدا تستردف الحركة وهكذا الترتيب في كل فعل والكل مخلوق لله تعالى ولكن البعض شرط للبعض وذلك سنة الله التي خلت في عباده وفي قضائه الذي هو كلمح البصر ترتيبا كليا لا يتغير وعنه العبارة بقوله تعالى انا كل شيء خلقناه بقدر ومن جملة القدر خلق حركة في يد الكاتب بعد خلق القدرة والقصد والعلم

(وأما ثمراتها) فمنها رجوعه حبيبا للرحمن بعد أن كان حبيبا للشيطان ودخوله فى رضا المولى بعد خروجه من سخط الله تعالى وتطهيره من السيئات التى كان يستحق بها العذاب الاليم وربحه الحسنات التى ينال بها النعيم المقيم والقرب من الحبيب المولى الكريم ومسارعته فى الخيرات بانبعاث جوارحه فى العمل بعد أن كان بقيد شؤم الذنوب مكبولا وطعم لذة الطاعات وحلاوة المناجاة وصيرورة العمل بعد الرد مقبولا وسلامته من سيئات ربما جرت المصر عليها الى الكفر والعياذ بالله كما جاء فى الكتاب المكنون ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوآى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن وعلى الجملة يصير بعد أن كان خبيثا طيبا وبعد أن كان مبعدا مقربا وبعد أن كان مبغوضا حبيبا وبعد أن كان المدعو غير سامع لدعائه مجيبا وبعد الاعراض عنه الاقبال عليه وبعد خروج نور الايمان من قلبه رجوعه اليه وبعد أن كان يتنحى عنه الملائكة الكرام من نتن ريحه صاروا عليهم السلام يشمون منه طيب الطاعة كما جاء فى الحديث لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك (وأما حدها) فهو ترك اختيار ذنب سبق منك مثله منزلة لا صورة تنزيها لله تعالى وحذرا من سخطه وهذا الحد حكاه الامام أبو حامد الغزالى رحمه الله وارتضاه احترز بقوله منزلة لا صورة لتصح توبة الشيخ الهرم الذى لا يقدر على قطع الطريق والزنا اذ لا يقدر على ترك اختيارهما لكونه عاجزا عن فعلهما فلا يوصف بترك اختيار ما هو عاجز عنه ويقدر على ترك اختيار ما هو مثلهما فى المنزلة فى المعاصى الفرعية وان تفاوتت فى الاثم فكلها معاص منزلتها دون منزلة البدعة ومنزلة البدعة دون منزلة الكفر فتصح توبته عنهما (وأما شروطها) فالندم على ما تقدم من الذنوب وترك الذنب فى الحال تعظيما لله تعالى وحذرا من سخطه والعزم على أن لا يعود الى مثل ما عمل من المعاصى ألبتة فهذه الشروط لا بد منها والا فلا تصح التوبة وأما ما ورد فى الخبر ان الندم توبة فمحمول عند بعض العلماء على أنه معظم التوبة كما قال صلى الله عليه وسلم الحج عرفة أى معظم الحج ولا بد من ارضاء الخصوم بأداء الحقوق أو بالتحلل منه فى جميع المظالم (والحقوق التى يجب أداؤها ويتحلل منها قسمان) أحدهما لله تعالى وهو ترك واجب من صلاة أو صوم أو كفارة أو غيرها فيجب قضاء ما أمكن من ذلك القسم الثانى للعباد وهو على خمسة أقسام فى النفس أو فى المال أو فى العرض أو فى الحرمة أو فى حق من الحقوق غير هذه المذكورات فالخروج عن ذلك بالتمكين من القصاص فى النفس أو الدية أو بالاستحلال وبالرد والاستحلال فى المال وبالاستحلال فقط فى العرض ان لم يخف زيادة غيظ وهيجان فتنة اذا ذكر له ذلك ويكذب نفسه عند من بهته أو فسقه أو كفره فان خشى من ذكر ذلك له ما ذكرناه فالرجوع الى الله تعالى فى الابتهال والتضرع أن يرضى عنه الخصوم والاستغفار لهم وكذلك فى الحرمة بان خانه فى أهله أو ولده أو من يتعلق به يتضرع الى الله عز وجل ويرغب اليه أن يرضيه عنه فيجعل له خيرا كثيرا فى مقابلة ذلك فان أمن الفتنة والغيظ وهو نادر بعيد جدا فيستحل منه وأما سائر الحقوق الخارجة عن هذه الاقسام فأعنى به ما لا يقابل بعوض كالكلب وجلد الميتة وسائر الاعيان النجسة التى لا يجوز اقتناؤها فطريق الخروج عنها بالرد ان أمكن وبالاستحلال ان لم يمكن لتلف أو غيره ولا تغرم اذ لا قيمة بخلاف المال ومن الحقوق المنع من أخذ بشفعة أو تصرف فى ولاية أو نحو ذلك من الحقوق يجب الاستحلال منه وحيث عدم صاحب الحق فى جميع هذه الاقسام فان كان يورث رجع الى الوارث فى كل ما يورث فان لم يكن له وارث أو كان مما لا يورث رجع فيه الى الله سبحانه وتعالى فى ارضاء الخصوم والدعاء لهم والتصدق عنهم واكثار الحسنات لاستيفائهم فى القيامة وان كان بغيبة ولم يمكن التوصل الى البراءة وان كان مما تدخله النيابة كالمال والحقوق رجع فيه الى الوكيل فان لم يكن فالى الحاكم وينتظر حضوره فيما عدا ذلك والله أعلم نقل هذا جميعه من كتاب كفاية المعتقد ونكاية المنتقد تأليف الشيخ الامام العالم العلامة الزاهد الورع عبد الله بن أسعد اليافعى رحمه الله وقال الغزالى رحمه الله فى الاحياء من كثرت مظالمه وأراد التوبة وعجز عن رد المظالم الى أهلها فعل ما يقدر عليه فان عجز فلا يبقى له طريق الا أن يكثر من الحسنات حتى يقتص منه يوم القيامة فتؤخذ حسناته وتوضع فى موازين أرباب المظالم ونقل

والارادة فاذا ظهرت هذه الامور الاربعة على جسم عبد مسخر تحت قهر التقدير سبق أهل علم الملك والشهادة والمحجوبون عن عالم الغيب والملكوت قالوا أيها الرجل قد تحركت وكتبت ورميت ونودى من وراء حجب الغيب وسرادقات الملكوت وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وقاتلوهم يعذبهم الله بايديكم وعند هذا تحيرت عقول القاعدين فى بحبوحة عالم الشهادة فمن قائل انه جبر محض ومن قائل انه اختراع صرف ومن متوسط قائل انه كسب ولو فتح لهم أبواب السماء فنظروا الى عالم الغيب والملكوت لظهر لهم ان كل واحد منهم صادق من وجه ولكن القصور شامل لجميعهم فلم يدرك واحد منهم كنه هذه الامور وانما يدرك ذلك باشراق النور من كوة نافذة الى عالم الغيب وانه تعالى عالم الغيب والشهادة لا يطلع على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول ومن حرك سلسلة الاسباب والمسببات وعلم كيفية تسلسلها ووجه ارتباط مناط تسلسلها بمسبب الاسباب انكشف له سر القدر وعلم علما يقينا ان لا خالق الا الله ولا مبدع سواه فان قلت قد قضيت بان كل هؤلاء فى الجبر والاختراع والكسب صادق من وجه قاصر من وجه فاقول نعم وذلك أعرفك بمثال فاقول جماعة من العميان سمعوا انه حمل الى بلدهم حيوان عجيب يسمى الفيل وما كانوا سمعوا به ولا رأوه فقالوا لا بد لنا من مشاهدته ومعرفته باللمس الذى

ابن الجوزى فى روضة المشتاق عن بعض السادة أنه قال للتائب الصادق خمس علامات (أولها) ظهور طهارته وعصمته بعد رجوعه وتوبته (الثانية) ذهاب فرحه بالدنيا واقباله على طاعة المولى (الثالثة) اخراج هيئة المذنبين من قلبه وبكاؤه فى الخلوات على خطيئته وذنبه (الرابعة) أن يستكثر لنفسه القليل من الدنيا وأن يذكر ما بين يديه من المحن والبلوى وان أكل طعاما طيبا قال ياليت شعرى هل أعدلى الضريع فى سجن الجحيم وان شرب ماء باردا تفكر فى أحوال المهل والحميم وان لبس ثوبا لينا تفكر فى مقطعات النيران وسرابيل القطران وان تقرب بطاعة استقلها (الخامسة) أن يكون تاركا لطلب الرزق المضمون بالاقبال على المولى فى الحركة والسكون

(الباب الرابع فى ذكر شئ من أحوال التوابين اللهم تب علينا برحمتك يا أرحم الراحمين)

(توبة آدم) قال عليه السلام قال الله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم قال كعب اختلفوا فى تلك الكلمات قال سعيد بن جبير ومجاهد والحسن هى قوله ربنا ظلمنا أنفسنا الآية وقال محمد بن كعب القرظى هى قوله لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك رب عملت سوأ وظلمت نفسى فتب على انك أنت التواب الرحيم لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك رب عملت سوأ وظلمت نفسى فاغفر لى انك أنت الغفور الرحيم لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك رب عملت سوأ وظلمت نفسى فارحمنى انك أنت أرحم الراحمين وقال عبيد بن عمير هى أن آدم قال يارب أرأيت ما أتيت شئ ابتدعته من تلقاء نفسى أم شئ قدرته على قبل أن تخلقنى قال الله لا بل شئ قدرته عليك قبل أن أخلقك قال يارب فكما قدرته على فاغفر لى وقيل هى ثلاثة أشياء الحياء والدعاء والبكاء قال ابن عباس رضى الله عنهما بكى آدم وحواء على ما فاتهما من نعيم الجنة مائتى سنة ولم يأكلا ولم يشربا أربعين يوما ولم يقرب آدم حواء مائة سنة وروى المسعودى عن يونس بن خباب وعلقمة بن مرثد قالا لو أن دموع أهل الارض جمعت لكانت دموع داود أكثر حيث أصاب الخطيئة ولو أن دموع داود ودموع أهل الارض جمعت لكانت دموع آدم أكثر حيث أخرجه الله من الجنة قال شهر بن حوشب بلغنى أن آدم لما أهبط الى الارض مكث ثلثمائة سنة لا يرفع رأسه حياء من الله عز وجل قال محمد بن اقيس لما أكل آدم من الشجرة ناداه ربه يا آدم لم أكلت منها وقد نهيتك قال يارب أطعمتنى حواء قال لحواء لم أطعمتيه قالت أمرتنى الحية قال للحية لم أمرتيها قالت أمرنى ابليس فقال الله أما أنت ياحواء فكما أدميت الشجرة تدمين كل شهر وأما أنت ياحية فاقطع قوائمك فتمشين على وجهك وسيشدخ رأسك من لقيك وأما أنت يا ابليس فملعون مدحور قال أبو الليث قبلت توبة آدم لخمس ولم تقبل توبة ابليس لخمس فآدم عليه السلام أقر بالذنب على نفسه وندم عليه ولام نفسه وأسرع فى التوبة ولم يقنط من رحمة الله وابليس لم يقر على نفسه بالذنب ولم يندم عليه ولم يلم نفسه ولم يسرع فى توبته وقنط من رحمة الله تعالى وقال ابن الجوزى لما عصى آدم عليه السلام بكى عليه كل شئ فى الجنة الا الذهب والفضة فاوحى الله اليهما لم لا تبكيان على آدم وهو أعلم بذلك فقالا ما كنا نبكى على من يعصيك فقال الله وعزتى وجلالى لاجعلن قيمة كل شئ بكما ولاجعلن بنى آدم خدما لكما قال القاضى أبو بكر بن العربى رحمه الله فى قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى لا يجوز لاحدنا اليوم أن يخبر بذلك عن آدم عليه السلام الا اذا تلاه فى أثناء كلام الله تعالى وقول نبيه صلى الله عليه وسلم فأما ان نبدأ بذلك من قبل أنفسنا فليس بجائز لنا فى آبائنا الادنين المماثلين لنا فكيف فى أبينا الاقدم الاعظم الاكرم النبى المقدم الذى اجتباه الله تعالى وتاب عليه (توبة داود عليه الصلاة والسلام) روى أن داود عليه السلام رأى فى الكتب ما أعطى ابراهيم واسحق ويعقوب صلوات الله وسلامه عليه وعليهم من الفضل فقال يارب أرى الخير كله قد ذهب به آبائى فأوحى الله اليه انهم ابتلوا فصبروا فقال يارب لو ابتليتنى لصبرت فأوحى الله اليه انك تبتلى فى شهر كذا فى يوم كذا فاحترس فلما جاء الموعد دخل محرابه وأغلق عليه بابه فجاءه الشيطان فى صورة حمامة من ذهب فى غاية الحسن فوقع بين رجليه فأراد أخذها ليرى بنى اسرائيل قدرة الله فذهبت الى كوة هناك فأراد أخذها فذهبت فنظر فى الكوة فاذا

نقدر عليه فاتوا اليه ولمسوه فوقع يد بعضهم على رجله ووقع يد بعضهم على نابه ووقع يد بعضهم على أذنه فقالوا قد عرفناه فلما انصرفوا سألهم بقية العميان فاختلفت أجوبتهم فقال الذى لمس الرجل ما هو الا مثل اسطوانة خشنة الا أنه ألين منه وقال الذى لمس الناب ليس كما تقول بل هو صلب لا لين فيه وأملس لا خشونة فيه وليس فيه غلظ الاسطوانة أصلا بل هو مثل عمود وقال الذى لمس الاذن انما هو مثل كساء فالآن قد صدق كل واحد منهم اذ أخبر عما وصل اليه من الفيل ولم يخرج أحد عنه ولكن أخطؤا اذ ظنوا أنهم أدركوا الكل فاعتبر بهذا فانه مثال أكثر ما اختلف فيه الناس ونرجع الى الغرض فنقول قد بينا وجوب التوبة بثلاثة أجزائها والآن نقول هو واجب على الفور لان الخلع عن المعاصى واجب على الدوام وكذلك طاعة الله واجبة على الدوام وقال الله تعالى وتوبوا الى الله جميعا وبه تعلم أيضا انه واجب على جميع الناس على العموم وذلك لانه لا يخلو أحد عن ذنب يصيبه اما بالجوارح أو بالخواطر وأدله الذهول والغفلة عن الله تعالى والتوبة عنه شأن الانبياء والصديقين وشأن من لم يرض من حياته بمجرد الوجود بلا فائدة وأما الاولياء الذين شرح الله صدورهم للاسلام وكتب فى قلوبهم الايمان فقد علموا أن كل نفس من أنفاسهم جوهرة نفيسة لا قيمة لها حتى أن الدنيا وما فيها بالوقوبات بنفس

بامرأة جميلة أجمل النساء تغتسل فتعجب منها فالتفتت فأبصرت ظله فنفضت شعرها فغطى جميع بدنها فازداد عجبا قالوا وكان عمره اذذاك سبعين سنة فسأل عنها فقيل هي امرأة أوريا بن حنانا قالوا فأحب أن يقتل ليتزوج بها قالوا وكان أوريا مع ابن أخت داود في جيش فأرسل اليه أن قدمه قدام التابوت وكان من تقدم قدامه لا يحل له الرجوع حتى يفتح عليه أو يقتل نقدمه ففتح عليه ثم أرسل اليه أن قدمه الى جيش كذا أعظم من الاول فقدمه ففتح عليه فأمره أن يقدمه ثالثة الى جيش أعظم من الاولين ففعل فقتل قالوا وانقضت عدتها فتزوج بها داود وهي أم سليمان وقال الكواشي في تفسيره وأنكر بعضهم هذا النقل لانه غير ثابت عنده ولان الانبياء منزهون عن مثل هذا وعن على رضي الله عنه أنه قال من حدث بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وهي حد الفرية على الانبياء عليهم الصلاة والسلام وروى عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال كان ذنب داود أنه التمس من الرجل أن ينزل له عن امرأته قال أهل التفسير كان ذلك مباحا لهم غير أن الله تعالى لم يرض له ذلك لانه كان رغبة في الدنيا وازديادا للنساء وقد أغناه الله عنها بما أعطاه من غيرها قالوا فلما دخل داود بامرأة أوريا لم يلبث الا يسيرا حتى بعث الله اليه ملكين في صورة رجلين يقال كانا جبريل وميكائيل وكان من خبرهما ما قص الله علينا في كتابه في قوله تعالى وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب الى قوله تعالى وخر راكعا وأناب وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما وكعب الاحبار ووهب بن منبه قالوا جميعا ان داود لما دخل عليه الملكان فقضى على نفسه فتحولا في صورتهما فعرجا وهما يقولان قضى الرجل على نفسه وعلم داود أنما عني به فخر ساجدا أربعين يوما لا يرفع رأسه الا لحاجة ولوقت صلاة مكتوبة ثم يعود ساجدا تمام أربعين يوما لا يأكل ولا يشرب وهو يبكي حتى نبت العشب حول رأسه وهو ينادي ربه عز وجل ويسأله التوبة قال مجاهد مكث أربعين يوما ساجدا لا يرفع رأسه حتى نبت المرعى من دموع عينيه حتى غطى رأسه فنودي يا داود أجائع فتطعم أم ظمآن فتسقى أم عار فتكسى فنحب نحبة هاج منها العود فاحترق من حر جوفه ثم أنزل الله له التوبة والمغفرة وقال وهب ابن منبه لما تاب الله على داود وقال يا رب غفرت لي لا أنسى خطيئتي فاستغفر منها للخطائين الى يوم القيامة قال فوسم الله خطيئته في يده اليمنى فما رفع فيها طعاما ولا شرابا الا بكى اذا رآها وما قام خطيبا في الناس الا بسط راحته فاستقبل الناس ليروا وسم خطيئته وكان يبدأ اذا دعا استغفر للخطائين يقول تعالوا الى داود الخاطئ ولا يشرب شرابا الا مزجه بدموع عينيه وكان يجعل خبز الشعير في قصعته ولا يزال يبكي عليه حتى يبتل بدموع عينيه وكان يذر عليه الملح والرماد فيأكل ويقول هذا أكل الخطائين قال وكان داود قبل الخطيئة يقوم نصف الليل ويصوم نصف الدهر فلما كان من خطيئته ما كان صام الدهر كله وقام الليل كله وروى عنه عليه السلام انه ما رفع رأسه الى السماء حتى مات حياء من الله عز وجل وفي القصة أن الوحش والطير كانت تستمع الى قراءته فلما فعل ما فعل كانت لا تصغي الى قراءته فروى أنها قالت يا داود ذهبت خطيئتك بحلاوة صوتك (توبة سحرة فرعون) روى أن سحرة فرعون ألقوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا فاذا هي حيات كأمثال الجبال قد ملأت الوادي تركب بعضها بعضا فألقى موسى عصاه فصارت حية عظيمة حتى سدت الافق قال ابن زيد كان اجتماعهم بالاسكندرية ثم فتحت فاها سبعين ذراعا فكانت تلتقم حبالهم وعصيهم واحدا واحدا حتى ابتلعت الكل وقصدت القوم الذين حضروا فوقع الزحام عليهم فهلك منهم في الزحام خمسة وعشرون ألفا ثم أخذها موسى فصارت عصا فقالت السحرة لو كان ما يصنع موسى سحرا لبقيت حبالنا وعصينا فلما فقدت علموا أن ذلك من أمر الله تعالى فألقى السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين قال فرعون اياي تعنون فقالوا رب موسى وهرون وذكر الكلبي أن فرعون قطع أيديهم وأرجلهم وصلبهم وذكر غيره أنه لم يقدر عليهم لقوله تعالى فلا يصلون اليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون قال الشيخ عبد العزيز رحمه الله في طهارة القلوب المكلفون أربعة أقسام الاول قوم خلقهم الله تعالى لخدمته وجنته وهم الانبياء والاولياء والصالحون والمؤمنون عاشوا في الدنيا

لم تبلغ قيمته فحافظوا على أوقاتهم وغيرهم تاهوا في غفلاتهم حتى اذا جاء أحدهم الموت فيقول رب لولا أخرتني الى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها ومعناه أن يقول العبد عند كشف الغطاء يا ملك الموت أخرني يوما أعتذر فيه الى ربي فأتوب وأتزود صالحا لنفسي فيقول فنيت الايام فلا يوم فيقول أخرني ساعة فيقول فنيت الساعات فلا ساعة فيغلق عليه باب التوبة فيغرغر بروحه وتتردد أنفاسه في شراسيفه ويتجرع غصة اليأس عن التدارك وحسرة الندامة على تضييع العمر فيضطرب والعياذ بالله أصل ايمانه في صدمات تلك الاهوال فاذا زهقت نفسه فان كانت سبقت له من الله الحسنى خرجت روحه على التوحيد فذلك حسن الخاتمة وان سبق له القضاء بالشقاوة والعياذ بالله خرجت روحه على الشك والاضطراب وذلك سوء الخاتمة ولمثل هذا قال تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن الآية لمثل هذا وقال تعالى انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب ومعناه أن يتبع السيئة بالحسنة تمحوها كما ورد في الخبر

بين آثاره وأنواره اطمأنت بذكره قلوبهم وطابت بطاعة الله حياتهم وعلت بمحبته أنوارهم ورفعت في الملكوت اذكارهم قال الله تعالى من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة الحياة الطيبة لذة الطاعة وعز القناعة فازوا بعز الدارين ونالوا أشرف المنزلتين فطوبى لهم وحسن مآب الثاني قوم خلقهم الله تعالى لجنته دون خدمته وهم الذين عاشوا في الدنيا كفارا ثم ختم لهم بالايمان أو فرطوا مدة حياتهم وانهمكوا بالعصيان ثم تاب عليهم عند الخاتمة فماتوا على حال التوبة والاحسان كسحرة فرعون وكانوا اثنين وثلاثين ألفا على ما يقال آمنوا بالله وقتلوا من يومهم ذلك فدخلوا الجنة كانوا أول النهار يحلفون بعزة فرعون انا لنحن الغالبون ثم بعد ساعة يحلفون والذي فطرنا كانوا يطلبون الجزاء من فرعون ويقولون أئن لنا لأجرا ان كنا نحن الغالبين ثم بعد ساعة يقولون لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات الى قوله والله خير وأبقى والعجب ان الله تعالى أنطق فرعون بما كان في باطنه البشري وهو قوله نعم وانكم اذا لمن المقربين فكانوا مقربين عند رب العالمين الثالث قوم خلقهم الله لا لخدمته ولا لجنته وهم الذين عاشوا في الدنيا كفارا ثم ماتوا على الكفر حرموا في الدنيا نعيم الايمان وفي الآخرة يخلدون في العقاب والهوان الرابع قوم خلقهم الله لخدمته دون جنته وهم الذين كانوا عاملين بطاعة الله ثم مكر بهم فطردوا عن باب الله تعالى وماتوا على الكفر فنسأل الله السلامة بمنه وكرمه خاتمة الخير (توبة قوم يونس عليه السلام) قال ابن مسعود وسعيد بن جبير ووهب ان قوم يونس كانوا بنينوى من أرض الموصل فارسل الله اليهم يونس عليه السلام يدعوهم الى الايمان فدعاهم فأبوا فقيل له أخبرهم أن العذاب مصبحهم الى ثلاث فأخبرهم بذلك فقالوا انا لم نجرب عليه كذبا فانظروا فان بات فيكم تلك الليلة فليس بشئ وان لم يبت فاعلموا أن البلاء مصبحكم فلما كان في جوف تلك الليلة خرج يونس من بين أظهرهم فلما أصبحوا غشيهم العذاب فكان فوق رؤسهم قدر ميل وقال وهب غامت السماء غيما أسود هائلا يدخن دخانا شديدا فهبط حتى غشي مدينتهم فلما رأوه وأيقنوا بالهلاك طلبوا نبيهم فلم يجدوه فقذف الله في قلوبهم التوبة فخرجوا الى الصعيد بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم ولبسوا المسوح وأظهروا الايمان والتوبة وأخلصوا النية وفرقوا بين كل والدة وولدها من الناس والانعام فحن بعضهم الى بعض وعلت أصواتهم وتضرعوا الى الله تعالى وقالوا آمنا بما جاء به يونس فرحمهم ربهم فكشف عنهم العذاب وذلك يوم عاشوراء وكان يونس ينتظر العذاب وهلاك قومه فلم ير شيئا وكان من كذب ولم تكن له بينة قتل فقال يونس كيف أرجع الى قومي وقد كذبتهم فأتى البحر فاذا قوم يركبون سفينة فحملوه بغير أجر وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه خرج مغاضبا لقومه فأتى بحر الروم فاذا سفينة فركبها فلما توسطت بهم السفينة تكفأت حتى كادوا أن يغرقوا فقال الملاحون ههنا رجل عاص أو عبد آبق وهذا رسم السفينة اذا كان فيها آبق لا تجري ومن رسمنا ان نقترع في مثل هذا فمن وقعت عليه القرعة ألقيناه في البحر ولأن يغرق واحد خير من أن تغرق السفينة بمن فيها فاقترعوا ثلاثا فوقعت القرعة فيها على يونس فقام وقال أنا الرجل العاصي والعبد الآبق فألقى نفسه في الماء فابتلعه حوت ثم جاء حوت أكبر منه وابتلع ذلك الحوت فأوحى الله الى الحوت لا تؤذ منه شعرة فاني جعلت بطنك سجناله ولم أجعله طعاما لك قال ابن مسعود فأهوى به الحوت الى قرار الارض السابعة وكان في بطنه أربعين ليلة فسمع تسبيح الحصى فنادى في الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين فاستجاب له ربه فأمر الحوت فنبذه على ساحل البحر وهو كالفرخ الممعط فأنبت الله عليه شجرة من يقطين وهو الدباء فجعل يستظل تحتها وقيض الله له وعلة يشرب لبنها حتى اشتد لحمه ونبت شعره وقوي فنام نومة فاستيقظ وقد يبست الشجرة فحزن حزنا شديدا وأصابه أذى الشمس فجعل يبكي فبعث الله جبريل اليه فقال أتحزن على شجرة ولا تحزن على مائة ألف أو يزيدون من أمتك وقد أسلموا وتابوا ونقل أبو عبد الله القرطبي عن الطبري أنه قال خص قوم يونس من بين الامم بأن تيب عليهم بعد معاينة العذاب يروى ذلك عن جماعة من المفسرين وقال الزجاج

(بيان أن التوبة اذا استجمعت شرائطها فهي مقبولة لا محالة) اعلم انك اذا فهمت معنى القبول لم تشك ان كل توبة صحت فلا بد أنها مقبولة فالناظرون بنور البصيرة الى أنوار القرآن علموا أن كل قلب سليم عند الله تعالى مقبول مستعد لان ينظر بعينه الباقية الى وجه الله تعالى وعلموا أن القلب خلق سليما في الاصل وانما تفوته السلامة بكدورة ترهق وجهه من غبرة الذنوب وظلمتها وعلموا أن نار الندم تحرق تلك الغبرة وأن نور الحسنة يمحو عن وجه القلب ظلمة السيئة وانه لا طاقة لظلمة المعاصي مع نور الحسنات كما لا طاقة لظلام الليل مع نور النهار وكما لا تبقى كدورة الوسخ مع بياض الصابون لا تبقى الذنوب مع نور التوبة والاستغفار والندم الا أن يكون والعياذ بالله قد أفسدت الذنوب جرم القلب لكثرتها ودوامها كما قال الله تعالى في حق الكفار كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وكما قال الله تعالى بل طبع الله على قلوبهم وذلك في حق الكفار والمنافقين أما المسلمون فلا قال عليه السلام لو عملتم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم ندمتم لتاب الله عليكم (بيان ما عنه التوبة) وهي الذنوب كلها وقد علمت ذلك فيما سبق ذكره في الصفات المذمومة وما يتولد منها من الاعمال فالتوبة عن الكبائر والصغائر جميعا وقد قبل

انهم لم ينفعهم رؤية العذاب وامارات أو العلامة التي تدل عليه ولو رأوا عين العذاب لما نفعهم الايمان قال القرطبي وقول الزجاج حسن فان المعاينة التي لا تنفع التوبة معها هي التلبس بالعذاب كقصة فرعون لانه آمن حين رأى العذاب فلم ينفعه ذلك وقوم يونس تابوا قبل ذلك و يعضد هذا قوله صلى الله عليه وسلم ان الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر والغرغرة الحشرجة وذلك هو حال التلبس بالموت وما قبل ذلك فلا والله أعلم *(حكايات ثمان * الاولى)* روى ان لقمان كان عبدا حبشيا فاشتراه رجل وجاء به الى داره وكان له ثلاث بنات يبغين في القرية فاراد أن يخرج الى ضيعة له فقال له اني قد أدخلت اليهن طعامهن وما يحتجن اليه فاغلق الباب ولا تفتحه حتى أجيء ففعل ذلك فقال له البنات افتح الباب فابى فشججنه فغسل الدم وجلس فلما قدم سيده لم يخبره بشئ ثم أراد سيده الخروج ثانيا فقال له مثل القول الاول ثم انهن شججنه فلما جاء مولاه لم يخبره بشئ فقالت الكبيرة منهن ما بال هذا العبد الحبشي أولى بطاعة الله عز وجل مني والله لأتوبن فتابت فقالت الصغيرة ما بال هذا العبد الحبشي وهذه الكبرى أولى بطاعة الله تعالى مني والله لأتوبن فتابت فقالت الوسطى ما بال هذا العبد الحبشي وهاتين أولى بطاعة الله تعالى مني فتابت فقالت غواة القرية ما بال هذا العبد الحبشي و بنات فلان أولى بطاعة الله تعالى منا والله لنتوبن فتاب الجميع وصاروا عباد القرية رضي الله عنهم *(الحكاية الثانية)* روى أنه كان في بني اسرائيل شاب عبد الله عشرين سنة ثم عصى الله عشرين سنة ثم نظر في المرآة فرأى الشيب في لحيته فساءه ذلك فقال الهي أطعتك عشرين سنة ثم عصيتك عشرين سنة فان رجعت اليك أتقبلني فسمع قائلا يقول ولا يرى شخصا أحببتنا فأحببناك وتركتنا فتركناك وعصيتنا فامهلناك فان رجعت الينا قبلناك *(الحكاية الثالثة)* قيل كان الفضيل بن عياض رحمه الله يقطع الطريق وسبب توبته أنه كان يعشق جارية فبينما هو ذات ليلة يرتقي الجدار اليها اذ سمع تاليا يقرأ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله فقال بلى يارب قد آن فآواه الليل الى خربة واذا فيها رفقة فقال بعضهم نرتحل وقال بعضهم حتى نصبح فان فضيلا على الطريق يقطعه علينا فتاب فضيل وأمنهم وجاور الحرم الى أن مات فيه رضي الله عنه (الحكاية الرابعة) قال الشيخ عبد الواحد بن زيد رحمه الله كنت في مركب فطرحتنا الريح الى جزيرة فاذا فيها رجل يعبد صنما فقلنا يا رجل من تعبد فأومأ الى الصنم فقلنا له ان الهك هذا مصنوع وعندنا من يصنع مثله ما هذا باله يعبد قال فانتم من تعبدون قلنا نعبد الذي في السماء عرشه وفي الارض بطشه وفي الاحياء والاموات قضاؤه تقدست أسماؤه وجلت عظمته وكبرياؤه قال ومن أعلمكم بهذا قلنا وجه الينا هذا الملك رسولا كريما فأخبرنا بذلك قال فما فعل الرسول قلنا لما أدى الرسالة قبضه الله اليه واختار له ما لديه قال فهل ترك عندكم من علامة قلنا نعم ترك عندنا كتاب الملك قال فأروني كتاب الملك فانه ينبغي أن تكون كتب الملوك حسانا فاتيناه بالمصحف فقرأنا عليه سورة فلم يزل يبكي حتى ختمنا السورة فقال ينبغي أن صاحب هذا الكلام لا يعصى ثم أسلم وحسن اسلامه وعلمناه شرائع الدين وسورا من القرآن فلما كان الليل صلينا العشاء وأخذنا مضاجعنا فقال يا قوم هذا الاله الذي دللتموني عليه ينام قلنا لا يا عبد الله هو عظيم قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ثم قال فبئس العبيد أنتم تنامون ومولاكم لا ينام فاعجبنا كلامه فلما قدمنا عبادان قلت لأصحابي هذا قريب عهد بالاسلام فجملنا له دراهم وأعطيناه فقال ما هذا قلنا دراهم تنفقها فقال لا اله الا الله دللتموني على طريق ولم تسلكوها أنا كنت في جزائر البحر أعبد صنما من دونه فلم يضيعني وأنا لا أعرفه فكيف يضيعني الآن وأنا أعرفه فلما كان بعد ثلاثة أيام قيل لي انه في الموت فقلت له هل من حاجة قال قد قضى حوائجي من جاء بكم الى الجزيرة فقال عبد الواحد فغلبتني عيني فنمت عنده فرأيت روضة خضراء فيها قبة وفي القبة سرير وعلى السرير جارية حسناء لم ير أحسن منها وهي تقول بالله الا ما عجلتم به الي فقد اشتد شوقي اليه فاستيقظت فاذا به قد فارق الدنيا فغسلته وكفنته وواريته فلما كان الليل رأيت في منامي تلك الروضة وفيها تلك القبة وعلى ذلك السرير تلك الجارية

لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار فاذا عرفت ذلك فاعلم أن ما يتعلق به حق الغير لا تصح التوبة عنه الا بتحكيمه وتفويض الامر اليه كالقصاص والمظالم وأنواع الغرامات وحد القذف هذا لمن أراد التوبة ومن امتنع عنها فطريق حل عقدة الاصرار عن قلبه أن تخوفه بما ورد من الآيات والاخبار في أحوال المذنبين وتذكره بحال من مات على الفسق والتسويف قبل التوبة وعقوبته وتبين له أن العقوبة قد تعجل في الدنيا حتى انه ان كان أعمى عن عقوبة الآخرة فلعله أن يخاف الخذلان في الدنيا والله أعلم

(الباب الثاني والثلاثون في الصبر والشكر)

اعلم أن الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر على ما شهدت به الاخبار والآثار أما الصبر فقد قال الله تعالى في الثناء عليه وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وقال تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا وقال تعالى ولنجزين الذين صبروا وسئل عليه السلام عن الايمان فقال الصبر والسماحة وقال عليه السلام الصبر كنز من كنوز الجنة (بيان حقيقة الصبر) اعلم أنه مركب من العلم والحال والعمل فالعلم فيه كالشجر والحال كالاغصان والعمل كالثمار فتعلم أن المصلحة الدينية في الصبر فتورث ذلك قوة وداعية متقاضية لفعل الصبر وذلك اما على عبادة

وهو

وهو الى جانبها وهو يقرأ هذه الآية والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار رضي الله عنه *(الحكاية الخامسة)* حكى أن رابعة العدوية كانت تصلي ذات ليلة فدخل عليها لص فنظر في البيت يمينا وشمالا فلم ير شيأ غير ابريق كانت تتوضأ به فقالت له رابعة يا هذا ان كنت من الشطار فلا تخرج الا بشئ فقال اني لم أجد شيأ فقالت يا مسكين توضأ من هذا الابريق وادخل الى هذا المخدع وصل ركعتين فانك لا تخرج الا بشئ ففعل ما أمرته رابعة فلما قام يصلي رفعت طرفها الى السماء فقالت سيدي ومولاي هذا قد أتى الي فلم يجد عندي شيأ وقد أوقفته على بابك فلا تحرمه جزيل ثوابك فاذن له العبادة فلم يزل يصلي الى آخر الليل فدخلت رابعة عند السحر فوجدته ساجدا يتذلل بين يدي مولاه فقالت له كيف كانت ليلتك قال بخير وقفت بين يدي مولاي بذلي وفقري فجبر كسري وقبل عذري ثم خرج هائما على وجهه فرفعت رابعة رأسها الى السماء وقالت مولاي هذا عبد وقف ببابك ساعة واحدة فقبلته وأنا منذ عرفتك بين يديك أفتراك قبلتني أم لا فنوديت في سرها يا رابعة من أجلك قربناه وبدعائك قبلناه *(الحكاية السادسة)* عن ذي النون المصري رضي الله عنه قال بينما أنا أمشي على شاطئ النيل اذ رأيت عقربا تدب قال فأخذت حجرا وأردت قتلها فهربت مسرعة فوقعت على شاطئ النيل فخرجت ضفدعة فوثب العقرب على ظهرها فعامت بها حتى خرجت بها الى الجانب الآخر فتبعتها فلما نزلت العقرب عن ظهرها واذا برجل سكران نائم وثعبان قد أقبل اليه ليلدغه فاسرعت العقرب الى الثعبان فلدغته لدغة تقطع الثعبان منها قطعا فايقظت ذلك الرجل من نومه فقام فزعا مرعوبا فلما رأى الثعبان ولى هاربا فقلت له لا تخف قد كفيت أمره وقصصت عليه القصة فاطرق رأسه ثم رفعه الى السماء وقال يارب هكذا تفعل بمن عصاك فكيف بمن أطاعك وعزتك وجلالك لا عصيتك بعدها ثم ولى باكيا وهو يقول

يا راقدا والجليل يحرسه * من كل سوء يدب في الظلم

كيف تنام العيون عن ملك * ومنه تأتي فوائد النعم

(الحكاية السابعة) عن بعض الاكراد ممن كان يقطع الطريق وينهب الاموال قال بينما أنا وجماعة من أصحابي جلوس وقد خرجنا لقطع الطريق وانتهينا الى مكان فيه ثلاث نخلات واحدة منهن ليس فيها ثمر واذا بعصفور يحمل رطبة من نخلة مثمرة الى رأس النخلة التي ليس فيها ثمر حتى تكرر منه ذلك عشر مرات وأنا أنظر فخطر بقلبي أن أقوم وأنظر فصعدت النخلة فاذا في رأسها حية عمياء فاتحة فاها والعصفور يضع الرطب في فيها فبكيت وقلت سيدي هذه حية قد أمر نبيك بقتلها فلما أعميتها أقمت لها عصفورا يقوم لها بالكفاية وأنا عبدك وأقر بانك واحد أقمتني لقطع الطريق واخافة السبيل فوقع بقلبي يا فلان بابي مفتوح فكسرت سيفي ووضعت التراب على رأسي وصحت الاقالة فاذا أنا بهاتف يقول قد أقلناك قد أقلناك فاتيت رفاقي فقالوا ما لك قد أزعجتنا فقلت كنت مهجورا وقد صولحت وحكيت لهم القصة فقالوا ونحن نصالح أيضا فرمينا السلاح وثيابنا وأحرمنا وقصدنا مكة وأقمنا نمشي ثلاثة أيام ثم دخلنا قرية فاذا نحن بعجوز عمياء فررنا عليها فسألتنا أفيكم فلان الكردي قلنا نعم فاخرجت الينا ثيابا وقالت مات ولدي وخلف هذه الثياب فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام ثلاث ليال يقول أعطى هذه الثياب لفلان الكردي قال فاخذتها فاكتسيت بها أنا وأصحابي ثم مضيت الى أن أتينا مكة *(الحكاية الثامنة)* سئل مالك بن دينار رحمه الله عن سبب توبته فقال كنت شرطيا وكنت منهمكا على شرب الخمور ثم اني اشتريت جارية نفيسة فوقعت مني أحسن موقع فولدت لي بنتا فشغفت بها فلما دبت على الارض ازدادت في قلبي حبا وألفتني وألفتها فكنت اذا وضعت المسكر جاءت الي وجاذبتني اياه وأهرقته على ثوبي فلما تم لها سنتان ماتت فاكمدني الحزن عليها فلما كانت ليلة النصف من شعبان وكانت ليلة الجمعة بت ثملا من الخمر ولم أصل صلاة العشاء فرأيت كأن أهل القبور قد خرجوا وحشر الخلائق وأنا معهم فسمعت حسا من ورائي فالتفت فاذا أنا بتنين أعظم ما يكون أسود أزرق

أو عن امضاء شهوة وهو في جميع الاحوال مدفوع الى نوع من الصبر حتى لا يتجاوز في المباحات عن حد الاعتدال الى حد الاسراف وأما الصبر على العبادة بان يعلم أنه يصبر أياما قلائل ويسعد في مقالته أبد الآبدين ويحتاج فيه الى الصبر عن افشائه وافساده بالرياء وأعظم الصبر ما يلزمه في الامساك عن الشهوات والاسترسال على موجبها كما سبق ذكره ومما يلزمه الصبر عليه هو ان يجني عليه انسان بقول أو فعل قال بعض الصحابة رضي الله عنه ما كنا نعد ايمان الرجل ايمانا اذا لم يصبر على الاذى وقال تعالى ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون وهذا الصبر تارة على نفس الفعل واحتماله وتارة على المكافاة وفيهما تمام الايمان (القسم الآخر) ما يهجم من غير اختيار كالمصائب من الامراض وذهاب العين وفساد الاعضاء وموت الاعزاء قال ابن عباس رضي الله عنه الصبر في القرآن على ثلاثة أوجه صبر على أداء الفرائض لله تعالى فله ثلاثمائة درجة وصبر عن محارم الله تعالى وله ستمائة درجة وصبر في المصيبة عند الصدمة الاولى وله تسعمائة درجة وقد قيل ان الصبر الجميل هو أن لا يعرف من صاحب المصيبة ولا يمكن الوصول الى هذا الا برياضة طويلة في مدة مديدة والله أعلم

أما الشكر ففضيلته ان الله تعالى قرنه بالذكر مع أنه قال ولذكر الله أكبر وقال تعالى فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون وقال

قد فتح فاه مسرعا نحوى ففررت بين يديه هاربا فزعا مرعوبا فمررت فى طريقى واذا بشيخ نقى الثياب طيب الرائحة فسلمت عليه فرد على السلام فقلت أجرنى وأغثنى فقال أنا ضعيف وهذا أقوى منى وما أقدر عليه ولكن سر واسرع لعل الله يسبب ما ينجيك منه فوليت هاربا على وجهى فصعدت على شرف من شرف القيامة فاشرفت على طبقات النيران فنظرت الى هولها فكدت أهوى فيها من فزع التنين وهو فى طلبى فصاح بى صائح ارجع فلست من أهلها فاطمأننت الى قوله ورجعت ورجع التنين فى طلبى فاتيت الشيخ فقلت يا شيخ سألتك أن تجيرنى من هذا التنين فلم تفعل فبكى الشيخ وقال أنا ضعيف ولكن سر الى هذا الجبل فان فيه ودائع المسلمين فان كان لك فيه وديعة فستنصرك فنظرت الى جبل مستدير فيه كوى مخرقة وستور معلقة على كل خوخة وكوة مصراع من الذهب الاحمر مفصصة باليواقيت مكوكبة بالدر وعلى كل مصراع ستر من الحرير فلما نظرت الى الجبل هربت اليه والتنين ورائى حتى اذا قربت منه صاح بعض الملائكة ارفعوا الستور وافتحوا المصاريع واشرفوا فلعل لهذا البائس فيكم وديعة تجيره من عدوه فاذا الستور قد رفعت والمصاريع قد فتحت فاشرف على أطفال بوجوه كالاقمار وقرب التنين منى فتحيرت فى أمرى فصاح بعض الاطفال ويحكم اشرفوا كلكم فقد قرب منه فاشرفوا فوجا بعد فوج واذا بابنتى التى ماتت أشرفت على معهم فلما رأتنى بكت وقالت أبى والله ثم وثبت فى كفة من نور كرمية السهم حتى مثلت بين يدى فمدت يدها الشمال الى يدى اليمنى فتعلقت بها ومدت يدها اليمنى الى التنين فولى هاربا ثم أجلستنى وقعدت فى حجرى وضربت بيدها اليمنى الى لحيتى وقالت يا أبت ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله فبكيت وقلت يا بنية وأنتم تعرفون القرآن فقالت يا أبت نحن أعرف به منكم قلت فاخبرينى عن التنين الذى أراد أن يهلكنى قالت ذاك عملك السوء قويته فاراد أن يغرقك فى نار جهنم قلت فاخبرينى عن الشيخ الذى مررت به فى طريقى قالت يا أبت ذاك عملك الصالح أضعفته حتى لم يكن له طاقة بعملك السوء قلت يا بنية وما تصنعون فى هذا الجبل قالت نحن أطفال المسلمين قد أسكنا فيه الى أن تقوم الساعة ننتظركم تقدمون علينا ونشفع لكم فانتبهت فزعا فلما أصبحت فارقت ما كنت عليه وتبت الى الله عز وجل

(كتاب الصبر والحمد والشكر وفيه ثلاثة أبواب)

(الباب الاول فى الصبر)

قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين أى استعينوا بالصبر على قطع مفاوز الآخرة والسلامة من شدائدها بالصبر لله على ما تكرهون وحبس نفوسكم عما تشتهون وأكثروا من الصلاة فانها مفتاح المناجاة مع المولى الرحيم وفيها راحة للقلوب بمخاطبة الملك الكريم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلت قرة عينى فى الصلاة ويقال استعينوا بالصبر على قطع شدائد الدنيا واستعينوا بالصلاة على قطع شدائد الآخرة وقال ابن عباس رضى الله عنهما استعينوا بالصبر على أداء الفرائض وبالصلاة على تمحيص الذنوب وقال مجاهد الصبر ههنا الصوم فمعناه استعينوا بالصوم والصلاة على نيل ما ترجون ودفع ما تخافون كان عيسى عليه السلام يقول والله انكم لن تنالوا ما تطلبون الا بترك ما تشتهون وقال الله تعالى وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون أى أموالنا لله ونحن عبيده يصنع بنا ما شاء أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون الى الاسترجاع وقيل الى الحق والصواب وقيل الى الجنة والثواب قال عمر رضى الله عنه نعم العدلان ونعم العلاوة فالعدلان الصلاة والرحمة والعلاوة الهداية وقالت أم سلمة رضى الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله به انا لله وانا اليه راجعون اللهم أجرنى فى مصيبتى واخلف لى خيرا منها الا أخلف الله له خيرا منها فلما مات أبو سلمة قلت أى المسلمين خير من أبى سلمة أول بيت هاجر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انى قلتها فاخلف الله لى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال سعيد بن جبير ما أعطى أحد فى المصيبة ما أعطى هذه الامة يعنى الاسترجاع ولو أعطيها أحد لأعطيها يعقوب ألا تسمع الى قوله فى قصة يوسف يا أسفا على يوسف وقال

تعالى يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون أى اصبروا على طاعة الله وصابروا أعداء الله ورابطوا فى سبيل الله وقال سرى السقطى رحمه الله اصبروا عن الدنيا رجاء السلامة وصابروا عند القتال بالثبات والاستقامة ورابطوا أهواء النفس اللوامة واتقوا ما يعقب لكم الندامة لعلكم تفلحون غدا على بساط الكرامة وقيل اصبروا على بلائى وصابروا على نعمائى ورابطوا فى دار أعدائى واتقوا محبة من سواى لعلكم تفلحون بلقائى وقال تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وفى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ما أعطى أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر وقال صلى الله عليه وسلم عجبا لامر المؤمن ان أمره كله له خير وليس ذلك لاحد الا للمؤمن ان أصابته سراء شكر فكان خيرا له وان أصابته ضراء صبر فكان خيرا له رواه مسلم وعن عائشة رضى الله عنها أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطاعون فاخبرها انه كان عذابا يبعثه الله على من يشاء فجعله الله رحمة للمؤمنين فليس من عبد يقع فى الطاعون فيمكث فى بلده صابرا محتسبا يعلم أنه لا يصيبه الا ما كتب الله له الا كان له مثل أجر شهيد رواه البخارى وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قال اذا ابتليت عبدى بحبيبتيه فصبر عوضته منهما الجنة يريد عينيه رواه البخارى وقال صلى الله عليه وسلم ان عظم الجزاء مع عظم البلاء وان الله تعالى اذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضى فله الرضا ومن سخط فله السخط حسنه الترمذى قال صلى الله عليه وسلم ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة فى نفسه وولده وماله حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وقال صلى الله عليه وسلم ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من خطاياه رواه البخارى ومسلم والوصب المرض اللازم ومنه قوله تعالى ولهم عذاب واصب وقال صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يصب منه رواه البخارى قال النووى وضبطوا يصب بفتح الصاد وكسرها وقال صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة قبضتم ولد عبدى فيقولون نعم فيقول قبضتم ثمرة فؤاده فيقولون نعم فيقول ماذا قال عبدى فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله عز وجل ابنوا لعبدى بيتا فى الجنة وسموه بيت الحمد وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى ما لعبدى المؤمن عندى جزاء اذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه الا الجنة وقال صلى الله عليه وسلم من سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله له ومن شقاوة ابن آدم تركه استخارة الله وسخطه بما قضى الله له وسئل صلى الله عليه وسلم عن الايمان فقال الصبر والسماحة وقال صلى الله عليه وسلم الصبر كنز من كنوز الجنة ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الانصار فقال أمؤمنون أنتم فسكتوا فقال عمر رضى الله عنه نعم يا رسول الله فقال وما علامة ايمانكم فقالوا نشكر على الرخاء ونصبر على البلاء ونرضى بالقضاء فقال صلى الله عليه وسلم مؤمنون ورب الكعبة وقال صلى الله عليه وسلم أشد الناس بلاء الانبياء ثم الصالحون الامثل فالامثل عن أبى بكر رضى الله عنه قال قلت كيف الصلاح يا رسول الله بعد هذه الآية من يعمل سوءا يجز به قال غفر لك يا أبا بكر ألست تمرض ألست تنصب ألست تصيبك اللأواء قال فذلك ما تجزون به وقال على كرم الله وجهه ألا أخبركم بافضل آية فى كتاب الله عز وجل حدثنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أصابكم من مصيبة الآية قال وسأفسرها لك يا على ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء فى الدنيا فبما كسبت أيديكم والله عز وجل أكرم من أن يثنى عليه العقوبة فى الآخرة وما عفا الله عنه فى الدنيا فالله تعالى أحلم من أن يعود بعد عفوه وقال عكرمة ما من نكبة أصابت عبدا فما فوقها الا بذنب لم يكن الله عز وجل ليغفره الا بها أو درجة لم يكن الله ليبلغه الا بها وروى أنه قال أكثر أهل الجنة البله وقال صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن مثل الزرع لا تزال الريح تميله ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء ومثل المنافق كمثل شجرة الارزة لا تهتز حتى تستحصد وقال صلى الله عليه وسلم الشهداء خمسة المطعون والمبطون والغريق وصاحب الهدم والشهيد فى سبيل الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتله بطنه لم يعذب فى قبره وقال صلى الله عليه وسلم من أصيب بمصيبة فى ماله أو فى نفسه فكتمها ولم يشكها الى الناس كان حقا على الله أن يغفر له وقال على رضى الله عنه بنى الايمان على أربع دعائم اليقين والصبر والجهاد

تعالى ويجزى الله الشاكرين وقال تعالى وقليل من عبادى الشكور ومن الاخبار قوله عليه السلام الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر والشكر أن يعرف أنه لا منعم الا الله ثم اذا عرفت تفاصيل نعمة الله عليك فى أعضائك وجسدك وروحك وجميع ما تحتاج اليه من أمور معيشتك ظهر فى قلبك فرح بالله وبنعمته وتفضله عليك ثم تحرص فى العمل بموجبه وذلك بالقلب واللسان وسائر الجوارح أما بالقلب فبأن يضمر الخير لجميع الخلق ويحضره أبدا فى ذكر الله تعالى فلا ينساه وأما باللسان فتظهر به الشكر بالتحميدات الدالة عليه وأما بالجوارح فباستعمال نعم الله تعالى فى طاعته والتوقى من الاستعانة بنعمته على معصيته فشكر العين أن تستر كل عيب تراه من مسلم ولا تنظر بها الى المعاصى وشكر الاذنين أن تستر ما تسمع من العيوب ولا تسمع بهما الا ما أباح لك وقد قال صلى الله عليه وسلم لرجل كيف أصبحت قال بخير فأعاد السؤال فأعاد الجواب حتى قال فى الثالثة بخير أحمد الله تعالى وأشكره قال عليه الصلاة والسلام هذا الذى أردت منك وكل أحد اذا سئل عن شئ فهو بين أن يشكر فيكون به مطيعا أو يشكو فيكون به عاصيا فان قال قائل ما معنى الشكر والشكر نعمة ثانية من الله تعالى فنقول هذا السؤال قد خطر ببال داود وموسى عليهما السلام فقال موسى عليه السلام كيف أشكرك وأنا لا أستطيع أن أشكرك الا بنعمة ثانية من نعمك فأوحى الله تعالى اليه اذا عرفت هذا فقد شكرتنى وفى خبر آخر اذا عرفت أن النعم منى رضيت بذلك منك شكرا فان قلت لم أفهم هذا الجواب فان العلم أيضا نعمة منه ثالثة فاعلم أن هذا قرع باب من التوحيد وهو انه الشاكر والمشكور والمحب والمحبوب ولا شئ فى الوجود سوى الله وان كل شئ هالك الا وجهه وهذا صدق أزلا وأبدا اذ ليس فى الوجود شئ سوى الله له قيام بذاته فهو القائم بذاته وكل ما سواه فقائم به فهو القيوم الحى فاذا ليس فى الوجود غير القيوم الحى فهو الشاكر والمشكور والمحب والمحبوب ومن ههنا نظر حبيب بن أبى حبيب حيث قرأ قوله تعالى انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب فقال واعجباه أعطى وأثنى أشار الى انه اذا أثنى على عطائه فعلى نفسه أثنى فهو المثنى وهو المثنى عليه ومن ههنا نظر الشيخ أبو سعيد المهنى حيث قرئ بين يديه يحبهم ويحبونه فقال لعمرى يحبهم ودعه يحبهم فبحق يحبهم لانه انما يحب نفسه أشار به الى أنه المحب وأنه المحبوب وهذه رتبة عالية لا تصل الى فهمك الا مثال على قدر عقلك وذلك انه لا يخفى عليك أن المصنف اذا أحب تصنيفه فقد أحب نفسه والصانع اذا أحب صنعته فقد أحب نفسه والوالد اذا أحب ولده من حيث انه ولده فقد أحب نفسه وكل ما فى الوجود

والعدل وقال أيضا الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا جسد لمن لا رأس له ولا ايمان لمن لا صبر له وقال عمر رضى الله عنه لابى موسى الاشعرى عليك بالصبر واعلم أن الصبر صبران أحدهما أفضل من الآخر الصبر فى المصيبات حسن وأفضل منه الصبر عما حرم الله تعالى وكان حبيب بن ابى حبيب اذا قرأ انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب بكى وقال واعجباه أعطى وأثنى وقال على كرم الله وجهه كل مطيع يكال له كيلا ويوزن له وزنا الا الصابرون فانهم يحثى لهم حثيا ويروى يؤتى باهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصب عليهم الاجر صبا بغير حساب قال الله تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب حتى يتمنى أهل العافية فى الدنيا أن أجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به أهل البلاء من الفضل وقال أنس ابن مالك رضى الله عنه لابى ظلال يا أبا ظلال متى فقدت بصرك فقال وأنا صبى لا أعقل فقال أنس حدثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى قال يا جبريل ما جزاء من سلبته كريمته فقال سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا قال جزاؤه الخلود فى دارى والنظر الى وجهى *(فصل)* قال العلماء رحمهم الله تعالى الصبر على ثلاثة أضرب صبر لله عز وجل وهو الصبر على أداء أمره والانتهاء عما نهى عنه وصبر مع الله تعالى وهو الصبر تحت جريان قضائه وأفعاله فيك من سائر الشدائد والبلايا وصبر على الله تعالى وهو الصبر على وعده من الرزق والفرج والثواب فى دار الآخرة قال ابراهيم الخواص رحمه الله تعالى الصبر هو الثبات على الكتاب والسنة وقال ابن عطاء الصبر الوقوف مع البلاء بحسن الادب وقال أبو على الدقاق رحمه الله تعالى حقيقة الصبر أن لا يعترض على المقدور فاما اظهار البلاء لا على جهة الشكوى فلا ينافى الصبر قال الله تعالى فى أيوب صلى الله عليه وسلم انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب مع أنه قال مسنى الضر والله أعلم

(قصة أيوب عليه الصلاة والسلام)

روى أن أيوب عليه السلام كان بمنزلة الملك وكانت له أموال من أصناف مختلفة وضياع كثيرة وكان متعبدا كثير الصدقة والاحسان الى المساكين والارامل فحسده ابليس وقال هذا يذهب بخير الدنيا والآخرة فسأل الله تعالى وقال ان عبدك أيوب يعبدك لانك أعطيته فشكرك وعافيته فحمدك ولو ابتليته بنزع ما أعطيته لم يعبدك ولم يشكرك قال الله تعالى انطلق فقد سلطتك على ماله فجمع ابليس جنده وقال لهم ما عندكم من القوة فانى قد سلطت على مال أيوب فقال عفريت أعطيت من القوة ما اذا شئت تحولت اعصارا من نار فاحرقت كل شئ آتى عليه قال له ابليس فائت الابل ورعاتها فاتاها فاحرقها جميعها ثم جاء ابليس الى أيوب فى صورة راع فقال له جاءت نار فاحرقت ابلك فقال أيوب الحمد لله الذى هو أعطاها وهو أخذها عريانا خرجت من بطن أمى وعريانا أحشر فرجع ابليس الى أصحابه خاسئا فقال لهم ما عندكم من القوة فانى لم أكلم قلبه قال عفريت عندى من القوة ما اذا شئت صحت صيحة لا يسمعها ذو روح الا خرجت مهجة نفسه قال ابليس فائت الغنم ورعاتها فانطلق حتى توسطها فصاح صيحة فماتت هى ورعاتها فجاء ابليس فتمثل بقهرمان الرعاة الى أيوب وهو يصلى فقال له مثل القول الاول فرد أيوب عليه مثل الرد الاول ثم رجع ابليس الى أصحابه فقال ماذا عندكم من القوة فانى لم أكلم قلب أيوب فقال عفريت عندى من القوة ما اذا شئت تحولت ريحا عاصفا تنسف كل شئ تأتى عليه قال فائت الفدادين والحرث فانطلق ولم يشعر حتى هبت ريح عاصف فنسفت كل شئ من ذلك حتى كأنه لم يكن ثم جاء ابليس متمثلا بقهرمان الحرث الى أيوب وهو قائم يصلى فقال له مثل قوله الاول فرد عليه أيوب مثل الرد الاول كلما انتهى اليه هلاك مال من أمواله حمد الله تعالى فلما رأى ابليس أنه قد أفنى ماله قال الهى ان أيوب يرى أنك ما متعته بولده فانت معطيه المال فسلطنى على ولده قال الله تعالى سلطتك عليهم فجاءهم وهم فى قصورهم فهدمها عليهم فهلكوا جميعا فانطلق الى أيوب فى صورة المعلم الذى كان يعلمهم الحكمة وهو جريح مشدوخ الوجه فقال كيف لو رأيت بنيك قد عذبوا تسيل دماؤهم ودماغهم فرق قلب أيوب فبكى ثم انه ندم على ذلك واستغفر وحمد الله تعالى فقال ابليس الهى انما هون على أيوب المال والولد لانه يرى أنك ما متعته بنفسه فانت تعيد له المال والولد

سوى الله تعالى فهو تصنيف الله وصنعته فان أحبه فما أحب الا نفسه وهذا نظر بعين التوحيد واليه الاشارة بقول الصوفية حيث يقولون فنى عن نفسه وعن غير الله فلم ير الا الله والناس لا يفهمون هذا فينكرون عليهم ويقولون كيف فنى وطول ظله كما كان وهو فى اليوم والليلة يأكل ارطالا من الطعام ويضحكون عليهم من جهلهم وشرط العارفين أن يكونوا ضحكة للجاهلين واليه الاشارة بقوله تعالى ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون الى قوله فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون الآية رجعنا الى ما كنا فيه فنقول الشكر هو استعمال النعمة فى الطريق الذى خلق له ومثاله ان ملكا بعث الى بعض غلمانه فرسا بجميع ما يحتاج اليه ليركب اليه فان ركبه اليه واستعمله فى الطريق الذى بعث له كان مستعملا للنعمة فيما هى له وان ركبه وتباعد عن الملك فهو سفه وكفران للنعمة والله أعلم

(الباب الثالث والثلاثون فى الرجاء والخوف)

اعلم أن الرجاء من مقامات السالكين وأحوال الطالبين وانما يسمى الوصف حالا ما دام يعرض ويزول ويسمى مقاما اذا ثبت فنقول اعلم ان المنتظر فيما بعد اذا كان مما يتألم به القلب سمى خوفا واذا كان مما يفرح به القلب سمى رجاء فاذا الرجاء ارتياح القلب لانتظار ما هو محبوب ولكن لا بد أن يكون له سبب فان كان قد حصل أكثر أسبابه فيصدق اسم الرجاء عليه وان كان

فسلطنى

فسلطنى على جسده فقال سلطتك على جسده لا على لسانه وقلبه فجاءه وهو ساجد فنفخ فى منخره نفخة فاشتعل منها جسده فخرج من فرقه الى قدمه ثآليل مثل أليات الغنم ووقعت فيه حكة فجعل يحكها باظفاره حتى سقطت كلها ثم حكها بالمسوح الخشنة حتى قطعت ثم حكها بالفخار والحجارة الخشنة فلم يزل يحكها حتى تقطع لحمه وأنتن فاخرجه أهل القرية فجعلوه على كناسة ورفضه جميع الخلق غير امرأته وهى رحمة بنت افرائيم بن يوسف كانت تختلف اليه بما يصلحه قال الحسن مكث أيوب مطروحا فى مزبلة سبع سنين وأشهرا تختلف فيه الدواب لا يقربه أحد غير رحمة صبرت معه تأتيه بطعام وتحمد الله معه اذا حمد وأيوب على ذلك لا يفتر عن ذكر الله تعالى والصبر على ما ابتلاه فصرخ ابليس صرخة جمع فيها جنوده فقالوا ما لك قال اعيانى هذا العبد الذى لم أدع له مالا ولا ولدا فلم يزدد الا صبرا ثم سلطت على جسده واستشارهم فقالوا من أين أتيت آدم حين أخرجته من الجنة قال من قبل امرأته فقالوا فائت أيوب من قبل امرأته فانه لا يستطيع أن يخالفها وليس أحد يأتيه غيرها قال أصبتم فاتاها فى صورة رجل فذكر لها ما كان من الغنم والمال وجمال أيوب وما هو فيه من الضر فصرخت فاتاها بسخلة قال ليذبحها الى فيبرأ فأتت أيوب فقالت الى متى هذا أين الولد والمال أين الصديق أين جسمك الحسن اذبح هذه السخلة واسترح قال لها أتاك عدو الله فنفخ فيك ويلك من أعطانا المال والاولاد والصحة قالت الله قال فكم متعنا به قالت ثمانين سنة قال فمنذ كم ابتلانا قالت منذ سبع سنين قال ويلك ألا صبرت ثمانين سنة والله لئن شفانى الله لاجلدنك مائة جلدة أمرتينى أن أذبح لغير الله طعامك وشرابك على حرام فاذهبى عنى فذهبت فلما نظر أيوب وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق خر ساجدا وقال رب انى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين فقيل له ارفع رأسك فقد استجيب لك أركض برجلك فركض فنبعت عين ماء فاغتسل منها فلم يبق عليه شئ من دائه الظاهر الا سقط وعاد اليه شبابه وجماله أحسن ما كان ثم ضرب برجله فنبعت عين أخرى فشرب منها فلم يبق فى جوفه داء الا خرج فقام صحيحا وكسى حلة قال فجعل يلتفت فلا يرى شيأ مما كان له من أهل ومال الا وقد أضعفه الله قال الحسن فجلس على مكان مشرف ثم ان امرأته قالت ان كان طردنى الى من أكله أدعه يموت جوعا لارجعن اليه فرجعت فلم تر كناسة ولا الحال التى كانت فجعلت تبكى وهابت صاحب الحلة أن تسأله فدعاها فقال لها ما تريدين يا أمة الله فبكت وقالت ما أدرى ما فعل ذلك المبتلى الذى كان مطروحا على الكناسة فقال لها ما كان منك فبكت وقالت بعلى قال فهل تعرفينه اذا رأيته قالت وهل يخفى على أحد ثم انها قالت انه أشبه خلق الله بك اذ كان صحيحا فقال أنا أيوب الذى أمرتينى ان أذبح لابليس وانى أطعت الله وعصيت الشيطان ودعوت الله سبحانه وتعالى فرد على ما ترين ثم ان الله رحم رحمة بصبرها وأراد أن يبر يمين أيوب فامره أن يأخذ ضغثا يشتمل على مائة عود فضربها به ضربة واحدة قال وهب وغيره كانت امرأة أيوب تعمل للناس وتجيئه بقوته فلما طال عليه البلاء وسئمها الناس فلم يستعملها أحد فلم تجد ما تطعمه فجزت قرنا من رأسها فباعته برغيف فاتته به فقال لها أين قرنك فاخبرته فحينئذ قال رب انى مسنى الضر وقيل انما قال ذلك حين قصد الدود قلبه ولسانه فخشى أن يفتر عن الذكر والفكر وقال حبيب بن أبى ثابت لم يدع الله بالكشف حتى ظهر له ثلاثة أشياء (أحدها) قدم عليه صديقان حين بلغهما خبره فرأيا أمرا أعظماه فقالا لو كان لك عند الله منزلة ما أصابك هذا (والثانى) ان امرأته طلبت طعاما فلم تجده فباعت ذؤابتها (والثالث) قول ابليس أداويه على أن يقول أنت شفيتنى وقيل قال ذلك حين وقعت دودة من جسده فردها الى موضعها فقال كلى قد جعلنى الله طعامك فعضته عضة زاد ألمها على جميع ما قاسى من عض الديدان والله أعلم قال القرطبى رحمه الله فى التذكرة فى الحديث ان أربعة يستشهد عليهم بأربعة ينادى بالاغنياء وأهل الغبطة يقال لهم ما شغلكم عن عبادة الله فيقولون أعطانا الله ملكا وغبطة شغلنا عن القيام بحقه فى دار الدنيا فيقال من أعظم ملكا أنتم أم سليمان فيقولون بلى سليمان فيقال لهم ما شغله ذلك عن القيام فى حق الله والدأب فى ذكره ثم يقال أين أهل البلاء فيؤتى بهم أنواعا فيقال لهم أى شئ شغلكم عن عبادة الله فيقولون ابتلانا الله فى دار الدنيا بأنواع من

انتظارا مع انخرام أسبابه فاسم الغرور عليه أصدق وان تعادل طرفا حصول الاسباب وانتفائها كان اسم التمنى عليه أصدق وقد علم أرباب القلوب ان الدنيا مزرعة الآخرة والقلب كالارض والايمان كالبذر فيه والطاعات جارية مجرى سقى الماء وقلب الارض وامدادها بما يقويها والقلب المستهتر بالدنيا المستغرق بها كالارض السبخة التى لا ينمو فيها البذر ويوم القيامة يوم الحصاد ولا يحصد أحد الا ما زرع ولا ينمو زرع الا من بذر الايمان وقلما ينمو الايمان مع خبث القلب وسوء أخلاقه كما لا ينمو بذر فى الارض السبخة فمن استجمعت له الاسباب من الارض الطيبة والماء والمدد وتطهير الارض كما سبق وألقى فيها بذرا جيدا ثم انتظر الحصاد راجيا من فضل الله تعالى دفع الصواعق والآفات المفسدة فهذا له وجه ويسمى رجاء وان بث البذر فى الارض الصلبة السبخة التى لا ماء لها وانتظر الحصاد فهذا يسمى غرورا وان بث البذر فى أرض طيبة ولكن لا ماء لها وانتظر الحصاد اعتمادا على ماء المطر فهذا يسمى تمنيا فقد تبين لك ان من زرع الايمان فى قلبه وسقاه بماء الطاعات وطهر القلب عن الخبائث كما تطهر الارض عن الشوك والحشيش فله أن يرجو وما دون ذلك فتمن أو غرور واليه الاشارة بقوله عليه الصلاة والسلام الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الامانى وقد

الآفات والعاهات شغلتنا عن ذكره والقيام بحقه فيقال لهم من أشد بلاء أنتم أم أيوب فيقولون بلى أيوب فيقال لهم ماشغله ذلك عن حقنا ولا عن الدأب لذكرنا ثم ينادي أين الشباب العطرة والمماليك فيقول لهم ماشغلكم عن عبادة الله فيقول الشباب أعطانا الله جمالا وحسنا فتننا به فكنا به مشغولين عن القيام بحقه وكذلك المماليك فيقولون شغلنا رق العبودية في الدنيا فيقال لهم أنتم أكثر جمالا أم يوسف فلقد كان في العبودية ماشغله رق ذلك عن القيام بحقنا ولا عن الدأب لذكرنا ثم ينادي أين الفقراء فيؤتى بهم أنواعا فيقال لهم ماشغلكم عن عبادة الله تعالى فيقولون ابتلانا الله في دار الدنيا بفقر مدقع شغلنا عن ذكر الله تعالى فيقال لهم من أشد فقرا أنتم أم عيسى فيقولون بلى عيسى بن مريم فيقول لهم ماشغله ذلك عن القيام بحقنا والدأب لذكرنا فمن بلي بشيء من هذه الاربع فليذكر صاحبه

(الباب الثاني في الشكر)

قال الله تعالى فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون يعني واشكروا لي بالطاعة ولا تكفرون بالمعصية فان من أطاع الله فقد شكره ومن عصاه فقد كفره وقال العلماء الشكر على ثلاثة أوجه الشكر ممن دونه الطاعة لامره وترك مخالفته والشكر ممن هو شكله يكون الجزاء والمكافأة والشكر ممن هو فوقه يكون رضا منه باليسير وقال تعالى ولئن شكرتم لأزيدنكم أي في النعمة قيل الشكر قيد الموجود وصيد المفقود وقال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها أي لا تطيقوا عدها ولا القيام بشكرها ان الانسان لظلوم كفار أي ظالم لنفسه بالمعصية كافر بربه عز وجل في نعمته وقيل الظلوم الذي يشكر غير من أنعم عليه والكفار من يجحد منعمه وقال تعالى ألم تروا أن الله سخر لكم مافي السموات ومافي الارض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة قال ابن عباس رضي الله عنهما النعمة الظاهرة الاسلام والقرآن والباطنة ماستر عليك من الذنوب ولم يعجل عليك بالنقمة وقال الضحاك الظاهرة حسن الصورة وتسوية الاعضاء والباطنة المعرفة وقال سهل الظاهرة اتباع الرسول والباطنة محبته وقال تعالى لتسألن يومئذ عن النعيم أي عن شكر النعيم قال ابن مسعود النعيم الامن والصحة قال عليه السلام ان أول مايسئل العبد يوم القيامة عن النعيم أن يقال له ألم نصحح جسمك ونروك من الماء البارد وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال النعيم صحة الابدان والاسماع والابصار يسأل الله تعالى العباد فيما استعملوها وهو أعلم بذلك منهم وذلك قوله تعالى ان السمع والبصر الآية وقال سعيد بن جبير عن الصحة والفراغ والمال قال عليه السلام نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ وقال القرطبي يعني بما أنعم الله عليكم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقال أبو العالية عن الاسلام والسنن وقال الحسين بن الفضل تخفيف الشرائع وتيسير القرآن وقال مكحول بارد الشراب وظلال المساكن وشبع البطون واعتدال الخلق ولذاذة النوم وقيل انه كل لذة من لذات الدنيا قال أبو هارون دخلت على أبي حازم فقلت يرحمك الله ماشكر العينين قال اذا رأيت خيرا أذعته واذا رأيت شرا سترته قلت فما شكر الاذنين قال اذا سمعت بهما خيرا حفظته واذا سمعت بهما شرا نسيته قلت فما شكر اليدين قال لا تأخذ بهما ماليس لهما ولا تمنع حقا لله عز وجل فيهما قلت فما شكر البطن قال أن يكون أسفله صبرا وأعلاه علما قلت فما شكر الفرج قال كما قال الله تعالى والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ماملكت أيمانهم فان فعلت فانت الشاكر حق الشكر وقال سهل بن عبد الله أدنى الشكر أن لا تعصي الله عز وجل بنعمة من نعمه فان جوارحك نعم من الله عز وجل عليك فلا تعصه بها وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سمع رجلا وهو يقول الحمد لله على الاسلام فقال انك لتحمد الله عز وجل على نعمة عظيمة وقال مجاهد في قول الله عز وجل أليس الله بأعلم بالشاكرين قال على التوحيد وروى أن يعقوب عليه السلام قال للبشير كيف يوسف قال انه ملك مصر قال وما أصنع بالملك على أي دين تركته قال على دين الاسلام قال الآن تمت النعمة وقال سفيان الثوري رحمه الله لما التقى يعقوب ويوسف عليهما السلام عانق كل واحد منهما صاحبه وبكيا فقال يوسف يا أبت بكيت علي حتى ذهب بصرك ألم تعلم ان القيامة تجمعنا قال بلى يا بني

أخبر الله سبحانه وتعالى عن مثل ذلك فقال تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا بين ان هذا الرجاء لا أصل له اذا لم يتقدم عليه ماينبغي ان يتقدم ويدل عليه أيضا ماروى عن زيد الخيل أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم جئت لأسألك عن علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد فقال كيف أصبحت قال أصبحت أحب الخير وأهله واذا قدرت على شيء منه سارعت اليه وأيقنت بثوابه وان فاتني شيء منه حزنت عليه وحننت اليه فقال هذه علامة الله فيمن يريد ولو أرادك للاخرى هيأك لها ثم لا يبالي في أي أوديتها هلكت فقد ذكر صلى الله عليه وسلم علامة من أريد به الخير ويحصل منه الرجاء (بيان فضيلة الرجاء والترغيب فيه) اعلم أن العمل على الرجاء أعلى منه على الخوف لان أقرب العباد الى الله تعالى أحبهم اليه والحب يغلب بالرجاء فان رجاء الخير يقرب ويحبب والخوف موجب للهرب واليه الاشارة بقوله عليه الصلاة والسلام لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن الظن بالله ودخل صلى الله عليه وسلم على رجل وهو في النزع فقال كيف تجدك فقال أجدني أخاف ذنوبي وأرجو رحمة ربي فقال صلى الله عليه وسلم ما اجتمعا في قلب عبد في هذا الموطن الا أعطاه الله تعالى ما رجاه وآمنه مما يخاف *(فصل)* اعلم أن من غلب عليه اليأس حتى أورثه القنوط أو غلب عليه الخوف

ولكن خشيت أن تسلب دينك فيحال بيني وبينك وروى عن ابراهيم بن أدهم رحمه الله قال من أصبح لزمه شكر أربعة أشياء (أولها) أن يشكر فيقول الحمد لله الذي نور قلبي بنور الهدى وجعلني من المؤمنين ولم يجعلني ضالا (والثاني) أن يقول الحمد لله الذي جعلني من أمة محمد صلى الله عليه وسلم (والثالث) أن يقول الحمد لله الذي لم يجعل رزقي بيد غيره (والرابع) ان يقول الحمد لله الذي ستر عيوبي قال بعض الحكماء اشتغلت بشكر أربعة أشياء (أولها) أن الله خلق ألف صنف من الخلق ورأيت بني آدم أكرم الخلق فجعلني من بني آدم (والثاني) أنه فضل الرجال على النساء وجعلني من الرجال (والثالث) رأيت الاسلام أفضل الاديان وأحبها الى الله فجعلني مسلما (والرابع) رأيت أمة محمد عليه السلام أفضل الامم فجعلني منها وكان الحسن يقول يا ابن آدم متى تفرغ من شكر النعم وأنت مرتهن بها كلها كلما شكرت نعمة تجدد بذلك الشكر أعظم عليك منها فانت لا تفرغ بالشكر عن نعمة الا لما هو أعظم منها وقال حاتم الاصم يصبح الناس كل يوم على ثلاث فرق فرقة طردوا من باب الخالق وفرقة طردوا عن خدمته ولم يطردوا عن بابه وفرقة أكرموا بخدمته فالواجب على الشاكر أن يقول كل يوم الحمد لله الذي لم يجعلني من المطرودين عن بابه وهم الكفار ولا من المطرودين عن خدمته وهم الفساق وجعلني من المكرمين بخدمته وهم أهل المساجد والمجالس وقال أبو معاوية الاسود مامن نعمة لله علينا أعظم من التوحيد نسأل الله أن لا ينسيناه ثم قال يحق على المنعم أن يتم نعمه على من أنعم عليه وقال عبد الواحد بن زيد مررت في بعض الجبال بشيخ أعمى أصم مقطوع اليدين والرجلين وهو يقول الهي وسيدي متعتني بجوارحي حيث شئت وأخذتها حيث شئت وتركتني حسن الظن والامل فيك يابار ياوصول قال فقلت في نفسي أين بر من الله على هذا وأي وصل فقال اليك يابطال أليس ترك لي قلبا يعرفه ولسانا يذكره فهو نعيم الدارين جميعا ونقل ابن الجوزي في روضة المشتاق عن بعض السادة انه قال ثمان خلال من لم يحرم فعلها لم يحرم حق المجازاة عليها من وفق للتوبة لم يحرم القبول قال الله تعالى وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ومن وفق للمجاهدة لم يحرم الهداية قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ومن وفق للصبر لم يحرم الجزاء قال الله تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ومن وفق للتوكل لم يحرم الكفاية قال الله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه ومن وفق للاسترجاع لم يحرم الرحمة قال الله تعالى أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ومن وفق للتقوى لم يحرم المخرج من الشدائد قال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ومن وفق للدعاء لم يحرم الاجابة قال الله تعالى ادعوني أستجب لكم ومن وفق للشكر لم يحرم المزيد قال الله تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم عن معاذ رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بيده وقال يامعاذ والله اني لأحبك فقال أوصيك يامعاذ لا تدعن في دبر كل صلاة تقول اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك وقال صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح اللهم ما أصبح بي من نعمة فمنك وحدك لا شريك لك لك الحمد ولك الشكر فقد أدى شكر يومه ومن قال مثل ذلك حين يمسي فقد أدى شكر ليلته ومن قال اذا أصبح اللهم اني أصبحت منك في نعمة وعافية وستر فأتم نعمتك علي وعافيتك وسترك في الدنيا والآخرة ثلاث مرات اذا أصبح واذا أمسى كان حقا على الله تعالى أن يتم عليه نعمته قال سفيان الثوري نعمتان ان رزقك الله تعالى اياهما فاجهد عليهما واشكره اجتنابك باب السلطان واجتنابك باب الطبيب روى أن بعضهم شكا الفقر الى بعض أرباب البصيرة وأظهر شدة اغتمامه بذلك فقال له أيسرك انك أعمى ولك عشرة آلاف درهم فقال لا فقال أيسرك انك أخرس ولك عشرة آلاف درهم قال لا قال أيسرك انك أقطع اليدين والرجلين ولك عشرون ألفا قال لا قال أيسرك انك مجنون ولك عشرة آلاف قال لا قال أما تستحي أن تشكو مولاك وله عندك عروض بخمسين ألفا وروى أن ابراهيم عليه السلام كان لا يأكل الا مع الضيف فجاءه فوج من الملائكة في زي البشر فقدم لهم طعاما فخيلوا اليه انهم جذاما فقال الآن وجبت مواكلتكم شكرا لله على ان عافاني مما ابتلاكم وكان نوح عليه السلام يستعظم القليل من فضل الله تعالى عليه ويستصغر كثير خدمته له

حتى أضر بنفسه وأهله فهذان يحتاجان الى المعالجة بالمداواة وأما من غلب عليه الاماني فأسباب الرجاء سم قاتل في حقه فهو كالعسل فيه شفاء ان غلبت عليه البرودة فان تناوله المحرور هلك فمن غلب عليه التمني وأسرف في المعاصي جدير بأن يعالج بما يورث الخوف ومن غلب عليه الخوف عولج بالرجاء فهما شطران يسقى بكل واحد منهما من له حالة مخصوصة قال علي رضي الله عنه انما العالم الذي لا يقنط الناس من رحمة الله ولا يؤمنهم من مكر الله ولما كان العلماء ورثة الانبياء كانوا أطباء القلوب واستعملوا ما كان لا نقابحال كل مريض ومن الدواء النافع في جلب الرجاء أن يتأمل الانسان فيما انعم الله تعالى به عليه من صحة البدن وسلامة الاعضاء ثم بعثة الانبياء لهدايته ثم خلق الاطعمة والاشربة والادوية لاصلاحه ومما يقوي أسباب الرجاء ما قاله سبحانه وتعالى ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا وقال تعالى والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض وقال تعالى لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده بين أنه يخوف المؤمنين الا انها للكافرين لانها انما خلقت لهم وقد روى أبو موسى الاشعري أنه عليه السلام قال أمتي أمة مرحومة لا عذاب عليها في الآخرة والآيات والأخبار الواردة في هذا الباب أكثر من أن تحصى وقد ورد في حديث طويل عن

وكان يعرض عشاءه عند فطره على من آمن به فان وجده محتاجا اليه آثره به وكان كثير الحمد لله تعالى
قال بعض الحكماء اني لأستحي من الله أن أعبده رجاء الثواب بالجنة فأكون كالأجير ان أعطي أجره عمل
والا لم يعمل واني لأستحي من ربي تعالى ان أعبده خوفا من النار فأكون كالعبد السوء ان خاف عمل والا لم
يعمل ولكني أعبده لما هو أهله   قال في روضة المشتاق قيل ان عيسى عليه السلام مر على طائفة من
العباد كأنهم الشنان البالية فقال ما أنتم قالوا نحن عباد قال لأي شيء تعبدتم قالوا خوفنا الله من النار فخفنا منها
فقال حقا على الله ان يؤمنكم مما خفتم ثم جاوزهم فمر بآخرين أشد عبادة منهم فقال لأي شيء تعبدتم قالوا
شوقنا الله الى الجنات وما أعد لأوليائه فيها فنحن نرجو ذلك فقال ان حقا على الله أن يعطيكم ما رجوتم ثم
جاوزهم فمر بآخرين يتعبدون فقال ما أنتم قالوا نحن المحبون في الله عز وجل لم نعبده خوفا من ناره ولا شوقا
الى جنته ولكن حبا له واجلالا وتعظيما فقال أنتم أولياء الله حقا معكم أمرت ان أقيم بين أظهركم

(الباب الثالث في حمد الله تعالى)

قال الله عز وجل قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى   وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أقطع رواه أبو داود وابن ماجه وفي رواية كل
كلام لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أجذم ومعنى ذي بال أي حال يهتم به ومعنى أقطع أي ناقص قليل البركة قال
الشافعي رحمه الله أحب أن يقدم المرء بين يدي خطبته وكل أمر طلبه حمد الله تعالى والثناء عليه سبحانه
وتعالى والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم   وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من يدعى الى الجنة
يوم القيامة الذين يحمدون الله في السراء والضراء   وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد رأس الشكر
ما شكر الله عبد لا يحمده   وقال صلى الله عليه وسلم أحب الكلام الى الله تعالى أربع لا اله الا الله والله
أكبر وسبحان الله والحمد لله لا يضرك بأيهن بدأت   وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان اذا أوى الى فراشه قال الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي   وفي
صحيح مسلم عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها ويشرب
الشربة فيحمده عليها   وعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى أحدكم
فليبدأ بتحميد الله تعالى والثناء عليه ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يدعو بما شاء   وفي الترمذي
عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من رأى مبتلى فقال الحمد لله الذي عافاني مما
ابتلاك به وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلا لم يصبه ذلك البلاء   وعن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم أنه كان اذا نظر في المرآة قال الحمد لله اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي   وروى ابن ماجه عن
عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأى ما يحب قال الحمد لله الذي بنعمته تتم
الصالحات واذا رأى ما يكره قال الحمد لله على كل حال

(كتاب الرجاء والخوف وفيه ثلاثة أبواب)

(الباب الاول في الرجاء)

قال الله تعالى قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا أي
لمن تاب انه هو الغفور الرحيم   قال ثوبان رضي الله عنه لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما أحب أن تكون لي الدنيا وما فيها بهذه الآية قيل هي أرجى آية في القرآن   وقيل ان الله لا يغفر أن يشرك
به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقيل ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما   وقيل
انا قد أوحي الينا أن العذاب على من كذب وتولى   وقال زين العابدين أرجى آية ولسوف يعطيك ربك
فترضى   وفي الصحيحين عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد أن
لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الى مريم
وروح منه والجنة والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل   وعن أبي ذر رضي الله عنه قال قال

أنس ان الاعرابي لما قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله من يلي حساب الخلق يوم القيامة قال الله عز وجل فقال هو بنفسه قال نعم فتبسم الاعرابي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مم ضحكت يا اعرابي فقال ان الكريم اذا قدر عفا واذا حاسب سامح قال النبي صلى الله عليه وسلم صدق الاعرابي ألا ولا كريم أكرم من الله تعالى وهو أكرم الأكرمين ثم قال صلى الله عليه وسلم فقه الاعرابي وقال عليه السلام قال الله تعالى سبقت رحمتي غضبي (الشطر الثاني في الخوف وقد بينا معنى الخوف) اعلم أن الخوف والرجاء زمامان يقاد بهما من لم يظهر لقلبه جمال الحق فمن شاهد بقلبه ذلك الجمال ترقى عن الخوف والرجاء واليه الاشارة بقول الواسطي الخوف حجاب بين الله وبين العبد وقال أيضا اذا ظهر الحق على السرائر لا يبقى فيها فضلة لرجاء ولا لخوف وعلى الجملة اذا وصل المحب الى جمال المحبوب فالتفاته الى خوف الفراق مضيع للوصال ولكنا نتكلم في أوائل المبادي فعند هذا نقول دواء جلب الخوف أن ينظر ويتأمل في الآيات الواردة في شدة العذاب والحساب والأخبار الواردة في ذلك ويتأمل أيضا حال نفسه بالنسبة الى جلال الله وعظمته وقوله تعالى هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي ويعلم انه بجنايته وتركه أوامر الله وارتكابه المناهي مستحق للعقاب الأليم والله تعالى لو أهلك العالمين فهو لا يبالي

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها أو أزيد ومن جاء بالسيئة
فجزاء سيئة سيئة مثلها أو أغفر فمن تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ومن تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا
ومن أتاني يمشي أتيته هرولة ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئا لقيته بمثلها مغفرة رواه مسلم
قال النووي رحمه الله معنى الحديث من تقرب الي بطاعتي تقربت اليه برحمتي وان زاد زدت فان أتاني يمشي
وأسرع في طاعتي أتيته هرولة أي صببت عليه الرحمة وسبقته بها ولم أحوجه الى المشي الكثير في الوصول الى
المقصود وقراب الأرض بضم القاف ويقال بكسرها والضم أصح وأشهر ومعناه ما يقارب ملأها والله أعلم
وعن جابر رضي الله عنه قال جاء أعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما الموجبتان قال من مات
لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ومن مات يشرك به دخل النار رواه مسلم وفي الصحيحين عن عمر رضي الله عنه قال
قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبي فاذا امرأة من السبي تسعى اذا وجدت صبيا في السبي أخذته فألزقته
ببطنها فأرضعته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار قلنا لا والله قال لله
أرحم بعباده من هذه بولدها   وقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم
يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم رواه مسلم وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي صلى
الله عليه وسلم تلا قول الله عز وجل في ابراهيم صلى الله عليه وسلم رب انهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه
مني الآية   قال عيسى صلوات الله عليه ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم فرفع
يديه   وقال اللهم أمتي أمتي وبكى   فقال الله عز وجل يا جبريل اذهب الى محمد وربك أعلم فاسأله ما يبكيك فأتاه
جبريل فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال وهو أعلم فقال الله تعالى يا جبريل اذهب الى محمد فقل انا
سنرضيك في أمتك ولا نسوءك رواه مسلم وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال كنت ردف النبي صلى الله عليه
وسلم على حمار فقال يا معاذ هل تدري ما حق الله على عباده وما حق العباد على الله تعالى قلت الله ورسوله أعلم
قال فان حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وحق العباد على الله أن يغفر لمن لا يشرك به شيئا
فقلت يا رسول الله أفلا أبشر به الناس قال لا تبشرهم فيتكلوا رواه البخاري ومسلم   وقال صلى الله عليه وسلم
يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء   وقال صلى الله عليه وسلم الحمى من فيح جهنم وهي حظ
المؤمن من النار وروي في تفسير قوله تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم
ان الله تعالى أوحى الى نبيه عليه الصلاة والسلام اني أجعل حساب أمتك اليك فقال يا رب أنت خير لهم مني
فقال اذا لا نخزيك فيهم   وقال ابراهيم بن أدهم رحمه الله خلا لي الطواف وكانت ليلة مطيرة مظلمة فوقفت
في الملتزم عند الباب فقلت يا رب اعصمني حتى لا أعصيك أبدا فهتف بي هاتف من البيت يا ابراهيم أنت تسألني
العصمة وكل عبادي المؤمنين يطلبون ذلك فاذا عصمتهم فعلى من أتفضل ولمن أغفر   وقيل ان مجوسيا
استضاف ابراهيم الخليل عليه السلام فقال ان أسلمت أضفتك فمضى المجوسي فأوحى الله تعالى الى ابراهيم
عليه السلام يا ابراهيم لم تطعمه الا بتغيير دينه ونحن من سبعين سنة نطعمه على كفره فلو أضفته ليلة واحدة
ما كان عليك اثم فمضى ابراهيم يسعى خلف المجوسي فرده وأضافه فقال المجوسي ما السبب فيما بدا لك فذكر له
فقال المجوسي هكذا يعاملني اعرض علي الاسلام فأسلم   (وحكي) ان أبا العباس بن سريج رحمه الله رأى في
مرض موته في منامه كأن القيامة قد قامت واذا الجبار سبحانه وتعالى يقول أين العلماء قال فجاؤوا ثم قال ماذا
عملتم فيما علمتم قال فقلنا يا رب قصرنا وأسأنا قال فأعاد السؤال كأنه لم يرض بالجواب وأراد جوابا غيره فقلت أما
أنا فليس في صحيفتي الشرك ولقد وعدت أن تغفر ما دونه فقال اذهبوا فقد غفرت لكم ومات بعد ذلك بثلاث
ليال   وكان أبان بن عثمان يتكلم في الرجاء كثيرا فرؤي بعد موته في المنام فقيل له كيف كان قدومك على الله
قال أوقفني بين يديه فقال ما الذي حملك على ما فعلت قلت أردت أن أحببك الى خلقك فقال قد غفرت لك
ورؤي يحيى بن أكثم في النوم بعد موته   فقيل ما فعل الله بك فقال أوقفني بين يديه وقال يا شيخ فعلت وفعلت
قال فأخذني من الرعب ما لا يعلم به الا الله قلت يا رب ما هكذا حدثت عنك قال وما حدثت عني فقلت حدثنا عبد

وهذا المسكين قد ارتكب الجرائم والآثام فهو أولى بأن يخاف فانه ان أهلك لم يبال به كيف وسيد المرسلين يقول أنا أعلمكم بالله وأخشاكم لله وأوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود خفني كما تخاف السبع الضاري وحقيقة السبع انه مهلك ولا يبالي وقد قال صلى الله عليه وسلم من خاف من الله خافه كل شيء ومن خاف غير الله خاف من كل شيء وقالت عائشة رضي الله عنها قلت يا رسول الله الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أهو الرجل يسرق ويزني قال لا بل يصوم ويتصدق ويصلي ويخاف أن لا يقبل منه وقال النبي عليه السلام ما من عبد مؤمن يخرج من عينيه دموع وان كانت مثل رأس الذباب من خشية الله تعالى ثم يصيب شيئا وقت خروجه الا حرمه الله على النار (بيان أحوال الانبياء في الخوف) روت عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا تغير الهواء وهبت ريح عاصفة يتغير وجهه ويقوم ويتردد في الحجرة ويدخل ويخرج كل ذلك خوفا من عذاب الله تعالى وقرأ عليه السلام آية في سورة الحاقة فصعق وقال تعالى وخر موسى صعقا ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم صورة جبريل في الأبطح فصعق وقال صلى الله عليه وسلم ما جاءني جبريل قط الا وهو يرعد خوفا من الجبار جل جلاله وقيل لما ظهر على ابليس ما ظهر طفق جبريل وميكائيل عليهما السلام يبكيان فأوحى الله تعالى اليهما ما لكما تبكيان كل هذا البكاء

فقالا يارب هذا من مكرك فقال الله تعالى هكذا كونا لا تأمنا مكرى وقال أبو الدرداء كان يسمع أزيز قلب خليل الرحمن عليه السلام

الرزاق عن معمر عن الزهرى عن أنس عن نبيك صلى الله عليه وسلم عن جبريل عنك انك قلت أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى ما شاء وكنت أظن بك أن لا تعذبنى فقال الله عز وجل صدق جبريل وصدق نبيى وصدق أنس وصدق الزهرى وصدق معمر وصدق عبد الرزاق وصدقت قال فالبست ومشى بين يدى الولدان الى الجنة بالهاء فرحة قال ابن الجوزى رحمه الله تعالى فى كتاب روضة المشتاق الى الملك الخلاق وورد فى الخبر أن الخليل عليه السلام نزل به رجل من عباد النار فاضافه وأكرمه فضجت الملائكة فى السموات وقالوا يا ربنا خليلك يكرم عدوك فقال لهم جلت قدرته يا ملائكتى أنا أعلم بخليلى منكم ثم أمر جبريل عليه السلام وقال يا جبريل انزل اليه واعرض قول الملائكة عليه ففعل جبريل فبكى ابراهيم عليه السلام وقال يا جبريل قل لمولاى منك تعلمت رأيتك تحسن لمن أساء اليك فتعلمت منك ونقل فى روضة المشتاق عن بعض السادة انه قال ما من عبد يعصى الا استأذن مكانه من الارض أن يخسف به واستأذن سقفه من السماء أن يسقط عليه فيقول الله تعالى للارض والسماء كفا عن عبدى وامهلاه فانكما لم تخلقاه ولو خلقتماه لرحمتماه لعله يتوب الى فاغفر له ولعله يستبدل صالحا فابدل له سيآته حسنات فذلك معنى قوله تعالى ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا وقال فيها أيضا قيل ان رجلا من بنى اسرائيل أتى موسى عليه السلام فقال له يا موسى قل لربك يقطع رزقه عنى فقال موسى عليه السلام يارب قد سمعت ما قال هذا العبد وأنت العالم به قبل خلقه فاوحى الله اليه يا موسى قل له ان أحببت أن لا يصل اليك شئ من فضلى ونعمائى فاترك أرضى وسمائى واطلب ربا سواى يا موسى قل لعبدى كيف أقطع رزقى عنك وأنت أنت وأنا أنا فاعلمه موسى بذلك فسقط على وجهه على الارض مغشيا عليه ثم أفاق وقال يا موسى قل لمولاى صدقت أنا العبد الضعيف وأنت المولى الكريم (وحكى) فيها أيضا عن بعض السلف انه كان يقول الطمع قبيح الا فى رحمة الله تعالى وعفوه والامل غرور الا فى فضله ونعمته وامتهان النفس ذل الا فى طاعته وخدمته وقال فى روضة المشتاق أيضا وردفى الخبر أن الله تعالى أوحى الى موسى عليه السلام يا ابن عمران حببنى الى عبادى وذكرهم نعمتى عليهم واحسانى اليهم فقال موسى عليه السلام الهى هذه رحمتك للاحياء فما الذى أعددت للاموات فاوحى الله اليه يا ابن عمران لو سألت أهل القبور وأذنت لهم فى جوابك لاخبروك أن الطافى بهم بعد وفاتهم أعظم من الطافى بهم فى حياتهم يا ابن عمران لم أقطع رحمتى عنهم وهم أحياء يرزقون فكيف أقطعها عنهم وهم تحت الثرى مقبورون يا ابن عمران كم عبد عصانى طول عمره فلما كان عند موته لم أنظر الى تمرده وجهله ونظرت الى ضعفه وذله فالهمته توحيدى وأوقفته على بابى لينجو من سطوتى وعذابى

(فصل قال العلماء) رحمهم الله الرجاء حسن الظن بالله تعالى فى قبول طاعة وفقت لها أو مغفرة سيئة تبت عنها فاما الطمانينة مع ترك الطاعات والاستمرار على المخالفات فامن وغرور وقد نهى الله تعالى عنه بقوله ولا يغرنكم بالله الغرور يعنى الشيطان فانه يحسن لك المعاصى وربما يجرك الى ذلك رجاء عفو الله وكرمه وقد وصف الله تعالى الراجين فقال الله تعالى ان الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور وقال قتادة فى قوله تعالى ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله هؤلاء خيار هذه الامة ثم جعلهم الله أهل الرجاء كما تسمعون وانه من رجا طلب ومن خاف هرب

(الباب الثانى فى الخوف)

قال الله تعالى فاياى فارهبون وقال الله تعالى ان بطش ربك لشديد وقال الله تعالى ويحذركم الله نفسه وقال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان أى مقامه بين يدى ربه للحساب فترك المعصية والشهوة وقيل قيام ربه عليه بيانه قوله أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وقال ابراهيم ومجاهد هو الذى يهم بالمعصية فيذكر الله تعالى فيدعها من مخافة الله تعالى قال محمد بن على الترمذى جنة بخوفه ربه سبحانه وجنة بتركه شهوته وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا ان سلعة الله غالية ألا ان سلعة الله الجنة حسنه الترمذى ومعنى أدلج سار من أول الليل والمراد السير فى طاعة الله والله أعلم وفى الصحيحين عن أنس

اذا قام فى الصلاة من مسيرة ميل خوفا من ربه وقال مجاهد رضى الله عنه بكى داود عليه السلام أربعين يوما ساجدا لا يرفع رأسه حتى نبت المرعى من دموعه وحتى غطى رأسه فنودى يا داود أجائع أنت فتطعم أم ظمآن فتسقى أم عار فتكسى فتنفس الصعداء فاحترق العود من حر جوفه فانزل الله تعالى عليه التوبة والمغفرة فقال يارب اجعل خطيئتى فى كفى فصارت خطيئته فى كفه مكتوبة فكان لا يبسط كفه لطعام ولا لشراب ولا لغيرهما الا رآها فابكته قال وكان يؤتى بالقدح ثلثاه ماء فاذا تناوله أبصر خطيئته فلا يضعه على شفته حتى يفيض من دموعه وروى عنه عليه السلام انه ما رفع رأسه الى السماء حتى مات حياء من الله تعالى وكان يقول فى مناجاته الهى اذا ذكرت خطيئتى ضاقت على الارض برحبها واذا ذكرت رحمتك ارتدت الى روحى سبحانك الهى أتيت أطباء عبادك ليداووا خطيئتى فكلهم عليك يدلنى فبؤسا للقانطين من رحمتك وقال الفضيل رحمة الله عليه بلغنى أن داود عليه السلام ذكر ذنبه ذات يوم فوثب صاعقا واضعا يده على رأسه حتى لحق بالجبال فاجتمعت اليه السباع فقال ارجعوا فلا أريدكم انما أريد كل بكاء على خطيئته فلا يستقبلنى الا البكاء ومن لم يكن ذا خطيئة فما يصنع بداود الخطاء

رضى

وكان يعاتب فى كثرة البكاء فيقول دعونى أبكى قبل خروج يوم البكاء قبل تحرق العظام واشتعال الحشا وقبل أن يؤمر فى ملائكة

رضى الله عنه قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثلها قط فقال لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فغطى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم ولهم خنين قال النووى رحمه الله الخنين بالخاء المعجمة وهو البكاء مع غنة وانتشاق الصوت من الانف وقال صلى الله عليه وسلم انى أرى ما لا ترون أطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع أربع أصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا لله تعالى والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم الى الصعدات تجارون الى الله تعالى رواه الترمذى وقال حديث حسن قال النووى رحمه الله أطت بفتح الهمزة وتشديد الطاء وتئط بفتح التاء وبعدها همزة مكسورة والاطيط صوت الرحل والقتب وشبههما ومعناه ان كثرة من فى السماء من الملائكة العابدين قد أثقلتها حتى أطت والصعدات بضم الصاد والعين الطرقات ومعنى تجارون تستغيثون وقال صلى الله عليه وسلم لا أدرى وأنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يفعل بى ولا بكم وقال صلى الله عليه وسلم ما رأيت مثل النار نام هاربها ولا مثل الجنة نام طالبها وقال صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل وعزتى وجلالى لا أجمع على عبدى خوفين ولا أجمع له أمنين فاذا أمننى فى الدنيا أخفته يوم القيامة واذا خافنى فى الدنيا أمنته يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم من خاف الله خافه كل شئ ومن خاف غير الله خوفه الله من كل شئ وقال صلى الله عليه وسلم أتمكم عقلا أشدكم لله خوفا وأحسنكم فيما أمركم الله تعالى به ونهى عنه نظرا وقالت عائشة رضى الله عنها قلت يا رسول الله الذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة هو الرجل يسرق ويزنى قال لا بل الرجل يصوم ويصلى ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه وقالوا يا رسول الله قد شبت فقال شيبتنى هود وأخواتها وفى رواية شيبتنى هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت

(فصل فى خوف الملائكة والانبياء والعلماء) (خوف الملائكة) قال الله تعالى ولله يسجد ما فى السموات وما فى الارض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون وقال صلى الله عليه وسلم ما جاءنى جبريل قط الا وهو يرعد خوفا من الجبار وقيل لما ظهر على ابليس ما ظهر طفق جبريل وميكائيل عليهما السلام يبكيان فأوحى الله اليهما ما لكما تبكيان كل هذا البكاء فقالا يارب ما نأمن مكرك فقال الله تعالى هكذا كونا لا تأمنا مكرى وعن أنس رضى الله عنه أنه قال عليه الصلاة والسلام سأل جبريل مالى أرى ميكائيل لا يضحك فقال جبريل ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار قال الغزالى رحمه الله ويقال ان لله ملائكة لم يضحك أحد منهم منذ خلقت النار مخافة أن يغضب الله تعالى عليهم فيعذبهم (خوف الانبياء عليهم الصلاة والسلام) روى أن ابن عمر رضى الله عنه قال لعائشة رضى الله عنها يا أم المؤمنين اخبرينا باعجب شئ رأيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبكت وقالت كل أمره كان عجبا انه أتانى فى ليلة فدخل معى فى الفراش حتى مس جلده جلدى ثم قال ذرينى يا عائشة أتعبد لربى قالت فقلت له والله انى لاحب قربك وانى لاحب أن تتعبد لربك تعالى قالت فقام وأتى الى قربة فتوضأ منها ثم قام يصلى فبكى حتى بل لحيته وبكى حتى بل الارض ثم اضطجع على جنبه حتى أتاه بلال فناداه لصلاة الصبح وهو يبكى فقال يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال ويحك يا بلال وما يمنعنى لا أبكى وقد أنزل الله جلت قدرته فى هذه الليلة هذه الآية ان فى خلق السموات والارض الآيات ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتذكر ما فيها وروى أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل فى الصلاة يسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل وقال أبو الدرداء كان يسمع أزيز قلب ابراهيم عليه السلام اذا قام الى الصلاة من مسيرة ميل خوفا من ربه وقال يزيد الرقاشى خرج داود ذات يوم بالناس يعظهم ويخوفهم فى أربعين ألفا فمات منهم ثلاثون ألفا وما رجع الا بعشرة آلاف قال وكان له جاريتان اتخذهما حتى اذا جاءه الخوف وسقط واضطرب قعدتا على صدره وعلى رجليه مخافة أن تتفرق أعضاؤه ومفاصله فيموت وكان يحيى بن زكريا عليه السلام اذا قام يصلى بكى حتى يبكى معه الشجر والمدر ويبكى زكريا عليه السلام لبكائه حتى يغمى

غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وقال عمر بن عبد العزيز لما أصاب داود الخطيئة نقص صوته فقال الهى بح صوتى فى صفاء أصوات الصديقين وروى أنه عليه السلام لما طال بكاؤه ولم ينفعه ذلك ضاق ذرعه واشتد غمه فقال يارب أما ترحم بكائى فاوحى الله تعالى اليه يا داود نسيت ذنبك وذكرت بكاءك فقال الهى وسيدى كيف أنسى ذنبى وكنت اذا تلوت الزبور كف الماء الجارى عن جريه وسكن هبوب الريح وأظلنى الطير على رأسى وأنست الوحوش الى محرابى الهى وسيدى فما هذه الوحشة التى بينى وبينك فاوحى الله تعالى اليه يا داود ذاك انس الطاعة وهذه وحشة المعصية يا داود آدم خلق من خلقى خلقته بيدى ونفخت فيه من روحى وأسجدت له ملائكتى وألبسته ثوب كرامتى وتوجته بتاج وقارى وشكا الى الوحدة فزوجته بحواء أمتى وأسكنته جنتى فلما عصانى طردته عن جوارى عريانا ذليلا يا داود اسمع منى والحق أقول أطعتنا فاطعناك وسألتنا فاعطيناك وعصيتنا فامهلناك وان عدت الينا على ما كان منك قبلناك وقال يحيى بن أبى كثير بلغنا ان داود عليه

السلام كان اذا أراد أن ينوح مكث قبل ذلك سبعا لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يقرب النساء فاذا

عليه فلم يزل يبكى حتى أحرقت دموعه لحم خديه وبدت أضراسه للناظرين فقال له أبوه يابنى انما سألت ربى أن يهبك لى لتقر عيناى فقال يحيى ياأبت ان جبريل أخبرنى أن بين الجنة والنار مفازة لا يقطعها الا كل بكاء قال زكريا فابك يابنى وقال عيسى عليه السلام معاشر الحواريين خشية الله وحب الفردوس يورثان الصبر على المشقة ويباعدان من الدنيا بحق أقول لكم ان أكل الشعير والنوم على المزابل مع الكلاب فى طلب الفردوس قليل وقيل كان الخليل عليه السلام اذا ذكر خطيئته يغشى عليه ويسمع اضطراب قلبه ميلا فى ميل فيأتيه جبريل عليه السلام فيقول له الجبار يقرئك السلام ويقول هل رأيت خليلا يخاف خليله فيقول ياجبريل اذا ذكرت خطيئتى نسيت خلتى (خوف الصحابة رضى الله عنهم) روى أن أبابكر رضى الله عنه قال لطائر ليتنى مثلك ياطائر ولم أخلق بشرا وقال أبو ذر رضى الله عنه وددت لو أنى شجرة تعضد وكذلك قال طلحة وقال عثمان رضى الله عنه وددت أنى اذا مت لم أبعث وقالت عائشة رضى الله عنها وددت انى كنت نسيا منسيا وروى أن عمر رضى الله عنه كان يسقط من الخوف اذا سمع آية من القرآن مغشيا عليه فكان يعاد أياما وأخذ يوما تبنة من الارض فقال ياليتنى كنت هذه التبنة ياليتنى لم أكن شيأ مذكورا ياليتنى كنت نسيا منسيا ياليتنى لم تلدنى أمى وكان فى وجه عمر خطان أسودان من الدموع وقال ميمون ابن مهران لما نزلت هذه الآية وان جهنم لموعدهم أجمعين صاح سلمان الفارسى ووضع يده على رأسه ثم خرج هاربا ثلاثة أيام وسئل ابن عباس رضى الله عنهما عن الخائفين فقال قلوبهم بالخوف قرحة وأعينهم باكية يقولون كيف نفرح والموت من ورائنا والقبر أمامنا والقيامة موعدنا وعلى جهنم طريقنا وبين يدى الله موقفنا (خوف التابعين ومن بعدهم من العلماء والاولياء) كان على بن الحسين رضى الله عنهما اذا توضأ اصفر لونه فيقول له أهله ماهذا الذى يعتادك عند الوضوء فيقول أتدرون بين يدى من أريد أقوم وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله انما جعل الله عز وجل هذه الغفلة فى قلوب العباد رحمة كى لا يموتوا من خشية الله عز وجل ودخل عليه يزيد الرقاشى فقال عظنى يا يزيد فقال اعلم ياأمير المؤمنين أنك لست أول خليفة تموت فبكى ثم قال زدنى فقال ياأمير المؤمنين ليس بينك وبين آدم أب الا ميت فبكى وقال زدنى يا يزيد فقال ياأمير المؤمنين ليس بين الجنة والنار منزل فسقط مغشيا عليه وجاءته مولاة له فقصت عليه أنها رأت فى المنام كأن الصراط قد مد على جهنم وهى تغيظ على أهلها وذكرت أنها رأت رجالا مروا على الصراط فأخذتهم النار قالت ثم رأيتك ياأمير المؤمنين وقد جىء بك فوقع عمر مغشيا عليه وبقى زمانا يضطرب وهى تصيح فى أذنه رأيتك قد نجوت وقال موسى بن مسعود رضى الله عنه كنا اذا جلسنا الى الثورى كأن النار قد أحاطت بنا لما نرى من خوفه وجزعه وقرئ عند يحيى البكاء ولو ترى اذ وقفوا على ربهم فصاح صيحة ومكث فيها مريضا أربعة أشهر يعاد من أطراف البصرة ومر الحسن بشاب وهو مستغرق فى ضحكه وهو جالس مع قوم فى مجلس فقال له الحسن يافتى هل مررت بالصراط قال لا قال هل تدرى الى الجنة تصير أم الى النار قال لا قال فما هذا الضحك فما رؤى ذلك الفتى بعدها ضاحكا وقال السرى رحمه الله انى لانظر الى أنفى كل يوم مرات مخافة أن يكون قد اسود وجهى وروى ان زرارة بن أوفى صلى بالناس الغداة فلما قرأ فاذا نقر فى الناقور خر مغشيا عليه فحمل ميتا وكان بعض السلف يوقد المصباح ولا يزال يبكى الى الصباح كلما رأى النار ذكر جهنم وكان بعضهم يوقد النار ويقرب يده منها فكلما أحس بالحرارة يقول ياويلك لم فعلت كذا وكذا وقرأ قارئ فى مجلس الشبلى رحمه الله فقام رجل فزعق فقال له الشبلى رحمه الله الله فزعق ثانيا فقال له الشبلى الله فزعق ثالثا وتواثبوا عليه فوجدوه ميتا فادعى عليه أنه قتله فرفع الى دار الخليفة وأحضر بين يديه وسئل عن ذلك فقال روح حنت فدنت فسمعت فوعت فهاجت فدعيت فأجابت فما ذنبى أنا فقال أمير المؤمنين من وراء الحجاب لا ذنب عليه خلوا سبيله فانطلق وروى أن بعض الانبياء مر بحجر صغير يخرج منه ماء كثير فتعجب منه فأنطقه الله تعالى فقال منذ سمعت قوله تعالى وقودها الناس والحجارة فأنا أبكى من خوفه فسأل ربه أن يجيره من النار فأجاره ثم رآه بعد مدة مثل ذلك فقال لم تبكى الآن فقال ذاك بكاء الخوف

وهذا

كان قبل ذلك بيوم أخرج له منبر الى البرية فيامر سليمان أن ينادى بصوت يسمع البلاد وما حولها من الغياض والآكام والبرارى وتأتى السباع من الغياض وتأتى الهوام من الجبال وتأتى الطير من الاوكار وتأتى العذارى من خدورهن وتجتمع الناس لذلك اليوم ويأتى داود عليه السلام حتى يرقى على المنبر ويحيط به بنو اسرائيل وكل صنف على حدته محيطون به وسليمان عليه السلام قائم على رأسه فيأخذ فى الثناء على ربه فيضجون بالبكاء والصريخ ثم يأخذ فى ذكر الجنة والنار فيموت الهوام وطائفة من الوحوش والسباع ثم يأخذ فى أهوال يوم القيامة وفى النياح على نفسه فيموت من كل نوع طائفة فاذا رأى سليمان عليه السلام كثرة الموتى قال ياأبتاه قد مزقت المستمعين كل ممزق وماتت طوائف من بنى اسرائيل ومن الوحوش والهوام فيأخذ فى الدعاء فبينما هو كذلك اذ ناداه بعض عباد بنى اسرائيل ياداود عجلت بطلب الجزاء على ربك قال فخر داود مغشيا عليه فلما نظر سليمان عليه السلام الى ما أصابه أتى بسرير فحمله عليه ثم أمر مناديا ينادى ألا من كان له مع داود قريب أو حميم فليأت بسريره فليحمله عليه فان الذين كانوا معه قد قتلهم ذكر الجنة والنار وكانت المرأة تأتى بالسرير وتحمل قريبها وتقول يامن قتله ذكر النار يامن قتله خوف الله تعالى ثم أفاق داود عليه السلام ووضع يده على رأسه ودخل بيت عبادته وأغلق بابه وقال يااله داود أغضبان أنت على داود ولا يزال يناجى حتى يأتى

وهذا بكاء الشكر والسرور وقال حاتم الاصم لا تغتر بموضع صالح فلا مكان أصلح من الجنة ولقد لقى آدم عليه السلام فيها مالقى ولا تغتر بكثرة العبادة فان ابليس بعد طول تعبده لقى مالقى ولا تغتر بكثرة العلم فان بلعام بن باعوراء كان يحسن الاسم الاعظم فانظر ماذا لقى ولا تغتر برؤية الصالحين ولا شخص أكبر عند الله تعالى منزلة من المصطفى صلى الله عليه وسلم ولم ينتفع بلقائه أقاربه وأعداؤه

(فصل) فى الخوف من سوء الخاتمة فى الصحيحين عن ابن مسعود رضى الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات يكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد فوالذى لا اله غيره ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى مايكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى مايكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها قال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعمل عمل أهل النار وانه من أهل الجنة ويعمل عمل أهل الجنة وانه من أهل النار وانما الاعمال بالخواتيم وقالت عائشة رضى الله عنها كان النبى صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول يامقلب القلوب ثبت قلبى على طاعتك فقلت يارسول الله انك تكثر أن تدعو بهذا الدعاء فهل تخشى قال ومايؤمننى ياعائشة وقلوب العباد بين أصبعين من أصابع الجبار اذا أراد أن يقلب قلب عبده قلبه وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان العبد اذا كان عند الموت قعد عند رأسه شيطانان الواحد عن يمينه والآخر عن شماله فالذى عن يمينه على صفة أبيه يقول له أى بنى انى كنت عليك شفيقا ولك محبا ولكن مت على دين النصارى وهو خير الاديان والذى عن شماله على صفة أمه يقول له يابنى كان فى بطنى لك وعاء وثديى لك سقاء وفخذى لك وطاء ولكن مت على دين اليهود وهو خير الاديان وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل حضرت وفاة أبى رحمه الله وبيدى خرقة لاشد لحيته فكان يغرق ثم يفيق ويقول بيده لا بعد لا بعد فعل هذا مرارا فقلت له ياأبت أى شئ مايبدو منك فقال ان الشيطان قائم بحذائى عاض على أنامله يقول ياأحمد فتنى وأنا أقول لا بعد لا بعد حتى أموت وروى أنه كان بمصر رجل ملتزم مسجدا للاذان والصلاة وعليه بهاء الطاعة وأنوار العبادة فرقى يوما المنارة على عادته للاذان وكان تحت المنارة دار لنصرانى فاطلع فيها فرأى ابنة صاحب الدار فافتتن بها وترك الاذان ونزل اليها ودخل الدار فقالت له ماشانك ماتريد فقال لك أريد قالت لماذا قال لها قد سلبت لبى وأخذت بمجامع قلبى قالت لا أجيبك الى ريبة قال لها أتزوجك قالت له أنت مسلم وأنا نصرانية وأبى لا يزوجنى منك قال لها أتنصر قالت ان فعلت أفعل فتنصر ليتزوجها وأقام معهم فى الدار فلما كان فى أثناء ذلك اليوم رقى الى سطح كان فى الدار فسقط منه فمات فلا هو بدينه ولا هو بالمرأة فنعوذ بالله من سوء الخاتمة وروى النسائى عن عثمان رضى الله عنه قال اجتنبوا الخمر فانها أم الخبائث انه كان رجل ممن كان قبلكم تعبد فعلقته امرأة غوية فأرسلت اليه جارية فقالت له انا ندعوك للشهادة فانطلق مع جاريتها فطفقت كلما دخل بابا أغلقته دونه حتى أفضى الى امرأة وضيئة عندها غلام وباطية خمر فقالت والله مادعوتك للشهادة ولكن دعوتك لتقع على أو تشرب من هذا الخمر كأسا أو تقتل هذا الغلام قال فاسقينى كأسا من هذا الخمر فسقته كأسا فقال زيدينى فلم يرم حتى وقع عليها وقتل النفس فاجتنبوا الخمر فانه والله لا يجتمع الايمان وادمان الخمر الا يوشك أن لا يخرج أحدهما صاحبه ويروى أن رجلا أسيرا مسلما وكان حافظا للقرآن خص بخدمة راهبين فحفظا منه آيات كثيرة لكثرة تلاوته فأسلم الراهبان وتنصر المسلم فقيل له ارجع الى دينك فلا حاجة لنا فيمن لم يحفظ دينه قال لا أرجع اليه أبدا فقتل وقال سفيان الثورى رحمه الله رأيت رجلا متعلقا بأستار الكعبة وهو يقول اللهم سلم سلم فقلت ياأخى ماقصتك قال كنا أربعة اخوة مسلمين فتوفى منا ثلاثة كل واحد يفتن عند موته ولم يبق الا أنا فلا أدرى بماذا يختم لى وتاب رجل نباش فسئل عن سبب توبته قال رأيت سبعين رجلا فى قبورهم قد حولوا عن القبلة وقال الحسن دخل بعض الفقراء الى بلاد الروم فرأى جارية فافتتن بها فخطبها

سليمان عليه السلام ويقعد على الباب ويستأذن ثم يدخل ومعه قرص شعير ويقول ياأبتاه تقوم بهذا على ماتريد فيأكل من ذلك القرص ماشاء الله تعالى ثم يخرج الى بنى اسرائيل فيكون بينهم وقال يزيد الرقاشى خرج داود ذات يوم بالناس يعظهم ويخوفهم فخرج فى أربعين ألفا فمات ثلاثون ألفا وما رجع الا فى عشرة آلاف وكان له جاريتان اتخذهما حتى اذا جاءه الخوف وسقط فاضطرب قعدتا على صدره ورجليه مخافة أن تتفرق أعضاؤه وقال أبو بكر رضى الله عنه لطير ليتنى كنت مثلك ياطير ولم أخلق بشرا وقال أبو ذر وددت انى شجرة تعضد وقال عثمان رضى الله عنه وددت انى اذا مت لم أبعث وقالت عائشة رضى الله عنها وددت لو كنت نسيا منسيا وكان فى وجه عمر رضى الله عنه خطان أسودان من الدموع وقال عمر رضى الله عنه من خاف الله لم يشف غيظه ومن اتقى الله لم يصنع مايريد ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون وقال على رضى الله تعالى عنه ذات يوم وقد سلم من صلاة الفجر وقد علاه كآبة وهو يقلب يده لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فلم أر اليوم شيأ يشبههم لقد كانوا يصبحون صفرا شعثا غبرا بين أعينهم أمثال ركب المعزى قد باتوا لله سجدا وقياما يتلون كتاب الله يراوحون بين جباههم وأقدامهم واذا أصبحوا وذكروا الله مادوا كما

فابوا أن يزوجوه حتى يتنصر فاجابهم الى ذلك فاحضروا له القسيسين فتنصر فخرجت الجارية وبصقت فى وجهه وقالت يا ويحك تركت دين الحق لشهوة فكيف لا اترك أنا دين الباطل لنعيم الابد أنا أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وأتى بعض الصالحين بطبيب نصرانى فى مرضه فصاح أخرجوه عنى ثم قال الهى لو صبيت على كل بلاء فى الدنيا لم أبال بعد أن لا تعذبنى بالكفر ويقال فى قوله تعالى اخبارا عن أهل الجنة انا كنا قبل فى أهلنا مشفقين أى كنا نحن فى الدنيا بين أهلنا خائفين مشفقين من سوء الخاتمة فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم أى من علينا فتوفانا على الايمان وكان على بن أبى النجم يبكى ويقول ومن لى أن يختم لى بلا اله الا الله وقال حامد اذا صعدت الملائكة بروح العبد المؤمن تقول الملائكة كيف سلم هذا من دار فتن فيها خيارنا قال عبد الحق رحمه الله واعلم أن سوء الخاتمة أعاذنا الله منها لا تكون لمن استقام ظاهره وصلح باطنه ما سمع بهذا ولا علم به والحمد لله وانما تكون لمن كان له فساد فى العقد واصرار على الكبائر أو اقدام على العظائم وربما غلب ذلك عليه حتى ينزل به الموت قبل التوبة فيصطلمه الشيطان عند تلك الصدمة ويختطفه عند تلك الدهشة والعياذ بالله ثم العياذ بالله أو يكون ممن كان مستقيما ثم يتغير عن حاله ويخرج عن سننه ويأخذ فى غير طريقه فيكون ذلك سببا لسوء خاتمته وشؤم عاقبته كابليس اللعين الذى عبد الله فيما يروى ثمانين ألف سنة وبلعام بن باعوراء الذى آتاه الله آياته فانسلخ منها لخلوده الى الارض واتباع هواه وبرصيصا العابد الذى قال الله فى حقه كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر (وحكى) ابن الجوزى رحمه الله فى روضة المشتاق عن بعض السادة أنه قال يؤتى يوم القيامة بشيخ كان مسلما ثم صار كافرا فيؤمر به الى النار فتلقاه زوجته وولده فيقولون له ما الذى صيرك كافرا فيقول لهم لم تزل الخطايا والزلات تحل عقد ايمانى وتمحو بظلمتها نور امن لسانى حتى أعمتنى الكفر وأعمانى قال الله تعالى وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ويحكى أن فتى من أصحاب الفضيل بن عياض رحمه الله مات فرآه الفضيل فى المنام فسأله عن حاله فاخبره أنه مكر به ومات يهوديا فقيل له ولم ذلك قال لانى كنت أظن انى أفضل أصحابك وكنت أتكبر عليهم وكانت بى علة باطنة فوصف لى شرب الخمر فكنت أشرب قدحا فى كل سنة

(الباب الثالث فى الجمع بين الرجاء والخوف)

وقد جمع الله بينهما فى آيات كثيرة قال الله تعالى ان ربك لشديد العقاب وانه لغفور رحيم وقال الله تعالى وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وان ربك لشديد العقاب وقال تعالى حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول وقال الشيخ عبد العزيز رحمه الله فى طهارة القلوب معنى ح أقسم بحلمى ومعنى م أقسم بمجدى فمن الجمال المجد والحلم ومن الجلال العز والعلم ثم ان من الجمال غافر الذنب وقابل التوب ثم من الجلال شديد العقاب ثم من الجمال ذى الطول أى الفضل فردد لك بين خوفه ورجائه وأقامك بين رأفته وكبريائه وقال تعالى نبئ عبادى أنى أنا الغفور الرحيم وأن عذابى هو العذاب الاليم وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول ان الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة وأمسك عنده تسعا وتسعين رحمة وأرسل فى خلقه كلهم رحمة واحدة فلو يعلم الكافر بكل الذى عنده من الرحمة لم ييأس من الجنة ولو يعلم المؤمن بكل الذى عنده من العذاب لم يأمن من النار وروى الترمذى عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو فى الموت فقال كيف تجدك قال أرجو الله وأخاف ذنوبى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمعان فى قلب عبد فى مثل هذا الموطن الا أعطاه ما يرجو وأمنه مما يخاف

(فصل) قال العلماء رحمهم الله تعالى ينبغى للمريض أن يحسن الظن بربه سبحانه وتعالى ومعناه يظن أن الله تعالى يرحمه وأما فى حال الصحة فوجهان أظهرهما فى شرح المهذب أن يكون خوفه ورجاؤه سواء والثانى يكون خوفه أرجح وقال الغزالى رحمه الله فى الاحياء الرجاء والخوف دواآن يداوى بهما القلوب ففضلهما بحسب الداء الموجود فان غلب على القلب داء الامن من مكر الله والاغترار به فالخوف أفضل وان غلب عليه

تميد الشجر فى يوم الريح وهملت أعينهم بالدموع حتى تبل ثيابهم والله كأنى بالقوم باتوا غافلين ثم قام فلم ير بعد ذلك ضاحكا حتى ضربه ابن ملجم وكان عمر رضى الله تعالى عنه اذا سمع آية من القرآن يسقط من الخوف مغشيا عليه فكان يعاد أياما وأخذ يوما تبنة من الارض فقال ياليتنى كنت هذه التبنة ياليتنى لم أك شيأ مذكورا ياليتنى لم تلدنى أمى ياليتنى كنت نسيا منسيا وكان على بن الحسين رضى الله عنه اذا توضأ اصفر لونه فيقول له أهله ما هذا الذى يعتادك عند الوضوء فيقول أتدرون بين يدى من أريد أن أقوم وروى أن الفضيل رضى الله عنه رؤى يوم عرفة والناس يدعون وهو يبكى بكاء الثكلى المحترقة حتى اذا كادت الشمس تغرب قبض على لحيته ثم رفع رأسه الى السماء فقال واسوأتاه منك وان غفرت لى ثم انقلب مع الناس وسئل ابن عباس رضى الله عنه عن الخائفين فقال قلوبهم من الخوف قرحة وأعينهم باكية يقولون كيف نفرح والموت وراءنا والقبر أمامنا والقيامة موعدنا وعلى جهنم طريقنا وبين يدى ربنا موقفنا وكان حماد بن عبد ربه اذا جلس جلس مستوفزا على قدميه فيقال له لو اطمأننت فيقول تلك جلسة الآمنين وأنا غير آمن اذ عصيت الله عز وجل وقال عمر بن عبد العزيز انما جعل الله تعالى هذه الغفلة رحمة فى قلوب عباده كيلا يموتوا من خشية الله تعالى وروى أن فتى من الانصار دخلته خشية من النار فدخل النبى صلى الله عليه وسلم فاعتنقه فخر ميتا فقال

اليأس والقنوط والمعاصى فالرجاء أفضل ويجوز أن يقال الخوف أفضل مطلقا لغلبة المعاصى فهو أفضل فى حق الاكثرين وأما التقى الذى ترك ظاهر الاثم وباطنه فينبغى أن يعتدل خوفه ورجاؤه قال والاولى أن يستعمل لفظ الاصلح لا الافضل فيقال الاصلح لاكثر الخلق الخوف دون الرجاء وأما التقى الذى ترك ظاهر الاثم وباطنه فينبغى ان يعتدل خوفه ورجاؤه قال ومن لاحظ من صفاته تعالى ما يقتضى اللطف والرحمة غلب عليه الرجاء وأثمر له المحبة وهى أعلى المقامات فيكون الرجاء أفضل بهذا الاعتبار

(كتاب الزهد والفقر وفيه بابان)

(الباب الاول فى فضل الفقراء)

قال الله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى الآية قال سلمان وخباب بن الارت رضى الله عنهما فينا نزلت هذه الآية جاء الاقرع بن حابس التميمى وعيينة بن حصن الفزارى وأصحابهما من المؤلفة قلوبهم فوجدوا النبى صلى الله عليه وسلم قاعدا مع بلال وصهيب وعمار وخباب فى ناس من ضعفاء المؤمنين فلما رأوهم حوله حقروهم فأتوه فقالوا يا رسول الله لو جلست فى صدر المسجد ونفيت عنا هؤلاء وأرواح جبابهم وكان عليهم جباب صوف لم يكن عليهم غيرها لجالسناك وأخذنا عنك فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما أنا بطارد المؤمنين قالوا انا نحب أن تجعل لنا مجلسا تعرف به العرب فضلنا فان وفود العرب تأتيك فنستحى أن ترانا مع هؤلاء الاعبد فاذا نحن جئناك فاقمهم عنا فاذا نحن فرغنا فاقعد معهم ان شئت قال نعم فقالوا اكتب لنا عليك بذلك كتابا فدعا بالصحيفة ودعا عليا رضى الله عنه ليكتب قال ونحن قعود فى ناحية اذ نزل جبريل عليه السلام بقوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى الى قوله بالشاكرين فالقى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيفة من يده ثم دعانا فأتيناه وهو يقول سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة فكنا نقعد معه فاذا أراد أن يقوم قام وتركنا فانزل الله عز وجل واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقعد معنا بعد وندنو منه حتى كادت ركبنا تمس ركبته فاذا بلغ الساعة التى يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم وقال الحمد لله الذى لم يمتنى حتى أمرنى ان أصبر نفسى مع قوم من أمتى معكم المحيا ومعكم الممات عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال جلست فى نفر من ضعفاء المهاجرين وان بعضهم ليستتر ببعض من العرى وقارئ يقرأ علينا اذ جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام علينا فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم سكت القارئ فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما كنتم تصنعون قلنا يا رسول الله كان قارئ يقرأ علينا فكنا نسمع الى كتاب الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذى جعل من أمتى من أمرنى أن أصبر نفسى معهم قال ثم جلس وسطنا ليعدل نفسه فينا ثم قال بيده هكذا فتحلقوا وبرزت وجوههم له قال فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم عرف منهم أحدا غيرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبشروا يا معشر صعاليك المهاجرين بالفوز التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم وذلك مقدار خمسمائة سنة وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة الفقراء قبل الاغنياء بخمسمائة عام رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وعن سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه قال مر رجل على النبى صلى الله عليه وسلم فقال لرجل عنده جالس ما رأيك فى هذا فقال رجل من أشراف الناس هذا والله حرى ان خطب أن ينكح وان شفع أن يشفع فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مر رجل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأيك فى هذا قال يا رسول الله هذا رجل من فقراء المسلمين هذا حرى ان خطب أن لا ينكح وان شفع أن لا يشفع وان قال لا يسمع لقوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا خير من ملء الارض مثل هذا رواه البخارى ومسلم وقال صلى الله عليه وسلم رب أشعث مدفوع بالابواب لو أقسم على الله لابره رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم قمت على باب الجنة فكان عامة من دخلها المساكين وأصحاب الجد محبوسون غير أن أصحاب النار قد أمر بهم الى النار وقمت على باب النار فاذا عامة من دخلها النساء رواه البخارى ومسلم والجد بفتح الجيم الحظ

صلى الله عليه وسلم جهزوا صاحبكم فان الفرق فتت كبده والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب *(الباب الرابع والثلاثون فى الفقر والزهد) قال الله تعالى يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله اعلم أن الفقير من احتاج الى ما ليس علاك والناس كلهم فقراء الى الله تعالى لانهم محتاجون اليه فى دوام وجودهم وابتداء وجودهم منه وليس لهم ذلك بل ذلك لله تعالى فهو الغنى المطلق ونحن الآن نذكر فقير المال وهو أن لا يكون له مال يحتاج اليه لمعيشته وللفقير أحوال فمنها أن يكون كارها لوجود المال هاربا منه وهو الزاهد الثانى أن يكون بحيث لا يهرب منه ولا يرغب فيه ولكن اذا وجد لا يكرهه وهو الراضى الثالث أن يكون وجود المال أحب اليه من فقده اذا جاءه عفوا صفوا ولكن لا ينهض للطلب الرابع أن يكون مريدا للمال راغبا فيه ولكنه ترك الطلب للعجز الخامس أن يكون ما فقده من المال يضطر اليه كالجائع الفاقد للخبز والعارى الفاقد للثوب لنفسه أو لعياله فصاحب هذه الحالة ان خلا عن الرغبة وهو من النوادر فهو هذا الحقيقى وأعلى من هذه الاحوال كلها أن يكون وجود المال وعدمه عنده سواء قل المال الذى بيده أو كثر لا يبالى ولا يمنع طالبا ولا تخطر حاجة نفسه بباله كما نقل عن عائشة رضى الله عنها أنها أتاها مائة ألف درهم من العطاء ففرقتها ولم يخطر ببالها حاجتها الى شئ للافطار حتى

والغني وقوله محبوسون أي لم يؤذن لهم بعد في دخول الجنة وقال صلى الله عليه وسلم يؤتى بالعبد يوم القيامة فيعتذر الله اليه كما يعتذر الرجل الى الرجل في الدنيا فيقول وعزتي وجلالي ما زويت الدنيا عنك لهوانك علي ولكن لما أعددت لك من الكرامة أخرج الى هذه الصفوف فمن أطعمك أو كساك تريد بذلك وجهي فخذ بيده فهو لك وقال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن هدي الى الاسلام وكان عيشه كفافا وقنع بما آتاه الله عز وجل وعن أنس رضي الله عنه قال بعث الفقراء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولا فقال يا رسول الله اني رسول الفقراء اليك قال مرحبا بك وبمن جئت من عندهم جئت من عند قوم أحبهم فقال يا رسول الله ان الفقراء يقولون لك ان الاغنياء قد ذهبوا بالخير كله وروى بعضهم ذهبوا بالجنة وهم يحجون ولا نقدر عليه ويتصدقون ولا نقدر عليه ويعتقون ولا نقدر عليه واذا مرضوا بعثوا بفضول أموالهم ذخرا لهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغ الفقراء عني أن لمن صبر واحتسب منهم ثلاث خصال ليس للاغنياء منها شئ أما الخصلة الاولى فان في الجنة غرفا من ياقوت أحمر ينظر اليها أهل الجنة كما ينظر أهل الدنيا الى النجوم لا يدخلها الا نبي فقير أو شهيد فقير أو مؤمن فقير والخصلة الثانية يدخل الفقراء الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم وهو مقدار خمسمائة عام والخصلة الثالثة اذا قال الفقير سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر مخلصا وقال الغني مثل ذلك لم يلحق الغني بالفقير في فضله وتضاعف الثواب وان أنفق الغني معها عشرة آلاف درهم وكذلك أعمال البر كلها فرجع اليهم الرسول وأخبرهم بذلك فقالوا رضينا يا رب رضينا وقال صلى الله عليه وسلم ان الله اذا أحب عبدا حماه الدنيا كما يحمي أحدكم مريضه وقيل ان الله أوحى الى موسى عليه السلام يا موسى ان من عبادي من لو سألني الجنة بحذافيرها لأعطيته ولو سألني علاقة سوط من الدنيا لم أعطه وليس ذلك من هوان له علي ولكن أريد أن أدخره في الآخرة من كرامتي وأحميه من الدنيا كما يحمي الراعي غنمه من مراعي السوء وقال أبو مسلم الخولاني ما طلبت شيأ من الدنيا قط فيأتي لي حتى لقد ركبت مرة حمارا فلم يمش فركبه غيري فعدا فرأيت في منامي قائلا يقول لا يحزنك ما زوى الله عنك من الدنيا فانما يفعل ذلك بأوليائه وقال صلى الله عليه وسلم لبلال الق الله تعالى فقيرا ولا تلقه غنيا وقال صلى الله عليه وسلم لكل شئ مفتاح ومفتاح الجنة حب الفقراء والمساكين الصبر هم جلساء الله يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم اللهم أحيني مسكينا وأمتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين قال الشيخ الامام العارف عبد الله بن أسعد اليافعي رحمه الله وناهيك بهذا الشرف للمساكين ولو قال صلى الله عليه وسلم واحشر المساكين في زمرتي لكفاهم شرفا فكيف وقد قال واحشرني في زمرة المساكين وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الفقير المتعفف أبا العيال وقال صلى الله عليه وسلم من أصبح منكم معافى في جسمه وعنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا وفي الخبر اذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين واذا رأيت الغنى فقل ذنب عجلت عقوبته وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى يوم القيامة أين صفوتي من خلقي فتقول الملائكة من هم يا ربنا فيقول فقراء المسلمين القانعون بعطائي الراضون بقدري أدخلوهم الجنة فيدخلونها فيأكلون ويشربون والناس في الحساب يترددون وقال أبو الدرداء رضي الله عنه ذو الدرهمين أشد حبسا أو قال أشد حسابا من ذي الدرهم وأرسل عمر رضي الله عنه الى سعيد بن عامر بألف دينار فجاء الى منزله كئيبا حزينا فقالت امرأته أحدث أمر قال أشد من ذلك ثم قال أريني درعك الخلق فشقه وجعله صررا وفرقه ثم قام يصلي ويبكي الى الغداة ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام حتى ان الرجل من الاغنياء يدخل في غمارهم فيؤخذ بيده فيستخرج وقيل جاء فقير الى مجلس الثوري رحمه الله فقال له تخط لو كنت غنيا ما قربتك وكان الاغنياء من أصحابه يودون أنهم فقراء لكثرة تقريبه الفقراء واعراضه عن الاغنياء وقال المؤمل ما رأيت الغني أذل منه في مجلس الثوري ولا رأيت الفقير أعز منه في مجلس الثوري فقال بعض الحكماء مسكين ابن آدم لو خاف من النار كما يخاف من الفقر لنجا منهما جميعا ولو رغب في الجنة كما يرغب في الغنى لفاز بهما جميعا ولو خاف الله في الباطن كما يخاف خلقه في الظاهر لسعد

قالت لها خادمتها واشتريت لنا بدرهم لحما كنا نفطر عليه فقالت لو ذكرتيني لفعلت (فصل في فضيلة الفقر) وقد روى ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه أي الناس خير فقالوا موسر من المال يؤدي حق الله تعالى في نفسه وماله فقال صلى الله عليه وسلم نعم الرجل هذا وليس به قالوا فمن يا رسول الله خير الناس فقال صلى الله عليه وسلم فقير يعطي جهده وفي الخبر المشهور يدخل فقراء أمتي الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة عام وروي أن عيسى عليه السلام مر برجل نائم على التراب وتحت رأسه لبنة ووجهه ولحيته في التراب وهو متزر بعباءة فقال يا رب عبدك هذا في الدنيا ضائع فأوحى الله تعالى اليه يا عيسى أما علمت اني اذا نظرت الى عبدي بوجهي كله زويت عنه الدنيا كلها وقال عليه السلام ان لي حبيبين اثنين فمن أحبهما فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني الفقر والجهاد وروي أن جبريل عليه السلام نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ان الله تعالى يقرئك السلام ويقول لك أتحب أن أجعل لك هذا الجبل ذهبا وتكون معك حيثما كنت فأطرق رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة ثم قال يا جبريل ان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ويجمعها من لا عقل له فقال جبريل يا محمد ثبتك الله بالقول الثابت وروي أن عيسى عليه

في

في الدارين جميعا وقال ابن عباس ملعون من أكرم الغني وأهان الفقير وقال لقمان لابنه لا تحقرن أحدا لخلقان ثيابه فان ربك وربه الله واحد وقال يحيى بن معاذ حبك للفقراء من أخلاق المرسلين وايثارك لمجالستهم من علامات الصالحين وفرارك من صحبتهم من علامات المنافقين وفي الاخبار عن الكتب السالفة أن الله تعالى أوحى الى بعض انبيائه احذر أن أمقتك فتسقط من عيني فاصب عليك الدنيا صبا وجاء رجل الى ابراهيم بن أدهم رحمه الله بعشرة آلاف درهم فأبى عليه أن يقبلها فألح عليه الرجل فقال ابراهيم أتريد أن تمحو اسمي من ديوان الفقراء بعشرة آلاف درهم (وحكي) السبتي اسمه أحمد أنه كان لهارون الرشيد ولد وقد بلغ من العمر ستة عشر سنة وكان قد رافق الزهاد والعباد وكان يخرج الى المقابر ويقول قد كنتم قبلنا وقد كنتم تملكون الدنيا فما أراها منجيتكم وقد صرتم الى قبوركم فيا ليت شعري ما قلتم وما قيل لكم ويبكي بكاء شديدا فمر يوما على أبيه وعليه جبة صوف وعلى رأسه مئزر صوف فقال بعض الوزراء لقد فضح هذا الولد أمير المؤمنين بين الملوك فقال له أبوه يا بني لقد فضحتني بما أنت عليه فنظر اليه ولم يجبه ثم نظر الى طائر على شرافة من شراريف القصر فقال أيها الطائر بحق الذي خلقك الا ما جئت على يدي فانقض الطائر على كنفيه ثم قال له ارجع الى موضعك فرجع فقال بحق من خلقك الا ما سقطت في كف أمير المؤمنين فما نزل فقال له الغلام أنت الذي فضحتني بحبك الدنيا ثم فارقه ولم يتزود منه بشئ الا مصحفا وذهب الى البصرة وكان يعمل مع الفعلاء في الطين وكان لا يعمل الا يوم السبت بدرهم ودانق يتقوت كل يوم بدانق قال أبو عامر البصري وكان قد وقع لي حائط فخرجت أطلب من يعمله فرأيت غلاما لم أر أحسن منه وجها وبين يديه زنبيل ومجرفة وهو يقرأ في المصحف فقلت له أتعمل فقال فيم أعمل قلت في الطين قال بدرهم ودانق وأصلي صلاتي قلت لك ذلك ثم مضيت به الى العمل فعمل عمل عشرة رجال فوزنت له درهمين فأبى الا درهما ودانقا فلما كان من الغد خرجت الى السوق فلم أجده فسألت عنه فقيل لي لا يعمل الا يوم السبت فأخرت العمل الى السبت الثاني ثم أتيته فوجدته فقال لي مثل الاولى فمضيت به الى العمل فوقفت أنظر اليه من بعيد وهو لا يراني فأخذ كفا من الطين وتركه على الحائط واذا الحجارة تتركب بعضها على بعض فقلت هكذا أولياء الله يعاونون فلما أراد أن ينصرف وزنت له ثلاثة دراهم فلم يقبل سوى درهم ودانق فلما كان السبت الثالث جئت الى السوق فلم أره فسألت عنه فقيل لي له ثلاثة أيام يعالج سكرات الموت فاستدللت عليه فاذا هو في خرابة مغشيا عليه وتحت رأسه نصف لبنة فسلمت عليه فعرفني فأخذت رأسه فجعلته في حجري فمنعني من ذلك وقال لي اذا مت فغسلني وكفني في جبتي هذه فقلت يا حبيبي ولم لا أكفنك في ثياب جديدة فقال الحي أحوج الى الجديد من الميت الثياب تبلى والعمل يبقى وخذ مئزري وزنبيلي فادفعهما الى الحفار وخذ هذا المصحف والخاتم وادفعهما الى هرون الرشيد ولا تدفعهما الا من يدك الى يده وقل له يا أمير المؤمنين معي وديعة من غلام غريب وهو يقول لك لا تموتن على غفلتك ثم خرجت روحه رحمه الله فعلمت أنه ولد الخليفة وعملت ما أوصاني به وأخذت المصحف والخاتم ودخلت بغداد وقصدت قصر هرون فلما خرج قلت له يا أمير المؤمنين معي وديعة من غلام غريب ثم دفعت اليه المصحف والخاتم وقلت له ما أوصاني به فنكس رأسه وأسبل دمعته وأوصى على بعض حجابه وقال ليكن هذا عندك الى أن أسألك عنه فلما رجع أمر بالستور فرفعت ثم قال للحاجب أين الرجل فلما دخلت عليه قال أدن مني فدنوت منه فقال أتعرف ولدي قلت نعم قال في أي شئ كان يعمل قلت في الطين والحجارة قال استعملته أنت قلت نعم قال استعملته وله اتصال برسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ما علمت من هو الا عند وفاته قال أنت غسلته بيدك قلت نعم قال هات يدك فأخذها وتركها على صدره وهو يقول بأبي كيف كفنت الغريب العزيز ثم ذهب الى البصرة حتى انتهى الى القبر فلما رآه غشي عليه ثم أفاق وجعل يبكي بكاء شديدا قال أبو عامر فلما كان تلك الليلة قضيت وردي واضطجعت فرأيت قبة من نور عليها سحاب من نور واذا قد كشف السحاب فاذا الغلام ينادي يا أبا عامر جزاك الله عني خيرا فقلت الى ماذا صرت اليه قال الى رب راض غير غضبان أعطاني ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على

السلام مر في سياحته برجل نائم ملتف في عباءة فأيقظه فقال يا نائم قم فاذكر الله فقال ما تريد مني اني قد تركت الدنيا لأهلها فقال له فنم اذا حبيبي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها الاغنياء وقال عليه السلام يا معشر الفقراء اعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بالثواب لفقركم والا فلا وأوحى الله تعالى الى اسمعيل عليه السلام اطلبني عند المنكسرة قلوبهم قال ومن هم قال الفقراء الصادقون فاذا للفقراء فضيلة قد نطقت بها الاخبار والآثار ولا بأس بالاكتساب من المال وقال صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا وبعد الكفاف ما زاد عليه فهو منقصة وامساكه يوجب نقصان الدرجة كما نطقت به الاخبار

(فصل) اعلم أن الاخبار دلت على تحريم السؤال فمنها قوله صلى الله عليه وسلم من سأل عن ظهر غنى فانما يستكثر من نار جهنم وقد ورد أيضا ما يدل على الرخصة في السؤال ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم للسائل حق وان جاء على فرس ولولا أنه جائز لما كان له حق البتة فاذا السؤال انما يرخص فيه بقدر الضرورة والحاجة وما زاد على ذلك فلا سبيل الى الرخصة فيه بيان (أحوال السائلين) كان بشر يقول الفقراء ثلاث فقير لا يسأل وان أعطي أخذ فهذا مع المقربين في جنات

قلب بشر وآلى على نفسه أن لا يخرج عبد من الدنيا مثل خروجي الا أكرمه مثل كرامتي واستيقظت فرحا بما قال لي وبشرني به رضي الله عنه ونفعنا به

﴿الباب الثاني في الزهد وفيه خمسة فصول﴾

﴿الفصل الاول في فضله﴾ قال الله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا الى قوله والعاقبة للتقوى قال أبو رافع رضي الله عنه نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فبعثني الى يهودي فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعني كذا من الدقيق أو اسلفني الى هلال رجب فأتيته فقلت له ذلك فقال والله لا أبيعه ولا أسلفه الا برهن فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال والله لئن باعني أو أسلفني لقضيته واني لامين في السماء أمين في الارض اذهب بدرعي الحديد اليه فنزلت هذه الآية ولا تمدن عينيك لا تنظر الى ما متعنا به أعطينا أزواجا أصنافا منهم زهرة الحياة الدنيا أي زينتها لنفتنهم فيه أي لنجعل ذلك فتنة لهم بأن أزيد لهم النعمة فيزيدوا كفرا وطغيانا ورزق ربك في المعاد يعني الجنة خير وأبقى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تغبطن فاجرا بنعمة فانك لا تدري ما هو لاق بعد موته ان له عند الله قاتلا لا يموت يعني النار وقال صلى الله عليه وسلم اذا نظر أحدكم الى من فضل عليه في المال والجسم فلينظر الى من دونه في المال والجسم قال أبي بن كعب من لم يتعز بعزة الله تقطعت نفسه حسرات ومن يتبع بصره ما في أيدي الناس يطل حزنه ومن ظن أن نعمة الله في مطعمه ومشربه وملبسه فقد قل علمه وحضر عذابه وامر أهلك بالصلاة أي قومك وقيل من كان على دينك لقوله تعالى وكان يامر أهله بالصلاة والزكاة واصطبر عليها أي اصبر على الصلاة فانها تنهى عن الفحشاء والمنكر لا نسألك رزقا لا نكلفك أن ترزق أحدا من خلقنا ولا أن ترزق نفسك وانما نكلفك عملا نحن نرزقك والعاقبة الجميلة المحمودة للتقوى أي لاهل التقوى قال ابن عباس رضي الله عنهما الذين صدقوك واتبعوك واتقوني وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أصاب أهله ضر أمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية وروى ابن ماجه وغيره أن رجلا قال يا رسول الله دلني على عمل اذا عملته أحبني الله وأحبني الناس قال ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في أيدي الناس يحبني الناس وعن عمرو ابن الحرث رضي الله عنه قال ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته درهما ولا دينارا ولا عبدا ولا أمة ولا شيا الا بغلته البيضاء التي كان يركبها وسلاحه وأرضا جعلها لابن السبيل صدقة رواه البخاري وقال صلى الله عليه وسلم من اشتاق الى الجنة سارع في الخيرات ومن خاف من النار لها عن الشهوات ومن ترقب الموت ترك اللذات ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات وقال سفيان بن عيينة الزهد ثلاثة أحرف زاي وهاء ودال فمعنى الزاي ان تترك زينة الدنيا ومعنى الهاء أن تترك هواها ومعنى الدال ان تترك الدنيا باسرها فاذا كان هكذا حينئذ سمي زاهدا وقال ابراهيم بن أدهم الزهد ثلاثة أصناف فزهد فرض وزهد فضل وزهد سلامة فالزهد الفرض الزهد في الحرام والزهد الفضل الزهد في الحلال والزهد السلامة الزهد في الشبهات وقال أحمد بن حنبل رحمه الله الزهد على ثلاثة أوجه ترك الحرام وهو زهد العوام والثاني ترك الفضول من الحلال وهو زهد الخواص والثالث ترك ما يشغل العبد عن الله عز وجل وهو زهد العارفين وقال الشافعي رضي الله عنه خير الدنيا والآخرة في خمس خصال غنى النفس وكف الاذى وكسب الحلال ولباس التقوى والثقة بالله عز وجل على كل حال

﴿الفصل الثاني في المطعم﴾ عن عائشة رضي الله عنها قالت ما شبع آل محمد من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض رواه البخاري ومسلم وعن عروة عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقول والله يا ابن أختي ان كنا لننظر الى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة في شهرين وما أوقد في أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار قلت يا خالة وما كان يعيشكم قالت الاسودان التمر والماء الا أنه قد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جيران من الانصار وكانت لهم منائح فكانوا يرسلون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ألبانها فيسقينا رواه البخاري ومسلم وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من

الفردوس وفقير يسال عند حاجته فهذا مع الصادقين من أصحاب اليمين فتبين بهذا حال الفقراء الخمس التي شرحناها في صدر هذا الباب وان السؤال وان كان عن ضرورة أو حاجة فلا بد وأن ينقص من الدرجة وقال ابراهيم بن أدهم لشقيق بن ابراهيم حين قدم عليه من خراسان كيف تركت الفقراء من أصحابك قال تركتهم ان أعطوا شكروا وان منعوا صبروا وظن انه لما وصفهم من ترك السؤال قد أثنى عليهم عند ابراهيم قال له ابراهيم هكذا تركت كلاب بلخ قال له شقيق كيف الفقراء عندك يا أبا اسحاق فقال الفقراء عندنا ان منعوا شكروا وان أعطوا آثروا فقبل رأسه وقال صدقت يا أستاذ واعلم أنه قد يعرض من الاحوال لبعض الاشخاص ما يكون السؤال في حقه فضيلة زائدة على تركه وذلك كما روي أن بعضهم رأى أبا الحسن النوري يمد يده ويسأل الناس في بعض المواطن قال فعظم عندي فذكرته للجنيد فقال فلا يعظم هذا عليك فان النوري لم يسال الناس الا ليعطيهم وانما سالهم ليثيبهم في الآخرة فيؤجرون من حيث لا يضره وكأنه أشار به الى قوله صلى الله عليه وسلم يد المعطي هي العليا فقال بعضهم يد المعطي هي يد الآخذ للمال لانه يعطي الثواب والقدر له لا لما يأخذه ثم قال الجنيد رضي الله عنه هات الميزان فوزن مائة درهم ثم قبض قبضة فالقاها على المائة

الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير رواه البخاري وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال لقد رأيت نبيكم صلى الله عليه وسلم ما يجد من الدقل ما يملأ به بطنه رواه مسلم والدقل تمر رديء وعن أنس رضي الله عنه انه مشى الى النبي صلى الله عليه وسلم بخبز شعير واهالة سنخة ولقد رهن النبي صلى الله عليه وسلم درعا له بالمدينة عند يهودي وأخذ منه شعيرا لاهله ولقد سمعته يقول ما أمسى عند آل محمد صاع بر ولا صاع حب وان عنده لتسع نسوة وعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا صلى بالناس يخر رجال من قامتهم في الصلاة من الخصاصة وهم أصحاب الصفة حتى يقول الاعراب هؤلاء مجانين فاذا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف اليهم وقال لو تعلمون ما لكم عند الله لاحببتم ان تزدادوا فاقة وحاجة صححه الترمذي وروي عن أنس قال جاءت فاطمة رضي الله عنها بكسرة خبز الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الكسرة قالت قرص خبزته ولم تطب نفسي حتى أتيتك بهذه الكسرة فقال اما انه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام وقيل كان ابراهيم بن أدهم رحمه الله من أهل النعم بخراسان فبينما هو يشرف من قصر له ذات يوم اذ نظر الى رجل في فناء القصر بيده رغيف يا كله فلما أكل نام فقال لبعض غلمانه اذا قام فجئني به فلما قام جاء به اليه قال ابراهيم أيها الرجل أكلت الرغيف وأنت جائع فقال نعم قال فشبعت قال نعم قال ثم نمت طيبا قال نعم قال ابراهيم في نفسه فما أصنع أنا بالدنيا النفس تقنع بهذا القدر ومر رجل بعامر بن عبد قيس وهو يا كل ملحا وبقلا فقال له يا عبد الله أرضيت من الدنيا بهذا القدر فقال ألا أدلك على من رضي بشر من هذا قال بلى قال من رضي بالدنيا عوضا عن الآخرة وكان محمد بن واسع يخرج خبزا يابسا فيبله بالماء ويا كله بالملح ويقول من رضي من الدنيا بهذا لم يحتج الى أحد وكان أبو ذر جالسا في الناس فاتته امرأته فقالت له تجلس بين هؤلاء والله ما في البيت هفة ولا سفة فقال يا هذه ان بين أيدينا عقبة كؤدا لا ينجو منها الا كل مخف فرجعت وهي راضية

﴿الفصل الثالث في اللبس﴾ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال لقد رأيت سبعين من أهل الصفة ما منهم رجل عليه رداء اما ازار واما كساء قد ربطوا في أعناقهم منها ما يبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهية أن ترى عورته رواه البخاري وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم من أدم حشوه ليف رواه البخاري وفي الصحيحين عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه قال أخرجت لنا عائشة كساء وازارا غليظين قالت قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذين وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أردت اللحوق بي فليكفيك من الدنيا كزاد الراكب واياك ومجالسة الاغنياء ولا تستخلقي ثوبا حتى ترقعيه وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم اشترى ثوبا بأربعة دراهم وكان قيمة ثوبيه عشرة وعد على قميص لعمر رضي الله عنه اثنتا عشرة رقعة بعضها من أدم واشترى علي رضي الله عنه ثوبا بثلاثة دراهم ولبسه وهو في الخلافة وقطع كميه من الرسغين وقال بعضهم قومت ثوبي سفيان ونعليه بدرهم وأربعة دوانق

﴿الفصل الرابع في المسكن﴾ روى أبو داود والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال مر علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نعالج خصا لنا فقال ما هذا فقلنا قد وهى فنحن نصلحه فقال ما أرى الامر الا أعجل من ذلك وقال الحسن رحمه الله مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة وقال صلى الله عليه وسلم من بنى فوق ما يكفيه كلف ان يحمله يوم القيامة وفي الخبر كل نفقة يؤجر عليها العبد الا ما أنفقه في الماء والطين وقال صلى الله عليه وسلم كل بناء وبال على صاحبه يوم القيامة الا ما أكن من حر أو برد وروي أن نوحا عليه السلام اتخذ بيتا من قصب فقيل له لو بنيت فقال هذا كثير لمن يموت وعن الحسن قال لما بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد قال ابنوه عريشا كعريش موسى قيل للحسن وما عريش موسى قال اذا رفع يده بلغ العريش يعني السقف رواه ابن أبي الدنيا وعن عمار بن عامر قال اذا رفع الرجل بناء فوق سبعة أذرع نودي يا أفسق الفاسقين الى أين رواه ابن أبي الدنيا موقوفا عليه ورفعه بعضهم قال المنذري ولا يصح وقال صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وما أنفق الرجل على أهله كتبت له صدقة

الموزونة ثم قال اجلها اليه فقلت في نفسي انما يوزن الشيء ليعرف مقداره فكيف خلط به مجهولا وهو رجل حكيم واستحييت أن أسأله فذهبت بالصرة الى النوري فقال هات الميزان فوزن مائة وقال ردها عليه وقل له أنا لا أقبل منك أنت شيأ وأخذ ما زاد على المائة قال فزاد تعجبي قال فسألته فقال الجنيد رجل حكيم أحب أن يأخذ الحبل بطرفيه وزن المائة لنفسه طلبا لثواب الآخرة وطرح عليها قبضة بلا وزن لله عز وجل فاخذت ما كان لله عز وجل ورددت ما جعله له قال فرددته الى الجنيد فبكى ثم قال أخذ ماله ورد ما لنا فالله المستعان فانظر الآن كيف صفة قلوبهم وأحوالهم وكيف أخلصوا لله تعالى أعمالهم حتى شاهد كل واحد قلب صاحبه من غير مناطقة باللسان ﴿الشطر الثاني﴾ الزهد وحقيقة الزهد أن يرغب عن شيء ويعدل الى غيره فمن ترك فضول الدنيا ورغب عنها ورغب في الآخرة فهو زاهد في الدنيا وأعلى درجات الزهد أن ترغب عن كل ما سوى الله تعالى حتى عن الآخرة والزهد لا بد له من علم ان الآخرة خير من الدنيا وعمل صادر عن حال هو تمام الرغبة في الآخرة والعمل تسليم الثمن بحفظ القلب والجوارح عما يناقض هذا البيع ويدل على فضيلة الزهد جميع الآيات والاخبار الواردة قال تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم

وماوقى به المرء عرضه كتبت له به صدقة وما أنفق المؤمن من نفقة فان خلفها على الله والله ضامن الا ما كان في بنيان أو معصية قيل لابن المنكدر وماوقى به المرء عرضه قال ما يعطى الشاعر والمتقي رواه الدارقطني والحاكم وصحح اسناده وقال الحسن دخلنا على صفوان بن محيريز وهو في بيت من قصب قد مال عليه فقيل له لو أصلحته قال كم من رجل قد مات وهذا قائم وقيل في قوله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا انه الرياسة والتطاول في البنيان ونظر عمر رضي الله عنه في طريق الشام الى صرح قد بني بجص وآجر فكبر وقال ما كنت أظن أن يكون في هذه الامة من يبني بنيان هامان لفرعون

(حكاية) قال ابن الجوزي في روضة المشتاق رأى ذو النون المصري رحمه الله رجلا قد اشترى دارا وهو يشهد في كتابها فقال عجبت لمن يشتري دارا تفنى وثيابا تبلى ثم قال له يا هذا أما لك ما اشتريت من مولاك دارا في دار السلام ومجاورة السادة الكرام فلت الامان وحلت محلا لا يقوم بنعمته الثقلان دار لها حدود أربعة فالاول منها ينتهي الى منازل الخائفين والثاني الى قباب المشتاقين والثالث الى ميدان الباكين والرابع الى رياض المحبين سمكها عرش الرحمن ونورها من نور الرضوان يشرع بابها الى قباب مضروبة وخيام منصوبة صفة عقد شرائها هذا ما اشترى العبد التواب من المولى القابل الوهاب اشترى منه هذه الدار بخروجه من ذل المعاصي الى عز الطاعة ومن تعب الحرص والطمع الى دار ساحة الزهد والورع شهد بذلك العقل والانسان وما نطق به القرآن قال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة

(الفصل الخامس في الاثاث) عن عمر رضي الله عنه قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو مضطجع على رمال حصير ليس بينه وبينه فراش قد أثر الرمال بجنبه متكئا على وسادة من أدم حشوها ليف قلت يا رسول الله ادع الله ليوسع على أمتك فان فارس والروم قد وسع عليهم وهم لا يعبدون الله فقال أوفي شك أنت يا ابن الخطاب أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة وروي أن عيسى عليه السلام كان لا يصحبه الا مشط وكوز فرأى انسانا يمشط لحيته باصابعه فرمى المشط ورأى آخر يشرب من النهر بكفيه فرمى الكوز ودخل رجل على أبي ذر رضي الله عنه فجعل يقلب بصره في بيته فقال يا أبا ذر ما أرى في بيتك متاعا ولا غير ذلك من الاثاث فقال ان لنا بيتا نوجه اليه صالح متاعنا قال انه لا بد لك من متاع ما دمت ههنا فقال ان صاحب المنزل لا يدعنا فيه ولما قدم عمير بن سعد أمير حمص على عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال له ما معك من الدنيا قال معي عصاي أتوكأ عليها وأقتل بها حية ان لقيتها ومعي جرابي أحمل فيه طعامي ومعي قصعتي آكل فيها وأغسل فيها رأسي وثوبي ومعي مطهرتي أحمل فيها شرابي ووضوئي للصلاة فما كان بعد هذا من الدنيا فهو تبع لما معي فقال عمر صدقت رحمك الله وقال علي رضي الله عنه تزوجت فاطمة رضي الله عنها ومالي ولها فراش الا جلد كبش كنا ننام عليه بالليل ونعلف عليه الناضح بالنهار ومالي خادم غيرها ولقد كانت تعجن وان قصتها لتضرب حرف الجفنة من الجهد الذي بها وقال عمران بن الحصين رضي الله عنه كانت لي من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة وجاه فقال يا عمران ان لك منزلة وجاها عندنا فهل لك في عيادة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت نعم بأبي أنت وأمي يا رسول الله فقام وقمت حتى وقفت بباب فاطمة رضي الله عنها فقرع الباب وقال السلام عليكم أأدخل فقالت ادخل بأبي أنت وأمي قال أنا ومن معي قالت ومن معك يا رسول الله قال عمران فقالت فاطمة والذي بعثك بالحق نبيا ما علي الا عباءة قال اصنعي بها هكذا وهكذا وأشار بيده فقالت هذا جسدي قد واريت فكيف برأسي فالقى اليها ملاءة كانت عليه خلقة فقال شدي بها على رأسك ثم أذنت له فدخل فقال السلام عليكم يا بنتاه كيف أصبحت فقالت أصبحت والله وجعة وزادني وجعا على ما بي اني لست أقدر على طعام آكله فقد أضر بي الجوع فبكى النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تجزعي يا بنتاه فوالله ما ذقت طعاما منذ ثلاث واني لأكرم على الله منك ولو سألت الله ربي لأطعمني ولكن آثرت الآخرة على الدنيا ثم ضرب بيده على منكبها وقال لها أبشري فوالله انك لسيدة نساء أهل الجنة قالت فأين آسية امرأة

أحسن عملا وقال تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب وقال صلى الله عليه وسلم من أصبح وهمه الدنيا شتت الله تعالى عليه أمره وفرق عليه ضيعته وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا الا ما كتب له ومن أصبح وهمه الآخرة جمع الله له همه وحفظ عليه ضيعته وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة وقال صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم العبد قد أوتي صمتا وزهدا في الدنيا فاقتربوا منه فانه يلقى الحكمة وقال عليه السلام ان أردت أن يحبك الله فازهد في الدنيا يحبك الله ولما قال حارثة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنا مؤمن حقا قال وما حقيقة ايمانك فقال عزفت نفسي عن الدنيا فاستوى عندي حجرها وذهبها وكأني بالجنة والنار وكأني بعرش ربي بارزا فقال صلى الله عليه وسلم عرفت فالزم عبد نور الله قلبه بالايمان ولما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى الشرح في قوله تعالى أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وفي قوله تعالى فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام وقيل ما هذا الشرح فقال صلى الله عليه وسلم ان النور اذا دخل القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل يا رسول الله وهل لذلك علامة قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله وقال جابر رضي الله عنه خطبنا رسول

فرعون ومريم بنت عمران قال آسية سيدة نساء عالمها ومريم سيدة نساء عالمها وخديجة سيدة نساء عالمها وأنت سيدة نساء عالمك وانكن في بيوت من قصب لا أذى فيها ولا صخب ولا نصب ثم قال لها اقنعي بابن عمك فوالله لقد زوجتك سيدا في الدنيا وسيدا في الآخرة وفي الخبر أنهم لم يكن لهم في البيت الا كساء كانوا اذا غطوا به رؤسهم انكشفت أرجلهم واذا غطوا به أرجلهم انكشفت رؤسهم وفي الليلة التي كانت فاطمة رضي الله عنها عروسا وزفت الى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان تحتها جلد شاة كانا ينامان عليه وما كان لفاطمة من متاع البيت سوى كساء ومخدة من ليف لا جرم ينادي لها يوم القيامة يا أهل الموقف غضوا أبصاركم حتى تعبر سيدة النساء فاطمة الزهراء رضي الله عنها

(باب التقوى)

قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته أي بان يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر ولا يأخذه فيه لومة لائم ويقوم بالقسط ولو على أبيه وابنه وقوله فاتقوا الله ما استطعتم مبين للمراد من الاولى أي بالغوا في التقوى فلا تتركوا من المستطاع منها شيأ وقال تعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون اتقوا تحرزوا واتركوا ما نهى الله عنه وأحسنوا الطاعة ففعلوا ما أمر الله به وفي الصحيح في سؤال جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم قال يا رسول الله ما الاحسان قال أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك والله تعالى مع خلقه بعلمه وقدرته ومعناه انه عالم بالكل قادر على الكل قال الله تعالى وهو معكم أينما كنتم والله سبحانه وتعالى مع المؤمنين بحفظه ونصرته قال الله تعالى فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وأنتم الاعلون والله معكم ومع خواص العارفين بالهامهم الذكر وترويح أسرارهم في نعيم حضرته قيل لبعض الصالحين عند موته أوصنا قال عليكم بآخر آية في سورة النحل ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أوصني يا رسول الله قال عليك بتقوى الله فانها جماع كل خير وعليك بالجهاد فانه رهبانية المسلمين وعليك بذكر الله فانه نور لك في الارض وذكر لك في السماء واخزن لسانك الا من خير فانك بذلك تغلب الشيطان وروى الترمذي عن أبي ذر ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول اللهم اني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى وقال تعالى يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا جمع الله الاولين والآخرين لميقات يوم معلوم يقول الله تعالى يا أيها الناس اني قد جعلت نسبا وجعلتم نسبا فوضعتم نسبي ورفعتم نسبكم قلت ان أكرمكم عند الله أتقاكم فأبيتم الا فلان بن فلان وفلان أغنى من فلان فاليوم أضع نسبكم وأرفع نسبي أين المتقون فينصب للقوم لواء فيتبعون لواءهم الى منازلهم فيدخلون الجنة بغير حساب وسأل رجل عيسى عليه السلام أي الناس أفضل فأخذ قبضتين من تراب فقال أي هاتين أفضل الناس خلقوا من تراب فأكرمهم أتقاهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره أن يكون أكرم الناس فليتق الله وقال تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب قال أكثر المفسرين نزلت في عوف بن مالك الاشجعي رضي الله عنه أسر العدو ابنه فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك وشكا اليه الفاقة أيضا فقال له اتق الله واصبر وأكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله ففعل الرجل ذلك فبينما هو في بيته اذ أتاه ابنه وقد غفل عنه العدو فأصاب ابلا وجاء بها الى أبيه وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يتق الله يجعل له مخرجا قال من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت وشدائد يوم القيامة وروي أن حاتما الاصم كان تلميذ الشقيق البلخي رحمهما الله قال له يوما يا حاتم منذ كم صحبتني قال حاتم منذ ثلاث وثلاثين سنة قال فما تعلمت مني في هذه المدة قال ثمان مسائل قال شقيق انا لله وانا اليه راجعون ذهب عمري معك ولم تتعلم الا ثمان مسائل فما هي قال (الاولى) نظرت الى هذا

الله صلى الله عليه وسلم قال من جاء بلا اله الا الله لا يخلط معها غيرها دخل الجنة فقال علي رضي الله عنه بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما لا يخلط بها غيرها فسره لنا فقال عليه السلام حب الدنيا طلبا لها واتباعا لها وقوم يقولون قول الانبياء ويعملون أعمال الجبابرة فمن جاء بلا اله الا الله ليس فيها شيء من هذا وجبت له الجنة وفي الخبر السخاء من اليقين ولا يدخل النار موقن والبخل من الشك ولا يدخل الجنة من شك (بيان درجات الزهد) وله ثلاث درجات (الاولى) أن يتكلف الزهد في الدنيا ويجاهد نفسه في تركها مع اشتهائها فهذا متزهد ولعله يديم فيصل الى الزهد (الثانية) أن يزهد في الدنيا طوعا لاستحقاره اياها بالاضافة الى ما طمع فيه كالذي يترك درهما لاجل درهمين وهذا لا يشق عليه ولكنه لا يخلو عن ملاحظة ما تركه وملاحظة حالة نفسه وهي الزهد وهذا أيضا فيه نقصان (الثالثة وهي العليا) وهي أن يزهد طوعا ويزهد في زهده اذ لا يرى انه ترك شيأ لمعرفته بان الدنيا لا شيء فيكون كمن ترك خزفة وأخذ جوهرة فلا يرى ذلك معاوضة والدنيا بالنسبة الى الآخرة لا نسبة بينهما قال أبو يزيد رضي الله عنه لابي موسى عبد الرحمن في أي شيء تتكلم قال في الزهد قال في أي شيء قال في الدنيا فنفض يده فقال ظننت أنه يتكلم في شيء الدنيا لا شيء يزهد فيه ومثل من ترك الدنيا للآخرة عند أهل المعرفة وأرباب

الخلق فرأيت كل واحد يحب شيأ فلا يزال محبوبه معه فاذا ذهب الى قبره فارقه فجعلت الحسنات محبوبي فاذا دخلت قبرى دخل محبوبى معى قال أحسنت فما (الثانية) قال نظرت فى قول الله عز وجل وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى فعلمت أن قوله تعالى حق فاجهدت نفسى فى دفع الهوى حتى استقرت على طاعة الله تعالى (الثالثة) انى نظرت الى هذا الخلق فرأيت كل من معه شئ له قيمة قوله عنده مقدار يحفظه ثم نظرت فى قول الله عز وجل ما عندكم ينفد وما عند الله باق فكل ما وقع لى شئ له قيمة ومقدار وجهته الى الله تعالى ليبقى لى عنده (الرابعة) نظرت الى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يرجع الى المال والحسب والشرف والنسب فنظرت فاذا هى لا شئ ثم نظرت الى قوله تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم فعملت على التقوى حتى أكون عند الله كريما (الخامسة) نظرت الى هذا الخلق فوجدت بعضهم يطعن فى بعض ويلعن بعضهم بعضا فعلمت أن أصل ذلك كله الحسد فنظرت الى قوله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا فتركت الحسد وعداوة الخلق وعلمت أن الذى قسم لى كائن لا بد منه (السادسة) نظرت الى هذا الخلق يبغى بعضهم على بعض ويعادى بعضهم بعضا فنظرت الى عدوى فى الحقيقة فاذا هو الشيطان وقد قال الله تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فعاديته وأحببت الناس أجمعين (السابعة) نظرت الى الخلق فوجدتهم يطلبون هذه الكسرة ويذلون أنفسهم بسببها ثم نظرت الى قوله تعالى وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها فعلمت انى من جملة المرزوقين فاشتغلت بالله عز وجل وتركت ما سواه (الثامنة) نظرت الى هذا الخلق فرأيتهم يتوكل بعضهم على بعض ويتكل هذا على تجارته وهذا على صنعته وهذا على صحة بدنه وكل مخلوق يتكل على مخلوق فرجعت الى قوله عز وجل ومن يتوكل على الله فهو حسبه فتوكلت على الله عز وجل فقال شقيق وفقك الله يا حاتم فلقد جمعت الامور كلها

(باب التوكل)

قال الله تعالى وتوكل على الحى الذى لا يموت وقال أبو ثور سمعت الشافعى رضى الله عنه يقول نزه الله نبيه ورفع قدره فقال وتوكل على الحى الذى لا يموت وذلك أن الناس فى التوكل على أحوال شتى متوكل على نفسه أو على ماله أو على جاهه أو على سلطانه أو على غلته أو على الناس وكل مستند الى حى يموت أو الى ذاهب يوشك أن ينقطع فنزه الله نبيه وأمره أن يتوكل على الحى الذى لا يموت وقال الله تعالى وعلى الله فليتوكل المؤمنون قال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وعن عمر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا رواه الترمذى وقال حديث حسن وفى الحديث الصحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم قال يدخل من أمتى الجنة سبعون ألفا لا حساب عليهم وقال هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون قال الخطابى هذا فيمن تركها توكلا على الله تعالى ورضى بقضائه وبلائه قال وهذا من أرفع درجات المحققين بالايمان والى هذا ذهب جماعة سماهم قال النووى والظاهر ما اختاره الخطابى وحاصله أن هؤلاء كمل تفويضهم الى الله عز وجل فلم يتسببوا فى دفع ما أوقعه بهم ولا شك فى فضيلة هذه الحالة ورجحان صاحبها وأما تطبيبه صلى الله عليه وسلم فعله لبيان الجواز قال القشيرى رحمه الله اعلم أن التوكل محله القلب وأما الحركة بالظاهر فلا تنافى التوكل بالقلب بعد تحقق العبد أن الثقة من قبل الله تعالى فان تعسر شئ فبتقديره وان تيسر فبتيسيره وقال صلى الله عليه وسلم من انقطع الى الله كفاه كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله اليها وقال صلى الله عليه وسلم من سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما عند الله أوثق منه بما فى يده وقال صلى الله عليه وسلم ما من زرع على أرض ولا ثمار على أشجار الا عليها مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم هذا رزق فلان بن فلان وذلك قوله تعالى فى محكم كتابه وما تسقط من ورقة الا يعلمها الآية وفى صحيح مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت واليك أنبت وبك خاصمت اللهم أعوذ بعزتك لا اله الا أنت أن تضلنى أنت الحى القيوم الذى لا يموت والجن والانس

يموتون

القلوب المعمورة بالمشاهدات والمكاشفات مثل من منعه عن باب الملك كلب فالقى اليه لقمة من الخبز فشغله بنفسه ودخل الباب ونال القرب عند الملك حتى أنفذ أمره فى جميع مملكته أفترى انه يرى لنفسه يدا عند الملك بلقمة خبز ألقاها الى كلبه فى مقابلة ما يناله والشيطان كلب على باب الملك وهو الله تعالى يمنع الناس من الدخول مع ان الباب مفتوح والحجاب مرفوع وللدنيا كلقمة خبزان أكلت فلذتها فى الحال وتفنى على قرب بالابتلاع ثم تبقى ثقيلة فى المعدة ثم تنتهى الى النتن وتحتاج الى اخراج الثفل فمن تركها لينال عند الملك قربا كيف يلتفت اليها ونسبة الدنيا أعنى ما يسلم لكل واحد منها بالنسبة الى الآخرة أقل من لقمة بالاضافة الى ملك الدنيا اذ لا نسبة لمتناه الى ما لا نهاية له والدنيا متناهية على القرب ولو تمادت ألف ألف سنة صافية عن الكدورات فصيرها الى الزوال فاذا عرفت هذا فاعلم ان أعلى الدرجات أن تزهد فيما سوى الله تعالى طلبا لوجهه وذلك بمعرفته بلذته وعلو رتبته فلا تأخذ من المطعم والملبس والمنكح والمسكن وكل ما أنت محتاج اليه الا قدر الضرورة الذى به قوام بدنك وما تقدر به على المدافعة هذا هو الزهد الحقيقى والله أعلم *(الباب الخامس والثلاثون فى التوحيد والتوكل)* أما التوكل ففضيلته تعرف بالآيات والأخبار قال الله تعالى وعلى الله فتوكلوا

يموتون وفى صحيح البخارى عنه رضى الله عنه قال حسبنا الله ونعم الوكيل قالها ابراهيم صلى الله عليه وسلم حين ألقى فى النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ويروى أنه كان من دعائه عليه السلام اللهم انى أسألك التوفيق لمحابك من الاعمال وصدق التوكل عليك وحسن الظن بك وعن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال يعنى اذا خرج من بيته بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة الا بالله يقال له هديت وكفيت ووقيت وتنحى عنه الشيطان رواه أبو داود والنسائى والترمذى وقال حديث حسن صحيح زاد أبو داود فيقول يعنى الشيطان لشيطان آخر كيف لك برجل قد هدى وكفى ووقى وعنه رضى الله عنه قال كان اخوان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان أحدهما يأتى النبى صلى الله عليه وسلم والآخر يحترف فشكا المحترف أخاه الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال لعلك ترزق به رواه الترمذى وقال بعضهم متى رضيت بالله وكيلا وجدت الى كل خير سبيلا وقال الامام فخر الدين الرازى فرغ خاطرك عن طلب الرزق وتيقن أنه تعالى اذا سد عليك طريقا فتح لك طريقا آخر أجود من الاول أنظر الى الجنين فانه كان يأتيه غذاؤه وهو الدم من طريق واحد وهو السرة فلما خرج من بطن أمه انقطع ذلك الطريق وانفتح طريقان آخران وهما الثديان وخرج منهما غذاؤه طاهر لطيف نظيف يخرج من بين فرث ودم ليعلم أنه مهما استد طريق واحد فتح الله طريقين آخرين أحسن وأنفع من الاول ثم اذا تم الحولان وتم هذا الرضاع انقطع هذان الطريقان ولكن فتح الله لك طرقا أربعة طعامان وشرابان أما الطعامان فالنبات والحيوان وأما الشرابان فالمياه والالبان ثم اذا مات الانسان انقطع عنه هذه الطرق الاربعة ولكن الله بفضله ورحمته يفتح له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء *(حكايات نختم بها هذا الكتاب)* (الاولى) قال بعض الصالحين رحمه الله كنا فى برية فرأينا سبعا قائما فلما قربنا منه اذ هو أعمى فوقفنا عليه نتعجب واذا بغراب معه قطعة لحم كبيرة فضرب بجناحه على أذن السبع ففتح فمه فطرح فيه اللحم (الثانية) سئل ذو النون المصرى رحمه الله عن أصل توبته قال خرجت من مصر الى بعض القرى فنمت فى الطريق وانتبهت ففتحت عينى فاذا أنا بقنبرة عمياء سقطت من شجرة فانشقت الارض فخرج منها سكرجتان احداهما من ذهب والاخرى من فضة فى احداهما سمسم وفى الاخرى ماء فاكلت من هذه وشربت من هذه فقلت حسبى ولزمت الباب الى أن قبلنى (الثالثة) حكى أن أميرا اجتاز على باب حاتم الاصم فاستسقى ماء فلما شرب رمى اليهم شيأ من المال ووافقه أصحابه ففرح أهل الدار سوى بنية صغيرة لحاتم فانها بكت فقيل لها ما يبكيك فقالت نظر الينا مخلوق فاستغنينا فكيف لو نظر الينا الخالق (الرابعة) حكى أن جماعة دخلوا على الجنيد رحمه الله فقالوا له نطلب أرزاقنا قال ان علمتم أين هى فاطلبوها فقالوا نسأل الله ذلك فقال ان علمتم أنه ينساكم فذكروه فقالوا ندخل بيوتنا ونتوكل على الله فقال التجربة مع الله شك خطر قالوا فما الحيلة قال ترك الحيلة (الخامسة) حكى أن عابدا اعتكف فى مسجد ولم يكن له معلوم فقال له الامام لو اكتسبت لكان خيرا لك وأفضل فلم يجبه حتى أعاد عليه القول ثلاثا فقال له فى الرابعة بجوار المسجد رجل يهودى قد ضمن لى فى كل يوم رغيفين فقال ان كان صادقا فى ضمانه فقعودك فى المسجد خير لك فقال يا هذا لو لم تكن اماما بين الله تعالى وبين عباده مع هذا النقص فى التوحيد لكان خيرا لك تفضل ضمان يهودى على ضمان الله تعالى (السادسة) قال أبو جعفر الفرغانى كنت عند بعض اخواننا من الصوفية بالدينور فجاء ناقوم من الاكراد ليشتروا لهم متاعا ثم قالوا انه لو علمت لمن نشترى هذا المتاع لسارعت الى شرائه فقال لهم حدثونى قالوا نعم وأومؤا الى رئيس لهم كان معهم فقالوا هذا سيد الحى وكانت له زوجة فولدت له البنات فقال لها وهى حامل ان ولدت بنتا فانت طالق وقضى أن ارتحلنا رحلة الشتاء نريد نغزو المغارة ونواحيها فبينما نحن نسير ذات يوم اذ ضرب المرأة الطلق فاخذت ماء كأنها تتوضأ للصلاة فولدت بنتا فاخذتها ولفتها فى خرقة وتركتها عند كهف جبل وجاءت وأظهرت أن ذلك الحمل انما كان ريحا وقد انفش ثم غبنا عن ذلك المكان ستة أشهر ثم رجعنا

ان كنتم مؤمنين وقال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال تعالى ان الله يحب المتوكلين وقال عليه السلام فيما رواه ابن مسعود رأيت الامم فى الموسم فرأيت امتى قد ملؤا السهل والجبل فأعجبنى كثرتهم وهيئتهم فقيل لى أرضيت قلت نعم قال ومع هؤلاء سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب قيل من هم قال الذين لا يكتوون ولا يتطيرون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة فقال يا رسول الله ادع الله تعالى أن يجعلنى منهم فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اجعله منهم فقام آخر فقال ادع الله تعالى أن يجعلنى منهم فقال صلى الله عليه وسلم سبقك بها عكاشة وقال صلى الله عليه وسلم لو أنكم تتوكلون على الله تعالى حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا ولما قرأ الخواص رضى الله تعالى عنه قوله تعالى وتوكل على الحى الذى لا يموت الى آخر الآية قال لا ينبغى للعبد بعد هذه أن يلتجئ الى أحد غير الله تعالى *(فصل فى بيان حقيقة التوحيد الذى هو أصل التوكل ودرجاته)* فاعلم أن معنى التوحيد الذى هو أصل التوكل ما يترجمه قولك لا اله الا الله وحده لا شريك له والايمان بالقدرة التى يترجمها قولك له الملك والايمان بالجود والحكمة التى يدل عليها قولك وله الحمد فمن غلب معنى هذه الجملة على قلبه صار متوكلا (وأصل ذلك التوحيد وله أربع مراتب فهو ينقسم الى لب والى لب اللب والى

ونزلنا في ذلك المكان فاخذت المرأة ماء ومضت نحو الكهف الذي تركت البنت فيه فلما قربت منه اذا غزالة قائمة عند الصبية وهي ترضعها فلما نظرتها الغزالة استوحشت منها وذهبت وجاءت الام الى الصبية فاخذتها فبكت ووضعتها وتنحت عنها فرجعت الغزالة فلم تزل ترضع وهي ساكتة فجاءت المرأة الى الحي فاخبرتهم الخبر فجاؤا باجمعهم الى الكهف فرأوا الغزالة ترضع الصبية فلما أحست بهم تنحت فبكت الصبية وأخذها النساء ولم يزلن يرفقن بها حتى سكتت وأنست بهم وجاؤا بها الى الحي وبقيت الغزالة تنظر من بعيد حتى رحلنا وهذا المتاع الذي نريد أن نشتري به جهازها وقد زوجها أبوها

(قصة ابراهيم عليه السلام)

قال المفسرون رحمهم الله ولد ابراهيم في زمن نمرود بن كنعان وكان نمرود أول من وضع التاج على رأسه ودعا الناس الى عبادته وكان له كهان ومنجمون فقالوا له انه يولد في بلدك في هذه السنة غلام يغير دين أهل الارض ويكون هلاكك وزوال ملكك على يديه ويقال انهم وجدوا ذلك في كتب الانبياء وقال السدي رأى نمرود في منامه كأن كوكبا طلع فذهب بضوء الشمس والقمر حتى لم يبق لهما ضوء ففزع من ذلك فزعا شديدا فدعا السحرة والكهنة وسألهم عن ذلك فقالوا هو مولود يولد في ناحيتك في هذه السنة فيكون هلاكك وهلاك ملكك على يديه قالوا فامر بذبح كل غلام يولد في ناحيته تلك السنة وأمر بعزل الرجال عن النساء وجعل على كل عشر نسوة رجلا فاذا حاضت امرأة خلى بينها وبين زوجها لانهم كانوا لا يجامعون في الحيض فاذا طهرت حال بينهما فرجع آزر فوجد امرأته قد طهرت من الحيض فواقعها فحملت بابراهيم قال محمد بن اسحق لما وجدت أم ابراهيم الطلق خرجت ليلا الى مغارة وكانت قريبة منها فولدت ابراهيم وأصلحت من شأنه ما يصنع بالمولود ثم سدت عليه المغارة ورجعت الى بيتها ثم كانت تعاوده لتنظر ما فعل فتجده حيا يمص ابهامه قال أبو روق قالت أم ابراهيم ذات يوم لانظرن الى أصابعه فوجدته يمص من أصبع ماء ومن أصبع لبنا ومن أصبع عسلا ومن أصبع تمرا ومن أصبع سمنا قال ابن اسحق كان آزر قد سأل أم ابراهيم عن حملها ما فعل قالت قد ولدت غلاما فمات فصدقها وكان اليوم على ابراهيم في الشباب كالشهر والشهر كالسنة فلم يمكث ابراهيم في المغارة الا خمسة عشر شهرا حتى قال لامه أخرجيني فاخرجته عشاء فنظر وتفكر في خلق السموات والارض وقال ان الذي خلقني ورزقني وأطعمني وسقاني لربي الذي مالي اله غيره ثم نظر في السماء فرأى كوكبا فقال هذا ربي ثم أتبعه ببصره ينظر اليه حتى غاب فلما أفل قال لا أحب الآفلين ثم رأى القمر بازغا فقال هذا ربي وأتبعه ببصره حتى غاب ثم طلعت الشمس هكذا الخ ثم رجع الى أبيه آزر وقد استقامت وجهته وعرف ربه وبرئ من دين قومه الا أنه لم يبادئهم بذلك فاخبره أنه ابنه وأخبرته أم ابراهيم انه ابنه وأخبرته بما كانت صنعت في شأنه فسر آزر بذلك وفرح فرحا شديدا وقيل انه كان في السرب سبع سنين قالوا فلما شب ابراهيم وهو في السرب قال لامه من ربي قالت أنا قال فمن ربك قالت أبوك قال فمن رب أبي قالت له اسكت فسكت ثم رجعت الى زوجها وقالت أرأيت الغلام الذي كنا نحدث أنه يغير دين الارض فانه ابنك ثم أخبرته بما قال فاتاه أبوه آزر فقال له ابراهيم يا أبتاه من ربي قال أمك قال فمن رب أمي قال أنا قال فمن ربك قال نمرود قال فمن رب نمرود فلطمه لطمة وقال له اسكت وروى ان ابراهيم عليه السلام لما جن عليه الليل أي دخل دنا من باب السرب فنظر من خلال الصخرة فابصر كوكبا قال هذا ربي وقيل انه قال لابويه أخرجاني فانطلقا به حين غابت الشمس فنظر ابراهيم الى الانعام فقال ما هذه قال أبوه خيل وابل وغنم فقال ما لهذه بد من أن يكون لها رب وخالق فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قيل انه المشتري وقيل الزهرة قال هذا ربي واختلفوا في قوله ذلك فاجراه بعضهم على الظاهر وقالوا كان ابراهيم مسترشدا طالبا للتوحيد حتى وفقه الله وأتاه رشده فلم يضره ذلك في حال الاستدلال وأيضا كان ذلك في حال طفوليته قبل قيام الحجة عليه فلم يكن كفرا وأنكر الآخرون هذا القول وقالوا لا يجوز أن يكون لله رسول يأتي عليه وقت من الاوقات الا وهو لله موحد وبه عارف ومن كل معبود سواه برئ وكيف يتوهم هذا على من عصمه الله وطهره وأتاه رشده من قبل

قشر والى قشر القشر كالجوز الايمان بالقول المحض قشر القشر وهو ايمان المنافقين والعياذ بالله (الثاني) التصديق بمعنى الكلمة وهو ايمان عموم المسلمين (الثالث) أن يشاهد ذلك بطريق الكشف وهو مقام المقربين وذلك بان يرى أسبابا كثيرة ولكن مع كثرتها صدرت من الواحد القهار (الرابع) أن لا يرى الا واحدا وهو مشاهدة الصديقين وتسميه الصوفية الفناء في التوحيد فلا يرى نفسه لكون باطنه مستغرقا بالواحد الحق وهو المراد بقول أبي يزيد انساني ذكر نفسي فالاول هو الايمان باللسان وحده ولا ينفع الا في دفع السيف وعصمة المال والدم لقوله عليه السلام فاذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم والثاني موحد بمعنى أن يعتقد بقلبه معنى الكلمة خاليا عن شك فيه ولكن لا انشراح في باطنه فهذه الحالة تحفظ صاحبها عن العذاب في الآخرة ان توفي عليها ولم يضعفها بالمواظبة على المعاصي ولهذا العقد تتطرق حيلة المبتدع بالنقض وحيلة المتكلم بدفع النقض (الثالث) موحد بمعنى أنه انشرح له الصدر فلم يشاهد الا واحدا وان كثرت الاسباب فعلم ان مصدرها من الواحد الحق (والرابع) موحد بمعنى انه لم يحضر في شهوده وقلبه الا الواحد الحق وفني من الوسائط ومن نفسه وهذه الحالة هي العليا وهي دهن اللب من الجوز

واخبر

وأخبر عنه فقال اذ جاء ربه بقلب سليم فقال وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض أفتراه أراه الملكوت ليوقن فلما أيقن رأى كوكبا قال هذا ربي معتقدا فهذا لا يكون أبدا ثم قالوا فيه أربعة أوجه من التأويل أحدها أن ابراهيم أراد أن يستدرج القوم بهذا القول ويعرفهم خطأهم وجهلهم في تعظيم ما عظموه وكانوا يعظمون النجوم ويعبدونها ويرون أن الامور كلها اليها فاراهم أنه معظم ما عظموا وملتمس الهدى من حيث ما التمسوا فلما أفل أراهم النقص الداخل على النجوم ليثبت خطأ ما يدعون ومثل هذا مثل الحواري الذي ورد على قوم يعبدون الصنم فاظهر تعظيمه فاكرموه حتى صدروا في كثير من الامور عن رأيه الى أن دهمهم عدو فشاوروه في أمره فقال الرأي أن تدعوا هذا الصنم حتى يكشف عنا ما قد أظلنا واجتمعوا حوله يتضرعون فلما تبين لهم أنه لا ينفع ولا يدفع دعاهم الى أن يدعوا الله فدعوه فصرف عنهم ما كانوا يحذرون فاسلموا والوجه الثاني من التأويل أنه قال على وجه الاستفهام وتقديره أهذا ربي كقوله تعالى أفان مت فهم الخالدون وذكره على وجه التوبيخ منكرا لفعلهم يعني أومثل هذا يكون ربا أي ليس هذا ربي والوجه الثالث انه ذكره على وجه الاحتجاج عليهم يقول هذا ربي بزعمكم فلما غاب قال لو كان الها لما غاب كما قال ذق انك أنت العزيز الكريم أي عند نفسك وبزعمك وكما أخبر عن موسى انه قال وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه يريد الهك بزعمك والوجه الرابع فيه اضمار وتقديره يقولون هذا ربي كقوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا تقبل منا أي يقولان ربنا تقبل منا ثم ان ابراهيم عليه السلام رجع الى أبيه وقد صار شابا بحيث سقط عنه طمع الذابحين وضمه آزر الى نفسه وجعل آزر يصنع الاصنام ويعطيها لابراهيم ليبيعها فيذهب بها ابراهيم وينادي من يشتري شيئا يضره ولا ينفعه فلا يشتريها أحد ثم يذهب بها ابراهيم الى نهر فيضع فيه رؤسها ويقول اشربي استهزاء بقومه وبما هم فيه من الضلالة حتى فشا استهزاؤه بها في قومه وأهل قريته ثم ان ابراهيم عليه السلام لم يزل يدعوهم الى عبادة الله عز وجل وترك عبادة الاصنام ولم يجيبوه الى ذلك فاحتال عليهم فكسر أصنامهم فامر نمرود باحراقه فجمعوا له حطبا كثيرا وكان الرجل والمرأة ينذران في بعض ما يطلبان ان أصاباه ليحتطبان في نار ابراهيم وذكر ابن عساكر في تاريخه عن علي رضي الله عنه ان البغال كانت تتناسل وكانت أسرع الدواب في نقل الحطب لنار ابراهيم فدعا عليهم فقطع الله نسلهم قال ابن اسحق لما أراد نمرود وقومه احراق ابراهيم عليه السلام كانوا يجمعون الحطب له شهرا فلما جمعوا ما أرادوا أشعلوا في كل ناحية من الحطب فاشتعلت النار واشتدت حتى كان الطائر ليمر بها فيحترق من شدة وهجها فاوقدوا عليها سبعة أيام وروي أنهم لم يعلموا كيف يلقونه فيها فجاء ابليس فعلمهم عمل المنجنيق فعملوا ثم عمدوا الى ابراهيم عليه السلام فرفعوه على رأس البنيان وقيدوه ووضعوه في المنجنيق مقيدا مغلولا فصاحت السماء والارض ومن فيهن من الملائكة وجميع الخلق الا الثقلين صيحة واحدة أي ربنا ابراهيم خليلك يلقى في النار وليس في الارض أحد يعبدك غيره فاذن لنا في نصرته فقال الله عز وجل انه خليلي ليس لي خليل غيره وأنا الهه ليس له اله غيري فان استغاث بشئ منكم أودعاه فلينصره فقد أذنت له في ذلك وان لم يدع غيري فانا أعلم به وأنا وليه فخلوا بيني وبينه فلما أرادوا القاءه في النار أتاه خازن المياه فقال له ان أردت أخمدت النار وأتاه خازن الرياح فقال ان شئت طيرت النار في الهواء فقال ابراهيم لا حاجة لي اليكم حسبي الله ونعم الوكيل وروي عن أبي بن كعب رضي الله عنه أن ابراهيم عليه السلام قال حين أوثقوه ليلقوه في النار لا اله الا أنت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك ثم رموا به في المنجنيق الى النار واستقبله جبريل عليه السلام فقال يا ابراهيم ألك حاجة قال أما اليك فلا قال جبريل فسل ربك فقال ابراهيم حسبي من سؤالي علمه بحالي قال كعب الاحبار جعل كل شئ يطفئ عنه النار الا الوزغ فانه كان ينفخ على نار ابراهيم وعن أم شريك رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بقتل الوزغ قال كان ينفخ على نار ابراهيم قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم لو لم يقل وسلاما لمات ابراهيم من بردها وفي الآثار انه لم يبق يومئذ نار في الارض الا طفئت

مثلا ولا كلام في هذه الحالة الرابعة الكلام بل في الثالث وهو الذي يرى الواحد الحق ويرى الكل واحدا لصدوره من الواحد الحق وعند هذا يقول من لم يشرف على قلبه نور الله المراد بقوله تعالى أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه كيف يرى الكل واحدا وهو يرى تعدد الاسباب من السموات والارض ويرى الاعداد الكثيرة واعلم أن كشف هذه الاسرار لا يمكن اذ قال بعض العارفين افشاء سر الربوبية كفر ولكن نورد ما يسكن به استبعادك وهو أن الشئ يكون كثيرا باعتبار وقليلا باعتبار كالانسان من حيث أجزاؤه كثير ومن حيث انه شخص واحد نراه واحدا لا عدد فيه فكذلك كل ما في الوجود من الخالق والمخلوق له اعتبارات كثيرة وهو باعتبار واحد من الاعتبارات واحد ومثال الانسان وان كان لا يطابق لكنه ينبه على أن الشئ قد يكون باعتبار ما كثيرا وباعتبار ما واحدا والى هذا أشار الحسين بن منصور حيث رأى الخواص يبعد في الاسفار فقال فيماذا أنت فقال أبعد في الاسفار لاصحح حالي في التوكل قال الحسين قد أفنيت عمرك في عمران باطنك فاين أنت من الفناء في التوحيد فالخواص في المقام الثالث فطالبه بالعبور الى الرابع فان قلت فاشرح لنا الحالة الثالثة ان كنت لا تشرح الرابعة فاقول ذلك بان تعلم انه لا خالق الا الله تعالى وانه لا تتحرك ذرة في

فلم ينتفع ذلك اليوم بنار في العالم ولو لم يقل على ابراهيم لبقيت ذات برد أبدا قال السدي فأخذت الملائكة بضبعي ابراهيم فأقعدوه على الارض فاذا عين ماء عذب وورد أحمر ونرجس قال كعب ما أحرقت النار من ابراهيم الا وثاقه قالوا وكان ابراهيم في ذلك الموضع سبعة أيام قال المنهال بن عمرو قال ابراهيم ما كنت في أيام قط أنعم مني من الايام التي كنت في النار قال ابن بشار وبعث الله عز وجل ملك الظل في صورة ابراهيم فقعد فيها الى جنب ابراهيم يؤنسه قالوا وبعث الله عز وجل جبريل بقميص من حرير الجنة وطنفسة فألبسه القميص وأقعده على الطنفسة وقعد معه يحدثه وقال جبريل يا ابراهيم ان ربك يقول أما علمت أن النار لا تضر أحبابي ثم نظر النمرود وأشرف على ابراهيم من صرح له فرآه جالسا في روضة والملك قاعد الى جنبه وما حوله نار تحرق الحطب فناداه يا ابراهيم كبير الهك الذي بلغت قدرته أن حال بينك وبين النار يا ابراهيم هل تستطيع أن تخرج منها قال نعم قال وهل تخشى ان أقمت فيها أن تضرك قال لا قال فقم فاخرج منها فقام ابراهيم يمشي فيها حتى خرج منها ثم كف نمرود عن ابراهيم ومنعه الله منه قيل كان ابراهيم حين ألقي في النار ابن ستة عشر سنة قال الله تعالى وأرادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين قيل معناه انهم خسروا السعي والنفقة ولم يحصل لهم مرادهم قال ابن عمر الذي قال حرقوه وانصروا آلهتكم كان كرديا وقيل اسمه هيزن فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة وروي أن نمرود قال ان كان ما يقول ابراهيم حقا فلأصعدن الى السماء فأعلم ما فيها فعمد الى أربع أفرخ من النسور فرباها حتى شبت واتخذ تابوتا وجعل له بابا من أعلى وبابا من أسفل وقعد مع رجل في التابوت ونصب خشبات في أطراف التابوت وجعل على رؤسها اللحم وربط التابوت بأرجل النسور وخلاها فطارت وصعدت طمعا في اللحم حتى مضى يوم وأبعدت في الهواء فقال نمرود لصاحبه افتح الباب الاعلى وانظر الى السماء هل قربنا منها ففتح الباب ونظر فقال ان السماء كهيئتها ثم قال افتح الباب الاسفل وانظر الى الارض كيف تراها فقال ان الارض مثل اللجة والجبال مثل الدخان فطارت النسور يوما آخر وارتفعت حتى حالت الريح بينها وبين الطيران فقال لصاحبه افتح البابين ففتح الباب الاعلى فاذا السماء كهيئتها وفتح الاسفل فاذا الارض سوداء مظلمة قال عكرمة كان معه غلام قد حمل القوس والنشاب فرمى بسهم فعاد اليهم متلطخا بدم سمكة قذفت بنفسها من بحر في الهواء وقيل طائر أصابه السهم فقال كفيت شغل اله السماء ثم أمر صاحبه أن يصوب الخشبات وينكس اللحم ففعل فهبطت النسور بالتابوت فسمعت الجبال خفيق التابوت والنسور ففزعت وظنت أن قد حدث حادث من السماء وأن الساعة قد قامت فكادت تزول عن أماكنها فذلك قوله تعالى وان كان مكرهم لتزول منه الجبال ثم ان الله فتح على نمرود بابا من البعوض فسترت عين الشمس وأكلت عسكره ولم تترك الا العظام ودخلت واحدة منها دماغه فأكلته حتى صارت مثل الفارة فكان أعز الناس عنده بعد ذلك من يضرب دماغه بمطرقة لذلك فبقي في البلاء أربعين يوما قيل ان الحكمة في أن الله أهلك فرعون بالماء ونمرود بالبعوض ان فرعون افتخر بالماء فقال أليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي وافتخر نمرود بأعظم الطيور وهي النسور فكان هلاكه بأدناها قيل كان بين الطوفان وبين مولد ابراهيم ألف سنة ومائتان وستون سنة وذلك بعد خلق آدم عليه السلام بثلاثة آلاف سنة وثلثمائة سنة وسبع وثلاثين سنة وعاش آدم تسعمائة وثلاثين سنة وقال وهب ألف سنة وولدت له حواء أربعين ولدا في عشرين بطنا ثم بارك الله في نسله قال ابن عباس لم يمت آدم حتى بلغ ولده وولد ولده أربعين ألفا

(كتاب المحبة والرضا وفيه بابان)

(الباب الاول في المحبة)

قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه محبة الله للعبد ارادة تقريبهم واكرامهم وتوليتهم بعنايته في جميع أحوالهم فمن أحبه الله تعالى عامله بلطفه وجاد باحسانه وفتح عليه ما لم يبلغه أمله ولم يدركه كده وعمله ومحبة العبد لله تعالى تعلق القلب بذكره ودوام الشغف والتنعم

السموات والأرض الا باذن الله تعالى وانه لافقر ولاغنى ولاموت ولاحياة الا باذن الله تعالى وانه مخترع الكل فمن شاهد هذا وعلم انه لا اله الا هو استغنى عما سواه ولا ينظر الى شيء اذ الكل مسخر تحت قدرته وهذا كما أن الملك اذا وقع منه العفو لم ينظر الى القلم والكاغد والشكر لهما بل نظر الى الكاتب وهو الملك فشكره ومن ينظر سوى الله تعالى من الاسباب فهو كمن ينظر الى القلم ويشكره والكاغد والمداد والموحد الذي ذكرناه هو الذي أدهشه جمال الملك عن ان يشاهد القلم أو أن يخطر بباله وجود القلم والمداد بل لا يراه ولا يذكره فان قلت هذا في الجمادات المسخرات قد فهمته ولكن كيف أفهم ذلك في الانسان المختار للخير والعفو والاعطاء والمنع وكيف لي بحوالة فعله على الاصل فأقول عند هذا زل فيه أقدام الاكثرين الا عباد الله المخلصين الذين لا سلطان عليهم للشياطين فشاهدوا بنور البصائر كون الكاتب مسخرا مضطرا كما شاهد جميع الضعفاء كون القلم في يد الكاتب مسخرا وان غلط الضعفاء في ذلك كغلط نملة على كاغد يكتب عليه قصر بصرها عن ادراك الكاتب فأبصرت القلم وأحالت الكتابة عليه وهذا كبصر الضعفاء والذين أمدهم الله تعالى بتوفيقه وشرح صدورهم بنوره شاهدوا ما فوق ذلك اذ قد أنطق الله في حقهم كل ذرة في السموات والأرض بقدرته التي أنطق بها كل شيء حتى بمناجاته

بمناجاته والتلذذ بخدمته وصدق الشوق اليه والاكتفاء به عن كل ما سواه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما وسأل رجل النبي صلى الله عليه وسلم عن الساعة فقال ما أعددت لها قال ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم الا اني أحب الله ورسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء مع من أحب وأنت مع من أحببت فما فرح المسلمون بعد الاسلام فرحهم بها وروي أن ملك الموت جاء الى الخليل عليهما السلام ليقبض روحه فقال له هل رأيت خليلا يميت خليله فأوحى الله اليه هل رأيت حبيبا يكره لقاء حبيبه فقال يا ملك الموت اقبض وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه من ذاق من خالص محبة الله شغله ذلك عن طلب الدنيا وأوحشه عن جميع البشر وقال عمر رضي الله عنه نظر النبي صلى الله عليه وسلم الى مصعب بن عمير رضي الله عنه مقبلا وعليه اهاب كبش قد تمنطق به فقال عليه السلام أنظروا الى هذا الرجل نور الله قلبه لقد رأيته بين أبويه يغذوانه بأطيب الطعام والشراب فدعاه حب الله ورسوله الى ما ترون وقال الحسين من عرف ربه أحبه ومن عرف الدنيا زهد فيها والمؤمن لا يلهو حتى يغفل واذا تفكر حزن وقال أبو سليمان الداراني ان من خلق الله تعالى خلقا ما يشغلهم الجنان وما فيها من النعيم عنه فكيف يشتغلون عنه بالدنيا وعن سري السقطي رضي الله عنه قال تدعى الامم بأنبيائها عليهم السلام فيقال يا أمة موسى ويا أمة عيسى ويا أمة محمد غير المحبين لله فانهم ينادون يا أولياء الله تعالى هلموا الى الله سبحانه وتعالى فتكاد قلوبهم تنخلع فرحا وقال يحيى بن معاذ عفوه يستغرق الذنوب فكيف رضوانه ورضوانه يستغرق الآمال فكيف حبه وحبه يدهش العقول فكيف وده ووده ينسي ما دونه فكيف لطفه

(الباب الثاني في الرضا)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله بعبد خيرا أرضاه بما قسم له وقال صلى الله عليه وسلم من رضي من الله باليسير من الرزق رضي الله منه بالقليل من العمل وقال صلى الله عليه وسلم اذا أحب الله عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه وان رضي اصطفاه وقال صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة أنبت الله لطائفة من امتي أجنحة فيطيرون من قبورهم الى الجنان يسرحون فيها ويتنعمون كيف شاؤا فتقول لهم الملائكة هل رأيتم الحساب فيقولون ما رأينا حسابا فيقولون هل جزتم الصراط فيقولون ما رأينا صراطا فيقولون هل رأيتم جهنم فيقولون ما رأينا شيأ فتقول الملائكة من أي أمة أنتم فيقولون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فيقولون نشدناكم الله تعالى حدثونا ما كانت أعمالكم في الدنيا فيقولون خصلتان كانتا فينا فبلغنا الله هذه المنزلة بفضل رحمته فيقولون وما هما فيقولون كنا اذا خلونا نستحي أن نعصيه ونرضى باليسير مما قسم لنا فتقول الملائكة يحق لكم هذا وقال صلى الله عليه وسلم اعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والا فلا وأوحى الله الى داود عليه السلام يا داود انك لن تلقاني بعمل هو أرضى لي عنك ولا أحط لوزرك من الرضا بقضائي وقال علقمة في قوله تعالى ومن يؤمن بالله يهد قلبه قال هي المصيبة تصيب الرجل فيعلم أنها من عند الله فيسلم لها ويرضى وقال أبو معاوية الاسود رحمه الله في قوله فلنحيينه حياة طيبة الرضا والقناعة (حكايات * الاولى) عن مسروق قال كان رجل بالبادية له كلب وديك وحمار فالديك يوقظهم الى الصلاة والحمار ينقلون عليه الماء ويحمل خباءهم والكلب يحرسهم فجاء الثعلب فأخذ الديك فحزنوا فقال الرجل عسى أن يكون خيرا ثم جاء ذئب فخرق بطن الحمار فحزنوا فقال الرجل عسى ان يكون خيرا ثم أصيب الكلب فقال الرجل عسى أن يكون خيرا وأصبحوا ذات يوم فنظروا فاذا قد سبي من حولهم وبقوا هم وانما أخذ أولئك بما كان عندهم من الصوت والجلبة ولم يكن عند أولئك شيء يجلب قد ذهب كلبهم وحمارهم وديكهم (الثانية) عن سعيد بن المسيب رحمه الله قال قال لقمان لابنه يا بني لا ينزلن بك أمر رضيته أو كرهته الا جعلت في الضمير ان ذلك خير لك قال أما هذه فلا أقدر أن أعطيكها دون أن أعلم ما قلت انه كما قلت قال يا بني فان الله قد بعث نبيا هلم حتى نأتيه فعنده بيان ما قلت لك قال فاذهب بنا اليه فخرج على حمار وابنه على حمار وتزودا ما يصلحهما ثم سارا أياما وليالي حتى تلقاهما مفازة فأخذا أهبتهما ودخلاها فسارا ما شاء الله أن يسيرا حتى تعالى النهار

سمعوا تقديسها وتسبيحها لله وشهادتها على أنفسها بالعجز بلسان طاق تكلمهم بلا صوت ولا حرف لا يسمعه الذين هم عن السمع معزولون فلكل ذرة في العالم مع أرباب القلوب مناجاة وذلك من سر كلام الله تعالى الذي لا نهاية له كما قال تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي الآية فهذا أبدا يناجي أرباب القلوب بأسرار الملكوت ولكن افشاء سر لؤم بل صدور الاحرار قبور الاسرار وهل رأيت قط أمينا على سر الملك نادى على ملأ من الاشهاد بسره ولو جاز افشاء كل سر لما قال عليه الصلاة والسلام لو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا بل كان يذكر لهم ذلك حتى لا يضحكون بل يبكون ولما نهى عن افشاء سر القدر ولما قال اذا ذكرت النجوم فامسكوا واذا ذكر القضاء فامسكوا ولما خص حذيفة رضي الله عنه ببعض أسراره ونحن نودع بعض ما كنا فيه مثالا فلعلك تفهمه فنقول قال بعض الناظرين عن مشكاة نور الله تعالى للكاغد وقد رآه اسود وجهه بالحبر ما بال وجهك اسود وما السبب فيه فقال الكاغد ما أنصفتني في هذه المطالبة فاني ما سودت وجهي بنفسي ولكن سل الحبر فانه كان مجموعا في المحبرة فسافر من وطنه ونزل بساحة وجهي ظلما وعدوانا فقال صدقت فسأل الحبر عن ذلك فقال الحبر ما أنصفتني فاني كنت ساكنا في قعر المحبرة عازما على

واشتد الحر ونفد الماء والزاد فاستبطآ حمارهما فنزلا عشيان فبينماهما كذلك اذ نظر لقمان أمامه فاذا هو بسواد ودخان فقال فى نفسه السواد شجر والدخان عمران وناس فبينماهما كذلك يشتدان اذ وطئ ابن لقمان على عظم على الطريق فدخل فى باطن قدمه حتى ظهر من أعلاها فخر مغشيا عليه فالتفت لقمان التفاتة فاذا هو بابنه صريع فوثب اليه فضمه الى صدره واستخرج العظم بأسنانه وشق عمامته وعصب بها رجله ثم نظر الى وجه ابنه فذرفت عيناه فقطرت قطرة من دموعه على خد الغلام فانتبه لها فنظر الى أبيه يبكى فقال يا أبت تقول هذا خير لى فكيف ذلك وأنت تبكى وقد نفد الماء والطعام وبقيت أنا وأنت فى هذا المكان قال أما بكائى يا بنى فوددت انى افتديتك بجميع حظى من الدنيا لانى والد وفى رقة الوالد وأما قولك كيف يكون هذا خير الى فلعل ما صرف عنك أعظم مما ابتليت به فبينماهو يحاوره اذ نظر لقمان أمامه فلم ير الدخان والسواد فقال فى نفسه لم أر شيأ ثم قال قد رأيت ولكن لعله أن يكون قد أحدث ربى بما رأيت شيأ فبينماهو يتفكر فى ذلك اذ نظر فاذا هو بشخص قد أقبل على فرس أبلق عليه ثياب بيض يمسح الهواء مسحا فلم يزل يرمقه بعينه حتى كان منه قريبا فتوارى عنه ثم صاح به فقال أنت لقمان قال نعم قال ما قال لك ابنك هذا السفيه قال يا عبد الله من أنت أسمع كلامك ولا أرى شخصك قال أنا جبريل لا يرانى الا ملك مقرب أو نبى مرسل فلولا ذلك لرأيتنى فما قال لك ابنك هذا السفيه قال أما علمت ذلك فقال جبرائيل مالى من أمركما علم الا أنى حفظتكما أتونى وقد أمرنى ربى تعالى بخسف هذه المدينة وما فيها وما يليها فأخبرونى أنكما تريدان هذه المدينة فدعوت ربى أن يحبسكما عنى بما شاء فحبسكما عنى بما ابتلى به ابنك ولولا ذلك لخسف بكما مع من خسف به ثم مسح جبريل عليه السلام يده على قدم ابنه فاستوى قائما ومسح يده على الذى كان فيه الطعام فامتلأ طعاما ومسح على الذى كان فيه الماء فامتلأ ماء ثم حملهما وحماريهما فزحل بهما كما يرحل الطير فاذا هما فى الدار التى خرجا منها بعد أيام وليال (الثالثة) قال ابن الجوزى فى روضة المشتاق قيل أصابت عابدا من بنى اسرائيل قرحة وكان قد زل زلة ونسيها فأظهر التبرم والشكوى فوقع بين يديه طائر مكتوب على ظهره يا عبد السوء تنسى زلتك وتذكر علتك تركت عظيم فضلى وعطائى وذكرت يسيرا اذناك من بلائى أما علمت انى كتبت فى اللوح قبل خلق لارضى وسمائى أنا الله لا اله الا أنا محمد رسولى من رضى بقضائى وصبر على بلائى وشكر لى نعمائى كتبته من أوليائى ومن لم يرض بقضائى ولم يشكر لى نعمائى ولم يصبر على بلائى فليخرج من تحت سمائى وليطلب ربا سواى فخر الرجل ساجدا على وجهه وهو يقول يا من له الفضل والجود أتوب اليك ولا أعود فهتف به هاتف من جانب البيت ارفع رأسك فقد غفر لك والزم أدب العبيد فللمولى ان يفعل بخلقه ما يريد (الرابعة) قال ابن الجوزى فى روضة المشتاق أيضا روى أن رجلا من بنى اسرائيل تعبد سبعمائة سنة فأوحى الله تعالى الى دانيال عليه السلام أن قل لعبدى المطيل للعبادة تعبد ما شئت فانت من أهل النار فلما بلغه دانيال ذلك القول من ربه قال مرحبا بحكم ربى وصبرا على قضائه ثم سجد وقال الهى وسيدى عبدتك سبعمائة سنة وأنا أظن أن لا يزن مقدارى عندك قليلا ولا كثيرا فاذا انى أصلح لنارك وعقوبتك ما زادنى الاحبا وتلهفا فأوحى الله تعالى اليه أى الى دانيال ان قل لعبدى المستحق للموالاة والرضا رضيت منى باصعب حكم وقضاء وعزتى وجلالى لو ملأت ذنوبك الارض والسماء لغفرتها لك

(قصة الذبيح عليه السلام)

اختلف العلماء من المسلمين بعد اتفاق أهل الكتابين على انه اسحق فقال قوم هو اسحق وقال آخرون هو اسماعيل وكلا القولين يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال محمد بن اسحق كان ابراهيم اذا زار هاجر واسماعيل حمل على البراق فيغدو من الشام فيقيل بمكة ويروح من مكة فيبيت عند أهله بالشام حتى اذا بلغ اسماعيل معه السعى أمر فى المنام أن يذبحه وذلك أنه رأى ليلة التروية كأن قائلا يقول له ان الله يأمرك بذبح ابنك هذا فلما أصبح روى فى نفسه أى فكر من الصباح الى الرواح أمن الله هذا الحلم أم من الشيطان فمن ثم سمى يوم التروية فلما أمسى رأى فى المنام ثانيا فلما أصبح عرف ان ذلك من الله فمن ثم سمى يوم عرفة وقال مقاتل

أن لا أبوح فاعتدى على القلم واختطفنى من وطنى وفرق جمعى وبددنى على ساحة بيضاء كما ترانى فالسؤال عليه لا على قال صدقت ثم سأل القلم عن السبب فى ظلمه وعدوانه باخراجه الحبر من أوطانه قال اسأل اليد والاصابع فانى كنت قصبا نابتا على شط الانهار متنزها بين خضرة الاشجار فجاءتنى اليد بسكين فنحت عنى القشر واقتلعتنى من أصلى وفرقت بين أنابيبى ثم برتنى وشقت رأسى وغمستنى فى سواد الحبر وهى التى تستخدمنى وتمشينى على قمة رأسى فلقد نثرت الملح على جرحى بسؤالك وعتابك فتنح عنى وسل من قهرنى فقال صدقت ثم سأل اليد عن ظلمها على القلم فقالت ما أنا الا لحم ودم وعصب وعظم وهل رأيت جسدا يتحرك بنفسه وانما أنا مركب مسخر ركبنى فارس يقال له القدرة والقوة فهى التى ترددنى وتجول بى فى نواحى الارض أما ترى المدر والحجر والشجر لا يتعدى شئ منها عن مكانه وما يتحرك بنفسه اذ لم يركبه مثل هذا الفارس القوى القاهر أما ترى أيدى الموتى مساوية لهؤلاء فى الصورة ثم هى لا تتحرك ولا معاملة بينها وبين القلم وأنا أيضا من حيث أنا لا معاملة بينى وبين القلم فسل القدرة عن شأنى فانى مركب أزعجنى من ركبنى فقال صدقت ثم سأل القدرة عن شأنها فى استعمالها اليد واستخدامها فقالت دع عنك لومى ومعاتبتى فكم من لائم ملوم وكم من ملوم لا ذنب له

راى

رأى ذلك ابراهيم ثلاث ليال متتابعات فلما تيقن ذلك أخبر به ابنه قال يا بنى انى أرى فى المنام انى أذبحك فانظر ماذا ترى قال له ابنه يا أبت افعل ما تؤمر وقال ابن اسحق وغيره فلما أمر ابراهيم قال لابنه يا بنى خذ الحبل والمدية وانطلق الى هذا الشعب نحتطب فلما خلى ابراهيم بابنه فى شعب ثبير أخبره بما أمر قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين قالوا فلما أراد ذبحه قال له يا أبت اشدد رباطى حتى لا أضطرب واكفف عنى ثيابك حتى لا ينتضح عليها من دمى شئ فينقص أجرى وتراه أمى واشحذ شفرتك وأسرع مر السكين على حلقى ليكون أهون على فان الموت شديد وان أتيت أمى فاقرأ عليها السلام منى وان رأيت أن ترد قميصى على أمى فافعل فانه عسى أن يكون أسلى لها عنى فقال له ابراهيم عليه السلام نعم العون أنت يا بنى على أمر الله ففعل ابراهيم ما أمره به ابنه ثم أقبل عليه يقبله وقد ربطه وهو يبكى والابن يبكى ثم انه وضع السكين على حلقه فلم تحز السكين روى انه كان يجر الشفرة على حلقه فلا تقطع فشحذها مرتين أو ثلاثا بالحجر كل ذلك لا يستطيع قال السدى ضرب الله صفيحة من نحاس على حلقه قالوا فقال الابن عند ذلك يا أبت كبنى لوجهى على جبينى فانك اذا نظرت فى وجهى رحمتنى وأدركتك رقة تحول بينك وبين أمر الله وأنا لا أنظر الى الشفرة فأجزع ففعل ذلك ابراهيم عليه السلام ثم وضع السكين على قفاه فانقلب السكين ونودى يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا وروى ان ابراهيم لما رأى ذبح ابنه قال الشيطان لئن لم أفتن عند هذا آل ابراهيم لا أفتن منهم أحدا أبدا فتمثل رجلا وأتى أم الغلام فقال لها أتدرين أين ذهب ابراهيم بابنك قالت ذهب به ليحتطبا من هذا الشعب قال والله ما ذهب به الا ليذبحه قالت كلا هو أرحم به وأشد حبا له من ذلك قال انه يزعم أن الله أمره بذلك قالت فان كان ربه أمره بذلك فقد احسن ان يطيع أمره فخرج من عندها حتى أدرك الابن وهو يمشى على أثر أبيه فقال له يا غلام هل تدرى أين يذهب بك أبوك قال نحتطب لاهلنا من هذا الشعب قال والله ما يريد الا ان يذبحك قال ولم قال زعم ان ربه أمره بذلك قال فليفعل ما أمره به فسمعا وطاعة ثم أقبل على ابراهيم وقال له أين تريد أيها الشيخ قال أريد هذا الشعب لحاجة لى فيه قال والله انى لارى الشيطان قد جاءك فى منامك فأمرك بذبح بنيك هذا فعرفه ابراهيم فقال اليك عنى يا عدو الله لامضين لامر ربى فرجع ابليس بغيظه لم يصب ابراهيم وآله شيأ وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان ابراهيم لما أمر بذبح ابنه عرض له الشيطان بهذا المشعر فسابقه فسبقه ابراهيم ثم ذهب الى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم أدركه عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم أدركه عند الجمرة الكبرى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم مضى ابراهيم عليه السلام لامر الله عز وجل ثم نظر ابراهيم فاذا هو بجبريل ومعه كبش أملح أقرن فقال هذا فداء ابنك فاذبحه دونه فكبر جبريل وكبر الكبش وكبر ابراهيم فاخذ ابراهيم الكبش وأتى المنحر من منى فذبحه وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان الكبش الذى ذبحه ابراهيم هو الذى قربه ابن آدم واختلفوا فى سن الذبيح فقيل كان ابن ثلاث عشرة سنة وقيل ابن سبع سنين والله أعلم

(كتاب النية والاخلاص والصدق وفيه ثلاثة أبواب)

(الباب الاول فى النية)

قال الله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه والمراد بالارادة النية وفى الصحيحين عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه قال الشافعى رحمه الله يدخل قوله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات فى سبعين بابا من الفقه وقال أيضا يدخل فى هذا الحديث ثلث العلم قال البيهقى رحمه الله معناه ان كسب العبد انما يكون بقلبه ولسانه وبدنه فالنية أحد أقسام كسبه الثلاثة وهى أرجحها لانها تكون عبادة بانفرادها بخلاف القسمين الآخرين ولان القول والعمل يدخلهما الفساد بالرياء ولا يدخل النية وعن جابر رضى الله عنه قال كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى غزاة فقال ان بالمدينة لرجالا ما سرتم مسيرا ولا قطعتم

التحريك وما كنت أحركها ولا استسخرها بل كنت هاديا ساكنا ظن الظانون بى انى ميت أو معدوم لانى كنت ما احرك ولا أتحرك حتى جاءنى موكل فازعجنى وأرهقنى الى ما تراه منى فكانت لى قوة على مساعدته ولم يكن لى قوة على مخالفته وهذا الموكل يسمى ارادة ولا أعرفه الا باسمه وبهجومه وخياله اذا أزعجنى من غمرة النوم وأرهقنى الى ما كان لى مندوحة عنه لو خلانى ورأيى فقال صدقت ثم سأل الارادة ما الذى جرأك على القدرة الساكنة المطمئنة حتى صرفتها الى التحريك اصرافا لم تجد عنه مخلصا فقالت الارادة لا تعجل على فلعل لنا عذرا وأنت ملوم فانى ما انتهضت بنفسى ولكنى انهض وما انبعثت ولكنى بعثت بحكم قاهر وأمر جازم ولقد كنت ساكنة قبل مجيئه ولكن ورد على من حضرة القلب رسول العلم على لسان العقل بالاشخاص للقدرة فأشخصتها باضطرار فأنا مسكينة مسخرة تحت قهر العلم والعقل ولا أدرى لاى سبب سخرت له وألزمت طاعته لكنى ادرى انى فى دعة وسكون ما لم يرد على هذا الوارد وهذا الحاكم العادل أو الظالم وقد وقفت عليه وقفا وألزمت طاعته الزاما بل لا يبقى لى معه مهما جزم حكمه طاقة فى المخالفة لعمرى ما دام هو فى التردد مع نفسه والتحير فى حكمه فأنا ساكنة لكن مع استشعار وانتظار

وادبالا كانوا معكم حبسهم المرض وفى رواية الاشركوكم فى الاجر رواه مسلم وقال النبى صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر الى اجسامكم ولا الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم رواه مسلم وعن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء أى ذلك فى سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله رواه البخارى ومسلم وعن أبى بكرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار قلت يارسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال انه كان حريصا على قتل صاحبه رواه البخارى ومسلم قال النووى فيه دلالة للمذهب الصحيح الذى عليه الجهور أن من نوى المعصية وأصر على النية يكون آثما وان لم يفعلها ولا تكلم بها وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه تبارك وتعالى قال ان الله تعالى كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ومن هم بها وفعلها كتبها الله عنده عشر حسنات الى سبعمائة ضعف الى أضعاف كثيرة وان هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة وان هم بها فعملها كتبها الله عنده سيئة واحدة رواه البخارى ومسلم قال النووى رحمه الله فانظر يا أخى وفقنى الله واياك الى عظم لطفه وتأمل هذه الالفاظ وقوله عنده اشارة الى الاعتناء بها وقوله كاملة للتوكيد وشدة الاعتناء بها وقال فى السيئة التى هم بها ثم تركها كتبها الله حسنة كاملة فأكدها بكاملة فلله الحمد والمنة وقال صلى الله عليه وسلم مثل هذه الامة مثل أربعة نفر رجل آتاه الله مالا وعلما فهو يعمل به فى ماله ينفقه فى حقه ورجل آتاه الله علما ولم يؤته مالا فهو يقول لو كان لى مثل مال هذا عملت فيه مثل الذى يعمل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهما فى الاجر سواء ورجل آتاه الله مالا ولم يؤته علما فهو يخبط فيه وينفقه فى غير حقه ورجل لم يؤته مالا ولا علما فيقول لو كان لى مثل هذا عملت فيه مثل الذى يعمل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهما فى الوزر سواء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت نيته طلب الآخرة جعل الله غناه فى قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا وهى راغمة ومن كانت نيته طلب الدنيا جعل الله الفقر بين عينيه وشتت عليه أمره ولا يأتيه منها الا ما كتب له وفى حديث أبى هريرة رضى الله عنه من تزوج امرأة على صداق وهو لا ينوى أداءه فهو زان ومن ادان دينا وهو لا ينوى أداءه أى قضاءه فهو سارق وقال صلى الله عليه وسلم من تطيب لله تعالى جاء يوم القيامة وريحه أطيب من المسك ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيامة وريحه أنتن من الجيفة وقال عمر رضى الله عنه أفضل الاعمال أداء ما افترض الله والورع عما حرم الله تعالى وصدق النية فيما عند الله تعالى وكتب سالم بن عبد الله الى عمر بن عبد العزيز اعلم أن عون العبد على قدر النية فمن تمت نيته تم عون الله تعالى له وان نقصت نقص بقدره وقال بعض السلف رب عمل صغير تعظمه النية ورب عمل كبير تصغره النية وقال الثورى كانوا يتعلمون النية للعمل كما يتعلمون العمل وقال بعض العلماء طلب النية قبل العمل ومادمت تنوى الخير فانت بخير وقال عمران الجونى تصعد الملائكة بالاعمال فينادى الملك ألق تلك الصحيفة فتقول الملائكة ربنا قالوا خيرا وحفظناه عليهم فيقول تبارك وتعالى انه لم يرد به وجهى قال وينادى الملك أكتب لفلان كذا وكذا مرتين فيقول عز وجل انه قد نواه وكان بعضهم يقول دلونى على عمل لا أزال به عاملا لله تعالى فقيل له انو الخير فانك لا تزال عاملا وان لم تعمل والنية تعمل وان عدم العمل فانه من نوى أن يصلى بالليل فنام كتب له ثواب ما نوى أن يفعله وقد جاء فى الحديث ما من رجل تكون له ساعة من الليل يقومها فينام عنها الا كتب له أجر صلاته وكان نومه صدقة تصدق بها عليه وفى الحديث نية المؤمن خير من عمله قال أبو الليث السمرقندى رحمه الله قال بعض أهل العلم لانه قد يثاب على نية الخير وان لم يعمله ولا يثاب على عمله بلا نية وقال بعضهم نية المؤمن خير من عمله لطول نيته وقصر عمله لانه قد ينوى أن يعمل الخير ما بقى ولا يستطيع أن يعمل الخير ما بقى وقال بعضهم لان النية عمل القلب والقلب معدن المعرفة وما كان من معدن المعرفة كان أفضل من غيره

(الباب الثانى فى الاخلاص)

لحكمة فاذا انجزم حكمة ازعجت بطابع وقهر تحت طاعته وأشخصت القدرة لتقوم بموجب حكمه فاسال العلم عن شأنى فانى كما قال القائل مهما ترحلت عن قوم وقد قدروا ان لا تفارقهم فالراحلون هم فقال صدقت فأقبل على العلم والعقل والقلب مطالبا لهم ومعاتبا اياهم على استنهاض الارادة وتسخيرها لاستنهاض القدرة فقال العقل اما أنا فسراج ما اشتعلت بنفسى ولكنى شعلت وقال القلب أما أنا فلوح ما انبسطت بنفسى ولكن بسطت وقال العلم أما أنا فنقش نقشت فى بياض اللوح الذى هو القلب لما أشرق سراج العقل وما تخططت بنفسى فكم كان هذا اللوح قبلى خاليا عنى فاسال القلم عنى فان الخط لا يكون الا بالقلم فعند هذا تتعتع السائل ولم يقنعه جوابه وقال طال تعبى فى هذا الطريق وكثرت منازلى ولا يزال يحيلنى من طمعت فيه على غيره ولكن كنت أطيب نفسى بكثرة التردد لما كنت أسمع كلاما مقبولا فى الفؤاد وعذرا ظاهرا فى دفع السؤال فاما قولك انى خط ونقش وانما خطنى قلم فلست أفهمه فانى لا أعلم قلما الا من القصب ولا لوحا الا من الحديد أو الخشب ولا خطا الا بالحبر ولا سراجا الا من النار وانى لاسمع فى هذا المنزل حديث اللوح والسراج والخط والقلم ولا أشاهد منه شيئا أسمع جعجعة ولا أرى طحنا فقال له العلم ان صدقت فيما قلت فبضاعتك مزجاة وزادك قليل ومركبك ضعيف

قال

قال الله تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء أى مائلين عن الاديان كلها الا دين الاسلام ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة أى الملة الشريفة المستقيمة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل رضى الله عنه اخلص دينك يكفك القليل من العمل وعن أنس رضى الله عنه اذا كان يوم القيامة جاءت الملائكة بصحف مختمة فيقول الله عز وجل ألقوا هذا واقبلوا هذا فتقول الملائكة وعزتك ما كتبنا الا ما كان فيقول ان هذا كان لغيرى ولا أقبل الا ما كان لى وعن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الملائكة يرفعون عمل العبد فيكثرونه ويزكونه فيوحى الله سبحانه وتعالى اليهم أنتم حفظة على عبدى وأنا رقيب على ما فى نفسه ان عبدى لم يخلص لى عمله فاجعلوه فى سجين ويصعدون بعمل فيستقلونه فيوحى الله انكم حفظة على عبدى وأنا رقيب على ما فى نفسه فضاعفوه واجعلوه فى عليين وقال الحسن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى الاخلاص سر من سرى استودعته قلب من أحب من عبادى وقال صلى الله عليه وسلم ما من عبد يخلص العمل لله تعالى أربعين يوما الا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه (حكايتان) ذكرهما الغزالى فى الاحياء (الاولى) قال الحسن رحمه الله كانت شجرة تعبد من دون الله فجاء اليها رجل فقال لاقطعن هذه الشجرة فجاء اليها ليقطعها غضبا لله تعالى فلقيه الشيطان فى صورة انسان فقال ما تريد قال أريد أن أقطع هذه الشجرة التى تعبد من دون الله قال اذا أنت لم تعبدها فما يضرك من عبدها قال لاقطعنها قال فانى لا أتركك أن تقطعها فقاتله فأخذه العابد فطرحه الى الارض وقعد على صدره فقال له الشيطان هل لك فيما هو خير لك من ذلك لا تقطعها ولك ديناران كل يوم اذا أصبحت عند وسادتك قال فمن لى بذلك فقال انا لك فرجع فاصبح فوجد عند وسادته دينارين ثم أصبح بعد ذلك فلم يجد شيأ فقام غضبان ليقطعها فتمثل له الشيطان فى صورته فقال ما تريد قال أريد أن أقطع هذه الشجرة التى تعبد من دون الله قال كذبت مالك الى قطعها سبيل فذهب ليقطعها فضرب به الارض وخنقه حتى كاد يقتله ثم قال أتدرى من أنا أنا الشيطان وقال جئت أول مرة غضبا لله تعالى فلم يكن لى عليك سبيل فخدعتك بالدينارين فتركتها فلما فقدتهما جئت غضبا للدينارين فسلطت عليك (الثانية) حكى أن رجلا كان يخرج فى زى النساء فيحضر حيث يحضرن من عرس أو مأتم فاتفق أنه حضر يوما فى مجمع النساء فسرقت درة فصاحوا أغلقوا الابواب حتى تفتش ففتشوا واحدة بعد واحدة حتى اذا بلغت النوبة الى الرجل والى امرأة معه فدعا الله تعالى بالاخلاص وقال ان نجوت من هذه الفضيحة لا أعود الى مثل هذا فوجدت الدرة مع تلك المرأة وصاحوا أطلقوا الحرة فقد وجدنا الدرة

(فصل فى معنى الاخلاص) قال أبو القاسم القشيرى رحمه الله تعالى الاخلاص افراد الحق سبحانه وتعالى فى الطاعة بالقصد وهو أن يريد بطاعته التقرب الى الله تعالى دون شئ آخر من تصنع لمخلوق أو اكتساب محمدة عند الناس أو محبة من الخلق أو معنى من المعانى سوى التقرب الى الله تعالى قال ويصح أن يقال الاخلاص تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين وقال حذيفة المرعشى الاخلاص استواء أفعال العبد فى الظاهر والباطن وقال الفضيل ترك العمل لاجل الناس رياء والعمل لاجل الناس شرك والاخلاص ان يعافيك الله منهما وعن سهل التسترى رضى الله عنه قال نظرت الاكياس فى تفسير الاخلاص فلم يجدوا غير هذا ان تكون حركته وسكونه فى سره وعلانيته لله تعالى لا تمازجه نفس ولا هوى ولا دنيا

(الباب الثالث فى الصدق)

قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين وفى الصحيحين عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الصدق يهدى الى البر وان البر يهدى الى الجنة وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا وان الكذب يهدى الى الفجور وان الفجور يهدى الى النار وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا وقال ابن عباس رضى الله عنهما أربع من كن فيه فقد ربح الصدق والحياء وحسن الخلق والشكر وقال بشر بن الحارث من عامل الله تعالى بالصدق استوحش من الناس وقال النووى فى

والمهالك فى الطريق الذى توجهت اليه كثيرة فالصواب لك أن تنصرف وتدع ما أنت فيه فما هذا بعشك فادرج عنه فكل ميسر لما خلق له وان كنت راغبا فى استتمام الطريق الى المقصد فالق سمعك وأنت شهيد واعلم أن العوالم فى طريقك هذا ثلاثة عالم الملك والشهادة أولها ولقد كان الكاغد والحبر والقلم واليد من هذا العالم وقد جاوزت تلك المنازل على سهولة والثانى عالم الملكوت وهو وراءه فاذا جاوزته وانتهيت الى منازله وفيه المهامه الفسيحة والجبال الشاهقة والبحار المغرقة ولا أدرى كيف تسلم فيها والثالث عالم الجبروت وهو بين عالم الملك وعالم الملكوت ولقد قطعت منها ثلاثة منازل اذ فى أوائلها منزل القدرة والارادة والعلم وهو واسطة بين عالم الملك والملكوت لان عالم الملك أسهل منه طريقا وعالم الملكوت أوعر منه منهجا وانما عالم الجبروت بين عالم الملك وعالم الملكوت يشبه السفينة التى بين الارض والماء فلا هى فى حد اضطراب الماء ولا هى فى حد سكون الارض وثباتها فكل من يمشى على الارض فى عالم الملك والشهادة فان جاوزت قوته الى أن يقوى على ركوب السفينة كان كمن يمشى فى عالم الجبروت فان انتهى الى أن يمشى على الماء من غير سفينة مشى فى عالم الملكوت من غير تعتع تعب فان كنت لا تقدر على المشى على الماء فانصرف فقد جاوزت الارض وخلفت السفينة ولم يبق الا الماء الصافى

قوله تعالى ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة قال هم الذين ادعوا محبة الله تعالى ولم يكونوا فيها صادقين وقال بعضهم أجمع الفقهاء والعلماء على ثلاث خصال اذا صحت ففيها النجاة ولا يتم بعضها الا ببعض الاسلام الخالص عن البدعة والهوى والصدق لله تعالى في الاعمال وطيب المطعم

(باب المحاسبة والمراقبة)

قال الله تعالى ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه أي يحدث به قلبه فلا تخفى علينا سرائره وضمائره ونحن اقرب اليه من حبل الوريد لان أبعاضه وأجزاءه يحجب بعضها بعضا ولا يحجب عن الله تعالى شئ وحبل الوريد عرق العنق وهو عرق بين الحلقوم والعلباوين يتفرق في البدن والحبل هو الوريد فاضيف الى نفسه لاختلاف اللفظين وقال تعالى يعلم خائنة الاعين أى خيانتها وهى سارقة النظر الى ما لا يحل قال مجاهد هو نظر الاعين الى مانهى الله عنه وقال تعالى هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم أى هو الاول قبل كل شئ بلا ابتداء كان هو ولم يكن شئ موجودا والآخر بعد فناء كل شئ بلا انتهاء تفنى الاشياء ويبقى هو الظاهر الغالب العالى على كل شئ والباطن العالم بكل شئ هذا معنى قول ابن عباس وقال يمان هو الاول القديم والآخر الرحيم والظاهر الحليم والباطن العليم وقال السدى هو الاول ببره اذ عرفك توحيده والآخر بجوده اذ عرفك التوبة عما جنيت والظاهر بتوفيقه اذ وفقك للسجود له والباطن بستره اذا عصيته فستر عليك وقال الجنيد هو الاول بشرح القلوب والآخر بغفران الذنوب والظاهر بكشف الكروب والباطن بعلم الغيوب وسأل عمر رضى الله عنه كعبا عن هذه الآية فقال معناها ان علمه بالاول كعلمه بالآخر وعلمه بالظاهر كعلمه بالباطن وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول اذا أوى الى فراشه اللهم رب السموات ورب الارض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شئ فالق الحب والنوى منزل التوراة والانجيل والقرآن أعوذ بك من شر كل ذى شر أنت آخذ بناصيته أنت الاول فليس قبلك شئ وأنت الآخر فليس بعدك شئ وأنت الظاهر فليس فوقك شئ وأنت الباطن فليس دونك شئ اقض عنا الدين وأغننا من الفقر وقال تعالى وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير وفي صحيح مسلم في حديث جبريل حين سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الاحسان فقال ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وعن أبي ذر ومعاذ بن جبل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن حسنه الترمذى وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم يوما فقال يا غلام انى أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الامة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشئ لم ينفعوك الا بشئ قد كتبه الله لك وان اجتمعوا على أن يضروك بشئ لم يضروك الا بشئ قد كتبه الله عليك رفعت الاقلام وجفت الصحف رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وفي رواية غير الترمذى احفظ الله تجده امامك تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة واعلم ان ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك واعلم أن النصر مع الصبر وان الفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا وعن شداد بن أوس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والفاجر من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الامانى رواه الترمذى وقال حديث حسن قال الترمذى وغيره من العلماء معنى من دان نفسه حاسبها وقال ابن المبارك لرجل راقب الله تعالى فسأله عن تفسيره فقال كن أبدا كأنك تراه وقال رجل للجنيد بم أستعين على غض البصر قال بعلمك ان نظر الناظر اليك أسبق من نظرك الى المنظور اليه وسئل المحاسبى رحمه الله عن المراقبة قال أولها علم القلب بقرب الرب تعالى وقال محمد بن على الترمذى اجعل مراقبتك لمن لا تغيب عن نظره اليك واجعل شكرك لمن لا تنقطع نعمه عنك واجعل طاعتك لمن لا تستغنى عنه واجعل خضوعك لمن لا تخرج عن ملكه وسلطانه وسئل بعضهم عن قوله تعالى رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه فقال معناه ذلك لمن راقب ربه تعالى وحاسب نفسه وتزود لمعاده وقال حميد الطويل لسليمان بن على عظنى فقال لئن كنت اذا عصيت الله خاليا

وأول عالم الملكوت مشاهدة القلم الذى يكتب به العلم وحصول اليقين الذى يمشى به على الماء أما سمعت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيسى عليه السلام لو ازداد يقينا لمشى على الهواء لما قيل له كان يمشى على الماء فقال السالك السائل قد تحيرت في أمرى واستشعر قلبى خوفا مما وصفته من خطر الطريق ولست أدرى أطيق قطع هذه المهامه التى وصفتها أم لا فهل لذلك من علامة فقال نعم افتح بصرك واجمع ضوء عينيك واصرفه نحوى فان ظهر لك القلم الذى به أكتب في لوح القلب فيشبه أن تكون أهلا لذلك الطريق فان كل من جاوز عالم الجبروت وقرع أول باب من أبواب الملكوت كوشف بالقلم أما ترى ان النبى أول ما كوشف بالقلم ونزل عليه قوله تعالى اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فقال السالك لقد فتحت بصرى وحدقته والله ما أرى قصبا ولا خشبا ولا أعلم قلما الا كذلك فقال العلم لقد أبعدت النجعة أما سمعت ان متاع البيت يشبه رب البيت أما علمت أن الله تعالى لا تشبه ذاته سائر الذوات فكذلك لا تشبه يده سائر الايدى ولا قلمه الاقلام ولا كلامه سائر الكلام ولا خطه سائر الخطوط وهذه أمور الهية من عالم الملكوت فليس الله في ذاته بجسم ولا هو في مكان بخلاف غيره ولا يده لحم وعظم ودم بخلاف الايدى ولا قلمه من قصب ولا لوحه من

ظننت

ظننت أنه يراك لقد اجترأت على أمر عظيم ولئن كنت تظن أنه لا يراك فلقد كفرت وسئل حاتم رحمه الله فيم أقنيت عمرك قال في أربعة أشياء علمت أنى لا أخلو من نظر الله طرفة عين فاستحييت أن أعصيه وعلمت أن لى رزقا لا يجاوزنى وقد ضمنه الله لى فوثقت به وقعدت عن طلبه وعلمت ان على فرضا لا يؤديه غيرى فاشتغلت به وعلمت ان لى أجلا يبادرنى فبادرته وقيل أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود اطلبنى عند قوم لا يشبعون اذا شبع الناس قال الهى كيف وأنت الجبار الذى لا يخلو منك مكان قال يا داود أنا مع الخلائق بعلمى ومع أهل محبتى بحفظى قال بعض السادة رأيت غلاما في البرية وهو قائم يتعبد وليس معه أحد فسلمت عليه وقلت له يا فتى أنت في مكان منقطع بلا معين ولا رفيق فقال بلى وعزته معى المعين والرفيق فقلت له أين المعين والرفيق فقال هو فوقى بقدرته ومعى بعلمه وحكمته وبين يدى بهدايته وعن يمينى بنعمته وعن شمالى بعصمته وقال الفضيل رحمه الله يا مسكين تغلق بابك وترخى سترك وتستحى من الناس ولا تستحى من الملكين اللذين معك ولا تستحى من القرآن الذى في صدرك ولا تستحى من الجليل سبحانه وهو لا تخفى عليه خافية وروى أن حبشيا أتى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كنت أعمل الفواحش فهل لى من توبة قال نعم قال فهل كان الله يرانى قال نعم فصاح الحبشى ووقع ميتا وفي بعض الكتب المنزلة ما بال الرجل يجلس اليك فيحدثك فتصغى اليه فاذا كلمك مكلم أومأت اليه أعظاما يجالسك وتقف في الصلاة بين يدى وقلبك مع غيرى أمن الانصاف هذا أن ترضى لى ما لا ترضاه لغيرى عبدى لا تفعل يا عبدى أما استحييت منى يأتيك كتاب من عند بعض اخوانك وأنت تمشى في الطريق فتعدل عن الطريق لاجله وتقرؤه وتتدبره حرفا حرفا حتى لا يفوتك حرف منه وهذا كتابى أنزلته اليك أنظر كم وصلت لك فيه من الفوائد وكم كررت عليك لتتأمل طوله وعرضه ثم أنت معرض عنه أفكنت أهون عليك من بعض اخوانك يا عبدى يقعد اليك بعض اخوانك فتقبل عليه بكل وجهك وتصغى الى حديثه بكل قلبك فان تكلم متكلم أو شغلك شاغل عن حديثه أومأت اليه كف وها أنا مقبل عليك مخاطب لك وأنت معرض بقلبك عنى أفجعلتنى أهون عندك من بعض اخوانك عبدى لا تفعل *(حكايات* الاولى)* عن عبد الله بن دينار قال خرجت مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى مكة فعرسنا في بعض الطريق فانحدر علينا راع من الجبل فقال له يا راعى بعنى شاة من الغنم فقال انى مملوك فقال قل لسيدك أكلها الذئب قال فاين الله تعالى فبكى عمر ثم غدا الى المملوك فاشتراه من سيده وأعتقه وقال أعتقتك في الدنيا هذه الكلمات وأرجو ان تعتقك في الآخرة (الثانية) حكى انه كان لبعض المشايخ تلميذ شاب وكان يكرمه فقال له بعض أصحابه كيف تكرم هذا وهو شاب ونحن شيوخ فدعا بعدة طيور وناول كل واحد منهم طيرا وسكينا وقال ليذبح كل واحد منكم طيره في موضع لا يراه أحد ودفع الى الشاب مثل ذلك وقال اذبحه حيث لا يراك أحد فرجع كل واحد بطيره مذبوحا ورجع الشاب والطير حى في يده فقال مالك لم تذبح وقد ذبح أصحابك فقال لم أجد موضعا لا يرانى فيه أحد اذ الله مطلع على في كل مكان فاستحسنوا مراقبته فقالوا أحق لك أن تكرمه (الثالثة) حكى أن زليخا لما خلت بيوسف عليه السلام فقامت وغطت وجه صنمها فقال يوسف مالك أتستحيين من مراقبة جماد ولا تستحى من مراقبة الملك الجبار وقيل لما راودته عن نفسه قالت له ما أحسن شعرك قال هو أول ما ينتثر من جسدى قالت ما أحسن عينيك قال هما أول ما يسيل على وجهى في قبرى قالت ما أحسن وجهك قال هو للتراب يأكله (الرابعة) حكى عن بعض الاحداث انه راود جارية عن نفسها فقالت ألا تستحى فقال ممن أستحى وما يرانا الا الكواكب فقالت وأين مكوكبها (الخامسة) قيل كان طاوس اليمانى رحمه الله بمكة فراودته امرأة عن نفسه فلم يزل بها حتى أتى بها الى المسجد الحرام والناس مجتمعون فقال لها اقضى ما تريدين قالت في هذا الموضع والناس ينظرون قال فالحياء من نظر الله أحق فتابت المرأة وحسنت توبتها (السادسة) حكى ان منصور بن عمار رحمه الله تعالى مر فوجد شابا يحدث امرأة فانصرف الشاب فتقدم منصور الى المرأة فكلمها أن تذهب معه ومشت خلفه حتى دخل الى منزله فقعدت ووقف منصور يصلى فطول عليها فلما سلم قالت يا هذا اطولت على فقال لها ما تقولين في رجل

خشب ولا كلامه بصوت وحرف ولا خطه رقم ورسم ولا حبره زاج ولا عفص وان كنت لا تشاهد هذا هكذا فما أراك الا مخنثا بين فحولة التنزيه وأنوثة التشبيه مذبذبا بين هذا وذاك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء فكيف نزهت ذاته وصفاته تعالى عن الاجسام وكيف نزهت كلامه عن معانى الحروف والاصوات وأخذت تتوقف في يده وقلمه ولوحه وخطه فان كنت قد فهمت من قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته الصورة الظاهرة المدركة بالبصر فكن مشبها مطلقا كما يقال كن يهوديا صرفا والا فلا تلعب بالتوراة وان فهمت منه الصورة الباطنة التى تدرك بالبصائر لا بالابصار فكن منزها صرفا ومقدسا محلا واطو الطريق فانك بالواد المقدس طوى واستمع بسر قلبك لما يوحى فلعلك تجد على النار هدى ولعلك من سرادقات العرش تنادى بما نودى به موسى عليه السلام انى أنا ربك فلما سمع السالك من العلم ذلك استشعر قصور نفسه وانه مخنث في التشبيه والتنزيه فاشتد قلبه نارا من حدة غضبه على نفسه لما رآها بعين النقص ولقد كان زيته الذى في مشكاة قلبه يكاد يضئ ولو لم تمسسه نار فلما نفخ فيه العلم بحدته اشتعل زيته فأصبح نورا على نور فقال العلم اغتنم الآن هذه الفرصة وافتح بصرك فلعلك تجد على النار هدى ففتح بصره فانكشف له القلم الالهى واذا هو كما وصفه العلم في التنزيه لا هو خشب ولا

عليه حق بأربعة شهود والحاكم يعلم به هل يقدر أن يمتنع منه بجحوده قالت لا والله قال فان معى ملكين ومعك ملكين والحاكم يعلم فاضطربت المرأة ووقعت ميتة (السابعة) حكى أن رجلا تعلق بامرأة ببغداد فأبت أن تمكنه وكل من جاء يخلصها منه طعنه بسكين وكان شديدا فمر عليه بشر الحافى فدنا منه وحك كتفه بكتفه فوقع على الارض وهربت المرأة ومضى بشر فدنا الناس من الرجل واذا هو يرشح عرقا كثيرا فسألوه عن حاله فقال حك كتفى شيخ وقال ان الله ناظر اليك والى عملك وما تعمل فاصغيت لقوله وهبته ولا أدرى من هو فقيل انه بشر الحافى فحم وقال واسوأتاه كيف ينظر الى بعد اليوم فحم من يومه ومات يوم سابعه رحمه الله

(كتاب التفكر وفيه أربعة أبواب)

(الباب الاول فى فضله)

قال الله تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض أى وفيما أبدع فيهما ليدلهم ذلك على قدرة الصانع ويعرفوا أن لهما صانعا قادرا ومدبرا حكيما قال ابن عباس رضى الله عنهما الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية كما يحدث الماء للزرع النبات وما جليت القلوب بمثل الاحزان ولا استنارت بمثل الفكرة وقال ابن عباس رضى الله عنهما ان قوما تفكروا فى الله تعالى فقال النبى صلى الله عليه وسلم تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى الله فانكم لن تقدروا قدره وذكر فى الاحياء عن النبى صلى الله عليه وسلم انه خرج على قوم ذات يوم وهم يتفكرون فقال ما لكم لا تتكلمون فقالوا نتفكر فى خلق الله تعالى فقال فكذلك افعلوا تفكروا فى خلقه ولا تفكروا فيه فان بهذا المغرب أرضا بيضاء نورها بياضها أو بياضها نورها مسيرة الشمس أربعين يوما بها خلق من خلق الله عز وجل لم يعصوا الله تعالى طرفة عين قالوا يا رسول الله فأين الشيطان عنهم قال ما يدرون خلق الشيطان أم لا قالوا أمن ولد آدم قال لا يدرون خلق آدم أم لا وعن عطاء قال انطلقت أنا وعبيد بن عمير الى عائشة رضى الله عنها وبيننا وبينها حجاب فقالت يا عبيد ما يمنعك من زيارتنا قال قول النبى صلى الله عليه وسلم زر غبا تزدد حبا قال ابن عمير فأخبرينا بأعجب شئ رأيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبكت فقالت كل أمره كان عجبا أتانى فى ليلتى حتى مس جلده جلدى ثم قال ذرينى أتعبد لربى تعالى فقام الى القربة فتوضأ منها ثم قام يصلى فبكى حتى بل لحيته ثم سجد حتى بل الارض ثم اضطجع على جنبه حتى أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح فقال يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال ويحك يا بلال وما يمنعنى أن أبكى وقد أنزل الله على فى هذه الليلة ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها وقال الحسن تفكر ساعة خير من قيام ليلة وقال الفضيل الفكر مرآة تريك حسناتك وسيئاتك وقال وهب بن منبه ما طالت فكرة امرئ قط الا فهم وما فهم الا علم وما علم الا عمل وقال بشر الحافى لو تفكر الناس فى عظمة الله تعالى لما عصوه وقال يوسف بن أسباط ان الدنيا لن تخلق لينظر اليها بل لينظر بها الى الآخرة وكان سفيان من شدة تفكره يبول الدم وقال بعض السادة الفكر نور والغفلة ظلمة والجهالة ضلالة والسعيد من وعظ بغيره

(الباب الثانى فى بيان ما يتفكر فيه)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى الله تعالى فانكم لن تقدروا قدره وقد ورد فى القرآن الحث على التفكر فى مخلوقات الله عز وجل قال الله تعالى ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب الآية وقال تعالى أولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شئ أى وينظروا الى ما خلق الله فيهما من شئ ليستدلوا على وحدانيته فليتفكر الانسان فى السماء وعظمها وكواكبها وشمسها وقمرها وما فيها كوكب الا ولله تعالى فيه حكمة فى لونه وشكله وموضعه وقد قيل ان الشمس مثل الارض مائة ونيفا وستين مرة وان اصغر كوكب فى السماء مثل الارض ثمان مرات فاذا كان هذا قدر كوكب واحد فانظر الى كثرة الكواكب والى السماء التى فيها الكواكب

قصب ولا له رأس ولا ذنب وهو يكتب على الدوام فى قلوب البشر كلهم أصناف العلوم وكان له فى كل قلب رأس ولا رأس له فقضى منه العجب فقال نعم الرفيق العلم جزاه الله عنى خيرا اذ الآن ظهر لى صدق انبائه عن أوصاف القلم فانى أراه قلما لا كالاقلام وعنه هذا ودع العلم وشكره وقال طال مقامى عندك ومراددتى لك وأنا عازم على أن أسافر الى حضرة القلم فأسأله عن شأنه فسافر اليه وقال ما بالك تخط على الدوام فى القلوب من العلوم ما تبعث به الارادة الى اشخاص القدرة وصرفها الى المقدورات فقال لقد نسيت ما رأيت فى عالم الغيب والشهادة وسمعته فى جواب القلم اذ سألته فأحالك على اليد فقال لا قال فجوابى مثل جوابه قال فكيف وأنت لا تشبهه قال القلم أما سمعت أن الله تعالى خلق آدم على صورته قال نعم قال فسل عن شأنى الملقب بيمين الملك فانى فى قبضته هو الذى يرددنى وأنا مقهور ومسخر ولا فرق بين القلم الالهى وقلم الآدمى فى معنى التسخير وانما الفرق فى ظاهر الصورة فقال فما يمين الملك قال القلم أما سمعت قوله تعالى والسموات مطويات بيمينه قال نعم قال فالاقلام أيضا فى قبضة يمينه هو الذى يرددها فسافر السالك من عنده الى اليمين حتى شاهده ورأى من عجائبه ما يزيد على عجائب القلم ولا يجوز وصف شئ من ذلك ولا شرحه بل لا تحوى مجلدات كثيرة عشر عشير

والى

والى احاطة عينيك ذلك مع صغرها وليتفكر أيضا فى نفسه فان فى خلقه من العجائب الدالة على عظمة الله ما تنقضى الاعمار فى الوقوف على عشر عشره وهو غافل عن ذلك وقد أمره الله تعالى بالتدبر فى نفسه فقال وفى أنفسكم أفلا تبصرون فاذا تفكر الانسان فى ذلك ازداد بذلك يقينا ومعرفة ومن ذلك تفكره فى انعام الله عليه قال الله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فانه اذا تفكر فى ذلك يزيد فى المحبة والشكر قال الامام أبو حامد الغزالى رحمه الله واعلم انك انما تعصى الله تعالى بجوارحك وهى نعمة أنعم الله بها عليك والاستعانة بنعمة الله على معصيته غاية الكفران ومنها أن يتفكر فى زوال الدنيا وتقلبها باهلها ولا ينظر الى سعة عيش أهلها بل الى سرعة ظعنهم وشر منقلبهم فاذا حقق العبد ما ذكرناه هانت عليه دنياه وجد فى طاعة مولاه ومنها ان يتفكر فى الموت وسكراته وفى حال من مضى من اخوانه وأقاربه وأقرانه وكيف كانوا والى أين صاروا وانه صائر الى ما صاروا اليه وقادم على ما قدموا عليه فان التفكر فى ذلك يحمل على الخوف والخشية وقصر الآمال والمبادرة الى التوبة والى صالح الاعمال (ومنها) أن يتفكر فى أهوال القيامة وكيف يحشر الناس حفاة عراة الى أرض المحشر وفى ازدحام الناس وقرب الشمس من رؤسهم وشدة العرق مع ما فى القلوب من القلق وفى الحديث ان العرق يأخذ الناس على قدر أعمالهم وفى سؤال ربه عن أعماله بغير واسطة فان التفكر فى ذلك كله يدعو الى أفعال الخيرات والتأهب للوقوف بين يدى عالم الخفيات (ومنها) التفكر فى نار جهنم أعاذنا الله منها وشدة حرها فانها فضلت على نار الدنيا بتسعة وستين جزأ وفيما فيها من الحيات والعقارب وغير ذلك من الاهوال الواردة فى القرآن والاحاديث الصحيحة ولو أن ملكا توعد انسانا أن يحبسه فى الحمام وان يتركه فى الصيف فى الشمس لتنغص عليه عيشه وترك شهوته وان التفكر فى ذلك يزيده خوفا ويزجره عن معاصى الله عز وجل (ومنها) أن يتفكر فيما أعد الله لعباده الصالحين فى الجنة مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فان التفكر فى ذلك يزيده رغبة فيها وقوة على طاعة الله عز وجل (ومنها) أن يتفكر اذا حدثته نفسه بمعصية فى نظر الله عز وجل اليه وانه أقرب اليه من حبل الوريد ويستحضر قوله تعالى وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير فان التفكر فى ذلك يحمله على الحياء من الله تعالى والامتناع من المعاصى

(الباب الثالث فى تفسير آيات من كتاب الله عز وجل مشتملة على عجيب صنع الله وقدرته سبحانه وتعالى)

قال الله تعالى ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون ذكر الله السموات بلفظ الجمع والارض بلفظ الواحد لانها ليست من جنس واحد والارضون كلها من جنس واحد وهو التراب فالآية فى السموات سمكها وارتفاعها من غير عمد ولا علاقة وما يرى فيها من الشمس والنجوم قيل ان الشمس مثل الارض مائة ونيفا وستين مرة وأن أصغر كوكب مثل الارض ثمان مرات والآية فى الارض مدها وبسطها وسعتها وما يرى فيها من الاشجار والانهار والجبال والبحار والجواهر والنبات قوله تعالى واختلاف الليل والنهار أى تعاقبهما فى الذهاب والمجئ يخلف أحدهما صاحبه اذا ذهب أحدهما جاء الآخر خلفه أى بعده نظيره قوله تعالى وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا قال عطاء أراد اختلافهما فى النور والظلمة والزيادة والنقصان والفلك التى تجرى فى البحر الآية تسخيرها وجريانها على وجه الماء وهى موقرة لا ترسب تحت الماء بما ينفع الناس يعنى ركوبها والحمل عليها فى التجارات والمكاسب وأنواع المطالب وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض قيل أراد بالسماء السحاب يخلق الله الماء فى السحاب ثم ينزل وقيل أراد به السماء المعروفة يخلق الله الماء فى السماء ثم ينزل منها الى السحاب ثم من السحاب الى الارض ينزل فأحيا به الارض بعد موتها أى بعد يبسها وجدوبتها قال الشعبى كل ما فى الارض فمن السماء أنزله الله قال الله تعالى ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الارض قوله وبث فيها أى وفرق فيها من كل دابة

وصفه والجملة فيه انه يمين لا كالايمان ويد لا كالايدى وأصبع لا كالاصابع فرأى القلم محركا فى قبضته فظهر له عذر القلم فسأل اليمين عن شأنها وتحريكها للقلم فقالت جوابى ما سمعته من اليمين التى رأيتها فى عالم الشهادة وهى الحوالة على القدرة اذ اليد لا حكم لها فى نفسها وانما تحركها القدرة لا محالة فسار الى عالم القدرة ورأى فيها من العجائب ما استحقر فيها ما قبله وسألها عن تحريك اليمين فقالت انما أنا صفة فاسأل القادر اذ العهدة على الموصوفات لا على الصفات وعند هذا كاد أن يزيغ وينطلق بالجراءة لسان السؤال فثبت بالقول الثابت ونودى من وراء سرادقات الحضرة لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فغشيته هيبة الحضرة فخر صعقا يضطرب فى غشيته مدة فلما أفاق قال سبحانك ما أعظم شأنك تبت اليك وتوكلت عليك وآمنت بأنك الملك الجبار الواحد القهار فلا أخاف غيرك ولا أرجو سواك ولا أعوذ الا بعفوك من عقابك وبرضاك من سخطك ونرجع الى الغرض ونبين معنى التوكل فنقول التوكل هو اعتماد القلب على الوكيل وحده للعلم بانه لا يخرج شئ عن علمه وقدرته وأن غيره لا يقدر على ضره ونفعه كما سبق (بيان ما قاله الشيوخ فى التوكل) قال أبو موسى الديلى قلت لابى يزيد ما التوكل فقال ما تقول أنت قلت ان أصحابنا يقولون لو أن السباع والافاعى عن يمينك ويسارك ما تحرك لذلك سرك

وتصريف الرياح تصريفها أنها تنصرف الى الشمال والجنوب والقبول والدبور والنكباء وقيل تصريفها انها تارة تكون لينة وتارة تكون عاصفا وتارة تكون باردة وتارة تكون حارة قال ابن عباس أعظم جنود الله الريح والماء وسميت الريح ريحا لانها تريح النفوس قال القاضي شريح ماهبت ريح الا لشفاء سقيم أو لسقم صحيح والبشارة في ثلاث من الرياح في الصبا والشمال والجنوب وأما الدبور فهو الريح العقيم لا بشارة فيها وقيل الريح ثمانية أربعة للرحمة المبشرات والناشرات والذاريات والمرسلات وأربعة للعذاب العقيم والصرصر في البر والعاصف والقاصف في البحر وروى أبو داود والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الريح من روح الله تأتي بالرحمة وتأتي بالعذاب فاذا رأيتموها فلا تسبوها واسألوا الله خيرها واستعيذوا بالله من شرها وروى مسلم عن عائشة رضي الله عنها انها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا عصفت الريح قال اللهم اني أسألك خيرها وما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به قوله تعالى والسحاب المسخر بين السماء والارض أي الغيم المذلل سمي سحابا لانه ينسحب أي يسير في سرعة كأنه يسحب أي يجر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون أي يعلمون ان لهذه الاشياء خالقا وصانعا قال وهب بن منبه ثلاثة لا يدري من أين تجيء الرعد والبرق والسحاب قال علي رضي الله عنه وابن عباس وأكثر المفسرين الرعد اسم ملك يسوق السحاب والبرق لمعان صوت من نور يزجر به الملك السحاب ونقل الشافعي عن مجاهد أن الرعد ملك والبرق أجنحته يسوق بها السحاب ثم قال وما أشبه ما قاله بظاهر القرآن قال الشيخ جمال الدين الاسنوي في شرح المنهاج وحينئذ فيكون المسموع صوته على اختلاف فيه وأطلق الرعد عليه مجازا وقيل الرعد ملك يزجر السحاب فاذا تبددت ضمها فاذا اشتد غضبه طار من فيه النار وهي الصواعق وقيل الرعد صوت انخفاق الريح بين السحاب قال ابن عباس رضي الله عنهما من سمع صوت الرعد فقال سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهو على كل شئ قدير فان أصابته صاعقة فعلي ديته وروى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا سمع صوت الرعد والصواعق قال اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وفي بعض الاخبار يقول الله تعالى لو أن عبادي أطاعوني لسقيتهم المطر بالليل وأطلعت عليهم الشمس بالنهار ولم أسمعهم صوت الرعد قال الله تعالى وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا الفرث هو ما في الكرش من الثفل فاذا خرج منه لا يسمى فرثا لبنا خالصا من الدم والفرث ليس عليه لون دم ولا رائحة فرث سائغا للشاربين هنيئا يجري على السهولة في الحلق وقيل انه لم يغص أحد باللبن قط قال ابن عباس رضي الله عنهما اذا أكلت الدابة العلف واستقر في كرشها وطحنته فكان أسفله فرثا وأوسطه اللبن وأعلاه الدم والكبد مسلط عليها يقسمها بتقدير الله تعالى فيجري الدم في العروق واللبن في الضرع ويبقى الفرث كما هو وقال الله تعالى يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس وقيل ان النحل تأكل الازهار والاوراق العطرة فيستحيل في باطنها عسلا ثم تقيئه ادخارا للشتاء وقيل انها تلتقط بأفواهها أجزاء حلوة صغيرة طلية متفرقة على الاوراق والازهار وتضعها في بيوتها ادخارا للشتاء فاذا اجتمع شئ كثير منها كان العسل وعلى هذا القول يكون المراد بالبطون الافواه وقوله تعالى فيه شفاء للناس لا يقتضي العموم لكل علة وفي كل انسان لانه ذكره في سياق الاثبات بل هو خبر عن أنه يشفي كما يشفي غيره من الادوية في حال دون حال وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان لا يشكو شيأ الا تداوى بالعسل حتى كان يدهن به الدمل والقرحة ويقرأ الآية وهذا يقتضي انه كان يحمله على العموم وروى ابن ماجه عن ابن مسعود رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما في الصدور فعليكم بالشفاءين العسل والقرآن وروى عن عوف بن مالك أنه مرض فقال ائتوني بماء فان الله تعالى يقول ونزلنا من السماء ماء مباركا ثم قال ائتوني بعسل وقرأ فيه شفاء للناس ثم قال ائتوني بزيت فانه من شجرة مباركة فخلط الجميع ثم شربه فشفي وقال الله تعالى يا أيها

الناس

شرك فقال أبو يزيد نعم هذا قريب لكن لو أن أهل الجنة في الجنة يتنعمون وأهل النار في النار يعذبون ثم وقع لك تمييز بينهما خرجت من جملة التوكل وسئل أبو عبد الله القرشي عن التوكل فقال التعلق بالله في كل حال فقال السائل زدني فقال ترك كل سبب لا يوصل الى الله *(فصل)* في بيان درجات التوكل وله ثلاث درجات أولها أن يكون وثوقه به كوثوقه بوكيل قد عرف صدقه وأمانته وعنايته وهدايته وشفقته وثانيها أن يكون حاله مع الله تعالى كحال الطفل في حق أمه فانه لا يعرف غيرها ولا يفزع في الامور الا اليها فهي أول خاطر له فيما يخطر بباله وهذا المقام يقتضي ترك الدعاء والسؤال لغير الله تعالى ثقة بكرمه وشفقته وثالثها مثل صفرة المريض قد تدوم وقد تزول فان قلت فهل يبقى مع العبد تدبير وتعلق بالاسباب فاعلم أن المقام الثالث ينفي التدبير رأسا ما دام باقيا على تلك الحالة والمقام الثاني ينفي التدبير الا من حيث الفزع الى الله تعالى بالدعاء والابتهال كالطفل الذي لا يدعو الا أمه (بيان أعمال المتوكلين) وقد ظن الظانون أن المتوكل ينبغي أن يكون كلحم على وضم وهذا غلط ونحن نبين ذلك فنقول تلك الاعمال تنقسم الى جلب النافع وحفظه ودفع الضار وقطعه أما جلب النافع فينقسم الى ما جرت به سنة الله تعالى فلا يعهد خلافه كمضغ الطعام الموضوع بين يديك

الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم يعني أباكم آدم من تراب ثم من نطفة يعني ذريته ثم من علقة وهي الدم العبيط المتجمد ثم من مضغة وهي لحمة قليلة قدر ما يمضغ مخلقة وغير مخلقة قال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة مخلقة أي تامة الخلق وغير مخلقة أي غير تامة أي ناقصة الخلق وقال مجاهد مصورة وغير مصورة يعني السقط روى عن ابن مسعود رضي الله عنه قال ان النطفة اذا استقرت في الرحم أخذها الملك بكفه وقال أي رب مخلقة أو غير مخلقة فان قال غير مخلقة قذفها في الرحم دما فلم تكن نسمة وان قال مخلقة قال الملك أي رب أذكر أم أنثى أشقي أم سعيد ما الاجل ما العمل ما الرزق وبأي أرض يموت فيقال له اذهب الى أم الكتاب فانك تجد فيها كل ذلك فيذهب فيجدها في أم الكتاب فينسخها فلا يزال معه حتى يأتي على آخر صفته لنبين لكم أي بكمال قدرتنا وحكمتنا في تصريف أطوار خلقكم لتستدلوا بقدرته في ابتداء الخلق على قدرته على الاعادة ونقر في الارحام ما نشاء فلا نمجه ولا نسقطه الى أجل مسمى وقت خروجها من الرحم تام الخلق والمدة ثم نخرجكم أي من بطون أمهاتكم طفلا لتبلغوا أشدكم يعني الكمال والقوة ومنكم من يتوفى قبل بلوغ الكبر ومنكم من يرد الى أرذل العمر أي الهرم والخرف لكيلا يعلم من بعد علم شيأ أي يبلغ من السن بتغيير عقله فلا يعقل شيأ وقال الله تعالى ولقد خلقنا الانسان ولد آدم من سلالة أي سل كل انسان من ظهر أبيه من طين آدم عليه السلام ثم جعلناه أي ابن آدم نطفة ماء في قرار مكين مستقر حريز يعني الرحم ثم خلقنا النطفة علقة ثم خلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما قال الامام فخر الدين الرازي انما لم يذكر الخلق كما ذكره في المراتب المتقدمة لان العظام والاعصاب والعروق أعضاء أصلية متولدة من نطفة ولذلك اذا بطلت لا تعود بخلاف اللحم ولذلك اذا ذهب بالهزال عاد بالسمن وهو انما يتولد من دم الطمث لا من المني فلذلك جعل كالكسوة للاعضاء الصلبة ثم أنشأناه خلقا آخر قال ابن عباس وجماعة هو نفخ الروح فيه وقال قتادة نبات الاسنان والشعر وروى العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان ذلك تصريف أحواله بعد الولادة من الاستهلال الى الارتضاع الى القعود الى القيام الى المشي الى الطعام الى أن يأكل ويشرب الى أن يبلغ الحلم ويتقلب في البلاد الى ما بعدها فتبارك الله أي استحق التعظيم والثناء عليه بانه لم يزل ولا يزال أحسن الخالقين المصورين المقدرين قيل ان الله سبحانه وتعالى خلق آدم من عجينة طين وخلق ذريته من ماء مهين وغمرهم من نعمته بما هو معين فدل بالاول على رجوع العبد الى أصله ودل بالثاني على اعلامهم بقدرته ودل بالثالث على عظيم احسانه وبره وبذلك نطق الكتاب العزيز فقال في النوع الاول منها خلقناكم وفيها نعيدكم الآية وقال في النوع الثاني أولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وقال في الثالث وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى الذي أحسن كل شئ خلقه أي أتقنه وأحكمه وقيل خلق كل حيوان على صورته لم يخلق البعض على صورة البعض وكل حيوان كامل في خلقته حسن وكل عضو من أعضائه مقدر لما يصلح به معاشه وقال الله تعالى لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم أي أعدل قامة وأحسن صورة وذلك انه خلق كل حيوان منكبا على وجهه الا الانسان فانه خلق مديد القامة يتناول ما كوله بيده مزينا بالعقل والتمييز (وحكى) صاحب حياة الحيوان عن سعيد بن جبير رضي الله عنه أنه قال لما أهبط الله آدم عليه السلام الى الارض لم يكن فيها غير النسر في البر والحوت في البحر وكان النسر يأوي الى الحوت فيبيت عنده فلما رأى النسر آدم قال يا حوت لقد أهبط اليوم الى الارض شئ يمشي على رجليه ويبطش بيديه فقال الحوت لئن كنت صادقا ما لي منه منجا في البحر ولا لك منه مخلص في البر وقال الله تعالى هل أتى أي قد أتى على الانسان يعني على آدم حين من الدهر أربعون سنة ملقى من طين بين مكة والطائف قبل أن ينفخ فيه الروح لم يكن شيأ مذكورا لا يذكر ولا يعرف ويريد كان شيأ ولم يكن مذكورا انا خلقنا الانسان يعني ولد آدم من نطفة أمشاج أخلاط واحدها مشج قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني ماء الرجل وماء المرأة يختلطان في الرحم فيكون منهما الولد فماء الرجل أبيض غليظ وماء المرأة رقيق أصفر فأيهما علا صاحبه كان الشبه له فما كان من عصب وعظم فمن

ذلك بعيدا كالذي يفارق الامصار أو جله الى الفم فان تركه حمق وجنون وأما ما يجري مجرى الغالب حتى بعد حصوله دون والقوافل ويسافر في البوادي التي لا يطرقها الناس الا على الندور من غير زاد فهذا ليس شرطا في التوكل ولكن ان فعل ذلك من غير استصحاب الزاد فذلك أعلى درجات المتوكلين وأما لا يفضي الى المقصود الا على الندور كدقيق التدبير في تفاصيل الاكتساب فذلك يبطل التوكل بالكلية (المقام الثاني) أن يقعد في بيته أو في مسجده في بعض القرى أو الامصار فهذا من التوكل بكونه تاركا للكسب ولكنه أضعف من الاول لتعرضه بمجرد حاله لتعهد الناس وجلوسه في موضع يتعهده الناس (والمقام الثالث) أن يكتسب على السنة كما سبق في باب الكسب وقد قيل ان هذا لا يخرجه عن التوكل ولكنه أضعف المقامات ولكنه من شرطه أن لا يكون اتكاله على بضاعته وعلامته أن لا يحزن بالسرقة وضياع ماله (بيان توكل المعيل) اعلم أن المعيل لا يصح توكله في حق عياله لانه انما يصح توكله بأمور منها القدرة على الامساك من الطعام مثلا أسبوعا وأن يرضى بالموت ان لم يأته رزقه وأمور أخر وهذا لا يتصور في حق العيال فلا بد له من الكسب لهم كما نقل عن الصديق رضي الله عنه اذ خرج الى الكسب لعياله وهذا هو المقام الثالث الذي ذكرناه فادخار الطعام سنة منقول بسبب العيال فأما من ليس له عيال

نطفة الرجل وما كان من لحم ودم فمن ماء المرأة وقال الحسن النطفة مشبعت بدم وهو دم الحيض فاذا حبلت ارتفع الحيض ونقل الامام فخر الدين الرازى فى كتاب أسرار التنزيل ولطائف التأويل عن أبى جعفر الباقر رضى الله عنه انه قال كل ماخلق الله فى العالم الاكبر فانظر فى العالم الاصغر تجده وذلك لانه خلق فى العالم الاكبر شمسا وقمرا ونجوما وخلق فى العالم الاصغر الروح لان الروح تضىء الجسد كما أن الشمس اذا غربت صار العالم مظلما والعقل كالقمر فكما أن القمر يستمد النور من الشمس فكذلك العقل يستمد النور من الروح وكما أن القمر يزيد ضوءه تارة وينقص تارة فكذلك العقل وأما النجوم الخمسة السيارة فنظيرها فى البدن الحواس ونظير الجبال عظامك ونظير البحار العروق الكبار وكما أنه يحصل من البحار حيتان مضطربة فكذلك ترى فى بحر فمك لسانا مضطربا بذكر الحكمة وفى بحر مقلتك ترى حدقتك مضطربة بمطالعة العبر وكما أنك ترى فى بعض أجزاء الارض نباتا وفى بعضها ليس كذلك فكذلك ترى فى بعض أجزائك شعرا وفى بعضها ليس كذلك قال على رضى الله عنه سبحان من بصر بشحم وأسمع بعظم وأنطق بلحم قال الامام فخر الدين رحمه الله جعل سبحانه وتعالى العينين مقدمتين والاذنين مؤخرتين فالعينان يدركان الاجسام والاعراض وهى أول دليل على وجود الصانع والاذنان يسمعان الكلام والدلائل العقلية مقدمة على الدلائل السمعية وخلق الله العين بغطاء والاذنين بلا غطاء لان متعلق العين أجسام وأعراض باقية فلولا الغطاء فهما لكانا على خطر ومتعلق الاذنين الصوت فلو كان لهما غطاء لزال الصوت قبل ارتفاع الغطاء فلا يحصل الانتفاع بالسمع وخلق الاذن بلا حجاب ولا باب وخلق وراء اللسان بابين أحدهما الاسنان والثانى الشفتان وفيه تنبيه على أنه يجب أن يكون استماع الكلام أكثر من الاشتغال بالكلام وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى (ن والقلم) أول ماخلق الله عز وجل القلم فجرى بما هو كائن الى يوم القيامة ثم خلق النون فبسط الارض على ظهره فتحرك النون فمادت الارض فاثبتت بالجبال لتفخر على الارض ثم قرأ ابن عباس (ن والقلم) وقال الرواة لما خلق الله تعالى الارض وفتقها بعث من تحت العرش ملكا يهبط الى الارض حتى دخل تحت الارضين السبع فوضعها على عاتقه احدى يديه بالمشرق والاخرى بالمغرب باسطتين قابضتين على الارضين السبع حتى ضبطها فلم يكن لقدميه موضع قرار فاهبط الله عز وجل من الفردوس ثورا له أربعون ألف قرن وأربعون ألف قائمة وجعل قرار قدمى الملك عليه أى على سنامه فلم تستقر قدماه فأحضر ياقوتة خضراء من أعلى درجة فى الفردوس غلظها مسيرة خمسمائة عام فوضعها بين سنام الثور الى أذنه فاستقرت عليها قدماه وقرون ذلك الثور خارجة من أقطار الارض ومنخراه فى البحر فهو يتنفس كل يوم نفسا فاذا تنفس مد البحر واذا رد نفسه جزر فلم يكن لقوائم الثور موضع قرار فخلق الله تعالى صخرة كغلظ سبع سموات وسبع أرضين فاستقرت قوائم الثور عليها وهى الصخرة التى قال لقمان لابنه عليهما السلام فتكن فى صخرة ولم يكن للصخرة مستقر فخلق الله تعالى نونا وهو الحوت العظيم فوضع الصخرة على ظهره وسائر جسده خال والحوت على بحر والبحر على متن الريح والريح على القدرة ثقل الدنيا بما عليها حرفان قال لها الجبار كونى فكانت قال كعب الاحبار ان ابليس تغلغل الى الحوت الذى على ظهره الارض ووسوس اليه فقال أتدرى ما على ظهرك يالوثيا وهو اسمه من الامم والدواب والشجر والجبال فلو نفضتهم وألقيتهم عن ظهرك فهم لوثيا أن يفعل ذلك فبعث الله عز وجل ذبابة فدخلت فى منخره فوصلت الى دماغه فعج الحوت الى الله عز وجل منها فاذن الله لها فخرجت قال كعب الاحبار والذى نفسى بيده انه لينظر اليها وتنظر اليه ان هم بشئ من ذلك عادت كما كانت وقال تعالى وفى الارض آيات للموقنين اذا ساروا فيها من الجبال والبحار والثمار والاشجار وأنواع النبات وفى أنفسكم آيات اذ كانت نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظما الى أن نفخ فيها الروح وقال ابن عباس رضى الله عنهما يريد اختلاف الالسن والصور والالوان والطبائع قال ابن الزبير يريد سبيل الغائط والبول يأكل ويشرب من مدخل واحد ويخرج من سبيلين أفلا تبصرون قال مقاتل أفلا تبصرون

وظهر له مال بارث مثلا أو سبب من الاسباب فأعلى الدرجات أن يأخذ قدر الحاجة فى الوقت ويفرق الباقى ولا يدخره لغده الثانية أن يدخر لاربعين يوما فما دونها وقد اختلفوا فى أن هذا هل يخرجه من التوكل وهل يوجب حرمانه عن الدرجة الموعودة للمتوكلين الثالثة أن يدخر لاشهر أو لسنة وهذا يوجب الحرمان عن درجة المتوكلين فقد قيل لايدخر من الحيوانات الا ثلاث الفأرة والنملة وابن آدم الفن الآخر أن يدفع الضرر عن نفسه أو يحترز بان يهرب من الجدار المائل والمسبعة والسقف المنكسر وذلك لايبطل التوكل بل كل ذلك منقول وهذه الاسباب تنقسم الى موهوم ومظنون ومقطوع فالموهوم لابد من تركه كالرقية وما يشبهها ولم يصف رسول الله صلى الله عليه وسلم المتوكلين الا بترك الرقية والكى والطيرة ولم يصفهم بانهم لايلبسون ما يدفع البرد نعم اذا أمكنه أن يصبر على أذى الغير واحتماله فهو من شروط التوكل اذ قال تعالى ودع أذاهم وتوكل على الله وعلى هذا القياس ترك التداوى فى بعض الاحوال فذلك أيضا منقول وذلك بحسب قوة مقام المتوكل

(الباب السادس والثلاثون فى المحبة والشوق والرضا)

اعلم أن المحبة لله هى الغاية القصوى وهى من الدرجات العلى وما عداها من الشوق والانس والرضا تابع للمحبة وقد أنكر بعض من أجرمه الله هذه اللذة وامكانها

كيف خلقكم فتعرفوا كيف قدرته على البعث وفى السماء رزقكم وماتوعدون قال ابن عباس ومقاتل يعنى المطر الذى هو سبب الارزاق وماتوعدون قال عطاء من الثواب والعقاب وقال مجاهد من الخير والشر وقال الضحاك وماتوعدون من الجنة والنار ثم أقسم بنفسه فقال تعالى فورب السماء والارض انه لحق أى ماذكرت من أمر الرزق لحق مثل ما أنكم تنطقون فتقولون لا اله الا الله وقيل شبه تحقق ما أخبر عنه بتحقق نطق الآدمى كما يقول انه لحق كما هذا وانه لحق كما أنك تتكلم والمعنى انه فى صدقه ووجوده كالذى تعرفه ضرورة وقال بعض الحكماء يعنى كما أن كل انسان ينطق بلسان نفسه الذى قسم له ولا يمكنه أن ينطق بلسان غيره كذلك كل انسان يأكل رزق نفسه ولا يقدر أن يأكل رزق غيره وقال الله تعالى مرج البحرين يلتقيان أى العذب والملح بينهما برزخ حاجز من قدرة الله تعالى لا يبغيان لايختلطان ولا يتغيران ولا يبغى أحدهما على صاحبه وقال قتادة لا يبغيان لا يطغيان على الناس بالغرق وقال مجاهد والضحاك بحر السماء وبحر الارض يلتقيان كل عام يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرجان من المالح دون العذب وهذا جائز فى كلام العرب ان يذكر شيآن ثم يخص أحدهما بفعل كما قال الله تعالى يامعشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم وكانت الرسل عليهم السلام من الانس وقال بعضهم يخرجان من العذب والمالح جميعا لان الصدف لايسكن الا عند ملتقى الماءين وقيل ان أحدهما كاللقاح للآخر وقيل يخرجان من ماء السماء وماء البحر قال ابن جريج اذا امطرت السماء فتحت الاصداف أفواهها فحيثما وقعت قطرة كانت لؤلؤة واللؤلؤ ماعظم من الدر والمرجان صغارها وقال مقاتل ومجاهد على الضد من هذا وقيل المرجان الخرز الاحمر فبأى آلاء أى نعم ربكما يامعشر الجن والانس تكذبان وله الجوار السفن الكبار المنشآت أى المرفوعات فى البحر كالاعلام كالجبال كل من عليها فان أى على ظهر الارض من حيوان فان هالك ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام العظمة والسلطان والاكرام التجاوز والاحسان يسأله من فى السموات والارض قال ابن عباس فأهل السموات يسألونه المغفرة وأهل الارض يسألونه الرزق والمغفرة كل يوم هو فى شأن قال المفسرون من شأنه انه يحيى ويميت ويرزق ويعز قوما ويذل قوما ويشفى مريضا ويفك عانيا ويفرج مكروبا ويجيب داعيا ويعطى سائلا ويغفر ذنبا الى مالا يحصى من أفعاله واحداثه فى خلقه مايشاء قال ابن عباس رضى الله عنه ان مما خلق الله عز وجل لوحا من درة بيضاء دفتاه من ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور ينظر الله تعالى فيه كل يوم ثلثمائة وستين نظرة يخلق ويرزق ويحيى ويميت ويعز ويذل ويفعل مايشاء وذلك قوله تعالى كل يوم هو فى شان وقال سفيان بن عيينة الدهر كله عند الله تعالى يومان أحدهما مدة أيام الدنيا والآخر يوم القيامة فالشأن الذى هو فى اليوم الذى هو مدة الدنيا الاختبار بالامر والنهى والاحياء والاماتة والاعطاء والمنع وشأن يوم القيامة الجزاء والحساب والثواب والعقاب وقيل شأنه أنه يخرج فى كل يوم وليلة ثلاث عساكر عسكرا من أصلاب الآباء الى أرحام الامهات وعسكرا من الارحام الى الدنيا وعسكرا من الدنيا الى القبور ثم يرحلون جميعا الى الله تعالى وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى فقال خلق الله التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الاحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الاربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة فى آخر الخلق فى آخر ساعة من النهار فيما بين العصر الى الليل رواه مسلم وقال الحسين بن الفضيل هو سوق المقادير الى المواقيت وقال أبو سليمان الدارانى كل يوم له الى خلقه بر جديد قال سعيد بن المسيب لله ألف عالم ستمائة فى البحر وأربعمائة فى البر وقال مقاتل ثمانون ألف عالم أربعون ألفا فى البحر وأربعون ألفا فى البر قال وهب ثمانية عشر ألف عالم الدنيا عالم منها وما العمران فى الخراب الا كفسطاط فى الصحراء قال كعب الاحبار لايحصى عدد العالمين أحد الا الله تعالى قال الله تعالى ومايعلم جنود ربك الا هو

ونحن نبين ذلك بالآيات والاخبار قال الله تعالى والذين آمنوا أشد حبا لله وقوله تعالى يحبهم ويحبونه وفى الحديث لايؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب اليه من أهله وماله والناس أجمعين وفى الخبر المشهور أن ابراهيم عليه السلام قال لملك الموت حين جاءه ليقبض روحه هل رأيت خليلا يميت خليله فأوحى الله تعالى اليه فهل رأيت حبيبا يكره لقاء حبيبه فقال ياملك الموت الآن اقبض روحى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزقنى حبك وحب من يحبك وحب مايقربنى الى حبك اجعل نفسك أحب الى من الماء البارد وقال اعرابى يارسول الله متى الساعة فقال ما الذى أعددت لها قال ما أعددت لها كثرة صيام ولا صلاة الا انى أحب الله ورسوله فقال صلى الله عليه وسلم له المرء مع من أحب قال أنس فما رأيت المسلمين فرحوا بشئ بعد الاسلام فرحهم بذلك وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه من ذاق خالص محبة الله ورسوله شغله ذلك عن طلب الدنيا وأوحشه عن جميع البشر

(فصل فى بيان معنى المحبة)

وهو أن يميل الطبع اليه لكونه لذيذا عنده والبغض ضده وهو نفرة الطبع لكونه غير موافق له وكل مازادت لذته كان أبلغ فى الحب فلذة العين فى الابصار ولذة السمع فى السماع ولذة الشم فى المشمومات الطيبة وكذا كل واحد من الحواس له موافق يلتذ به فيحبه بسببه وقال عليه السلام حبب الى من دنياكم ثلاث الطيب

(الباب الرابع في فوائد عجيبة ولطائف غريبة)

شرح عجائب حكمة الله تعالى في خلقة البعوض ملخص من كلام فخر الدين الرازي رحمه الله وبيان ذلك من وجوه (الاول) ان الناس يتعجبون في عظم خلقة الفيل وهو مع عظم جثته ليس له الا أربعة أرجل وخرطوم وذنب والبعوضة لها زيادة على ذلك يدان وأربعة أجنحة (الثاني) انه مع غاية صغره سلط على الفيل والاسد بالايذاء ولا قدرة لهما على البعوض وهذا يدل على أن الاستيلاء ليس بالقوة والشدة (الثالث) ان الصانع من البشر يقدر أن يصور فيلا من الخشب والحديد ولا يقدر أن يصور بعوضة (الرابع) اذا جلس البعوض على عضو انسان فانه لا يزال يدير خرطومه من جانب الى جانب حتى يجد الموضع المثقب من جلد الانسان فيغوص خرطومه فيه فمن الذى هداه الى مقصوده (الخامس) تامل في صغر جثة البعوض ولا شك ان خرطومه أصغر من خرطوم الفيل بكثير ثم ذلك الخرطوم مع غاية صغره مجوف ولولا التجويف لما قدر على امتصاص الدم وانظر مع كونه مجوفا كيف تكون غاية دقته ثم تامل انه مع غاية الدقة كيف قوته وشدته فانه يغوص الخرطوم في جلد الفيل والجاموس ويستخرج الدم منه كما يضرب الرجل أصبعه في الخبيص (السادس) تامل في حال البعوض كيف أودع الله تعالى في رأس خرطومه سما وفيه فائدتان (الاولى) انه اذا انصب على موضع من جلد أفسد مزاجه فتحدث بسببه رخاوة ولين فيسهل عليه تغويص خرطومه فيه (الثانية) ان الحرارة السمية تعينه على هضم ذلك الدم الممصوص قيل الحكمة في خلق السم بين فكى الحية أنه ليس لها أضراس تقوى بها على مضغ الاغذية فاذا قبضت على جثة الحيوانات أقبل ذلك السم عليه فيتهرى من ساعته فتبلعه (السابع) تامل في حالها اذا وقعت على عضو اعتمدت على ما لها من الايدى والارجل وغوصت خرطومها في الجلد فاذا أحست بمجيء اليد أخرجته في الحال وطارت قبل الوصول اليها ولو أن انسانا جعل مسلة في جرم غليظ فانه لا يمكنه اخراجها الا بتعب (الثامن) تامل في رأس البعوضة ووجهها فانها مع غاية صغرها قد جعل الله في رأسها أعينا وأودعها قوة أكمل مما للانسان ويدل عليه أنها تبصر في الظلمة الشديدة الموضع الذى يمكنها مص الدم منه وخلق فيه أذنين وأودع فيهما قوة سامعة أقوى مما للانسان ولذلك تسمع خفيق اليد مع أن الانسان لا يسمعها وخلق فيه قوة الشم ولذلك تحس بوقوع الجيفة في المكان البعيد وخلق فيه الفم وأودع فيه القوة الذائقة ولذلك ترغب في بعض الطعوم وخلق فيه قوة الحفظ ولولاه لما عرفت الفرار عند مجيء اليد وقوة الذكر ولولاها لما ميزت المعاني النافعة والضارة ولا شك انه تعالى خلق لها منفذا للغذاء ومخرج الفضلة ومتى كان كذلك فقد خلق الله تعالى لها جوفا وعروقا وأمعاء وعظاما فسبحان من لا يعزب عن علمه وحكمته وقدرته ذرة في الارض ولا في السماء (شعر)

يامن يرى مد البعوض جناحه * في ظلمة الليل البهيم الاليل

ويرى عروق نياطه في نحره * والمخ في تلك العظام النحل

اغفر لعبد تاب من فرطاته * ما كان منه في الزمان الاول

(فصل) في أحاديث وآثار ومستطرفات من كتاب حياة الحيوان تصنيف الشيخ الامام كمال الدين الدميرى رحمه الله في مناقب الشافعي رحمه الله تعالى أن المأمون سأله لاى علة خلق الله الذباب فقال مذلة للملوك فضحك المأمون وقال رأيته قد سقط على جسدى قال نعم قال ولقد سألتنى عنه وما عندى جواب فلما رأيته قد سقط منك بموضع لا يناله أحد فتح لى فيه جواب فقال لله درك وروى الطبرانى والبيهقى عن شعبة عن أبي زهيرة النميرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقتلوا الجراد فانه جند الله الاعظم قال وهذا ان صح أراد به اذا لم يتعرض لافساد الزرع فان تعرض له جاز دفعه بالقتل وغيره ثم أسند عن ابن عمر أن جرادة وقعت بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا مكتوب على جناحها بالعبرانية نحن جند الله الاكبر ولنا تسعة وتسعون بيضة ولو تمت المائة لا كلنا الدنيا بما فيها فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اهلك الجراد واقتل كبارها وأمت صغارها وأفسد بيضها وسد أفواهها عن مزارع المسلمين وعن معايشهم انك سميع

والنساء وقرة عيني في الصلاة بين أن وراء المحسوس بالحواس الخمس محبوبا ملتذا به اذ ليست الصلاة مما يلتذ به شيء من الحواس الخمس فاذا البصيرة الباطنة أقوى من البصر الظاهر والقلب أشد ادراكا من العين وجمال المعاني المدركة بالعقل أعظم وأتم من جمال الصور الظاهرة فلا محالة تكون لذة القلب بما يدركه من الامور الشريفة الالهية التى تجل عن أن تدركها الحواس أتم وأبلغ فيكون ميل الطبع السليم اليه أبلغ وأقوى ولا معنى للحب الا الميل الى ما في ادراكه لذة فلا ينكر هذه اللذة الا من قعد به القصور في درجة البهائم فلم يجاوز ادراك الحواس أصلا واعلم أن أحب الاشياء الى الانسان دوام نفسه لانه أعظم الاشياء ملاءمة لنفسه فهو محب لدوام نفسه ثم من أحسن اليه اذ الانسان عبد للاحسان وقد يحب الشيء لذاته لكونه جميلا حسنا في نفسه وذلك أبلغ أنواع الحب الذى لا يشوبه غرض فان كل جمال محبوب بل ان المحبوس في مضيق الخيالات يظن ان لا جمال الا المحسوس أو المتخيل فنقول اعلم أن الحسن الجميل عبارة عن كل ما حضر كماله الممكن له حتى أنا نعلم أن الفرس يحسن بما لا يحسن به الآدمى والخط يحسن بما لا يحسن به الصوت والصور وكل ذلك محبوب وان تخيل متخيل ان ذلك راجع الى الحس فالاخلاق الحسنة والعلم والقدرة والعقل كل ذلك حسن ومحبوب مع

الدعاء

الدعاء فجاء جبرائيل فقال أنه قد استجيب لك بعضه ثم أسند عن الحسن بن على قال كنا على مائدة نأكل أنا وأخى محمد بن الحنفية وبنو عمى عبد الله وقثم والفضل أبناء العباس فوقعت جرادة على المائدة فاخذها عبد الله وقال لى ما مكتوب على جسدها فقلت سألت أبي أمير المؤمنين عن ذلك فقال سألت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مكتوب عليها أنا الله لا اله الا أنا خالق الجراد ورازقها اذا شئت بعثتها رزقا لقوم واذا شئت بعثتها بلاء على قوم قال عبد الله هذا من العلم المكنون وقال عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله خلق ألف أمة ستمائة منها في البحر وأربعمائة في البر وان أول هلاك هذه الامة الجراد فاذا هلك الجراد تتابعت الامم كنظام السلك وفى الجراد خلقة عشرة من جبابرة الحيوان وجه فرس وعين فيل وعنق ثور وقرنا أيل وصدر أسد وبطن عقرب وجناحا نسر وفخذ جمل ورجلا نعامة وذنب حية (وحكى) القزوينى أن رجلا رأى خنفساء فقال ماذا يريد الله من خلق هذه أحسن شكلها أو طيب رائحتها فابتلاه الله بقرحة عجز عنها الاطباء حتى ترك علاجها فسمع يوما صوت طبيب من الطرقيين ينادى في الدرب فقال اطلبوه حتى ينظر في أمرى فقالوا اله ما تصنع به وقد عجز عنك حذاق الاطباء فقال لا بد لى منه فاحضروه اليه فرآه ثم استدعى بخنفساء فضحك الحاضرون فذكر العليل القول الذى سبق منه فقال احضروا ما طلب فان الرجل على بصيرة قال فاحرقها وذر رمادها على قرحته فبرئت باذن الله فقال للحاضرين أراد الله أن يعرفنى أن أخس المخلوقات أعز الادوية ويقال انه اذا اكتحل بما في جوف الخنفساء من الرطوبة يحد البصر ويجلو غشاوة العين ويزيل البياض

(كتاب ذكر الموت وما يتعلق به وفيه أربعة عشر بابا)

(الباب الاول في آداب المريض)

ينبغى له أن يستعد بالتوبة ورد المظالم الى أهلها وهذا لا يختص بالمريض الا أن ذلك في حقه آكد ويستحب له الصبر على المرض وترك الانين ما أطاق ويكره له كثرة الشكوى فانه من تشكى من الامة الى اخوانه نقص أجره وصبره ومن تشكى من مولاه والعياذ بالله ذهب أجره وثبت وزره وألمه لم يزل وقد ذكر أبو حامد رحمه الله في الاحياء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا امرض العبد بعث الله تعالى اليه ملكين فقال انظر ماذا يقول لعواده فان هو اذا جاءه أحد حمد الله وأثنى عليه رفعا ذلك الى الله وهو أعلم فيقول لعبدى على ان توفيته أن أدخله الجنة وان أنا شفيته أن أبدله لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه وأن أكفر عنه سيآته وعن سعيد وأبي هريرة رضى الله عنهما أنهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من قال لا اله الا الله والله أكبر صدقه ربه فقال لا اله الا أنا وأنا أكبر واذا قال لا اله الا الله وحده لا شريك له قال يقول لا اله الا أنا وحدى لا شريك لى في ملكى واذا قال لا اله الا الله له الملك وله الحمد قال لا اله الا أنا لى الحمد ولى الملك واذا قال لا اله الا الله ولا حول ولا قوة الا بالله قال لا اله الا أنا لا حول ولا قوة الا بى وكان يقول من قالها في مرضه ثم مات لم تطعمه النار رواه الترمذى وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على على رضى الله عنه وهو مريض فقال له قل اللهم انى أسالك تعجيل عافيتك وصبرا على بليتك وخروجا من الدنيا الى رحمتك فانك ستعطى احداهن قال في الاحياء وفى صحيح الحاكم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال هل أدلكم على اسم الله الاعظم دعاء يونس عليه السلام فقال الرجل يا رسول الله هل كانت ليونس خاصة فقال ألا تسمع قوله فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين فايما مسلم دعا بها في مرضه أربعين مرة فمات في مرضه ذلك أعطى أجر شهيد وان برئ برئ مغفورا له وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما حق امرئ مسلم له شيء يوصى فيه يبيت ليلتين الا ووصيته مكتوبة عند رأسه رواه البخارى وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل أو المرأة ليعمل بطاعة الله تعالى ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضاران في الوصية فتجب لهما النار ثم قرأ أبو هريرة من بعد وصية الى قوله غير مضار

انه غير محسوس بالحس الظاهر بل يدرك بنور البصيرة وكذلك حب النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والشافعي وأرباب المذاهب ممكن وهو غير محسوس وغير مدرك بالحواس الخمس بل لما يعلم باجتماع خصال الخير وكل ما خرج من المحسوس واستحسن فهو مستحسن بنور البصيرة واذا ثبت هذا فلا مستحق للمحبة غير الله تعالى اذ هو الخالق والواهب لاصل الفطرة ثم هو سبب الدوام والبقاء والسلامة وهو المحسن بكل حال وهو الجميل الحسن الذى كل جمال وحسن أثر من آثار جوده فمن أحب الانبياء والصحابة والائمة لاستجماعهم خصال الخير فكل خير منه واليه وله الجمال الذى كل جمال أثر من آثاره وقد عرفت أن كل جميل محبوب لذاته وقد عرفت أيضا أن خاصية الانسان تمكنه من التحلى بالصفات الجيدة حتى قيل تخلقوا باخلاق الله تعالى ففى باطن الانسان حقيقة لا يسلاءمها الا الله تعالى ففى القلب غريزة تسمى النور الالهى لقوله تعالى أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وهذه الغريزة هى التى تدرك جمال الحضرة الربوبية بقدر قوته واذا كان الجمال محبوبا فهل في الوجود شيء أجل وأعلى وأشرف وأعظم وأكمل من كل جمال مستعار من فضله فبقدر ما يدرك يلتذ وبقدر ما يلتذ يحب *(فصل)* اعلم أن المدركات تنقسم الى ما يدخل في الخيال كالصور والى ما لا يدخل في الخيال كذات الله تعالى وكل ما ليس

(الباب الثاني في الحث على ذكر الموت)

قال الله تعالى كل نفس ذائقة الموت وفي الحديث لما خلق الله عز وجل آدم عليه السلام اشتكت الارض الى ربها لما أخذ منها فوعدها أن يرد اليها ما أخذ منها فما من أحد الا يدفن في التربة التي خلق منها وانما توفون أجوركم يوم القيامة فمن عمل صالحا وفي وكل أجره بدخول الجنة والتبعيد من النار وهو معنى قوله فمن زحزح عن النار أي بعد عنها وأدخل الجنة فقد فاز أي ظفر بالخير ونجا من الشر وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور يريد العيش في هذه الدار الفانية يغر الانسان بما يتمناه من طول البقاء وسينقطع عن قريب وقال تعالى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى قال عطاء الخراساني رحمه الله في تفسير هذه الآية ان الملك ينطلق فيأخذ من تراب المكان الذي يدفن فيه فيذره على النطفة فيخلق من التراب والنطفة وروى الترمذي الحكيم في نوادر الاصول عن أبي هريرة رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف ببعض نواحي المدينة واذا بقبر يحفر فاقبل عليه فقال لمن هذا قيل لرجل من الحبشة فقال لا اله الا الله سيق من أرضه وسمائه حتى دفن في الارض التي خلق منها وأنشد بعضهم

مشيناها خطا كتبت علينا * ومن كتبت عليه خطا مشاها
وأرزاق لنا متفرقات * فمن لم تأته منا أتاها
ومن كتبت منيته بارض * فليس يموت في أرض سواها

وروى أبو نعيم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مولود الا وقد ذر عليه من تراب حفرته قال أبو عاصم النبيلي ما نجد لابي بكر وعمر رضي الله عنهما فضيلة مثل هذه لان طينتهما طينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الله تعالى وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس باي أرض تموت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قضى الله لعبد أن يموت بارض جعل له اليها حاجة أو قال بها حاجة وأنشدوا

اذا ما حمام المرء كان ببلدة * دعته اليها حاجة فيطير

وروى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثروا ذكر هاذم اللذات يعني الموت وقال رجل يا رسول الله أي المؤمنين أفضل قال أحسنهم خلقا قال فاي المؤمنين أكيس قال أكثرهم للموت ذكرا وأحسنهم لما بعده استعدادا أولئك الاكياس وقال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله وقال صلى الله عليه وسلم أكثروا ذكر الموت فانه يمحص الذنوب ويزهد في الدنيا وقال كفى بالموت واعظا وقيل له يا رسول الله هل يحشر مع الشهداء أحد قال نعم من يذكر الموت في اليوم والليلة عشرين مرة وعن أنس رضي الله عنه أن رجلا ذكر عند النبي صلى الله عليه وسلم فاحسنوا عليه الثناء فقال النبي صلى الله عليه وسلم كيف كان ذكر صاحبكم للموت قالوا ما كنا نكاد نسمعه يذكر الموت قال فان صاحبكم ليس هنالك وقال صلى الله عليه وسلم لو أن البهائم تعلم من الموت ما تعلمون ما أكلتم منها سمينا وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد فاذا قوم يتحدثون ويضحكون فقال اذكروا الموت أما والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وعن الحسن رحمه الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه أكلكم يحب أن يدخل الجنة قالوا نعم يا رسول الله قال قصروا الامل واثبتوا آجالكم بين أبصاركم واستحيوا من الله عز وجل حق الحياء وقال أبو الدرداء رضي الله عنه اذا ذكرت الموتى فعد نفسك كأحدهم وكان يزيد الرقاشي يقول لنفسه ويحك يا يزيد من ذا يصلي عنك بعد الموت من ذا يصوم عنك بعد الموت من ذا يرضي عنك بعد الموت ثم يقول يا أيها الناس ألا تبكون وتنوحون على أنفسكم باقي حياتكم من الموت موعده والقبر بيته والتراب فرشه والدود أنيسه وهو مع هذا ينتظر الفزع الاكبر كيف يكون حاله ثم يبكي حتى يسقط مغشيا عليه وكان الثوري اذا ذكر الموت لا ينتفع به أياما فان سئل عن شيء قال لا أدري وقال اللفاف من أكثر من ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء تعجيل التوبة وقناعة القلب ونشاط العبادة ومن نسي الموت عوقب بثلاثة أشياء

بجسم ولا صورة كالعلم والقدرة والارادة ومن رأى انسانا ثم غض بصره وجد صورته حاضرة في خياله وكأنه ينظر اليها ولكن اذا فتح العين وأبصر ادرك تفرقة بينهما ولا ترجع التفرقة الى خلاف بين الصورتين بل الى مزيد وضوح وكشف فهو كمن يرى شخصا في وقت الاسفار قبل انتشار ضوء النهار ثم رآه في حال تمام طلوع الشمس فانه لا فرق في الامرين الا بمزيد الكشف والوضوح فاذا عرفت هذا فاعلم ان سنة الله جارية بأن النفس مادامت محجوبة بصفاتها الذميمة لا تصل الى مشاهدة المعاني الخارجة عن عالم الحس والخيال بل تلك الصفات للنفس كالاجفان المطبقة للعين فبقدر ما ينمحي من تلك الصفات تزداد كشفا ووضوحا ولذة وحبا (بيان الاسباب المقوية لحب الله تعالى) اعلم أن أسعد الخلق في الآخرة أقواهم حبا لله تعالى اذ الآخرة هي القدوم على الله تعالى ودرك لقائه وما أعظم نعيم المحب اذا قدم على محبوبه بعد طول شوقه وتمكن من دوام النظر من غير مشوش ولا مزاحم ولزيادة الحب سببان (أحدهما) تخلو القلب عما سواه فان الاناء كلما خلا عن شيء اتسع لغيره وقطع العلائق سبب للتجريد والتفريد واليه الاشارة بقوله تعالى قل الله ثم ذرهم (والسبب الثاني) هو كمال المعرفة فالاول مثاله تطهير الارض عن الشوك والحشيش والثاني مثاله وضع البذر في الارض ينمو فيتولد منه شجرة المعرفة

تسويف التوبة وترك الرضا بالكفاف والتكاسل بالعبادة وروى أن الحسن البصري رحمه الله دخل على مريض يعوده فوجده في سكرات الموت فنظر الى كربه والى شدة ما نزل به فرجع الى أهله بغير اللون الذي خرج به من عندهم فقالوا له الطعام يرحمك الله فقال يا أهلاه عليكم بطعامكم وشرابكم فوالله لقد رأيت مصرعا لا أزال أعمل له حتى ألقاه وقال الحسن رحمه الله فضح الموت الدنيا فلم يترك لذي لب فرحا وما ألزم عبد قلبه ذكر الموت الا صغرت الدنيا عنده وهان عليه جميع ما فيها وروى أن ملك الموت دخل على داود عليه السلام فقال من أنت فقال من لا يهاب الملوك ولا يمتنع من القصور ولا يقبل الرشا قال فاذا أنت ملك الموت ولم أستعد بعد قال يا داود أين فلان قريبك أين فلان جارك قال مات قال ما كان لك في هؤلاء عبرة لتستعد وكان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كل ليلة يجمع الفقهاء فيتذاكرون الموت والقيامة ثم يبكون حتى كأن بين أيديهم جنازة وكان حامد العصري يقول كلنا قد أيقن بالموت وما نرى له مستعدا وكلنا قد أيقن بالجنة وما نرى لها عاملا وكلنا قد أيقن بالنار وما نرى لها خائفا فبماذا تفرحون وما عسيتم تنتظرون الموت أول وارد عليكم من أمر الله بخير أو بشر فيا اخوتاه سيروا الى ربكم سيرا جميلا وقال سميط بن عجلان من جعل الموت نصب عينيه لم يبال بضيق الدنيا ولا سعتها وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله لبعض العلماء عظني فقال لست أنت أول خليفة يموت قال زدني قال ليس من آبائك أحد الى آدم الا ذاق الموت وقد جاءت نوبتك فبكى عمر لذلك وكان الربيع بن خثيم حفر قبرا في داره وكان ينام في اللحد كل يوم مرات يستديم به ذكر الموت وكان يقول لو فارق ذكر الموت قلبي ساعة لفسد وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير ان هذا الموت قد نغص على أهل النعيم نعيمهم فاطلبوا نعيما لا موت فيه وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله لعنبسة أكثر ذكر الموت فان كنت واسع العيش ضيقه عليك وان كنت ضيق العيش وسعه عليك وروى أن سليمان بن عبد الملك كان بالمسجد الحرام فأتى بحجر منقور فطلب من يقرأه فاذا فيه ابن آدم لو رأيت قرب ما بقي من أجلك لزهدت في طول أملك ولرغبت في الزيادة من عملك ولقصرت من حرصك وحيلك وانما يلقاك ندمك لو قد زلت بك قدمك وأسلمك أهلك وحشمك فبان منك الولد والنسيب فلا أنت الى دنياك عائد ولا في حسناتك زائد فاعمل ليوم القيامة يوم الحسرة والندامة وقال ابراهيم بن أدهم لن ينال الرجل درجة الصالحين حتى يجوز ست عقبات يغلق باب النعمة ويفتح باب الشدة ويغلق باب العز ويفتح باب الذل ويغلق باب الراحة ويفتح باب الجهاد ويغلق باب النوم ويفتح باب السهر ويغلق باب الغنى ويفتح باب الفقر ويغلق باب الامل ويفتح باب الاستعداد للموت وقيل لحاتم الاصم رحمه الله كيف أصبحت قال كيف يصبح من أجله قريب وأمله بعيد والموت أمامه والقبر مسكنه وهو مع ذلك مطالب بتسع خصال قيل وما هن قال الله تعالى يطالبني بالفرض والنبي بالسنة والعيال بالنفقة والنفس بالقوت والوالدان بالبر والملكان بصدق اللسان والقبر بالجسم والدود باللحم ومنكر ونكير بالحجة فهؤلاء غرمائي فكيف يصح من كان على هذه الحالة قد غلب تقصيري عن الوفاء * يقال ان الارض تنادي كل يوم خمس مرات يا ابن آدم تمشي على ظهري ومصيرك الى بطني يا ابن آدم تأكل الالوان على ظهري وتأكلك الديدان في بطني يا ابن آدم تفرح على ظهري فسوف تحزن في بطني يا ابن آدم تضحك على ظهري فسوف تبكي في بطني يا ابن آدم تذنب على ظهري فسوف تعذب في بطني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أباذر اخلص النية فان المولى عظيم وبادره بالعمل فان الاجل قريب وجوده بالتحقيق فان الناقد بصير وأكثر الزاد فان الطريق سحيق وأوثق السفينة فان البحر عميق *(حكايات نختم بها الباب * الاولى)* سئل بعض السادة عن أول توبته فقال كنت مشغولا بالتجارة لا أفتر من الاسفار لطلب الارباح فاتى علي في بعض أسفاري ذهاب جميع مالي واشتد لذلك همي وعظم حزني فاقبلت أمشي في البرية هائما على وجهي واذا بصارخ ينادي سمعت صوته وما رأيت شخصه وهو يقول ألا تعجب مما تعجبت منه فاجبته وقلت له ما الذي تعجبت منه فقال عجبت ممن يحزن من ذهاب ماله ولا يحزن على ذهاب عمره وعجبت ممن الدنيا مولية عنه والآخرة مقبلة عليه وهو مشغول بما أدبر عنه

وهي الكلمة الطيبة كما قال تعالى أصلها ثابت وفرعها في السماء والله أعلم *(فصل في الشوق)* واذا ثبتت المحبة صح الشوق الى المحبوب ودلت عليه الاخبار والآثار فقد روى أن أبا الدرداء قال لكعب اخبرني عن أخص آية في التوراة فقال يقول الله عز وجل طال شوق الابرار الى لقائي واني الى لقائهم أشد شوقا قال ومكتوب في جنبها من طلبني وجدني ومن طلب غيري لم يجدني فقال أبو الدرداء أشهد أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا وفي أخبار داود عليه السلام ان الله تعالى قال يا داود بلغ أهل أرضي اني حبيب لمن أحبني وجليس لمن جالسني ومؤنس لمن أنس بذكري وصاحب لمن صاحبني ومختار لمن اختارني ومطيع لمن أطاعني ما أحبني عبد أعلم ذلك يقينا من قلبه الا قبلته لنفسي وأحببته حبا لا يتقدم عليه أحد من خلقي من طلبني بالحق وجدني ومن طلب غيري لم يجدني فارفضوا يا أهل الارض ما أنتم عليه من غرورها وهلموا الى كرامتي ومصاحبتي وائنسوا بي أونسكم وأسارع الى محبتكم فاني خلقت طينة أحبابي من طينة ابراهيم خليلي وموسى نجيي ومحمد صفوتي اني خلقت قلوب المشتاقين من نوري ونعمتها بجلالي وروى عن بعض السلف ان الله تعالى أوحى الى بعض الصديقين ان لي عبادا من عبادي يحبوني وأحبهم ويشتاقون الي وأشتاق اليهم ويذكروني وأذكرهم

معرض عما أقبل اليه ثم انقطع الصوت عنى فذهب عنى جميع ما كنت فيه فظهر لى فساده وكان ذلك سبب توبتى (الثانية) قال بعض السادة رأيت شابا صغيرا قد أنهكته العبادة فقلت له ياهذا القد استعجلت فراق شبابك وفقدا خوانك وأحبابك فنظر الى متبسما وقال لى ياشيخ رأيت الموت لايختص بوقت ينتظر فيه ولاله حد ينتهى اليه فبادرت بغتته بالبكر والعمل ونعيت عن نفسى غرور التسويف والامل قال وكنا فى بعض السواحل فازال يده من يدى ومر ماشيا على الماء وهو يقول هذا قليل عندما أرجوه فى يوم الجزاء بل أنت سؤلى ان كنت لى نلت المنى (الثالثة) روى أن رجلا جمع مالا عظيما وصنع يوما طعاما لاهله وقعد على سريره وهم بين يديه يأكلون وقد وضع رجلا على رجل وهو يقول لنفسه تنعمى فقد جمعت لك مايكفيك فبينماهو كذلك اذ أقبل ملك الموت فى زى مسكين فقرع الباب فخرج اليه بعض الغلمان فقال ماحاجتك فقال ادعوالى سيدكم فانتهروه وقالوا أمثلك يخرج اليه سيدنا فقال نعم فجاؤا فاخبروا سيدهم بذلك فقال هلا ضربتموه فعاد فقرع الباب قرعا شديدا فخرجوا اليه فقال أخبروا سيدكم انى ملك الموت فلما سمعوه وقع على الجميع الذل فدخل ملك الموت عليه فأحضر أمواله فنظر اليها تحسرا وأسفا وقال لعنك الله من مال أنت شغلتنى عن عبادة ربى فأنطق الله المال فقال لم تسبنى وقد كنت تدخل على الملوك بى وكنت تنفقنى فى سبيل الشر فلا أمتنع منك ولو أنفقتنى فى سبيل الخير لنفعتك (الرابعة) قال وهب بن منبه كان ملك من الملوك أراد أن يركب الى أرض فدعا بثياب ليلبسها فلم تعجبه فطلب غيرها حتى لبس ماأعجبه بعد مرات وكذلك طلب دابة فلم تعجبه حتى أتى بدواب فركب أحسنها فجاء ابليس فنفخ فى منخره فملأه كبرا ثم سار وسارت معه الخيول وهو لاينظر الى الناس كبرا فجاء رجل رث الهيئة فسلم فلم يرد عليه السلام فأخذ بلجام دابته فقال أرسل اللجام فقد تعاطيت أمرا عظيما فقال ان لى اليك حاجة قال اصبر حتى أنزل قال لا الآن فقهره على لجام دابته فقال اذكرها قال هو سر فأدنى اليه رأسه فساره وقال أنا ملك الموت فتغير لون الملك واضطرب لسانه ثم قال دعنى الآن حتى أرجع الى أهلى واقضى حاجتى وأودعهم قال لا والله لاترى أهلك وثقلك أبدا فقبض روحه فخر كأنه خشبة ثم مضى فلقى عبدا مؤمنا فى تلك الحال فسلم عليه فرد عليه السلام فقال ان لى حاجة أذكرها فى أذنك فقال هات فساره وقال أنا ملك الموت فقال مرحبا واهلا بمن طالت غيبته على فوالله ماكان فى الارض غائب أحب الى أن ألقاه منك فقال ملك الموت اقض حاجتك التى خرجت لها فقال مالى حاجة أكبر عندى ولا أحب من لقاء الله قال فاختر على أى حال شئت ان أقبض روحك فقال تقدر على ذلك فقال نعم انى أمرت بذلك قال فدعنى حتى أتوضأ وأصلى فاقبض روحى وأنا ساجد فقبض روحه وهو ساجد (الخامسة) قال وهب بن منبه قبض ملك الموت روح جبار من الجبابرة مافى الارض مثله ثم عرج الى السماء فقالت الملائكة لمن كنت أشد رحمة ممن قبضت روحه قال أمرت بقبض روح امرأة فى فلاة من الارض فاتيتها وقد ولدت مولودا فرحمتها لغربتها ورحمت ولدها لصغره وكونه فى فلاة لامتعهد بها فقالت الملائكة الجبار الذى قبضت الآن روحه هو ذلك المولود الذى رحمته فقال ملك الموت سبحان اللطيف لمايشاء (السادسة) يقال ان ملك الموت دخل يوما على سليمان عليه السلام فجعل يحد بصره ويطيل نظره الى رجل من ندمائه ثم خرج فقال الرجل يانبى الله من هذا الذى دخل قال هذا ملك الموت فقال أخاف انه يريد قبض روحى فخلصنى منه فقال كيف أخلصك قال تامر الريح أن تحملنى فى هذه الساعة الى أقصى بلاد الهند فى الوقت والحال لعله يضل عنى فامر سليمان الريح فحملته الى أقصى بلاد الهند فى الوقت والحال فدخل ملك الموت على سليمان مرة ثانية فقال له لاى سبب كنت تطيل النظر الى ذلك الرجل قال كنت أتعجب منه لانى أمرت بقبض روحه بارض الهند وكان بعيدا عنها الى أن اتفق حمل الريح له الى هنالك كما قدر الله فقبضت روحه هنالك

(الباب الثالث فى قبض الروح وسكرات الموت وشدته)

قال الله تعالى قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم أى وكل بقبض أرواحكم وهو عزرائيل والتوفى استيفاء العدد معناه أنه يقبض أرواحهم حتى لايبقى أحد من العدد الذى كتب عليه الموت وجاء فى الاخبار

وينظرون الى وأنظر اليهم فان حذوت طريقهم أحببتك وان عدلت عنهم مقتك قال يارب ماعلاماتهم قال يراعون الظلال بالنهار كما يراعى الراعى الشفيق غنمه ويحنون الى غروب الشمس كما تحن الطير الى أوكارها عند الغروب فاذا أجنهم الليل واختلط الظلام وفرشت الفرش ونصبت الاسرة وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا الى أقدامهم وفرشوا الى وجوههم وناجونى بكلامى وتملقوا الى بانعامى مابين صارخ وباك ومتأوه وشاك وبين قائم وقاعد وبين راكع وساجد بعينى مايتحملون من أجلى وبسمعى مايشكون من محبتى أول ماأعطيهم ثلاث احداهن أقذف من نورى فى قلوبهم فيخبرون عنى كما أخبر عنهم والثانية لو كانت السموات والارض ومافيهما فى موازينهم لاستقللتها لهم والثالثة أقبل بوجهى عليهم افترى من أقبلت بوجهى عليه يعلم أحد ماأريد أن أعطيه وفى خبر داود ان الله تعالى أوحى اليه ياداود الى كم تذكر الجنة ولا تسالنى الشوق الى قال يارب من المشتاقون اليك قال ان المشتاقين الى صفيتهم من كل كدر ونبهتهم بالحذر وخرقت من قلوبهم الى خرقا ينظرون الى وانى لاحمل قلوبهم بيدى فاضعها على سمائى ثم ادعو نجباء ملائكتى فاذا اجتمعوا سجدوا لى فأقول انى لم أدعكم لتسجدوا لى وانما دعوتكم لأعرض عليكم قلوب المشتاقين الى وأباهى بأهل الشوق الى وان قلوبهم لتضىء فى سمائى

أن الله جعل الدنيا بين يدى ملك الموت كالمائدة الصغيرة فيقبض من ههنا ومن ههنا فاذا كثرت الارواح يدعو الارواح فتجيب له وقال تعالى الله يتوفى الانفس أى الارواح حين موتها يريد بموت أجسادها والتى لم تمت يريد يتوفى الانفس التى لم تمت فى منامها والتى يتوفى عند النوم هى النفس التى يكون بها العقل والتمييز ولكل انسان نفسان احداهما نفس الحياة وهى التى تفارقه عند الموت فيزول بزوالها النفس والاخرى نفس التمييز وهى التى تفارقه اذا نام وهو بعد النوم يتنفس فيمسك التى قضى عليها الموت فلا يردها الى الجسد ويرسل الاخرى وهى التى لم يقض عليها بالموت الى الجسد الى أجل مسمى الى أن يأتى وقت موته ويقال للانسان نفس وروح فعند النوم تخرج النفس وتبقى الروح وعن على رضى الله عنه قال يخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعه فى الجسد فبذلك يرى الرؤيا فاذا انتبه عاد أى الروح الى جسده بأسرع من لحظة ويقال ان أرواح الاحياء والاموات تلتقى فى المنام فيتعارف ماشاء الله عز وجل فاذا أرادت الرجوع الى أجسادها أمسك الله عز وجل أرواح الاموات عنده وأرسل أرواح الاحياء حتى ترجع الى أجسادها الى انقضاء مدة حياتها وقال تعالى فلولا اذا بلغت الحلقوم أى النفس الحلقوم عند الموت وأنتم حينئذ تنظرون أى وأنتم يا أهل الميت تنظرون اليه حتى تخرج نفسه وقيل المعنى تنظرون الى أمرى وسلطانى لايمكنكم الدفع ولاتملكون شيأ ونحن أقرب اليه منكم بالعلم والقدرة والرؤية وقيل ورسلنا الذين يقبضون روحه أقرب اليه منكم ولكن لاتبصرون الذين حضروه وقال تعالى كلا اذا بلغت يعنى النفس كناية عن غير مذكور والتراقى حين يخرج بها عند الموت والتراقى جمع ترقوة وهى العظام التى بين ثغرة النحر والعاتق ويكنى ببلوغ النفس التراقى عن الاشفاء على الموت وقيل من راق قال من حضره الموت هل من طبيب يرقيه ويداويه فيشفيه برقيته ودوائه وقال قتادة التمسوا له الاطباء فلم يغنوا عنه من قضاء الله تعالى شيأ وقال سليمان التيمى ومقاتل بن سليمان هذا من قول الملائكة عليهم السلام يقول بعضهم لبعض من يرقى بروحه فيصعد بها املائكة الرحمة أم ملائكة العذاب وظن أيقن الذى بلغت روحه التراقى انه الفراق من الدنيا والتفت الساق بالساق قال قتادة الشدة بالشدة وقال عطاء شدة الموت بشدة الآخرة قال السدى لايخرج من كرب الا جاءه أشد منه قال ابن عباس أمر الدنيا بأمر الآخرة فكان فى آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة وقال الضحاك الناس يجهزون جسده والملائكة يجهزون روحه وقال الحسن هما ساقاه اذا التفتا فى الكفن الى ربك يومئذ المساق أى مرجع العباد الى الله سبحانه وتعالى فيساقون اليه *عن عائشة رضى الله عنها قالت كان بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ركوة أو علبة فيها ماء فجعل يدخل يديه فى الماء فيمسح بهما وجهه ويقول لا اله الا الله ان للموت سكرات وقال أنس لما ثقل النبى صلى الله عليه وسلم جعل يتغشاه الكرب فقالت فاطمة واكرب أبتاه فقال لها ليس على أبيك كرب بعد اليوم وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الموت وشدته فقال ان أهون الموت بمنزلة حسكة فى صوف فهل تخرج الحسكة من الصوف الا ومعها صوف ودخل عليه السلام على مريض ثم قال انى أعلم مايلقى فامنه عرق الا ويألم للموت على حدته وكان على رضى الله عنه يحض على القتال ويقول ان لم تقتلوا تموتوا والذى نفسى بيده لالف ضربة بالسيف أهون من موت على فراش وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال اذا بقى على المؤمن من درجاته شئ لم يبلغها بعمله شدد عليه الموت ليبلغ بسكرات الموت وكربه درجته فى الجنة واذا كان للكافر معروف لم يجز به فى الدنيا هون عليه فى الموت ليستكمل ثواب معروفه فيصير الى النار وروى ان ابراهيم لما مات قال تعالى كيف وجدت الموت ياخليلى فقال كسفود جعل فى صوف رطب ثم جذب فقال أما انا قد هونا عليك وروى عن موسى عليه الصلاة والسلام أنه قال لما صارت روحه الى الله تعالى قال له ربه ياموسى كيف وجدت الموت قال وجدت نفسى كالعصفور حين يقلى على المقلى لايموت فيستريح ولاينجو فيطير وروى عنه أنه قال وجدت نفسى كشاة تسلخ بيد القصاب وروى أن ابراهيم عليه السلام قال لملك الموت هل تستطيع ان ترينى الصورة التى تقبض فيها روح الفاجر قال لاتطيق ذلك قال بلى قال فاعرض

لملائكتى كما تضىء الشمس لاهل الارض ياداود انى خلقت قلوب المشتاقين من رضوانى ونعمتها بنور وجهى واتخذتهم لنفسى محدثين وجعلت أبدانهم موضع نظرى الى الارض وقطعت من قلوبهم طريقا ينظرون به الى يزدادون فى كل يوم شوقا قال داود رب أرنى أهل محبتك فقال ياداود ائت جبل لبنان فان فيه أربعة عشر نفسا فيهم شبان وفيهم كهول وفيهم مشايخ فاذا أتيتهم أقرئهم منى السلام وقل لهم ان ربكم يقرئكم السلام ويقول لكم ألا تسالون حاجة فانكم أحبابى وأصفيائى وأوليائى أفرح لفرحكم وأسارع الى محبتكم فأتاهم داود فوجدهم عند عين من العيون يتفكرون فى عظمة الله تعالى فلما نظروا الى داود نهضوا ليتفرقوا عنه فقال داود انى رسول الله اليكم جئتكم لابلغكم رسالة ربكم فاقبلوا نحوه وألقوا باسماعهم نحو قوله وألقوا أبصارهم الى الارض فقال داود انى رسول الله اليكم ان الله يقرئكم السلام ويقول لكم ألا تسالون حاجة ألا تنادونى أسمع أصواتكم وكلامكم وأنظر اليكم فى كل ساعة نظرة الوالدة الشفيقة الرفيقة قال فجرت دموعهم على خدودهم فقال شيخهم سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك فاغفر لنا ماقطع قلوبنا عن ذكرك فيما امضى من عمرنا وقال الآخر سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك فامنن علينا بحسن النظر فيما بيننا وبينك وقال الآخر سبحانك

عنى فاعرض عنه فالتفت فاذا هو برجل أسود قائم الشعر منتن الريح أسود الثياب يخرج من فيه ومناخره لهيب الدخان والنار فغشى على ابراهيم ثم أفاق وقد عاد ملك الموت الى صورته الاولى فقال ياملك الموت لولم يلق الفاجر عند موته الا صورة وجهك لكان حسبه وقال هل تستطيع أن تريني الصورة التى تقبض فيها روح المؤمن قال نعم فاعرض عنى فاعرض عنه ثم التفت فاذا هو بشاب فذكر من حسن وجهه وحسن ثيابه وطيب ريحه فقال ياملك الموت لولم يلق المؤمن عند الموت الا صورتك كان حسبه

(الباب الرابع فيما يستحب من الاحوال عند المحتضر)

روى مسلم عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة وقال صلى الله عليه وسلم حضر ملك الموت رجلا يموت فنظر فى قلبه فلم يجد فيه شيأ ففك لحييه فوجد طرف لسانه لاصقا بحنكه يقول لا اله الا الله فغفر له بكلمة الاخلاص وقال صلى الله عليه وسلم احضروا موتاكم ولقنوهم لا اله الا الله وبشروهم بالجنة فان الحليم العليم من الرجال والنساء يتحير عند ذلك المصرع فان ابليس عدو الله أقرب ما يكون من العبد فى ذلك الموطن ونقل النووى رحمه الله فى الروضة عن الجهور الاقتصار فى تلقين الميت على كلمة التوحيد لا اله الا الله ونقل عن جماعة من أصحابنا انه يضيف اليها محمد رسول الله لان المقصود تذكرة التوحيد قال المحب الطبرى وهو الاولى لان المقصود موته على الاسلام ولا يسمى مسلما الا بهما وذكر الجيلى شارح التنبيه انه يسن تجرعه ماء معللا بان العطش يغلب من شدة النزع فيخاف منه ازلال الشيطان اذ ورد انه يأتى بماء زلال و يقول قل لا اله غيرى حتى أسقيك قال الشيخ شهاب الدين الاذرعى رحمه الله وهذا غريب وقال صلى الله عليه وسلم اقرؤا على موتاكم يس رواه أبو داود وورد ان يس قلب القرآن قاله الغزالى رحمه الله وانما كانت قلبه لان المقصود الاعظم من القرآن وما جاء به الرسول اثبات الحشر وبيان حاله وهو فيها أتم وأبين منه فى غيرها ولعل هذا هو الحكمة فى قراءتها عند الميت وقال الرافعى رحمه الله وغيره استحب بعض التابعين قراءة سورة الرعد عند المحتضر وأفاد ابن الرفعة ان البندنيجى والعمرانى قالا ذلك فذكر أنه أسرع لخروج الروح وروى ابن أبى داود عن مجالد عن الشعبى قال كانت الانصار اذا حضر واقرؤا عند الميت سورة البقرة قال النووى فى الاذكار بعد أن أخرجه مجالد ضعيف فينبغى للمحتضر أن يحسن الظن بربه سبحانه وتعالى ومعناه يظن أن الله تعالى يرحمه ففى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل أنا عند ظن عبدى بى وعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو فى الموت قال كيف تجدك قال أرجو الله وأخاف ذنوبى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمعان فى قلب عبد فى مثل هذا الموطن الا أعطاه ما يرجو وأمنه مما يخاف رواه الترمذى وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى ما شاء وقال صلى الله عليه وسلم من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فقالت عائشة أو بعض أزواجه انا لنكره الموت فقال ليس ذلك ولكن المؤمن اذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته فليس شئ أحب اليه مما أمامه فاحب لقاء الله وأحب الله لقاءه وان الكافر اذا احتضر بشر بعذاب الله وعقوبته فليس شئ أكره اليه مما امامه فكره لقاء الله فكره الله لقاءه ومرض اعرابى فقيل له تموت قال أين يذهب بى قالوا الى الله تعالى قال فما كراهتى أن أذهب الى من لا يرى الخير الا منه وقال سليمان التيمى لابنه عند الموت يابنى حدثنى بالرخص لعلى ألقى الله تعالى وأنا حسن الظن به قال ابن الجوزى رحمه الله وورد فى الخبر أن الله تعالى أوحى الى موسى عليه السلام يابن عمران حببنى الى عبادى وذكرهم نعمى عليهم واحسانى اليهم فقال موسى عليه السلام الهى هذه رحمتك للاحياء فما الذى أعددت للاموات فاوحى الله اليه يابن عمران لو سألت أهل القبور وأذنت لهم فى جوابك لاخبروك ان لطفى بهم بعد موتهم أعظم من لطفى بهم فى حياتهم يابن عمران لم أقطع عنهم رحمتى وهم أحياء يرزقون فكيف أقطعها عنهم وهم تحت الثرى مقبورون يابن

سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك أفجبرتنى على الدعاء وقد علمت انه لا حاجة لنا فى شئ من أمورنا فادم لنا لزوم الطريق اليك وأتمم تلك المنة علينا وقال الآخر من نطفة خلقتنا ومننت علينا بالتفكر فى عظمتك أفجبرتنى على الكلام من هو مشغول بعظمتك متفكر فى جلالك وطلبتنا الدنو من نورك وقال الآخر كلت الالسنة عن دعائك لعظم شأنك وقربك من أوليائك وكثرة منتك على أهل محبتك وقال الآخر أنت هديت قلوبنا لذكرك وفرغتنا للاشتغال بك فاغفر لنا تقصيرنا فى شكرك وقال الآخر قد عرفت حاجتنا انما هى النظر الى وجهك الكريم وقال الآخر نسألك تمام نعمتك فيما وهبت لنا وتفضلت به علينا وقال الآخر لا حاجة لنا بشئ من خلقك فامنن علينا بالنظر الى جمال وجهك الكريم وقال الآخر أسألك من بينهم أن تعمى عينى عن النظر الى الدنيا وأهلها وقلبى عن الاشتغال بالآخرة وقال الآخر قد عرفت انك تباركت وتعاليت تحب أولياءك فامنن علينا باشتغال القلب بك عن كل شئ سواك فاوحى الله تعالى الى داود عليه السلام قل لهم قد سمعت كلامكم وأجبتكم الى ما أحببتم فليفارق كل واحد منكم صاحبه وليتخذ لنفسه سربا فانى كاشف الحجاب فيما بينى وبينكم حتى تنظروا الى نورى وجمالى فقال داود يارب بم نالوا منك قال بحسن الظن والكف

عمران

عمران كم عبد عصانى طول عمره فلما كان عند موته لم أنظر الى تمرده وجهله ونظرت الى ضعفه وذله فالهمته توحيدى وأوقفته على بابى لينجو من سطوتى وعذابى

(الباب الخامس فى ذكر وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين رضى الله عنهم أجمعين)

روى البخارى عن أنس رضى الله عنه قال لما ثقل النبى صلى الله عليه وسلم جعل يتغشاه الكرب فقالت فاطمة واكرب أبتاه فقال لها ليس على أبيك كرب بعد اليوم وفى الصحيحين عن ابن مسعود رضى الله عنه قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوعك فقلت يارسول الله انك توعك وعكا شديدا قال أجل انى أوعك كما يوعك رجلان منكم قلت ذلك ان لك أجرين قال أجل ذلك كذلك ما من مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها الا كفر الله بها سيآته كما تحط الشجرة ورقها ودخل عليه أبو سعيد الخدرى وعليه قطيفة فوضع يده عليه فوجد حرارتها فوق القطيفة فقال ما أشد حماك فقال انا كذلك يشدد علينا البلاء ويضاعف لنا الاجر وقال ابن مسعود دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت عائشة رضى الله عنها حين دنا الفراق فنظر الينا فدمعت عيناه صلى الله عليه وسلم ثم قال مرحبا بكم حياكم الله آواكم الله نصركم الله أوصيكم بتقوى الله وأوصى بكم الله انى لكم منه نذير مبين أن لا تعلوا على الله فى عباده وبلاده وقد دنا الاجل والمنقلب الى الله والى سدرة المنتهى والى جنة المأوى والكأس الاوفى فاقرؤا على أنفسكم وعلى من دخل فى دينكم بعدى منى السلام ورحمة الله وقالت أم سلمة رضى الله عنها عامة وصيته عند موته الصلاة وما ملكت أيمانكم وكانت عائشة رضى الله عنها سمعته قبل ذلك يقول ما من نبى يموت حتى يخير قالت فسمعته يقول اللهم الرفيق الاعلى فعلمت أنه ذاهب وفى خبر عنها فكانت تلك آخر كلمة تكلم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يموت وعنده قدح فيه ماء وهو يدخل يده فى القدح ثم يمسح وجهه بالماء ثم يقول اللهم أعنى على سكرات الموت وذكر ابن سعد فى وفاته عليه السلام خبرا فيه أنه لما بقى من أجله ثلاث نزل عليه جبريل فقال يا أحمد ان الله أرسلنى اليك اكراما لك وتفضيلا لك خاصة لك يسألك عما هو أعلم به منك يقول لك كيف تجدك وفيه أن ذلك ثلاثا المرة بعد المرة وفى الثالثة صحبه ملك الموت فاستأذن عليه فاذن له ثم استأذن فى قبض نفسه أو تركها وان الله أمره بطاعته فى ذلك فقال جبريل يا أحمد ان الله قد اشتاق اليك قال فاقبض ياملك الموت كما أمرت به قال جبريل عليه السلام السلام عليك يارسول الله هذا آخر موطئ الارض فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاءت التعزية يسمعون الصوت ولا يرون الشخص السلام عليكم يا أهل البيت ورحمة الله وبركاته كل نفس ذائقة الموت وانما توفون أجوركم يوم القيامة ان فى الله عزاء عن كل مصيبة وخلفا من كل هالك ودركا من كل فائت فبالله فثقوا واياه فارجوا انما المصاب من حرم الثواب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وقد ذكر أن هذا المعزى هو الخضر عليه السلام وروى أنه عليه السلام قال لجبريل عند موته من لامتى بعدى فاوحى الله تعالى الى جبريل أن بشر حبيبى أنى لا أخذله فى أمته وبشره بانه أسرع الناس خروجا من الارض اذا بعثوا وسيدهم اذا جمعوا وأن الجنة محرمة على الامم حتى تدخلها أمته فقال الآن قرت عينى فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم سجته الملائكة دهشت الناس وطاشت عقولهم واختلفت أحوالهم فى ذلك فاما عمر فكان ممن خبل فجعل يقول انه والله ما مات ولكنه ذهب الى ربه كما ذهب موسى بن عمران حين غاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع اليهم وأما عثمان فاخرس حتى جعل يذهب به ويجاء وهو لا يتكلم وأقعد على وأضنى عبد الله بن أنيس وبلغ أبا بكر الخبر رضى الله عنه وكان بالسنح فجاء وعيناه تهملان فقبل النبى صلى الله عليه وسلم فقال بابى أنت وأمى طبت حيا وميتا وتكلم كلاما بليغا سكن به نفوس المسلمين وثبت جأشهم وكان أثبت القوم رضى الله عنهم وتوفى صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لثنتى عشرة خلت من شهر ربيع الاول سنة احدى عشرة من الهجرة وعمره ثلاث وستون سنة وهو سن أبى بكر وعمر وعلى

عن الدنيا وأهلها والخلوات بى ومناجاتهم لى وان هذا منزل لا يناله الا من رفض الدنيا وأهلها ولم يشتغل بشئ من ذكرها وفرغ قلبه الى واختارنى على جميع خلقى فعند ذلك أعطف عليه وأفرغ نفسه وأكشف الحجاب فيما بينى وبينه حتى ينظر الى نظر الناظر بعينه الى الشئ وأريه كرامتى فى كل ساعة أقربه من نور وجهى ان مرض مرضته كما تمرض الوالدة الشفيقة ولدها وان عطش أرويته وأذيقه طعم ذكرى فاذا فعلت ذلك به ياداود أعميت نفسه عن الدنيا وأهلها ولم أحببها اليه لا يفتر عن الاشتغال بى يستعجلنى القدوم وأنا أكره أن أميته لانه موقع نظرى من بين خلقى لا يرى غيرى ولا أرى غيره فلو رأيته ياداود وقد ذابت نفسه ونحل جسمه وتهشمت أعضاؤه وانخلع قلبه اذا سمع بذكرى أباهى به ملائكتى وأهل سمواتى يزداد خوفا وعبادة وعزتى وجلالى ياداود لاقعدنه فى الفردوس ولاشفين صدره من النظر الى حتى يرضى وفوق الرضا

وفى أخبار داود أيضا عليه السلام قل لعبادى المتوجهين الى بمحبتى ما ضركم اذا احتجبتم عن خلقى ورفعت الحجاب فيما بينى وبينكم حتى تنظروا الى بعيون قلوبكم وما ضركم ما زويت عنكم من الدنيا اذا بسطت دينى لكم وما ضركم مسخطة الخلق اذا التمستم رضاى

وفى أخبار داود عليه السلام ان الله تعالى أوحى اليه تزعم انك تحبنى فان كنت تحبنى فاخرج حب الدنيا من قلبك فان حبى وحبها لا يجتمعان فى

قلب باداود خالص أهل محبتى بمخالصة (٢٧٨) وخالط أهل الدنيا بمخالطة وذينك فقلد نبيه ولا تقلد ذينك الرجال أماما استبان لك مما

وعائشة رضى الله عنهم ودفن يوم الثلاثاء حين زالت الشمس وقيل ليلة الاربعاء وعن أنس رضى الله عنه قال لما كان اليوم الذى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أضاء منها كل شئ فلما كان اليوم الذى مات فيه أظلم منها كل شئ وما نفضنا عن النبى صلى الله عليه وسلم الايدى حتى أنكرنا قلوبنا *(وفاة أبى بكر رضى الله عنه) روى أبو المليح أن أبا بكر رضى الله عنه لما حضرته الوفاة أرسل الى عمر بن الخطاب فقال انى أوصيك بوصية ان أنت قبلتها منى ان لله عز وجل حقا بالليل لا يقبله بالنهار وان لله عز وجل حقا بالنهار لا يقبله بالليل وأنه لا يقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة وانما ثقلت موازين من ثقلت موازينه فى الآخرة باتباعهم الحق فى الدنيا وثقل ذلك عليهم وحق لميزان يوضع فيه الحق أن يكون ثقيلا وانما خفت موازين من خفت موازينه فى الآخرة باتباعهم الباطل وخفته عليهم فى الدنيا وحق لميزان يوضع فيه الباطل أن يكون خفيفا ألم تر أن الله أنزل آية الرجاء عند آية الشدة وآية الشدة عند آية الرجاء ليكون العبد راغبا راهبا لا يلقى بيديه الى التهلكة ولا يتمنى على الله غير الحق فان أنت حفظت وصيتى فلا يكونن غائب أحب اليك من الموت ولابد لك منه وان أنت ضيعت وصيتى هذه فلا يكونن غائب أبغض اليك من الموت ولست تعجزه وقيل لما احتضر رضى الله عنه جاءت عائشة رضى الله عنها فتمثلت بهذا البيت

لعمرك ما يغنى الثراء عن الفتى * اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

فكشف عن وجهه وقال ليس كذلك ولكن قولى وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد أنظروا ثوبى هذين فاغسلوهما وكفنونى فيهما فان الحى أحوج الى الجديد من الميت وتوفى يوم الاثنين لثمان وقيل لثلاث بقين من جمادى الاولى سنة ثلاث عشرة من الهجرة وعمره ثلاث وستون سنة *(وفاة عمر ابن الخطاب رضى الله عنه)* طعنه أبو لؤلؤة فيروز غلام المغيرة بن شعبة وهو قائم فى صلاة الصبح بسكين مسمومة ذات طرفين وطعن معه ثلاثة عشر رجلا توفى منهم سبعة عن ابن عمر رضى الله عنهما قال كان عمر فى حجرى لما طعن وكان مرضه الذى توفى فيه فقال ضع خدى بالارض فقلت وما عليك كان فى حجرى أم على الارض وظننت ان ذلك تبرم منه فلم أفعل فقال ضع خدى بالارض لا أم لك ويلى وويل أمى ان لم يرحمنى ربى وروى أنه لما طعن وحمل الى بيته وجاء الناس يثنون عليه جاء رجل شاب فقال أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك صحبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم فى الاسلام ما قد علمت ثم وليت فعدلت ثم شهادة فقال وددت أن ذلك كان كفافا لا على ولا لى ثم قال يا عبد الله بن عمر انطلق الى عائشة أم المؤمنين فقل عمر يقرأ عليك السلام ولا تقل أمير المؤمنين فانى لست اليوم للمؤمنين أميرا وقل يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه فمضى وسلم واستأذن عليها ودخل فوجدها قاعدة تبكى فقال عمر يقرأ عليك السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه فقالت كنت أريده لنفسى ولأوثرنه اليوم على نفسى فلما أقبل قيل له هذا عبد الله بن عمر قد جاء قال ارفعونى فاسنده رجل اليه فقال ما وراءك قال الذى تحب يا أمير المؤمنين أذنت قال الحمد لله ما كان شئ أحب الى من ذلك فاذا أنا مت فاحملونى ثم سلم وقل يستأذن عمر بن الخطاب فان أذنت فادخلونى وان ردتنى فردونى الى مقابر المسلمين وفى افراد مسلم من حديث المسور بن مخرمة أن عمر رضى الله عنه قال لو أن لى طلاع الارض ذهبا لافتديت به من عذاب الله قبل أن أراه وفى حديث آخر والله لو أن لى ما طلعت عليه الشمس أو غربت لافتديت به من هول المطلع وكان طعنه يوم الاربعاء لاربع ليال بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة ودفن يوم الاحد هلال المحرم سنة أربع وعشرين وكانت خلافته عشر سنين وخمسة أشهر وأحدا وعشرين يوما وعمره ثلاث وستون سنة *(وفاة عثمان رضى الله عنه)* عن نائلة بنت الفرافصة امرأة عثمان قالت لما كان اليوم الذى قتل فيه عثمان رضى الله عنه ظل فى اليوم الذى قبله صائما فلما كان عند افطاره سألهم الماء العذب فبات من قبل أن يفطر فلما كان فى وقت السحر أتيت جارات لى على أجاجرة متصلة فسألتهم الماء العذب فأعطونى كوزا من ماء فأتيته فحركته فاستيقظ فقلت هذا ماء عذب فرفع رأسه فنظر الى الفجر فقال انى قد أصبحت صائما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلع

وافق محبتى فتمسك به وأما ما أشكل عليك فقلدنيه حقا على أنى ألى سياستك وتقويمك وأكون قائدك ودليلك أعطيك من غير أن تسألنى وأعينك على الشدائد فانى قد حلفت على نفسى أن لا أثيب عبدا الا عبدا عرفت من طلبته وارادته خوف المقام بين يدى وانه لا غنى به عنى فاذا كنت كذلك نزعت الذلة والوحشة عنك وأسكنت الغنى قلبك وانى قد حلفت على نفسى أنه لا يطمئن عبد الى نفسه وينظر الى أفعالها الا وكلته اليها وأضف الاشياء الى لا تضار عملك فتكون متعنتا ولا ينتفع بك من يصحبك ولا تحد لمعرفتى حدا فليس لها غاية ومتى طلبت منى الزيادة أعطيتك ولا تحد للزيادة منى حدا ثم أعلم بنى اسرائيل انه ليس بينى وبين احد من خلقى نسب فلتعظم رغبتهم وارادتهم فيما عندى أبح لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ضعنى بين عينيك وانظر الى ببصر قلبك ولا تنظر بعينيك الى الذين حجبت قلوبهم عنى فامرجوها وسخنت قلوبهم بانقطاع ثوابى عنها فانى حلفت وعزتى وجلالى لا أفتح ثوابى لعبد دخل فى طاعتى للتجربة والتسويف باداود تواضع لمن تعلمه ولا تتطاول على المريدين فلو علم أهل محبتى منزلة المريدين عندى لكانوا لهم أرضا يمشون عليها باداود لأن تخرج مريدا من سكرة هو فيها

على

تستنقذه منها أحب الى مما طلعت عليه الشمس فاكتبك عبدا جهيدا ومن كتبته عبدا جهيدا (٢٧٩) لا تكون عليه وحشة ولا فاقة الى

على من هذا الشفق ومعه ماء عذب فقال اشرب يا عثمان فشربت حتى رويت ثم قال ازدد فشربت حتى نهلت ثم قال ان القوم سيكرون عليك فان قاتلتهم ظفرت وان تركتهم أفطرت عندنا قالت فدخلوا عليه من يومه فقتلوه وكان قتله يوم الجمعة لثمان عشرة خلون من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين وهو ابن تسعين سنة وكانت خلافته اثنتى عشرة سنة الا ليالى وعن العلاء بن الفضل عن أبيه قال لما قتل عثمان بن عفان رضى الله عنه فتشوا خزائنه فوجدوا فيها صندوقا مقفلا ففتحوه فوجدوا فيه حقة فيها ورقة مكتوب فيها هذه وصية عثمان بسم الله الرحمن الرحيم عثمان بن عفان يشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن الجنة حق وأن النار حق وأن الله يبعث من فى القبور ليوم لا ريب فيه وأن الله لا يخلف الميعاد عليها نحيا وعليها نموت وعليها نبعث ان شاء الله *(وفاة على بن أبى طالب رضى الله عنه)* عن الشعبى قال لما ضرب على رضى الله عنه تلك الضربة قال ما فعل بضاربى قالوا أخذناه قال أطعموه من طعامى واسقوه من شرابى فان أنا عشت رأيت فيه رأيى وان أنا مت فاضربوه ضربة واحدة لا تزيدوه عليها ثم أوصى الحسن أن يغسله وقال لا تغال فى الكفن فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تغالوا فى الكفن فانه يسلب سلبا سريعا وامشوا بى بين المشيين لا تسرعوا بى ولا تبطئوا بى فان كان خيرا عجلتمونى اليه وان كان شرا ألقيتمونى عن أعناقكم وروى أنه لما كانت الليلة التى أصيب فيها على عليه السلام أتاه ابن التياح حين طلع الفجر يؤذنه بالصلاة وهو مضطجع متثاقل فعاد الثانية وهو كذلك ثم عاد الثالثة فقام يمشى وهو يقول

أشدد حيازيمك للموت * فان الموت لاقيكا * ولا تجزع من الموت * وان حل بناديكا

فلما بلغ الباب الصغير شد عليه عبد الرحمن بن ملجم فضربه بسيف مسموم فى جبهته فأوصله دماغه ليلة العاشر من رمضان ليلة الجمعة ثم توفى رضى الله عنه بالكوفة ليلة الاحد تاسع عشر من رمضان سنة أربعين

(الباب السادس فى ذكر كلمات نقلت عن جماعة عند موتهم من الصحابة وغيرهم)

لما حضر معاوية الموت قال ياليتنى كنت رجلا من قريش بذى طوى وانى لم أل من هذا الامر شيأ ولما حضرت عبد الملك بن مروان الوفاة نظر الى غسال يلوى ثوبا بيده ثم يضرب به المغسلة فقال عبد الملك والله ليتنى كنت غسالا آكل من كسب يدى يوما بيوم ولم أل من أمر الناس شيأ فبلغ ذلك أبا حازم فقال الحمد لله الذى جعلهم اذا حضرهم الموت يتمنون ما نحن فيه واذا حضرنا الموت لم نتمن ما هم فيه وقيل لعبد الملك فى مرضه كيف تجدك يا أمير المؤمنين قال أجدنى كما قال الله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم الآية وقيل لما حضرت عمر بن عبد العزيز الوفاة بكى فقيل ما يبكيك يا أمير المؤمنين ابشر فقد أحيا الله بك سننا وأظهر بك عدلا فبكى ثم قال أليس أوقف فأسئل عن أمر هذا الخلق فوالله لو عدلت فيهم لخفت على نفسى أن لا تقوم بحجتها بين يدى الله ان لم يلقنها حجتها فكيف بكثير مما ضيعنا وفاضت عيناه فلم يلبث الا يسيرا حتى مات وحكى عن هرون الرشيد أنه انتقى أكفانه عند الموت بيده وكان ينظر اليها ويقول ما أغنى عنى ماليه هلك عنى سلطانيه وفرش المأمون رمادا عند موته واضطجع عليه وكان يقول يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه وكان المعتصم يقول عند موته لو علمت أن عمرى هكذا قصير ما فعلت وقال عمرو بن العاص فى الوفاة وقد نظر الى صناديق بيته من يأخذها بما فيها ليته كان بعرا ولما حضرت معاذا رضى الله عنه الوفاة قال اللهم انى كنت أخافك وأنا اليوم أرجوك اللهم أنت تعلم انى لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لجرى الانهار ولا لغرس الاشجار ولكن لظمأ الهواجر ومكابدة الساعات ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر ولما اشتد به النزع نزع نزعا لم ينزعه أحد فكان كلما أفاق من غمرة فتح طرفه ثم قال رب اخنقنى خنقك فوعزتك انك لتعلم ان قلبى يحبك ولما حضرت سلمان الفارسى رضى الله عنه الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك قال ما أبكى جزعا على الدنيا ولكن عهد الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون بلغة أحدنا من الدنيا كزاد الراكب فلما مات نظر فى جميع تركته فاذا قيمتها بضع عشرة درهما ولما

المخلوقين ياداود تمسك بكلامى وخذ من نفسك لنفسك ولا تؤتين منها فاحجب عنك محبتى لا تؤيس عبادى من رحمتى أقطع شهوتك الى فانما أبحت الشهوات لضعفة خلقى وما بال الاقوياء ان ينالوا الشهوات فانها تنقص مناجاتى وانما عقوبة الاقوياء عندى فى موضع التناول وأدنى ما يصل اليهم أن أحجب عقولهم عنى فانى لم أرض الدنيا لحبيبى ونزهته عنها ياداود لا تجعل بينى وبينك عالما اسكره حب الدنيا فيحجبك بسكره عن محبتى أولئك قطاع الطريق على عبادى المريدين استعن على ترك الشهوات بادمان الصوم واياك والتخمة فى الافطار فان محبتى للصوم ادمانه ياداود تحبب الى بمعاداة نفسك ومنعها الشهوات أنظر اليك وترى الحجب بينى وبينك مرفوعة انما أوازرك موازرة التقوى على ثوابى اذا مننت به عليك ولن أحبسه عنك وأنت متمسك بطاعتى وهذه الاخبار دلت على امكان الشوق والله أعلم (بيان) محبة الله تعالى للعبد فقد دلت عليه الآيات والآثار قال تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا الآية وقال تعالى والله يحب التوابين

وروى أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا أحب الله عبدا لم يضره ذنب والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ثم تلا ان الله يحب

حضرت بلالا رضى الله عنه الوفاة قالت امرأته واحزناه فقال بل واطرباه غدا ألقى الاحبه محمدا وحزبه قال أبو مسلم جئت أبا الدرداء رضى الله عنه وهو يجود بنفسه ويقول ألا رجل يعمل لمثل مصرعى هذا ألا رجل يعمل لمثل يومى هذا الا رجل يعمل لمثل ساعتى هذه ثم قبض رحمه الله وقيل فتح عبد الله بن المبارك عينيه عند الوفاة وضحك وقال لمثل هذا فليعمل العاملون ولما حضرت ابراهيم النخعى الوفاة بكى فقيل ما يبكيك قال أنتظار من الله رسولا يبشرنى بالجنة أو بالنار ولما حضرت ابن المنكدر الوفاة بكى فقيل ما يبكيك قال ما أبكى جزعا من الموت ولا حرصا على الدنيا ولكن أبكى على ما يفوتنى من ظمأ الهواجر وعلى قيام الليل فى الشتاء ولما حضرت فضيلا الوفاة غشى عليه ثم فتح عينيه وقال وابعد سفرى وقلة زادى وقال الجريرى كنت عند الجنيد فى حال نزعه وهو يقرأ القرآن فختم فقلت فى هذه الحالة يا أبا القاسم فقال ومن أولى بذلك منى وها هو ذا تطوى صحيفتى وقال المزنى دخلت على الشافعى فى مرضه الذى مات فيه فقلت له كيف أصبحت قال أصبحت من الدنيا راحلا وللاخوان مفارقا ولسوء عملى ملاقيا وبكأس المنية شاربا وعلى الله واردا ولا أدرى أروحى تصير الى الجنة فاهنيها أم الى النار فاعزيها ثم أنشأ يقول

ولما قسا قلبى وضاقت مذاهبى * جعلت الرجا منى لعفوك سلما
تعاظمنى ذنبى فلما قرنته * بعفوك ربى كان عفوك أعظما
فما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل * تجود وتعفو منة وتكرما
ولولاك لم يغو بابليس عابد * وكيف وقد أغوى صفيك آدما

(الباب السابع فيما يقول من مات له ميت وحثه على الصبر)

قال الله تعالى وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون وعن أم سلمة رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول انا لله وانا اليه راجعون اللهم أجرنى فى مصيبتى واخلف لى خيرا منها الا آجره الله تعالى فى مصيبته وأخلف له خيرا منها قالت فلما توفى أبو سلمة قلت كما أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخلف الله تعالى لى خيرا منه رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد المؤمن قال الله تعالى للملائكة قبضتم ولد عبدى فيقولون نعم فيقول قبضتم ثمرة فؤاده فيقولون نعم فيقول ماذا قال عبدى فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله تعالى ابنوا لعبدى بيتا فى الجنة وسموه بيت الحمد حسنه الترمذى وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى ما لعبدى المؤمن عندى جزاء اذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه الا الجنة رواه البخارى وذكر بعضهم انه صحب الفضيل ثلاثين سنة فما رآه ضاحكا الا يوم مات ولده فقيل له فى ذلك فقال له ان الله أحب أمرا فاحببته وعن معروف رحمه الله أنه توفى له ولد فلم يحزن عليه فقيل له فى ذلك فقال رأيت جوار الله وثوابه خيرا له منى وقال الشيخ تقى الدين بن تيمية رحمه الله فى الحديث الصحيح ان النبى صلى الله عليه وسلم بكى يوم مات ولده ابراهيم وروى عن بعض العارفين انه ضحك يوم مات ولده فقيل له تضحك فى هذه الحالة فقال ان الله تعالى قضى بقضاء فاحببت أن أرضى بقضائه وقد استشكل هذا فقيل كيف يبكى رسول الله وهو أرضى الخلق عن الله و يبلغ الرضا بهذا العارف الى أن ضحك فالجواب عن هذا أن هدى نبينا صلى الله عليه وسلم كان أكمل من هدى هذا العارف فانه أعطى العبودية حقها فاتسع قلبه للرضا عن الله ورحمة الولد والرقة عليه فحمد الله ورضى عنه فى قضائه وبكى رحمة ورقة فحملته الرحمة على البكاء وعبوديته لله ومحبته له على الرضا والحمد وهذا العارف ضاق قلبه عن اجتماع الامرين ولم يتسع باطنه لشهودهما والقيام بهما فشغلته عبودية الرضا عن عبودية الرحمة والرقة وفى الحديث الصحيح ان الميت ليعذب ببكاء أهله عليه فتاوله جمهور العلماء على ما اذا أوصى به كما كانت العرب تفعله لانه بسببه ومنسوب اليه وقيل يعذب بسماعه بكاء أهله ويرق لهم قال القاضى عياض وهو أولى الاقوال وقيل يقال للميت اذا ندبوه أكنت كذلك فذلك التوبيخ عذاب وحكى النووى رحمه الله فى

بعد الاسلام وقد اشترط الله تعالى لمحبته غفران الذنب فقال يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يعطى الدنيا لمن يحب ومن لا يحب ولا يعطى الايمان الا لمن يحب وقال عليه السلام من تواضع لله رفعه ومن تكبر وضعه ومن أكثر ذكر الله أحبه فيكون سمعه الذى يسمع به الحديث وقال زيد بن أسلم ان الله تعالى ليحب العبد حتى يبلغ من حبه له أن يقول اعمل ما شئت فقد غفرت لك وقال عليه السلام قال الله تعالى لا يزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه الحديث وعلامة حب الله تعالى العبد أن يوحشه من غيره ويحول بينه وبين جميع أسبابه وقال صلى الله عليه وسلم اذا أحب الله عبدا ابتلاه فان أحبه الحب البالغ اقتناه قيل وما اقتناه قال لم يترك له مالا وأهلا وقيل لعيسى عليه السلام لم لم تشتر حمارا تركبه فقال أنا أعز على الله من أن يشغلنى عن نفسه بحمار وفى الخبر اذا أحب الله عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه وان رضى اصطفاه وقالوا من علامة حب العبد لله عز وجل أن يؤثر ما يحبه على محبوب نفسه وأن يكثر ذكره فلا يفتر وتكون الخلوة والمناجاة أحب اليه من الاشتغال بغيره (بيان فضيلة الرضا) قال الله تعالى رضى الله عنهم ورضوا عنه وفى الحديث ان الله تعالى يتجلى للمؤمنين

البستان عن موسى بن المهدى انه قال لابراهيم بن مسلم وعزاه بابنه فقال أسرك وهو فتنة وأحزنك وهو صلاة ورحمة قال النووى وكتب رجل الى بعض اخوانه يعزيه بابنه أما بعد فان الولد على والده ما عاش حزن وفتنة فاذا قدمه فهو صلاة ورحمة فلا تجزع على ما فاتك من حزنه وفتنته ولا تضيع ما عوضك الله تعالى من صلاته ورحمته

(الباب الثامن فى النهى عن النياحة)

فى الصحيحين عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية وروى مسلم عن أبى مالك الاشعرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال النائحة اذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب وروى الثعلبى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه النوائح يجعلن يوم القيامة صفين صفا عن اليمين وصفا عن الشمال ينبحن كما تنبح الكلاب فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ويروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من يوم الا وملك الموت يقف على باب أحدكم خمس مرات فاذا وجد أحدكم قد نفد أجله وانقطع أمله ألقى عليه غمرات الموت فغشيته كرباته وغمراته فمن أهل بيته الناشرة لشعرها والصارخة بويلها والباكية بشجوها فيقول ملك الموت ويلكم مم الفزع وفيم الجزع ما أذهبت لواحد منكم رزقا ولا قربت له أجلا ولا أتيته حتى أمرت بقبض روحه وان لى فيكم عودة ثم عودة حتى لا أبقى منكم أحدا فوالذى نفس محمد بيده لو يرون مكانه أو يسمعون كلامه لذهلوا عن ميتهم ولبكوا على أنفسهم حتى اذا حمل الميت على النعش رفرفت روحه فوق النعش وهى تنادى يا أهلى ويا أولادى لا تلعبن بكم الدنيا كما لعبت بى جمعت المال من حله ومن غير حله ثم خلفته لغيرى فالمهناه له والتبعة على فاحذروا مثل ما حل بى

(الباب التاسع فى الصلاة على الميت وحضور دفنه)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد الجنازة حتى يصلى عليها فله قيراط ومن شهدها حتى تدفن فله قيراطان قيل وما القيراطان قال مثل الجبلين العظيمين رواه البخارى ومسلم وقال صلى الله عليه وسلم ما من ميت يصلى عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون له الا شفعوا فيه رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلا لا يشركون بالله شيأ الا شفعهم الله فيه رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يموت فيشهد له أربعة أبيات من جيرانه الادنين الا قال الله تعالى قد قبلت علمهم فيه وغفرت له ما لا يعلمون رواه أحمد وقال صلى الله عليه وسلم الصلاة واجبة على كل مسلم برا كان أو فاجرا وان عمل الكبائر (حكى) عن بعض الصالحين انه مات رجل من جيرانه وكان مسرفا على نفسه فامتنع كثير من الناس عن جنازته وحضرها هو وصلى عليها فلما دلى فى قبره وقف على قبره وقال يرحمك الله يا فلان فلقد صحبت عمرك بالتوحيد وعفرت وجهك بالسجود فان قالوا مذنب وذو خطايا فمن منا غير مذنب وغير ذى خطايا وقال أسيد بن حضير ما شهدت جنازة فحدثت نفسى بشئ سوى ما هو مفعول به وما هو صائر اليه ونظر ابراهيم الزيات الى أناس يترحمون على ميت وقال لو تترحمون على أنفسكم لكان خيرا لكم انه نجا من أهوال ثلاثة وجه ملك الموت قد رأى ومرارة الموت قد ذاق وخوف الخاتمة قد أمن وفى الدعاء للطبرانى من حديث أنس رفعه من رأى جنازة فقال الله أكبر صدق الله ورسوله هذا ما وعدنا الله ورسوله اللهم زدنا ايمانا وتسليما كتب له عشرون حسنة

(الباب العاشر فى دفن الميت والدعاء له والاستغفار والقراءة)

عن على رضى الله عنه قال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ندفن موتانا وسط قوم صالحين فان الموتى يتأذون بالجار السوء كما يتأذى الاحياء وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اذا مات لاحدكم الميت فحسنوا كفنه وأنجزوا وصيته وأعمقوا له فى قبره وجنبوه الجار السوء قيل يا رسول الله وهل ينفع الجار الصالح فى الآخرة قال هل ينفع فى الدنيا قالوا نعم قال كذلك ينفع فى الآخرة قال أبو عبد الله

ما أنتم فقالوا مؤمنون فقال ما علامة ايمانكم فقالوا نصبر عند البلاء ونشكر عند الرخاء ونرضى بمواقع القضاء فقال مؤمنون ورب الكعبة وفى خبر آخر انه قال حكماء علماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء وقال موسى عليه السلام يا رب دلنى على أمر فيه رضاك حتى أعمله فاوحى الله تعالى اليه ان رضائى فى كرهك وأنت لا تصبر على ما تكره فقال يا رب دلنى عليه قال فان رضائى فى رضاك بقضائى واعلم أن الرضى باب الله تعالى الاعظم فمن وجد اليه سبيلا فهو أعلى الدرجات والرتب

(فصل) ومما جاء فى حكايات المحبين (ما حكى) أن أبا تراب النخشبى كان معجبا ببعض المريدين وكان يدنيه ويقوم بمصالحه والمريد مشغول بعبادته ومواجيده فقال له أبو تراب يوما لو رأيت أبا يزيد فقال المريد انى عنه مشغول فلما أكثر عليه أبو تراب من قوله لو رأيت أبا يزيد هاج وجد المريد وقال ويحك ما أصنع بابى يزيد وقد رأيت الله تعالى فاغنانى عن أبى يزيد فقال أبو تراب فهاج طبعى ولم أملك نفسى فقلت ويلك تغتر بالله تعالى لو رأيت أبا يزيد مرة واحدة كان أنفع لك من أن ترى الله سبعين مرة قال فبهت الفتى من قولى وأنكره قال وكيف ذلك قال له ويلك

القرطبي رحمه الله يروى أن امرأة دفنت بقرطبة أعاذها الله فأتت أهلها في النوم وجعلت تعتبهم وتشكوهم وتقول ما وجدتم أن تدفنوني الا الى فرن الجير فلما أصبحوا انظروا فلم يروا في ذلك الموضع كله ولا بقربه فرن جير فبحثوا وسألوا عمن كان مدفونا بازاء المرأة فوجدوه رجلا سيافا كان لابن عامر وقبره الى قبرها فاخرجوها من جواره وروى أبو داود عن عثمان رضى الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت فانه الآن يسئل وروى مسلم عن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال اذا دفنتمونى فأقيموا حول قبرى قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها حتى أستأنس بكم وأعلم ماذا أراجع به رسل ربى قال الآجرى يستحب الوقوف بعد الدفن قليلا والدعاء للميت مستقبلا وجهه بالثبات فيقال اللهم هذا عبدك وأنت أعلم به منا ولا نعلم منه الا خيرا وقد أجلسته لتسأله اللهم فثبته بالقول الثابت في الآخرة كما ثبته في الحياة الدنيا اللهم ارحمه وألحقه بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولا تضلنا بعده ولا تحرمنا أجره قال الشافعى رحمه الله ويستحب أن يقرأ عنده شيء من القرآن وان ختم القرآن كله كان حسنا وقال أحمد بن حنبل اذا دخلتم المقابر فاقرؤا فاتحة الكتاب والمعوذتين وقل هو الله أحد واجعلوا ذلك لأهل القبور فانه يصل اليهم وروى عن ابن عمر انه أوصى أن يقرأ اذا دفن عند رأسه بفاتحة البقرة وخاتمتها (وحكى) عن بعضهم أنه قال قرأت على قبر حزبا من القرآن ثم قلت يا فلان هذا قد أهديته لك فاذا الى قال فذهبت على نفحة ريح مسك فغشيتنى وأقامت معى ثم انصرفت وهى معى فما فارقتنى الا وقد مشيت نصف الطريق وقال بعضهم ماتت لى امرأة فقرأت في بعض الليالى آيات من القرآن فاهديتها ودعوت الله عز وجل واستغفرت لها وسألت فلما كان في اليوم الثانى حدثتنى امرأة تعرفها وتعرفنى قالت لى رأيت البارحة في النوم فلانة تعنى الميتة المذكورة في مجلس حسن ودار حسنة وقد أخرجت اطباقا من تحت سرير كان في البيت والاطباق مملوأة نورا فقالت لى هذا أهداه الى صاحب بيتى وما كنت أعلم بها أحدا ذكر هذه الحكاية والتى قبلها القرطبى في التذكرة ويروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ما الميت في قبره الا كالغريق المتغوث ينتظر دعوة تلحقه من أبيه أو أخيه أو صديق له فاذا لحقته كانت أحب اليه من الدنيا وما فيها وان هدايا الاحياء للاموات الدعاء والاستغفار وقال بعضهم مات أخ لى رأيته في المنام فقلت ما كان حالك حيث وضعت في قبرك قال أتانى آت بشهاب من نار فلولا أن داعيا دعا لى لرأيت انه سيضربنى به وقال بشر بن منصور لما كان زمن الطاعون كان رجل يختلف الى الجبانات فيشهد الصلاة على الجنائز فاذا أمسى وقف على باب المقابر فقال آنس الله وحشتكم ورحم الله غربتكم وتجاوز عن سيآتكم وقبل الله تعالى حسناتكم لا يزيد على هذه الكلمات قال الرجل فامسيت ذات ليلة فانصرفت الى أهلى ولم آت المقابر فادعو كما كنت أدعو فبينما أنا نائم اذا أنا بخلق كثير قد جاؤنى قلت من أنتم وما حاجتكم قالوا نحن أهل المقابر قلت ما جاء بكم قالوا انك كنت عودتنا منك هدية عند انصرافك الى أهلك قلت وما هى قالوا الدعوات التى كنت تدعو قلت فانى أعود لذلك فما تركتها بعد وقال بشار بن غالب انى رأيت رابعة العدوية رحمها الله تعالى في منامى وكنت كثير الدعاء لها فقالت لى يا بشار هداياك تأتينا على أطباق من نور مخمرة بمناديل الحرير قلت وكيف ذاك قالت وهكذا دعاء المؤمنين الاحياء اذا دعوا للموتى فاستجيب لهم جعل ذلك على أطباق النور وخمر بمناديل الحرير ثم أتى به الميت فقيل هذه هدية فلان اليك ووقف محمد بن سليمان على قبر ولده فقال اللهم انى أصبحت أرجو لك وأخاف عليك فحقق رجائى وآمن خوفى ووقف ابو سنان على قبر ابنه فقال اللهم انى قد غفرت له ما وجب لى عليه فاغفر له ما وجب لك عليه فانك أجود وأكرم ووقف أعرابى على قبر ابنه فقال اللهم انى وهبت له ما قصر فيه من برى فهب له ما قصر فيه من طاعتك ولما مات ذر بن عمر بن ذر قام أبوه بعد ما وضع في لحده فقال يا ذر لقد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك فليت شعرى ماذا قلت وماذا قيل لك ثم قال اللهم ان هذا ذر متعتنى به ما متعتنى ووفيته أجله ورزقه ولم تظلمه اللهم وقد كنت ألزمته طاعتك وطاعتى اللهم وما وعدتنى عليه من

انما ترى الله تعالى عندك فيظهر لك على مقدارك وترى أبا يزيد عند الله تعالى قد ظهر له على مقداره فعرف ما قلت فقال احملنى اليه فذكر قصة قال في آخرها ووقفنا على تل ننتظره ليخرج علينا من الغيضة وكان يأوى الى غيضة فيها سباع قال فمر بنا وقد قلب فروة على ظهره فقلت للفتى هذا أبو يزيد فنظر اليه الفتى فصعق صعقة فحركناه فاذا هو ميت فتعاونا على دفنه فقلت لأبى يزيد تلميذى نظره اليك قتله قال لا ولكن كان صاحبك صادقا واستكن في قلبه سر لم ينكشف له بوصفه فلما رآنا انكشف له سر قلبه فضاق عن حمله لانه في مقام الضعفاء المريدين فقتله ذلك وفى الاخبار أن الله تعالى أوحى الى بعض أنبيائه انما اتخذ لخلتى من لا يفتر عن ذكرى ولا يكون له غيرى ولا يؤثر على شيأ من خلقى وان أحرق بالنار لم يجد لحرق النار وجعا وان تقطع بالمناشير لم يجد من الحديد ألما فمن لم يغلبه الحب الى هذا الحد فمن أين يعرف ما وراء الحب من الكرامات والمكاشفات وكل ذلك وراء الحب والحب وراء الايمان وفى الحديث ان الله تعالى ثلثمائة خلق من لقيه بخلق منها مع التوحيد دخل الجنة فقال أبو بكر رضى الله عنه هل فى خلق منها فقال كلها فيك يا أبا بكر وأحبها الى الله تعالى السخاء وقال عليه السلام رأيت ميزانا دلى من السماء فوضعت في كفة ووضعت أمتى في كفة فرجحت بهم ووضع أبو بكر في كفة وجيء بأمتى

لاجر

الاجر في مصيبتى فقد وهبت له ذلك فهب لى عذابه ولا تعذبه فأبكى الناس ثم قال عند انصرافه ما علينا بعد ذلك من خصاصة يا ذر وما بنا الى انسان مع الله تعالى حاجة فلقد مضينا وتركناك ولو أقمنا ما نفعناك وقال صلى الله عليه وسلم ان مشيعى الجنازة قد وكل بهم ملك فهم مهمومون محزونون حتى اذا أسلموه في القبر ورجعوا راجعين أخذ كفا من تراب فرمى بهم وهو يقول ارجعوا الى دنياكم أنساكم الله موتاكم فينسون ميتهم ويأخذون في شرائهم وبيعهم كأنهم لم يكونوا منه ولم يكن منهم

(الباب الحادى عشر في الصدقة على الميت)

في الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها أن رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم ان أمى افتلتت نفسها وأراها لو تكلمت تصدقت فهل لى أجر ان تصدقت عنها قال نعم وعن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له رواه مسلم (وحكى) أبو الليث السمرقندى رحمه الله عن صالح المرى انه أقبل في ليلة الجمعة يريد مسجد الجامع ليصلى به صلاة الفجر فمر بمقبرة فقال لو أقمت حتى يطلع الفجر فصلى ركعتين واتكأ على قبر فغلبته عيناه فرأى في منامه كأن أهل القبور قد خرجوا من قبورهم وقعدوا حلقا حلقا فاذا شاب عليه ثياب دنسة فقعد في جانب مغموما فاقبلت اطباق مغطاة بمناديل فكلما جاء واحد منهم طبق أخذه ودخل في قبره ولم يأت الشاب شيء فقام حزينا ليدخل قبره فقلت له يا عبد الله مالى أراك حزينا فقال يا صالح المرى هل رأيت الاطباق فقلت نعم فما هى فقال تلك اطباق الاحياء أوتاهم كلما تصدقوا عنهم ودعوا لهم أتاهم ذلك في ليلة الجمعة وانى رجل من أهل السند أقبلت بوالدتى أريد الحج فلما وصلنا البصرة توفيت وتزوجت والدتى بعدى ولم تذكر أن لها ولدا قد أشغلتها الدنيا فحق لى الحزن فقال صالح المرى فقلت وأين أملك فذكر لى موضعها فلما أصبحت وقضيت صلاتى وسألت عن منزلها فارشدت اليه فجئت اليها وقلت لها انى صالح المرى ثم قلت لها هل لك من ولد قالت لا فقلت هل كان لك ولد فتنفست ثم قالت كان ومات وهو شاب فقصصت عليها القصة فبكت ثم دفعت الى ألف درهم فقالت تصدق بها عن ولدى ولا أنساه من الدعاء والصدقة فيما بقى من عمرى قال فتصدقت بالالف فلما كانت الجمعة الاخرى أقبلت أريد المسجد فاتيت المقبرة فصليت ركعتين واستندت الى قبر فنمت فاذا أنا بالقوم قد خرجوا واذا بالفتى وعليه ثياب بيض قد جاء فرحا مسرورا حتى دنا منى ثم قال يا صالح جزاك الله عنى خيرا قد وصلت الينا الهدية

(الباب الثانى عشر في زيارة القبور)

روى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال استأذنت ربى في أن أستغفر لها فلم يأذن لى واستأذنته في أن أزور قبرها فاذن لى فزوروا القبور فانها تذكر الموت وروى مسلم أيضا عن بريدة رضى الله عنه قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يعلمهم اذا خرجوا الى المقابر أن يقول قائلهم السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون نسال الله لنا ولكم العافية وقال صلى الله عليه وسلم من زار قبر أبويه أو أحدهما في كل جمعة غفر له وكتب برا وعن ابن سيرين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليموت والداه وهو عاق بهما فيدعو الله لهما من بعدهما فيكتبه الله من البارين وقال صلى الله عليه وسلم ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده الا استأنس به ورد عليه حتى يقوم وقال أبو هريرة رضى الله عنه اذا مر الرجل بقبر الرجل يعرفه فيسلم عليه رد عليه السلام وعرفه واذا مر بقبر لا يعرفه فسلم عليه رد عليه وقال رجل من آل عاصم الجحدرى رأيت عاصما في منامى بعد موته بسنتين فقلت أليس قد مت قال بلى قلت فأين أنت قال أنا والله في روضة من رياض الجنة أنا ونفر من أصحابى نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها الى بكر بن عبد الله المزنى فنتلقى أخباركم قلت أجسامكم أو أرواحكم قال هيهات بليت الاجسام وانما تتلاقى الارواح قال فقلت هل تعلمون بزيارتنا اياكم قال نعم نعلم بها عشية الجمعة ويوم الجمعة كله ويوم السبت الى طلوع الشمس قلت وكيف ذاك دون الايام كلها قال بفضل يوم الجمعة وعظمه وكان محمد بن

فوضعت في كفة فرجح بهم ومع هذا كله فقد كان استغراق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالله تعالى بحيث لا يسع قلبه الخلة مع غيره ولذلك قال لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله وقال الشبلى الحب دهش في لذة وحيرة في تعظيم وقال الشوق نار الله أشعلها في قلوب أوليائه حتى يحرق بها ما في قلوبهم من الخواطر والارادات والحاجات والعوارض فافهم تغنم والله أعلم بالصواب

(الباب السابع والثلاثون في النية والاخلاص والصدق) وقال الله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه والمراد بتلك الارادة النية وقال صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات وقال عليه السلام الناس أربعة رجل آتاه الله تعالى علما ومالا فهو يعمل بعلمه في ماله فيقول رجل لو آتانى الله تعالى مثل ما آتى فلانا كنت أعمل كما عمل فهما في الاجر سواء وفى حديث الاحنف اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال لانه أراد قتل صاحبه وقال عليه الصلاة والسلام من تطيب لغير الله تعالى جاء يوم القيامة وريحه أنتن من الجيفة ومن تطيب لله تعالى جاء يوم القيامة وريحه أطيب من المسك (بيان حقيقة النية) اعلم أن النية والارادة والقصد عبارات متواردة على معنى واحد وهو حال وصفة للقلب يكتنفها أمران علم وعمل العلم له كالتقدمة

واسع رحمه الله يزور يوم الجمعة فقيل له لو أخرت الى الاثنين فقال بلغنى أن الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة ويوما قبله ويوما بعده

(الباب الثانى عشر فى حقيقة الموت)

الذى تدل عليه الآيات والاخبار أن الموت مفارقة الروح للجسد فالروح باقية مدركة منعمة فى الجنة أو معذبة فى النار وأول ماتدركه الروح عند مفارقة الجسد يختلف بحال الانسان فالمؤمن المقبل على الله المتنعم بذكره كان جسده سجنا لروحه وحياته طريقا الى مقصوده وليس له من الدنيا الا بلغة يتزودها فى مسيره فاذا مات فقد خرج من السجن ووصل الى محبوبه الذى يتنعم بذكره ولم يبال بما ترك من الدنيا بعد أن عاين مطلوبه ثم يكشف ثواب طاعاته فيتم سروره وبالعكس منه من كان غافلا عن المولى معرضا عن الاخرى مشتغلا بالدنيا متنعما بزهرتها فهو كسارق دخل فى دار الملك فجعل يأكل ويشرب ويلهو ونسى صولة الملك وبطشه فاذا أخذه وأزعجه عن داره تحسر على مفارقة ما كان فيه من اللذات وانكشف له عاقبة ماقدم من الجنايات قال الله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا أى على شهادة ان لا اله الا الله حتى لحقوا بالله تعالى تتنزل عليهم الملائكة قال ابن عباس رضى الله عنهما عند الموت وقال قتادة ومقاتل اذا خرجوا من قبورهم وقال وكيع البشرى تكون فى ثلاثة مواطن عند الموت وفى القبر وعند البعث أن لا تخافوا من الموت قال مجاهد لا تخافوا ماتقدمون عليه من الآخرة ولا تحزنوا على ماخلفتم من أهل وولد فانا نخلفكم من ذلك كله وقال عطاء بن أبى رباح لا تخافوا ولا تحزنوا على ذنوبكم فانى أغفرها لكم وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون نحن أولياؤكم أنصاركم وأحباؤكم أى فى الدنيا والآخرة وقال السدى تقول الملائكة نحن الحفظة الذين كنا معكم فى الدنيا ونحن أولياؤكم فى الآخرة يقولون لانفارقكم حتى تدخلوا الجنة ولكم فيها ماتشتهى أنفسكم من الكرامات واللذات ولكم فيها ماتدعون تتمنون نزلا رزقا من غفور رحيم وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال مثل المؤمن فى الدنيا كمثل الجنين فى بطن أمه اذا خرج من بطنها بكى على مخرجه حتى اذا رأى الضوء ووضع لم يحب أن يرجع الى مكانه فكذلك المؤمن يجزع من الموت فاذا أفضى الى ربه لم يحب ان يرجع الى الدنيا كما لا يحب ان يرجع الجنين الى بطن أمه عن عمرو بن دينار قال مامن ميت يموت الا وهو يعلم مايكون فى أهله بعده وانهم ليغسلونه ويكفنونه وانه لينظر اليهم وقال صلى الله عليه وسلم لا تفضحوا أمواتكم بسيآت أعمالكم فانها تعرض على أوليائكم من أهل القبور وقال صلى الله عليه وسلم ان الميت يعرف من يغسله ومن يحمله ومن يدليه فى قبره وروى أبو أيوب الانصارى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال نفس المؤمن اذا قبضت تلقاها أهل الرحمة من عند الله تعالى كما يتلقى البشير فى الدنيا يقولون أنظروا أخاكم حتى يستريح فانه كان فى كرب شديد فيسألونه ماذا فعل فلان وما فعلت فلانة وهل تزوجت فلانة فاذا سألوه عن رجل مات قبله فقال مات قبلى قالوا انا لله وانا اليه راجعون ذهب به الى أمه الهاوية ونقل القرطبى رحمه الله عن أبى الحسن القابسى رحمه الله أنه قال الصحيح من المذهب والذى عليه أهل السنة أن الروح ترفعها الملائكة حتى توقفها بين يدى الله تعالى فيسألها فان كانت من أهل السعادة قال سيروا بها وأروها مقعدها من الجنة فيسيرون بها فى الجنة على قدر مايغسل الميت فاذا غسل وكفن ردت وأدرجت بين كفنه وجسده فاذا حمل على النعش فانه يسمع كلام الناس من تكلم بخير ومن تكلم بشر فاذا وصل الى قبره وصلى عليه ردت فيه الروح وأقعد ذا روح وجسد ودخل عليه الملكان الفتانان قال القرطبى الروح جسم لطيف مشابك للاجسام المحسوسة لا يموت ولا يفنى وهو مماله أول وليس له آخر وكل من يقول ان الروح تموت وتفنى فهو ملحد وكذلك من يقول بالتناسخ اذا خرجت من هذا ركبت فى شئ آخر حمار أو كلب أو غير ذلك

(الباب الرابع عشر فى عذاب القبر وسؤال منكر ونكير وما ينفع الميت فى قبره وفيه ثلاثة فصول)

(الفصل الاول فى عذاب القبر) روى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا فرغ أحدكم من التشهد الآخر فليتعوذ بالله من أربع من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مارأيت منزلا فظيعا الا والقبر أفظع

والشرط والعمل يتبعه فالنية هى عبارة عن الارادة المتوسطة بين العلم السابق والعمل اللاحق فيعلم الشئ فتنبعث ارادته ليعمل على وفق العلم وقوله صلى الله عليه وسلم نية المؤمن خير من عمله ونية الفاسق شر من عمله فان قوبل العمل بلا نية والنية بلا عمل فلا شك أن النية بلا عمل خير من العمل بلا نية وان وزن العمل الذى تقدم عليه النية بتلك النية السابقة فالنية أيضا خير لانها هى الارادة المنبعثة من أصل العلم وهى أقرب الى القلب فعلى كل حال نية المؤمن خير من عمله كما نطق به الحديث أما الاعمال فهى منقسمة الى المعاصى والطاعات والمباحات فما كان فى نفسه معصية لا يصير بالنية عبادة أما الطاعات فلابد فيها من النية فلا يصير أصلها طاعة الا بالنية ثم بدوام النية وحسن النية يضاعف درجة الطاعة ورب فعل هو فعل واحد من حيث العدد ويمكن أن يصير بسبب حسن النية عبادات كما لو جلس فى المسجد ونوى زيارة الله سبحانه وتعالى كما ورد فى الخبر ان من قعد فى المسجد فقد زار الله تعالى وحق على المزور أن يكرم الزائر ونوى انتظار الصلاة والمنتظر للصلاة فى الصلاة ونوى الاعتكاف فى المسجد ونوى كف الجوارح عن المعاصى والتحصن بالمسجد ونوى الاستماع الى ذكر الله تعالى وتلاوة القرآن فكل ذلك خيرات تترادف وتكتسب بالنية فاما المباحات فتصير عبادات بحسن النية وهذا منه

وكان عثمان بن عفان رضى الله عنه اذا وقف على قبر بكى حتى بل لحيته فسئل عن ذلك وقيل له تذكر الجنة والنار ولا تبكى وتبكى اذا وقفت على قبر فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان القبر أول منزل من منازل الآخرة فاذا نجا منه صاحبه فما بعده أيسر وان لم ينج منه فما بعده أشد وروى الترمذى عن أبى سعيد قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مصلاه فرأى ناسا كأنهم يكثرون فقال أما انكم لو أكثرتم من ذكر هاذم اللذات الموت فانه لم يأت على القبر يوم الا يتكلم فيقول أنا بيت الغربة أنا بيت الوحدة أنا بيت التراب أنا بيت الدود فاذا دفن العبد المؤمن قال له القبر مرحبا وأهلا اما ان كنت لاحب من يمشى على ظهرى الى فاذ وليتك اليوم وصرت الى فسترى صنيعى بك قال فيتسع له مد بصره ويفتح له باب الى الجنة واذا دفن العبد الفاجر أو الكافر قال له القبر لا مرحبا ولا أهلا أما كنت لأبغض من يمشى على ظهرى الى فاذ وليتك اليوم وصرت الى فسترى صنيعى بك قال فيلتئم عليه حتى تختلف اضلاعه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم باصابعه فادخل بعضها فى بعض قال ويقيض له سبعون تنينا لو أن واحدا منها نفخ فى الارض ما انبتت شيأ ما بقيت الدنيا فينهشنه ويخدشنه حتى يفضى به الى الحساب وقال صلى الله عليه وسلم انما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال المؤمن فى قبره فى روضة خضراء ويرحب له فى قبره سبعون ذراعا ويضىء حتى يكون كالقمر ليلة البدر هل تدرون فيماذا أنزلت فان له معيشة ضنكا قالوا الله ورسوله أعلم قال عذاب الكافر فى قبره يسلط عليه تسعة وتسعون تنينا هل تدرون ما التنين تسعة وتسعون حية لكل حية سبعة رؤس يخدشونه ويلسعونه وينفخون فى جسمه الى يوم يبعثون وقال صلى الله عليه وسلم اذا مات أحدكم عرض عليه مقعده غدوة وعشية ان كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وان كان من أهل النار فمن أهل النار فيقال هذا مقعدك حتى تبعث اليه يوم القيامة وقال أبو ذر رضى الله عنه ألا أخبركم بيوم فقرى يوم أوضع فى قبرى

(الفصل الثانى فى سؤال منكر ونكير) عن أنس رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان العبد اذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه وانه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان ما كنت تقول فى هذا الرجل محمد فاما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له انظر الى مقعدك من النار قد ابدلك الله به مقعدا من الجنة فيراهما جميعا وأما الكافر والمنافق فيقال له ما كنت تقول فى هذا الرجل فيقول لا أدرى كنت أقول مايقول الناس فيقال لا دريت ولا تليت ويضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اقبر الميت أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لاحدهما المنكر وللآخر النكير فيقولان ما كنت تقول فى هذا الرجل فيقول هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا اله الا الله وان محمدا رسوله فيقولان قد كنا نعلم أنك كنت تقول هذا ثم يفسح له فى قبره سبعون ذراعا فى سبعين ثم ينور له فيه ثم يقال له نم فيقول ارجع الى أهلى فاخبرهم فيقولان نم كنومة العروس الذى لا يوقظه الا أحب أهله اليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك وان كان منافقا أو كافرا قال سمعت الناس يقولون قولا فقلت مثله لا أدرى فيقولان قد كنا نعلم انك تقول ذلك فيقال للارض التئمى عليه فتلتئم عليه فتختلف أضلاعه فلا يزال فيها معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك وعن عبد الله الصغانى قال رأيت يزيد بن هرون فى المنام بعد موته بأربع ليال فقلت مافعل الله بك قال تقبل منى الحسنات وتجاوز عنى السيآت قلت وما كان بعد ذلك قال وهل يكون من الكريم الا الكرم غفر لى ذنوبى فادخلنى الجنة قلت بم نلت الذى نلت قال بمجالس الذكر وقولى الحق وصدقى فى الحديث وطول قيامى فى الصلاة وصبرى على الفقر قلت منكر ونكير حق قال اى والله اى والله الذى لا اله الا هو لقد اقعدانى وسألانى من ربك وما دينك ومن نبيك فجعلت أنفض لحيتى البيضاء عن التراب وقلت مثلى يسئل أنا يزيد بن هرون الواسطى كنت فى دار الدنيا ستين سنة أعلم الناس فقال أحدهما صدق هو يزيد بن هارون نم نومة العروس فلا روعة عليك بعد اليوم قال بعض العلماء الحكمة فى سؤال الملكين ان الملائكة طعنت فى بنى آدم بقولهم أتجعل فيها من

الفن ينبغى أن يقع الاعتناء به وفيه تصير جميع الحركات والسكنات عبادات بحسن النية فيفضى به الى أن لا يضيع من عمره لحظة واحدة ويتميز عن البهائم بذلك فان من شأن البهائم الاتيان بما يتفق من غير قصد ونية وقد قال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليسئل يوم القيامة عن كل شئ حتى عن كحل عينيه وعن فتات الطين باصبعيه وعن لبسه ثوب أخيه ومن حافظ على أعماله لتكون على قدر النية ونية الخير كان من المقربين وقد قال الله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقال بعض السلف كتبت كتابا فاردت أن أتربه من منزل جارلى فتحرجت ثم قلت تراب وما تراب فتربته فهتف بى هاتف سيعلم من استخف بتراب مايلقى غدا من سوء الحساب وصلى رجل مع الثورى فرآه منقلب الثوب فعرفه فمد يده ليصلحه ثم قبضها فلم يسوه فسأله عن ذلك قال انى لبسته لله ولا أريد أن أسويه لغير الله وقال الحسن ان الرجل ليتعلق بالجار يوم القيامة فيقول بينى وبينك الله فيقول والله ما أعرفك فيقول بلى أنت أخذت لبنة من حائطى وأخذت خيطا من ثوبى (بيان ان النية لا تدخل تحت الاختيار فنقول) ربما يسمع الجاهل كلامنا فى النية فيقول أنا أنوى أن أدرس لله أو أتجر لله أو آكل لله وهيهات هيهات انما ذلك حديث نفس وانتقال من خاطر الى خاطر والنية بمعزل عن ذلك وانما النية انبعاث النفس وميلها الى

يفسد فيها ويسفك الدماء فقال الله تعالى انى أعلم مالا تعلمون فاذا مات المؤمن بعث الله الى قبره ملكين فيقولان له من ربك وما دينك فيقول ربى الله ودينى الاسلام فيأمرهما الله تعالى و يقول اشهدا بين الملائكة بما سمعتما ثم يقول الله تعالى ياملائكتى انظروا الى عبدى قد أخذت روحه وماله فماله لعدوه وزوجته فى حجر غيره وضيعته فى يد غيره ثم ان الملائكة سألوه فى بطن الارض ولم يذكر غير توحيدى وتنزيهى لتعلموا انى أعلم مالا تعلمون

*(الفصل الثالث فيما ينفع الميت فى قبره) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة يجرى أجرها للعبد بعد موته وهو فى قبره من علم علما أواجرى نهرا أوحفر بئرا أوغرس نخلا أو بنى مسجدا أو ورث مصحفا أوترك ولدا يستغفر له بعد موته وقال صلى الله عليه وسلم من قرأ قل هو الله أحد فى مرضه الذى يموت فيه لم يفتتن فى قبره وأمن من ضغطة القبر وحملته الملائكة يوم القيامة بأكفها حتى تجيزه من الصراط الى الجنة قال كعب الاحبار اذا وضع الرجل الصالح فى قبره احتوشته أعماله الصالحة الصلاة والصوم والحج والجهاد والصدقة قال وتجىء ملائكة العذاب من قبل رجليه فتقول الصلاة اليكم عنه فلا سبيل لكم عليه فقد أطال بى الصلاة فى القيام لله تعالى قال فيأتونه من قبل رأسه فيقول الصيام لا سبيل لكم عليه فقد أطال بى الصيام قال فيأتونه من قبل جسده فيقول الحج والجهاد اليكم عنه فقد أنصب نفسه وأتعب بدنه وحج وجاهد لله عز وجل لا سبيل لكم عليه فيأتونه من قبل يديه فتقول الصدقة كم من صدقة خرجت من هاتين اليدين حتى وضعت فى يد الله عز وجل ابتغاء وجهه فلا سبيل لكم عليه قال فيقال له نم هنيئا طبت حيا وميتا قال فتأتيه ملائكة الرحمة فتفرش له فراشا من الجنة و يفسح له مد بصره و يؤتى بقنديل من الجنة يستضىء بنوره الى يوم يبعثه الله من قبره وروى الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال ضرب رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خباءه على قبر وهو لا يحسب انه قبر فاذا قبر انسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ضربت خبائى على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر فاذا قبر انسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فقال النبى صلى الله عليه وسلم هى المانعة هى المنجية تنجيه من عذاب القبر

(كتاب النفخ فى الصور وأحوال الميت من حين النفخ الى آخر الاستقرار فى الجنة أو النار وفيه اثناعشر بابا)

(الباب الاول فى النفخ فى الصور)

قال الله تعالى ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الارض الآية الصور قرن ينفخ فيه اسرافيل وقال الحسن هو الصور وأول بعضهم كلامه أن الارواح تجمع فى القرن ثم ينفخ فيه فتذهب الارواح الى الاجساد فتحيا الاجساد ففزع من فى السموات ومن فى الارض أى فصعق كما قال فى آية أخرى فصعق من فى السموات ومن فى الارض أى ماتوا والمعنى انه يلقى عليهم الفزع الى أن يموتوا وقيل ينفخ اسرافيل فى الصور ثلاث نفخات نفخة الفزع ونفخة الصعق ونفخة القيام لرب العالمين قوله تعالى الا من شاء الله اختلفوا فى هذا الاستثناء روى عن أبى هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم سأل جبريل عليه السلام عن قوله الا من شاء الله قال هم الشهداء متقلدون أسيافهم حول العرش وروى سعيد بن جبير وعطاء عن ابن عباس هم الشهداء لانهم أحياء عند ربهم لا يصل الفزع اليهم وفى بعض الآثار الشهداء ثنية الله عز وجل الذين استثناهم الله عز وجل وقال الكلبى ومقاتل يعنى جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت فلا يبقى بعد النفخة الا هؤلاء الاربعة ثم يقبض الله روح اسرافيل ثم ملك الموت ثم روح ميكائيل ثم روح جبريل فيكون آخرهم موتا جبريل عليه السلام و روى أن الله تعالى يقول لملك الموت خذ نفس اسرافيل ثم يقول من بقى ياملك الموت فيقول سبحانك ربى تباركت وتعاليت ذا الجلال والاكرام بقى جبريل وميكائيل وملك الموت فيقول خذ نفس ميكائيل فيقع كالطود العظيم فيقول من بقى فيقول سبحانك وتعاليت بقى جبريل وملك الموت فيقول مت ياملك الموت فيموت ثم يقول ياجبريل من بقى فيقول تباركت وتعاليت ذا الجلال والاكرام بقى وجهك الباقى الدائم وجبريل الميت الفانى قال ياجبريل لابد من موتة فيقع ساجدا يخفق بجناحه فيروى

ما ظهر لها من الغرض المطلوب المهم له اما عاجلا أو آجلا والميل مالم يكن فى الباطن لا يمكن اكتسابه واختراعه بالكسب والتكلف بل ذلك يرجع حاصله الى نقل خاطر من شئ الى شئ كما يقول الشبعان نويت أن أجوع وآكل بسبب الجوع أو يقول الفارغ نويت أن أعشق فلانا أو أحب أو أحترم وليس ذلك فى باطنه فهو محال فما لم يتقدم سبب ذلك لا يتصور انبعاث النفس اذ الانبعاث اجابة للداعية والغرض الباعث وهذا مثاله النكاح فان من غلبت الشهوة عليه وأراد النكاح ثم أراد أن يتكلف نية الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته ونية الولد الصالح فذلك لا يتأتى لانه ليس فى باطنه هذه البواعث بل فى باطنه الشهوة فحسب وقد نقل عن بعض السلف التأخر عن جملة من القربات لتخلف النية حتى أن ابن سيرين تخلف عن الصلاة على الحسن البصرى فقال ليس يحضرنى نية ومات حماد بن سليمان وكان من أعيان علماء الكوفة فقيل للثورى ألا تشهد جنازته فقال لو كانت لى نية لفعلت وكان طاوس لا يحدث الا بنية فكان يسئل أن يحدث فلا يحدث فقيل له فى ذلك فقال أتحبون أن أحدث بغير نية اذا حضرتنى نية فعلت وقيل لطاوس أدع لنا فقال حتى أجد له نية *(فصل فى الاخلاص)* قال الله تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين

ان

ان فضل خلقه على خلق ميكائيل كالطود العظيم على الظرب من الظراب و يروى أنه يبقى مع هؤلاء حملة العرش فيقبض روح جبريل وميكائيل ثم أرواح حملة العرش ثم روح اسرافيل ثم روح ملك الموت وقال الضحاك هو رضوان والحور ومالك والزبانية وقيل عقارب النار وحياتها وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين النفختين أربعون قالوا ياأبا هريرة أربعون يوما قال أبيت قالوا أربعون شهرا قال أبيت قالوا أربعون سنة قال أبيت ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل قال وليس من الانسان شئ الا يبلى الا عظما واحدا وهو عجب الذنب ومنه يركب الانسان يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم كيف أنعم وصاحب الصور قد التقمه وأصغى سمعه وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر بالنفخ فقالوا يارسول الله وما تأمرنا قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل

(الباب الثانى فى البعث من القبور)

قال الله تعالى ونفخ فى الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون أى يخرجون من القبور أحياء ومنه قيل للولد نسل لخروجه من بطن أمه قالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا قال أبو هريرة وابن عباس رضى الله عنهما اذا مات الناس كلهم فى النفخة الاولى أرسل الله عليهم مطرا كمنى الرجال من ماء تحت العرش يدعى ماء الحيوان فينبتون فى قبورهم نبات الزرع حتى اذا استكملت أجسادهم نفخ فيهم الروح ثم تلقى عليهم نومة فينامون فى قبورهم ثم يحشرون بالنفخة الثانية وهم يجدون طعم النوم فى رؤسهم وأعينهم فعند ذلك يقولون ياويلنا من بعثنا من مرقدنا وقال تعالى هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون أقروا حين لم ينفعهم الاقرار وقيل قال الملائكة لهم هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون وقال مجاهد يقول الكفار من بعثنا من مرقدنا فيقول المؤمنون هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون قال عكرمة ان الذين يغرقون فى البحر تقتسم لحومهم الحيتان فلا يبقى منهم شئ الا العظام فتلقيها الامواج الى الساحل فتمكث حينا ثم تصير حائلة نخرة ثم تمر بها الابل فتأكلها ثم تسير الابل فتبعر ثم يجىء قوم فينزلون فيأخذون ذلك البعر فيوقدونه ثم تخمد تلك النار فيجىء ريح فتلقى ذلك الرماد على الارض فاذا جاءت النفخة فاذا هم قيام ينظرون يخرج أولئك وأهل القبور سواء ان كانت الاصيحة واحدة أى نفخة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون ونقل القرطبى عن الحليمى ان الحمل الذى لم ينفخ فيه قط اذا سقط يكون مع الوحوش ترابا ولم يبتدأ احياؤه لان اليوم يوم الاعادة فمن لم يمت فى الدنيا لم يحى فى الآخرة وقال الله تعالى واستمع يوم ينادى المنادى من مكان قريب أى واستمع يامحمد صيحة القيامة والنشور يوم ينادى المنادى يعنى اسرافيل عليه السلام ينادى بالحشر ياأيتها العظام البالية والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله عز وجل يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء من مكان قريب من صخرة بيت المقدس وهى وسط الارض قال الكلبى هى أقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا يوم يسمعون الصيحة بالحق وهى النفخة الاخيرة ذلك يوم الخروج من القبور قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرنى جبريل عليه السلام أن لا اله الا الله أنس للمسلم عند موته وفى قبره وحين يخرج من قبره يامحمد لو تراهم حين يمرقون من قبورهم ينفضون رؤسهم هذا يقول لا اله الا الله والحمد لله فتبيض وجوههم وهذا ينادى ياحسرتا على ما فرطت فى جنب الله مسودة وجوههم

(الباب الثالث فى الحشر)

قال الله تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا قال ابن عباس ركبانا وقال أبو هريرة رضى الله عنه على الابل وقال على بن أبى طالب ما يحشرون والله على أرجلهم ولكن على نوق رحالها الذهب ونجائب سروجها يواقيت ان هموا بها سارت وان هموا طارت ونسوق المجرمين أى الكافرين الى جهنم وردا أى مشاة وقيل عطاشى قد تقطعت أعناقهم من العطش والورد جماعة يردون الماء لا يرد أحد الماء الا بعد العطش لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا يعنى للمؤمنين كقوله لا يشفعون الا لمن ارتضى قيل لا يشفع الا لمن شهد أن لا اله الا الله أى لا يشفع الا المؤمن وقال صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم

وقال تعالى ألا لله الدين الخالص وقال عليه الصلاة والسلام يقول الله تعالى الاخلاص سر من سرى استودعته قلب من أحببته من عبادى وكان فى بنى اسرائيل رجل عابد كان يعبد الله تعالى دهرا طويلا فجاءه قوم فقالوا ان ههنا قوما يعبدون شجرة من دون الله تعالى فغضب لذلك فأخذ فأسه على عاتقه وقصد الشجرة ليقطعها فاستقبله ابليس فى صورة شيخ فقال أين تريد قال أريد أن أقطع هذه الشجرة فقال وما أنت وذاك تركت عبادتك واشتغالك بنفسك وتفرغت لغير ذلك قال ان هذا من عبادتى قال انى لا أتركك أن تقطعها فقاتله فأخذه العابد وطرحه على الارض وقعد على صدره فقال ابليس أطلقنى حتى أكلمك فقام عنه وقال له ابليس ياهذا ان الله تعالى قد أسقط عنك هذا ولم يفرضه عليك أنت ما تعبدها وما عليك من غيرك ولله تعالى أنبياء فى الارض ولو شاء لبعثهم الى أهلها وأمرهم بقطعها فقال العابد لابد لى من قطعها فنابذه للشيطان فغلبه العابد وصرعه وقعد على صدره فعجز ابليس فقال له هل لك فى أمر يفصل بينى وبينك وهو خير لك وأنفع قال وما هو قال أطلقنى حتى أقول لك فأطلقه فقال ابليس أنت رجل فقير لا شئ لك انما أنت كل على الناس يعولونك ولعلك تحب أن تتفضل على اخوانك وتواسى جيرانك وتشبع وتستغنى عن الناس قال نعم قال فارجع عن هذا الامر ولك على أن أجعل عند

القيامة ثلاثة أصناف صنفا مشاة وصنفا ركبانا وصنفا على وجوههم قيل يارسول الله وكيف يمشون على وجوههم قال ان الذى أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم أما انهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك وقال صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقى ليس فيها علم لاحد رواه مسلم وعن عائشة رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا قلت يارسول الله الرجال والنساء جميعا ينظر بعضهم الى بعض قال ياعائشة الامر أهم من أن ينظر بعضهم الى بعض رواه البخارى ومسلم قوله غرلا أى غير مختونين وروى أبوداود عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه لما حضرته الوفاة دعا بثياب جدد فلبسها وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الميت يبعث فى ثيابه التى يدفن فيها قال ابن عبد البر وقد يحتج بهذا الحديث من قال ان الموتى يبعثون على هيآتهم وحمله الاكثر من العلماء على الشهيد الذى أمران يزمل فى ثيابه ويدفن بها ولا يغسل عنه دمه ولا يغير عنه شئ من حاله بدليل حديث عائشة رضى الله عنها قالوا ويحتمل أن يكون أبوسعيد سمع الحديث فى الشهيد فتأوله على العموم وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال قلت يارسول الله أرأيت قول الله يوم ينفخ فى الصور فتأتون أفواجا فقال النبى صلى الله عليه وسلم يامعاذ بن جبل لقد سألت عن أمر عظيم ثم أرسل عينيه بالبكاء ثم قال يحشر عشرة أصناف من أمتى أشتاتا قد ميزهم الله من جماعات المسلمين وبدل صورهم فمنهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون أرجلهم أعلاهم ووجوههم يسحبون عليها وبعضهم عمى يترددون وبعضهم صم بكم لا يعقلون وبعضهم يمضغون ألسنتهم مدلاة على صدورهم يسيل القيح من أفواههم لعابا يتقذرهم أهل الجمع وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من النار وبعضهم أشد نتنا من الجيف وبعضهم يلبسون جلابيب سابغة من القطران فأما الذين هم على صورة القردة فالقتات بين الناس يعنى النمام وأما الذين على صورة الخنازير فأهل السحت والحرام والمكس والمنكسون رؤسهم ووجوههم فأكلة الربا والعمى من يجور فى الحكم والصم والبكم الذين يعجبون بأعمالهم والذين يمضغون ألسنتهم فالعلماء والقضاة الذين يخالف قولهم فعلهم والمقطعة أيديهم وأرجلهم فالذين يؤذون الجيران والمصلبون على جذوع من نار فالسعاة بالناس الى السلطان والذين هم أشد نتنا من الجيف فالذين يتمتعون بالشهوات واللذات ويمنعون حق الله من أموالهم والذين يلبسون الجلابيب فأهل الكبر والفخر والخيلاء وعن المقداد رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تدنو الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل قال سليمان ابن عامر الراوى عن المقداد فوالله ما أدرى ما يعنى بالميل أمسافة الارض أم الميل الذى تكحل به العين فيكون الناس على قدر أعمالهم فى العرق فمنهم من يكون الى كعبيه ومنهم من يكون الى ركبتيه ومنهم من يكون الى حقويه ومنهم من يلجمهم العرق الجاما وأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده الى فيه رواه مسلم وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم فى الارض سبعين ذراعا ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم رواه البخارى ومسلم وعنه رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ تحدث أخبارها قال أتدرون ما أخبارها قالوا الله ورسوله أعلم قال فان أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها تقول عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا فهذه أخبارها رواه الترمذى وقال حديث حسن وقال صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد يموت لا ندم قالوا وما ندامته يارسول الله قال ان كان محسنا ندم أن لا يكون ازداد برا وان كان مسيئا ندم أن لا يكون نزع وقال الفراء رحمه الله فى قوله تعالى ولا أقسم بالنفس اللوامة ليس من نفس برة ولا فاجرة الا وهى تلوم نفسها ان كانت عملت خيرا قالت هلا ازددت وان عملت شرا قالت ياليتنى لم أفعل وقال كعب الاحبار رحمه الله لو أن رجلا عمل عمل سبعين نبيا لا ستقله يوم القيامة لما يرى من أهوال ذلك اليوم وعوتب بعض الصالحين فى كثرة اجتهاده فقال وما هذا فى جنب ما يراه الخلق من ملاقاة الاهوال وهم غافلون قد

وأسلك كل ليلة دينارين اذا أصبحت أخذتهما فانفقت على نفسك وعيالك وتصدقت على اخوانك و يكون ذلك أنفع لك وللمسلمين من قطع هذه الشجرة التى يغرس مكانها ولا يضرهم قطعها ولا ينفع اخوانك المؤمنين قطع هذه الشجرة فتفكر العابد فيما قال وقال صدق الشيخ لست نبيا فيلزمنى قطع هذه الشجرة ولا أمرنى الله تعالى أن أقطعها فأكون عاصيا بتركها وما ذكره أكثر منفعة فعاهده على الوفاء بذلك وحلف له فرجع العابد الى متعبده فلما أصبح رأى دينارين عند رأسه فأخذهما وكذلك الغد ثم أصبح اليوم الثالث وما بعده فلم ير شيأ فغضب وأخذ فاسه على عاتقه فاستقبله ابليس فى صورة الشيخ فقال الى أين فقال أقطع تلك الشجرة فقال كذبت والله ما أنت بقادر عليها ولا سبيل لك اليها قال فتناوله العابد ليأخذه كما فعل أول مرة فقال هيهات فأخذه ابليس وصرعه فاذا هو كالعصفور بين رجليه وقعد ابليس على صدره وقال لتنتهين عن هذا الامر والا قتلتك فنظر العابد فاذا لا طاقة له به فقال ياهذا غلبتنى خل عنى وأخبرنى كيف غلبتك أول مرة وغلبتنى الآن فقال لانك غضبت أول مرة لله تعالى وكانت نيتك الآخرة فسخرنى الله تعالى لك وهذه المرة غضبت لنفسك والدنيا فصرعتك وهذه الحكاية تصديق لقوله تعالى الا عبادك منهم المخلصين وكان

اشتغلوا

معروف يضرب نفسه و يقول يا نفس اخلصى تخلصى (بيان حقيقة الاخلاص) اعلم أن كل شئ يتصور أن يشوبه غيره

اشتغلوا بحظوظ نفوسهم ونسوا حظهم الاكبر من ربهم وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن يوم القيامة يكون على الكافر مقدار خمسين ألف سنة وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها فى الدنيا

(فصل فيما ينفع العباد اذا عاينوا هذه الاهوال الشداد) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشأ فى عبادة الله عز وجل ورجل قلبه معلق بالمساجد ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال انى أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه رواه البخارى وقال صلى الله عليه وسلم من فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم من أقر عين مؤمن أقر الله عينه يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم ان لله عبادا خلقهم لحوائج الناس آل على نفسه أن لا يعذبهم بالنار واذا كان يوم القيامة وضعت لهم منابر من نور يحدثون الله عز وجل والناس فى الحساب وقال صلى الله عليه وسلم ان أنجاكم يوم القيامة من أهوالها ومواطنها أكثركم صلاة على وقال صلى الله عليه وسلم من أنظر معسرا أو وضع له أظله الله يوم القيامة تحت ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله وقال صلى الله عليه وسلم كل امرئ فى ظل صدقته حتى يقضى بين الناس وقال صلى الله عليه وسلم صدقة السر تطفئ غضب الرب وقال عبيد بن عمير يحشر الناس يوم القيامة أجوع ما كانوا وأعطش ما كانوا فمن أطعم فى الدنيا أطعمه الله ومن سقى سقاه الله ومن كسا كساه الله

(فصل فى قوله تعالى وامتازوا اليوم أيها المجرمون) قيل اذا كان يوم القيامة نادى مناد امتازوا اليوم أيها المجرمون يعنى اعتزلوا أيها الكفار من المؤمنين ويقال ان المنادى ينادى أيها المجرمون امتازوا فان المؤمنين قد فازوا أيها المنافقون امتازوا فان المخلصين قد فازوا أيها الفاسقون امتازوا فان الصالحين قد فازوا أيها العاصون امتازوا فان المطيعين قد فازوا ثم يقال للكافرين والمنافقين بعد ما امتازوا ألم أعهد اليكم يابنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين يعنى أن لا تطيعوا الشيطان قال ابن عباس من أطاع شيأ فقد عبده انه لكم عدو مبين أى بين العداوة وأن اعبدونى أى أطيعونى ووحدونى هذا صراط مستقيم يعنى هذا التوحيد طريق مستقيم ويقال دين الاسلام هو طريق مستقيم لا عوج فيه وهو طريق الجنة وقيل لابراهيم بن أدهم رحمه الله لو جلست حتى نسمع منك شيأ فقال انى مشتغل بأربعة أشياء فلو فرغت منها لجلست لكم قيل وما هى قال (أولها) انى تفكرت فى يوم الميثاق حين أخذ الميثاق من بنى آدم وقال هؤلاء فى الجنة ولا أبالى وهؤلاء فى النار ولا أبالى فلا أدرى من أى الفريقين كنت (والثانى) تفكرت بأن الولد اذا قضى أن يخلقه الله تعالى فى بطن أمه ونفخ فيه الروح قال الملك الذى وكل به يارب أشقى أم سعيد فلم أدر كيف خرج جوابى فى ذلك الوقت (الثالث) حين ينزل ملك الموت فاذا أراد أن يقبض الروح فيقول يارب مع الاسلام أو مع الكفر فلا أدرى كيف يخرج جوابى (والرابع) تفكرت فى قول الله تعالى وامتازوا اليوم أيها المجرمون فلا أدرى من أى الفريقين أكون

(الباب الرابع فى الحساب وسؤال العبد عن أعماله)

قال الله تعالى وكفى بنا حاسبين وقال تعالى ينبؤ الانسان يومئذ بما قدم وأخر قال ابن عباس وابن مسعود بما قدم قبل موته من عمل صالح أو سيئ وما أخر بعد موته من سنة حسنة أو سيئة يعمل بها وقال عطية عن ابن عباس بما قدم من المعصية وأخر من الطاعة وقال قتادة بما قدم من طاعة الله وأخر من حق الله تعالى فضيعه وقال زيد بن أسلم بما قدم من ماله لنفسه وما أخر خلفه للورثة وقال مجاهد بأول عمله وآخره وقال عطاء بما قدم فى أول عمره وأخر فى آخر عمره وقال صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد الا سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى الا ما قدم وينظر بين يديه فلا يرى الا النار تلقاء وجهه

فاذا صفى عن شوبه وتخلص عنه سمى خالصا ويسمى الفعل المصفى المخلص اخلاصا قال الله تعالى من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين فاذا خلص الفعل عن الرياء وكان لله تعالى كان خالصا (بيان أقاويل المشايخ فى الاخلاص) قال السوسى الاخلاص فقد رؤية الاخلاص لان من شاهد فى اخلاصه الاخلاص احتاج اخلاصه الى اخلاص وقيل لسهل أى شئ أشد على النفس فقال الاخلاص اذ ليس لها فيه نصيب وقال الاخلاص سكون العبد وحركاته لله تعالى خاصة وقال الجنيد الاخلاص تصفية الاعمال من الكدرات وقال الفضيل ترك العمل من أجل الناس رياء والعمل من أجل الناس شرك والاخلاص أن يعافيه الله تعالى عنهما وقيل الاخلاص دوام المراقبة ونسيان الحظوظ كلها والله أعلم (بيان حقيقة الصدق) قال الله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقال عليه الصلاة والسلام ان الصدق يهدى الى البر والبر يهدى الى الجنة وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا وان الكذب يهدى الى الفجور وان الفجور يهدى الى النار وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا وقال تعالى فى معرض

فاتقوا النار ولو بشق تمرة وقال صلى الله عليه وسلم لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة حتى يسئل عن خمس عن عمره فيم أفناه وعن شبابه فيم أبلاه وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وما عمل فيما علم وقال صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه وتعالى يدنى المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره فيقول أتعرف ذنب كذا أتعرف ذنب كذا فيقول نعم أى رب حتى قرره بذنوبه ورأى فى نفسه أنه هلك قال سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته وأما المنافق والكافر فينادى بهم على رؤس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين وعن أنس رضى الله عنه قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال هل تدرون مما أضحك قال قلنا الله ورسوله أعلم قال من مخاطبة العبد ربه يقول يا رب ألم تجرنى من الظلم قال يقول بلى قال فيقول انى لا أجيز على نفسى الا شاهدا منى قال فيقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين شهودا قال فيختم على فيه فيقال لاركانه انطقى قال فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام قال فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل ويروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يؤتى بالعبد يوم القيامة فيوقف بين يدى الله تعالى فيعدد عليه نعمه فيقول له يا عبدى أما أسبغت عليك نعمتى أما الاطفتك بجودى ومنتى فيقول يا رب قد كان جميع ذلك فيقول الله تعالى هل كنت ذاكرا ليومك هذا ومستعدا للعرض على فيقول يا رب شغلتنى الحياة وأسكرتنى الشهوات فيؤمر به الى النار ويقول فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا انا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون وقال صلى الله عليه وسلم يجاء بابن آدم يوم القيامة فيوقف بين يدى الله تعالى فيقول أعطيتك وخولتك وأنعمت عليك فماذا صنعت فيقول يا رب جمعته وثمرته فتركته أكثر ما كان فارجعنى آتك به فيقول الله تعالى له أرنى ما قدمت فيقول يا رب جمعته وثمرته فتركته أكثر ما كان فارجعنى آتك به فاذا عبد لم يقدم خيرا فيمضى به الى النار وقال ابن مسعود رضى الله عنه ما منكم من أحد الا سيخلو الله به كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر ثم يقول يا ابن آدم ما غرك بى يا ابن آدم ماذا عملت فيما علمت ماذا أجبت المرسلين يا ابن آدم ألم أكن رقيبا على عينيك وأنت تنظر بهما الى ما لا يحل لك ألم أكن رقيبا على أذنيك وهكذا على سائر الاعضاء وقال صلى الله عليه وسلم أول ما يسئل عنه يوم القيامة يعنى العبد ان يقال له ألم أصح لك جسمك وأروك من الماء البارد وقال صلى الله عليه وسلم ما من عبد يخطو خطوة الا يسئل عنها ما أراد بها وقال صلى الله عليه وسلم يؤتى بالقاضى العدل يوم القيامة فيلقى من شدة الحساب ما يتمنى انه لم يقض بين اثنين فى تمرة قط وقال صلى الله عليه وسلم أول ما يحاسب عليه العبد الصلاة وأول ما يقضى بين الناس فى الدماء وعن جابر رضى الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال خرج من عندى خليلى جبريل آنفا فقال يا محمد والذى بعثك بالحق ان لله عبدا من عباده عبد الله خمسمائة سنة على رأس جبل فى البحر عرضه وطوله ثلاثون ذراعا فى ثلاثين ذراعا والبحر محيط به أربعة آلاف فرسخ من كل ناحية وأخرج له عينا عذبة بعرض الاصبع تبض بماء عذب فيستنقع فى أسفل الجبل وشجرة رمان تخرج فى كل ليلة رمانة يتعبد يومه فاذا أمسى نزل فأصاب من الوضوء وأخذ تلك الرمانة فأكلها ثم قام لصلاته فسأل ربه عند انقضاء الاجل أن يقبضه ساجدا وأن لا يجعل للارض ولا لشئ يفسده عليه سبيلا حتى يبعثه وهو ساجد قال ففعل فنحن نمر عليه اذا هبطنا واذا خرجنا فنجد له فى العلم انه يبعث يوم القيامة فيوقف بين يدى الله فيقول له الرب أدخلوا عبدى الجنة برحمتى فيقول رب بل بعملى فيقول الله قايسوا عبدى بنعمتى عليه وبعمله فتوجد نعمة البصر قد أحاطت بعبادته خمسمائة سنة وبقيت نعمة الجسد فضلا عليه فيقول أدخلوا عبدى النار فينادى رب برحمتك أدخلنى الجنة فيقول ردوه فيوقف بين يديه فيقول يا عبدى من خلقك ولم تك شيأ فيقول أنت يا رب فيقول من قواك على العبادة خمسمائة سنة فيقول أنت يا رب فيقول من أنزلك فى جبل فى وسط اللجة وأخرج لك الماء العذب من الماء المالح وأخرج لك كل ليلة رمانة وانما تخرج مرة فى السنة وسألته أن يقبضك ساجدا ففعل فيقول أنت يا رب قال فذلك برحمتى

المدح واذكر فى الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا (بيان معنى الصديق) اعلم أن لفظ الصدق مستعمل فى ستة مواضع صدق فى القول وصدق فى النية والارادة وصدق فى العزم وصدق فى الوفاء بالعزم وصدق فى العمل وصدق فى تحقيق مقامات الدين كلها فمن اتصف بالصدق فى جميع ذلك فهو صديق لانه مبالغة من الصدق وبقدر ما يتمكن من هذه المقامات فهو صادق بالنسبة اليه والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

(الباب الثامن والثلاثون فى المراقبة والمحاسبة)

اعلم أن الايمان بالحساب يوم العرض الاكبر يوجب تعجيل المحاسبة والاستعداد قال عليه الصلاة والسلام حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وقال الله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيأ وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين وقال تعالى مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها وقال تعالى واعلموا أن الله يعلم ما فى أنفسكم فاحذروه واعلم أن من حاسب نفسه على اللحظات والخطرات خفت فى القيامة حسراته ومن لم يحاسب نفسه دامت حسراته وكثرت فى عرصات القيامة وقفاته وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا فرابطوا أنفسكم أولا بالمشارطة ثم بالمراقبة ثم بالمحاسبة ثم بالمعاقبة ثم بالمجاهدة ثم بالمعاتبة فهذه ست مقامات

ويرجى

ويرجى أدخلك الجنة أدخلوا عبدى الجنة فنعم العبد كنت يا عبدى فادخله الجنة قال جبريل انما الاشياء برحمة الله يا محمد رواه الحاكم عن سليمان بن هرم عن محمد بن المنكدر عن جابر وقال صحيح الاسناد ذكر هذا الحديث المنذرى رحمه الله فى كتاب الترغيب والترهيب

(الباب الخامس فى الكتب)

قال الله تعالى وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه قال ابن عباس رضى الله عنهما عمله وما قدر عليه فهو ملازمه أينما كان وقال الكلبى ومقاتل خيره وشره معه لا يفارقه حتى يحاسب به وعن مجاهد ما من مولود يولد الا وفى عنقه ورقة مكتوب فيها شقى أو سعيد وفى الآثار أن الله تعالى يأمر الملك أن يطوى الصحيفة اذا تم عمر العبد فلا تنشر الى يوم القيامة اقرأ كتابك أى يقال له اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا محاسبا قال قتادة سيقرأ يومئذ من لم يكن قارئا فى الدنيا وقال تعالى ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها قال ابن عباس الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة وقال سعيد بن جبير الصغيرة اللمم والمسيس والقبلة والكبيرة الزنا الا أحصاها عدها وقال السدى كتبها وأثبتها عن سهل بن سعد رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم ومحقرات الذنوب فانما مثل محقرات الذنوب مثل قوم نزلوا بطن واد فجاء هذا بعود وهذا بعود فأنضجوا خبزتهم وان محقرات الذنوب لموبقات وقال صلى الله عليه وسلم يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فأما عرضتان فجدال ومعاذير وأما العرضة الثالثة فعند ذلك تطير الصحف فى الايدى فآخذ بيمينه وآخذ بشماله وقال صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليؤتى كتابه منشورا فيقول يا رب فأين حسنات كذا وكذا عملتها ليست فى صحيفتى فيقول له قد محيت باغتيابك الناس رواه الاصبهانى

(الباب السادس فى الميزان)

قال الله تعالى والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون قوله تعالى والوزن يومئذ الحق يعنى يوم السؤال قال مجاهد معناه والقضاء يومئذ العدل وقال الآخرون أراد به وزن الاعمال بالميزان وذلك أن الله تعالى ينصب ميزانا له لسان وكفتان كل كفة بقدر ما بين المشرق والمغرب واختلفوا فى كيفية الوزن فقال بعضهم توزن صحائف الاعمال ويدل له ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ان رجلا ينشر عليه تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر فتخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة وقيل توزن الاشخاص ويدل لهذا القول ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ليأتى الرجل السمين العظيم يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة وقيل توزن الاعمال روى ذلك عن ابن عباس رضى الله عنهما فيؤتى بالاعمال الحسنة على صورة حسنة وبالاعمال السيئة على صورة قبيحة فتوضع فى الميزان والحكمة فى وزن الاعمال امتحان الله عباده بالايمان به فى الدنيا واقامة الحجة عليهم فى العقبى وروى أن داود عليه السلام سأل ربه أن يريه الميزان فأراه كل كفة ما بين المشرق والمغرب فغشى عليه وقال الهى من الذى يقدر أن يملأ كفته حسنات فقال يا داود اذا رضيت عن عبدى ملأتها بتمرة واحدة وعن عائشة رضى الله عنها أنها ذكرت النار فبكت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك قالت ذكرت النار فبكيت هل تذكرون أهليكم يوم القيامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما فى ثلاث مواطن فلا يذكر أحد أحدا عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل وعند الكتب حين يقال هاؤم اقرؤا كتابيه حتى يعلم أين يقع كتابه فى يمينه أم فى شماله أم من وراء ظهره وعند الصراط اذا وضع بين ظهرانى جهنم وعن أنس رضى الله عنه قال يؤتى بابن آدم يوم القيامة حتى يوقف بين كفتى الميزان ويوكل به ملك فان ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدا وان خف ميزانه نادى بصوت يسمع الخلائق شقى فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبدا

ونحن نشرح ذلك المقام الاول المشارطة اعلم أن العقل هو التاجر فى طريق الآخرة وشريكه النفس اذ بمعاونتها يصل الى المقصود وهذا الشريك لا يؤدى الامانة ان خلى ورأيه الاحياء ورياء فيحتاج العقل الى مشارطته أولا ومراقبته ومعاقبته بعد ذلك فيوظف عليه الامر ويشرط عليه الشروط ويرشده الى طريق الفلاح ويجزم عليه الامر (المقام الثانى) المراقبة لانه اذا كانت النفس كالشريك الخائن فلا سبيل الى اهمالها لحظة لئلا تخون فيفسد رأس المال فضلا عن الربح فاذا لابد من المراقبة على الدوام فى السكنات والحركات واللحظات قال عليه الصلاة والسلام اعبد الله تعالى كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وقال تعالى ان الله كان عليكم رقيبا وقال المرتعش المراقبة مراعاة السر بملاحظة الغيب مع كل لحظة ولفظة (المقام الثالث) محاسبة النفس بعد العمل قال الله تعالى ولتنظر نفس ما قدمت لغد وفى الخبر ينبغى أن يكون للعاقل أربع ساعات منها ساعة يحاسب فيها نفسه وعن عمر رضى الله عنه انه كان يضرب قدميه بالدرة اذا جن الليل ويقول لنفسه ماذا عملت فقد علمت بهذا أنه ينبغى لك أن تحاسب نفسك فى آخر النهار على عمل اليوم (المقام الرابع المعاقبة) وذلك بان يظهر تقصير النفس فى الطاعات وارتكابها المعاصى بعد الحساب فلا ينبغى أن يهمل لانه ان أهملها سهل عليها الرجوع

وقال صلى الله عليه وسلم من قضى حاجة لأخيه كنت واقفا عند ميزانه فان رجح والا شفعت له

(الباب السابع في التقاء الخصوم ورد المظالم)

قال ميمون بن مهران في قوله تعالى لينذر يوم التلاق أى يلتقى فيه الظالم والمظلوم والخصوم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو بشئ فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون درهم ولا دينار ان كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وان لم يكن له حسنات أخذ من سيآت صاحبه فحمل عليه وقال صلى الله عليه وسلم هل تدرون من المفلس قالوا المفلس فينا يارسول الله من لا درهم له ولا متاع فقال المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتى قد شتم هذا وقذف هذا وأخذ مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار وقال ابن مسعود رضى الله عنه يؤخذ بيد العبد والامة فيقف على رؤس الاولين والآخرين ثم ينادى مناد هذا فلان بن فلان فمن كان له حق فليأت الى حقه فتفرح المرأة بان يكون لها الحق على ابنها أو أخيها أو أبيها أو على زوجها ثم قرأ ابن مسعود فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فيقول الرب للعبد آت هؤلاء حقوقهم فيقول يارب فنيت الدنيا فمن أين أوتيهم فيقول للملائكة خذوا من أعماله الصالحة فاعطوا كل انسان بقدر طلبته فان كان وليا لله فضلت من حسناته مثقال حبة من خردل من خير ضاعفها حتى يدخله بها الجنة ثم قرأ ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان كان عبدا شقيا قالت الملائكة رب فنيت حسناته وبقى طالبون فيقول للملائكة خذوا من أعمالهم السيئة فاضيفوها الى سيآته وصكوا له صكا الى النار وعن عائشة رضى الله عنها ان رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس بين يديه فقال يارسول الله ان لى مملوكين يكذبوننى ويخونوننى ويعصوننى وأضربهم وأشتمهم فكيف أنا منهم يارسول الله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كان عقابك اياهم بحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك وعقابك اياهم دون ذنوبهم كان فضلا لك وان كان عقابك اياهم بقدر ذنوبهم كان كفافا لا لك ولا عليك وان كان عقابك اياهم فوق ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل الذى بقى قبلك فجعل الرجل يبكى بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويهتف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك ما تقرأ كتاب الله ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيأ وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين فقال الرجل يارسول الله ما أجد شيأ خيرا من فراق هؤلاء يعنى عبيده أشهدك أنهم كلهم أحرار رواه أحمد والترمذى وقال صلى الله عليه وسلم انه ليكون للوالدين على ولدهما دين فاذا كان يوم القيامة يتعلقان به فيقول أنا ولدكما فيودان أو يتمنيان لو كان أكثر من ذلك وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال كنا نسمع أن الرجل يتعلق بالرجل يوم القيامة وهو لا يعرفه فيقول مالك الى وما بينى وبينك معرفة فيقول كنت ترانى على المعصية وعلى المنكر فلا تنهانى

(الباب الثامن فى حشر البهائم واقتصاص بعضها من بعض)

قال الله تعالى وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم قال مجاهد أصناف مصنفة تعرف باسمائها يريد أن كل جنس من الحيوان أمة فالطير أمة والدواب أمة والسباع أمة عن عبد الله بن مغفل عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لولا أن الكلاب أمة لامرت بقتلها فاقتلوا منها كل أسود بهيم وقيل يقضى بعضهم على بعض وقيل فى الخلق والموت والبعث وقال ابن قتيبة أمثالكم فى طلب الغذاء وابتغاء الرزق وتوقى المهالك وقال عطاء أمثالكم فى التوحيد والمعرفة ما فرطنا فى الكتاب أى فى اللوح المحفوظ من شئ ثم الى ربهم يحشرون قال ابن عباس والضحاك حشرها موتها قال أبو هريرة يحشر الله الخلق كلهم يوم القيامة البهائم والدواب والطير وكل شئ فيبلغ من عدل الله تعالى أن يأخذ للجماء من القرناء ثم يقول كونى ترابا فحينئذ يتمنى الكافر ويقول ياليتنى كنت ترابا عن أبى هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لتؤدن الحقوق الى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجماء من القرناء قال النووى هذا

الى مثلها فاذا اظهر منها أكل لقمة بشبهة فليعاقبها بالجوع واذا نظرت الى غير محرم فليعاقبها بمنع النظر ومنع النوم وكذا يعاقب كل طرف من أطرافه اذا طغى بمنع شهوته كذلك نقل عن سالكى طريق الآخرة (المقام الخامس المجاهدة) وذلك بان تظهر خيانتها فيعاقبها فلعلها لا تحتمل ولا تطيع فجاهدها وحملها على المجاهدات الشاقة مثلا لو توانى عن صلاة الجماعة أو عن الاتيان بنافلة فيلزمها احياء ليلة وان أبت فعلاجها أن تتلو على نفسك ما ورد من الاخبار والآيات فى فضل المجاهدة (المقام السادس المعاتبة) اعلم أن أعدى عدولك نفسك التى بين جنبيك فقد خلقت أمارة بالسوء ميالة الى الشر فرارة من الخير وأنت مامور بمجاهدتها وحملها على عبادة ربك بالقهر وتزكيتها بالعبادات وترك الشهوات فان أهملتها شردت وجمعت واستولت عليك فلا تطيعك بعد ذلك وان أدمت توبيخها ومعاتبتها ربما أذعنت وترقت الى أن صارت لوامة وان ترقت عن اللوامة صارت مطمئنة فتدخل فى عباد الله راضية مرضية فلا تغفلن عنها ساعة ولا تشتغل بوعظ غيرك مالم تفرغ عنها قال الله تعالى لعيسى عليه السلام يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحى منى وقال تعالى وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين فعليك أن تقبل على نفسك وتقرر عليها حماقتها وجهلها واغترارها

تصريح بحشر البهائم يوم القيامة واعادتها فى القيامة كما يعاد أهل التكليف من الآدميين وكما يعاد الاطفال والمجانين ومن لم تبلغه دعوة وعلى هذا تظاهرت دلائل القرآن والسنة قال الله تعالى واذا الوحوش حشرت واذا ورد لفظ الشرع ولم يمنع من اجرائه على ظاهره عقل ولا شرع وجب حمله على ظاهره قال العلماء وليس من شرط الحشر والاعادة فى القيامة المجازاة والعقاب والثواب وأما القصاص من القرناء للجماء فليس هو من قصاص التكليف اذ لا تكليف عليها بل هو قصاص مقابلة وعن أبى ذر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى شاتين تنتطحان فقال يا أباذر أتدرى فيم تنتطحان قلت لا قال ولكن ربك يدرى وسيقضى بينهما يوم القيامة قال ابن دحية اختلف الناس فى حشر البهائم وفى جريان القصاص بينها فقال الشيخ أبو الحسن الاشعرى لا تجوز المقاصة بين البهائم لانها غير مكلفة قال وما ورد من الاخبار نحو قوله صلى الله عليه وسلم يقتص للجماء من القرناء ويسئل العود لم خدش العود فعلى سبيل المثل والاخبار عن شدة التقصى فى ذلك وانه لابد أن يقتص للمظلوم من الظالم وقال الاستاذ أبو اسحق الاسفراينى يجرى القصاص بينها ويحتمل أنها كانت تعقل هذا القدر فى دار الدنيا قال ابن دحية وهذا جار على مقتضى العقل والنقل لان البهيمة تعرف النفع والضر فتنفر من العصا وتقبل على العلف وينزجر الكلب اذا زجر والطير والوحش ينفر من الجوارح استدفاعا لشرها فان قيل القصاص انتقام والبهائم ليست مكلفة فالجواب أنها ليست بمكلفة الا أن الله يفعل فى ملكه ما أراد كما سلط عليهم فى الدنيا التسخير لبنى آدم والذبح لما يؤكل منها فلا اعتراض عليه سبحانه وتعالى وأيضا فان البهائم انما يقتص لبعضها من بعض لانها لا تطالب بارتكاب نهى ولا بمخالفة أمر لان هذا مما خص الله به العقلاء

(الباب التاسع فى الصراط)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالجسر يوم القيامة فيجعل بين ظهرانى جهنم قالوا يارسول الله ما الجسر قال مدحضة مزلة عليه خطاطيف وكلاليب وحسكة المؤمن عليه كالطرف وكالبرق وكالريح وكاجاويد الخيل والركاب فناج مسلم وناج مخدوش حتى يمر آخرهم يسحب سحبا وقال أبو سعيد الخدرى بلغنى ان الجسر أدق من الشعر وأحد من السيف وقال سعيد بن أبى هلال ان الصراط يكون على بعض الناس أدق من الشعر وعلى بعض الناس مثل الوادى الواسع وقال صلى الله عليه وسلم يجاء بالوالى يوم القيامة فينبذ به على جسر جهنم فيرتج به الجسر ارتجاجة لا يبقى منه مفصل الازال عن مكانه فان كان مطيعا لله فى عمله مضى فيه وان كان عاصيا انخرق به الجسر فهوى به فى جهنم مقدار خمسين عاما وروى عن بعض أهل العلم انه قال لن يجوز أحد الصراط حتى يسئل عند سبع قناطر فاما الاولى فيسئل عن الايمان بالله وهى شهادة أن لا اله الا الله فان جاء بها مخلصا جاز والثانية يسئل عن الصلاة فان جاء بها تامة جاز ويسئل عند الثالثة عن صوم رمضان فان جاء به تاما جاز ويسئل فى الرابعة عن الزكاة فان جاء بها تامة جاز ويسئل فى الخامسة عن الحج والعمرة فان جاء بهما تامين جاز ويسئل فى السادسة عن الغسل والوضوء فان جاء بهما تامين جاز ويسئل فى السابعة عن ظلامات الناس وليس فى القناطر أصعب منها ويروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من كان له وصلة لاخيه المسلم الى ذى سلطان فى منفعة بر أو تيسير عسر أعين على اجازة الصراط يوم دحض الاقدام

(الباب العاشر فى الشفاعة)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا قائد المرسلين ولا فخر وأنا خاتم النبيين ولا فخر وأنا أول شافع مشفع ولا فخر وقال صلى الله عليه وسلم أتانى آت من عند ربى فخيرنى بين أن يدخل نصف أمتى الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة وهى لمن مات لا يشرك بالله شيأ وقال صلى الله عليه وسلم شفاعتى لاهل الكبائر من أمتى وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دعوة فرفع اليه الذراع وكانت تعجبه فنهش منها نهشة وقال أنا سيد الناس يوم القيامة هل تدرون مم ذاك يجمع الله الاولين والآخرين فى صعيد واحد فيبصرهم الناظر ويسمعهم الداعى وتدنو منهم الشمس فيبلغ الناس من الغم

وتقول لها أما تستحين أن تدعى الناس الى الحق والجهل وأنت أجهل الناس فانك صائرة الى الجنة أو الى النار فمالك تشتغلين باللهو والضحك وأنت مطلوبة لهذا الخطب الجسيم فلعلك ترين الموت بعيدا وهو قريب ولعله يكون اليوم أو الليلة أو غدا وكل ما هو آت قريب أما علمت أن الموت يأتى بغتة من غير تقديم رسول (وحكى) ان منصور بن عمار قال سمعت فى بعض الليالى عابدا بالكوفة يناجى ربه ويقول يارب وعزتك ما أردت بمعصيتك مخالفتك ولا عصيتك اذ عصيتك وأنا بمكانك جاهل ولا لعقوبتك متعرض ولا لنظرك مستخف ولكن سولت لى نفسى وأعاننى على ذلك شقوتى وغرنى سترك المرخى على فعصيتك بجهلى وخالفتك بفعلى فمن عذابك الآن من يستنقذنى أو بحبل من أعتصم ان قطعت حبلك عنى واسوأتاه من الوقوف بين يديك اذا قيل للمخفين جوزوا وللمثقلين حطوا أمع المخفين أجوز أم مع المثقلين احط ويلى كلما كبرت سنى كثرت ذنوبى ويلى كلما طال عمرى كثرت معاصى فالى متى أتوب والى متى أعود أما آن لى أن أستحى من ربى فاذن لك طريقان طريق فى معاتبة النفس وطريق فى مناجاة الرب تعالى وتقدس والاستعانة به عليها والتبرى من الحول والقوة والتضرع والاستكانة بين يديه لعله بفضله يكفيك شرها والله أعلم

(الباب التاسع والثلاثون فى التفكر) قد ورد فى السنة بان تفكر ساعة خير

والكرب مالا يطيقون ولا يحتملون فيقول الناس ألا ترون الى ما أنتم فيه الى مابلغكم ألا تنظرون من يشفع لكم الى ربكم فيقول بعض الناس لبعض ائتوا أباكم آدم فيأتونه فيقولون يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك وأسكنك الجنة ألا تشفع لنا الى ربك ألا ترى مانحن فيه ومابلغنا فقال ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وانه نهاني عن أكل الشجرة فعصيت فلا أسأله الا نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى نوح فيأتون نوحا فيقولون يانوح أنت أول الرسل الى الارض وقد سماك الله عبدا شكورا أما ترى الى مانحن فيه ألا ترى الى مابلغنا ألا تشفع لنا الى ربك فيقول ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وانه قد كانت لي دعوة دعوت بها على قومي فلا أسأله الا نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى ابراهيم فيأتون ابراهيم فيقولون يا ابراهيم أنت نبي الله وخليله من أهل الارض ألا تشفع لنا الى ربك أما ترى الى مانحن فيه فيقول لهم ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله واني كنت كذبت ثلاث كذبات فلا أسأله الا نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى موسى فيأتون موسى فيقولون ياموسى أنت رسول الله فضلك الله برسالاته وبكلامه على الناس اشفع لنا الى ربك أما ترى الى مانحن فيه فيقول ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله واني قد قتلت نفسا لم أومر بقتلها لا أسأله الا نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى عيسى فيأتون عيسى فيقولون ياعيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه وكلمت الناس في المهد اشفع لنا الى ربك ألا ترى الى مانحن فيه فيقول عيسى ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنبا فلا أسأله الا نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى محمد فيأتون محمدا صلى الله عليه وسلم وفي رواية فيأتوني فيقولون يامحمد أنت رسول الله وخاتم الانبياء وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا الى ربك ألا ترى الى مانحن فيه فانطلق فآتي تحت العرش فاقع ساجدا لربي ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيأ لم يفتحه على أحد قبلي ثم يقال يامحمد ارفع رأسك سل تعط واشفع تشفع فارفع رأسي فاقول أمتي يارب أمتي يارب فيقول يامحمد أدخل من أمتك من لاحساب عليهم من الباب الايمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب ثم قال والذي نفسي بيده ان مابين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى وقال صلى الله عليه وسلم أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا اله الا الله مخلصا من قلبه وقال صلى الله عليه وسلم لكل نبي دعوة يدعو بها فاريد أن أختبي دعوتي شفاعة لامتي يوم القيامة قال النووي رحمه الله معنى الحديث ان لكل نبي دعوة متيقنة الاجابة وهو على يقين من اجابتها وأما باقي دعواتهم فهم على طمع في اجابتها وبعضها يجاب وبعضها لا يجاب وقال صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من بني تميم وقال صلى الله عليه وسلم خيرت بين الشفاعة أو يدخل نصف أمتي الجنة فاخترت الشفاعة لانها أعم وأكفى أمانها ليست للمؤمنين المتقين ولكنها للمذنبين الخاطئين المتلوثين وعن أنس رضي الله عنه قال يصف أهل النار فيمر بهم الرجل من أهل الجنة فيقول الرجل منهم يافلان أما تعرفني أنا الذي سقيتك شربة وقال بعضهم أنا الذي وهبت لك وضوأ فيشفع له فيدخله الجنة قال النووي رحمه الله لنبينا عليه السلام شفاعات خمس أولاهن الشفاعة العظمى في الفصل بين أهل الموقف حين يفزعون اليه بعد الانبياء كما ثبت في الصحيح الثانية في جماعة يدخلون الجنة بغير حساب الثالثة في ناس استحقوا دخول النار فلا يدخلونها الرابعة في ناس دخلوا النار فيخرجون الخامسة في رفع درجات ناس في الجنة فالاولى مختصة به وكذا الثانية قال النووي ويجوز أن تكون الثالثة والخامسة أيضا أي مختصة به والرابعة يشاركه فيها غيره من الانبياء والعلماء والاولياء قال القاضي عياض ان شفاعته لاخراج من في قلبه مثقال حبة من ايمان مختصة به اذلم تأت شفاعة لغيره الا قبل هذه قال ابن الملقن رحمه الله وأهمل النووي شفاعة سادسة وهي تخفيف العذاب على من استحق الخلود فيها كما في حق أبي طالب في اخراجه من غمرات النار الى ضحضاحها وسابعة وهي لمن مات بالمدينة

وروى

من عبادة سنة والحث على التفكر والتدبر والنظر والاعتبار معلوم من الآيات والاخبار اذ هو مفتاح الانوار ومبدأ الاستبصار وشبكة العلوم أما فضيلته فقد قال تعالى في معرض المدح و يتفكرون في خلق السموات والارض وقال ابن عباس ان قوما تفكروا في الله عزوجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم تفكروا في خلق ولا تتفكروا في الله فانكم لن تقدروا قدره وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه خرج على قوم ذات يوم وهم يتفكرون فقال مالكم لا تتكلمون قالوا نتفكر في خلق الله تعالى قال فكذلك فافعلوا تفكروا في خلقه ولا تتفكروا فيه فان بهذا المغرب أرضا بيضاء نورها بياضها أو بياضها نورها مسيرة الشمس أربعين يوما بها خلق من خلق الله تعالى لم يعصوا الله طرفة عين قالوا يارسول الله فاين الشيطان منهم قال مايدرون خلق الشيطان أم لا قالوا من ولد آدم قال لايدرون خلق آدم أم لا وعن عطاء قال انطلقت يوما أنا وعبيد ابن عمير الى عائشة رضي الله عنها وبيننا و بينها حجاب فقالت ياعبيد ما يمنعك من زيارتنا قال قول النبي صلى الله عليه وسلم زر غبا تزدد حبا قال ابن عمير حدثينا بأعجب ما رأيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت وقالت كل أمره كان عجبا أتاني في ليلتي حتى مس جلده جلدي فقال ذرني أصلي لربي فقام الى القربة فتوضأ منها ثم قام يصلي فبكى

وروى الترمذي وصححه عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فاني أشفع لمن مات بها ذكر هذه والتي قبلها القاضي عياض في الاكمال وفي مسلم من حديث أبي سعيد الخدري رفعه لا يثبت أحد على لأوائها وجهدها الا كنت له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة فهذه شفاعة أخرى خاصة باهل المدينة

(الباب الحادي عشر في وصف جهنم أعاذنا الله منها وفيه ثمانية فصول)

(الفصل الاول في شدتها وعظمها) قال الله تعالى ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب وقال الحسن رحمه الله ان النار تأكلهم كل يوم سبعين ألف مرة ثم يعودون كما كانوا وقال تعالى ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون أي آيسون من كل خير وقال تعالى ياأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة الآية وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم ان أهون أمتي عذابا يوم القيامة لرجل يوضع في أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه ما يرى أن أحدا أشد منه عذابا وانه لاهونهم عذابا رواه البخاري ومسلم وقال صلى الله عليه وسلم منهم من تأخذه النار الى كعبيه ومنهم من تأخذه الى ركبتيه ومنهم من تأخذه الى حجزته ومنهم من تأخذه الى ترقوته رواه مسلم الحجزة معقد الازار وتحت السرة والترقوة بفتح التاء وضم القاف هي العظم الذي عند ثغرة النحر وللانسان ترقوتان في جانبي النحر وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم يوما فسمعنا وجبة فقال النبي صلى الله عليه وسلم أتدرون ما هذا قلنا الله و رسوله أعلم قال هذا حجر أرسل في جهنم سبعين خريفا فالآن انتهى الى قعرها وقال صلى الله عليه وسلم ناركم هذه ما يوقد بنو آدم جزء واحد من سبعين جزأ من نار جهنم قالوا والله ان كانت لكافية يارسول الله قال فانها فضلت عليها بتسعة وستين جزأ كلهن مثل حرها وقال صلى الله عليه وسلم اشتكت النار الى ربها فقالت يارب أكل بعضي بعضا فاذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف أشد ماتجدون من الحر في الصيف من حرها وأشد ماتجدون من البرد في الشتاء من زمهريرها وقال صلى الله عليه وسلم أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة وقال صلى الله عليه وسلم يؤتى بانعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في النار صبغة ثم يقال يا ابن آدم هل رأيت خيرا قط وهل مر بك نعيم قط فيقول لا والله يارب فيؤتى باشد الناس بؤسا في الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغة في الجنة فيقال له يا ابن آدم هل رأيت بؤسا قط هل رأيت شدة قط فيقول لا والله يارب مامر بي بؤس قط ولا رأيت شدة قط وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله لاهون أهل النار عذابا يوم القيامة لو أن لك ما في الارض من شئ أكنت تفتدي به فيقول نعم فيقول أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم أن لا تشرك بي شيأ فابيت الا أن تشرك بي وقال صلى الله عليه وسلم مابين منكبي الكافر في النار مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع وقال صلى الله عليه وسلم ان الكافر ليسحب لسانه الفرسخ والفرسخين يتوطؤه الناس وعن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال وهم فيها كالحون فقال تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرته وعن أنس رضي الله عنه قال ياأيها الناس ابكوا فان لم تستطيعوا فتباكوا فان أهل النار يبكون في النار حتى تسيل دموعهم في وجوههم كانها جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء فتقرح العيون فلو أن سفنا أجريت فيها لجرت وقال محمد ابن كعب القرظي لاهل النار خمس دعوات يجيبهم الله في أربعة فاذا كان في الخامسة لم يتكلموا بعدها أبدا يقولون ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين الآية فيجيبهم الله تعالى ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم الآية ثم يقولون ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون فيجيبهم الله تعالى فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا انا نسيناكم الآية ثم يقولون ربنا أخرنا الى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل فيجيبهم الله

حتى بل لحيته ثم سجد حتى بل الارض ثم اضطجع على جنبه حتى أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح فقال يارسول الله وما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال ويحك يابلال وما يمنعني أن أبكي وقد أنزل الله تعالى علي في هذه الليلة ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها قيل للاوزاعي ما غاية التفكر فيهن قال يقرؤهن ويعقلهن قال الجنيد رضي الله عنه أشرف المجالس وأعلاها الجلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد والتنسم بنسيم المعرفة والشرب بكاس المحبة من بحر الوداد والنظر بحسن الظن بالله تعالى ثم قال يالها من مجالس ما أجلها ومن شراب ما ألذه طوبى لمن رزقه (بيان حقيقة الفكر وثمرته) اعلم أن الفكر هو احضار معرفتين في القلب ليستثمر منهما معرفة ثالثة ومثاله أن يعرف أن الآخرة خير وأبقى وما كان خيرا وأبقى كان بالاختيار أحرى والغرض من التفكر تحصيل العلم في قلبه فيوجب ذلك حالا وفعلا بهما نجاته وهما من ثمرات العلم والعلم ثمرة التفكر (بيان مجاري الفكر) اعلم أن العبد تارة ينظر في حال نفسه ويتفكر فيها كما سبق وتارة في كتاب الله تعالى وفي صفاته وأفعاله وأما التفكر في ذات الله تعالى فلا سبيل اليه الا بعد الذكر أما التفكر في صفاته وأفعاله وملكه وملكوته فبقدر ما يتفكر في ملكه وملكوته

تعالى أولم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال ثم يقولون ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل فيجيبهم الله تعالى أولم نعمركم الآية فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين فيجيبهم الله تعالى اخسؤا فيها ولا تكلمون فلا يتكلمون بعدها أبدا

(الفصل الثاني في دركات النار) قال الله تعالى لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم أي سبع طبقات بعضها فوق بعض بين كل طبقتين مسيرة سبعين سنة فالاولى لعصاة المسلمين والثانية لظى تتلظى أي تلتهب فتنزع الجلود والتي تحتها الحطمة تحطم أهلها فتسحقهم سحقا ثم تحتها السعير تتسعر فيأكل بعضها بعضا وتحتها سقر تذيب في اللحوم والجلود وتحتها الجحيم ومعناها الجمر الغليظ وتحتها الهاوية من دخلها لم يستقر فيها أبدا ولكنه يهوي أبدا فاول ما تمتلئ الهاوية ثم التي فوقها حتى تملأ كلها وقوله لكل باب منهم جزء مقسوم أي من اتباع الشيطان جزء مقسوم فمعناه لكل طبقة أهل قد جعلهم الله لها من أتباع الشيطان وروي أن كل طبقة أعظم عذابا من التي فوقها بسبعين ضعفا وان أهون م جهنم ولو أن رجلا بالمغرب وكشف عنها بالمشرق لسال دماغه من حرها وقال الضحاك رحمه الله في الدركة الاولى أهل التوحيد الذين اذا دخلوا النار يعذبون بقدر ذنوبهم ثم يخرجون وفي الثانية النصارى وفي الثالثة اليهود وفي الرابعة الصابئون وفي الخامسة المجوس وفي السادسة أهل الشرك وفي السابعة المنافقون

(الفصل الثالث في أوديتها وجبالها وأنهارها وحياتها) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في جهنم واديا يقال له هبهب يسكنه كل جبار وقال صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى سأرهقه صعودا هو جبل من نار يصعد فيه الكافر سبعين خريفا ويهوي فيه كذلك أبدا وقال صلى الله عليه وسلم ويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره وقال عطاء بن يسار الويل واد في جهنم لو سيرت فيه الجبال لماعت من حره وقال عكرمة في قوله تعالى وجعلنا بينهم موبقا هو نهر في جهنم يسيل نارا على حافتيه حيات مثل البغال الدهم فاذا سارت اليهم لتأخذهم استغاثوا منها بالاقتحام في النار وقال ابن عباس في قوله تعالى فسوف يلقون غيا هو واد في جهنم وان جهنم لتستعيذ من حره وقال صلى الله عليه وسلم تعوذوا بالله من جب الحزن قيل يا رسول الله وما جب الحزن قيل واد في جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم سبعين مرة أعده الله للقراء المرائين وفي رواية أعده الله للذين يراؤن الناس بأعمالهم وفي الحديث ان حيات جهنم أمثال أعناق البخت وعقاربها كالبغال الموكفة

(الفصل الرابع في الزبانية) قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وقال تعالى عليها تسعة عشر أي على النار تسعة عشر من الملائكة عليهم السلام وهم خزنتها مالك ومعه ثمانية عشر جاء في الاثر أعينهم كالبرق الخاطف وأنيابهم كالصياصي يخرج لهب النار من أفواههم ما بين منكبي أحدهم مسيرة سنة نزعت منهم الرحمة فيدفع أحدهم سبعين ألفا فيرميهم حيث أراد في جهنم قال عمرو بن دينار ان واحدا منهم يدفع بالدفعة الواحدة من جهنم أكثر من ربيعة ومضر

(الفصل الخامس في طعام أهل النار وشرابهم) قال الله تعالى وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم وقال تعالى لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا الحميم الماء الحار الذي انتهى حره قال ابن عباس الغساق هو الزمهرير يحرقهم ببرده كما تحرقهم النار وقال قتادة هو ما يغسق أي يسيل من القيح والصديد من جلود أهل النار ولحومهم وفروج الزناة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لو أن دلوا من غساق يهراق في الدنيا لانتن أهل الدنيا وقال تعالى ان شجرة الزقوم طعام الاثيم أي ذي الاثم وهو أبو جهل والزقوم ثمر شجرة خبيثة كريهة الطعم يكره أهل النار على تناولها كالمهل هو دردي الزيت اسود يغلي في البطون أي بطون الكفار كغلي الحميم كالماء الحار اذا اشتد غليانه وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون قال رسول الله

وكل شيء سوى الله تعالى فانه خلقه وصنعه قال الله تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق الآية وقال الله تعالى وفي أنفسكم أفلا تبصرون فمجاري التفكر نفسك ثم جميع خلق الله تعالى فافهم تغنم والله أعلم

(الباب الاربعون في ذكر الموت وما بعده) قال الله تعالى قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم فمن الناس من لا يذكر الموت الا على الندور واذا ذكره كرهه لانهماكه في الدنيا وهذا يزيده ذكر الموت من الله تعالى بعدا ومن الناس من أقبل بوجهه على الله تعالى فتاب عما لا ينبغي فذكر الموت يزيده خشية وتأهبا واستعدادا ووفاء بتمام التوبة فهذا لا يكره الموت لانهماكه في الدنيا وانما يكرهه لقلة زاده وعدم استعداده فهذه الكراهة ليست كراهية للقاء الله تعالى بل هو غير مذموم فانه يريد الحياة للتأهب والاستعداد ويوده لو كفى ما هو فيه فيقضي به الموت الى لقاء الله تعالى وجواره الكريم وأما العارف فانه يذكر الموت دائما لكونه موعد اللقاء الحبيب والمحب لا ينسى قط موعد حبيبه ومثل هذا العبد يستبطئ مجيء الموت كما روي عن حذيفة رضي الله عنه أنه لما حضرته الوفاة قال حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم اللهم ان كنت تعلم أن الفقر أحب الى

صلى

صلى الله عليه وسلم لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لافسدت على أهل الارض معايشهم فكيف من يكون طعامه وقال تعالى فليس له اليوم ههنا حميم ولا طعام الا من غسلين هو صديد أهل النار وقيل هو شجر يأكله أهل النار وقال تعالى تسقى من عين آنية أي متناهية في الحرارة قد أوقدت عليها جهنم منذ خلقت قال المفسرون لو وقعت منها قطرة على جبال الدنيا لذابت ليس لهم طعام الا من ضريع قال مجاهد وعكرمة وقتادة هو نبت ذو شوك لاطئ بالارض تسميه قريش الشبرق فاذا هاج سموه الضريع وهو أخبث طعام قال ابن زيد أما في الدنيا فهو الشوك اليابس له ورق وهو في الآخرة شوك من النار وجاء في الحديث عن ابن عباس يرفعه الضريع شيء في النار يشبه الشوك وأمر من الصبر وأنتن من الجيفة وأشد حرا من النار وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى على أهل النار الجوع فيعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون فيغاثون بطعام من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع فيستغيثون فيغاثون بطعام ذي غصة فيذكرون أنهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بالشراب فيستغيثون بالشراب فيرفع اليهم الحميم بكلاليب الحديد فاذا دنت من وجوههم شوت وجوههم فاذا دخلت بطونهم قطعت ما في بطونهم فيقولون ادعوا خزنة جهنم فيقولون ألم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال قال فيقولون ادعوا مالكا فيقولون يا مالك ليقض علينا ربك فيجيبهم انكم ماكثون قال الاعمش ثبت أن بين دعائهم واجابة مالك اياهم ألف عام قال فيقولون ادعوا ربكم فلا أحد خير من ربكم فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال فيجيبهم الله عز وجل اخسؤا فيها ولا تكلمون قال فعند ذلك ييأسون من كل خير وعند ذلك يأخذون في الزفير والحسرة والويل ويروى هذا موقوفا على أبي الدرداء

(الفصل السادس في لباس أهل النار والاغلال التي يغلون بها) قال الله تعالى وترى المؤمنين يومئذ مقرنين أي مشدودين بعضهم ببعض في الاصفاد في القيود والاغلال سرابيلهم قمصهم من قطران هو الذي يهنأ به الابل أي يدهن وقال تعالى والذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار قال سعيد بن جبير ثياب من نحاس مذاب وليس من الآنية شيء اذا حمي أشد حرا منه وسمي باسم الثياب لانها تحيط بهم كاحاطة الثياب وقيل يلبسون مقطعات من النار يصب من فوق رؤسهم الحميم هو الماء الحار الذي انتهت حرارته يصهر به أي يذاب بالحميم ما في بطونهم من الشحوم والاحشاء والجلود وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الحميم ليصب على رؤسهم فينفذ الجمجمة حتى يخلص الى جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان ولهم مقامع من حديد سياط من حديد وفي الخبر لو وضع مقمع من حديد في الارض ثم اجتمع عليه الثقلان ما أقلوه من الارض كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها أي ردوا اليها بالمقامع وفي التفسير ان جهنم لتجيش فتلقيهم الى أعلاها فيريدون الخروج فتضربهم الزبانية بمقامع الحديد فيهوون فيها سبعين خريفا وذوقوا عذاب الحريق أي وتقول لهم الملائكة ذلك وقال ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه سبعون ذراعا بذراع الملك فيدخل في دبره ويخرج من منخره وقيل يدخل من فيه ويخرج من دبره وعن كعب قال لو جمع حديد الدنيا ما وزن حلقة منها

(الفصل السابع فيما جاء في خروج الموحدين من النار) عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ناسا من أمتي يدخلون النار بذنوبهم فيكونون في النار ما شاء الله أن يكونوا ثم يعيرهم أهل الشرك فيقولون ما نرى ما كنتم تخالفونا فيه من تصديقكم وايمانكم نفعكم فلا يبقى موحد الا أخرجه الله من النار ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما الشفاعة يوم القيامة لمن عمل الكبائر من أمتي ثم ماتوا عليها فهم في الباب الاول من جهنم لا تسود وجوههم ولا تزرق أعينهم ولا يغلون بالاغلال ولا يقرنون بالشياطين ولا يضربون بالمقامع ولا يطرحون في الادراك منهم من يمكث فيها ساعة ثم يخرج ومنهم من يمكث فيها يوما ثم

الى الله تعالى فلا يختار لنفسه موتا ولا حياة وقد انتهى الحب به الى مقام التسليم فلا يختار لنفسه شيأ الا ما يختاره له مولاه (بيان فضل ذكر الموت) قال صلى الله عليه وسلم أكثروا من ذكر هاذم اللذات وقال عليه السلام لو أن البهائم تعلم من الموت ما تعلمون ما أكلتم منها سمينا وقالت عائشة رضي الله عنها يا رسول الله هل يحشر مع الشهداء أحد قال نعم من يذكر الموت في اليوم والليلة عشرين مرة وقال عليه السلام تحفة المؤمن الموت وقال عليه السلام كفى بالموت واعظا وخرج صلى الله عليه وسلم ذات يوم الى المسجد واذا قوم يتحدثون ويضحكون فقال اذكروا الموت أما والذي نفسي بيده لو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا واعلم أن الموت أمر هائل عظيم والتفكر فيه يوجب التجافي عن دار الغرور وقلة السرور والتأهب له نعم الانسان اذا ذكره بقلب مشغول لا يظهر أثره فيه فالسبيل فيه أن يفرغ قلبه عما عداه ويتفكر فيه كما يتفكر في سفره الذي عزم عليه في بر أو بحر فانه يكون الغالب على قلبه التفكر فيه والاستعداد له لا غير (فضيلة قصر الامل وذم طوله) قال صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر اذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء واذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح وخذ

يخرج ومنهم من يمكث فيها شهرا ثم يخرج ومنهم من يمكث فيها سنة ثم يخرج وأطولهم فيها مكثا مثل الدنيا يوم خلقت الى يوم فنيت وذلك سبعة آلاف سنة أخرجه الترمذى الحكيم فى نوادر الاصول ونقل القرطبي رحمه الله فى التذكرة عن كعب الاحبار أنه قال اذا كان يوم القيامة جمع الله الاولين والآخرين فى صعيد واحد فنزلت الملائكة فصارت صفوفا فيقول الله تعالى لجبريل ائت بجهنم فيأتى بها جبريل تقاد بسبعين ألف زمام حتى اذا كانت من الخلائق على قدر مائة عام زفرت زفرة طارت لها أفئدة الخلائق ثم زفرت ثانية فلا يبقى ملك مقرب ولا نبى مرسل الاجثى على ركبتيه ثم تزفر الثالثة فتبلغ القلوب الحناجر وتذهل العقول فيفزع كل امرئ الى عمله حتى أن ابراهيم الخليل يقول بخلتى لا أسألك الا نفسى ويقول موسى بمناجاتى لا أسألك الا نفسى وان عيسى يقول بما أكرمتنى لا أسألك اليوم الا نفسى لا أسألك مريم التى ولدتنى ومحمد صلى الله عليه وسلم يقول أمتى أمتى لا أسألك اليوم نفسى انما أسألك اليوم أمتى قال فيجيبه الجليل تعالى ان أوليائى من أمتك لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فوعزتى وجلالى لاقرن عينيك فى أمتك ثم تقف الملائكة بين يدى الله تعالى ينتظرون ما يؤمرون به فيقول لهم تعالى وتقدس معاشر الزبانية انطلقوا بالمصرين من أهل الكبائر من أمة محمد الى النار فقد اشتد غضبى عليهم بتهاونهم بأمرى فى دار الدنيا واستخفافهم بحقى وانتهاكهم حرمتى يستخفون من الناس ويبارزونى مع كرامتى لهم وتفضيلى اياهم على الامم ولم يعرفوا فضلى وعظيم نعمتى فعندها تأخذ الزبانية بلحى الرجال وذوائب النساء فينطلقون بهم الى النار وما من عبد يساق الى النار من غير هذه الامة الا مسودا وجهه قد وضعت الانكال فى رجليه والاغلال فى عنقه الا من كان من هذه الامة فانهم يساقون بالوانهم فاذا وردوا على مالك قال لهم معاشر الاشقياء من أى أمة أنتم فما ورد على أحسن وجوها منكم فيقولون يا مالك نحن من أمة تقرأ القرآن فيقول يا معاشر الاشقياء أوليس القرآن أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم قال فيرفعون أصواتهم بالنحيب والبكاء فيقولون وامحمداه وامحمداه اشفع لمن أمر به الى النار من أمتك قال فينادى منادى مالك بتهديد وانتهار يا مالك من أمرك بمعاتبة أهل الشقاء ومحادثتهم والتوقف عن ادخالهم العذاب يا مالك لا تسود وجوههم فقد كانوا يسجدون لى فى دار الدنيا يا مالك لا تغلهم بالاغلال فقد كانوا يغتسلون من الجنابة يا مالك لا تعذبهم بالانكال فقد طافوا ببيتى الحرام يا مالك لا تلبسهم سرابيل القطران فقد خلعوا ثيابهم فى الاحرام يا مالك مر النار أن لا تحرق ألسنتهم فقد كانوا يقرؤن القرآن يا مالك قل للنار تأخذهم على قدر أعمالهم والنار أعرف بهم وبمقادير استحقاقهم من الوالدة بولدها فمنهم من تأخذه النار الى ركبتيه ومنهم من تأخذه النار الى صدره فاذا انتقم الله عز وجل منهم على قدر كبائرهم وعتوهم واصرارهم فتح بينهم وبين المشركين بابا وهم فى الطبق الاعلى من النار لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا يبكون ويقولون وامحمداه ارحم من أمتك الاشقياء واشفع لهم فقد أكلت النار لحومهم ودماءهم وعظامهم ثم ينادون يا رباه يا رباه يا سيداه يا سيداه ارحم من لم يشرك بك فى دار الدنيا وان كان قد أساء وأخطأ وتعدى فعندها يقول المشركون ما أغنى عنكم ايمانكم بالله وبمحمد فيغضب الله تعالى لذلك فعندها يقول يا جبريل انطلق فاخرج من فى النار من أمة محمد فيخرجهم ضبائر قد امتحشوا فيلقيهم على نهر على باب الجنة يقال له نهر الحيوان فيمكثون به حتى يعودوا أنضر ما كانوا ثم يأمر بادخالهم الجنة مكتوب على جباههم هؤلاء الجهنميون عتقاء الرحمن من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فيعرفون من بين أهل الجنة بذلك فيتضرعون الى الله تعالى أن يمحو عنهم تلك السمة فيمحوها الله تعالى عنهم فلا يعرفون بها بعد ذلك من أهل الجنة وقال صلى الله عليه وسلم ان عبدا فى جهنم ينادى ألف سنة يا حنان يا منان فيقول الله تعالى لجبريل ائت عبدى فلانا قال فينطلق جبريل عليه السلام فيرى أهل النار منكبين على وجوههم قال فيرجع فيقول يا رب لم أره فيقول الله تعالى انه فى مكان كذا وكذا قال فيأتيه فيجيء به فيقول يا عبدى كيف وجدت مكانك ومقيلك قال فيقول شر مكان وشر مقيل قال فيقول ردوا عبدى فيقول يا رب ما كنت أرجو أن تردنى اذ أخرجتنى فيقول الله تعالى دعوا عبدى

من حياتك لموتك ومن صحتك لسقمك فانك يا عبد الله ما تدرى ما اسمك غدا وروى على رضى الله عنه أنه عليه السلام قال ان أشد ما أخاف عليكم خصلتان اتباع الهوى وطول الامل أما اتباع الهوى فانه يصد عن الحق وأما طول الامل فانه يوجب الحب للدنيا ثم قال ألا ان الله تعالى يعطى الدنيا من يحب ويبغض واذا أحب عبدا أعطاه الايمان ألا ان للدين أبناء وللدنيا أبناء فكونوا من أبناء الدين ولا تكونوا من أبناء الدنيا ألا ان الدنيا قد ارتحلت وهى مولية ألا وان الآخرة قد جاءت وهى مقبلة ألا وانكم فى يوم عمل ليس فيه حساب ألا وانكم توشكون ان تصيروا فى يوم حساب ليس فيه عمل وقال عليه السلام أيها الناس اما تستحيون من الله تعالى قالوا وما ذاك يا رسول الله قال تجمعون ما لا تأكلون وتأملون ما لا تدركون وتبنون ما لا تسكنون وقال أبو سعيد الخدرى اشترى أسامة بن زيد بن ثابت وليدة بمائة دينار الى شهر فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ألا تعجبون من أسامة المشترى الى شهر ان أسامة لطويل الامل والذى نفسى بيده ما طرفت عيناى الا ظننت أن شفرى لا يلتقيان حتى يقبض الله روحى ولا رفعت طرفى فظننت انى واضعه حتى أقبض ولا لقمت لقمة الا ظننت انى لا أسيغها حتى أغص بها من الموت ثم قال يا بنى آدم ان كنتم تعقلون فعدوا أنفسكم من الموتى والذى نفسى بيده ان

*(الفصل

(الفصل الثامن فيما ينجى من هذه الدار) روى أبو داود عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يصبح أو يمسى اللهم انى أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك انك أنت الله لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدا عبدك ورسولك أعتق الله ربعه من النار فمن قالها مرتين أعتق الله نصفه من النار ومن قالها ثلاث مرات أعتق الله ثلاثة أرباعه من النار فان قالها أربع مرات أعتقه الله من النار وقال صلى الله عليه وسلم من صلى أربعين يوما فى جماعة يدرك التكبيرة الاولى كتب الله له براءتين براءة من النار وبراءة من النفاق وعن مسلم بن الحرث التميمى رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أسر اليه فقال اذا انصرفت من صلاة المغرب فقل اللهم أجرنى من النار سبع مرات فانك اذا قلت ذلك ثم مت من ليلتك كتب لك جوار منها فاذا صليت الصبح فقل كذلك فانك اذا مت من يومك كتب الله لك جوارا منها وقال صلى الله عليه وسلم من حمى مؤمنا من منافق بعث الله ملكا يحمى لحمه يوم القيامة من نار جهنم ومن رمى مسلما بشر يريد به شينه حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال وقال صلى الله عليه وسلم من مشى مع أخيه فى حاجة فناصحه فيها جعل الله بينه وبين النار يوم القيامة سبع خنادق بين الخندق والخندق ما بين السماء والارض وقال صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم حار ألقى الله سمعه وبصره الى أهل السماء وأهل الارض فاذا قال العبد لا اله الا الله ما أشد حر هذا اليوم اللهم أجرنى من نار جهنم قال الله تعالى لجهنم ان عبدا من عبادى استجار بى منك وانى أشهدك انى قد أجرته واذا كان يوم شديد البرد ألقى الله سمعه وبصره الى أهل السماء وأهل الارض فاذا قال العبد لا اله الا الله ما أشد برد هذا اليوم اللهم أجرنى من زمهرير جهنم قال الله لجهنم ان عبدا من عبادى استجار بى من زمهريرك وانى أشهدك أنى قد أجرته فقالوا وما زمهرير جهنم قال جب يلقى فيه الكافر فيتميز من شدة برده بعضه من بعض

(الباب الثانى عشر فى صفة الجنة وما أعد الله فيها للمؤمنين من أصناف النعيم وفيه أربعة عشر فصلا)

(الفصل الاول فى صفتها وصفة أهلها) قال الله تعالى ان المتقين فى جنات وعيون ادخلوها بسلام آمنين أى من الآفات والموت والخروج ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين يقابل بعضهم بعضا لا ينظر أحد الى قفا صاحبه يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا استقر أهل الجنة فى الجنة اشتاق الاخوان الى الاخوان فيسير سرير ذا الى سرير ذا فيلتقيان فيتحدثان ما كان بينهما فى دار الدنيا فيقول يا أخى تذكر يوم كذا فى مجلس كذا فدعونا الله عز وجل فغفر لنا لا يمسهم فيها نصب أى تعب وما هم منها بمخرجين قال الامام أبو محمد رحمه الله فى معالم التنزيل هذا أنص آية فى القرآن على الخلود وقال تعالى يا عبادى لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون وروى عن المعتمر بن سليمان عن أبيه قال سمعت أن الناس حين يبعثون ليس منهم أحد الا فزع فينادى مناد يا عبادى لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون فيرجوها الناس كلهم فيتبعها الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين فييأس الناس منها غير المسلمين فيقال لهم ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون أى تكرمون وتسرون وتنعمون يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين وأنتم فيها خالدون وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون وقال تعالى ان المتقين فى مقام أمين فى جنات وعيون يلبسون من سندس واستبرق متقابلين كذلك وزوجناهم بحور عين يدعون فيها بكل فاكهة آمنين لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى أى سوى الموتة التى ذاقوها فى الدنيا ووقاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك ذلك هو الفوز العظيم وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين وقال صلى الله عليه وسلم موضع سوط فى الجنة خير من الدنيا وما فيها ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت الى أهل الارض لاضاءت ما بينهما ولملأت ما بينهما ريحا ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها وقال صلى الله عليه وسلم ان للمؤمن فى الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلا

ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين وروى ابن عباس انه كان يخرج عليه السلام يهريق الماء فيتمسح بالتراب فأقول له يا رسول الله ان الماء منك قريب فيقول ما يدرينى لعلى لا أبلغه وروى أنه عليه السلام أخذ ثلاثة أعواد فغرس عودا بين يديه والآخر الى جنبه وأما الثالث فأبعده فقال هل تدرون ما هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا الانسان وهذا الاجل وذاك الامل يتعاطاه ابن آدم ويختلجه الاجل دون الامل *(فصل فى سكرات الموت وما يستصحب عنده من الاحوال)* اعلم أنه لو لم يكن بين يدى ابن آدم هول سوى سكرات الموت لكان جديرا بأن لا يتهنأ له عيش وحقيق بأن يطول فيه تأمله وفكرته ويحسن له استعداده وتأهبه كما قال بعض الحكماء رحمه الله تعالى كرب بيد سواك لا تدرى متى يغشاك وقال لقمان لابنه يا بنى أمر لا تدرى متى يلقاك استعد له قبل أن يفجأك والعجب ان الانسان لو كان يتوقع أن يدخل عليه جندى فيضربه خمس خشبات لتنغص عيشه وهو فى كل نفس بصدد أن يدخل عليه ملك الموت كيف لا يتنغص عيشه واعلم أن شدة الالم فى سكرات الموت لا يعرفها الا من ذاقها ومن لم يذقها فانما يعرفها بالقياس على الآلام التى أدركها أو بالاستدلال باحوال الموتى اذا شاهدها أما القياس فبان يعلم أن الآلام انما يصل الى الروح منها شىء قليل وأما الموت فهو ألم فى نفس الروح

في كل زاوية منها للمؤمن أهل لا يراهم الآخرون يطوف عليهم المؤمن وجنتين من فضة آنيتهما ومافيهما وجنتين من ذهب آنيتهما ومافيهما ومابين القوم وبين أن ينظروا الى ربهم الارداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن وقال صلى الله عليه وسلم في الجنة مائة درجة مابين كل درجتين كما بين السماء والارض والفردوس أعلاها درجة منها تتفجر أنهار الجنة الاربعة ومن فوقها يكون عرش الرحمن فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة عام ما يقطعها وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا دخل أهل الجنة الجنة ينادي مناد ان لكم أن تحيوا ولا تموتوا أبدا وان لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا وان لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا وان لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدا وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل يقول لاهل الجنة يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك فيقول هل رضيتم فيقولون ومالنا لا نرضى يا ربنا وقد أعطيتنا مالم تعط أحدا من خلقك فيقول ألا أعطيكم أفضل من ذلك فيقولون وأي شئ أفضل من ذلك فيقول أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا وقال صلى الله عليه وسلم ان أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم كأشد كوكب دري في السماء اضاءة قلوبهم على قلب رجل واحد لا اختلاف بينهم ولا تباغض لكل امرئ منهم زوجتان من الحور العين يرى مخ سوقهن من وراء اللحم والعظم من الحسن يسبحون الله بكرة وعشيا لا يسقمون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يتمخطون آنيتهم الذهب والفضة وأمشاطهم الذهب ووقود مجامرهم الالوة ورشحهم المسك على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعا في السماء قال النووي روى بعضهم على خلق رجل واحد بفتح الخاء واسكان اللام وبعضهم بضمهما وكلاهما صحيح وقال القرطبي في قوله صلى الله عليه وسلم وأمشاطهم الذهب والفضة ومجامرهم الالوة قد يقال هنا أي حاجة في الجنة للامشاط ولا تتلبد شعورهم ولا تتسخ وأي حاجة للبخور وريحهم أطيب من المسك قال ويجاب عن ذلك بان نعيم أهل الجنة وكسوتهم ليس عن دفع ألم اعتراهم وليس أكلهم عن جوع ولا شربهم عن ظمأ ولا تطيبهم عن شئ وانما هي لذات متوالية ونعم متتابعة ألا ترى قوله تعالى لآدم ان لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى وحكمة ذلك أن الله تعالى عرفهم في الجنة بنوع ما كانوا يتنعمون به في الدنيا وزاد في ذلك ما لا يعلمه الا الله وقد جاء مثل هذا في أهل النار حيث قال اذ الاغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون في الجحيم وقال ان لدينا أنكالا فعذبهم في النار بنوع ما كانوا يعذبون به في الدنيا وقال الشعبي أترون أن الله جعل الانكال في الرجل خشية أن يهربوا لا والله ولكنهم اذا أرادوا أن يرتفعوا استثقلت بهم وقال صلى الله عليه وسلم يدخل أهل الجنة الجنة على طول آدم ستين ذراعا بذراع الملك على حسن يوسف وعلى ميلاد عيسى ثلاث وثلاثين سنة وعلى لسان محمد صلى الله عليه وسلم جرد مكحلون وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قلنا يا رسول الله حدثنا عن الجنة ما بناؤها قال لبنة من فضة ولبنة من ذهب وملاطها المسك الاذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وترابها الزعفران من يدخلها ينعم ولا ييأس ويخلد ولا يموت لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه وقال صلى الله عليه وسلم ان في الجنة لسوقا ما فيها شراء ولا بيع الا الصور من الرجال والنساء فاذا اشتهى الرجل صورة دخل فيها

(الفصل الثاني في دخولها وذكر أبوابها) قال الله تعالى وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين قيل الواو في قوله تعالى وفتحت أبوابها صلة وقيل هي واو الثمانية وأبواب الجنة ثمانية وقيل هي واو الحال والمعنى جاؤا وقد فتحت أبوابها قبل مجيئهم بخلاف أبواب النار فانها انما فتحت عند مجيئهم قال بعض العلماء والحكمة في ذلك من وجوه (أحدها) أن يستعجل أهل الجنة الفرح والسرور اذا رأوا الابواب مفتحة وأهل النار يأتون النار وأبوابها مغلقة لتكون أشد لحرها (الثاني) ان الوقوف على الباب المغلوق نوع ذل وهوان فصين عنه أهل الجنة لا أهل

وشدته في جميع الاعضاء فما أعظمه من ألم ألا ترى النار اذا باشرت الجسد بالاحراق يزيد على الجرح ألمه لانه يلقى سائر أجزاء الروح وانما انقطع صياحه وصوته مع شدة ألمه لان الكرب فيه قد تصاعد الى قلبه واستغرق جميع أعضائه فهد منه كل عضو وقوة ولم يبق له قوة الاستغاثة أما العقل فقد غشيه وشوشه وأما اللسان فقد أبكمه وأما الاطراف فقد أضعفها ويود لو قدر على الاستراحة بالانين والصياح والاستغاثة ولكنه لا يقدر على ذلك فان بقيت فيه بقية قوة سمعت له عند نزع الروح وجذبها خوارا وغرغرة في حلقه وصدره وقد تغير لونه واربد حتى كأنه ظهر منه التراب الذي هو أصل فطرته فتنتزع الروح من كل عرق من عروقه على حياله ثم يموت كل عضو من أعضائه تدريجا فتبرد أولا قدماه ثم ساقاه ثم فخذاه ولكل عضو سكرة وحسرة على حيالها حتى يبلغ بها الى الحلقوم فعند ذلك ينقطع نظره عن الدنيا وأهلها ويغلق دونه باب التوبة وقال عليه السلام تقبل توبة العبد ما لم يغرغر وعن الحسن انه صلى الله عليه وسلم ذكر الموت وغصته وألمه فقال قدر ثلثمائة ضربة بالسيف وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال اذا بقي على المؤمن من درجاته شئ لم يبلغها بعمله شدد عليه الموت ليبلغ بسكرات الموت وكربه درجة في الجنة واذا كان للكافر معروف لم يجزبه في الدنيا هون عليه الموت ليستكمل ثواب معروفه

النار (الثالث) أن الكريم يعجل المثوبة ويؤخر العقوبة فلو وجد أهل الجنة بابها مغلقا لايليق انتظار فتحه في كمال الكرم بخلاف أهل النار وأبواب الجنة ثمانية لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من توضأ فأحسن الوضوء ثم قال أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين فتحت له ثمانية أبواب الجنة يدخل من أيها شاء وقد جاء من هذه الابواب الثمانية في حديث أبي هريرة أربعة وهو قوله صلى الله عليه وسلم من أنفق زوجين في سبيل الله نودي من أي أبواب الجنة يا عبد الله هذا خير قال فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة قال القاضي عياض رحمه الله وقد جاء ذكر بقية أبواب الجنان الثمانية في حديث آخر باب التوبة وباب الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس وباب الراضين فهذه السبعة أبواب جاءت في الاحاديث وجاء في حديث السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب انهم يدخلون الجنة بغير حساب من الباب الايمن فلعله الباب الثامن انتهى كلامه وروي عن علي رضي الله عنه انه قرأ وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا فقال اذا انتهوا الى أبوابها وجدوا عند كل باب شجرة يخرج من تحتها عينان تجريان فيشربون من احداهما فيذهب الله عنهم كل داء وبأس وغل ويتطهرون من الاخرى فتجري عليهم نضرة النعيم ثم يتقدمون الى الابواب فتقول لهم الملائكة سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وتتلقاهم الولدان فرحين ثم يذهب الولدان فيبشرون الحور العين فتفرح كل حورية بزوجها حتى انهن ليقفن على أبواب القصور منتظرات للمؤمنين فاذا وصل الرجل الى منزله رأى أساس بنيانه جنادل اللؤلؤ وفوقه حيطان من ذهب وفضة فاذا دخل وجد أزواجا مطهرة وأكوابا موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة فيتكئ يومئذ ويقول الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله فاذا اتكأ كل انسان مع زوجته ناداهم مناد يا أهل الجنة تحيون فلا تموتون أبدا وتقيمون فلا تظعنون أبدا وتصحون فلا تمرضون أبدا وروى أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة فوالذي نفس محمد بيده لاحدهم أهدى لمنزله في الجنة منه لمنزله الذي كان في الدنيا وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن يقولون ذلك اذا دخلوا الجنة واختلف المفسرون في الحزن قال ابن عباس حزن النار وقال قتادة حزن الموت وقال عكرمة حزن الذنوب والسيآت وخوف رد الطاعات وقال قاسم حزن زوال النعم وتقليب القلب وخوف العاقبة وقيل حزن أهوال يوم القيامة وقال سعيد بن جبير همهم الخبز في الدنيا وقيل هم المعيشة قال الزجاج أذهب الله عن أهل الجنة كل الاحزان ما كان منها لمعاش أو معاد ان ربنا لغفور شكور الذي أحلنا أي أنزلنا دار المقامة أي الاقامة لا يمسنا فيها نصب لا يصيبنا فيها عناء ولا مشقة ولا يمسنا فيها لغوب اعياء من التعب قال ابن الجوزي رحمه الله في روضة المشتاق ورد في الخبر اذا كان يوم القيامة جمع الله تعالى الخلائق في صعيد واحد ونصبت الموازين ونشرت الدواوين ونادت الجنة بلسان فصيح يسمعه الخلائق يارب قد عظم حسني واجتمع وتم ما يرادمني وقد أشرقت أنواري وزهرت ثماري وحرت أنهاري فعجل الي باهلي وأحبابي فوعزتك لا تخدمن من أطاعك اجلالا لقدرك وتعظيما لامرك ثم تنادي النار بلسان فصيح يسمعه جميع الحاضرين يارب قد عظم أمري وعلا دخاني واشتد عذابي ونكالي وأحضرت أهوالي وحميت سلاسلي وأغلالي فعجل الي باهلي فوعزتك لانتقمن ممن عصاك تعظيما لقدرك فيقول لهما سبحانه كفاك لكل واحدة منكن نصيب معروف

(الفصل الثالث في أنهار الجنة وشرابها) قال الله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون أي صفتها فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيحان وجيحان والفرات والنيل

فيصير الى النار وعن بعضهم انه كان يسأل كثيرا من المرضى كيف تجدون الموت فلما مرض سئل فقال كأن السموات مطبقة على الارض وكأن نفسي تخرج من ثقب ابرة وقال عليه السلام موت الفجأة راحة للمؤمن وأسف على الفاجر (الداهية الثانية) مشاهدة صورة ملك الموت ودخول الروع والخوف منه على القلب روي عن الخليل صلى الله عليه وسلم أنه قال لملك الموت هل تستطيع أن تريني الصورة التي تقبض فيها روح الفاجر قال لا تطيق ذلك قال فاعرض عني فأعرض عنه فالتفت فاذا هو برجل أسود قائم الشعر منتن الرائحة أسود الثياب يخرج من فيه ومناخره لهب نار ودخان فغشي على ابراهيم عليه السلام ثم أفاق وقد عاد ملك الموت الى صورته الاولى فقال يا ملك الموت لو لم يلق الفاجر عند موته الا صورة وجهك لكان حسبه وروى أبو هريرة رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان داود عليه السلام كان رجلا غيورا وكان اذا خرج غلق الابواب فأغلق ذات يوم وخرج فأشرفت امرأته فاذا هي برجل في الدار فقالت من أدخل هذا الرجل لئن جاء داود ليلقين منه عناء فجاء داود فرآه فقال من أنت فقال أنا الذي لا أهاب الملوك ولا يمنعني الحجاب فقال فأنت والله اذا ملك الموت وزمل داود عليه السلام مكانه وروي أن عيسى عليه السلام مر بجمجمة فضربها برجله وقال تكلمي باذن الله تعالى فقالت يا روح الله انما أنا

ملك زمان كذا وكذا أتانى آت وأنا جالس (٣٠٢) فى ملكى وعلى تاجى وخولى جنودى وحشمى على سريرى ملكى اذ بدالى ملك الموت

كل من أنهار الجنة قال كعب الاحبار نهر دجلة ماء أهل الجنة ونهر الفرات نهر لبنهم ونهر مصر نهر خمرهم ونهر سيحان نهر عسلهم وهذه الانهار الاربعة تخرج من نهر الكوثر وقال تعالى يطاف عليهم بكأس اناء فيه شراب فلا يكون كأسا حتى يكون فيه شراب والافهو اناء من معين خمر جارية فى الانهار ظاهرة تراها العيون بيضاء قال الحسن خمر الجنة أشد بياضا من اللبن لذة لذيذة للشاربين لا فيها غول قال الشعبى لا تغتال عقولهم فتذهب بها قال الكلبى اثم وقال قتادة وجع البطن وقال الحسن صداع وخمر الدنيا يحصل منها أنواع من الفساد منها السكر وذهاب العقل ووجع البطن والصداع والقىء والبول ولا يوجد شىء من ذلك فى خمر الجنة ولا هم عنها ينزفون أى لا تغلبهم على عقولهم ولا يسكرون وقال تعالى يطوف عليهم أى للخدمة ولدان مخلدون لا يموتون ولا يهرمون ولا يتغيرون وقال الحسن هم أولاد أهل الدنيا لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيآت فيعاقبوا عليها لان الجنة لا ولادة فيها فهم خدام أهل الجنة بأكواب وأباريق الاكواب جمع كوب وهى الاقداح المستديرة الافواه لا آذان لها ولا عرا والاباريق جمع الابريق وهى ذوات الخراطيم سميت أباريق لبريق لونها من الصفاء وكأس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون وقال تعالى ان الابرار لفى نعيم على الارائك ينظرون تعرف فى وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق خمر صافية طيبة مختوم ختامه مسك قال ابن مسعود مختوم أى ممزوج ختامه أى آخر طعمه وعاقبته مسك وقال أبو الدرداء هو شراب مثل الفضة يختمون به آخر شرابهم ولو أن رجلا من أهل الدنيا أدخل يده فيه ثم أخرجها لم يبق ذو روح الا وجد طيبها وفى ذلك فليتنافس المتنافسون فليرغب الراغبون بالمبادرة الى طاعة الله تعالى وقال مجاهد فليعمل العاملون نظيره قوله تعالى لمثل هذا فليعمل العاملون ومزاجه من تسنيم شراب ينصب عليهم من علو فى غرفهم ومنازلهم قال ابن مسعود وابن عباس رضى الله عنهما هو خالص للمقربين يشربونه صرفا ويمزج لسائر أهل الجنة قال عليه السلام من شرب الخمر فى الدنيا حرمها فى الآخرة وقال تعالى وسقاهم ربهم شرابا طهورا قيل طاهر من الاقذار والاقذاء لم تدنسه الايدى والارجل كخمر الدنيا وقال أبو قلابة وابراهيم انه لا يصير بولا نجسا ولكنه يصير رشحا فى أبدانهم ريحه كريح المسك وذلك أنهم يؤتون بالطعام فاذا كان آخر ذلك أتوا بالشراب الطهور فيشربونه فتطهر بطونهم فيصير ما أكلوا رشحا من جلودهم أطيب ريحا من المسك الاذفر وتضمر بطونهم وتعود شهوتهم وقال مقاتل هو عين ماء على باب الجنة من شرب منها نزع الله تعالى ما كان فى قلبه من غل وغش وحسد وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكوثر نهر فى الجنة حافتاه الذهب مجراه على الدر والياقوت تربته أطيب من المسك وأشد بياضا من الثلج وعنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال حوضى مسيرة شهر ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من يشرب منها لا يظمأ أبدا

(الفصل الرابع فى أشجارها وثمارها وأطعمتها) قال الله تعالى وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الانهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل فى الدنيا وقيل الثمار فى الجنة متشابهات فى اللون مختلفة فى الطعم فاذا رزقوا ثمرة بعد أخرى ظنوا أنها الاولى وأتوا به بالرزق متشابها وقال ابن عباس ومجاهد والربيع متشابها فى الالوان مختلفا فى الطعوم وقال الحسن وقتادة متشابها أى يشبه بعضها بعضا فى الجودة أى كلها خيار لا رداءة فيها وقال محمد بن كعب تشبه ثمرة الدنيا غير أنها أطيب وقيل متشابها فى الاسم مختلفا فى الطعم وقال ابن عباس رضى الله عنه ليس فى الدنيا مما فى الآخرة الا الاسامى وقال أيضا ما فى الدنيا ثمرة حلوة ولا مرة الا وهى فى الجنة حتى الحنظل الا أنه حلو وقال تعالى وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين فى سدر مخضود لا شوك فيه كأنه خضد شوكه أى قطع ونزع منه هذا قول ابن عباس وعكرمة وقال ابن كيسان هو الذى لا أذى فيه قال وليس شىء من ثمار الجنة فى غلف كما يكون فى الدنيا من الباقلا وغيرها بل كلها مأكول ومشروب ومشموم ومنظور اليه وطلح منضود وموز واحدتها طلحة عن أكثر المفسرين وقال الحسن ليس هو بالموز ولكنه شجر له ظل بارد طيب والمنضود

فزال منى كل عضو على حياله ثم خرجت نفسى اليه فياليت ما كان من تلك الجموع كان فرقة وياليت ما كان من ذلك الانس كانت وحشة وروى ابن عباس رضى الله عنه ان ابراهيم عليه السلام كان رجلا غيورا وكان له بيت يتعبد فيه فاذا خرج أغلقه فرجع ذات يوم فاذا رجل فى جوف البيت فقال من أدخلك دارى فقال أدخلنيها من هو أملك بها منى ومنك فقال من أنت من الملائكة قال أنا ملك الموت قال هل تستطيع أن ترينى الصورة التى تقبض فيها روح المؤمن قال نعم فأعرض ثم التفت فاذا هو شاب وقد ذكر من حسنه وحسن ثيابه وطيب ريحه فقال يا ملك الموت لو لم يلق المؤمن عند الموت الا صورتك كان حسبه ومنها مشاهدة الملكين الحافظين قال وهيب بلغنا أنه ما من ميت يموت حتى يتراءى له ملكاه الكاتبان عمله فان كان مطيعا قالا له جزاك الله عنا خيرا فرب مجلس صدق أجلستنا ورب عمل صالح أحضرتنا وان كان فاجرا قالا له لا جزاك الله عنا خيرا فرب مجلس سوء أجلستنا ومن كلام قبيح أسمعتنا فذلك شخوص بصره اليهما (الداهية الثالثة) مشاهدة العصاة مواضعهم من النار وخوفهم لانهم لن تخرج أرواحهم مالم يسمعوا ملك الموت باحدى كلمتين أبشر يا عدو الله

بالنار وابشر يا ولى الله بالجنة ومن هذا كان خوف أرباب الالباب قال عليه السلام (٣٠٣) لن يخرج أحدكم من الدنيا حتى يعلم أين

المتراكم الذى قد انتضد بالحمل من أوله الى آخره ليس له سوق بارزة قال مسروق أشجار الجنة من عروقها الى أفنانها ثمر كله وظل ممدود دائم لا تنسخه الشمس وروى عن ابن عباس فى قوله تعالى وظل ممدود قال شجرة فى الجنة على ساق يخرج اليها أهل الجنة فيتحدثون ويشتهى بعضهم لهو الدنيا فيرسل الله عليها ريحا من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو فى الدنيا وماء مسكوب مصبوب يجرى دائما فى غير أخدود وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة قال ابن عباس رضى الله عنه لا تنقطع اذا جنيت ولا تمتنع من أحد اذا أخذها وقال بعضهم لا مقطوعة بالازمان ولا ممنوعة بالاثمان كما تنقطع أكثر ثمار الدنيا اذا جاء الشتاء ولا يتوصل اليها بالثمن وفى الحديث لا يقطع رجل ثمرة من الجنة فتصل الى فيه حتى يبدل الله مكانها خيرا منها وثمارها يتناولها القائم والقاعد والمضطجع قال الله تعالى وذللت قطوفها تذليلا وروى أن شجرة طوبى ليس فى الجنة موضع الا وفيه غصن منها وقال صلى الله عليه وسلم ما فى الجنة شجرة الا وساقها من ذهب وقال ابن عباس فى قوله تعالى ولحم طير مما يشتهون يخطر على قلبه لحم الطير فيصير ممثلا بين يديه على ما اشتهى ويقال أنه يقع على صحفة الرجل فيأكل منه ما يشتهى ثم يطير فيذهب وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال انك لتنظر الى الطير فى الجنة فتشتهيه فيجىء مشويا بين يديك وقال المفسرون فى قوله تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم هذه الكلمة علامة بين أهل الجنة والخدم فى الطعام فاذا أرادوه قالوا سبحانك اللهم فأتوهم فى الوقت بما يشتهون على الموائد كل مائدة ميل فى ميل على كل مائدة سبعون ألف صحفة فى كل صحفة لون من الطعام لا يشبه بعضها بعضا فاذا فرغوا من الطعام حمدوا الله فذلك قوله تعالى وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين

(الفصل الخامس فى لباس أهل الجنة وحليهم) قال الله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع أجر من أحسن عملا أولئك لهم جنات عدن تجرى من تحتهم الانهار يحلون فيها من أساور من ذهب قال سعيد بن جبير يحلى كل واحد منهم ثلاثة أساور واحد من ذهب وواحد من فضة وواحد من لؤلؤ ويواقيت ويلبسون ثيابا خضرا من سندس وهو مارق من الديباج واستبرق وهو ما غلظ منه ومعنى الغلظ فى ثياب الجنة احكامها وقيل السندس هو الديباج المنسوج بالذهب متكئين فيها فى الجنات على الارائك وهى السرر فى الحجال واحدتها أريكة نعم الثواب أى نعم الجزاء وحسنت الجنة مرتفقا مجلسا ومقرا قال أبو هريرة وابن مسعود رضى الله عنهما فى قوله تعالى بطائنها من استبرق هذه البطائن فما ظنكم بالظواهر وقيل لسعيد بن جبير البطائن من استبرق فما الظواهر قال هذا مما قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون وقال تعالى متكئين على رفرف خضر هى المجالس المرتفعة فى الرياض النضرة وعبقرى حسان هى البسط من الديباج وهى زرابى أيضا والنمارق الوسائد وروى أبو سعيد الخدرى وأبو هريرة رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى قوله تعالى وفرش مرفوعة قال ارتفاعها كما بين السماء والارض وأن ما بين السماء والارض لمسيرة خمسمائة عام وعن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة فان دخل الجنة لبسه أهل الجنة ولم يلبسه

(الفصل السادس فى الحور) قال الله تعالى ولهم فيها أزواج مطهرة أى طهرت من الحيض والبول والنفاس والغائط والمخاط والبصاق وكل قذر وكل أذى يكون من نساء الدنيا وطهر مع ذلك باطنهن من الاخلاق السيئة والصفات المذمومة وطهرت ألسنتهن من الفحش والبذاءة وطهر طرفهن من أن يطمحن به الى غير أزواجهن وطهرت أثوابهن من أن يعرض لها وسخ أو دنس وقال تعالى وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون الحور النساء النقيات البياض قال مجاهد يحار فيهن الطرف من بياضهن وصفاء لونهن وقال أبو عبيدة الحور الشديدات بياض الاعين الشديدات سوادها والعين جمع العيناء وهى عظيمة العينين واللؤلؤ المكنون المخزون فى الصدف لم تمسه الايدى وقال تعالى انا أنشأناهن خلقناهن انشاء خلقا جديدا قال ابن عباس يعنى الآدميات العجز الشمط يقول خلقناهن بعد الهرم خلقا آخر فجعلناهن أبكارا وروى عن الحسن أنه قال أتت عجوز النبى صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ادع الله تعالى أن يدخلنى الجنة فقال

مصيره وحتى يرى مقعده من الجنة والنار (بيان ما يستحب من أحوال المحتضر) والمستحب هو الهدى والسكون وأن يكون لسانه ناطقا بالشهادة ويستحب من قلبه أن يكون حسن الظن بالله تعالى راجيا الغفران قال صلى الله عليه وسلم ارقبوا الميت عند ثلاث اذا رشح جبينه وذرفت عيناه ويبست شفتاه فهو من رحمة الله تعالى وقد نزلت به وروى أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه انه عليه السلام قال لقنوا موتاكم قول لا اله الا الله وفى رواية حذيفة فانها تهدم ما قبلها من الخطايا وقال أبو هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حضر ملك الموت رجلا يموت فنظر فى قلبه فلم يجد فيه شيئا ففك لحييه فوجد طرف لسانه لاصقا بحنكه وهو يقول لا اله الا الله فغفر له بكلمة الاخلاص ويستحب الرفق فى التلقين فلعل لسانه لا ينطق للضعف فان ألح عليه يخشى أن يكره الكلمة وأما حسن الظن فيستحب لقوله عليه السلام أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى خيرا (بيان الحسرة عند لقاء ملك الموت) قال وهب بن منبه كان ملك من الملوك أراد أن يركب الى أرض فدعا بثياب ليلبسها فلم تعجبه وطلب غيرها ليلبسها فما أعجبته ثم لبس ما أعجبه بعد مرات وكذلك طلب دابة فأتى بها فلم تعجبه حتى أتى بدواب فركب أحسنها فجاء ابليس

فنفخ فى منخريه فلاه كبرا ثم سار وسارت معه الخيول وهو لا ينظر الى الناس كبرا فجاءه رجل رث الهيئة فسلم فلم يرد السلام

يا أم فلان ان الجنة لا تدخلها عجوز فولت تبكى قال أخبروها أنها لا تدخلها وهى عجوز ان الله تعالى يقول انا أنشأناهن انشاء فجعلناهن أبكارا وعن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى انا انشأناهن انشاء قال عجائز كن فى الدنيا عمشا رمصا فجعلناهن أبكارا وقال المسيب بن شريك هى عجائز الدنيا أنشأهن الله عز وجل خلقا جديدا كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكارا وذكر المسيب عن غيره أنهن فضلن على الحور العين بصلاتهن فى الدنيا وقال مقاتل وغيره هن الحور أنشأهن الله عز وجل لم يقع عليهن ولادة وقوله تعالى عربا جمع عروب أى عواشق محببات الى أزواجهن وقيل غنج أترابا مستويات فى السن على سن واحدة وقال تعالى فيهن قاصرات الطرف أى غاضات الاعين قصرن طرفهن على أزواجهن لا ينظرن الى غيرهم ولا يردن غيرهم قال ابن زيد تقول الحور لزوجها وعزة ربى ما أرى فى الجنة شيأ أحسن منك فالحمد لله الذى جعلك زوجى وجعلنى زوجك وعن أم سلمة رضى الله عنها قالت قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرنى عن قوله تعالى فيهن خيرات حسان قال خيرات الاخلاق حسان الوجوه وقال صلى الله عليه وسلم أدنى أهل الجنة الذى له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة وينصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية الى صنعاء اليمن وقال صلى الله عليه وسلم ان فى الجنة لمجتمعا للحور العين يرفعن بأصوات لم تسمع الخلائق مثلها يقلن نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات فلا نبأس ونحن الراضيات فلا نسخط طوبى لمن كان لنا وكنا له ويروى أنه يسطع نور فى الجنة فيقولون ما هذا فقالوا ضوء ثغر حوراء ضحكت فى وجه زوجها ويروى أن الحوراء اذا مشت يسمع تقديس الخلاخل من ساقيها وتمجيد الاسورة من ساعديها وان عقد الياقوت يضحك فى نحرها وفى رجليها نعلان من ذهب شراكهما من لؤلؤ يصران بالتسبيح وقال صلى الله عليه وسلم يعطى المؤمن قوة كذا وكذا من الجماع قيل يارسول الله أو يطيق ذلك قال يعطى قوة مائة وذكر ابن أبى الدنيا عن أبى سليمان الدارانى قال كان شاب بالعراق يتعبد فخرج مع رفيق له الى مكة فكان ان نزلوا فهو يصلى وان أكلوا فهو صائم فصبر عليه رفيقه ذاهبا وراجعا فلما أراد أن يفارقه قال له يا أخى أخبرنى ما الذى هيجك الى ما رأيت قال رأيت قصرا من قصور الجنة واذا لبنة من فضة ولبنة من ذهب فلما تم البناء اذا شرافة من زبرجد وشرافة من ياقوت وبينهما حوراء من حور العين مرخية شعرها عليها ثوب من فضة يتثنى معها كلما تثنت فقالت جد الى الله فى طلبى فقد والله جديت اليه فى طلبها فهذا الذى تراه فى طلبها قال أبو سليمان هذا فى طلب حوراء فكيف بمن قد طلب ما هو أكثر منها

(الفصل السابع فى المرأة اذا كان لها زوجان فى الدنيا فلأيهما تكون فى الجنة) روى أن أسماء بنت أبى بكر امرأة الزبير رضى الله عنهم ضربها زوجها فشكته الى أبيها فقال لها أى بنية اصبرى فان الزبير رجل صالح ولعله أن يكون زوجك فى الآخرة ولقد بلغنى أن الرجل اذا ابتكر المرأة تزوجها فى الجنة وخطب معاوية أم الدرداء رضى الله عنها فأبت وقالت سمعت أبا الدرداء رضى الله عنه يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان المرأة لآخر أزواجها فى الآخرة وقال لى ان أردت أن تكونى زوجتى فى الآخرة فلا تتزوجى بعدى وروى أن أم حبيبة زوج النبى صلى الله عليه وسلم قالت يارسول الله المرأة يكون لها الزوجان فى الدنيا ثم يموتون فيجتمعون فى الجنة لأيهما تكون للاول أو للآخر قال هى لاحسنهما خلقا كان معها يا أم حبيبة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة قال القرطبى رحمه الله وقيل انها تخير اذا كانت ذات أزواج

(الفصل الثامن فى أشياء متفرقة) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل أهل الجنة الجنة على طول آدم ستين ذراعا بذراع الملك على حسن يوسف وعلى ميلاد عيسى ثلاثة وثلاثين سنة وعلى لسان محمد عليه السلام جردا مكحلون وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال لسان أهل الجنة عربى وقال الزهرى لسان أهل الجنة اذا خرجوا من قبورهم سريانى وقال سفيان بلغنا أن الناس يتكلمون يوم القيامة قبل أن يدخلوا الجنة بالسريانية فاذا دخلوا الجنة تكلموا بالعربية وقال صلى الله عليه وسلم النوم أخو الموت وأهل

فأخذ بلجام دابته فقال أرسل اللجام فقد تعاطيت أمرا عظيما قال ان لى اليك حاجة قال اصبر حتى أنزل قال لا الآن فقهره على لجام دابته لا فقال اذكرها قال هو سر فأدنى اليه رأسه فساره وقال أنا ملك الموت فتغير لون الملك واضطرب لسانه ثم قال دعنى حتى أرجع الى بيتى وأقضى حاجتى وأودعهم فقال والله لا ترى أهلك وثقلك أبدا فقبض روحه فخر كأنه خشبة ثم لقى عبدا صالحا فى تلك الحال فسلم فرد عليه السلام فقال ان لى اليك حاجة قال فاذكرها لى فساره وقال انا ملك الموت فقال مرحبا وأهلا وسهلا بمن طالت غيبته على فوالله ما كان فى الارض غائب أحب الى أن ألقاه منك فقال له ملك الموت اقض حاجتك التى خرجت لها فقال مالى حاجة أكبر عندى ولا أحب من لقاء الله تعالى قال فاختر على أى حال شئت أن أقبض روحك فقال تقدر على ذلك قال نعم انى أمرت بذلك قال فدعنى حتى أتوضأ وأصلى فاقبض روحى وأنا ساجد فقبض روحه وهو ساجد وقال بكر بن عبد الله المزنى جمع رجل من بنى اسرائيل مالا فلما أشرف على الموت قال لبنيه أرونى أصناف أموالى فأتى بشئ كثير من الخيل والابل والرقيق فلما نظر اليه بكى تحسرا عليه فرآه ملك الموت وهو يبكى فقال له ما يبكيك فوالذى خولك ما أنا بخارج من

منزلك حتى أفرق بين روحك وبدنك قال فالمهلة حتى أفرقه قال هيهات انقطعت عنك المهلة فهلا كان ذلك قبل حضور أجلك فقبض روحه

(فصل فى وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين رضى الله عنهم أجمعين) اعلم أن فى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة حيا وميتا واذ توفى هو فلا طمع لاحد فى البقاء قال الله تعالى أفان مت فهم الخالدون وقال الله تعالى كل نفس ذائقة الموت قال ابن مسعود رضى الله عنه دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت أمنا عائشة رضى الله عنها حين اذن الفراق فنظر الينا فدمعت عيناه صلى الله عليه وسلم ثم قال مرحبا حياكم الله أواكم الله نصركم الله أوصيكم بتقوى الله وأوصى بكم الله انى لكم منه نذير مبين أن لا تعلوا على الله فى عباده وبلاده وقد دنا الاجل والمنقلب الى الله تعالى والى سدرة المنتهى والى جنة المأوى والى الكاس الاوفى فاقرؤا على أنفسكم وعلى من دخل فى دينكم بعدى منى السلام وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام عند موته من لامتى بعدى فأوحى الله تعالى الى جبريل أن بشر حبيبى انى لا أخذله فى أمته وبشره بأنه أسرع الناس خروجا من الارض اذا بعثوا وسيدهم اذا جمعوا وان الجنة محرمة على الامم حتى تدخلها أمته فقال الآن قد قرت عينى وروى أن عائشة رضى الله عنها قالت قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيتى وفى يومى وبين سحرى ونحرى

الجنة لا ينامون وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال المؤمن اذا اشتهى الولد فى الجنة كان وضعه وحمله وسنه فى ساعة كما يشتهى رواه الترمذى وقال حديث حسن غريب قال وقد اختلف أهل العلم فى هذا فقال بعضهم فى الجنة جماع من غير حمل ولا ولد يروى ذلك عن طاوس ومجاهد والنخعى وقال البخارى قال لى اسحق بن ابراهيم فى حديث النبى صلى الله عليه وسلم اذا اشتهى المؤمن الولد فى الجنة كان كما يشتهى فى ساعة ولكن لا يشتهى قال البخارى وقد روى عن أبى رزين العقيلى عن النبى صلى الله عليه وسلم ان أهل الجنة لا يكون لهم فيها ولد وقال رجل يارسول الله هل فى الجنة من خيل قال ان يدخلك الله الجنة فلا تشاء أن تحمل فيها على فرس من ياقوتة حمراء تطير بك فى الجنة حيث شئت الا فعلت وساله رجل فقال يارسول الله هل فى الجنة من ابل فقال ان يدخلك الله الجنة يكن لك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك

(الفصل التاسع فى رؤية المؤمنين ربهم فى الآخرة) قال الله تعالى وجوه يومئذ أى يوم القيامة ناضرة أى ناعمة بهجة مسرورة الى ربها ناظرة قال ابن عباس وأكثر العلماء ينظرون الى ربهم عيانا بلا حجاب وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر الى جنانه وأزواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة وأكرمهم على الله عز وجل من ينظر الى وجهه غدوة وعشية ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وفى الصحيحين عن جرير رضى الله عنه قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر فقال انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لا تضامون فى رؤيته وقال تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه زيدوا النظرة الى ربهم وعن صهيب رضى الله عنه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم للذين أحسنوا الحسنى وزيادة فقال اذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد ان لكم عند الله وعدا يريد أن ينجزكموه فيقولون ما هو ألم يثقل موازيننا ألم يبيض وجوهنا ألم يدخلنا الجنة ألم يجرنا من النار فيكشف عنهم الحجاب فينظرون الى الله تعالى فما من شئ أحب اليهم من النظر الى الله وعن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا أهل الجنة فى نعيمهم اذ سطع لهم نور فرفعوا رؤسهم فاذا الرب عز وجل قد أشرف عليهم

وجمع الله بين ريقى وريقه عند الموت فدخل على أخى عبد الرحمن وبيده سواك فجعل ينظر اليه فعرفت انه يعجبه ذلك فقلت له آخذه لك فأومأ برأسه أن نعم فناولته اياه فادخله فى فيه فاشتد عليه فقلت ألينه لك فأومأ برأسه أن نعم فلينته وكان بين يديه ركوة ماء فجعل يدخل يده فيها ويقول لا اله الا الله ان للموت لسكرات ثم نصب يده ويقول الرفيق الاعلى الرفيق الاعلى فقلت اذا والله لا يختارنا وروى ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لابى بكر سل يا أبا بكر فقال يارسول الله دنا الاجل فقال قد دنا وتدلى فقال ليهنك يا نبى الله ما عند الله فليت شعرى عن منقلبنا فقال الى الله والى سدرة المنتهى

ثم الى جنة المأوى والفردوس الاعلى والكأس الاوفى والرفيق الاعلى والحظ والعيش المهنا فقال يا نبى الله من يلى غسلك قال رجل من أهل بيتى الادنى فالادنى فقلنا ففيم نكفنك قال فى ثيابى هذه وفى حلة يمانية وفى قباطى مصر قال كيف الصلاة عليك منا وبكينا وبكى ثم قال مهلا غفر الله لكم وجزاكم عن نبيكم خيرا اذا غسلتمونى وكفنتمونى فضعونى على سريرى فى بيتى هذا على شفير قبرى ثم اخرجوا عنى ساعة فان أول من يصلى على الله عز وجل هو الذى يصلى عليكم وملائكته ثم يأذن للملائكة فى الصلاة على فاول من يدخل على من خلق الله ويصلى على جبريل عليه السلام ثم ميكائيل عليه السلام ثم اسرافيل عليه السلام ثم ملك الموت مع جنود كثيرة ثم الملائكة باجمعها ثم أنتم فادخلوا على أفواجا فصلوا على أفواجا زمرا وسلموا تسليما ولا تؤذونى بتزكية ولا صيحة ولا صرخة ولا رنة وليبدأ منكم الامام وأهل بيتى الادنى فالادنى ثم زمر النساء ثم زمر الصبيان قال فمن يدخل القبر قال زمر أهل بيتى الادنى فالادنى مع ملائكة كثيرة لا ترونهم وهم يرونكم قوموا فأدوا عنى الى من بعدى السلام وقالت عائشة رضى الله عنها لما كان اليوم الذى مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم رأوا منه خفة فى أول النهار فتفرق عنه الرجال الى منازلهم وحوائجهم مستبشرين وأخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنساء فبينا نحن على ذلك لم نكن على مثل

حالنا في الرجاء والفرح مثل ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجن عني هذا الملك يستأذن علي فخرج من في البيت غيري ورأسه في حجري وجلس وتنحيت في جانب البيت فناجى الملك طويلا ثم انه عاد وأعاد رأسه في حجري وقال للنساء ادخلن فقلت ماهذا بحس جبريل عليه السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أجل يا عائشة هذا ملك الموت جاءني فقال يا رسول الله ان الله تعالى أرسلني وأمرني أن لا أدخل عليك الا باذن فان لم تأذن ارجع وان اذنت لي دخلت وامرني ان لا اقبضك حتى تامرني فماذا امرك فقال النبي صلى الله عليه وسلم اكفف عني حتى ياتيني جبريل عليه السلام فهذه ساعة جبريل قالت عائشة رضي الله عنها فاستقبلنا بامر لم يكن له عندنا جواب ولا راي فوجمنا كانما ضربنا بصاخة مانحير اليه شيأ ومايتكلم احد من اهل البيت تعظيما لذلك الامر وهيبة قالت وجاء جبريل عليه السلام في ساعته فسلم فعرفت حسه وخرج اهل البيت ودخل جبريل فقال ان الله عز وجل يقرئك السلام ويقول لك كيف تجدك وهو اعلم بالذي تجد منا ولكن اراد ان يزيدك كرامة وشرفا وان يتم كرامتك وشرفك على الخلق وتكون سنة في امتك فقال اجد وجعا قال ابشر فان الله تعالى اراد ان يبلغك ما اعد لك فقال ياجبريل ان ملك الموت استاذن علي

واخبره الخبر قال عليه السلام يامحمد ان ربك اليك مشتاق الم يعلمك الذي يريد بك لا والله ما استاذن ملك الموت على احد قط ولا يستاذن عليه ابدا الا ان ربك متم لك وهو اليك مشتاق قال فلا تبرح اذا حتى يجيء واذن للنساء فقال يا فاطمة ادني فاكبت عليه وجهها فناجاها فرفعت راسها وعيناها تدمع وما تطيق الكلام ثم قال ادني مني رأسك فاكبت عليه فناجاها فرفعت رأسها وهي تضحك وما تطيق الكلام فكان الذي رأينا منها عجبا فسألناها بعد ذلك فقالت قال لي اني ميت اليوم فبكيت ثم قال اني دعوت الله ان يلحقك في اول اهلي بي وان يجعلك معي فضحكت قالت وجاء ملك الموت فسلم واستأذن فاذن له فقال الملك ما تامر يا محمد قال ألحقني بربي الآن قال بلى من يومك هذا أما ان ربك اليك مشتاق ولم يتردد عن أحد تردده عنك ولم ينهني عن الدخول على أحد الا باذن غيرك ولكن ساعتك أمامك وخرج قالت وجاء جبريل عليه السلام فقال السلام عليك يارسول الله هذا آخر ما أنزل فيه الى الارض طوى الوحي وطويت الدنيا وما كان لي في الارض حاجة غيرك ومالي فيها حاجة الا حضورك ثم لزوم موقفي لا والذي بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق ما في البيت أحد يستطيع أن يحير اليه في ذلك كلمة ولا يبعث الى أحد من رجاله لعظم ما يسمع من حديثه ووجدنا واشفاقنا قالت فقمت الى النبي صلى الله عليه وسلم حتى أضع رأسه بين ثديي وأمسكت بصدره وجعل يغمى عليه حتى يغلب وجبهته ترشح عرقا ما رأيت من انسان قط أطيب منه وجعلت أرسل ذلك العرق وما وجدت رائحة شيء قط أطيب منه فكنت أقول له اذا أفاق بابي وأمي ونفسي وأهلي ومالي ما تلقى جبهتك من العرق والرشح فقال يا عائشة ان نفس المؤمن تخرج بالرشح ونفس الكافر تخرج من شدقه كنفس الحمار فعند ذلك ارتعنا وبعثنا الى أهلنا فكان أول رجل جاءنا ولم يشهده أخي بعثه الى أبي فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يجيء أحد وانما صدهم الله عز وجل عنه لانه تولاه جبريل وميكائيل وجعل اذا أغمي عليه قال بل الرفيق الاعلى قالت عائشة رضي الله عنها مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ارتفاع الضحى

من فوقهم فقال السلام عليكم يا أهل الجنة فذلك قوله سلام قولا من رب رحيم فينظر اليهم وينظرون اليه فلا يلتفتون الى شيء من النعيم ماداموا ينظرون اليه حتى يحتجب عنهم فيبقى نوره وبركاته عليهم في ديارهم وقال الشافعي رحمه الله في قوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون لما حجبهم في السخط كان هذا دليلا على أنهم يرونه في الرضا

(الفصل العاشر في قوله تعالى والذين آمنوا واتبعناهم ذرياتهم بايمان ألحقنا بهم ذرياتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليرفع ذرية المؤمن اليه في درجته وان كانوا دونه في العمل لتقر بهم عينه ثم قرأ والذين آمنوا واتبعناهم ذرياتهم بايمان ألحقنا بهم ذرياتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء قال ما نقصنا الآباء بما أعطينا البنين قال ابن عباس رضي الله عنهما قال شريك أظنه حكاه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل الرجل الجنة سأل عن أبويه وزوجته وولده فيقال انهم لم يبلغوا درجتك أو عملك فيقول يارب قد عملت لي ولهم فيؤمر بالالحاق به ثم تلا ابن عباس والذين آمنوا واتبعناهم ذرياتهم الى آخر الآية قال ابن القيم قالوا جعل الله المنازل في الجنة بحسب الاعمال في حق المستقلين وأما الاتباع فان الله سبحانه يرفعهم الى درجة أهليهم وان لم تكن أعمالهم كأعمال المتبوعين كأزواج النبي صلى الله عليه وسلم وأيضا فالحور العين والخدم في درجة أهليهم وان لم يكن لهم عمل بخلاف المكلفين البالغين فانهم يرفعون الى حيث تلقيهم أعمالهم قال الكلبي عن ابن عباس ان كان الآباء أرفع درجة من الابناء رفع الله الابناء الى الآباء وان كان الابناء أرفع درجة من الآباء رفع الله الآباء الى الابناء قالوا ويدل على صحة هذا القول القراءتان في الآيتين فمن قرأ واتبعتهم ذريتهم فهذا في حق البالغين الذين يصح نسبة الفعل اليهم كقوله والسابقون الاولون الآية ومن قرأ واتبعناهم ذرياتهم فهذا في حق الصغار الذين اتبعهم الله آباءهم في الايمان حكما قالوا والذرية تقع على الصغير والكبير والابن والاب قال تعالى وآية لهم انا حملنا ذريتهم أي آباءهم وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول يارب أنى لي هذا فيقول باستغفار ولدك لك

(الفصل الحادي عشر في دخول الاطفال الجنة) أما أولاد الانبياء فيدخلون الجنة بالاجماع وأما

اولاد

والنصاف النهار يوم الاثنين فصلوات الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين أجمعين

(وفاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه) لما احتضر أبو بكر رضي الله تعالى عنه جاءت عائشة رضي الله عنها وتمثلت بهذا البيت

لعمرك مايغني الثراء عن الفتى * اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

فكشف عن وجهه وقال ليس كذلك ولكن قولي وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد انظروا ثوبي هذين فاغسلوهما وكفنوني فيهما فان الحي الى الجديد أحوج من الميت وقالت عائشة رضي الله عنها عنده وتمثلت بهذا البيت

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ربيع اليتامى عصمة للارامل

فقال أبو بكر رضي الله عنه ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخلوا عليه فقالوا ألا ندعو لك طبيبا ينظر اليك فقال قد نظر الي وقال اني فعال لما أريد ودخل سلمان الفارسي رضي الله عنه يعوده فقال يا أبا بكر أوصنا فقال ان الله فاتح عليكم الدنيا فلا تاخذوا منها الا بلاغكم واعلم أن من صلى صلاة الصبح فهو في ذمة الله تعالى فلا تخفرن الله في ذمته فيكبك في النار على وجهك ولما ثقل أبو بكر رضي الله تعالى عنه وأراد الناس منه أن يستخلف فاستخلف عمر رضي الله عنهما فقال الناس له استخلفت علينا فظا غليظا القلب فما تقول لربك فقال أقول استخلفت على خلقك خير خلقك رضي الله عنهما آمين

(وفاة عمر رضي الله عنه) قال عمرو بن ميمون كنت قائما غداة أصيب عمر ما بيني وبينه الا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فكان اذا مر بين الصفين قام بينهما فاذا رأى خللا قال استووا حتى اذا لم ير فيهم خللا تقدم فكبر قال وربما قرأ سورة يوسف أو النحل أو غير ذلك في الركعة الاولى حتى يجتمع الناس فما هو الا أن كبر فسمعته يقول قتلني أو أكلني الكلب حين طعنه أبو لؤلؤة وطار العلج بسكين ذات طرفين لا يمر على أحد يمينا وشمالا الا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلا فمات منهم تسعة أو سبعة فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنسا فلما ظن العلج انه ماخوذ نحر نفسه وروي انه بعث عبد الله الى عائشة رضي الله عنها وقال قل لها يقرأ عليك عمر السلام لا تقل أمير المؤمنين فاني لست اليوم للمؤمنين أميرا وقل يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه فذهب عبد الله فسلم واستأذن ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكي فقال يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام ويستأذن ان يدفن مع صاحبيه فقالت كنت اريده لنفسي ولاوثرنه اليوم على نفسي فلما أقبل قيل هذا عبد الله بن عمر قد جاء قال ارفعوني فاسنده رجل اليه قال مالديك قال الذي تحب يا أمير المؤمنين أذنت قال الحمد لله ما كان شيء أهم الي من ذلك فاذا أنا قبضت فاحملوني ثم سلموا وقولوا يستأذن عمر فان أذنت لي فادخلوني وان ردتني فردوني الى مقابر المسلمين وجاءت أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها والنساء يسترنها فلما رأيناها قمنا فولجت عليه فبكت عنده ساعة واستأذن الرجال فولجت داخلا فسمعنا بكاءها من داخل فقيل أوص يا أمير المؤمنين واستخلف فقال ما أرى أحق بهذا الامر من هؤلاء النفر الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راض عنهم فسمى عليا وعثمان والزبير وطلحة وسعدا وعبد الرحمن وقال يشهدكم عبد الله وليس له من الامر شيء قال عليه السلام قال لي جبريل ليبكيك الاسلام على موت عمر

(وفاة عثمان رضي الله عنه) والحديث في قتله مشهور وقال عبد الله بن سلام أتيت أخي عثمان لاسلم عليه وهو محصور فدخلت عليه فقال مرحبا يا أخي

أولاد غيرهم من المؤمنين قال النووي رحمه الله أجمع من يعتد به على انهم من أهل الجنة قال وتوقف فيه بعض من لا يعتد به لحديث عائشة طوبى له عصفور من عصافير الجنة والحديث الذي أشار اليه النووي ماروي عن عائشة قالت أدرك النبي صلى الله عليه وسلم جنازة صبي من صبيان الانصار فقالت عائشة طوبى له عصفور من عصافير الجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومايدريك ان الله خلق الجنة وخلق لها أهلا وهم في أصلاب آبائهم وخلق النار وخلق لها أهلا وهم في أصلاب آبائهم قال النووي وأجاب العلماء عنه بانه لعله نهاها عن المسارعة الى القطع من غير أن يكون عندها دليل قاطع كما أنكر على سعد بن أبي وقاص في قوله أعطه اني لاراه مؤمنا قال أومسلما الحديث قال النووي رحمه الله ويحتمل أنه صلى الله عليه وسلم قال هذا قبل ان يعلم أن أطفال المسلمين في الجنة فلما علم قال ذلك في قوله مامن مسلم يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث الا أدخله الله الجنة بفضل رحمته اياهم وغير ذلك من الاحاديث والله أعلم وأما أطفال المشركين ففيهم ثلاث مذاهب قال الاكثرون هم في النار تبعا لآبائهم وتوقف طائفة فيهم والثالث وهو الصحيح الذي ذهب اليه المحققون أنهم من أهل الجنة ويستدل لهم باشياء منها حديث ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم حين رآه النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة وحوله أولاد الناس قالوا يا رسول الله وأولاد المشركين قال وأولاد المشركين رواه البخاري ومنها قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ولا يتوجه على المولود التكليف ويلزمه قول الرسول حتى يبلغ والله أعلم انتهى كلام النووي رحمه الله تعالى

(الفصل الثاني عشر في مؤمني الجن هل يدخلون الجنة أم لا) قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام رحمه الله أجمعت الامة على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرسل الى الجن وعلى أن عاصيهم يعذب بالنار واختلفوا في طائعهم هل يجازى على حسناته أم لا فقال أبو حنيفة مادل دليل على انهم يجازون وقال أصحابنا العمومات تدل على جزائهم نحو قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره وغير ذلك انتهى كلام الشيخ عز الدين رحمه الله ونقل بعض العلماء عن أبي حنيفة رحمه الله انه استدل بانهم لا ثواب لهم الا النجاة من النار بقوله تعالى يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم وبقوله فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا وأجاب عن ذلك بجوابين أحدهما أن الثواب مسكوت عنه والثاني أن ذلك من قول الجن قال

رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه الخوخة وهى خوخة فى البيت فقال يا عثمان حصروك قلت نعم قال أعطشوك قلت نعم فادلى الى دلوا فيه ماء فشربت حتى رويت حتى انى لاجد برده بين ثديى وبين كتفى وقال لى ان شئت نصرت عليهم وان شئت أفطرت عندنا فاخترت أن أفطر عنده فقتل ذلك اليوم رحمه الله تعالى وقال عبد الله بن سلام لمن حضر تشحط عثمان فى الموت حين جرح ماذا قال عثمان وهو يتشحط قالوا سمعناه يقول اللهم اجمع أمة محمد ثلاثا قال والذى نفسى بيده لو دعا الله أن لا يجتمعوا أبدا ما اجتمعوا الى يوم القيامة (وفاة على رضى الله عنه وأرضاه) * قال الحنظلى لما كانت الليلة التى أصيب فيها على رضى الله عنه أتاه ابن التياح حين طلع الفجر يؤذنه بالصلاة وهو مضطجع متثاقل فعاد الثانية وهو كذلك متثاقل فعاد الثالثة فقام ومشى وهو يقول هذه الابيات أشدد حيازيمك للموت * فان الموت لاقيكا ولا تجزع من الموت اذا حل بواديكا فلما بلغ الباب الصغير شد عليه ابن ملجم فضربه فخرجت أم كلثوم بنت على رضى الله تعالى عنه فجعلت تقول مالى ولصلاة الغداة قتل زوجى أمير المؤمنين صلاة الغداة وقتل أبى صلاة الغداة وعن شيخ من قريش ان عليا رضى الله تعالى عنه لما ضربه ابن ملجم قال فزت ورب الكعبة * (فصل فى كلام المحتضرين) * لما حضرت معاوية ابن أبى سفيان الوفاة قال أقعدونى فأقعدوه فجعل يذكر الله ويسبحه ثم بكى وقال تذكر ربك يا معاوية بعد الهرم والانحطام الا كان هذا وغصن الشباب نضر وبكى حتى علا بكاؤه وقال يارب ارحم الشيخ العاصى ذا القلب القاسى اللهم أقل العثرة واغفر الزلة وعد بحلمك على من لا يرجو غيرك ولم يثق باحد سواك * ولما حضرت معاذ الوفاة قال اللهم انى كنت أخافك وأنا اليوم أرجوك اللهم انك تعلم انى لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لجرى الانهار وغرس الاشجار ولكن لظمأ الهواجر ومكابدة الساعات ومزاحمة العلماء بالركب * وقيل لذى النون ما تشتهى قال ان أعرفه قبل موتى بلحظة (بيان حال القبر وأقاويلهم على القبور) قال الضحاك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قيل له من ازهد الناس قال من لم ينس القبر والبلا وترك أفضل زينة الدنيا وآثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعد غدا من أيامه وعد نفسه من أهل القبور وكان الحسن بن صالح اذا أشرف على القبور قال ما أحسن ظواهرك انما الدواهى فى بواطنك ومر داود عليه السلام على امرأة تبكى وهى تقول على قبر عدمت الحياة فلا انلها * اذا أنت فى القبر قد الحدوك فكيف اذوق طعم الكرا * وانت عنالك قد وسدوك ثم قالت يا ابناه ليت شعرى بأى خديك بدا الدود فصعق داود مكانه وخر مغشيا عليه (بيان الادب عند موت الولد) اذا مات ولدك أو قرابتك فنزله منزلة من تقدم عليك فى سفر لابد وأنت تتبعه أو من رجع قبلك الى الوطن وأنت تتبعه فانك اذا علمت انك ستلحق به لا يشق عليك ويستحب أحيانا زيارة القبور فقد أذن فيها بعد أن كان نهينا عنها قال أبو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زوروا القبور تذكر وا بها الآخرة واغسلوا الموتى فان معالجة جسد خاو موعظة بليغة قال وصل على الجنائز لعل ذلك ان يحزنك فان الحزين فى ظل الله تعالى وقال عليه السلام زوروا أمواتكم وسلموا عليهم وصلوا عليهم فان لكم فيها عبرة (بيان حقيقة الموت) اعلم أن حقيقة الموت على ما دلت عليه الآيات والاخبار وشهدت له طرق الاعتبار مفارقة الروح البدن لا عدم الروح أما الآيات فقال الله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند

ويجوز أن يكونوا لم يطلعوا الاعلى ذلك وخفى عليهم ما أعد الله لهم من الثواب واستدل الجمهور على انهم يثابون ويدخلون الجنة بقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان فانه ذكرها بعد قوله سنفرغ لكم أيها الثقلان والثقلان الجن والانس سميا بذلك لانهما أثقلا الارض وقيل لانهما مثقلان بالذنوب قيل انهم اذا دخلوا الجنة لا يكونون مع الانس بل يكونون فى ربضها

* (الفصل الثالث عشر فى ذبح الموت) * فى الصحيحين عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء بالموت كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار فيقال يا أهل الجنة هل تعرفون هذا فيشرئبون وينظرون فيقولون نعم هذا الموت ثم يقال يا أهل النار هل تعرفون هذا فيشرئبون وينظرون فيقولون نعم هذا الموت قال فيؤمر به فيذبح ثم يقال يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنذرهم يوم الحسرة الآية ونقل القرطبى عن صاحب خلع النعلين ان الذابح للكبش هو يحيى بن زكريا بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم اذ فى اسمه اشارة الى الحياة الابدية وذكر صاحب كتاب الفردوس ان الذى يذبحه جبريل عليه السلام كذا ذكره صاحب حياة الحيوان

* (الفصل الرابع عشر فى الاعمال الموصلة الى سكنى هذه الدار) قال الله تعالى للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد الذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار وصفهم الله تعالى أولا بالايمان ثم بالاستغفار من الذنوب ولا يصح الاستغفار الا بالتوبة من الاوزار ثم وصفهم بالخوف من العقاب وانهم يسألون الله السلامة من العذاب ثم وصفهم بالصبر والصبر تمام الامر وهو الصبر على المكاره والمصائب رجاء ثواب الله والصبر عن الشهوات المحرمة خوف عقاب الله تعالى والصبر على ملازمة فرائض الله تعالى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وقال صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم باهل الجنة قالوا بلى يا رسول الله قال كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لابره ألا أخبركم باهل النار قالوا بلى يا رسول الله قال كل عتل جواظ مستكبر ثم وصفهم بالصدق فى معاملة الله وهو استواء السر والعلانية لله واخلاص القصد فى العمل لوجه الله ورؤية المنة فى الطاعات من الله ثم وصفهم بالقنوت

ربهم يرزقون فرحين هذا فى الشهداء والخبر يدل على الاشقياء أيضا قال عليه السلام يوم بدر لصناديد قريش لما قتلوا يا فلان يا فلان قد وجدت ما وعدنى ربى حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا فقيل يا رسول الله أتناديهم وهم أموات قال صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده انهم لاسمع لهذا الكلام منكم الا انهم لا يقدرون على الجواب وقد روى أبو أيوب الانصارى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان نفس المؤمن اذا قبضت تلقاها أهل الرحمة من عند الله تعالى كما يتلقى البشير فى الدنيا فيقولون انظروا أخاكم حتى يستريح فانه كان فى كرب شديد فيسألونه ماذا فعل فلان وماذا فعلت فلانة وهل تزوجت فلانة فاذا سألوه عن رجل مات قبله وقال مات قبلى قالوا انا لله وانا اليه راجعون ذهب به الى أمه الهاوية (بيان كلام القبر للميت حين يوضع فيه) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول القبر للميت حين يوضع فيه ويحك يا ابن آدم ما غرك بى ألم تعلم انى بيت الفتنة وبيت الظلمة وبيت الوحدة وبيت الدود ما غرك بى اذ كنت تمر بى فذاذا فان كان مصلحا أجاب عنه مجيب القبر فيقول أرأيت ان كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فيقول القبر انى اذا أتحول عليه خضرا ويعود جسمه نورا وتصعد روحه الى الله تعالى والفذاذ هو الذى يقدم رجلا ويؤخر أخرى كذلك فسره الراوى (بيان عذاب القبر وسؤال منكر ونكير) قال البراء بن عازب خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نصلى على جنازة رجل من الانصار فجلس على قبره منكسا رأسه ثم قال اللهم انى أعوذ بك من عذاب القبر ثلاثا ثم قال ان المؤمن اذا كان فى قبل من الآخرة بعث الله تعالى ملائكة كان وجوههم الشمس ومعهم حنوط وكفن فيجلسون مد بصره فاذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والارض وكل ملك فى السماء وفتحت أبواب السماء فليس منها باب الا يحب أن يدخل بروحه منه فاذا صعد بروحه منه قيل أى رب أتى عبدك فلان فيقول ارجعوه فاروه ما أعددت له من الكرامة فانى وعدته منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى وانه ليسمع خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين حتى يقال يا هذا من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربى الله تعالى ودينى الاسلام ونبيى محمد فينتهرانه انتهارا شديدا وهى آخر فتنة تعرض على الميت فاذا قال ذلك نادى مناد أن قد صدقت وهو معنى قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ثم يأتيه آت حسن الوجه طيب الرائحة حسن الثياب فيقول أبشر برحمة من ربك وجنات لهم فيها نعيم مقيم فيقول وأنت بشرك الله بخير من أنت فيقول أنا عملك الصالح والله ما علمت ان كنت لسريعا الى طاعة الله تعالى بطيئا عن معصية الله تعالى فجزاك الله خيرا قال ثم ينادى مناد أن أفرشوا له فراشا من فرش الجنة وافتحوا له بابا الى الجنة فيفرش له من فرش الجنة ويفتح له باب الى الجنة فيقول اللهم عجل قيام الساعة حتى أرجع الى أهلى ومالى قال وأما الكافر فانه اذا كان فى قبل من الآخرة وانقطاع من الدنيا نزلت اليه ملائكة غلاظ شداد معهم ثياب من نار وسرابيل من قطران فيحتوشونه فاذا خرجت نفسه لعنه كل ملك فى السماء وغلقت أبواب السماء فليس منها باب الا يكره أن يدخل بروحه منه فاذا صعد بروحه نبذ وقيل أى رب عبدك فلان لم تقبله سماء ولا أرض فيقول ارجعوه فاروه ما أعددت له من الشر به فانى وعدته منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى وانه ليسمع خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين حتى

بالقنوت والخضوع والانقياد لطاعة الله ثم وصفهم بالانفاق من أموالهم فى طاعة الله ثم وصفهم بالاستغفار فى الاسحار والوقوف على الباب بوصف الافتقار قال الشيخ عبد العزيز رحمه الله فى طهارة القلوب فمن طمع فى الجنة فليعرض أعماله على أعمالهم وليقايس حاله باحوالهم والا كان مغرورا ومتمنيا وقال تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون أخبر سبحانه وتعالى أنه أعد الجنة للمتقين دون غيرهم ثم ذكر أوصاف المتقين فذكر بذلهم للاحسان فى حالة العسر واليسر والشدة والرخاء فان من الناس من يبذل فى حالة اليسر والرخاء ولا يبذل فى حالة العسر والشدة ثم ذكر كف أذاهم للناس بحبس الغيظ بالكظم وحبس الانتقام بالعفو ثم ذكر حالهم بينهم وبين ربهم فى ذنوبهم وأنها اذا صدرت منهم قابلوها بذكر الله والتوبة والاستغفار وترك الاصرار فهذا حالهم مع الله وذلك حالهم مع خلقه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها الله لمن ألان الكلام وأطعم الطعام وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام وقال صلى الله عليه وسلم أيما مسلم كسا مسلما على عرى كساه الله من خضر الجنة وأيما مسلم أطعم مسلما على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة وأيما مسلم سقى مسلما على ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم قال بعض العلماء من أراد دخول الجنة فليداوم على خمسة أشياء أولها أن يمنع نفسه من جميع المعاصى قال الله تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى والثانى أن يرضى باليسير من الدنيا روى فى الخبر أن ثمن الجنة ترك الدنيا والثالث أن يكون حريصا على الطاعات ويتعلق بكل طاعة فلعل تلك الطاعة تكون سبب المغفرة ووجوب الجنة قال الله تعالى وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون والرابع أن يحب الصالحين وأهل الخير ويخالطهم ويجالسهم فان واحدا منهم اذا غفر له يشفع لاصحابه واخوانه (والخامس) ان يكثر الدعاء ويسأل الله تعالى أن يرزقه الجنة وان يجعل خاتمته الى خير وروى الترمذى الحكيم فى نوادر الاصول عن عبد الرحمن بن سمرة رضى الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ونحن فى مسجد

المدينة فقال اني رأيت البارحة عجبا رأيت رجلا من أمتي جاءه ملك الموت ليقبض روحه فجاءه بره بوالديه فرده عنه ورأيت رجلا من أمتي قد بسط عليه عذاب القبر فجاءه وضوءه فاستنقذه من ذلك ورأيت رجلا من أمتي قد احتوشته الشياطين فجاءه ذكر الله فخلصه من بينهم ورأيت رجلا من أمتي قد احتوشته ملائكة العذاب فجاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم ورأيت رجلا من أمتي يلهث عطشا كلما ورد حوضا منع منه فجاءه صيامه فسقاه وأرواه ورأيت رجلا من أمتي والنبيون قعود حلقا حلقا كلما دنا من حلقة طردوه فجاءه اغتساله من الجنابة فأخذ بيده فأقعده الى جانبي ورأيت رجلا من أمتي من بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة وعن يمينه ظلمة وعن شماله ظلمة ومن فوقه ظلمة ومن تحته ظلمة فهو متحير فيها فجاءته حجته وعمرته فاستخرجاه من الظلمة وادخلاه في النور ورأيت رجلا من أمتي يكلم المؤمنين فلا يكلمونه فجاءته صلة الرحم فقالت يامعاشر المؤمنين كلموه فكلموه ورأيت رجلا من أمتي يتقي وهج النار وشررها بيده عن وجهه فجاءته صدقته فصارت سترا على وجهه وظلا على رأسه ورأيت رجلا من أمتي قد أخذته الزبانية من كل مكان فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذاه من أيديهم وأدخلاه مع ملائكة الرحمة ورأيت رجلا من أمتي جاثيا على ركبتيه وبينه وبين الله حجاب فجاءه حسن خلقه فأخذ بيده فأدخله على الله ورأيت رجلا من أمتي قد هوت صحيفته من قبل شماله فجاءه خوفه من الله تعالى فأخذ صحيفته فجعلها في يمينه ورأيت رجلا من أمتي قد خف ميزانه فجاءته أفراطه فثقلوا ميزانه ورأيت رجلا من أمتي قائما على شفير جهنم فجاءه وجله من الله تعالى فاستنقذه من ذلك ومضى ورأيت رجلا من أمتي هوى في النار فجاءته دموعه التي بكى بها من خشية الله في الدنيا فاستخرجته من النار ورأيت رجلا من أمتي قائما على الصراط يرعد كما ترعد السعفة فجاءه حسن ظنه بالله فسكن رعدته ومضى ورأيت رجلا من أمتي على الصراط يزحف أحيانا ويحبو أحيانا فجاءته صلاته علي فأخذت بيده وأقامته ومضى على الصراط ورأيت رجلا من أمتي انتهى الى أبواب الجنة فغلقت الأبواب دونه فجاءته شهادة أن لا اله الا الله ففتحت له الأبواب وأدخل الجنة

(باب سعة رحمة الله تعالى نختم به الكتاب)

اذ ليس لنا أعمال نرجو بها العفو ولكنا نرجو رحمة الله عز وجل قال الله تعالى قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وقال تعالى ومن يعمل سوءا أو

يظلم

يقال له ياهذا من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول لا أدري فيقال لا دريت ثم يأتيه آت قبيح الوجه منتن الريح قبيح الثياب فيقول له أبشر بسخط من الله تعالى وبعذاب أليم مقيم فيقول بشرك الله تعالى بشر من أنت فيقول أنا عملك الخبيث والله ما علمت ان كنت لسريعا في معصية الله تعالى بطيئا عن طاعة الله تعالى فجزاك الله تعالى شرا فيقول وأنت فجزاك الله شرا ثم يقيض له أصم أعمى أبكم معه مرزبة من حديد لو اجتمع عليها الثقلان على أن يحملوها لم يستطيعوا والو ضرب بها جبل صار ترابا فيضربه بها ضربة فيصير ترابا ثم تعود فيه الروح فيضربه بها بين عينيه ضربة يسمعها من على الارضين ليس الثقلين قال ثم ينادي مناد أن افرشوا له لوحين من نار وافتحوا له بابا الى النار فيفرش له لوحان من نار ويفتح له باب الى النار وقال صلى الله عليه وسلم المؤمن في قبره في روضة خضراء ويرحب له في قبره سبعون ذراعا ويضيء حتى يكون كالقمر ليلة البدر هل تدرون فيماذا أنزلت فان له معيشة ضنكا قالوا الله ورسوله أعلم قال صلى الله عليه وسلم عذاب الكافر في قبره يسلط عليه تسعة وتسعون تنينا هل تدرون ما التنين تسع وتسعون حية لكل حية سبعة رؤس يخدشونه ويلحسونه وينفخون في جسمه الى يوم يبعثون وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للقبر ضغطة ولو سلم أو نجا منها أحد لنجا منها سعد بن معاذ ولما قال صلى الله عليه وسلم

لعمر رضي الله عنه في منكر ونكير قال يارسول الله ويكون معي عقلي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال اذن اكفيكهما فدل ذلك على ان العقل لا يزول بالموت كما سبق ذكره

(فصل فيما يلقى الميت من نفخة الصور وما بعده) قد عرفت فيما سبق شدة أهوال الموت وسكراته وخطره في خوف الخاتمة ثم مقاساته لظلمة القبر وديدانه ثم منكر ونكير وسؤالهما ثم لعذاب القبر ان كان شقيا واعظم من ذلك كله الاخطار التي بين يديه من نفخ الصور والبعث يوم النشور والعرض على الجبار والسؤال عن القليل والكثير ونصب الميزان لمعرفة المقادير ثم جواز الصراط مع دقته وحدته ثم انتظار النداء عند فصل القضاء اما بالاسعاد واما بالاشقاء فهذه أحوال وأهوال لابد لك من معرفتها ثم الايمان بها على سبيل الجزم والتصديق ثم امعان الفكر فيها لينبعث من قلبك دواعي الاستعداد لها وأكثر الناس لم يدخل الايمان باليوم الآخر صميم قلوبهم ولم يتمكن من سويداء أفئدتهم ويدل على ذلك شدة تشمرهم واستعدادهم لحر الصيف وبرد الشتاء وتهاونهم بحر جهنم وزمهريرها أما نفخ الصور فقال الله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون وصعق أي مات الا من شاء الله وهو جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت ثم يأمر ملك الموت بقبض روح جبريل ثم روح اسرافيل ثم روح ميكائيل ثم يأمر ملك الموت فيموت ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون ثم يساقون الى أرض المحشر وهم حفاة عراة قد غرقوا في العرق كل واحد على قدر ذنوبه فيقفون في طول يوم القيامة شاخصة أبصارهم كل على قدر حسابه فيسئل عن النقير والقطمير ثم يوزن بالميزان حسناته وسيآته وعند ذلك تطالبه الخصماء بالمظالم ثم يساقون الى الصراط كما سبق في الاعتقاد فيسئلون عند ذلك وهو قوله تعالى وهدوا الى صراط الجحيم وقفوهم انهم مسؤلون *(صفة الشفاعة)* اعلم أنه اذا حق العذاب على طوائف من المؤمنين فالله سبحانه وتعالى يقبل فيهم شفاعة الانبياء والاولياء والعلماء

يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما وقال تعالى ورحمتي وسعت كل شئ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش ان رحمتي سبقت غضبي وقال صلى الله عليه وسلم جعل الله الرحمة مائة جزء فامسك عنده تسعة وتسعين وأنزل في الارض جزأ واحدا فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه وفي رواية ان لله تعالى مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الانس والجن والبهائم والهوام فبها يتعاطفون وبها يتراحمون وبها تعطف الوحش على ولدها وأخر تسعة وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة وعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال مامن عبد قال لا اله الا الله ثم مات على ذلك الا دخل الجنة قلت وان زنا وان سرق قال وان زنا وان سرق وان زنا وان سرق ثم قال في الرابعة على رغم أنف أبي ذر وقال صلى الله عليه وسلم ان الله قد حرم النار على من قال لا اله الا الله يبتغي بذلك وجه الله هذه الاحاديث كلها في الصحيحين وروى الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى يا ابن آدم انك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الارض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيأ لأتيتك بقرابها مغفرة اللهم ارحمنا برحمتك التي وسعت كل شئ اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبنا ورحمتك أرجى عندنا من أعمالنا اللهم رحمتك نرجو فلا تكلنا الى أنفسنا طرفة عين واصلح لنا شأننا كله لا اله الا أنت اللهم انا نستغفرك من أقوالنا التي تخالف أعمالنا ومن كل تصنع تزينا به للناس وكل علم وعمل قصدناه ثم خالطه ما يكدره فبكرمك نستشفع الى كرمك وبجودك نسألك من جودك انك قريب مجيب الهنا ان كانت رحمتك للمحسنين فالى أين تذهب آمال المذنبين الهنا ذنوبنا لها غاية وكرمك لا غاية له الهنا ان كنا لا نقدر على التوبة فانت تقدر على المغفرة الهنا ان ذنوبنا صغيرة في جنب عفوك وان كانت عظيمة في جنب نهيك الهنا دلنا عليك وارحم ذلنا بين يديك واجعل رغبتنا فيما لديك ولا تحرمنا بذنوبنا ولا تطردنا بعيوبنا الهنا كيف نرجوك ونحن نحن وكيف لا نرجوك وأنت أنت الهنا ان كنا لا نقدر على ترك ذنب كتبته علينا فانت تقدر على مغفرته لنا الهنا ان كنا عصيناك بجهل فقد دعوناك بعقل حيث علمنا أن لنا ربا يغفر الذنوب ولا يبالي اللهم يامن ستر الزلات وغفر

وكل من له عند الله منزلة *(صفة الحوض)* قال أنس رضي الله عنه أغفى رسول الله صلى الله عليه وسلم اغفاءة فرفع رأسه متبسما فقالوا له يارسول الله لم ضحكت فقال صلى الله عليه وسلم آية أنزلت علي آنفا فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا أعطيناك الكوثر حتى ختمها ثم قال أتدرون ما الكوثر قالوا الله ورسوله اعلم قال صلى الله عليه وسلم انه نهر وعدنيه ربي جل جلاله في الجنة عليه حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد الكواكب اللهم ارزقنا الورود عليه *(صفة جهنم وأهوالها وانكالها أجارنا الله تعالى منها)* اعلم أن النار يردها كل أحد قال الله تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا اعلم انه لا نجاة الا بالتقوى قال الله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا فالورود يقينا والتقوى التي بها النجاة مشكوك فيها فاستشعر أيها المسكين في قلبك هول ذلك المورد والناس في غمرات الاهوال ثم افاقوا من تلك الدواهي اذ أحاطت بالمجرمين ظلمات ذات شعب وأظلت عليهم نار ذات لهب وسمعوا لها زفيرا وجرجرة تفصح عن شدة الغيظ والغضب فايقن المجرمون بالعطب وجثت الامم على الركب حتى أشفق البرآء من سوء المنقلب وخرج المنادي من الزبانية قائلا أين فلان بن فلان المسوف نفسه في الدنيا بطول الامل المضيع عمره في سوء العمل فيبادرونه بمقامع من حديد نعوذ بالله منها ويسوقونه الى العذاب الشديد وينكسونه في قرار الجحيم ويقولون له ذق انك أنت العزيز الكريم *(القول في صفة الجنة ونعيمها)* اعلم أن دار البوار يقابلها دار القرار وهي الجنة وبقدر البعد من أحدهما يصل الى الآخرة فاذكر النار ليستثير به الخوف من قلبك واذكر الجنة ليستثير الرجاء اذا خفت على نفسك القنوط من كثرة الذنوب وغلبة الخوف والآيات والاخبار دالة على صفة أهل الجنة ونعيمهم وأمنهم وطعامهم وشرابهم وفواكههم فلا يحتاج الى الاطناب فيه وقد وردت الاخبار الدالة على الرؤية وهي أعلى درجات النعيم قال جرير بن عبد الله البجلي كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى القمر ليلة البدر فقال صلى الله عليه وسلم انكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فان استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها وهو مخرج من الصحيحين وروى مسلم في الصحيح عن صهيب قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال صلى الله عليه وسلم اذا دخل أهل الجنة الجنة قال ان لكم عند الله موعدا يشتهي أن ينجزكموه قال ماهذا الموعد ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار قال فيرفع الحجاب وينظرون الى وجه الله تعالى فما أعطوا شيأ أحب اليهم من النظر اليه وقد روى حديث الرؤية جماعة من الصحابة وهي غاية الحسنى ونهاية النعيم وكل ما فصلناه من نعيم عند هذه النعمة ينسى وليس لسرور أهل الجنة عند سعادة اللقاء منتهى بل لا نسبة لشئ من لذات الجنة الى لذة اللقاء وقد ذكرنا طرفا من ذلك في باب المحبة وعلى الجملة فلا ينبغي أن تكون همة العبد من الجنة سوى لقاء المولى جل جلاله فأما سائر نعيم الجنة فانه يشاركه فيها البهيمة المسرحة في المرعى فافهم تغنم *(خاتمة الكتاب باخبار تدل على سعة رحمة الله تعالى على سبيل التفاؤل)* فقد كان صلى الله عليه وسلم يحب الفأل ونحن نرجو من فضل الله تعالى ورحمته وسعة مغفرته أن يختم بالسعادة آجالنا كما ختمنا هذا الكتاب بالاخبار الدالة على سعة المغفرة والرحمة أما الآيات

فقد قال الله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك الآية وقال الله تعالى ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ونحن نستغفر الله تعالى من كل ما زل به القلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله عز وجل مائة رحمة أنزل منها رحمة بين الجن والانس والبهائم والهوام فبها يتعاطفون وبها يتراحمون وأخر تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة وروى أنه اذا كان يوم القيامة أخرج الله تعالى كتابا من تحت العرش فيه ان رحمتى سبقت غضبى وأنا أرحم الراحمين فيخرج من النار مثلا أهل الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجلى الله عز وجل لنا يوم القيامة ضاحكا فيقول أبشروا معشر المسلمين فانه ليس منكم أحد الا وقد جعلت فى النار مكانه يهوديا أو نصرانيا وقال صلى الله عليه وسلم يشفع الله تعالى آدم يوم القيامة من جميع ذريته فى مائة ألف ألف وعشرة آلاف ألف وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل أخرجوا من النار من ذكرنى يوما أو خافنى فى مقام وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اجتمع أهل النار فى النار ومن شاء الله معهم من أهل القبلة قال لهم الكفار ألم تكونوا مسلمين قالوا بلى قالوا فما أغنى عنكم اسلامكم اذ أنتم معنا فى النار فيقولون كانت لنا ذنوب فأخذنا بها فيسمع الله عز وجل ما قالوا فيأمر باخراج من كان فى النار من أهل القبلة فيخرجون فاذا رأى الكفار ذلك قالوا يا ليتنا كنا مسلمين فنخرج كما أخرجوا ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وقال صلى الله عليه وسلم لله أرحم بالعبد المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها وقال جابر بن عبد الله رضى الله عنه من زادت حسناته على سيآته يوم القيامة فذلك الذى يدخل الجنة بغير حساب ومن استوت حسناته وسيآته يوم القيامة فذلك الذى يحاسب حسابا يسيرا ثم يدخل الجنة وانما شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن أوبق نفسه وأثقل ظهره وروى ان الله تعالى قال لموسى عليه السلام استغاث بك قارون فلم تغثه وعزتى وجلالى لو استغاث بى لأغثته وعفوت عنه وقال الصنابحى دخلت على عبادة بن الصامت وهو فى مرض الموت فبكيت فقال مهلا لم تبكى فوالله ما من حديث سمعته من رسول الله لكم فيه خير الا حدثتكموه الا حديثا واحدا وسوف أحدثكموه اليوم وقد أحيط بنفسى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من شهد أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله حرم الله تعالى عليه النار وقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يستخلص رجلا من أمتى على رؤس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل منها مد البصر ثم يقول أتنكر من هذا شيأ أظلمتك كتبتى الحافظون فيقول لا يا رب فيقول ألك عذر فيقول لا يا رب فيقول بلى ان لك عندنا حسنة فانه لا ظلم عليك اليوم فيخرج بطاقة فيها أشهد أن لا اله الا الله وأشهد ان محمدا رسول الله فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقول انك لا تظلم قال فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة قال فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شئ والحمد لله وحده والصلاة على نبيه

السيئات وأبدلها حسنات أجرنا من مكرك وزينا بذكرك واستعملنا بأمرك ووفقنا لشكرك واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه والحمد لله رب العالمين

(يقول راجى غفران المساوى مصححه محمد الزهرى الغمراوى)

ان أول ما حلت به جيدها العقول وافتخرت بفرائد جواهره فى يوم يرتجى فيه للخليل وصول حمد مبدع الكائنات ومفيض الجود بعظيم الهبات فنسأله أن يمن بما يفيد العون على شكر آلائه ويعيد النفوس راوية من سلسبيل معانى أسمائه ويدر سحب الصلوات المشمولة بالتسليم على رسوله سيدنا محمد ذى القدر العظيم وعلى آله الطاهرين وصحابته أجمعين أما بعد فقد تم بعونه تعالى طبع كتاب نزهة الناظرين فى الاخبار والآثار المروية عن الانبياء والصالحين وهو لعمرى كتاب حوى اسمه بعض معناه ولا يستقصى ما فيه غير الفقار لبناه حذا حذو الاحياء فاكسب القلوب الصفاء وتتبع النقول الصحيحة فشفى من الجهل كل نفس جريحة لا يمل الناظر من لذيذ مفاكهاته ولا تعبس النفوس من أدوية زجره وعظاته فله فى كل باب من الفضل الساحة الفيحاء ومن الهداية على تخليص القلوب من أدوائها كل يد بيضاء وكيف لا وهو لعلامة زمانه وفريد أوانه تقى الدين عبد الملك بن أبى المنى البابى ثم الحلبى رحمه الله وقد تحلت طرره ووشيت غرره بمختصر الاحياء للامام الغزالى رحمه الله فجاء بحمد الله وافيا بكل غرض حاويا من الافادة كل جوهر وعرض وذلك بالمطبعة الميمنيه بمصر المحروسه المحميه بجوار سيدى أحمد الدردير قريبا من الجامع الازهر المنير وذلك فى شهر شوال سنة ١٣١٧ هجريه على صاحبها أزكى الصلاة وأتم التحيه

آمين